



Bibliotheca Alexandrina



0113306

جمهورية مصر العربية
الجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامى

سُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ فِي سِيرَةِ خَيْرِ الْعِبَادِ

لِلإمام محمد بن يوسف الصَّاحِبِ الشَّيْخِ الشُّوفِيِّ سَنَةِ ٩٤٤ هـ

الجزء الثالث

الهيئة

تحقيق

رقم التمسيد

الأستاذ عبد العزيز عبد الحق عظمي

يُشْرِفُ عَلَى إِسْدَادِهَا
مُحَمَّدُ تَوْفِيقُ عَرِيضَةَ



مقدمة

يعتاول المؤلف شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الشامي الصالحى فى هذا الجزء من كتابه : « سُبُلُ الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد » ، أو بما أسماه الزرقانى : بالسيرة الشامية سنة موضوعات فى السيرة النبوية ، أولها : معراجة عليه الصلاة والسلام ، وقد عقد له عشرة أبواب ، وثانيها : بدء إسلام الأنصار فى تسعة أبواب ، وثالثها : الهجرة إلى المدينة فى ستة أبواب ، ورابعها فى بعض فضائل المدينة الشريفة فى عشرة أبواب ، وخامسها فى بعض حوادث من السنة الأولى والثانية للهجرة فى ستة أبواب ، وسادسها فيما جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اليهود والمنافقين فى ثلاثة عشر باباً . فصارت جملة الأبواب فى هذا الجزء أربعة وخمسين باباً تستغرق من النسخة رقم ٥٠ المرموز لها بالحرف م ، الورقات من ٣٢٤ إلى ٤٦٩ ، وبعض هذه الموضوعات يمكن أن يعد كتاباً كاملاً مثل المعراج الذى يستغرق ما يقرب من ثلثائة صحيفة .

ويتعرض المؤلف فى هذا الجزء من كتابه لنواحٍ من التفسير والأصول والفقه والكلام مع الاستشهاد بروايات المحدثين وأسانيدهم ، وهو فى هذا يزيد على ما صنعه السهيل فى شرحه لسيرة ابن هشام . كما لم ينس المؤلف أن يُنْذِل كل باب بتنبهات كثيرة يدلل فيها على ما يذهب إليه من آراء ، كما يختمها بشرح الغريب فيما سبق أن أورده من النصوص . وقد أكثر من التفسير وشرح الغريب بما جعل هذا الجزء من كتابه أقرب ما يكون كتاباً فى التفسير واللغة .

والنقول التى يسوقها المؤلف بذكرها مسندةً إلى أصحابها أو إلى أسلاف كتبهم ، وقد يكتفى بكلمة الحافظ التى يقصد بها ابن حجر العسقلانى ، وفيما يذكره من أسماء قد يشترك فيها أكثر من واحد مثل عبد الله بن الحارث أو يسند قولاً لابن منده دون أن يذكر اسمه

كاملاً لتحديد من يقصده من بنى متده الذين أخرج بيتهم أكثر من حافظ وفقيه ، وينطبق هذا أيضاً على التفسيرين المتسبين إلى بلدة نَسَف . وقد التزمنا ما وسعنا الجهد لتحديد هؤلاء وكتابة حواش موجزة في تراجمهم مع سياقة أنسابهم والإشارة إلى مآثرهم أو مؤلفاتهم زيادة في تعريف القارئ بهم ، كما عطينا بما يتطرق إليه المؤلف من ذكر الأماكن والبلدان ، فأدرجنا حواش مستمدة مما كتبه عنها البلدانيون والرحالة العرب وغيرهم .

أما فيما يتعلق بشرح الغريب فكنا نتابع ما يذكره المؤلف ونقابله على ما ورد في أمهات المعاجم ودواوين اللغة والأدب ومصنفات غريب القرآن والحديث ونضع من التعقيبات ما نستدركه بما يزيد في شرح هذه الألفاظ وتبينها . وقد يذكر المؤلف أحياناً في شرحه لمزيد به كل باب تحت عنوان : « بيان غريب ما سبق » ألفاظاً لم يسبق له أن ذكرها ظناً منه أنه أوردها في نقوله ، فنشير في هذه الحالة إلى مواضعها من النصوص التي سها عن إبرادها . وفي حالات غير قليلة ينقل المؤلف نصاً مبتوراً أو مختصراً بصورة تجعله أقل وضوحاً ، فنضطر إلى إثباته كاملاً مع وضع الزيادة بين مُعَقِّفَيْن ونشير في الحواش إلى مصدره وأن به يستقيم مراد المؤلف . كما نجد أحياناً في نقل المؤلف ما يخالف لفظ المصدر الذي نقل عنه فنشير عند ذلك إلى هذا الخلاف . ومن المحتمل أن النسخ المطبوعة من كتابات المؤلفين الذين نقل عنهم الشئ قد تكون مختلفة عن النسخ الخطية التي رجع إليها لأن كثيراً من المصادر العربية المطبوعة لم تُنشر نشرًا علمياً محققاً . ومع ذلك فقد وجدنا أن التشويه بهذا الخلاف مما يزيد في فائدة كل من القراء والباحثين .

وقد كان العمل في تحقيق هذا الجزء من السيرة الشامية شاقاً نظراً للوائح الجديدة المعمول بها في دار الكتب بالقاهرة وذلك فيما يتعلق بالمخطوطات إذ صار النسخ محظوراً حتى بالنسبة للمكلفين رسمياً بتحقيق مخطوطات معينة ، ولا شك أن الباحث على إصدار هذه اللوائح هو صيانة التراث الثقافي العربي . ولكن كيف يتفق هذا مع واجبنا في العمل على إحيائه ؟ ولقد وجدنا أن موظفي الدار لا يدخرون وسعاً في خدمة المترددين عليها ولكنهم مضطرون إلى تنفيذ هذه التعليمات الجديدة في حدود الواجبات التي يضطلعون بآدابها . وقبل حظر النسخ كنت قد استنسخت جانباً من هذا الجزء ، وعند المقابلة على

النسخ الخطية وجدت أن الناسخ ارتكب كثيراً من الأخطاء ، وعند قيامي بتصحيحها كنت أكثر من الكتابة مما جعل مراقبي الدار يظنون أني أقوم بالنسخ ، فأدفع عن نفسي هذه التهمة بإظهار النسخة الخطية المشوهة التي استنسختها .

هذا بالإضافة إلى مشقة العمل في المقابلة بين مخطوطات السيرة الشامية . ولم نجد القسم الذي قمنا بتحقيقه في نسخة مكرم رقم ٤٥١١ تاريخ ، الرموز لها بالحرف ك . كما أن مخطوطة صنعاء الرموز لها بحرف ص ، وجدناها مليئة بالأخطاء بعد أن اشتغلنا بها لفترة من الزمن ، فتعلم علينا اتخاذها أصلاً . ولكننا وجدنا مخطوطة طلعت رقم ٢١٠٠ تاريخ ، الرموز لها بالحرف ط ، تفوق غيرها من حيث الدقة وقلة السقط ، فأثرنا جعلها أصلاً نعتمد عليه . ويقع الجزء الذي كُلِّفنا بتحقيقه في أواخر المجلد الأول منها . ومما يؤسف له أن المجلد الثاني من هذه المخطوطة به نحو ثمان عشرة ورقة فقط ينصل مضمونها بما سبق في المجلد الأول ، وبعد ذلك لا يستقيم الكلام في بقية أوراق المجلد الثاني على الرغم من الاتفاق في تسلسل الأرقام ، ولكن الكلام غير متصل مع موضوع الجزء الذي نحققه ، فاضطررنا إلى الاعتماد على مخطوطتي تيمور ، رقم ٩٣٥ تاريخ ، الرموز لها بحرف ت ، ومخطوطة مصطفى فاضل ، رقم ٥٠ تاريخ ، الرموز لها بحرف م . واثبتنا في الترقيم أوراق ٥٠ م ، فيها عدا الأبواب الأخيرة التي أثبتنا فيها أرقام المخطوطة التيمورية لاشتغالها على ما لم نجده في المخطوطة ٥٠ م . وقد تداركنا السقط في هاتين المخطوطتين من مخطوطة طلعت وبمنه حل سبيل المثال ، ثبت بأسماء الصحابة الذين رووا قصة المراح ويستغرق ما يقرب من ثلاث صفحات . أما ما عسى أن يوجد منها في المجلد الثاني من مخطوطة طلعت التي لم نشر عليها ، فقد تداركناه بمقابلة نقول المؤلف عن المصادر التي تيسر لنا الرجوع إليها .

وكثيراً ما ساعدتنا هذه النقول على تقويم النص وتدارك أغلاط النساخ أو سهوهم وقد عارضناها بما هو مطبوع من مؤلفات أصحابها . ولم نشر إلى أنواع ظاهرة من التصحيح والتحريف ولكن أثبتنا الخلافات التي تعتبر وجهاً آخر للقراءة يتقارب من المعنى المراد ولا يتناقضه ، هذا مع إثبات الاختلاف في رواية الأشعار ونسبتها إلى قائلها ، وقد رجحنا في ضبط أسماء الأعلام ، وفي كتبنا من حواشٍ للتعريف بهم ، إلى معاجم تراجم الصحابة ورواة

الحديث وكتب الطبقات والأعلام وتراجم فقهاء الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم تنويعاً بما خلفوه من تراث وزيادة في فائدة القارئ .

ولا شك أن كتاب الشامي موسوعة زاهرة في السيرة النبوية لا نظير لها ، فتصل بعصر تصنيف الموسوعات في القرن التاسع الهجري . وقد قال فيها الشعراي المتوفى سنة ٩٧٣ هـ ، « إن مؤلفها مثنى فيها على أنموذج لم يسبق إليه أحد » . ففيها من صنوف العلوم الإسلامية والعربية علاوة على التاريخ مالا يوجد في غيرها . ومن المرجح أنها كانت مصدراً رجع إليه من كتبوا في السيرة بعده مثل الديار بكري المتوفى سنة ٩٨٢ هـ ، والحلي المتوفى سنة ١٠٤٤ هـ ، والشهاب الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ ، والزرقاني المتوفى سنة ١١٢٢ هـ ، وفي شرح الأخير على المواهب اللدنية للقسطاني كثيراً ما يصرح بالنقل عن شمس الدين الصالحى والاستشهاد بحججه قائلاً : « قال الشامي » ، وجاء في السيرة الشامية » . ونعتقد أن رفاعة رافع الطهطاوى رجع إليها عند تأليف كتابه : « نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز » (القاهرة سنة ١٢٩١ هـ) حيث نهج نهجه في إيراد إشارات إلى الأصول والفقه واللغة وغيرها .

هذا وقد نقل ابن العماد في شلوات الذهب (ج ٨ ص ٢٥٠ : ٢٥١) عند ترجمته للشامي في وفيات سنة ٩٤٢ هـ ، ما كتبه عنه العلامة الشعراي في ذيله على كتابه : « لواقع الأنوار في طبقات الأخيار » ، مما يدل على تقدير الشعراي لكتابته وذيوخ شهرته بين الباحثين ، غير أن ضخامة الكتاب كانت تحول دون سهولة الانتفاع به حتى أن الشامي « سئل في اختصاره وترك ألفاظ الغريب وأن يحكى السيرة على وجهها كما فعل ابن سيد الناس » . وذكر ابن الغنادر في ترجمته للشامي ثبناً بمؤلفاته ، ومنها ما أحال الشامي القناوى عليه في أول هذا الجزء مثل : « الآيات العظيمة الباهرة في معراج سيد أهل الدنيا والآخرة » ، ومختصره المسمى : « بالآيات البينات في معراج سيد أهل الأرض والسموات » ، و « الجامع الوجيز الخادم للغات القرآن العزيز » .

إن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ليهنأ على عنايته بإخراج هذا السفر النفيس ، ونرجو أن يكون هذا حافظاً إلى تحقيق مالا يزال مخطوطاً من المؤلفات المتعلقة بالسيرة

النبوية وإعادة نشر ما ظهر منها في طبعات سقيمة . ففي إحيائها ما يحقق معنى العنوان
الذي اختاره الشاى لموسوعته وهو (سبل الهدى والرشاد) .

ولا ينوتنى أن أقدم جزيل الشكر للأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم الذى يسر لى العمل
على تحقيق هذا الجزء وأعاننى بتوجيهه وإرشاده .

عبد العزيز عبد الحق حلمي

١٩ من المحرم سنة ١٣٩٣ هـ

٢٢ من فبراير سنة ١٩٧٣ م

جُمَاعُ أَبْوَابٍ مِعْرَاجُهُ^(١)

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قد كنتُ أفردتُ كتاباً حافلاً في هذا الباب سَمَّيْتُهُ : « الآيات البَيِّنَات في معراج سيد أهل الأرض والسموات » ، ثم ظَفِرْتُ بِأَشْيَاءَ لم يَنْتَسِرِ الوقوف عليها إِذْ ذَاكَ ، فجمعتُ كتاباً سَمَّيْتُهُ : « الفضل الفائق في معراج خير الخلائق » ، فاجتمع فيه فوائد ونفائس لا توجد مجموعة إلا فيه ، فرأيتُ أن أذكر هنا خلاصته :

(١) انظر في الإسراء والمعراج سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٢ : ١٥) والروض الأنت السجيل (ج ١ ص ٢٤٢ : ٢٥٧) وعيون الأثر لابن سيد الناس (ج ١ ص ١٤٠ : ١٤٤) والبداية والنهاية لابن كثير (ج ٣ ص ١٨ : ١٠ : ١٧) .

الباب الأول

في بعض فوائد قوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَمَرَ رَبِّهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)^(١)

الكلام على هذه الآية من وجوه :

الأول : في سبب نزولها : قال الإمام العالم العلامة أبو حيان أنير الدين محمد بن يوسف الغرناطي^(٢) - بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وبالطاء المهملة - في تفسيره المسمى بالنهر^(٣) : « سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذُكر الإسراء به كذبوه ، فأنزلها الله تعالى » .

الثاني : في وجه اتصال هذه السورة بما قبلها : قال الإمام فخر الدين الرازي ، والبرهان النسفي^(٤) : « وجه الاتصال بما قبلها أن في تلك السورة ذُكر الخليل صلى الله عليه وسلم وذكُرَ أوصافه الشريفة ، وشريعاته الكلية من الحضرة الأزلية ، والأمر باتباع ملة الحنيفية ، والاقتداء به في العقائد الدينية ، وفي هذه السورة ذكر من اتبع مِلَّةَ بالصدق ، وأقام سُنَّتَهُ على الحق ، ثم في آخر تلك السورة أُمِرَ نَبِيُّنَا صلى الله عليه وسلم : (اذْعُ إِلَى سَبِيلِ

(١) الآية الأولى من سورة الإسراء .

(٢) هو أبو حيان الفؤادى المفسر الأديب . توفي بالقاهرة سنة ٧٤٥ هـ ترجم له الكثيرون في مقدّماتهم تعليمة الصلاح الصفى الذى ترجم له ترجمة مستفيضة في كتابه : أعيان النصر وأعران النصر ، وقد أوردها بطولها المقرئ في فتح الطيب (بولاق سنة ١٢٧٩ هـ . ج ١ ص ٥٩٨ : ٦١٣) .

(٣) أورد ابن الجزرى في كتابه غاية النهاية (ج ٢ ص ٢٨٦) ثبوتاً لمؤلفات أبي حيان جاء فيه : « وله التفسير الذى لم يسبق إلى مثله » سماء البحر المحيط في عشر مجلدات كبار واختصره في ثلاث مجلدات سماه «النهر» . هذا وقد طبع البحر المحيط في القاهرة في سنة ١٣٢٨ هـ .

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد أبو الفضل المعروف بالبرهان النسفى ، ترجم له أبو الحسنات الكنتوى في كتابه : الفوائد البهية في تراجم الحنفية (مطبعة السعادة سنة ١٣٢٤ هـ . ص ١٩٤ : ١٩٥) وقد ذكر أنه توفي سنة ٦٨٦ هـ .

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ (١). وأمره بعد ذلك بالصَّبْر فقال : (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (٢)). والصَّبْر هو التَّحَمُّلُ للمكاره ، والتَّحَمُّلُ من جملة ما يُؤدِّي إلى التَّجَمُّل ، ومنه ما ذُكِر في أول هذه السورة .

النُّهْر : لما أمره الله تعالى بالصبر ، ونهاه عن الحُزْن عليهم ، وأن يَصْبِرَ صَدْرُهُ من مَكْرِهِمْ ، وكان من مَكْرِهِمْ نِسْبَتُهُ إلى الكذب والسَّخَر والشَّعْر وغير ذلك مما رَمَوْهُ بِهِ ، فَأَعْقَبَ اللهُ تعالى ذلك بشرفه وفضله واحتفائه به وعلو منزلته عنده .

الشيخ (٣) رحمه الله تعالى في مناسباته (٤) : « هذه السورة والأربعة بعدها من قديم ما نزل ، روى الشيخان عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال في سورة بنى إسرائيل (٥) والكهف ومريم وطه والأنبياء : هُنَّ من العِتَاقِ الأوَّلِ وَهُنَّ من تِلَادِي (٦) » .

التِّلَاد - بكسر المُنَّةاء الضريقية وتخفيف اللام أى مما حُفِظَ قديماً ، وهذا وجه في ترتيبها ، وهو اشتراكها في قِدَمِ النزول وكونها مَكِّيَّات ، وكلها مشتملة على القصص .

وظهر لى في وجه اتصالها بسورة النحل أنه سبحانه وتعالى لما قال في آخرها : (إِنَّمَا يُجِئِلُ السَّبْتَ عَلَى الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ (٧)) . فُسر في هذه السورة شريعة أهل السبت وشأنهم ، فذكر فيها جميع ما شرع لهم في التوراة .

(١) سورة النحل آية ١٢٥ . (٢) سورة النحل آية ١٢٧ .

(٣) أشار المؤلف في مقدمته إل أنه إذا أطلق كلمة « الشيخ » فإنه يقصد جلال الدين السيوطي .

(٤) إذا كان المقصود من كلمة « مناسباته » كتاباً بهذا الاسم السيوطي فلنا لم نثر عليه في الكتب المطول لتصانيفه الذي أورده السيوطي عندما ترجم لنفسه في كتابه حسن المحاضرة (ج ١ ص ١٥٥ : ١٦١) ولعل المؤلف يقصد من كتب السيوطي في فن التفسير وتعلقاته والقراءات كتاب : « تناسق الدرر في تناسب السور » . وسماه اختصاراً : مناسبات .

(٥) في الإتيان للسيوطي (ج ١ ص ٥٤) أن سورة الإسراء تسمى أيضاً سورة سبحة ، وسورة بنى إسرائيل .

(٦) إسناده هذا الحديث ولفظه في البخارى كتاب التفسير (ج ٦ ص ١٥٤ : ١٥٥) : حدثنا آدم حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال : سمعت عبد الرحمن بن يزيد قال : سمعت ابن مسعود - رضى الله عنه - قال في بنى إسرائيل والكهف ومريم : إنهن من العتاق وهن من تِلَادِي .

(٧) سورة النحل آية ١٢٤ وجاء في تفسير القرطبي (ج ١٠ ص ١٩٩) فيها يتعلق بهذه الآية : وكان السبت تقليداً على اليهود في رفض الأعمال وترك التبسط في المأشأ بسبب اختلافهم فيه .

كما روى ابن جرير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : « التوراة كلها فى خمس هشة آية من سورة بنى إسرائيل ٥٠ . وذكر عصيانهم وفسادهم وتخريب مسجدهم ، ثم ذكر استفزازهم النبى صلى الله عليه وسلم وإرادتهم إخراجهم من المدينة وسؤالهم / إياه عن الروح . ٣٢٥ » ثم ختم السورة بآيات موسى التسع ، وخطابه مع فرعون ، وأخبر أن فرعون أراد أن يستفزهم من الأرض فأهلك ، وأرث بنى إسرائيل الأرض من بعدهم . وفى ذلك تعريفهم بأنهم كما استفزوا النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة ، فسيخرجون منها ويرثها هو وأصحابه كنظير ما وقع لهم مع فرعون لما استفزهم . وقد وقع ذلك أيضاً . ولما كانت السورة مُصدّرة بتخريب المسجد الأقصى افتتحت بذكر إسماء سيدنا محمد المصطفى إليه ، تشريفاً لحلول ركابه الشريف (و) (١) جبراً لما وقع من تخريبه . انتهى .

الثالث : فى حكمة استفتاحها بالتسبيح :

ابن الجوزى فى زاد المسير : الحكمة فى الإتيان به هنا وجهان : أحدهما : أن العرب تُسبِّح عند الأمر العجيب ، فكان الله تعالى عَجَبَ خَلْقِهِ بما أسدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإسرائ به .

الثانى : أن يكون خرج مخرج الرد عليهم ، لأنه صلى الله عليه وسلم لما حلّ منهم عن الإسرائ به كذبوه ، فيكون المعنى تنزّه الله تعالى أن يتخذ رسولا كذاباً .

القاضى تاج الدين السبكي فى تذكرته سأل الإمام : ما الحكمة فى افتتاح سورة الإسرائ بالتسبيح والكهف بالتحميد ؟ وأجاب بأن التسبيح حيث جاء قُدِّم على التحميد نحو : (قَسَّبِحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) (٢) سبحان الله والحمد لله .

وأجاب ابن الزملى (٣) - بفتح الزاى واللام - : [أن] (٤) سورة سبحان لما اشتملت

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) سورة النصر آية ٣ .

(٣) هو كمال الدين محمد بن على بن عبد الواحد بن عبد الكريم الزملى الذى توفى سنة ٥٧٢٧ هـ ، ترجم له كثير من نفص بالاكبر منهم التاج السبكي فى طبقات الشافعية (ج ٥ ص ٢٥١ : ٢٥٩) والزملى نسبة إلى زملىكا من قرى غوطة دمشق كما فى معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٤٠٣ : ٤٠٤) وقد أورد ياقوت وجوهاً مختلفة فى ضبطها .

(٤) إضافة يقتضيها السياق .

على الإسراء [و] ^(١) كَذَّبَ الْمُشْرِكُونَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَكْذِيبُهُ تَكْذِيبُ اللَّهِ تَعَالَى ، أَيْ « سُبْحَانَ » لِتَنْزِيهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا يُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْكُذْبِ ، وَسُورَةُ الْكَهْفِ لَمَّا نَزَلَتْ مُبَيِّنَةً أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَقْطَعْ نِعْمَتَهُ عَلَى نَبِيِّهِ وَلَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، بَلْ أَتَمَّ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ بِإِنْزَالِ الْكِتَابِ ، فَانْسَبِ افْتِتَاحَهَا بِالْحَمْدِ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ .

الرابع : في الكلام على « سبحان » :

محمود الكرمانى فى « برهانه » : « كلمة استأثر الله تعالى بها ، فبدأ بالمصدر فى بنى إسرائيل ثم بالماضى فى الصَّفِّ والحَشَر ، ثم بالمضارع فى الجمعة والتغابن ، ثم بالأمر فى الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها » ، انتهى .

وقوله : « فبدأ بالمصدر » أى بالاسم الموضوع موضع المصدر .

وروى الحاكم أن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى « سبحان الله » ، فقال : « تنزيه الله من كل سوء » .

وروى ابن أبى حاتم عن على رضى الله تعالى عنهما ، قال : « سبحان الله ، اسم يُعْظَمُ الله تعالى به نفسه ويتحاشى به عن سوء » .

الماوردى رحمه الله تعالى : « هو ذِكْرُ يُعْظَمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لَهُ » :

وأما ذِكْرُهُ فى قول الشاعر ^(٢) : « سبحان من حلقة الفناخر » ، فعلى سبيل الشذوذ ،

صاحب النظم : « السُّبْح - فى اللغة - الثَّيَّاعِد ، يدل عليه قوله تعالى : (إِنَّ لَكَ فى النَّهَارِ سُبْحًا طَوِيلًا) ، أى تهادداً طويلاً . فمعنى سبح الله تعالى بعده عما لا يَنْبَغُ . وللتسبيح مَقَانٍ أُخَرُ ذَكَرْتُهَا فى كتاب : القول الجامع الوجيز الخادم للقرآن العزيز .

(١) إضافة يقتضيهما السياق .

(٢) هو أَعْشى بن ثعلبة وميرد صدر البيت فيما يلى ، وقد قاله الأعشى لملقمة بن علالة الجهمى فى منافرة لهامر بن الطفيل ، وكان الأعشى قد فضل عامراً وتبرأ من ملقمة وفضله على عامر ، وأورد أبو الفرج أخبار هذه المنافرة (الأغاني ج ١٦ ص ٢٨١ : ٢٩٧) .

(٣) سورة المزمل آية ٧ . وذكر القرطبى فى تفسيره (ج ١٩ ص ٤١) أن السبح هو الجرى والدوران ومنه السابح فى المساء ، وقيل السبح الفراغ أى أن لك فراغاً لمساجات بالنهار . وقيل (إن لك فى النهار سبحاً طويلاً) يعنى فراغاً طويلاً لنومك وراحتك . وقال الزجاج : إن قاتك فى الليل شئٌ فلك فى النهار فراغ الاستدراك . وفى الكشف لقرطبرى (ج ٢ ص ٤٢٢) : إن سبحاً تنى تصرفاً وتقلباً فى مهمالك وشواغلِكَ ، ولا تفرغ إلا بالليل فليلك بمنجاة الله التى تقتضى فراغ البال وانتهاء الشواغل .

الإمام موفق الدين بن يعيش رحمه الله تعالى في شرح المُفَصَّل : « اعلم أنهم قد علّقوا الأعلام على المعاني فأطلقوها على الأعيان ، فمن ذلك قولهم : سبحان ، وهو عندنا / عِلْمٌ واقعٌ ٣٢٥ ظ على معنى التسبيح ، وهو مصدر معناه البراءة والتنزيه وليس منه فِعْلٌ ، وإنما هو واقع موقع التسبيح الذي هو المصدر في الحقيقة ، جعل عِلْمًا على هذا المعنى فهو معرفة ، لذلك ، ولا ينصرف للتعريف وزيادة الألف والنون . وأما قول الشاعر (١) : « سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَانَا يعودله » ، ففي تنوينه وجهان : أحدهما : أن يكون ضرورة ، والثاني : أن يكون آزاد الفكرة . الضياء بن العُلُج رحمه الله ، في البسيط : « لفظ المصدر لأنه مصدر سَبَّح إذا قال : سبحان الله ، ومدلول سبحان التنزيه لا اللفظ » .

قلنا : التسبيح بمعنى التنزيه أيضاً لأن معنى سَبَّحْتُ نَزَّهْتُ الله تعالى ، فتطابقا حينئذٍ على معنى التنزيه ، فصَحَّ تعليق سبحان على التسبيح ، واستعماله عِلْمًا قليل ، وأكثر استعماله مُضَافًا إما إلى فاعله أو إلى مفعوله . فإذا أُضِيفَ فليس بَعَلَمٌ لأن الأعلام لا تُضَافُ .

قال : وقيل « سبحان » في البيت مضاف حُلِف المضاف إليه للعلم به وليس بعلَم أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله تعالى في أماليه : « الدليل على أن سبحان عِلْمٌ للتسبيح قول الشاعر :

قَدْ قُلْتُ لِمَا جَافَى قَعْرَهُ سُبْحَانَ مِنْ حَلَقَةِ الْفَاخِرِ

ولولا أنه عِلْمٌ لوجب صَرَفُهُ لأن الألف والنون في غير الصفات إنما تمنع مع العَلَمِيَّة . الشهاب السمين رحمه الله تعالى في إعرابه : « قيل هو مصدر لأنه شَمِعَ له فِعْلٌ ثلاثي ، وهو من الأسماء اللازمة للإضافة . وقد يُفْرَد ، وإذا أُفْرِدَ منع [من] الصرف ، وزيادة الألف والنون كما في البيت السابق . وقد جاء مُتَوْنًا كقوله :

سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَانَا يَعْبُودُ لَهُ وَقَبِلْنَا سَبَّحَ الْجُودَى وَالْجُمُودَى (٢)

(١) هو أبيه بن أبي الصلت كما في اللسان وتاج العروس وذكر ياقوت في معجم البلدان (ج ٣ ص ١٢٧) أنه ورقة بن نوفل . وفي تفسير القرطبي (ج ٩ ص ٤٢) أنه زيد بن عمرو بن نفيل ، وسيرد البيت بتمامه فيما يلي .
(٢) الجودي في معجم البلدان ياقوت (ج ٣ ص ١٦٢ : ١٦٣) جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرق من دجلة من أعمال الموصل عليه استوت سفينة نوح - عليه السلام - لما نغيب الماء . وأشار إلى ذلك القرطبي في تفسيره =

فقليل ضرورة وقيل هو بمنزلة قبل وبعد ، إن نوى تعريفه ببقى على حاله ، وإن نُكِّرَ أُعْرِبَ ، منصرفاً . وهذا البيت يساعد على كونه مصدرأ لا اسم مصدر لوروده منصرفاً . ولقائل القول الأول أن يجيب عنه بأن هذا نكرة لا معرفة . وهو من الأساء اللازمة النصب على المصدرية فلا تنصرف . والناسب له فِعْلٌ مُقَدَّرٌ لا يجوز إظهاره .

أبو شامة رحمه الله : « حيث جاء منصوباً نصب المفعول المطلق اللازم لإضمار فعله ، وفعله إما فعل أمر أو خبر . وهو في هذه السورة مُحْتَمِلٌ لِلْأَمْرَيْنِ أَيْ سَبَّحُوا الَّذِي أَسْرَى بَعْدَهُ أَوْ سُبِّحَ الَّذِي أَسْرَى بَعْدَهُ ، على أن يكون ابتداء ثناء الله تعالى على نفسه كقول (الحمد لله رب العالمين) » .

القرطبي رحمه الله تعالى : « العامل فيه على مذهب سيبويه الفِعْلُ الَّذِي مِنْ مَعْنَاهُ لَا مِنْ لَفْظِهِ إِذْ لَمْ يَجِئْ مِنْ لَفْظِهِ فِعْلٌ ، وذلك مثل قعد التَّرفُّصَاءُ واشتمل الصَّامَاءُ . فالتقدير [عنده] ^(١) أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى تَنْزِيهاً ، فوقع « سبحان [الله] » ^(٢) مكان قولك تنزيهاً » . انتهى .

الزمخشري رحمه الله تعالى : « [سُبْحَانَ عَلَّمَ لِلتَّسْبِيحِ كَعِبَادَانَ لِرَجُلٍ^(٣)] و [انتصابه بِنِعْمَلِ مُضَمَّرٍ مَتْرُوكٍ لإظهاره ، تقديره^(٤)] أَسْبَحُ اللَّهُ سُبْحَانَ . ثم نزل سبحان منزلة الفعل فَسَدَّ مَسَدَهُ وَذَكَرَ عَلَى التَّنْزِيهِ الْبَلِيغِ [من جميع القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله^(٥)] » .

الطبري رحمه الله تعالى : « وذلك في جلب هذا المصدر في أصل هذا التركيب للتوكيد ، وهو أَسْبَحَ تَسْبِيحاً ثم أَسْبَحَ سُبْحَانَ ، ثم في حذف العامل وإقامته مقامه للدلالة على أن المقصود بالذات هو المصدر ، والفعل تابع ، فيفيد الإخبار بسرعة وجود التنزيه » .

(ج ٩ ص ٤١ و ٤٢) لقوله تعالى : (واستوت على الجودي) (سورة هود آية ٤٤) ثم أضاف قائلا : « ويقال إن الجودي من جبال الجنة فلها استوت عليه . ويقال أكرم الله ثلاثة جبال بثلاثة نفر : الجودي بنوح ، وطور سيناء موسى ، وحراء بمحمد - صل الله عليه وسلم .

هذا « والجبلان بضمين جبل لئني نصر بنجد . انظر معجم البلدان لياقوت (ج ٣ ص ١٣٧) ومعجم ما استعجم للبكري (ج ٢ ص ٣٩١) .

(١) إضافة من تفسير القرطبي (ج ١٠ ص ٢٠٤) وشرح القرطبي كلمة سبحان بقوله إنها اسم موضوع موضع المصدر ، وهو غير ممكن ، لأنه لا يجري بوجوه الإعراب ، ولا تدخل عليه الألف واللام ، ولم يجر منه فعل ، ولم ينصرف لأن في آخره زائدتين ، تقول : سمعت تسيحاً وسبحاناً ، مثل كفرت بالبين تكفيراً وكفراناً ، ومنه التنزيه والبراءة لله عز وجل من كل نقص . فهو ذكر عظيم لله تعالى لا يصلح لغيره .

(٢) إضافة من تفسير البكشاف للزمخشري (بولاق سنة ١٢٨١ هـ . ج ١ ص ٤٤٧) .

وَرُوِيَ عَنْ / الكسائي أَنَّهُ جُعِلَ مُنَادَى تَقْدِيرِهِ بِاسْبِحَانِكَ ، وَأَبَاهُ الْجُمْهُور . ٣٢٦و

السفاسمى والسمين : «وَرُدُّ بَأَنَّهُ لَمْ يُسَمَّعْ دُخُولَ حَرْفِ النِّدَاءِ عَلَيْهِ ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ لَفْظَهُ لَفْظُ التَّثْنِيَةِ وَمَعْنَاهُ كَذَلِكَ كَلْبَيْكَ . وَهُوَ غَرِيبٌ . وَيَلْزِمُهُ أَنْ يَكُونَ مُفْرَدُهُ سُبْحًا وَأَلَّا يَكُونَ مَنْصُوبًا بَلْ مَرْفُوعًا ، وَأَنْ نُونَهُ لَمْ تَسْقُطْ بِالْإِضَافَةِ وَأَنْ فَتْحَهَا يَلْزَمُ » .

ومن الغرائب أيضاً ما حكاه الماوردى عن أبان بن تغلب - بالمشناة الفوقية والغين المعجمة - أَنَّ سَبْحَانَ كَلِمَةٌ أَصْلُهَا بِالنَّبْطِيَّةِ «شَبْهَانِك»^(١) «فُعْرَبَتْ «سَبْحَانِكَ» . وَالَّذِي أُضِفَ إِلَى سَبْحَانَ مَفْعُولٌ بِهِ لِأَنَّهُ الْمُسَبَّحُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَاعِلًا لِأَنَّ الْمَعْنَى تَنَزَّهَ الَّذِي أَسْرَى بَعْبَهُ .

الخامس : فى الكلام على «أَسْرَى» .

البرهان النسبى : قال أهل اللغة : أَسْرَى وسرى لغتان . زاد غيره : يختصان بسير الليل السمين : فيكون سَرَى وَأَسْرَى كَسَقَى وَأَسَقَى . والهمزة هنا ليست للتعدية ، خلافاً لابن عطية^(٢) ، وإنما الْمُعْدَى الباء فى «بَعْبَهُ» . وتقدم فى البقرة أنها [لا] ^(٣) تقتضى مصاحبة الفاعل للمفعول عند الجمهور ، خلافاً للمبرد . وبسط الكلام على ذلك هنا وفى البقرة .

السفاسمى : الباء للتعدية وترادف الهمزة عند الجمهور خلافاً للمبرد والسهيل فى أنها تقتضى مصاحبة الفاعل للمفعول فى الفعل بخلاف الهمزة حتى قال السهيل^(٤) : إذ قلت قَعَدْتُ بِهِ فَلَابُدُّ مِنْ مِشَارَكَةِ وَلَوْ بِالْيَدِ . وَرُدُّ عَلَيْهِمَا بِالْآيَةِ : (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ^(٥)) ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِالذَّهَابِ مَعَ النُّورِ . وَرُدُّ عَلَيْهِمَا أَيْضاً بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

دِيَارُ الَّتِي كَانَتْ [وَنَحْنُ]^(٦) عَلَى مِثْرِ تَحِلُّ بِنَا لَوْلَا نِجْسَاءُ الرَّاكِبِ

(١) لم يرد ما يدل على أَنَّ «سَبْحَانِكَ» من الألفاظ الدخيلة فى العرب الجوالين (القاهرة سنة ١٣٦١ هـ) . ولا شفاء الليل تفتاحى - القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ) . ولا الألفاظ الفارسية المعربة لإحدى شير الكلدانى (بيروت سنة ١٩٠٨ م) .

(٢) هو أبو محمد عبد الحق بن أبى بكر بن غالب بن عطية الفرناطى له المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز توفى سنة إحدى وقلبت وأربعين وخمسة ، انظر بغية الوعاة لسيوطى (ص ٢٩٥) .

(٣) إضافة يقتضىها السياق .

(٤) سورة البقرة آية ١٧ .

(٥) إضافة من شرح الملاحب (ج ٦ ص ١٠) .

أى تحلنا فالباء هنا للتعدية ، ولم تَقْتَضِ المشاركة لأن الديار لم تكن حراماً فتصير
حلالاً ، ولكون الباء بمعنى الهزمة لا يُجْمَع بينهما ، فلا يُقال أَذْهَبْتُ بزيد .

وَجَزَمَ ابْنُ دَرَجَةَ - بفتح الدال وكسرها - وابن المنير ، بما قاله المُبَرِّدُ فقالا : «يُؤْخَذُ
من قوله : «أَسْرَى بعبده» ما لا يُؤْخَذُ إِنْ قِيلَ : بَعَثَ إِلَى عَبْدِهِ ، لِأَنَّ الْبَاءَ تَفْعِيلُ الْمَصَابِحَةِ ،
أَيَّ صَبْحَةٍ فِي مَسَرَّهِ بِالْإِلْطَافِ وَالْعَنَاءِ وَالْإِسْعَافِ . زاد ابن دحية : «ويشهد لذلك قوله
صلى الله عليه وسلم : «اللهم أنتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ»^(١) .

ويؤخذ من ذلك أن من قال : لله عَلَى أَنْ أُحِجَّ بفلان ، يلزمه الْحَجُّ معه ، بخلاف ما لو
قال : لله عَلَى أَنْ أُحِجَّ فلانا ، فإنه يلزمه أَنْ يُجَهِّزَهُ للحج من ماله . والفرق بين الصورتين
ما تعطيه الباء من المصاحبة . انتهى . وتقدم رَدُّ ذلك .

الحافظ^(٢) : «أَسْرَى مأخوذ من السَّرَى وهو سَيْرُ اللَّيْلِ ، فقول العرب أسرى وسرى إذا
سار ليلاً ، هذا قول الأكثر» .

وقال الحوفي : «أسرى سار ليلاً ، وسرى سار نهاراً» .

قال الحافظ في موضع آخر : «وقيل أسرى سار من أول الليل ، وسرى سار من آخره»
وهذا أقرب . ولم يختلف القراء في أسرى ، بخلاف قوله تعالى في قصة لوط : (فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ)^(٣) . ففُتِرَتْ بالوصل والقطع ، وفيه تعقيب على من قال من أهل اللغة : إن أسرى
وسرى بمعنى .

قال السهيلي : «السَّرَى من سَرَيْتُ إِذَا سِرْتُ لَيْلاً ، يعنى فهو لازم . والإسراء يتعدى
في المعنى ، لكن حُذِفَ مفعوله حتى ظُنَّ من ظُنَّ أَنَّهُمَا بمعنى واحد ، وإنما معنى «أسرى بعبده» ،
جعل البراق يُسْرِي به ، كما تقول : أَمْعَبَيْتُ كَذَا أَيْ جَعَلْتُهُ يَمْضَى ، لكن حُذِفَ المفعول
لقوة الدلالة عليه ، والاستغناء عن ذِكْرِهِ ، إذ المقصود بالذكر المصطفى لا الدابة التي سارت

(١) عن مالك أنه بلغه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : كان إذا وضع رجله في النرز وهو يريد السفر يقول :
«بسم الله اللهم أنت الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ ، اللهم أَرْزُلْنَا الْأَرْضَ وَهَوِّنْ عَلَيْنَا السَّفَرَ ، اللهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ
مِنْ وَطْأَةِ السَّفَرِ وَكَأْتَةِ الْمُنْقَلَبِ وَمِنْ سَوَاءِ الْمَنْظَرِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ» . (تيسير الوصول ج ٢ ص ٣٠ و ٢١) .

(٢) هو الحافظ ابن حجر السقلاقي كما أشار المؤلف إلى ذلك في مقدمته .

(٣) سورة هود آية ٨١ .

به . وأما قصة لوط فالمنى : سِرُّهم على ما يتحملون عليه / من دابة ونحوها ، هذا معنى ٣٢٦
قراءة القطع : ومعنى الوصل : سِرُّهم ليلاً ، ولم يأت مثل ذلك في الإسرائ ، إلا أنه لا يجوز
أن يُقال : «سَرَى بعبد» بوجه من الوجوه^(١) .

قال الحافظ والنسفي : «الذي جزم به إنما هو من هذه الحيشية التي قَصَرَ فيها الإشارة
إلى أنه سار ليلاً على البراق . والآل لوقال قائل : سِرْتُ بزيد بِمعنى صاحبه لكان المعنى
صحيحاً .

السادس : في الكلام على العبد :

أجمع المسلمون على أن المراد بالعبد هنا سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهو لُفَّة المملوك من نوع مَنْ يَعْقِل . قال في الْمُحْكَم^(٢) : «العَبْدُ الإنسانُ حُرّاً كان أو رقيقاً ،
لأنه مملوك لبارئه» : وقال غيره : «إنه مُشْتَقٌّ من التَّعَبْد وهو التَّذَلُّل» .

قال ابن الأنباري : «العبد الخاضع لله ، من قولهم : طريق مُعَبَّد إذا كان قد وطئها
الناس» .

ولالإمام جمال الدين بن مالك بيتان في جموع عبْد ، وذيل الشيخ رحمة الله عليهما
مثلهما ووطأ قبلهما ببيت ، فقال :

جُمُوعٌ لِعَبْدٍ لابنِ مَالِكٍ نَظَمُهَا	وَزِدْتُ عَلَيْهَا مِثْلَهَا فَاسْتَفِدَّ وَجُدَّ
عِبَادٌ عِبِيدٌ جَمْعُ عَبْدٍ وَأَعْبِدُ	أَعَابِدُ مَعْبُودَا مُعْبِدَةٌ عُبْدُ
كَذَلِكَ عِبْدَانُ وَعِبْدَانُ أُثْبِتَا	كَذَلِكَ الْعِبْدَى وَأَمْدُدْ أَنْ شِئْتَ أَنْ تَنْدُ
وَقَدْ زَيْدٌ أَعْبَادُ عِبُودٍ عِبْدَةٌ	وَحُطِفَ بِفَتْحٍ وَالْعِبْدَانِ [إِنْ] تَشُدُّ
وَأَعْبِدَةٌ عِبْدُونُ ثُمْتُ بَعْدَهَا	عَبِيدُونُ مَعْبُودَا يَقْصُرُ فَخُذْتُ تُسُدُّ

الإسنوى رحمه الله تعالى : «قال سيبويه : العبد في الأصل صفة ، ولكنه استُعْمِلَ
استعمال الأسماء» .

(١) الروض الأثف (ج ١ ص ٢٤٢ : ٢٤٣) .

(٢) من مساجم اللغة المأتمة وهو لحن بن إسماعيل المعروف بابن سيده المتوفى سنة ٥٠٨ هـ . وفیات الأعيان ج ١

الشيخ زكريا رحمه الله تعالى في فتح الرحمن « قال [تعالى^(١)] : «يَعْبُدُهُ» دون نبيه أو حبيبه ثلاثاً تفضل أمته أو لأن وصفه بالعبودية المضافة إلى الله تعالى أشرف المقامات » .

الأستاذ أبو علي الدقاق^(٢) رحمه الله تعالى : « ليس للمؤمن صفة أنتم ولا أشرف من العبودية ، ولهذا أطلقها الله تعالى على نبيه في أشرف المواطن ، كقوله : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ^(٣)) ، (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ^(٤)) ، (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى^(٥)) ، (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ^(٦)) .

الشيخ عبد الباسط البلقيني^(٧) رحمه الله : « ومن هنا يؤخذ الجواب عن وصفه صلى الله عليه وسلم بذلك ووصف يحيى عليه السلام بالسيادة في قوله [تعالى] : (وَسَيِّدًا ، وَخَصُورًا^(٨)) .

الأستاذ أبو القاسم القشيري^(٩) رحمه الله : « في معناه أنشدوا :

يَا قَوْمِ قَلْبِي عِنْدَ زَهْرَاءَ يعرفه السامع والرائي
لا تَدْعُنِي إِلَّا بِمَا عَبَّدَهَا فإنه أشرف أسمائي^(١٠) »

العوفي رحمه الله : « والسبب في ذلك أن الإلهية والسيادة والربوبية إنما هي في الحقيقة لله عز وجل لا غير . والعبودية في الحقيقة لمن دونه . فإذا كان في مقام العبودية فهو في رتبته الحقيقية ، والرتبة الحقيقية أشرف المراتب ، / إذ ليس بعد الحقيقة إلا المجاز ، ولا بعد الحق إلا الضلال » .

(١) إضافة يقتضيهما السياق .

(٢) هو أبو علي الحسن بن علي الدقاق النيسابوري من أعلام الصوفية توفى سنة ٤١٢ هـ ترجم له ابن الجوزي في المنظم (ج ٨ ص ٧) وانظر أيضاً شذرات الذهب (ج ٣ ص ١٨٠ : ١٨١) .

(٣) الآية الأولى من سورة الإسراء .

(٤) الآية الأولى من سورة الكهف .

(٥) الآية الأولى من سورة الفرقان .

(٦) هو عبد الباسط بن محمد بن أحمد . البلقيني ترجم له السخاوي في الضوء اللامع (ج ٢ ص ٢٩) وقال بأنه ولد سنة ٨٧٠ هـ ولم يذكر سنة وفاته لأنه عاش بعد وفاة السخاوي سنة ٩٠٢ هـ .

(٨) سورة آل عمران آية ٣٩ .

(٩) هو عبد الكريم بن هوازن القشيري صاحب الرسالة القشيرية توفى سنة ٤٦٥ هـ . انظر في ترجمته ابن خلكان

(ج ١ ص ٢٩٩ : ٣٠١) والتاج السبكي في طبقات الشافعية (ج ٣ ص ٢٤٣ : ٢٤٨) .

(١٠) أورد القرطبي هذين البيتين في تفسيره (ج ١ ص ٢٣٢) و (ج ١٠ ص ٢٥٥) حيث نقل عن القشيري أنه

قال : « لما رافقه الله تعالى إلى حضرة السنية ، وأرقاه فوق الكواكب العلوية ألزمه اسم العبودية توفيقاً للأمة »

البرهان النسبي رحمه الله : « قبل لما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعراج ، أوحى الله تعالى إليه : يا محمد أشرفك ؟ . قال : يارب تنسبني إلى نفسك بالعبودية ، فانزل الله تعالى : «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ» الآية .

وأقوال القوم في العبد والعبودية كثيرة ، والألفاظ مختلفة معانيها ، وكل أحد يتكلم بلسان حاله على قدر مقامه ، فقال أبو حفص النيسابوري رحمه الله : « العبد هو القائم إلى أوامر سيده على حدّ النشاط حيث جعله محل أمره » .

ابن عطاء رحمه الله : « الْعَبْدُ الَّذِي لَا يَمْلِكُ لَهُ » .

الجريري - بفتح الجيم - : « حقيقة العبد هو الذي يَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِ رَبِّهِ » .

رُوِيَ رحمه الله تعالى : « يتحقق العبد بالعبودية إذا أسلم القياد من نفسه وتبرأ من حوله وقوته ، وعلم أن الكل له وبه » .

عبد الله بن محمد رحمه الله : « حُزَّتْ صِفَةُ الْعِبُودِيَّةِ إِنْ كُنْتَ لَا تَرَى لِنَفْسِكَ مِلْكَاً ، وتعلم أنك لا تملك لها نفعاً ولا ضرراً . ورحم الله من قال :

وَكُنْتُ قَدِيمًا أَطْلُبُ الْوَصْلَ مِنْهُمْ	فَلَمَّا أَتَانِي الْجَنُّمُ وَارْتَفَعَ الْجَهْلُ
تَبَيَّنْتُ أَنَّ الْعَبْدَ لَا مَطْلَبَ لَهُ	فَإِنْ قَرَّبُوا فَضْلُ وَإِنْ أَبْعَدُوا عَدْلُ
وَإِنْ أَظْهَرُوا لَمْ يُظْهِرُوا غَيْرَ وَصْفِهِمْ	وَإِنْ سَتَرُوا فَالْسِتْرُ مِنْ أَجْلِهِمْ يَحُلُو

الامام الرازي رحمه الله ، دل قوله بعبدته على أن الاسراء كان بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن العبد اسم للجسد والروح ، قال تعالى : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ، عَبْدًا إِذَا صَلَّى^(١)) .

السابع : في الكلام على قوله تعالى : « لَيْلًا » .

الحافظ رحمه الله تعالى : « لَيْلاً ظَرْفٌ لِلْإِسْرَاءِ وَهُوَ لِلتَّأْكِيدِ ، وَفَائِدَتُهُ رَفَعَ تَوَهُّمُ الْمَجَازِ ، لِأَنَّهُ قَدْ يُطْلَقُ عَلَى سَيْرِ النَّهَارِ أَيْضاً ، وَيُقَالُ بَلْ هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ لَا فِي جَمِيعِهِ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : سَرَى فُلَانٌ لَيْلاً إِذَا سَارَ بَعْضُهُ ، وَسَرَى فِي لَيْلَةٍ إِذَا سَارَ فِي

جميعها . ولا يقال أسرى ليلاً إلا إذا وقع سِيره في أثناء الليل ، وإذا وقع في أوله يقال أذْلَجَ ، ومن هذا قوله تعالى في قصة موسى وبنى إسرائيل : (فَأَسْرِيَ بَعَادَى لَيْلًا^(١)) ، أى من وَسَطَ الليل .

أبو شامة رحمه الله تعالى : «لَمَّا نُسِبَ السَّرَى إِلَى اللَّيْلِ لَمَّا كَانَ السَّرَى وَاقِعًا فِيهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا^(٢)) ، أَيْ يُبْصَرُ فِيهِ ، فَهُوَ مِنْ بَابِ قَوْلِهِ : لَيْلٌ نَائِمٌ وَسَاهِرٌ ، أَيْ يَحْصُلُ فِيهِ النَّوْمُ وَالسَّهَرُ ، وَهَذَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْمَجَازِ مَعْرُوفٌ .

واستشكل كثير من الناس كون «ليلاً» ظرفاً للإسراء . ووجه الإشكال أنه قد تقدّم أن الإسراء هو سيرُ الليل ، فإذا أُطْلِقَ الإسراءُ فُهِمَ أنه واقعٌ ليلاً ، فهو كالصَّبُوحِ في شُرْبِ الصباح ، لا يحتاج إلى قوله : شَرِبْتُ الصَّبُوحَ صباحاً .

وجوابه أن الأمر وإن كان كذلك إلا أن العرب تفعل مثل ذلك في بعض الأوقات إذا أرادت تأكيد الأمور . والتأكيد نوعٌ من أنواع كلامهم وأسلوبٌ منه . والعرب تقول : أخذ بيده ، وقال بلسانه . وفى القرآن العزيز : (وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ^(٣)) ، (يَقُولُونَ يَا قَوْمَانِ^(٤)) ، (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ^(٥)) ، وقال جرير :

سَرَى نَحْوَهَا لَيْلًا كَأَنَّ نَجْمَهُ قَنَادِيلُ فِيهِنَ الذُّبَابُ الْمُفْتَلُ^(٦)

الذُّبَابُ : جمع ذُبَابَة - بضمّ الدال المعجمة وهى الفتيلة .

الجوهري : «وَلَمَّا قَالَ لَيْلًا ، وَإِنْ كَانَ السَّرَى لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّيْلِ لِلتَّأْكِيدِ ، كَقَوْلِهِ : ٣٢٧ ظه سِرْتُ أَمْسَ / نَهَاراً وَالْبَارِحَةَ لَيْلًا .

الزمخشري : [فَإِنْ قُلْتَ الإسراءُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّيْلِ فَمَا مَعْنَى ذِكْرِ اللَّيْلِ ؟ قُلْتُ^(٧)] : أراد بقوله ليلاً بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء وأنه وقع السرى به في بعض الليل من

(١) سورة الدخان آية ٢٣ .

(٢) سورة يونس آية ٦٧ .

(٣) سورة الأنعام آية ٣٨ .

(٤) سورة النمل آية ٢٦ .

(٥) فى الأصول : المفعل والتصويب من ديوان جرير ص ٤٥٦ ، وفى القاموس ذبال مفتل شدد للكثرة وصدر البيت فى الديوان : سرى تحرك ليل كأن نجومه .

(٦) إضافة من الكشاف (ج ١ ص ٤٤٧) يقتضها السياق .

مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أن التنكير فيه قد دلَّ على معنى البعضية ، ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحُذَيْفَةُ « من الليل » أى بعض الليل كقوله تعالى : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ^(١)) يعنى الأمر بقيام الليل في بعض الليل^(٢) .

قال أبو شامة : « وهذا الوجه لا بأس به ، وقد زاد شيخنا أبو الحسن - يعنى السخاوى^(٣) في تفسيره أيضاً وتقريراً ، فقال : وإنما قال : « ليلاً » ، والإسراء لا يكون إلا بالليل ، لأن المدة التى أُسْرِىَ به فيها لا تُقَطَّع في أقل من أربعين يوماً ، فَقُطِّعَتْ به في ليل واحد من كذا إلى كذا ، وهو موضع التعجب » . قال : « وإنما عُدِلَ عن لَيْلَةٍ إلى ليل ، لأنهم إذا قالوا : سَرَى لَيْلَةً ، كان ذلك في الغالب لاستيعاب الليلة ، ف قيل : ليلاً أى في ليل » .

وَتَعَقَّبَ صاحب الفوائد كلام الزمخشري بكلام تَعَقَّبَهُ فيه الطيبي ، ثم قال الطيبي : ويمكن أن يراد بالتنكير التعظيم والتفخيم ، والمقام يقتضيه ، ألا ترى كيف افْتُتِحَتِ السورة بالكلمة المُنْبِئَةُ عنه ؟ ثم وصف المُسْرَى به بالعبودية ، ثم أَرَدَفَ تعظيم المكانين بالحرام وبالبركة لِمَا حَوَّلَهُ ، يُعْظَمُ الزمان ثم يُعْظَمُ الآيات بإضافتها إلى صيغة التعظيم ، وَجَمَعَهَا لتشمل جميع أنواع الآيات ، وَكُلُّ ذلك شاهدٌ صِدْقٍ على ما نحن بصدده ، والمعنى ما أَعْظَمَ شَأْن مَنْ أُسْرِىَ [به] مِنْ حَقِّقَ له مقام العبودية ، وَصَحَّحَ له استناله للعناية السردية-ليلاً ، أى ليل له شأن جليل .

ابن المنير رحمه الله تعالى : « وإنما كان الإسراء ليلاً لأنه وقت الخلوة والاختصاص

(١) سورة الإسراء آية ٧٩ .

(٢) كذا في الأصول وفي الكشف : بالقيام في بعض الليل .

(٣) في الأصول : البخارى وقد تقرأ التجارى والتصويب أولاً من ترجمة أبي شامة في فوات الوفيات (ج ١ ص ٥٢٧ : ٥٢٩) وجاء فيها إن أبا شامة (المتوفى سنة ٦٦٥ هـ) : جمع القراءات كلها سنة ست عشرة (وسأله) على الشيخ علم الدين السخاوى ، ثانياً ترجم أبو شامة تلميذه هذا في كتابه : الذيل على الروضتين (القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ ، ص ١٧٧) ذلك في وفيات سنة ٦٤٣ هـ . وجاء فيها : « توفي شيخنا علم الدين أبو الحسن على بن محمد السخاوى رحمه الله ، علامة زمانه وشيخ عصره وأوانه » .

وهناك ترجمة أخرى لأبي الحسن السخاوى في بنية الوعاة (ص ٣٤٩) ، هذا ويشارك في النسبة إلى سماع أبي الحسن ، علماء آخرون منهم محمد بن عبد الرحمن السخاوى صاحب الفهرست للامع المتوفى سنة ٩٠٢ هـ .

عُرْفًا ، ولأنه وقت الصلاة التي كانت مفروضة عليه في قوله تعالى : (قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا)^(١) وليكون أَتْلَعَ للمؤمن في الإيمان بالغيب ، وَفِتْنَةً للكافر .

ابن دحية رحمه الله : « أَكْرَمَ نبينا صلى الله عليه وسلم ليلاً بأُمور منها : انشقاق القمر ، وإيمان الجن به ، ورأى أصحابه نيرانهم ، كما في صحيح مسلم^(٢) . وخرج إلى الغار ليلاً . والليل أصل ، ولهذا كان أول الشهور ، وسواده يجمع ضَوْءَ البَصَرِ ، وَيُجَدِّ كَلِيلَ النَّظَرِ ، وَيُسْتَلَدُّ فِيهِ بالسَّعَرِ . وكان أكثر أسفاره ليلاً . وقال عليه الصلاة والسلام : « عليكم - بالدُّلْجَةِ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ »^(٣) . والليل وقت الاجتهاد للعبادة . وكان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تَوَرَّمت قدماءه . وكان قيام الليل في حَقِّه واجباً ، فلما كانت عبادته ليلاً أَكْرَمَ بالإسراء [به] فيه ليكون أَجْرُ الْمُصَدِّقِ به أكثر ، ليدخل فيمن آمن بالقيَمِ دون من عاينه نهاراً ، وقَدَّمَ الْحَقَّ تبارك وتعالى اللَّيْلَ في كتابه على ذِكْرِ النَّهَارِ ، فقال عز وجل : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ^(٤)) ، (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا)^(٥) إلى غير ذلك من الآيات .

وصَحَّ أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم قال : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وتعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » ، الحديث^(٦) .

وهذه الخصيصة لم تُجْعَل للنهار ، نَبَّهَ بها صلى الله عليه وسلم لِمَا في ذلك الوقت من

(١) سورة المزمل آية ٢ .

(٢) أحاديث انشقاق القمر أخرجهما مسلم في صحيحه بشرح النووي (ج ١٧ ص ١٤٣ : ١٤٦) مستندة إلى عبد الله ابن مسعود وأبى بن مالك . وعن الأول قال : « انشق القمر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلقنتي فستر الجبل فلقه وكانت فلقه فوق الجبل ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : اللهم اشهد . » وعن الثاني أن أهل مكة سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين .

كما أخرج مسلم في صحيحه بشرح النووي (ج ٤ ص ١٦٧ : ١٧٠) في باب الجهر بالقراءة في الصحيح والقراءة على الجنب أحاديث في هذا الصدد مستندة إلى ابن عباس وابن مسعود .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه .

(٤) سورة الإسراء آية ١٢ .

(٥) سورة الفرقان آية ٦٢ .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (ج ٨ ص ١٢٧ : ١٢٨) في كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل ، مستنداً إلى أبي هريرة ، كما أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

الليل من سعة الرحمة ومضاعفة الأجر وتعجيل الإجابة ، ولا يبطال كلام الفلاسفة أن / ٣٢٨ و
الظلمة من شأنها الإهانة والشر ، لأن الله تعالى أكرم أقواماً في الليل بأنواع الكرامات
بقوله في قصة إبراهيم صلى الله عليه وسلم : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ^(١)) الآية . وفي لفظ
بقوله : (فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ^(٢)) . وفي موسى : (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ^(٣))
وناجاه ليلاً ، وأمره بإخراج أهله ليلاً .

بعض أهل الإشارات ^(٤) : « لما محا الله آية الليل ، (وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ^(٥))
انكسر الليل ، فَجَبَّرَ بَأْنَ أَمْرِي فِيهِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » . انتهى .

أبو أمانة بن النقاش رحمه الله : « ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر في حق النبي صلى
الله عليه وسلم ، وليلة القدر أفضل في حق الأمة ، لأنها لم خير من عمل أكثر من ثمانين
سنة من كان قبلهم . وأما ليلة الإسراء فلم يأت في أرجحية العمل فيها حديث صحيح
ولا ضعيف ، ولذلك لم يُعَيَّنْهَا النبي صلى الله عليه وسلم » .

ويؤخذ من قول الإمام البلقيني رحمه الله في قصيدته التي مدح فيها النبي صلى الله عليه
وسلم :

أَوْلَاكَ رُؤْيَاكَ فِي لَيْلَةٍ فَضَّلْتُ لَيْسَالِي الْقَدْرُ فِيهَا الرَّبُّ أَرْضَاكَ

أن ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر .

قال في الاصطفاء : « ولعل الحكمة في ذلك اشتغالها على رؤيته تعالى التي هي أفضل كل
شيء ، ولذا لم يجعلها ثواباً عن عمل من الأعمال مطلقاً ، بل من بها على عباده المؤمنين
يوم القيامة تفضلاً منه تعالى .

(٢) سورة هود آية ٨١ .

(١) سورة الأنعام آية ٧٦ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٢ .

(٤) أهل الإشارات هم المحققون من الصوفية والإشارات هي الحقائق التي يأخذونها من نص القرآن ولا يتعمدون
أن ما أخفوه تفسير صريح النص (شرح المواهب ج ٦ ص ٨) .

(٥) سورة الإسراء آية ١٢ .

تنبيه : اختلف هل الليل أفضل من النهار ؟ فَرَجَّحَ كُلاً مُرْجُحُونَ^(١) . وقد آلف الإمام أبو الحسين بن فارس^(٢) اللغوى كتاباً في التفضيل بينهما فذكر وجوهاً في تفضيل هذا [ووجوهاً في تفضيل هذا^(٣)] .

الثامن : في الكلام على قوله تعالى (مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)
« مِنْ » هنا لا ابتداء الغاية .

الزركشي رحمه الله في كتابه : « إعلام الساجد بأحكام المساجد » : « الْمَسْجِدُ لُغَةً مَقْبُولٌ بِالْكَسْرِ لِاسْمِ لِمَكَانِ السُّجُودِ وَبِالْفَتْحِ لِاسْمِ الْمَصْدَرِ^(٤) » .

قال أبو زكريا القراء : « كل ما كان على فَعَلٍ يَفْعُلُ كَدَخَلَ يَدْخُلُ ، فَالْمَقْعَلُ مِنْهُ بِالْفَتْحِ لِاسْمِ كَانَ أَوْ مَصْدَرًا ، فَلَا يَقَعُ فِيهِ الْفَرْقُ مِثْلَ دَخَلَ مَدْخَلًا . وَمِنْ الْأَسْمَاءِ مَا أَلْزَمُوهَا كَبَّرَ الْعَيْنُ مِنْهَا : الْمَسْجِدُ وَالْمَطْلِعُ وَالْمَغْرِبُ وَالْمَشْرِقُ وَغَيْرَهَا ، فَجَعَلُوا الْكَسْرَ عَلَامَةً لِلْإِسْمِ ، وَرَبَّمَا فَتَحَهُ بَعْضُ الْعَرَبِ . وَقَدْ رَوَى الْمَسْجِدُ وَالْمَسْجِدُ وَالْمَطْلِعُ وَالْمَطْلِعُ » .
قال : « وَالْفَتْحُ فِي كُلِّهِ جَائِزٌ وَإِنْ لَمْ نَسْمَعْهُ » .

قال في الصباح : « وَالْمَسْجِدُ بِالْفَتْحِ جِبْهَةُ الرَّجُلِ حَيْثُ يَصْبِيهِ السُّجُودُ » .

(١) لابن منظور صاحب اللسان كتاب في هذا الموضوع تعرض فيه لهذه المفاضلة أسماء نثار الأزهار في الليل والنهار ، طبعة الجواثب سنة ١٢٩٨ هـ ص ٩ وما بعدها .

(٢) هو أحمد بن فارس بن زكريا البرازي القنوي توفي سنة ٣٩٠ هـ ترجم له ابن خلكان ج ١ ص ٣٥ : ٣٦ . وكتاب ابن فارس في الليل والنهار ذكره محب الدين الخطيب في ثبت مؤلفات ابن فارس في مقدمة كتاب العاصمي في فقه اللغة ومن العرب في كلامها ، (القاهرة سنة ١٩١٠ م) .

(٣) إضافة يقتضيها السياق كما وردت في عبارة نقلها رفاة رافع الطهطاوى في كتابه نهاية الإيجاز في سيرة ساكني الحجاز (القاهرة سنة ١٢٩١ هـ ص ١٠٥) عن السيوطي جاء فيها : قال الحافظ السيوطي - رحمه الله - : « وقد وقعت على تأليف في التفضيل بين الليل والنهار لأبي الحسين بن فارس القنوي صاحب المجمل ، فذكر فيه وجوهاً في تفضيل هذا ووجوهاً في تفضيل هذا فما ذكره في تفضيل الليل . . . » .

وأورد رفاة في هذه المفاضلة أقوالاً مختلفة (ص ١٠٤ : ١٠٧) انتهى فيها إلى أن الأزمان متكافئة في حد ذاتها والتفضل إنما هو بالخصوصيات المنسوبة إليها .

(٤) ص ٢٦ من نسخة الإعلام التي نشرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بتحقيق فضيلة الشيخ أبي النوا المرافى (القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ) .

وقال أبو حنيفة الصَّقَلِيُّ^(١) - بفتح حين - في كتاب تثقيف اللسان « ويقال مسجد بفتح الميم ، حكاية غير واحد ، فتحصلنا فيه على ثلاث لغات » .

والْمَسْجِدُ بكسر الميم الحُمْرَةُ^(٢) بضم الخاء المعجمة وهي الحَصِيرُ^(٣) الصغير ، قاله العسكري^(٤) .

وأما عرفاً فكل موضع من الأرض لقوله صلى الله عليه وسلم : « جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا^(٥) » . قلت وسيأتي الكلام على هذا الحديث في الخصائص .

ولما كان السجود أفضل أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتُقَّ اسم المكان منه ، فقيل مَسْجِدٌ ، ولم يقولوا مَرَجٍ . ثم إن العُرفَ خَصَّصَ الْمَسْجِدَ بِالْمَكَانِ الْمُهِيَّا لِلصَّلَاةِ الخمس حتى يخرج الْمُصَلِّي الْمُتَجَمِّعَ فِيهِ لِلْأَعْيَادِ ونحوها ، فلا يُعْطَى حُكْمُهُ ، وكذلك الرُّبُطُ^(٦) والمدارس فإنها هيئت لغير ذلك .

التاسع : في الكلام على قوله : الحرام /

أبو شامة : أصل الحرام المنع ، ومنه البيت الحرام ، وفلان حرام أى محرم وهو ضد الحلال ، وذلك لما مُنِعَ منه المُحْرَمُ مما يجوز لغيره ، ولما مُنِعَ في الحرم مما يجوز في غيره^(٧) من البلاد .

الماوردي رحمه الله في كتاب الجزية من حاويه^(٨) : « كل مؤنّس ذكر الله تعالى [فيه]^(٩) »

(١) هو علي بن جعفر بن علي المعروف بابن القطاع ، السعدي الصقل توفي سنة ٥١٥ هـ ، (ابن خلكان ج ١ ص ٣٣٩ : ٣٤٠) .

(٢) الخمر بضم الخاء المعجمة الحَصِيرَةُ أو السجادة تلسج من سف النخل وترمل بالهيوط ، عن المعجم الوسيط .

(٣) من معاني الحَصِيرِ التَّسَاطُ التَّنْصِيجُ . وفي تاج المروس : الحَصِيرُ وجه الأرض ، وقيل : وبه ميم ما يفرش على الأرض حصيرا لكونه يلى وجهها والجمع أحصرة وحصر بضمين .

(٤) قاله العسكري في كتابه الذي أسماه : « التصنيف والتحرير وشرح ما يقع فيه » وقد نشر الجزء الأول منه في القاهرة في سنة ١٣٢٦ هـ والبارية التي نقلها عنه الصالحى تقع في نهاية ص ١١٣ . والعسكري هو الحسن بن عبد الله بن سعيد أحد أئمة الأدب توفي سنة ٣٨٢ هـ (ابن خلكان ج ١ ص ١٣٢) .

(٥) طرف حديث أخرجه البخارى (ج ١ ص ١٤٩) في كتاب التيمم عن جابر بن عبد الله .

(٦) الربط جمع رباط ويطلق على ملجأ الفقراء من الصوفية .

(٧) كتاب الحاوى في الفقه الشافعى لمؤلفه أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ يقع في نيف وعشرين جزءاً . أنظر ترجمة مؤلفه في طبقات الشافعية لتاج المكي (ج ٣ ص ٣٠٤ : ٣١٤) .

(٨) إضافة يقتضيهما السياق كما وردت فيها نقله الزركلى عن الماوردى في كتابه إعلام الساجد ص ٦٠ .

المَسْجِدَ الْحَرَامَ فالمراد به الْحَرَمُ ، إِلَّا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ^(١)) فَإِنَّهُ أَرَادَ بِهِ الْكَعْبَةَ .

الحافظ رحمه الله تعالى : « لفظ المسجد الحرام في الأصل حقيقة الكعبة فقط ، وهو الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ^(٢)) ، ويقول صلى الله عليه وسلم لما سَأَلَهُ أَبُو ذَرٍّ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ فَقَالَ : « الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ ^(٣) » . واستعمله بعد ذلك في المسجد المحيط بالكعبة في قوله : « صَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِكَذَا وَكَذَا صَلَاةٌ ^(٤) » ، على وجه التغليب المجازي . وفي قوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ^(٥)) على قول من يقول المراد به مكة ، لِأَنَّهُ كَانَ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانٍ . وفي دور مكة والحرم حولها في قوله : « ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ جَازِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » . كل ذلك من باب التغليب الْمُسَوِّغُ لِلْمَجَازِ الْمُتَّوَسِّعِ فِيهِ وَإِلَّا لَزِمَ الْإِشْتِرَاكُ فِي مَوْضِعِ لَفْظِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْمَجَازُ أَوْلَى مِنْهُ ، وَكَيْفَ يُقَالُ بِالِإِشْتِرَاكِ ؟ وَالْفَهْمُ مَا تَبَادَرُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ إِلَى الْكَعْبَةِ ، أَوْ إِلَيْهَا مَعَ الْمَسْجِدِ حَوْلَهَا ، وَلَا يَتْبَادَرُ إِلَى مَكَّةَ كُلِّهَا إِلَّا بِقَرِينَةٍ . انتهى مُلَخَّصًا .

العاشر : في الكلام على الأقصى :

البرهان النسبي رحمه الله : « اتفقوا على أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ مَسْجِدَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَنُسِيَ بِالْأَقْصَى لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » .

(١) سورة البقرة آية ١٤٤ .

(٢) سورة آل عمران آية ٩٦ .

(٣) في الصحيحين عن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ عَلَى الْأَرْضِ فَقَالَ : « الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ » . قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى . قُلْتُ : وَكَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ : أَرْبَعُونَ عَامًا ثُمَّ الْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ فَيَحِثُّ أَدْرَكَكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ . وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي بَعْضِ طَرِيقِهِ : أَيْنَمَا أَدْرَكَكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فِيهِ فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ ، خَرَجَهُ فِي ذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ .

(٤) رَوَى النَّسَائِيُّ فِي مُتَنِهِ مِنْ حَدِيثِ مَيْمُونَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْكُئْبَةَ ، وَرَوَى أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : « إِلَّا الْكُئْبَةَ » . وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهٍ (١ ص ٤٥) عَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ أَهْرَامَ وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَا سِوَاهُ » .

(٥) الْآيَةُ الْأُولَى مِنْ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ .

الزمن مشرى رحمه الله : «سُمِّيَ الْأَقْصَى لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَرَاءَهُ مَسْجِدٌ» .

الكفيل : فثَبَّتَ لَهُ هَذَا التَّعْتِ وَإِنْ كَانَ وَرَاءَهُ بَعْدَ مَسَاجِدَ هِيَ أَقْصَى مِنْهُ ، لِأَنَّ الْعَلَمِيَّةَ إِذَا أَثْبِتَتْ لِسَبَبٍ لَمْ يَضُرَّ زَوَالُ السَّبَبِ » .

ابن دحية رحمه الله : «وَهُوَ مَعْدِنُ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ لَدُنِ الْخَلِيلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلِذَا جُمِعُوا لَهُ هُنَاكَ كُلُّهُمْ ، وَأَتَمُّهُمْ فِي مَحَلَّتِهِمْ وَدَارِهِمْ ، لِيَدُلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ الرَّئِيسُ الْمُقَدَّمُ ، وَالْإِمَامُ الْأَعْظَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

أَبُو شَامَةَ : « هُوَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ الَّذِي عَمَّرَهُ نَبِيُّ اللَّهِ سَلِيمَانُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَا زَالَ مُكْرَمًا مُحْتَرَمًا ، وَهُوَ أَحَدُ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ شَرْعًا إِلَّا إِلَيْهَا ^(١) ، أَيْ لَا تَقْصَدُ بِالزِّيَارَةِ وَالتَّعْظِيمِ مِنْ جِهَةِ أَمْرِ الشَّارِعِ إِلَّا هَذِهِ الثَّلَاثَةُ . وَكَانَ أَبْعَدُ مَسْجِدٍ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَوْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْأَقْصَى أَفْعَلُ مِنَ الْقَصِيِّ وَالْقَاصِي هُوَ الْبَعِيدُ » .

ابن أَبِي جَمْرَةَ ^(٢) _ بَفَتْحِ الْجِيمِ وَبِالرَّاءِ _ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَالْحِكْمَةُ فِي إِسْرَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلًا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، لِإِظْهَارِ الْحَقِّ عَلَى مَنْ عَانَدَ ، لِأَنَّهُ لَوْ عُرِجَ بِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى السَّمَاءِ ، لَمْ يَجِدْ لِمُعَانَدَةِ الْأَعْدَاءِ سَبِيلًا إِلَى الْبَيَانِ وَالْإِضْاحِ . فَلَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سَأَلُوهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ كَانُوا رَأَوْهَا وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَأَاهَا قَبْلَ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ بِهَا حَصَلَ التَّحَقُّقُ بِصِدْقِهِ فِيمَا ذَكَرَ مِنَ الْإِسْرَاءِ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي لَيْلَةٍ . وَإِذَا صَحَّ خَبَرُهُ فِي ذَلِكَ لَزِمَ تَصْدِيقُهُ فِي بَقِيَّةِ مَا ذُكِرَ » . انْتَهَى .

وقيل : لِيَحْصَلَ لَهُ الْعُرُوجُ مُسْتَوِيًّا مِنْ غَيْرِ تَعْوِيجٍ لِمَا رَوَى عَنْ كَعْبٍ أَنَّ بَابَ السَّمَاءِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَصْعَدُ الْمَلَائِكَةِ يُقَابِلُ بَابَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قَالَ : وَهُوَ أَقْرَبُ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ بِثَانِيَةِ عَشْرِ مِيلًا .

(١) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (ج ٢ ص ١٣٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى » .

(٢) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَمْعَانَ بْنِ أَبِي جَمْرَةَ مَوْلَى مُنْخَصِرِ الْبُخَارِيِّ وَشَرَحَهُ هِجَةُ النَّفُوسِ تَوَفَّى سَنَةَ ٦٩٩ هـ .
تُرْجِمُ لَهُ أَحْمَدُ بَابَا التَّبَكِّيُّ فِي لَبِّي الْأَبْتَهَاجِ بِتَطْرِيزِ اللَّيْبِجِ عَلَى هَامِشِ اللَّيْبِجِ الْمَذْهَبِ لِابْنِ فَرِحُونَ ، (الْقَاهِرَةُ سَنَةَ ١٣٥١ هـ ص ١٤٠) .

الحافظ / : « وفيه نظر . وقبل ليجمع بين القِبْلَتَيْن ، لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء فحصل له الرحيل إليه في الجملة ليجمع بين أسباب الفضائل . وقبل لأنه محل الحشر ، فأراد الله تعالى أن تطأه قدمه ليسهل على أمته يوم القيامة وقوفهم ببركة أثر قدميه . وقبل أراد الله سبحانه وتعالى أن يُريَه القبله التي صلى إليها مدة ، كما عُرِفَت الكعبة التي صلى إليها . وقبل لأنه مجمع أرواح الأنبياء فأراد الله تعالى أن يُشرفهم بزيارته صلى الله عليه وسلم . وقبل لتفاؤل حصول التقدير له جساً ومعنى .

ابن دحية : « ويحتمل أن يكون الحق سبحانه وتعالى أراد ألا يُخْلِي تربةً فاضلةً من مشهده ووُطء قَبَمِيه ، فتمم تقديس بيت المقدس بصلاة سيدنا محمد فيه . فلما تم تقديسه به ، أخبر صلى الله عليه وسلم أنه : لا تُشَدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام لأنه مولده ومسقط رأسه وموضع نبوته ، ومسجد المدينة ، لأنه محل هجرته وأرض تربته ، والمسجد الأقصى ، لأنه موضع معراج صلى الله عليه وسلم .

رموز الكنوز : « فإن قيل الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة ، فهلاً أخبرهم تعالى بعروجه إلى السماء ؟ قلت : استدرجهم إلى الإيمان بذكر الإسراء أولاً ، فلما ظهرت آمارات صدقه ، وصحّت لهم براهين رسالته ، واستأنسوا بتلك الآية الخارقة ، أخبرهم بما هو أعظم منها وهو المعراج ، فحلّثهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله تعالى سورة النجم .

الإمام الرازي والبرهان : « أعلم أن كلمة «إلى» لانتهاه الغاية فمدلول قوله تعالى : (إلى المسجد الأقصى) أنه وصل إلى حدّ ذلك المسجد ، ولا دلالة في اللفظ على أنه دخل .

قلت : قال المحققون : إذا كانت «إلى» لانتهاه الغاية ، فإن ذلك قرينة على دخول ما بعدها عُيِلَ بها ، نحو قرأت القرآن من أوّله إلى آخره . فالقرينة هنا ذِكْرُ الآخر وجعله غاية . وقيل القرينة هي كون الكلام مسبوقاً لحفظ القرآن كله ، وذلك مُنافٍ لخروج الغاية ، فتعيّن دخولها ، أو ذلك القرينة على خروج ما بعدها عُيِلَ بها نحو : (أقيموا الصَّيَامَ إلى اللَّيْلِ^(١)) . والقرينة في آية الإسراء العِلْمُ بأنه لا يُسرَى به إلى البيت

(١) سورة البقرة من الآية ١٨٧ .

المقدس ولا يدخله وصُرِّحَتِ السُّنَّةُ الصحيحة بما اقتضته القرينة من دخوله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس .

الحادى عشر : معنى قوله : (بَارَكْنَا حَوْلَهُ) :

الراغب رحمه الله : « البركة ثبوت الخير الإلهى فى الشيء ، والمُبَارَك ما فيه ذلك الخير » .

المصباح : « البركة الزيادة والنماء ، وبَارَكَ اللهُ تعالى فيه فهو مُبَارَك ، والأصل مُبَارَك فيه » .

الأنموذج : فإن قيل : كيف قال : (بَارَكْنَا حَوْلَهُ) ، ولم يَقُلْ باركنا عليه أو فيه ، مع أن البركة فى المسجد تكون أكثر من خارج المسجد وَحَوْلَهُ ، خصوصاً المسجد الأقصى ؟ قلنا أراد البركة الدنيوية كالأنهار الجارية والأشجار المثمرة ، وذلك حوله لا فيه . وقيل أراد البركة الدينية فإنه مقر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومُتَعَبِّدُهُمْ ومُهَبِّطُ الوحى والملائكة . وإنما قال : (بَارَكْنَا حَوْلَهُ) لتكون بركته أعم وأشمل ، فإنه أراد بما حوله ما أحاط به من أرض الشام وما قاربه منها ، وذلك أوسع من مقدار بيت المقدس ، ولأنه إذا كان هو الأصل ، وقد بَارَكَ فى لواحقه وتوابعه من البقاع كان هو مُبَارَكاً فيه بالطريق الأوّل بخلاف العكس . وقيل أراد بالبركة : الدينية والدنيوية وَوَجْهُهُمَا ما مرّ . وقيل المراد : باركنا ما حوله من بَرَكَةٍ نشأت منه ، فعَمَّتْ جميع الأرض ، لأن مياه ٣٢٩ ظ الأرض كلها أصل انفجارها من تحت صخرة بيت المقدس^(١) . انتهى .

الكفيل : « فإن قيل إذا كانت البركة حول المسجد الأقصى فبماذا يتميز عليه المسجد الحرام ؟ قلت : البركة حول المسجد الأقصى باعتبار الدنيا ورفاهيتها وخصبها ، والبركة

(١) لسا فى حاشية إلى التعليق على هذا التليل المجيب الذى أورده المؤلف وهو أن مياه الأرض كلها أصل انفجارها من تحت صخرة بيت المقدس لأنه يتناقض مع حقائق العلوم الجغرافية فأثار العالم فى القارات الست تستمد مياهها من مناطق سقوط الأمطار فى الكرة الأرضية ، وهى مناطق لا علاقة لها بالية بصخرة بيت المقدس . وإيراد المؤلف لهذا التليل إنما يدل على تدهور العلوم الجغرافية عند المسلمين ابتداء من القرن العاشر الهجرى تلك العلوم التى عني بها المسلمون فى المصور السابقة ونهضوا بها نهضة عظيمة . ومن السجيب أن يقول المؤلف هذا فى وقت كان معاصراً فيه حركة الكشف الجغرافى التى كشفت فيها الأوروبيون طريق رأس الرجاء الصالح وقاربى أمريكا الشمالية والجنوبية .

حول المسجد الحرام باعتبار الدين والفضل وتضعيف الحسنات فيه للطائفتين والعاكفين والمتوطنين والوافدين ، لأن الأجر يكون على قدر النَّصَب ، وهو واد غير ذى زَرْع ، نَزَّهه الله عن خصب الدنيا وسعتها ، ثلثا يكون القصد إليه ممزوجاً بقصد الدنيا ، فهذه البركة الدنيوية أفضل من تلك البركة الدنيوية . انتهى .

«وَحَوْلَهُ» منصوب على الظرف أى أوقفنا البركة حَوْلَهُ ، وقيل تقديره : بَارَكْنَا ما حوله .

أبو عبيد الهَرَوِي رحمه الله تعالى : «رَأَيْتُ النَّاسَ حَوْلَهُ وَحَوَالِيَهُ وَحَوْلِيَهُ وَحَوَالَهُ وَيُجْمَعُ أَحْوَالاً» .

الراغب : حَوْلَ الشيء جَانِبُهُ الذى يمكن أن يَتَحَوَّلَ إليه والضمير راجع إلى المسجد الأقصى .

الثانى عشر : فى الكلام على قوله تعالى : (لِئُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) .

السَّيِّمِ وابن عادل : «قرأ العامة بنون العَظْمَةِ ، جَوِيّاً على «بَارَكْنَا» ، وفيه التفات من الغيبة فى قوله : (أَسْرَى بِعَبْدِهِ) إلى التكلم فى «باركنا» و «لِئُرِيَهُ» ، وقرأ الحسن «لِئُرِيَهُ» بالثناة التحتية أى الله تعالى» .

وعلى هذه القراءة فى الآية أربع التفاتات ، لأنه التفت أولاً من الغيبة فى «أَسْرَى» إلى التكلم فى «باركنا» . ثم التفت ثانياً من التكلم فى «باركنا» إلى الغيبة فى «لِئُرِيَهُ» . ثم التفت ثالثاً إلى التكلم فى «آيَاتِنَا» . ثم التفت رابعاً إلى الغيبة فى (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

الزمخشري : «وطريقة الالتفات من طرق البلاغة» .

الطبري : «وذكرك أن قوله : «سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ» يدل على مَسَرَّاه من عالم الشهادة إلى عالم الغَيْب ، فهو بالغيب أنسب . وقوله : (الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ) دالٌّ على إنزال البركات وتعظيم شأن المُنَزَّل ، فهو بالحكاية على التفضيم أخرى . وقوله : «لِئُرِيَهُ» بالياء إعادة إلى مقام السرِّ والغيبوبة من هذا العالم ، فالغيبوبة بهما أَلْيَق . وقوله : «مِنْ آيَاتِنَا»

عَوْدٌ إِلَى التَّعْظِيمِ عَلَى مَا سَبَقَ . وقوله : (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) إشارة إلى مقام اختصاصه بِالْمَنْحِ وَالزُّلْفَى وَغَيْبَةِ شهوده في عين « بِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ » فالعود إلى الغيبة أَوَّلَى » انتهى . ومعنى الرؤية هو . ما أَرَى تلك الليلة من العجائب والآيات الدَّالَّةُ على قُدْرَةِ اللَّهِ تعالى ومنها ما ذكره في القصة .

أبو شامة : « مِنْ » هنا للتبعض ، وإنما أُتِيَ بها هنا تعظيماً لآيات الله ، فإن هذا الذي رآه محمد صلى الله عليه وسلم وإن كان جليلاً عظيماً فهو بعض بالنسبة إلى جملة آيات الله وعجائب قدرته وجليل حكمته . والآية العلامة الظاهرة على ما يلازمها ، فمن عِلْمِ ملازمة العِلْمِ للطريق المنهاج ، ثم وجد العِلْمُ على أنه وجد الطريق ، وكذا إذا وجد شيئاً مصنوعاً ، فإنه يعلم أنه لأَبَدٌ له من صانع ، فأية الشيء علامته الظاهرة : ثم غلب ذلك على صدق الرسل ، وعلى الإلهية وكرامات الأولياء وما أشبه ذلك » .

البرهان النسبي : « فإن قيل الآية تدل على أنه تبارك وتعالى ما أراه إلا بعض الآيات وقال في حق إبراهيم صلى الله عليه وسلم (وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)^(١) ، يدل على أنه تعالى أراه جميع الآيات ، فيلزم أن يكون معراج إبراهيم أفضل من معراج محمد صلى الله عليه وسلم ، فنقول : ملكوت السموات والأرض بعض آيات الله أيضاً بعضاً مخصوصاً ، والبعض المطلق أفضل من البعض المخصوص ، إذ المطلق يُصَرَّفُ إلى الكامل / . والجواب المشهور عنه هو أن بعض آيات الله أفضل من ملكوت السموات والأرض . انتهى .

الثالث عشر : في الكلام على قوله تعالى : (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

السمين : « الصحيح أن الضمير في « إِنَّهُ » لله تبارك وتعالى .

الطبي : « ولا يبعد أن يرجع الضمير إلى العبد ، كما نقله أبو البقاء عن بعضهم ، قال : « إِنَّهُ السَّمِيعُ » ، لكلامنا ، « البصير » لذاتنا . وأما تَوَسُّطُ ضمير الفعل فلا إشعار باختصاصه بهذه الكرامة وَحْدَهُ ، ولعل السر في مجيء الضمير مُحْتَمِلاً لِلأَمْرَيْنِ الإِشَارَةِ إِلَى المطلوب وأنه صلى الله عليه وسلم إنما رأى رب العزة وسمع كلامه به » .

الماوردي : « في الحكمة بالإتيان بالسميع والبصير هنا وجهان : أحدهما : أنه تعالى وصف نفسه بهما ، وإن كانا من صفاته اللازمة لذاته في الأحوال كلها ، لأنه حَقَّقَ لرسوله عند الإسراء به في ظلمة الليل ، فلم يُضَرَّه أَلَّا يُبْصِرَ فيها ، وسمع دُعَاه فأجابه إلى ما سأل .
الثاني : أن قومه لما كَلَّبُوهُ حين أخبرهم بإسرائه ، فقال : السميع ؛ يعنى لما يقولونه من تصديق أو تكذيب (و) . البصير ، فيما يفعله من الإسراء والمعراج .

الزمخشري : « إنه هو السميع » لأقوال محمد ، « البصير » بأفعاله ^(١) ، العالم بتهذيبها وخلوصها فيُكْرِمه ويُقَرِّبه على حسب ذلك .

ولم يَتَعَقَّبْ ذلك الطيبي ولا السُّكُونِي - بالفتح والضم - في التمييز مع مبالغته في التنكيب ^(٢) والاعتراض عليه . وقال صاحب الكفيل : « ذَكَرَ صِفَتَي السمع والبصر تنبيهاً على أنه عَلِيمٌ حيث يجعل رسالاته وكراماته ، والبصير بآياته ، وكما أنه أعلم فهو أسمع وأبصر . والمراد أنه السميع لمن صَلَّقَ بالإسراء البصير بمن كَلَّبَ به » ، ثم ذكر كلام الزمخشري السابق ، ثم قال : « وفي كلامه هذا إيماء إلى القول بإيجاب الجزاء وتلويح إلى اعتقاد ^(٣) أن فضائل النبوة مكتسبة ، فاحذر هذه العقيدة . انتهى .

الغزالي رحمه الله : المقصد الأسنى : « السميع هو الذى لا يعزُب عن إدراكه مسموع وإن خَفِيَ ، فيسمع السرَّ والنجوى ، بل ما هو أدق وأخفى ، ويدرك دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ، يسمع بغير أصمخة وآذان ، وسمعه مُنَزَّه [عن] ^(٤) أن يتطرق إليه الحدَثان . ومهما نَزَهَتْ السمع عن تغير المسموعات وقَدَسَتْه عن أن يسمع بأذن وآلة عَلِمَتْ أن السمع في حقه عبارة عن صفة ينكشف بها كمال صفات المسموعات . و [مَنْ] لم يلتق نظره فيه وقع بالضرورة في بحر ^(٥) التشبيه فحُذِرَ حَذْرَكَ ^(٦) ودَقَّقَ فيه نَظْرَكَ » .

(١) في الأصول : لأفعاله والتصويب من الكشف . (٢) للتنكيب التنحية نكبه تنكيباً نكاه ، عن القاموس .

(٣) الأفضل أن تكون العبارة : وتلويح إلى الشبهة في اعتقاد أن فضائل النبوة مكتسبة .

(٤) إضافة من المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للغزالي ص ٤١ طبع القاهرة دون تاريخ .

(٥) في المقصد : في غرض التشبيه . (٦) في المقصد : فحذ منه حذرك ،

وقال أيضاً : « البصير هو الذي يُشاهد ويرى ولا يعزب عنه ما تحت الثرى ، وإبصاره مُنزه عن أن يكون بحَلَقَة وأجفان ، مُقدَّس عن أن يرجع عن انطباع الصور والألوان في ذاته تعالى ، كما تنطبع في حَلَقَة الإنسان ، وإن ذلك من التغير والتأثير المقتضى للحدَثان . وإذا نُزّه عن ذلك كان [البَصَر]^(١) في حقه عبارة عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المصنوعات ، والله تعالى أعلم بالصواب » .

(١) إضافة من المقصد الإسنى .

الباب الثاني

في تفسير أول سورة النجم

قال الله سبحانه وتعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم . والنجم إذا هوى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى . وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُخَارِجُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) .

الكلام على هذه الآيات من وجوه : الأول : في سبب نزولها .

النهر : « سَبَبُهُ قَوْلُ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ مُحَمَّدًا يَخْتَلِقُ الْقُرْآنَ » .

الثاني : في مناسبة هذه السورة لما قبلها :

قال الإمام الرازي والبرهان النسفي رحمهما الله ، قد قيل : إن السور التي تقدمت وهي التي أقسم [الله تعالى] ^(١) فيها بالأسماء دون الحروف : الصافات والذاريات والطور ، وهذه السورة ^(٢) بعدها ، فالتقسيم في الأولى لإثبات الوجدانية ، كما قال : (إِنَّ إِلَهُكُمُ لَوَاحِدٌ ^(٣)) وفي الثانية لوقوع الحشر والجزاء ، كما قال تعالى : (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ . وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ^(٤)) . وفي الثالثة للدوام العذاب بعد وقوعه كما قال تعالى : (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ . مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ ^(٥)) وفي هذه السورة ^(٦) لبيان النبوة كما قال تعالى (والنجم إذا هوى) إلخ لتكمل الأصول الثلاثة : الوجدانية والحشر والنبوة .

والوجه الآخر في المناسبة لما قبلها هو أن الكفرة بالغوا في المكابرة والمعادنة في حق النبي

(١) إضافة يقتضيهما السياق .

(٢) سورة الصافات آية ٤ .

(٣) سورة الطور آية ٧ و ٨ .

(٤) أي سورة النجم .

(٥) سورة الذاريات آية ٥ و ٦ .

(٦) أي سورة النجم .

صلى الله عليه وسلم ، وطعنوا فيما نطق به من الكلام ، كما مرَّ بيانه في تلك السورة ، فقال في هذه ما يدلُّ على صدقه في دعواه ، وصِدْق ما نطق به وأجره مُوَكَّدًا بالقسم .

وأما مناسبة أول هذه السورة إلى آخر ما قبلها فمن وجوه : أحدها : أن اختتام تلك السورة بالنجم وافتتاح هذه السورة بالنجم^(١) مع القسم . ثانيها : أنه تعالى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر في آخر تلك السورة ، كما قال تعالى (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ^(٢)) ، والصَّبْرُ أمرٌ صعب ، فذكر في أول هذه السورة ما يدل على علو منزلته وعظم شأنه ليسهل عليه ذلك الأمر .

ثالثها : لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ^(٣)) ، بَيَّن له أنه جزأه بخير ، فقال : (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى^(٤)) وزاد الشيخ رحمه الله تعالى ، في مناسبه وجهاً آخر ، وهو أن [سورة] الطور فيها ذِكرُ ذُرِّيَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَّهُمْ تَبَعَ لآبَائِهِمْ^(٥) ، وهذه فيها ذِكرُ ذُرِّيَّةِ الْيَهُودِ في قوله تعالى : (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِنَّكُمْ أَجْنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ^(٦)) .

فقد رَوَى ابْنُ الْمُثَنِّرِ وابنُ جَبَّان^(٧) عن ثابت بن الحرث الأنصاري قال : « كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صَبِيٌّ صغير هو صَليُّن ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « كَلَبَتْ يَهُودُ ، ما من نَسَمَةٍ يَخْلُقُهَا اللَّهُ في بطن أُمِّه إلا أنه شَقِيٌّ أو سَعِيدٌ » . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عند ذلك : (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) الآية . ولما قال الله تعالى هناك في

(١) الآية الأخيرة في سورة الطور السابقة لسورة النجم تختتم بكلمة النجوم والأخيرة تبدأ بالقسم بالنجم .

(٢) سورة الطور آية ٤٨ .

(٣) سورة النجم آية ٢ .

(٤) وذلك في الآية ٢١ من سورة الطور والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم

من شيء كل امرئ بما كسب رهين .

(٥) سورة النجم آية ٢٢ .

(٦) ابن حبان في ت و م ، وأبو حاتم في ط غير أن : إسناده هذا الحديث في كل من أسهاب النزول الواحدى (ص

٢٩٨ ، طبعة القاهرة سنة ١٣١٥ هـ) وتفسير القرطبي (ج ١٧ ص ١١٠ - جاء فيه : روى ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد

عن ثابت بن الحرث الأنصاري .

المؤمنين : « أَلَحَّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ^(١) » أى مانقصنا الآباء مما أعطينا البنين مع نفعهم بعمل آياتهم ، قال هناك فى الكفار أو فى الكبار : (وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ^(٢)) ، خلاف ما ذكر فى المؤمنين الصغار . انتهى .

أبو حيان رحمه الله : « هذه السورة مكية ، ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهر ، لأنه تعالى قال : (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ^(٣)) أى اختلق القرآن ، ونسبوه إلى الشعر ، وقالوا هو كاهن ، هو مجنون ، فأقسم تعالى أنه صلى الله عليه وسلم ما ضلَّ ، وأن ما أتى به هو الوحى من الله . وهى / أول سورة أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقراءتها فى الحرم ، والمشركون يسمعون ، وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والإنس غير أبى لُهب فإنه رفع حفنة من تراب إلى جبهته وقال يكفى هذا . قلت : ذكر أبى لُهب هنا غريب .

روى الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود قال : أول سورة نزلت فيها سجدة ، النجم ، فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الناس كلهم إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه ، فرأيتُه قُتِلَ كافراً وهو أمية بن خلف ^(٤) . وروى ابن مردويه وابن خلف عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فى النجم وسجد من حضر من الجن والإنس والشجر ، زاد ابن أبى شيبه إلا رجلين من قريش أرادا بذلك الشهرة ، وسمى أحد الرجلين المُبْهَمِثِينَ فى الرواية السابقة ، والثانى الوليد بن المغيرة كما عند ابن سعد ^(٥) . وروى البخارى عن ابن عباس قال : سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس .

-
- (١) سورة الطور آية ٢١ . (٢) سورة النجم آية ٣٩ . (٣) سورة الطور آية ٣٣ .
(٤) هذه القصة ذكرها كل من ابن سعد فى الطبقات الكبرى (طبعة القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ ٢ ص ١٨٩ و ١٩٠) والطبرى فى تاريخه (طبعة الحسينية بالقاهرة سنة ١٣٢٦ هـ ٢ ص ٢٢٦ و ٢٢٧) والسبيل فى الروض الأنف (طبعة القاهرة سنة ١٩١٤ م ١ ص ٢٢٩) والقرطبى فى تفسيره (١٢ ص ٧٩ : ٨٦) .
(٥) جاء فى طبقات ابن سعد (ج ٢ ص ١٩٠) : « ثم مضى (الذى - صلى الله عليه وسلم - فقرأ السورة كلها (سورة النجم) وسجد القوم جميعاً ورفع الوليد بن المغيرة تراباً إلى جبهته فسجد عليه ، وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود ، ويقال إن أباه أحيمة سيد بن العاص أخذ تراباً فسجد عليه ورفع له جبهته وكان شيخاً كبيراً . فبغض الناس يقول إنما الذى رفع التراب الوليد وبغضهم يقول أبو أحيمة وبغضهم يقول كلاهما جميعاً فدل ذلك » . وفى تاريخ الطبرى (ج ٢ ص ٢٢٦) وسجد من فى المسجد من المشركون من قريش وغيرهم . . . فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة وكان شيخاً كبيراً فلم يستطع السجود فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها . وناقش القرطبى فى تفسيره ما جاء فى هذه القصة .

الثالث : في الكلام على القسم الواقع هنا .

الشيخ رحمه الله تعالى في الإتيان^(١) : [وقد قيل مامعنى القسم منه تعالى ؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن^(٢)] فالؤمن يُصدَّق بمجرد الانخبار من غير قسم ، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيد ، وأجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب ، ومن عادتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمراً .

وأجاب الأستاذ - بضم الهمزة وبالدال المعجمة - أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى [بأن الله^(٣)] ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها وذلك أن الحكم يفصل باثنين إما بالشهادة وإما بالقسم ، فذكر تعالى في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة فقال : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ^(٤)) وقال : (قُلْ إِي رَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ^(٥)) وعن بعض الأعراب^(٦) أنه لما سمع قوله تعالى : (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ^(٧)) (فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ^(٨)) ، صاح وقال : مَنْ [ذا] الذي أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين ؟ ولا يكون القسم إلا باسمٍ مُعْظَم ، وقد أقسم الله تعالى بنفسه ، في القرآن في سبعة مواضع ، بقوله : (قُلْ إِي رَبِّي^(٩)) ، (قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ^(١٠)) ، (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ^(١١)) ، (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ^(١٢)) ، (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ^(١٣)) ، (فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ^(١٤)) ، والباقي كله قسم بمخلوقاته^(١٥) . فإن قيل : كيف أقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله تعالى ؟ قلنا أجيب عنه بأوجه : الأول

(١) الإتيان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (ج٢ ص١٣٣) . (٢) زيادة من الإتيان لضبط السياق .

(٣) سورة آل عمران آية ١٨ . (٤) سورة يونس آية ٥٣ .

(٥) في الأصول : العرب وفي الإتيان : الأعراب . والأعراب سكان البادية أما العرب فهم سكان القرى والمدن والبلد أكثر جفاء وغلظة وفي اللسان إذا قيل للأعرابي يا عربي فرج بذلك وهش والعربي إذا قيل له يا أعرابي غضب وكان التعرب بعد الهجرة يدل الردة ، والأقرب أن يصدر هذا السؤال من أعرابي . وفي التنزيل : الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله (التوبة آية ٩٧) .

(٦) سورة الذاريات آية ٢٢ . (٧) سورة الذاريات آية ٢٣ .

(٨) سورة يونس آية ٥٣ . (٩) سورة التين آية ٧ .

(١٠) سورة مريم آية ٦٨ . (١١) سورة الحجر آية ٩٢ .

(١٢) سورة النساء آية ٦٥ . (١٣) سورة المارج آية ٤٠ .

(١٤) مثل السيوطي في الإتيان ذلك بقوله تعالى والذين ، والذين ، والصافات ، والشمس ، والليل والقسمي ،

فلا أقسم بالخنس .

أنه على حذف مضاف أى ورب النجم . وكذا الباقي . الثانى : أن العرب كانت تُعظم هذه الأشياء وتُقسّم بها فنزل القرآن على ما يعرفونه . الثالث : أن الأقسام إنما تكون بما يُعظمه المُقسّم [و] يُجلّه وهو فوقه . والله سبحانه وتعالى ليس فوقه شيء ، فأقسم تارة بنفسه وتارة بموضوعاته لأنها تدل على بادي وصانع .

ابن أبى الإصبع رحمه الله تعالى فى كتابه أسرار الفواتح : « القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل .

وروى ابن حاتم عن الحسن قال : « إن الله تعالى يُقسّم بما شاء من خلقه وليس لأحد أن يُقسّم إلا بالله تعالى . . . والقسم إما ظاهر وإما مُضمّر وهو قسمان : قسمٌ دلت عليه اللام نحو (تَبْلُغُونَ فِى أَمْوَالِكُمْ)^(١) وقسمٌ دلّ عليه المعنى نحو : (وَإِنْ مِنْكُمْ إِيَّاءُ وَارِدُهَا)^(٢)

ظ ٣٣١ ط تقديره : والله . . . وأكثر الأقسام / فى القرآن المحذوفة الفِعْل لا تكون إلا بالواو ، فإذا ذُكرت الباء أتى بالفعل كقوله تعالى (وَأَقْسَمُوا بِاللهِ^(٣)) (يَحْلِفُونَ بِاللهِ^(٤)) ولا تجد الباء مع حذف الفِعْل ، ومن ثم أخطأ من جعل قسماً بالله : (إِنْ الشَّرَّكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)^(٥) ، (بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ^(٦)) . (قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ)^(٧) .

ابن القيم : « اعلم أن الله سبحانه وتعالى يُقسّم بأُمور على أمور وإنما يُقسّم بنفسه المَوْصُوفَة بصفاته وآياته المستلزمة لذاته وصفاته . وأقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته ، فالقسم إما على جملة خبرية وهو الغالب كقوله تعالى : (فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ^(٨)) وإما على جملة طلبية كقوله تعالى : (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)^(٩) ، مع أن هذا القسم قد يُراد به تحقيق المُقسّم عليه ، فيكون من باب الخبر ، وقد يُراد به تحقيق القسم فالمُقسّم عليه يُراد بالقسم توكيده وتحقيقه ، فلا بُدَّ أن [يكون بما^(١٠)] يحسّن فيه ذلك كالأمور الغائبة والخفية إذا أُقسم على ثبوتها

- | | |
|-----------------------------|---|
| (١) سورة آل عمران آية ١٨٦ . | (٢) سورة مريم آية ٧١ . |
| (٣) سورة الأنعام آية ١٠٩ . | (٤) سورة النساء آية ٦٢ . |
| (٥) سورة لقمان آية ١٣ . | (٦) سورة الأعراف آية ١٣٤ والذخرف آية ٤٩ . |
| (٧) سورة المائدة ١١٦ . | (٨) سورة الفاريات آية ٢٣ . |
| (٩) سورة الحجر آية ٩٢ و٩٣ . | (١٠) زيادة من الإقنات . |

فَأَمَّا الْأُمُورُ الْمَشْهُورَةُ الظَّاهِرَةُ كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَهَذِهِ يُقَسَّمُ بِهَا وَلَا يُقَسَّمُ عَلَيْهَا . وَأَمَّا مَا أَقْسَمَ عَلَيْهِ الرَّبُّ فَهُوَ مِنْ آيَاتِهِ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُقَسِّمًا بِهِ وَلَا يَنْعَكْسُ .

الإمام الرازي رحمه الله تعالى : « أقسم تعالى في بعض السور بمجموع كقوله تعالى : (وَالذَّارِيَاتِ^(١)) ، وفي بعضها بإفراد كقوله (وَالطُّورِ^(٢)) ، ولم يقل والأطوار والبحار ، والكلمة فيه أن أكثر المجموع أقسم عليها بالمتحركات . والريح الواحدة ليست بثابتة مستمرة حيث يقع القسم عليها ، بل هي مُتَبَدِّلَةٌ بِأَفْرَادِهَا ، مستمرة بِأَنْوَاعِهَا ، والمقصود منها لا يحصل إلا بالتبدل والتغير ، فقال : (وَالذَّارِيَاتِ) إشارة إلى النوع المستمر لا إلى الفرد غير المستقر . وأما الجبل فهو ثابت غير متغير عادة ، فالواحد من الجبال قائم زماناً ودهراً فأقسم في ذلك بالواحد . وكذلك قوله : « والنجم » ، ولو قال : والريح ، لَمَّا عَلِمَ الْمُقَسِّمُ به وفي الطور علم . والسور التي افتتحها القسم بالأسماء دون الحروف ، كان القسم فيها لإثبات أحد الأصول الثلاثة وهي : الوجدانية والرسالة والحشر وهي التي يتم بها الإيمان .

ثم إنه تعالى لم يُقَسِّمْ لإثبات الوجدانية إلا في سورة واحدة من تلك السور وهي : « الصافات » ، حيث قال تعالى فيها : (إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ^(٣)) ، وذلك لأنهم وإن كانوا يقولون : أَجْعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ، على سبيل الإنكار فقد كانوا يبالغون في الشرك ، لكنهم في تضاعيف أقوالهم وتصاريف أحوالهم كانوا يُصْبِرُجُون بالتوحيد ، وكانوا يقولون : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى^(٤)) وقال تعالى : (وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُوا اللَّهُ^(٥)) .

فلم يبالغوا في الحقيقة والإنكار المطلوب الأول ، فاكنتي بالبرهان ولم يُكْثِرْ مِنَ الْإِيمَانِ في سورتين منها أقسم لإثبات صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكونه رسولاً في إحداهما بأمر ، وهو قوله تعالى : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى^(٦)) .

(٢) الآية الأولى من سورة الطور .

(٤) سورة الزمر آية ٣ .

(٦) سورة النجم آية ١ و ٢ .

(١) من الآية الأولى من سورة الذاريات .

(٣) سورة الصافات آية ٤ .

(٥) سورة النجى آية ٦١ .

وفي الثانية بأمرين وهو قوله تبارك وتعالى : (وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ^(١)) وذلك لأنَّ القَسَمَ على إثبات رسالته قد كَثُرَ بالحروف والقرآن العظيم ، كما في قوله تعالى : (يَسَّ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ^(٢)) / . وقد ذكرنا الحكم فيه أن من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ، فأقسم به ليكون في القَسَم إشارة واقعة إلى البرهان . وفي باقي السُّور كان المُقَسَّم عليه الحشر والجزاء ، وما يتعلق به يكون إنكارهم في ذلك خارجاً عن الحد ، وعدم استيفاء ذلك في سور القَسَم بالحروف . وأقسم تعالى بمجموع السلامة المؤنثة في خمس سور ، ولم يُقسَم بمجموع السلامة المُذَكَّرة في سورة أصلاً . فقال : (وَالصَّافَّاتِ ^(٣)) ، (وَالذَّارِيَاتِ ^(٤)) ، ولم يقل « والصالحين من عبادي » ، ولا المقربين ، إلى غير ذلك ، مع أن المذكور أشرف وذلك لأنَّ المجموع بالواو والنون في الأمر الغالب ، لمن يعقل .

وقد ذكرنا أن القَسَم بهذه الأشياء ليس لبيان التوحيد إلا في صورة ظَهَرَ الأمر فيه ، وحصل الاعتراف منهم ، ولا للرسالة لحصول ذلك في سورة القَسَم بالحروف والقرآن ، بقي أن يكون المقصود لإثبات الحشر والجزاء ، لكن لإثبات الحشر لثواب الصالح وعقاب الطالح ، فثابت ذلك راجعة إلى من يعقل فيلزم أن يكون القسم بنعيمهم . والسور التي أقسم فيها لإثبات الوجدانية أقسم في أول الأمر بالسكانات حيث قال : (وَالصَّافَّاتِ) وفي السور الأربع الباقية أقسم بالمتحركات فقال : (وَالذَّارِيَاتِ) ، (وَالْمُرْسَلَاتِ ^(٥)) ، (وَالنَّازِعَاتِ ^(٦)) (وَالْعَادِيَاتِ ^(٧)) ، وذلك لأنَّ الحشر فيه جمع وتفريق ، وذلك بالحركة أَلْيَق . وفي السور الأربع أقسم بالرياح على ما بيَّن ، وهي التي تجمع وتُفَرِّق ، فالتقدير على تأليف السحاب المتفرق بالرياح الذارية والمرسلة قَادِرٌ على تأليف الأجزاء المتفرقة بطريق من الطرق التي يختارها بمشيئته تبارك وتعالى .

وقال الإمام أيضاً في موضع آخر : « اعلم أنه تعالى لم يُقسَم على الوجدانية ولا على

(١) سورة الضحى آية ١ و ٢ و ٣ .

(٢) من الآية الأولى من سورة الصافات .

(٣) من الآية الأولى من سورة المرسلات .

(٤) من الآية الأولى من سورة العاديات .

(٥) سورة يس آية ١ و ٢ و ٣ .

(٦) من الآية الأولى من سورة الذاريات .

(٧) من الآية الأولى من سورة النازعات .

النبوة كثيراً ، لأنه أقسم على الوجدانية في سورة الصافات ، وأما النبوة فاقسم عليها بأمر واحد في هذه السورة ، وبأمرين في سورة « الضحى » ، وأكثر من القسم على الحشر وما يتعلق به . فإن قوله تعالى : (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ^(١)) وقوله : (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ^(٢)) وقوله تعالى : (وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ ^(٣)) ، إلى غير ذلك ، كلها في الحشر وما يتعلق به ، وذلك لأن دلائل الوجدانية كثيرة ، كلها عقلية كما قيل :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد ^(٤)

ودلائل النبوة أيضاً كثيرة ، وهى المعجزات المشهورة المتواترة ، وأما الحشر فإمكانه يثبت بالعقل ، وهذا أظهر ، وأما وقوعه فلا يمكن إثباته إلا بالسمع ، فأكثر فيه القسم ليقطع به المكلف ويعتقده اعتقاداً جازماً .

الرابع : فى الكلام على النجم :

صاحب القاموس : « فى المطلع النجم الكوكب الطالع والجمع أنجم وأنجم ونجوم ونجم ، والنجم أيضاً الثريا ، والنجم من النبات ما نجم على غير ساق ، والنجم الوقت المضروب » .

اللباب لابن عادل : « سُمى الكوكب نجماً لطلوعه ، وكل طالع نجماً ، يقال : نجم السن والقرن والنبت إذا طلع ، زاد القرطبي : « ونجم فلان ببلد كذا أى خرج على السلطان ^(٥) » .

ابن القيم : « اختلف الناس فى المراد بالنجم ، فقال الكلبي عن ابن عباس : أقسم بالقرآن إذ أنزل نجوماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربع آيات وثلاث آيات والسورة ، وكان بين أوله وآخره عشرون سنة ، وكذلك روى عطاء عنه ، وهو قول مقاتل / ٣٣٢ ظ والضحاك ومجاهد ، واختاره الفراء » .

(٢) سورة الشمس آية ١ .

(١) سورة الليل آية ١ .

(٣) سورة البروج آية ١ .

(٤) البيت لأن المتأخر وهو أحد أبيات أربعة أوردها أبو الفرج فى الأغاني ج ٤ ص ٣٥ طبعة دار الكتب بالقاهرة

(٥) وردت فى تفسير القرطبي ج ١٧ ص ٨٣ .

سنة ١٩٣١ م .

والهوى على هذا القول النزول من أعلى إلى أسفل ، وعلى هذا سُمي القرآن نجماً لتفرقه في النزول . والعرب تسمى التفرق تَنَجُّماً والمتفرق مُتَنَجِّماً . ونُجُوم الكتابة أقساطها ، وتقول جعلتُ مالى على فلان نجوماً مُتَنَجِّمةً ، كلُّ نجمٍ كذا وكذا . وأصل هذا أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها وآجالها ، فيقولون : إذا طلع النجم - يريدون الثريا - حلَّ عليك كذا ، ثم جُعِل كل نجم تفريقاً وإن لم يكن موقتاً بطلوع نجم .

قال الإمام الرازى : « فى هذا القَسَم استدلال بمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم على صدقه ، وهو كقولهِ [تعالى] : (يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)^(١) » وقال ابن عباس فى رواية على بن أبى طلحة وعطية : يعنى الثريا إذا سقطت وغابت ، وهويها مغيبها ، وهو الرواية الأخرى عن مجاهد . والعرب إذا أطلقت النجم تعنى به الثريا ، قال الشاعر :

إذا طلع النجم عشاءً ابتغى الراعى كساءً

وفى الحديث : « ما طلع نجمٌ قط وفى الأرض من العاهة شيء إلا ارتفع » ، رواه الإمام أحمد ، وأراد بالنجم الثريا . وهذا القول اختاره ابن جرير والزمخشري . وقال السمين إنه الصحيح ، لأن هذا صار علماً بالغلبة ، وقال عمر بن أبى ربيعة :

« أَحْسَنُ النُّجُومِ فى السماءِ الثُّرَيَّا والثُّرَيَّا فى الأرضِ زَيْنُ النِّسَاءِ »

قال الإمام الرازى : « ومناسبة هذا القول إن الثريا أظهر النجوم عند الراى لأن له علامة لا تلبس بغيره فى السماء ويظهر لكل أحد . والنبي صلى الله عليه وسلم يتميز عن الكل بآيات بيِّنات ، فأقسم به ، ولأن الثريا إذا ظهرت من المشرق بالبلد حان إدراك الثمار ، وإذا ظهرت بالشتاء أو الخريف نقل الأمراض . والنبي صلى الله عليه وسلم إذا ظهر ، قلَّ الشك والأمراض القلبية وأدركت الثمار الحكيمة » .

وقال أبو حنزة ، بالحاء المهملة والزى ، « والسماء - بضم المثلثة وتخفيف الميم وباللام : يعنى النجوم إذا انتشرت يوم القيامة . وقيل أراد به الشعرى . وقال السدى والثورى :

(١) سورة يس آية ١ و ٢ ،

« أراد به الزُّهرة ». وقال الأنخس : « أراد به النَّبْتُ الذي لا ساق له ، ومنه قوله تعالى : **وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ** ^(١) » وهُوهُ مَقْوُطَةٌ .

قال الإمام الرازي : « لِأَنَّ النَّبَاتَ به نَبَاتُ الْقُوَى الْجِسَانِيَّةِ وَصِلَاحِهَا ، والقوة العقلية أولى بالإصلاح ، وذلك بالرُّسُل ، وإصلاح السُّبُل ، ومن هذا يظهر أَنَّ المختار هو النجوم التي في السماء لِأَنَّهَا أظهر عند السامع . وقوله تعالى : (إِذَا هَوَى) أدلُّ عليه ، ثم بعد ذلك القرآن لما فيه من الظهور ، ثم الثريا .

وقال جعفر بن محمد - رضى الله عنهما - ، كما نقله القاضي : « أراد به النبي - صَلَّى الله عليه وسلم - إِذْ نَزَلَ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ وَالْهَوَى النُّزُولُ » .

صاحب السراج : « ويعجبني هذا التفسير للاعتمه من وجوه ، فإنه صلى الله عليه وسلم ، نَجْمٌ هَدَايَةٌ ، خصوصاً لما هُدِيَ إليه من قَرْضِ الصَّلَاةِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وقد عَلِمَتْ مَنْزِلَةُ الصَّلَاةِ مِنَ الدِّينِ ، ومنها أَنَّهُ أَضَاءٌ فِي السَّمَاءِ / وَالْأَرْضِ . ومنها التشبيه بسرعة السَّيْرِ ، ومنها أَنَّهُ كَانَ لَيْلاً ، وهو وقت ظهور النُّجْمِ ، فهو لَا يَخْفَى عَلَى ذِي بَصَرٍ وَأَمَّا أَرْبَابُ الْبَصَائِرِ فَلَا يَمْتَرُونَ كَأَنِّي بِكَرِ الصَّدِيقِ - رضى الله عنه - » . انتهى .

وقال مجاهد في رواية عنه : « نجوم السماء كلها » . وجزم أبو عُبَيْدَةَ وقال : ذهب إلى لفظ الواحد بمعنى الجمع ، قال الشاعر :

فَبَاتَتْ تُعَدُّ النُّجُومَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ ^(٢)

أَيُّ تُعَدُّ النُّجُومَ . قال ابن جرير : « وهذا القول له وجه ، ولكن لا أعلم أحداً من أهل التأويل قاله » . انتهى .

قلت : قد تقدم نقله عن مجاهد ، ونقله الماوردي عن الحسن أيضاً . وقال الإمام الرازي : « ومناسبة ذلك أَنَّ النجوم يُهْتَكَلَى بها فَأَقْسَمَ بها لما بينهما من المشابهة والمناسبة » .
وقال ابن عباس في رواية عِكْرَمَةَ : أراد التي تُرَى بها الشياطين إِذَا سَقَطَتْ فِي آثَارِهَا

(١) سورة الرحمن آية ٦ .

(٢) صبح اليبين : صريح بأبي الإكلين جميعها ، وقائله الرازي ، انظر تفسير القرطبي (١٧٣ ص ٨٢) ،

عند استراق السمع . وهذا قول [أبى^(١)] الحسن الماوردى . وسببه أن الله تعالى لما أراد بَعَثَ محمد صلى الله عليه وسلم رسولا ، كَثُرَ انقضاض الكواكب قبل مولده ، فدُعِرَ أكثر العرب منها وفرعوا إلى كاهن ، كان يُخبرهم بالحوادث ، فسألوه عنها فقال : انظروا إلى البروج الاثني عشر فإن انقَضَ منها شيء فهو ذهاب الدنيا ، وإن لم ينقَضَ منها شيء فسيحدث في الدنيا أمرٌ عظيم ، فاستشعروا ذلك ، فلما بُعِثَ النبي صلى الله عليه وسلم كان هو الأمر العظيم الذى استشعروه ، فأنزل الله تعالى : (وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ) ، [أى ذلك النجم الذى هوى^(٢)] هوى لهذه النبوة التى حدثت .

الإمام الرازى : « إن الرجوم تبعد الشياطين عن أهل السماء والأنبياء يبعدون الشياطين عن أهل الأرض .

ابن القيم : « وهذه الراوية عن ابن عباس أظهر الأقوال ، ويكون الحق سبحانه وتعالى قد أقسم بهذه الآية الظاهرة المُشَاهِدَةِ التى نصبها آيةً وحفظاً للوحى من استراق الشياطين له ، على أن ما أتى به رسوله حقٌ وصِدْقٌ لا سبيل للشياطين ولا طريق لهم إليه ، بل قد حرس بالنجم إذا هوى رسداً بين يدى الوحي وحرساً له ، وعلى هذا فالارتباط بين المُقَسَّم به والمُتَقَسَّم عليه فى غاية الظهور ، وفى المُقَسَّم به دليلٌ على المُقَسَّم عليه ، فإن النجوم التى تُرْمَى بها الشياطين آيات من آيات الله تعالى ، يحفظ بها دينه ووحيه ، وآياته المُنَزَّلَةُ على رُسُلِهِ ، بها ظهر دينه وشرعه ، وأساؤه وصفاته . وجُعِلَت هذه النجوم المُشَاهِدَةُ خدماً وحرساً لهذه النجوم المُهَادِيَةِ . وليس بالبَيِّن تسمية القرآن عند نزوله بالنجم إذا هوى ولا تسمية نزوله هويّاً ، ولا عهد فى القرآن بذلك فيُحْمَلُ هذا اللفظ عليه وليس بالبَيِّن أيضاً تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها إذا غابت ، وليس بالبَيِّن القسم بالنجوم عند تنائها يوم القيامة ، بل هذا مما يُقَسِّمُ الرب عليه ، ويدل عليه آياته ، فلا يجعله نفسه دليلاً لعدم ظهوره للمُخَاطَبِينَ ولاسيا منكرو البعث . فإنه سبحانه وتعالى إنما يستدل بما [لا^(٣)] يمكن جحدله ولا المكابرة فيه ، فأظهر الأقوال قول الحسن وابن كثير وهذا القول له اتجاه .

(١) الماوردى هو أبو الحسن على بن محمد بن حبيب .

(٢) إضافة من تفسير القرطبي (ج ١٧ ص ٨٣) لفهيط السباق .

(٣) إضافة لا يستقيم المعنى بدونها ،

الخامس : في الكلام على « هَوَى » :

السمين : « العامل في « إذا » إما فِعْلُ الْقَسَمِ المحلوف وتقديره : أَقْسِمُ بالنجم وقت هَوَيْهِ . قال أبو البقاء وغيره : « وهو مُشْكِلٌ ، فَإِنْ فِعْلُ الْقَسَمِ لإنشاء ، والإنشاء حال . و « إذا » لِمَا يُسْتَقْبَلُ من الزمان ، فكيف يتلاقيان ؟

الطبيي نقلاً عن المقتبس : « الوجه أن « إذا » قد انسلخ عنها معنى الاستقبال ، وصار / للوقت المجرد ، ونحوه : آتِيكَ إِذَا احْمَرَّ البُسْرُ ، أى وقت إحمراره ، فقد جُرِّيَ عن ٣٣٣ظ معنى الاستقبال لأنه وقت الغيبة عنه ، بقوله : آتِيكَ .

قال الشيخ عبد القاهر : « إخبار الله تعالى بالمتوقع يقوم مقام الإخبار بالواقع ، إذ لا تكلف فيه ، فيجرى المستقبل مجرى المُحَقَّقِ الماضي .

السمين : « وإما مُقَدَّرٌ على أنه حال من النَجْمِ ، إذ أقسم به حال كونه مُسْتَقْبَرًا في زمان هَوَيْهِ . وهو مُشْكِلٌ من وَجْهَيْنِ : أحدهما : أَنَّ النَجْمَ جُزْءٌ ^(١) والزمان لا يكون حالاً عنها ، كما لا يكون خبراً . الثانى : « إذا » للمستقبل ، فكيف تكون حالاً ؟

وأجيب عن الأول : المراد بالنجم القطعة من القرآن ، والقرآن ، نزل مُنْجَمًا في عشرين سنة . وهذا تفسير ابن عباس وغيره . وعن الثانى : بأنها حال مُقَدَّرَةٌ ، وأما العامل [فهو] نفس النجم الذى أريد به القرآن ، قاله أبو البقاء . وفيه نظر لأن القرآن لا يعمل في الظرف ، إذا أريد به أنه اسم لهذا الكتاب المخصوص . وقد يقال إن النَجْمَ بمعنى المُنْجَمِ كأنه قيل : والقرآن المُنْجَمُ في هذا الوقت .

(١) هذه الفاحشة ذكرها ابن مالك في ألفيته قائلا : ولا يكون اسم زمان خبراً من جهة وإن يقع فأخباراً . وقال ابن عقيل في شرح هذا البيت : ظرف المكان يقع خبراً من الجملة نحو : زيد عندك . وعن الحنفى نحو : القفال عندك . وأما ظرف الزمان فيقع خبراً من المفعول منصوباً أو مجروراً بنى ، نحو : القفال يوم الجمعة أو في يوم الجمعة ، ولا يقع خبراً من الجملة . قال المصنف : إلا إن أراد كقولهم : الليلة الهلال ، والربط خبرى ربيع . فإن لم يقع خبراً من الجملة ، فهو زيد اليوم ، وإلى هذا ذهب قوم ، منهم المصنف . وذهب غير هؤلاء إلى المنع مطلقاً . فإن جاء فى من ذلك أول ، نحو قولهم : الليلة الهلال ، والربط خبرى ربيع ، فإن التقدير طلوع الهلال الليلة ووجد الربط خبرى ربيع . هذا ملحق بجمهور البصريين . وذهب قوم ، منهم المصنف إلى جواز ذلك من غير شرط لكن بشرط أن يفيد كقولك : نحن في يوم طيب وفى شهر كذا ، وإلى هذا أشار بقوله : وإن يقع فأخباراً ، فإن لم يقع امتنع نحو : زيد يوم الجمعة . انظر هاشم حاشية أنطرس على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج ١ ص ١١٧ ، يولاق سنة ١٢٩١ هـ .

المصباح : هَوَى يَهْوِي [من باب ضَرَبَ ^(١)] هَوِيًّا بضمّ الهاء وفتحها ، وزاد ابن القوطية ^(٢) هواء بالمَدَّة ^(٣) ، سقط [من أعلى ^(٤)] إلى أسفل قاله أبو زيد وغيره . قال الشاعر ^(٥) :
فَشَحَّ ^(٥) بها الأماعِزُ وهى تَهْوِي هَوَى الدَّلْوِ أَسْلَمَهَا الرِّشَاءُ ^(٦)
يُرْوَى بالفتح والقَم ^(٧) .

الراغب : « الهوى سقوط من علوّ » . ثم قال : « والهوى ذهاب فى إنحدار والهوى ذهاب فى ارتفاع » . وقيل : « هوى فى اللغة مَقْصِدُهُ السفل أو مصيره إليه وإن لم يقصده » . وقال أهل اللغة : هَوَى بفتح الواو يَهْوِي هَوِيًّا سقط من علوّ ، وهَوَى يَهْوَى هَوَى أى صَبَا .
القرطبي : هَوَى وانهوى [فيه ^(٨)] لغتان بمعنى وقد جمعهما الشاعر ^(٩) فى قوله :

[وكم منزل ^(١٠)] لولائى طِئْتُ كما هَوَى بأَجْرَامِهِ من قُلَسَةِ النُّبُقِ مُنْهَسِوِي

النُّبُقِ بكسر النون المُشَدَّدَةِ أرفع موضع فى الجبل .

الإمام الرازى : « الغائدة فى تقييد القَسَمِ بالنجم بوقت هَوِيَّته أنه إذا كان فى وسط السماء بعيداً عن الأرض لا يهتدى به السارى ، لأنه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال : فإذا زال تَبَيَّنَ بزواله ، وتَمَيَّزَ جانبٌ عن جانب ، كذلك النبى صلى الله عليه وسلم خُفِضَ جناحه للأومنين ، وكان على خلق عظيم وخصَّ الهَوَى دون الطلوع لعموم الاهتداء به فى الدين

(١) التكلة من المصباح الخيز للقيوم .

(٢) نص عبارة ابن القوطية فى كتابه الألفاظ (ص ١٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢ م) : هوى الشئ مات أو سقط فى هواء من شرف هواء عديد وهويًا .

(٣) فى الأصول : سراً وهو تحريف .

(٤) فى الأصول : تيسح وهو تحريف .

(٥) جاء فى شرح ثعلب لهذا البيت : شج : علا ، بها : بالأتن ، والأمز والمزء والجمع الأماعز : المكان الفليلد الكثير الحصى ، وأسلمها : غفلها ، والرشاء : الخبل وغذله انقطاعه ، ويقال : هوى الشئ يَهْوِي هَوِيًّا إذا أسرع ، فشبه هوى الخبل إذا انقطع بهوى الأتن . وزاد محقق الشرح بقوله : الذى فى البيت أنه شبه الأتن فى سرعتها وانقضاضها فى علوها فبالدلو إذا انقطع جبلها . وقال الأعلام : وإنما ضرب المثل بالدلو لكثرة استهلاكها ، وهم يفربون المثل كثيراً بما ينفرونه ويستعملونه . راجع شرح ديوان زهير لطلبة القاهرة سنة ١٩٤٤ م ص ٦٧ .

(٦) أى هوى وهوى .

(٧) زيادة من الحكم بن أبى العاص الثقفى .

(٨) سابقة من الأصول والتكلة من الكشف وتفسير القرطبي .

والدنيا . أما الدينوى فليما ذكر ، وأما الدينى فكما قال الخليل صلى الله عليه وسلم (لَا أُجِبُ
الْأَقْلِينَ^(١)) وفيه لطيفة وهى أن القَسَمَ بالنجم يقتضى تعظيمه ، وقد كان من المشركين
من يعبد ، فنبّه بهوئيه على عدم صلاحيته للإلهية ، وهوئيه أقوله :

السادس : فى الكلام على قوله : « مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى » :

السمين : « هنا جواب القَسَم » .

الإمام الرازى والبرهان النسفى : « أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ قَالُوا : لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ الضَّلَالِ وَالغَى .
وقال بعضهم : إن الضلال فى مقابلة الهدى ، والغى فى مقابلة الرشد ، قال تعالى : (وَإِنْ
يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّبِعُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّبِعُوهُ سَبِيلًا^(٢)) ، وتحقيق
الفرق فيه أن الضلال أعم استعمالاً / فى المواضع ، [تقول^(٣)] : ضَلَّ بعيرى ورخلى
ولا تقول : غَوَى ، فالمراد من الضلال ألا يجد السالك إلى مقصده طريقاً مستقيماً . والغواية
ألا يكون له إلى القصد طريق مستقيم ، ويدل على هذا أنك تقول للمؤمن الذى ليس على
طريق السداد : إِنَّ سَعْيَهُ غَيْرُ رَشِيدٍ ، ولا تقول : إِنَّهُ ضَالٌّ . فالضال كالكافر ، والغاوى
كالفاسق ، فكأنه تعالى قال : « مَا ضَلَّ » أى ما كثر ، ولا أقل من ذلك ، فما فسق ،
ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى : (فَإِنْ أَنْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا^(٤)) الآية . أو يقال : الضلال كالعدم
والغواية كالوجود الفاسد فى الدرجة والمرتبة . ويحتمل أن يكون معنى « مَا ضَلَّ » أى
ما جنَّ ، فإن المجنون ضالٌّ ، وعلى هذا فهو كقوله تعالى (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ^(٥))
الآية . فقوله : (وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ^(٦)) ، إشارة إلى أنه ما غَوَى بل هو رشيد
مرشيد إلى حضرة الله تعالى . وقوله : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ^(٧)) ، إشارة إلى قوله هنا :
(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى^(٨)) ، فإن هذا خُلُقٌ عظيم . وقد أشار قوله تعالى « مَا ضَلَّ » إلى أنه على
الطريق ، « وما غَوَى » إشارة إلى أنه على الطريق المستقيم (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) إلى
أنه مسلك الجادة ، ركب من الطريق ، فإنه إذا ركب متنه كان أسرع وصولاً إلى

(٢) سورة الأعراف آية ١٤٦ .

(٤) سورة النساء آية ٦ .

(٦) سورة القلم آية ٣ .

(٨) سورة النجم آية ٣ .

(١) سورة الأنعام آية ٧٦ .

(٣) إضافة لضبط السياق .

(٥) سورة القلم آية ٢ .

(٧) سورة القلم آية ٤ .

المَقْصِد ، ويمكن أن يقال إن قوله (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) دليلٌ على أنه ما ضَلَّ وما غَوَى ، وتقديره : كيف يَضِلُّ أو يَغْوِي وهو لا يَنْطِقُ عن الهوى ؟ وإنما يضل من يتبع هواه ، ويدل عليه قوله تبارك وتعالى : (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) (١) .

القرطبي : وقيل ما غوى ما خاب مما طلب [والغى الحَيَبَة (٢)] قال الشاعر (٣) :

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسَ أَمْسَرَهُ ومن يَغْوِ لا يَعْلَمُ عَلَى الْغَى لَائِمًا

أى من خاب فى طلبه لامة الناس ، ثم يجوز أن يكون إخباراً عما بعد الوحى ، ويجوز أن يكون إخباراً عن أحواله على التعميم ، أى كان أبداً مَوْحِداً لله . وهو الصحيح .

ابن القيم : نرى الله سبحانه وتعالى عن رسوله الضلال المُنَافى للهدى والغى المنافى للرشد ، فى ضمن هذا النفى الشهادة له بآنه على الهدى والرشد ، فالهدى فى علمه والرشد فى عمله ، وهذان الأصلان هما غاية كمال العبد ، وهما سعادته وصلاحه ، وهما وصف النبى صلى الله عليه وسلم خلفاءه ، فقال : « عليكم بسُنَّتِي وَسُنَّةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّينَ مِنْ بَعْدِي » (٤) .

« فالرَّاشِدُ ضد الغاوى ، والمهدى ضد الضال وهو الذى زكت نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح وهو صاحب الهدى ودين الحق ، لا يشتبه الراشد المهدى بالضالَّ الغاوى ، إلا عاراً ، أجهل المخلوق وأعماهم قلباً وأبعدهم من حقيقة الإنسانية ، ورحم الله القائل (٥) :

وما انتفاعُ أخى الدنيا بناظره إذا استوت عند الأنوار والظلم

والناس أربعة أقسام : الأول : ضالٌّ فى علمه ، غاوٍ فى قصده وعمله ، وهؤلاء سواد المخلوق ، وهم مخالفو الرسل . الثانى : مهتدٍ فى علمه غاوٍ فى قصده وعمله ، وهؤلاء هم الأمة العَصِيَّةُ وَمَنْ تَشَبَهَ بِهِمْ ، وهو حال كل من عرف الحق ولم يعمل به . الثالث : ضالٌّ فى علمه (٦) ولكن قصده الخير وهو لا يشعر ، الرابع : مهتدٍ فى علمه راشدٌ فى قصده / وهم ورثة الأنبياء ، وهم وإن كانوا الأقلين عدداً فهم الأكثرون عند الله قلداً ، وهم صفوة الله تعالى من خلقه .

(٢) قائله المرقش .

(١) سورة ص آية ٢٦ . (٢) إنباط من تفسير القرطبي .

(٤) أخرجه أبو داود وابن ماجه والدارقطني عنه والإمام أحمد فى مسنده .

(٥) قائله المتن .

(٦) فى الأصول : فى عمله واليه يفتقر أن يكون : فى علمه .

وَتَأْمَلْ كَيْفَ قَالَ تَعَالَى : (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ) ، ولم يقل : محمداً ، تأكيداً لإقامة الحجة عليهم بأنَّه صاحبهم ، وهم أعلم الخلق به وبحالهِ وأقوالهِ وأعمالهِ ، وأنَّهم لا يعرفونه يكذب ولا غيُّ ولا ضلال ، ولا ينقمون عليه أمراً واحداً قط . وقد نبَّه تعالى على ذلك بقوله : (أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ ^(١)) ، وبقوله : (وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ^(٢)) .

السانع : في الكلام على قوله : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) :

قال [تعالى] أولاً : « مَا ضَلَّ » و « وما غوى » ، بصيغة الماضي ، وعبر هنا بصيغة المستقبل ، وهو ترتيب في غاية الحسن ، أي ما ضلَّ حين اعتزلكم وما تبدلون حين اختلَّ بنفسه . وما ينطق عن الهوى الآن حيث أرسل إليكم وجَّبل شاهداً عليكم ، فلم يكن أولاً ضالاً ولا غاوياً ، وصار الآن مُنْقِذاً من الضلالة ومُرْشِداً وهادياً ، والله سبحانه وتعالى يصون من يريد إرساله في صِغَرِهِ عن الكفر والمعائب ، فقال تعالى : « مَا ضَلَّ » في صغره لأنَّه لا ينطق عن الهوى .

ابن عادل : « فاعل ينطق إما ضمير النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الظاهر ، وإما ضمير القرآن كقوله تعالى : (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ^(٣)) .

ابن القيم : تَنَزَّهَ تعالى عن نُطْقِ رسوله صلى الله عليه وسلم عن أن يصدر عن هوى ، وبهذا الكلام هداه وأرشده ، ولم يَقُلْ : وما ينطق بالهوى ، لأنَّ نَفْيَ نُطْقِهِ عن الهوى أبلغ ، فإنَّه يَتَضَمَّنُ أن نُطْقَهُ لا يصدر عن هوى ، وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به ؟ فَتَضَمَّنَ نَفْيَ الْأَمْرَيْنِ : نَفْيَ الْهَوَى عن مصدر النطق ، ونَفْيَهُ عن النطق نفسه ، فَتَضَمَّنَ بِالْحَقِّ ، ومصدره الْهَدَى والرَّشَاد ، لا الْهَى والضلال .

اللباب : قال النحاس : « قول قتادة أَوَّلَى وَتَكُونُ » عن « على بابها أي ما يَخْرُجُ نُطْقُهُ عن رأيهِ ، إنما هو بِوَحْيٍ من الله تعالى ، لَأَن يَعْدَهُ (إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ^(٤)) . وقيل ، هو بمعنى الباء ، أي ما ينطق بالهوى ، أي ما يتكلم بالباطل ، وذلك أنَّهم قلَّوا : إن محمداً يقول من تلقاء نفسه » . المصباح : الهوى مفصَّور مصدر هَوَيْتُهُ من باب تَعَبٍ إذا أَحْبَبْتَهُ

(١) سورة المؤمنین آية ٦٩ .

(٢) سورة التکویر آية ٢٢ .

(٣) سورة التجم آية ٤ .

(٤) سورة الجاثية آية ٢٩ .

وَعَلِقَتْ بِهِ ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى مِيلِ النَّفْسِ وَانْحِرَافِهَا عَنِ الشَّيْءِ ثُمَّ اسْتَعْمِلَ فِي مِيلِ مَذْمُومٍ
فَيُقَالُ اتَّبَعَ هَوَاهُ .

الإمام البیهقي : « وأحسن ما يقال في تفسير الهوى أنه المحبة ، لكن من النفس ،
يقال هَوَيْتُهُ بمعنى أحببته . والحروف التي في هَوَى^(١) تدل على الدنو والنزول والسقوط
ومنه الهواية ، فالنفس إذا كانت دنيئة وتركت العالي وتعلقت بالفسافس فقد هَوَتْ
فاختص الهوى بالنفس الأمارة بالسوء . »

الشعبي : « إنما سُمِّيَ الهوى هَوَى لَأَنَّهُ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ . » وقال بعض الحكماء : « الهوى
إله معبود ، له شيطان شديد ، يخدمه شيطان مريد ، فمن عبَدَ أوثانه ، وأطاع سُلْطَانَهُ ،
وَاتَّبَعَ شَيْطَانَهُ . خَسِمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قَلْبِهِ ، وَحُرِمَ الرَّشَادَ مِنْ رَبِّهِ ، فَأَصْبَحَ صَرِيعَ غِيَّهِ ،
غَرِيقَ ذَنْبِهِ ، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمِهِ وَخَسِمَ
عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ، فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ^(٢)) وقال
تعالى : (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ^(٣)) . »

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ثلاث مُنْجِيَاتٍ وثلاث مُهْلِكَاتٍ ، فالمنجيات : خشية
الله في السرِّ والعَلَانِيَةِ ، والحكم بالعدل في الرضا والغضب ، والاقتصاد في الفقر والغنى ،
والمهلِكَاتُ : شُحٌّ مَطَاعٌ ، وهوى مُتَّبَعٌ ، وإعجاب المرء برأيه^(٤) . » رواه البزار عن أنس .

وقال صلى الله عليه وسلم : ما تحت ظل السماء من إله يُعْبَدُ من دون الله ، أعظم عند الله
من هَوَى مُتَّبَعٍ^(٥) . رواه الطبراني عن أبي أمامة . وقال بعض الحكماء : « الهوى خادع
الألباب ، صَادٌّ عَنِ الصَّوَابِ ، يُخْرِجُ صَاحِبَهُ مِنَ الصَّحِيحِ إِلَى الْمَغْتَلِّ ، وَمِنَ الصَّرِيحِ إِلَى الْمُخْتَلِّ ،
فَهُوَ أَعْمَى يُبْصِرُ ، أَصَمٌّ يَسْمَعُ . » كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « حُبُّ الشَّيْءِ يَعْصِي

(١) لتحديد الفرق في مادة هوى بين معنى السقوط والمحبة نقول : هوى هوى من باب ضرب هوى أي سقط من أعلى
إلى أسفل يفتح الهاء وضمة في هوى . وهوى هوى من باب تنب وفرح هوى أي أحب .

(٢) سورة الجاثية آية ٢٣ . (٣) سورة القصص آية ٥٠ .

(٤) روى وإعجاب المرء بنفسه . انظر الجالغ الصغير للسيوطي (١٣٨ ص ١٣٧٢) القاهرة سنة ١٣٧٢ هـ .

(٥) في رواية أبي أمامة قال : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : ما عبد تحت السماء إله أبغض إلى الله من
الهوى . وفي هذا المعنى روى شداد بن أوس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت ، والفاجر من اتبع هواها وتغنى على الله .

وَيُصِمْ^(١) . وقال آخر : « على قدر بصيرة العقل يرى الإنسان الأشياء ، فمن سلم عقله من الهوى يراها على حقيقتها ، والنفس الكليّة المتبعة لهاها ترى الأشياء على طبيعتها . وقيل كان على خاتم بعض الحكماء : « من غلب هواه على عقله افتضح » . وقال ابن دُرَيْد في مقصوده :

وَأَفَةُ الْعَقْلِ الْهَوَى فَمَنْ عَلَا
عَلَى هَوَاهُ عَقْلُهُ فَقَدْ نَجَا

الثامن : في الكلام على قوله تعالى : (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) .

الإمام الرازي : « هذا نكلة للبيان ، وذلك أن الله تعالى لما قال : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) كَأَنَّ قائلًا يقول فَعَمَّ ذَا يَنْطِقُ ، أعزّ الدليل والاجتهاد ؟ فقال : لا ، إنما يَنْطِقُ عن حضرته تعالى بالوحي ، وهذا اللفظ أبلغ من أن لو قيل : هو وَحْيٌ يُوحَى . وكلمة « إِنْ » اسْتَعْمِلَتْ مكان « ما » للنفي ، كما اسْتَعْمِلَتْ « ما » للشرط مكان « إِنْ » . الباب : « يُوحَى صِفَةٌ لَوَحْيٍ ، وفائدة المجيء لهذا الوصف أنه يَنْفِي المجاز ، أي هو وَحْيٌ حقيقة لا مُجَرَّد تسمية كقولك : هذا قَوْلٌ يُقَالُ . وقيل تقديره : يُوحَى إِلَيْهِ ، ففيه مزيد فائدة . ونقل القرطبي عن السجستاني أنه قال : « إِنْ شِئْتَ أَبَدْتَ » (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) من (مَا صَلَّ صَاحِبِكُمْ) قال ابن الأنباري : وهذا غلط لأنَّ إِنْ الخفيفة لا تكون مُبْدَلَةً من « ما » بدليل أنك لا تقول : والله ما قُبِيتُ إِنْ أَنَا لِقَاعِدُ .

ابن القيم : « أعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل ، أي ما نطقه إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ، وهذا أحسن من قول مَنْ جعل الضمير عائداً إلى القرآن فإنه يُمْ نُطْقُهُ بِالْقُرْآنِ والسُّنَّةِ ، وأن كليهما وَحْيٌ . قال الله تعالى : (وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ^(٢)) وهما القرآن والسُّنَّةُ .

وروى الداربي عن يحيى بن أبي كثير قال : « كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسُّنَّةِ كما ينزل عليه بالقرآن » . قلت وفي الصحيحين أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة^(٣) [فقال : يا رسول الله^(٤)] كيف ترى في رجل أحرم

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده . (٢) سورة النساء آية ١١٣ .

(٣) غلبها ياقوت في معجم البلدان (ج ٣ ص ١٠٩) قائلا : بكسر أوله إجماعاً ، ثم إن أصحاب الحديث يكسرون منه ويشدون راءه ، وأهل الإيقان والأدب يخطونهم ويسكتون إلهين ويثقفون الراء .

(٤) زيادة من صحيح البخاري كتاب الحج باب غسل الخلق ج ٢ ص ٢٦٩ .

بِعُمْرَةٍ بَعْدَ مَا تَصْمَعُ بِالْمَخْلُوقِ^(١) ؟ فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سكت^(٢) . فجاءه الوحى ، ثم سُرِّي عنه ، فقال : أين السائل ؟ فجيء به فقال : انزع عنك الجبة واغسل أثر الطيب^(٣) واصنع في عُمرتك ما تصنع في حِجَّتِكَ .

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمرو [بن العاص] رضى الله عنهما قال : كنتُ أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أريد حفظه ، فنهتنى قريش وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم [بَشَرٌ^(٤)] يتكلم فى [الرضا^(٥)] والغضب . فأمسكت عن الكتابة حتى ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، [فأولمَّ بأصبعه إلى فيه^(٦)] وقال : ۞ ۳۳۵ ۞ اكتب فوالذى نفسى بيده / ما يخرج منى إلا حقاً .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لا أقول إلا حقاً » . وقال بعض أصحابه : « إنك تداعبنا يا رسول الله ، قال : إني لا أقول إلا حقاً » .

وروى الإمام أحمد والطبراني والضياء^(٧) فى صحيحه عن أبي أمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَيْدُنْخُنُ الْجَنَّةِ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِثْلِ الْحَيِّينِ أَوْ مِثْلِ أَحَدِ الْحَيِّينِ رِبِيعَةً وَمُضَرٌ . فقال رجل : يا رسول الله وما رِبِيعَةٌ وَمُضَرٌ ؟ قال : إني ما أقول إلا ما أقوله - الثانى بضم الهمزة وفتح القاف والاولو الْمُشْدَدَةُ - أى ما يُؤَوِّلهُ الله لى من الوحى ، ولهذا مزيد بيان فى أبواب عِصْمَتِهِ .

الإمام الرازى : « هو ضمير معلوم أو ضمير مذكور ، فيه وجهان : أشهرهما أنه ضمير معلوم ، وهو القرآن ، كأنه تعالى يقول « ما القرآن إلا وحى » ، وهذا على قول من قال : ليس المراد بالنجم القرآن ، وأما على قول من قال : هو الوحى فضمير مذكور . والوجه

(١) المخلوق ضرب من الطيب . (٢) رواية البخارى : فسكت التى ساعة .

(٣) نص الحديث كما أخرجه البخارى : اغسل الطيب الذى بك ثلاث مرات . . إلخ . وفى تمامه : قلت لبطاء أراد الإلتقاء حين أمره أن يغسل ثلاث مرات . قال نعم .

(٤) زيادة من سنن أبي داود نقلا عن تفسير الوصول لابن الدبيح الشيبانى (ج ٣ ص ٦ القاهرة سنة ١٣٤١) .

(٥) هو الضياء المقدسى .

الثاني: أنه عائد إلى مذكور ضمناً ، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم وكلامه ، وذلك لأن قوله تعالى : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) في ضمنه النطق وهو كلامٌ وقَوْلٌ ، فكأنه تعالى يقول : وما كلامه ولا نطقه إلا وَحْيٌ . وفيه وجه آخر ، وهو أن قوله تعالى : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) ردُّ على الكفرة حيث قالوا : قَوْلُهُ قَوْلُ كَاهِنٍ ، وقالوا : قَوْلُهُ قَوْلُ شَاعِرٍ ، فقال تعالى : (إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) ، وليس بقول شاعر كما قال تعالى : (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ، وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ^(١)) .

وقوله تعالى : « إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ » ، أبلغ من قول القائل : هو وَحْيٌ ، وفيه فائدة غير المبالغة ، وهي أنهم كانوا يقولون : هو قول كاهن ، هو قول شاعر . والمراد نفى قولهم وذلك يحصل بصيغة النفي فقال : ما هو كما نقولون ، وزاد فقال : بل هو وَحْيٌ .

أنوار التنزيل : « اجْتَبِهْ هذه الآية مَنْ لَمْ يَرَ الاجتهاد للنبي صلى الله عليه وسلم .. وأُجِيبَ عنه بأنه إذا أُوحِيَ إليه أَنْ يجتهد كان اجتهاده وما يُسْتَدُّ إليه واجباً وفيه نظر لأن ذلك حينئذ بالوحي » .

الطبيعي : « هذه الآية واردة في أمر التنزيل وليس فيها لِمُسْتَدِّلٍ أَنْ يَسْتَدِلَّ شيئاً من أمر الاجتهاد نفيّاً ولا إثباتاً ، لأن الضمير في « هو » للقرآن ، بدليل من قَسَرَ النجم بنجوم القرآن » . وبَسَطَ الكلام على ذلك ، ثم أورد حديث طلحة بن عبيد الله في تأييد ^(٢) النخل ، وسيأتي مع الكلام عليه في أبواب عصمته صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام الرازي : « القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجتهد خلاف الظاهر ، فإنه في الحرب اجتهد وحَرَّمَ ، قال الله تعالى : (لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ^(٣)) ، وأَذِنَ . قال الله تعالى : (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ^(٤)) .

التاسع : في الكلام على قوله تعالى : « عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ » .

التبتيان : « أخبر تعالى عن وصف من عَلَّمَهُ بالوحي أنه مضادٌ لأوصاف الشيطان

(١) سورة الحاقة آية ٤١ و٤٢ .

(٢) من أبر النخل يأبره أبراً وإيراداً لقسه ، وكذلك أبر النخل تأبيراً .

(٣) من الآية الأولى من سورة التحريم . (٤) سورة القوة آية ٤٣ .

مُعَلِّمُ الضَّلَالَةِ وَالْغَوَايَةِ ، وهذا نظير قوله تعالى (ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ ^(١)) وفي وصفه بذلك تنبيه على أمور :

الأول : أنه بقوته يمنع الشياطين أن تَذُنُو منه وأن ينالوا منه شيئاً أو يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ، بل إذا رآه الشيطان هرب منه ولم يَقْرَبْهُ .

الثاني : أنه موال لهذا الرسول الذي كَذَّبْتُمُوهُ وَمَعَاذُ لَهُ وَمُؤَادُّ لَهُ وَنَاصِرُهُ ، كما قال تعالى : (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ^(٢)) الآية . ومن كان هذا القَوِيُّ وَلِيَّهُ ومن أنصراه وأعاناه ومُعَلِّمُهُ ، فهو المَهْدِيُّ المنصُورُ ، والله هاديهِ وناصِرُهُ .

الثالث : أن من عادى هذا الرسول فقد عادى صاحبه وَوَلِيَّهُ / جبريل ، ومن عادى ذَا الْقُوَّةِ وَالشَّهَادَةِ فهو عرضة للهلاك .

الرابع : أنه قادر على تنفيذ ما أُمِرَ به بقوته فلا يعجز عن ذلك مُؤَادُّ لَهُ كما أُمِرَ .

السمين : « فاعل عَلَّمَهُ جبريل صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر . قال المازدي والقرطبي إنه قول الجميع إلا الحسن ، فإنه فاعل ، قال هو الباري تعالى لقوله عَزَّ وَجَلَّ : (الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ ^(٣)) » ويكون ، « ذو مِرَّة » تمام الكلام .

الباب : يجوز أن تكون هذه الهاء للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الظاهر ، فيكون المفعول الثاني ملحوظاً أى علمه النبي صلى الله عليه وسلم الوحي أى الموحى ، ويجوز أن يكون للقرآن والوحي ، فيكون المفعول الأول ملحوظاً أى علمه النبي .

الإنعام الراى : « الأولى أن يقال الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم ، تقديره عَلَّمَ محمداً شليدُ القَوِيُّ جبريل ، وحينئذ يكون عائداً إلى صاحبكم ، تَقْدِيرُهُ : ما ضَلَّ صاحبكم ، وشليدُ القَوِيُّ هو جبريل ، أى قواه العلمية والعملية كلها شديدة ، ثم فى قوله : (شَدِيدُ الْقَوَى » فوائد :

الأولى : أن مدح الْمُعَلِّمِ مَذْحٌ لِلْمُعَلَّمِ ، فلو قال : عَلَّمَهُ جبريل ولم يصفه ما كان يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم فضيلة ظاهرة .

(١) سورة التكرير آية ٢٠ .

(٢) سورة التحريم آية ٤ .

(٣) سورة الرحمن آية ١ و٢ .

الثانية: أن فيه ردًّا عليهم بحيث قالوا : أساطير الأولين ، فقال : لم يُعلم أحدٌ من الناس بل علمه شديد القوى .

الثالثة : فيه الوثوق بقول جبريل صلى الله عليه وسلم ، في قوله تعالى : « شديد القوى » جميع ما يوجب الوثوق لأن قوة الإدراك شرط الوثوق بقول القائل على ما عرف ، وكذلك قوة الحفظ ، فقال : (شديد القوى) ليجمع هذه الشرائط ، فيصير كقوله تعالى : « ذى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ، مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ ^(١) » .

اللباب : « شديد القوى من كافة الصفة المشبهة لرفعها فهي غير حقيقية ^(٢) » ، هذا ما جزم به الزمخشري وتابعوه . وقال صاحب الكفيل : « بل هي مضافة إلى مفعولها ، وبسط الكلام على ذلك ، والشديد البين القوة » .

روى ابن عساكر عن معاوية بن قرة - بضم القاف وتشديد الراء - رضى الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : « مَا أَحْسَنَ مَا أَتْنِي عَلَيْكَ رَبُّكَ : » ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ، مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ « ما كانت قُوَّتُكَ وما كانت أَمَانَتُكَ ؟ قال : أما قُوَّتِي فَأَنِّي بُعِثْتُ إِلَى مَدَائِنَ لُوطَ وَهِيَ أَرْبَعُ مَدَائِنَ ، وَفِي كُلِّ مَدِينَةٍ أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ سِوَى الذَّرَارِيِّ ، فَحَمَلْتُهُمْ مِنَ الْأَرْضِ السُّفْلَى حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ أَصْوَاتَ الدَّجَاجِ وَنُبَاحَ الْكِلَابِ ، ثُمَّ هَوَّيْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ . وَأَمَّا أَمَانَتِي فَلَمْ أَوْمَرْ بِشَيْءٍ فَعَدَوْتُهُ إِلَى غَيْرِهِ » . وقال محمد بن السائب : « من قوة جبريل أنه اقتلع مدائن قوم لوط من الماء ^(٣) الأسود فحملها على جناحه حتى رفعها إلى السماء حتى أسمع أهل السماء نُبَاحَ كِلَابِهِمْ ^(٤) وصياح ديكِتهم ، ثم قلبها ، ومن قوته أيضاً أنه أبصر إبليس يكلم عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم على بعض عُقَابِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَنَفَحَهُ ^(٥) : بجناحه نفحةً فألقاه في أعصى جبل

(١) سورة التكاوير آية ٢٠ و ٢١ .

(٢) هكذا في الأصول ويوضح هذه العبارة ما ذكره الزمخشري في الكشف (ج ٢ ص ٣٦٠) في تفسير « شديد القوى » إذ قال : ملك شديد قواه والإضافة غير حقيقية لأنها إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها وهو جبريل عليه السلام .

(٣) وفي رواية من الأرض السفلى بدلا من الماء الأسود .

(٤) نفحه بالحاء المهملة ، نفع ينفع نفحاً من باب فنع ومن معانها : ضرب تقول نفحت الدابة الرجل ضربته بحد حافرها ، ونفع فلاناً بالسيف ضربه به ضربة خفيفة .

بالهند . ومن قوته هبوطه من السماء على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ، وصعوده إليها في أسرع من طرفة عين .

العاشر : في الكلام على قوله تعالى : « ذُو مِرَّةٍ » .

القرطبي : قال قطرب : تقول العرب لكل جَزَلٍ الرَّأْيُ حصيف العقل ذُو مِرَّةٍ ، قال الشاعر :

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقَاكُمْ ذَا مِرَّةٍ عِنْدِي لِكُلِّ مُخَاصِمٍ مِيزَانُهُ

وكان من جزالة رأيه وحصافة عقله أن الله تعالى ائتمنه على وحيه إلى جميع رُسُلِهِ .

الجوهرى : « والبرَّةُ القوة وشدة العقل ، ورجل مَرِيرٌ أى قَوِي ذُو مِرَّةٍ . قال (١) :

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدِرِيهِ وَحَشَوُ ثِيَابِهِ أَسَدُ مَرِيرٌ

ابن القيم : « أى جميل المنظر ، حسن الصورة ، ذو جلاله ، ليس شيطاناً ، أقبح خلق الله تعالى وأشوههم صورة ، بل هو من أجمل الخلق وأقوامهم وأعظمهم أمانة ومكانة عند الله ، وهذا تعديل لسند الوحي والنبوة ، وتزكية له ، كما ذُكِرَ نظيره في سورة التكويد ، فَوصَفَهُ بِالْعِلْمِ والقوة وجمال المنظر وجلالته . وهذه كانت أوصاف الرسول البشرى والملكى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأعلمهم وأجملهم وأصفاهم نفساً .

الإمام : « في قوله : « ذُو مِرَّةٍ » وجوه : الأول : ذو قوة ، قلت ورواه القُرَيبَانِي عن مجاهد ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لَفَنَيْنِ وَلَا لِدَى مِرَّةٍ سَوِيٍّ (٢) » . رواه الإمام أحمد (٣) . الثاني : ذو كمال في العقل وفي الدين جميعاً . الثالث : ذو منظر وهيبة عظيمة . الرابع : ذو خُلُقٍ حَسَنٍ » . قلت زاد الماوردى خامساً : ذُو غَنَاءٍ .

(١) قاله هو العباس بن مرداس السلمي .

(٢) في النهاية لابن الأثير (ج ٤ ص ٨٨) المرة القوة والشدة والسوى الصحيح الأعضاء .

(٣) وكذلك رواه الترمذى .

قلت : ولا تنافى بين هذه الأقوال ، فإنه صلى الله عليه وسلم متصف بها . فإن قيل : على قولنا ذو مِرَّة ، قد تقدم بيان كونه شديد القوى ، فكيف تقول قواه شديدة وله قوة ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما : أن ذلك لا يحسن إذا كان وصفاً بعد وصف ، وأما إذا جاء بدلاً فيجوز ، كأنه قال : علمه ذو قوة ، ونزل شديد القوى فليس وصفاً له وتقديره ذو قوة عظيمة أو كاملة . الثانى : أن أفراد « مِرَّة » بالذكر ربما يكون لبيان أن قواه المشهورة شديدة وله قوة أخرى خصَّه الله تعالى بها .

على أننا نقول المراد ذو شدة وهى غير القوة ، وتقديره علمه من قواه الشديدة ، وقى ذاته أيضاً شدة ، فإن الإنسان ربما يكون كثير القوة صغير الجثة . وفيه لطيفة وهى أنه تعالى أراد بقوله : « شديد القوى » ، أى قوة العلم ، ويقول : « ذو مِرَّة » ، أى شدة فى الجسم ، قدَّم العِلْمِيَّة على الجِسْمِيَّة ، كما قال تعالى : « وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ^(١) » ، وتقدم الكلام على « ذو » فى اسمه صلى الله عليه وسلم : « ذو الوسيلة » ، فراجع .

المحادى عشر : فى الكلام على قوله تعالى : « فاستوى » ، وهو بالألف الأعلى .

الباب : « قال مكى : استوى يقع للواحد وأكثر ما يقع من اثنين ولذلك جعل القراء الضمير لاثنتين » .

الموردى والقرطبي : « فاستوى » يعنى جبريل أى ارتفع وعلا إلى مكانه فى السماء ، بعد أن علم محمداً صلى الله عليه وسلم ، قاله ابن المصَّب وابن جُبَيْر . وقال الإمام : « إنه المشهور » ، وقيل « فاستوى » أى ظهر فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها ، لأنه كان يأتى النهى صلى الله عليه وسلم فى صورة الآدميين كما كان يأتى [إلى] الأنبياء ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُرِيه نفسه التى خلقه الله عليها ، فأراه نفسه مرتين : مَرَّة فى الأرض ومَرَّة فى السماء ، فأما فى الأرض فى الأفق الأعلى ، وكان النهى صلى الله عليه وسلم بحيراء ، فطلع له جبريل من المشرق ، فسَدَّ الأرض إلى المغرب ، فَعَرَّ النهى صلى الله عليه وسلم مَغشياً عليه ، فنزل إليه فى صورة الآدميين وضمَّه إلى نفسه وجعل يمسح

النُّبَار عن وجهه ، فلما أفاق النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يا جبريل ما ظننتُ أن الله تعالى خلقني أحداً على مثل هذه الصورة . » فقال : يا محمد إنما نشرتُ^(١) جَنَاحَيْنِ من أجنحتي وأفان لي سِتَّائَةَ جَنَاحٍ سعة كل جَنَاح ما بين المشرق والمغرب . فقال : « إن هذا لعظيم » . فقال له : وما أنا في جَنَبٍ ما خلقه الله إلا يسيراً ، ولقد خلق الله تعالى لإسرافيل له سِتَّائَةَ جَنَاحٍ ، كل جناح قَدْرُ أجنحتي ، وإنه ليتضاعل أحياناً - يتضاعل بالضاد المعجمة والمهمز - من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوَصْع - بفتح الواو والصاد وبالعَيْن المهملتين^(٢) ، يعنى المصغور الصغير ، دليله قوله تعالى : (وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْمُبِينِ^(٣)) .

وأما في السماء فعند سِدْرَةِ المنتهى ، ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلا نبيينا صلى الله عليه وسلم .

ابن كثير : « وهذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء ، بل قبلها ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض في أوائل البعث بعد فترة الوحي » .

اللباب : « في الضمير وجهان : أحدهما : وهو الأظهر أنه مبتدأ ، « وبالأفق » خبره ، والضمير لجبريل أو للنبي صلى الله عليه وسلم . ثم في هذه الجملة وجهان : الأول : أنها حال من فاعل « فاستوى » قاله مكى . قال القرطبي : والمعنى فاستوى جبريل عالياً على صورته ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك رآه عليها حتى سأله إياها على ما ذكرنا » ، انتهى .

« الثاني : أنها مستأنفة ، أخبر الله تعالى بذلك ، ثانيهما : أن « وهو » معطوف على الضمير المستتر في استوى . وضمير استوى إما أن يكون لله تعالى وهو قول الحسن أو لجبريل أو لمحمد ، وهذا ضعيف ، لأنه يقال استوى هو وفلان ولا يقال استوى وفلان إلا في ضرورة الشعر ، والصحيح استوى جبريل وجبريل بالأفق الأعلى [على صورته الأصلية^(٤)] لأنه كان يتمثل للنبي صلى الله عليه وسلم [إذا نزل بالوحي^(٥)] في صورة رجل ، فأنجب النبي

(١) في الأصول : ثرت ، ولا يقال نثر الجناح وإنما يقال نشره وهذه عبارة القرطبي التي نقلها المؤلف .

(٢) جاء في النهاية لابن الأثير (ج ٤ ص ٢١٤) : إن العرش على منكب إسرافيل وإنه ليتواضع قد تعالى حتى يصير مثل الوصع ، يروي بفتح الصاد وسكونها وهو طائر أصغر من المصغور والجبع وصعان .

(٣) سورة التکویر آية ٢٣ .

(٤) زيادة من تفسير القرطبي .

صلى الله عليه وسلم أن يراه على صورته الحقيقية فاستوى جبريل في أفق المشرق فعلاً الأفق .

وروى الإمام أحمد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والبيهقي ، وأبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته ، له ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سد الأفق وتسقط من أجنحته التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم .

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس في الآية قال : سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل أن يراه في صورته ، فقال : ادع ربك ، فدعا ربه عز وجل ، فطلع عليه سواد من قبل المشرق ، فجعل يرتفع وينتشر ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم صيغ ، فاتاه فقرأ منه ومسح الغبار عن وجهه .

المصباح : « الأفق بضمتين الناحية من الأرض ومن السماء والجمع آفاق ، زاد في الصبح : والأفق بضمة فسكون مثل عشر وعشر » .

الموردي : « في الأفق الأعلى ثلاثة أقوال : أحدها : مطلع الشمس قاله مجاهد ، الثاني : هو بالأفق الذي يأتي منه النهار قاله قتادة يعني طلوع الفجر ، الثالث : هو أفق السماء وهو جانب من جوانبها ، قاله ابن زيد ، ومنه قول الشاعر :

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ
لَنَا قَمَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِمُ

الثاني عشر : في الكلام على قوله تعالى : (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) .

الإمام الرازي : « فيه وجوه : الأول : وهو أشهرها أن جبريل دنا من النبي صلى الله عليه وسلم / ، أي بعد ما مد جناحه وهو بالأفق الأعلى عاد إلى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها ، وقرب من النبي صلى الله عليه وسلم » .

القرطبي : « أي دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى » فتدلى « على النبي صلى الله عليه وسلم ، المعنى أنه لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم من عظمة جبريل ما رأى وما له ذلك ، رده الله تعالى إلى صورة آدمي حين قرب من النبي صلى الله عليه وسلم بالوحى . هذا قول الجمهور ، انتهى . وعليه ففي تدلى ثلاثة أقوال : الأول أن الدنو والتدلى بمعنى واحد كما قال : دنا فقرأ .

اللباب : « ذهب الفراء إلى أن الفاء في « قَتَلْتُ » بمعنى الواو ، والتقدير : ثم تلتى عليه الصلاة والسلام ودنا . ولكنه جائز إذا كان معنى التِّلْعَتَيْنِ واحداً قَدِمَتْ أَيْهَمَا شئت ، تقول دنا فَقَرُبَ ، وقَرُبَ فدنا ، وَشَتَمَنِي فأساء وأساء فشتمني لَأَنَّ الشَّمَّ والإساءة شيء واحد ، وكذلك قوله تعالى : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ^(١)) ، أى انشَقَّ القمر واقتربت الساعة . القول الثاني : في الكلام تقديم وتأخير ، تقديره : ثم تَدَلَّى من الأفق فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم . القول الثالث : أن دنا بمعنى قصد القُرْب من النبي صلى الله عليه وسلم وتحرك عن المكان الذى فيه فتَدَلَّى فنزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

الوجه الثاني : أن المراد دنا من ربه تبارك وتعالى ، والمراد بالدنو هنا المنزلة كما في قوله صلى الله عليه وسلم حاكياً عن ربه عز وجل : من تَقَرَّبَ مِنِّي شَيْئاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِراعاً ومن أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرولة^(٢) وهذا إشارة إلى المعنى ، ولهذا مزيد بيان في شرح القصة .

الوجه الثالث : دنا جبريل من ربه ، قاله مجاهد .

الوجه الرابع : أنه النبي صلى الله عليه وسلم ، دنا من ربه ، وَيُحْمَلُ هو والذي قبله كما قال الإمام الرازى . على القُرْب من المنزلة . والذي عليه الجَمُّ الغفير هو دنو جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم .

الثالث عشر : في الكلام على قوله تعالى : « فكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى » .

اللباب : « هاهنا مضافان محلومان لضبط لتقديرهما ، أى فكان مقدار مسافة قربه منه مقدار مسافة قاب » .

الإمام الرازى : « أى فكان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين أو أقل ، فهذا على استعمال العرب وعادتهم ، فإن الأَمِيرَيْنِ منهم أو الكبيرَيْنِ إذا اصطُلِحَا وتعايدا خرجا بقوسيهما ، جعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ، ومن دونهما من الرحمة يكون كَقَهْ بِكَفَّ صاحبه فيمُتَدَانِ بِأَحْوِيَّهِمَا ، لذلك لُفِظَ بِهَاتِهِمَا . وعلى هذا ففيه مقدار قَوْسَيْنِ أو كان جبريل سفيراً بين حضرة الله تعالى عنه ومحمد صلى الله عليه وسلم فكان كالتَّبَعِ لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فصار كالمُتَّبَاعِ الذى يَمُتُّ الباع لا القوس » .

(١) الآية الأولى من سورة القمر . (٢) طرف حديث أخرجه مسلم في صحيحه (شرح النووي ج ١٧ ص ٢) عن أبي هريرة .

اللباب : القاب : القَدَرُ تقول : هذا قاب هذا ، أى قَدَرُهُ ومثله : القيب والقاد والقيد والقيس .

الجوهري : « وقال بعضهم فى الآية أراد قابى قَوْسَ فقلبه . وفى الحديث الصحيح : لقاب قَوْسٌ أحكم [أو موضع قِدْه^(١)] من الجنة خَيْرٌ من الدنيا وما فيها . والقوس معروفة ، وهى ما يُرْمَى بها وهى مؤنثة^(٢) وشُنُوها فى تصغيرها ، فقالوا قويس من غير تأنيث ، وإنما ضُرب المثل بالقوس لأنها / لا تختلف بالقاب وإن لم يَجْر لها ذكر لعدم اللبس . »

الواحدى : « المراد بالقوس التى يُرْمَى بها عند الجمهور ، قال : وقيل المراد الذراع لأنها يُقاس بها . »

القرطبي : « وقال سعيد بن جبير ، وعطاء ، وأبو إسحق الهمداني ، وأبو وائل شقيق ابن سلمة « فكانَ قابَ قَوْسَيْنِ » أى قَدَرُ ذراعين ، والقوس الذراع يُقاس بها كل شيء ، وهى لغة بعض الحجازيين ، وقيل هى لغة أزد شنوءة أيضاً . قلتُ : ورواه ابن جرير وابن المنذر عن ابن مسعود أيضاً . »

قال الحافظ : وينبغى أن يكون هذا القول هو الراجح ، فقد روى الطبراني وابن مَرْدَوَيْهِ والضياء بسند صحيح عن ابن عباس قال : القاب والقيد والقوسان الذراعان .

اللباب : « أو » هنا كهى فى قوله تعالى : (أَوْ يَزِيلُونَ) لَأَن المعنى بِأحد هذين المقدارين فى رأى الرائي أى لتقارب ما بينهما [لا^(٣)] يشك الرائي فى ذلك . [وقال] ابن القيم : « أو » هنا ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة ، وأنها لا تزيد على قوسين البتة ، كما قال تعالى : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيلُونَ^(٤)) ، تحقيقاً لهذا القدر وأنهم لا ينقصون

(١) تكله نص الحديث من النسخة لابن الأثير (ج ٣ ص ٢٨٢) .

(٢) جاء فى صحيح الجوهري : القوس يذكر ويؤنث فمن أنث قال فى تصغيرها قويسة ومن ذكره قال قويس . ونقل الزبيدي فى تاج العروس عبارة الصحاح ولكنه زاد قاللا : وفى المحكم (لابن سيده) القوس التى يرى عنها أنى وتصغيرها قويس بغير هاء فلات عن القياس ولها نظائر حكاهما سيويه .

(٣) سورة الصافات آية ١٤٧ .

(٤) إضافة يقتضها السياق .

عن مائة ألف أو يزيدون رجلاً واحداً ، ونظيره قَوْلُهُ تعالى (ثم قَسَتْ قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدَّ قسوة^(١)) أى لا تنقص قسوتها^(٢) عن قسوة الحجارة ، بل إن لم تزد على قسوة الحجارة لم تكن دونها . وهذا المعنى أحسن وألطف وأدق من قول من جعل «أو» في هذا الموضع بمعنى بل ، ومن قول من جعلها للشك بالنسبة إلى الراى ، وقول من جعلها بمعنى الواو فتأمله ، وجزم بذلك ابن كثير .

الباب : «أدنى أفعَل تفضيل ، والمُفَضَّل عليه محذوف أو أدنى من قاب قوسين ، فمعنى الآية : ثم دنا جبريل بعد استوائه في الأفق الأعلى من الأرض ، فتَدَلَّى ، فنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان قاب قوسين أو أدنى بل أدنى .

تنبيه : هذا الذى قلناه من المُقْتَرَب الدَّانِى الذى صار بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم قاب قوسين أو أدنى ، إنما هو جبريل ، نقله القاضى عن الجمهور . وقال الحافظ عماد الدين بن كثير : إنه هو الصحيح فى التفسير ، كما دلَّ عليه كلام أكابر الصحابة . قال ابن القيم : لأن جبريل هو الموصوف بما ذكر من أول السورة إلى قوله : (ولقد رآه نزلةً أخرى ، عند سدرة المنتهى^(٣)) هكذا فسره النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لعائشة ، قالت عائشة رضى الله عنها : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ، فقال : «ذاك جبريل لم أره فى صورته التى خلُق عليها إلا مرَّتين» ، رواه مسلم ، ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك من وجوه :

الأول : أنه قال : (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) وهذا جبريل الذى وصفه بالقوة فى سورة التكويد^(٤) .

الثانى : أنه قال : «ذو مِرَّة» أى حسن خُلُق ، وهو الكريم فى سورة التكويد^(٥) .

الثالث : أنه قال : «فاستوى وهو بالأفق الأعلى» وهى ناحية السماء العليا وهذا استواء جبريل .

(٢) فى الأصول : قسها والسياق يقتضى قسوتها .

(١) سورة البقرة آية ٧٤ .

(٣) سورة النجم آية ١٣ و ١٤ .

(٤) الإشارة هنا إلى الآية العشرين من سورة التكويد : «فى قوة عند ذى العرش مكين» . (٥) سورة التكويد آية ١٩ .

الرابع : أنه قال : « ثم دنا فتَلَقَّى ، فكان قاب قوسين أو أدنى » ، فهذا دنو جبريل ، وقد نزل إلى الأرض حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسلم بها . وأما الدنو والتَلَقَّى في حديث المعراج فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان فوق سبع سموات .

الخامس : أنه قال : « ولقد رآه نزلةً أخرى ، عند سدرة المنتهى » . والذي عند السدرة قطعاً هو جبريل ، وبهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ذاك جبريل » .

السادس : أن الضمير في قوله / : « ولقد رآه » ، وقوله : « دنا فتَلَقَّى » ، وقوله : « فاستوى » ، ٣٣٨ ظ وقوله : « وهو بالأفق الأعلى » واحد ، فلا يجوز أن يُخَالَفَ بين المُفَسِّرِينَ من غير دليل .

السابع : أنه سبحانه وتعالى أخبر أن هذا الذي « دنا فتَلَقَّى » كان بالأفق الأعلى ، وهو أفق السماء ، فدنا من الأرض فتَلَقَّى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدنو والتَلَقَّى الذي في حديث شريك غير هذا ، وكذا جزم ابن كثير بأن الدنو والتَلَقَّى في حديث شريك غير الذي في الآية .

وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، في هذه الآية قال : « رأى بفؤاده مرتين^(١) » ، فجعل هذا إحداها ، ولهذا مزيد بيان في الباب الثالث .

الرابع عشر : في الكلام على قوله تعالى : (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى)^(٢) .

ابن عادل مُتَابِعاً للإمام الرازى : « في فاعل أوحى وجهان : الأول : أن الله تعالى أوحى ، وعلى هذا ففي « عبده » وجهان : أحدهما : أنه جبريل ، أى أوحى الله تعالى إلى جبريل ، وعلى هذا ففي فاعل أوحى الآخر وجهان : أحدهما : أنه الله تبارك وتعالى أيضاً . والمعنى حينئذ : فأوحى الله تعالى إلى جبريل الذى أوحاه الله تعالى أيهما [أكثر] تفضيماً وتعظيماً للموحى ، ثانيهما : فاعل أوحى الثانى جبريل ، أى أوحى الله تبارك وتعالى إلى جبريل ما أوحى جبريل ، وعلى هذا فالمراد من الذى أوحى إليه جبريل يحتمل وجهين : أولهما أن يكون مُبَيَّنّاً ، وهو الذى أوحى جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، ثانيهما أن يكون عاماً . أوحى الله تعالى إلى جبريل ما أوحى إلى كل رسول . وفيه بيان أن جبريل أمين لم

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٣ - ص ٧) .

(٢) سورة النجم آية ١٠ .

يُخْبَنُ فِي شَيْءٍ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ ، وهذا كقوله تعالى (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ^(١)) وقوله (مُطَاعِ
تَمَّ آمِينَ^(٢)) .

الوجه الثاني : في «عَبْدَهُ» ، على قولنا هو الله تعالى ، أنه محمد صلى الله عليه وسلم ،
أى أوحى الله تعالى إلى محمد ما أوحى إليه به أُنْهَمَهُ للتفخيم والتعظيم .

الوجه الثاني في فاعل أوحى الأول : هو أنه جبريل أوحى إلى عبده أى إلى عبد الله
بمضى محمداً صلى الله عليه وسلم ، ما أوحى إليه رَبُّهُ عز وجل ، قاله ابن عباس في رواية
عطاء ، والكلبى ، والحسن ، والربيع ، وابن زيد . وعلى هذا ففى فاعل أوحى الثانى وجهان :
أحدهما : أنه جبريل أى أوحى جبريل إلى عبد الله ما أوحى جبريل للتفخيم ، وثانيهما : أن
يكون هو الله تعالى أى أوحى جبريل إلى محمد ما أوحى الله تعالى إليه .

وفى «ما أوحى» وجهه : الأول : فضل الصلاة ، الثانى : أنَّ أحداً من الأنبياء لا يدخل الجنة
قبله ولا قبل أُمَّتِهِ . الثالث : أنَّ «ما» للعموم ، والمراد كل ما جاء به جبريل .

الخامس عشر : فى الكلام على قوله تعالى : «ما كَذَّبَ الْفُؤَادَ ما رَأَى» .

ابن القيم : «أخبر الله تعالى عن تصديق فؤاده لما رآته عيناه ، وأن القلب صدَّق
العين ، وليس كمن رأى شيئاً على خلاف ما هو به ، فكذَّبَ فؤاده بِبَصَرِهِ ، بل ما رآه
ببصره صدَّقَهُ الفؤاد وعِلِمَ أنه كذلك . يُقَالُ كَذَّبَتْ عَيْنُهُ وَكَذَّبَهُ قَلْبُهُ وَكَذَّبَهُ جَسَدُهُ إِذَا اخْلَفَ
ما ظَنَّهُ وَحَلَسَهُ . قال الشاعر :

كَذَّبَتْكَ^(٣) عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلامَ مِنَ الرَّبَابِ خَيْالاً

أى أَرَأَيْتَ ما لا حقيقة له . فنَفَى اللهُ تعالى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأخبر أن فؤاده لم يكذب ما رآه .

(١) سورة الشراء آية ١٩٣ .

(٢) سورة التكوثر آية ٢١ .

(٣) فى الأصول : كذبت . ورواية الأغاني (ج ٧ ص ٨١ دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٣٥ م) كذبتك نفسك .
وقال البيت الأخطل من قصيدة هجو فيها جريراً ويفتخر على قيس (ديوان الأخطل طبعة صالحاني ، بيروت سنة ١٨٩٠ م
ص ٣١) . وفى تاج المروس القلس محرقة ظلمة آخر الليل إذا اعتطلت بغضه الصباح ومنه الحديث كان يعمل الصبح بفلس .
وقال الأزهري القلس أول الصبح حتى ينتشر فى الأفق وكذلك النبس وهما سواد غطط ببياض وحمرة مثل الصبح سواه .

المواردى : « فى القواد قولان : أحدهما : أنه أراد صاحب القواد ، فعبر عنه بالقواد ، لأنه قُطِبَ الجسد وبه قَوَامُ الحياة . الثانى : أنه أراد نفس القواد لأنه محل الاعتقاد » .

اللباب : « قرأ هشام وأبو جعفر بتشديد/ الذال من « كَذَبَ » ، والباقون بتخفيفها . ٣٣٩ و
فأما الأولى فإن معناها أن ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم بعينه صدقه قلبه ، ولم ينكر الدارى « أل » لتعريف ما علم حاله لسبق ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله : « إلى عباده » وفى قوله (وهو بالافتق الأعل) وقوله (ما ضلَّ صاحبكُم) ، أى لم يقل إنه خيال لاحقيقة . و « ما » الثانية مفعول له موصولة ، والعائد محذوف ، ففاعل « رأى » ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم » .

وأما قراءة التخفيف فقليل فيها كذلك . وكَذَبَ يتعدى بنفسه . وقيل هو على إسقاط الخافض أى فيما رآه ، قاله مكى وغيره . قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

لو كُنْتُ صادقةً الذى حَدَّثَنِى^(١) لَنَجِوَتْ مَنَاجَا الحارثِ بنِ هشامٍ

أى فى الذى حَدَّثَنِى ، وجوز « ما » فى وَجَّهَيْنِ : أحدهما : أن تكون بمعنى « الذى » ، فيكون المعنى : ما كَذَبَ القواد الذى رأى بعينه ، والثانى : أن تكون مصدرية .

ابن القيم : فيكون المعنى : ما كَذَبَ قَوَادُهُ رُؤْيَتَهُ ، وعلى التقديرين فهو إخبار عن تطابق رؤية القلب لرؤية البصر وتوافقهما ، وتصديق كل واحد منهما لصاحبه ، وهذا ظاهر فى قراءة التشديد . وقد استشكلها طائفة منهم المبرد ، وقال فى هذه القراءة بُعد ، لأنه إذا رأى بقلبه فقد علمه أيضاً بقلبه ، وإذا وقع العلم فلا كذب معه ، فإذا كان الشيء فى القلب معلوماً فكيف يكون معه تكذيب ؟

والجواب عن هذا من وَجَّهَيْنِ : أحدهما : أن الرجل قد يتخيل الشيء على خلاف ما هو به فيكذبه قلبه ، إذ يبريه صورة المعلوم على خلاف ما هو عليه كما تكليبه عينه ، فيقال كذبه قلبه وكذبه ظنه وكذبت عينه ، فنفى ذلك سبحانه وتعالى عن رسول الله صلى الله

(١) صدر البيت فى ديوان حسان بشرح البرقوقي (القاهرة سنة ١٩٢٩ م ص ٣١٣) : إن كنت كاذبة الذى حدثنى ، وكذلك فى الأغاني (ج ٤ ص ١٦٩ دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٣١ م) .

عليه وسلم ، وأخبر أن ما رآه الفؤاد كما رآه ، كمن يرى الشيء على حقيقة ما هو به ، فإنه يصبح أن يقال لم تكذبه عينه . الثاني : أن يكون الضمير في « رأى » عائد إلى الرائي لا إلى الفؤاد ، ويكون المعنى : ما كذب الفؤاد ما رآه البصر ، وهذا بحمد الله لا إشكال فيه ، والمعنى : ما كذب الفؤاد بل صدقه ، وعلى القراءتين فالمعنى : ما أوهمه الفؤاد أنه رأى ولم يرَ وَلَا اتَّهَمَ بَصَرَهُ . انتهى .

اللباب تبعاً للإمام الرازي : « ويجوز أن يكون فاعل « رأى » ضميراً يعود على الفؤاد [أى] لم يشك قلبه فيما رأى بعينه » . قال الزمخشري : « [ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام ، أى ما قال فؤاده ، لما رآه : لم أعرفه ولو قال ذلك لكان كاذباً ، لأنه عرفه ، يعنى أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في أن ما رآه حق ^(١)] .

فما كذب الفؤاد ، هذا على قراءة التخفيف ، يقال كذبه إذا قال له الكذب ، وأما على قراءة التشديد فمعناه : ما قال إن الذى [رآه كان ^(٢)] خفياً لا حقيقة له . وأما الرائي فقليل هو الفؤاد كأنه تعالى قال : ما كذب الفؤاد ما رآه الفؤاد ، أى لم يقل إنه جنٌ أو شيطان ، بل تيقن أن ما رآه بفؤاده صدق صحيح . وقيل الرائي هو البصر أى ما كذب الفؤاد ما رآه البصر ، ولم يتدارك [أن ^(٣)] ما رآه البصر خيال . ويُحتمل أن تكون « أل » للجنس أى جنس الفؤاد ، ويكون المعنى : ما كذب الفؤاد ما رأى محمد صلى الله عليه وسلم ، أى شهدت القلوب بصحة ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم .

واختلفوا في المرئى ما هو ؟ فقال ابن مسعود ^(٤) رضى الله تعالى عنه : رأى [رسول الله

(١) ورد النقل في الأصول عن الزمخشري هكذا : قال معناه إن قلبه لم يكذب وما قال إن ما يراه بصره ليس بصحيح (ولو) قال فؤاده ذلك لكان كاذباً فيما قاله . وبالرجوع إل الكشف (ج ٢ ص ٣٦١ بولاق سنة ١٢٨١ هـ) اتضح أن عبارة الزمخشري مخالفة لما نقله المؤلف عنه فيها عدا جملة واحدة سقطت منها كلمة « لو » . لذلك آثرنا إثبات نص عبارة الزمخشري .

(٢) إضافة يقتضها السياق .

(٣) ورد حديث ابن مسعود في النهاية لابن الأثير هكذا : « رأى دفر فأخضر سد الأفق » وجاء في شرحه أى رأى بساطاً وقيل فراشاً . ومنهم من يجعل الدفر فرقة واحدة وفرقة وجيع الدفر رفراف ، وقد قرئ به متكتين على رفاف خضر . وقد خرج الترمذى هذا الحديث عن عبد الله قال : رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جبريل عليه السلام في حلة من دفر قد ملأ ما بين السماء والأرض قال هذا حديث حسن صحيح . وهناك روايات أخرى لهذا الحديث عن ابن عباس مع اختلاف يسير في اللفظ خرجها البيهقي .

صلى الله عليه وسلم [٣١] جبريل عليه خلّتا رفرق أخضر قد ملأ ما بين الماء والأرض .
رواه القرطبي / والترمذي وصححه . وقيل رأى الآيات العجيبة . وقال ابن عباس رضى الله ٣٩٣ ظ
تعالى عنهما : رأى ربّه بفؤاده مرّتين ، رواه مسلم وغيره . وسيأتى الكلام على رؤية الله
تعالى في الباب الثالث .

السادس عشر : في الكلام على قوله تعالى : « أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى » .
ابن القيم : « أنكر عليهم سبحانه وتعالى مكابرتهم وجحدهم له على ما رآه مما يُنكر
على الجاهل مكابرتة لعالم ، وعمارته له على ما عَلِمَهُ » .

اللباب : « قرأ الأخوان (٣٢) : « أَفْتَمَارُونَهُ » بفتح التاء وسكون الميم ، والباقون « عمارونه » ،
وعبد الله بن مسعود والشعبي : « أَفْتَمَارُونَهُ » بضم التاء وسكون الميم . فأما الأولى ففيها
وجهان : أحدهما : أنه من مرّيته حقه إذا غلبته عليه وجحدته إياه ، وعُدَى بَعَلَى لَتَضْمِنَهُ
معنى الغلبة ، وأنشدها :

لئن هَجَرْتُ (٣٣) أَخَا صَدِّقٍ وَمَكْرَمَةٍ
لأنه إذا جحدته حقه فقد غلبه عليه . قال المبرّد : يُقَالُ مَرَأَهُ عَنْ حَقِّهِ وَعَصِي
حَقِّهِ إِذَا مَنَعَهُ مِنْهُ وَدَفَعَهُ [عنه] (٣٤) . قال : ومثل « على » بمعنى « عن » قَوْلُ بَنِي كَعْبِ بْنِ
رَبِيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ أَيْ [رضي] (٣٥) عَنْكَ » .

ابن القيم : « على بابها ليست بمعنى « عن » كما قاله المبرّد ، بل الفعل مُتَضَمِّنٌ معنى
المكابرة ، وهذا في قراءة الألف أظهر .

(١) إضافة يقتضيا السياق .

(٢) هكذا في الأصول . وفي تفسير القرطبي (ج ١٧ ص ٩٣) : قرأ حمزة والكسائي ، وهذا ليس بأخيرين فالأول :
هو حمزة بن حبيب بن عمار بن إسماعيل الزيات المتوفى سنة ١٥٦ هـ أحد القراء السبعة . والثاني : هو علي بن حمزة بن عبد الله
الكسائي الكوفي المتوفى سنة ١٨٩ هـ من أئمة النحو واللغة وهو أيضاً أحد القراء السبعة ولعل الأخوة بينهما ترجع إلى اشتغالهما
بالقرائات . وقد أخذ الكسائي من قراءة حمزة . انظر ترجمة حمزة في غاية النهاية لابن الجزري (طبعة القاهرة سنة ١٩٣٢ ج ١
ص ٢٦١ : ٢٦٣ رقم ١١٩٠) و ترجمة الكسائي (نفس المصدر ج ١ ص ٥٣٥ : ٥٤٠ ، رقم ٢٢١٢) .

(٣) روى هجوت ، نقلاً عن محقق تفسير القرطبي . وجاء في شرح هذا البيت في شرح شواهد الكشف لهب
الدين (ص ٢١٠ بولاق سنة ١٢٨١ هـ) يقول : لئن هجرتي وأنا أخو صدق ومكرمة لقد هجرت حق أخ وفي ما كان
يجمد حقه .

(٤) إضافة يقتضيا السياق .

الثاني : أنه من مرآه كذا على كذا أى غلبه فهو من المرآه وهو الجدال^(١) .

وأما الثانية فهي من مرآه يماريه ، جادله واشتقاقه من مَرَى الناقة ، لأن كل واحد من المتجادلين يَمْرَى ما عند صاحبه . وكان من حقه أن يَتَعَدَّى [بني] كقولك : جادله في كذا . وإنما ضُمَّ اللَّغَبَةُ فَعُدَّى تعديتها . وأما قراءة عبد الله فمن «ماراه» رباعياً ، والمعنى : «أنتجادلونه» ، أى كيف تجادلونه على ما يرى مع أنه رأى ما رأى عَيْنَ اليقين ؟ ولاشك بعد الرؤية .

القرطبي : «والمعنيان متداخلان لأن مجادلتهما جحود ، وقيل : إن الجحود كان دائماً منهم وهذا جدال جديد» .

ابن القيم : «القوم جمعوا بين الجدال والدفع في الإنكار ، فكان جداولهم جدال جحود ودفع لا جدال استرشاد وتبيين للحق . وإثبات الألف يدل على المجادلة ، والإتيان بعلى يدل على المكابرة ، فكانت قراءة الألف مُتَضَمِّنَةً لِلْمَعْنَيْنِ جميعاً ، وذلك أنهم جادلوا حين أُسْرِىَ به ، فقالوا صف لنا بيت المقدس ، وأخبرنا عن غيرنا في الطريق ، وغير ذلك إنما جادلوه به . والمعنى : أفتجادلونه جدالاً ترمون به دفعه عما رآه وعلمه وتيقنه ؟ فإن قيل : هلا قيل : أفتأرونه على ما رأى ؟ بصيغة الماضي ، لأنهم إنما جادلوه حين أُسْرِىَ به كما تقدم ، وما الحكمة في إبرازه بصيغة المضارع ؟ فالجواب أن التقدير : أفتأرونه على ما يرى ؟ فكيف وهو قد رآه في السماء ، فماذا تقولون فيه ؟

السابع عشر : في الكلام على قوله تعالى : (ولقد رآه نزلةً أخرى) .

ابن القيم : «أخبر تعالى عن رؤيته لجبريل مرة أخرى . فالمرّة الأولى كانت دون السماء بالأفق الأعلى والثانية كانت فوق السماء عند سكرة المنتهى» .

(١) فرق الفيومي في المصباح النير بين المرآه والجدال بقوله : يقال ما ريته إذا طعنت في قوله تزييفاً للقول وتصديقاً للقال ، ولا يكون المرآه إلا اعتراضاً بخلاف الجدال فإنه يكون ابتداء واعتراضاً . وفي التصريفات لـجرجاني (طبعه القاهرة سنة ١٢٨٢ هـ ص ١٤٠) المرآه طعن في كلام النير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير النير . وفي قرائد اللغة في الفروق (بيروت سنة ١٨٨٩ م ص ٥٤) : الجدال والمرآه قبلها بمعنى غير أن المرآه مذموم لأنه خاصة في الحق بعد ظهوره وليس كذلك الجدال .

ابن كثير : « هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها ، وكانت ليلة الإسراء .. وتقدم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يثبت الرؤية ليلة الإسراء ويستشهد بهذه الآية ، وتابعه / جماعة من السلف والخلف ، وقد خالفه جماعات من الصحابة والتابعين » . قلتُ وسيأتى تحقيق ذلك فى بابيه .

الباب : « الواو فى » ولقد « يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ عاطفة ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ للحال ، أى كيف تجادلونه فيها رآه ، وهو قد رآه على وجه لا شك فيه ؟ والنزلة فعلة من النزول كجلسة من الجلوس ، وفى نَصْبِهَا ثلاثة أوجه : أحدها : أنها منصوبة على الظرف الذى هو مرة ، لأنَّ المفعلة اسم للمرأة من الفعل ، فكانت فى حكمها . قال الشهاب الحلبي : وهذا ليس مذهب البصريين ، وإنما هو مذهب القراء ، نقله عنه مكى . الثانى : أنها منصوبة نصب المصدر الواقع موقع الحال ، أى رآه نازلاً نَزَلَتْ أُخْرَى ، وإليه ذهب الحرفى وابن عطية الثالث : أنها منصوبة على المصدر المؤكد ، فقدَّره أبو البقاء مرة أخرى أو رؤية أخرى . قال الشهاب الحلبي : وفى تأويل نزلة برؤية ، نَظَر ، وأخرى تدل على سبق رؤية قبلها ، وعند سدرة ظرف مكان لرأى » .

الثامن عشر : فى الكلام على السدرة وإضافتها إلى المنتهى .

قال الإمام الرازى : « يُحْتَمَلُ وجوهاً : أحدها : إضافة الشيء إلى مكانه كقولك : أشجار بلدة كذا ، فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك أو روح من الأرواح . قال كعب الأحمير : هى فى أصل العرش على رموس حَمَلَة العرش ، وإليها ينقضى عِلْمُ الخلائق وما خلفها بحيث لا يعلمه إلا الله تعالى . ثانيها : إضافة المحل إلى الحال فيه ، كقولك : كتاب الفقه ، وعلى هذا فالتقدير : سدرة عندها منتهى العلوم . ثالثها : إضافة المِلْك إلى مالكة كقولك : دارُ زيد أو شجرة زيد ، وحينئذ المنتهى إليه محطوف تقديره : سدرة المنتهى إليه . قال الله تعالى : (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ^(١)) . فالمنتهى إليه هو الله تعالى ،

(١) سورة النجم آية ٢٢ .

وإضافة السُّنْدَةِ إليه حينئذ كإضافة البَيِّنَةِ للتشريف والتعظيم ، كما يقال في التسبيح :
يا غاية رُغْبَاهُ ويا منتهى أَمَلَاهُ .

القرطبي : « اختلفَ لِمَ سُمِّيَتْ سُنْدَةُ المنتهى على أقوال تسعة : الأول : لأنه ينتهى إليها ما يهبط من فوقها فيُقَبِّضُ^(١) منها وإليها ينتهى ما يَعرُجُ من الأرض ، رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود . الثاني : علِمَ الأنبياء ينتهى إليها وَيَعْرُجُ عما ورائها ، قاله ابن عباس . الثالث : أَنَّ الأعمال تنتهى إليها وتُقَبِّضُ منها ، قاله الضَّحَّاك . الرابع : لانتهاه الملائكة والأنبياء إليها ووقوفهم عندها . الخامس : لأنَّ أرواح الشهداء تنتهى إليها ، قاله الربيع بن أنس . السادس : لأنه تَأْوِي إليها أرواح المؤمنين ، قاله قتادة . السابع : لأنه ينتهى إليها كل من كان على سُنَّةِ محمد صلى الله عليه وسلم ومنهاجه ، قاله على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ، والربيع بن أنس أيضاً . الثامن : [هى شجرة على رؤوس حَمَلَةِ العَرْشِ^(٢)] إليها ينتهى علم الخلائق . التاسع : لأن من رُفِعَ إليها فقد انتهى في الكرامة . »

الماوردي : « فَإِنْ قِيلَ : لِمَ اخْتِيرَتِ السُّنْدَةُ دون غيرها ؟ قيل لأن السُّنْدَةَ تختص بثلاثة أوصاف : ظلٌّ مديد ، وطعمٌ لذيد ، ورائحةٌ ذكيةٌ ، فشابهت الإيمان الذى يجمع قولاً ونيةً وعملاً ، فظُلُّهَا من الإيمان بمنزلة العمل لتجاوزها ، وطعمُهَا بمنزلة النِّيةِ لكمونه أى استتاره ، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره . »

الصحيح : « السُّنْدُ شجرة النبق الواحدة سُنْدَةٌ والجمع سُنْدَرَاتُ أى بكسر فسكون وسنِدَرَاتُ بكسر تين ، وسنِدَرَاتُ بكسر ففتح ، وسنِدَرٌ بكسر ففتح ، وسيأتى فى شرح القِصَّةِ الكلام على أصلها . »

٣٤٠ ظ تنبيه : 'جاء فى النِّهْيِ / عن قطع السُّنْدِ أَحَادِيثُ . فروى أبو داود والطبرانى والبيهقى والفضلاء فى صحيحه عن عبد الله بن حَبِشٍ بضم المهمله ثم مُوحَّدة ساكنة ، ثم معجمة

(٣) فى تفسير القرطبي (ج ١٧ ص ٩٥) : الأول : ما تقلم عن ابن مسعود أنه ينتهى إليها كل ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها .

(٢) إضافة من تفسير القرطبي .

بعدها ياء ثقيلة ، ابن جُنادة ، بضم الجيم وبالنون والدال المهملة ، السُّلوى ، بفتح السين المهملة ولاَمَيْن ، رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَطَعَ سِدْرَةَ صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ ^(١) » ، زاد الطبراني يعنى من سِدْرَ الْحَرَمِ . وقال أبو داود رحمه الله تعالى : يعنى من قَطَعَ السِّدْرَ فِي فَلَاةٍ يَسْتَظِلُّ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ وَالْبَهَائِمُ عَيْنًا وَظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا . وروى البيهقي عن أبي ثور أنه سأل الشافعي عن قطع السِّدْرِ فقال : لا بأس به . وقد رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اغْسِلْهَا بِمَاءٍ وَسِدْرٍ » ، فيكون محمولاً على ما حمله عليه أبو داود . وقال البيهقي : وروينا عن عُرْوَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقْطَعُهُ وَهُوَ أَحَدُ رَوَاةِ النَّهْيِ ، فيشبه أن يكون النهي خاصاً كما قال أبو داود .

وقال الخطَّابِيُّ : سئل الزُّنَبي عن هذا فقال : وجهه أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم سئل عَمَّنْ هَجَمَ عَلَى قِطْعِ سِدْرٍ لِقَوْمٍ أَوْ يَتِيمٍ أَوْ لِمَنْ حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَقْطَعَ عَلَيْهِ ، فتحامل عليه فقطعه فاستحق ما قاله ، فتكون المسألة سبقت لسامع فسمع الجواب ولم يسمع المسألة وجعل نظيره حديث أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّمَا الرِّبَا فِي النَّسِيبَةِ » ، فسمع الجواب ولم يسمع المسألة وقد قال : « لَا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ يَدًا بِيَدٍ » . واحتج المزني بما احتج به الشافعي من إجازة النبي صلى الله عليه وسلم أن يُسْكَلَ المِيتَ بالسدر ، ولو كان حراماً لم يُجَزَّ الانتفاع به . قال : والورق من السِّدْرِ كَالْفَضْنِ . قال : وقد سَوَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حَرَّمَ قِطْعَهُ مِنْ شَجَرِ الْحَرَمِ بَيْنَ وَرَقِهِ وَغَيْرِهِ ، فلما لم يَمْنَعْ من ورق السِّدْرِ ، دَلَّ عَلَى جَوَازِ قِطْعِ السِّدْرِ .

قال الشيخ رحمه الله تعالى في فتاويه : « وَالْأَوَّلَى عِنْدِي فِي تَأْوِيلِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى سِدْرِ الْحَرَمِ ، كما يقع في رواية الطبراني . قال ابن الأثير في النهاية : « قِيلَ أَرَادَ بِهِ سِدْرُ مَكَّةَ لِأَنَّهَا حَرَّمَ عَلَى سِدْرِ الْمَدِينَةِ ، نَهَى عَنْ قِطْعِهِ لِيَكُونَ أَنْسَأَ وَظُلًّا لِمَنْ يَهَاجِرُ إِلَيْهَا ، وَقِيلَ أَرَادَ السِّدْرَ الَّذِي يَكُونُ فِي الْفَلَاةِ يَسْتَظِلُّ بِهِ أَبْنَاءُ السَّبِيلِ وَالْحَيَوَانُ أَوْ فِي مِلْكٍ لِنَاسٍ ، فَيَتَحَامَلُ عَلَيْهِ ظَالِمٌ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَمَعَ هَذَا فَالْحَدِيثُ مُضْطَرِبٌ الرِّوَايَةِ فَإِنْ أَكْثَرَ مَا يُرَوَّى عَنْ عُرْوَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَكَانَ هُوَ يَقْطَعُ السِّدْرَ وَيَتَخَذُ مِنْهُ أَبْوَابًا . قال هشام : وَهَذِهِ أَبْوَابُ مَنْ سِدْرٍ قِطْعُهُ أَبِي ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ مُتَّجِمُونَ عَلَى إِبَاحَةِ قِطْعِهِ ^(٢) » .

(١) الجامع الصغير (٢٠، ص ١٧٩) .

(٢) يقع هذا النص في ٧٦ ص ١٥٤ من كتاب النهاية لابن الأثير طبعة القاهرة سنة ١٣١١ هـ .

وروى أبو داود عن حسان بن إبراهيم قال : «سألت هشام بن عروة عن قطع الصدر ، وهو مُسند ظهره إلى قصر عروة ، قال : ترى هذه الأبواب والمصاريح إنما هي من صدر قطعه أنى من أرضه .

التاسع عشر: في الكلام على قوله تعالى : «عندها جنة المأوى» : [قال القرطبي : هذا تعريف بموضع جنة المأوى وأنها عند سدرة المنتهى ، وهى عن يمين العرش ، وقيل أوى إليها آدم عليه الصلاة والسلام إلى أن أُخرج منها . وقيل : إن أرواح المؤمنين كلهم في جنة المأوى ، وهى تحت العرش فيتنعمون [بنعيمها ويتنسمون بطيب ريحها^(١) . وقيل : لأن جبريل وميكائيل عليهما السلام يأويان إليها [والله أعلم^(٢) .

الباب : «جملة إبتدائية في موضع الحال ، والأحسن أن يكون الحال الظرف ، وجنة المأوى فاعل به . والعامة أن جنة اسم مرفوع / وقرأ أمير المؤمنين على ، وأبو الدرداء ، وأبو هريرة ، وابن الزبير ، وأنس من الصحابة رضى الله تعالى عنهم وزر بن حُبَيْش ، ومحمد ابن كعب من التابعين : جنة فعلاً ماضياً ، والماء ضمير المفعول يعود للنهى صلى الله عليه وسلم ، والمأوى فاعل بمعنى ستره إيواء الله إياه . ويقال ضمه البيت والليل ، وقيل جنة بظلامه ودخل فيه .

قال الإمام الرازى : «ويحتمل أن يكون الضمير في «عندها» على هذه القراءة عائداً إلى النزلة ، أى عند النزلة جنة محمداً المأوى ، أى ستره ، والصحيح أنه عائداً إلى السكرة» .

الباب : «وهذا قول الجمهور ، وقد أنكرت عائشة رضى الله تعالى عنها هذه القراءة ، وتبعها جماعة وقالوا : «أجن الله من قرأها» . فإذا ثبتت قراءة جنة مثل هؤلاء فلا سبيل إلى ردها . ولكن المستعمل إنما هو «أجنه» رباعياً ، فإن استعمل ثلاثياً تعدى «بعل» ، كقوله تعالى : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ)^(٣) . وقال أبو البقاء : هو شجر المستعمل : أجنه» .

المعشرون : في الكلام على قوله تعالى : (إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى)^(٤) :

(١) إضافة من تفسير القرطبي (١٧ ص ٩٦) .

(٢) من الآية ٧٦ من سورة الأنعام .

(٣) سورة النجم آية ١٦ .

ابن القيم : « لما ذكر سبحانه رؤية محمد صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى ، استطرد منها وذكر أن جَنَّة المَلْأَى عندها وأنه يغشاها من أمْرِه وخلقها ما يغشى ، وهذا من أحسن الاستطراد ، وهو أسلوب لطيف جداً في القرآن .
الباب : « إذ » منصوب يراه . »

الإمام : « العامل في « إذ » ما قبلها أو ما بعدها ، فيه وجهان . فإن قلنا ما قبلها ففيه احتمالان : أظهرهما رآه أى رأى وقت ما يَغْشَى السُّدْرَةُ الذى يَغْشَى . والاحتمال الثانى العامل فيه الفعل الذى في النزلة أى رآه نزلة أخرى ، تلك النزلة وقت ما يغشى السدرة ما يَغْشَى ، أى نزوله لم يكن إلا بعد ما ظهرت العجائب عند السُّدْرَةِ وَغَشِيَهَا ما غَشِيَهَا ، فحينئذ نزل محمد نَزْلَةً ، إشارة إلى أنه لم يرجع من غير فائدة . وإن قلنا العامل فيه ما بعدها فالعامل : ما زاغ البصر ، أى ما زاغ بَصَرُهُ وقت غشيان السدرة ما غشياها .

واختلفوا فيما يغشى السدرة فقرأش أو جرأد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضُّحَّاك . قال القرطبي : ورواه ابن مسعود وابن عباس مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رأيتُ السُّدْرَةَ يغشاها قرأش من ذهب ورأيتُ على كل ورقة ملكاً يُسَبِّحُ الله تعالى » .

قلتُ وقال الإمام : « إن هذا ضعيف ، لأن ذلك لا يثبت إلا بدليل سمعى ، فإن صحَّ فيه خبرٌ وإلا فلا وجه له ، قصور شديد^(١) ، فإن الحديث في صحيح مسلم^(٢) وغيره . ومثله لا يقال [فيه] بالرأى . وقيل : ملائكة يَغْشَوْنَهَا كأنهم طيور يرتقون إليها مُتَشَبِّهِينَ مُتَبَرِّكِينَ بها زائرين كما يزور الناس الكعبة ، وقيل يغشاها أنوار الله تعالى لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل إلى السُّدْرَةِ تجلى لها ربه تبارك وتعالى كما تجلى للجبل ، فظهرت الأنوار ، ولكن السُّدْرَةُ كانت أقوى من الجبل وأثبت ، فجعل الجبلُ دَكًّا ، ولم تتحرك الشجرة وخَرَّ موسى صعقاً ، ولم يتنازل محمد صلى الله عليه وسلم .

قلتُ : ولا منافاة بين هذه الأقوال ، فقد ورد أن كلاً منها يغشاها كما سيأتى ذلك

(١) لم نجد لوجه الصواب في عبارة : « قصور شديد » التى وردت في الأصول .
(٢) أخرج مسلم عدة أحاديث في هذا الصدد مستندة إلى ابن حريرة وابن عباس وأبى ذر ، انظر صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٣ ص ٤ وما بعدها) .

في القصة . وقيل أنهم تعظيماً له كأنه قال : إذ يَغْشَى السدرة ما الله أعلم به من دلائل ملكوته وعجائب قدرته .

الإمام : « يغشى يسمر ، ومنه الغواشي أو من معنى الإتيان ، يقال فلان يَتَشَانَا كل وقت أي يأتينا ، الوجهان محتملان » .

٣٤١ هـ الحادى والعشرون : فى الكلام / على قوله تعالى : « ما زاغ البَصَرُ » :

الصباح : « الزَّيْغُ المَيْلُ ، وقد زاغ يَزِيغُ وزاغ البَصَرُ أى مال » .

ابن القيم : « قال ابن عباس : « ما زاغ البَصَرُ يميناً ولا شمالاً ، ولا جاوز ما أمر به » . وعلى هذا المُفسِّرون ، فَنفَى تعالى عن نبيّه صلى الله عليه وسلم ما يَعْرضُ للرأى الذى لا أدب له بين أيدي الملوك والعظماء من التفاته يميناً وشمالاً لما بين يديه ، وأخبر عنه بكامل الأدب فى ذلك المقام ، وفى تلك الحضرة ، إذ لم يلتفت جانباً ، ولم يَمُدَّ بَصَرَهُ إلى غير ما أرى من الآيات وما هناك من العجائب ، بل قام مقام العبد الذى أوجب أدبُه لطرأته وإقباله على ما أريد [له] دون التفاته إلى غيره ، ودون تطلعه إلى ما لم يره ، مع ما فى ذلك من ثبات الجأش وسكون القلب وطمأنينته . وهذا غاية الكمال . فزَيغ البَصَرُ التفاته جانباً ، وطغيانه مدّه أمامه إلى حيث ينتهى . فنزّه فى هذه السورة عَمَلَهُ عن الضلال وقصده عن الفنى ونطقه عن الهوى وفؤاده عن تكذيب بصره ، وبصره عن الزين والطغيان . وهكذا يكون الملح :

ثَلَاثَ الْمَكَارِمِ لَا قَعْبَانٍ مِنْ لَبَنِ شَيْبَا بَمَا فَعَادَا بَعْدُ أَبَوَالَا^(١)

(١) هذا البيت من قصيدة نسبها ابن إسحق لأبي الصلت والد أمية بن أبي الصلت ونسبها ابن هشام للأخير (سيرة ابن هشام الطبعة التجارية بالقاهرة سنة ١٩٣٧ م ج ١ ص ٩٨ : ٧٠) ونسبها أبو الفرج للثابتة الجملى (الأغانى ج ٥ ص ١٤ : ١٦ دار الكتب سنة ١٩٣٢ م) ولكنه عاد إلى نسبها إلى أمية بن أبي الصلت فى ج ١٧ ص ٣١٢ : ٣١٣ القاهرة سنة ١٩٧٠ م ونسب القصيدة لأبي الصلت كل من ابن عبد ربه فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣ : ٢٤ طبعة لجنة التأليف بالقاهرة سنة ١٩٤٠ م) والطبرى فى تاريخه (ج ٢ ص ١٢٠ طبعة الحسينية بالقاهرة سنة ١٣٢٦ هـ) وابن تينية فى الشعر والشعراء (ص ٢٨١ : ٢٨٢ طبعة دى غوى بليدن سنة ١٩٠٤) وياقوت فى معجم البلدان مادة محمدان (ج ٣ ص ٣٠٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٠٦ م) والقعبان مثنى قعب والقعب قبح يجلب فيه ، وشيئا مزجا

الباب تبعاً للإمام الرازي : « اللام في البَصَر تَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : أحدهما : المعروف وهو ' بَصَرُ محمد صلى الله عليه وسلم ، أى ما زاغ بَصَرُ محمد ، وعلى هذا فعلم الزَّيْغ لوجوه : إن قلنا الغاشي للسَّيِّئَةِ هو الجراد أو الفَرَّاش ، فمعناه لم يلتفت محمد إليه ولم يَشْتَغِلْ به ، ولم يقطع نظره عن مقصوده . وعلى هذا فَعَشَيَانِ الجراد والفَرَّاش يكون ابتلاء وامتحاناً للنبي صلى الله عليه وسلم . وإن قلنا أنوارُ الله تعالى ففيه وجهان : أحدهما : لم يلتفت يُمَنَّةً وَيُسْرَةً ، بل اشتغل بمطالعتها ، وثانيهما : ما زاغ البصر بضغفه^(١) ، ففي الأول بيان أدب محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي الثاني بيان قوته . الوجه الثاني في اللام : أنها لتعريف الجنس ، أى ما زاغ بَصَرُهُ أصلاً في ذلك الموضع لعظمِ الهيبة . فإن قيل : لو كان كذلك لقال : ما زاغ بَصَرٌ ، فإنه أَكَلٌ على العموم لأنَّ التَّكْبِرَةَ في مَعْرُضِ النَّفْسِ تَعَمُّ . فالجواب هو كقولهِ تعالى : (لَا تُذَكِّرْهُ الْأَبْصَارُ^(٢)) ولم يَقُلْ لم يتركه بَصَرٌ .

الثاني والعشرون : في الكلام على قوله تعالى : « وما طغى » :

الباب تبعاً للإمام الرازي : « فيه وجهان : أحدهما : أنه عطف جملة مستقلة على جملة أخرى . الثاني : أنه عطف جملة تقديره مُقَدَّرَةٌ على جملة . فمثال المستقلة : خرج زيد ودخل عمرو ، ومثال المُقَدَّرَةِ : خرج زيد ودخل ، الوجهان جائزان هنا . أما الأول فكأنه تعالى قال عند ظهور النور : ما زاغ بَصَرُ مُحَمَّدٍ وما طغى محمد بسبب الالتفات ، ولو التفت لكان طاغياً . وأما الثاني فظاهر . فإن قيل بأنَّ الغاشي للسَّيِّئَةِ جراد ، فالمعنى لم يلتفت إليه وما طغى ، أى ما التفت إلى غير الله تعالى ، ولم يلتفت إلى الجراد ولا إلى غير الجراد ، بل إلى الله سبحانه وتعالى . أما على قول من قال غَشِيَهَا نور ، فقوله تعالى : « ما زاغ » أى ما مال عن الأنوار وما طغى ، أى ما طلب شيئاً وراءه . وفيه لطيفة وهي أن الله تعالى قال : ما زاغ وما طغى ولم يَقُلْ ما مال وما جاوز ، لأنَّ الميل في ذلك الموضع والتجاوز مذمومان ، فاستعمل الزَّيْغ والطغيان فيه . وفيه وجه آخر ، وهو أن يكون ذلك بياناً لوصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى شدة اليقين الذي لا يقين فوقه ، ووجه ذلك أن بصره صلى الله عليه وسلم

(١) أى يسبب ضغفه .

(٢) سورة الأنعام آية ١٠٣ .

٣٤٢ و ما زاغ أى ما مال عن الطريق ، فلم يَرِ الشيء على خلاف ما هو عليه بخلاف من ينظر إلى عين الشمس مثلاً ، ثم ينظر إلى شيء أبيض فإنه يراه أصفر وأخضر ، يزيغ بصره عن جادة الإبصار . وقوله : « وما طغى » أى ما تَحَيَّلَ المعلوم موجوداً ، وقيل : « وما طغى » أى ما تَحَيَّلَ المعلوم موجوداً وقيل : « وما طغى » أى ما جاوز ما أمر به .

الثالث والعشرون: فى الكلام على قوله تعالى : (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ^(١)) .

اللباب « فى الكبرى وجهان » ، أظهرهما أنه مفعول رأى من آيات ربه حال مَقْدَمِهِ ، والتقدير : لقد رأى الآيات الكبرى من آيات ربه . والثانى أن « من آيات ربه » هو مفعول الروية ، والكبرى صفة لآيات ربه . وهذا الجمع يجوز وصفه بوصف المؤنثة الواحدة ، وحسنه هنا كونها فاصلة .

الإمام الرازى : « فى الكبرى وجهان : أحدهما : أنها صفة لمحلوف تقديره لقد رأى من آيات ربه . ثانيهما : صفة لآيات ربه ، فيكون مفعول رأى محلوفاً تقديره : رأى من آيات ربه الكبرى آية أو شيئاً .

القرطبي : « ويجوز أن تكون « من » زائدة ، أى رأى آيات ربه الكبرى . وقال بعضهم ^(٢) : آيات ربه الكبرى هى أنه رأى جبريل عليه السلام فى صورته .

قال الإمام : « والظاهر أن هذه الآيات غير تلك لأن جبريل وإن كان عظيماً لكن ورد فى الأخبار أن الله ملائكة أعظم منه . والكبرى ثانيت الأكر ، فكانت تعالى قال : رأى من آيات ربه آيات هى أكبر الآيات . وروى الإمام أحمد والترمذى وصححه ، عن عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : « رأى جبريل فى حُلَّةٍ من رَقَرَفٍ قد ملأ ما بين السماء والأرض » .

(١) سورة النجم آية ١٨ .

(٢) قائل هذا عبد الرحمن بن زيد ومقاتل بن حيان نقلوا عن تفسير القرطبي (ج ١٧ ص ٩٩) .

قال الحافظ : « وهذه الرواية يُعرَف المراد بالرفرف وأنه حُلَّة ، ويؤيده قَوْلُه تعالى : (مُتَكَيِّفِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ)^(١) . وأصل الرفرف ما كان من الدباج رقيقاً حَسَن الصفة ، ثم اشتهر استعماله في الستر ، وكل ما فضل من شيء وعُطِفَ وثْنِي فهو رفرف » .

القرطبي : « هو ما رأى تلك الليلة في مسراه في عوده ويدئه وهذا أحسن » .

قال الإمام : « وهذه الآية تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرَ الله تعالى ليلة المعراج وإنما رأى آيات الله تعالى وفيه خلاف ، ووجه الدلالة أنه تعالى ختم قصة المعراج ها هنا بروية الآيات وقال سبحانه وتعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا) إلى أن قال (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) ولو كان رأى ربه لكان ذلك أعظم ما يمكن ، فكانت الآية للرؤية ، وكان أكبر شيء هو الرؤية » .

ابن كثير : « وبهاتين الآيتين استدلل من ذهب من أهل السنة إلى أن الرؤية تلك الليلة لم تقع لأنه قال (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس » .

خاتمة : اشتملت هذه الآيات على قَسَمِهِ تعالى على هداية نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وتنزيهه عن الهوى وصلقه فيما تلا ، وأنه وَحْيٌ يُوحَى ، يُوصَله إليه جبريل الشديد القوى عن الله تبارك وتعالى العَلَى الأَعْلَى ، واحتوت أيضاً على تزكية جملته صلى الله عليه وسلم وعصمته من الارتياح في هذا المَسْرَى ، ثم أخبر تعالى فيها عن فضيلته بقصة الإسراء وانتهائه إلى سِدْرَةِ المنتهى ، وتصديق بصره فيما رَوَى أنه رأى من آيات ربه الكبرى .

الباب الثالث

في اختلاف العلماء

ظ ٣٤٢

في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه تبارك وتعالى ليلة المعراج /

اعلم أن الصواب الذي عليه أهل الحق [أن]^(١) رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً ، وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة ، وأن المؤمنين يَرَوْنَ الله تعالى . وزعمت طوائف من أهل البدع أن الله تعالى لا يراه أحدٌ من خلقه ، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً . وهذا الذي قالوه خطأً صريحاً وجهل قبيح .

وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ومن سلف الأمة على إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة للمؤمنين . ورواها أحد وعشرون صحابياً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وآيات القرآن العظيم فيها مشهورة ، واعتراضات المبشدة عليها ، لها أجوبة مذكورة في كتب المتكلمين من أهل السنة .

وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فممكنة عقلاً وسمعاً ، ومذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ، ولا يُشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئى ولا غير ذلك . ولكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضاً بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط .

وقد قرّر أئمتنا المتكلمون ذلك بالدلائل الحليّة ، ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة الله - تنزّه تعالى عن ذلك - بل يراه المؤمنون لا في جهة ، كما يعلمون أنه لا في جهة . وبيان الدليل العقلي على جوازها بطريق الاختصار أن البارئ سبحانه وتعالى موجود ، وكل

(١) إضافة يقتضيها السياق

موجود يَصِحُّ أَنْ يُرَى ، فالبارى عَزَّ وَجَلَّ يَصِحُّ أَنْ يُرَى . أما [المقدمة^(١)] الصغرى فظاهرة ، وأما [المقدمة^(٢)] الكبرى ، فلأنَّ الحكم يدور مع علته [وجوداً وعلماً^(٣)] . وقد تبيَّن أنَّ الموجود هو العلة لصحة الرؤية ، ولا يلزم من جوازها وقوعها وعدم تعلُّقها ، إنما هو لِحُرْجِ عادته تعالى بعدم خَلْقِها فينا الآن ، مع جواز خَلْقِها فينا ، إذ هي غير مستحيلة . وهنا أبحاث محلِّها الكتب الكلامية .

وبيان الدليل الشرعى على جوازها فى الدنيا أنَّ موسى بن عمران ، رسول الله وكتابه ، العارف به سأل الله سبحانه وتعالى الرؤية ، فقال : (رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ^(٤)) مع اعتقاده أنَّه تعالى يُرَى ، فسألها . وفى هذه الآية دليلان . الأول : مُحَالٌ أَنْ يَجْهَلَ نَبِيٌّ مَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ تعالى وما لا يجوز عليه ، بل لم يسأل إلا جائزاً غَيْرَ مُحَالٍ ، لاستحالة سؤال المُحَال من الأنبياء ، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذى لا يعلمه إلا الله ، ومن أعلمه إياه وأطلعهم عليه ، فقال له تعالى غَيْرُ نَافٍ لِلْجَوَازِ : « لَنْ تَرَانِي » ، دون لَنْ أَرَى الْمُؤَذِّنَةَ بِنَفْسِهِ أَى لَنْ تُطِيقَ وَلَا تُحْتَمَلُ رُؤْيَى الآن لِتَوْقُفِهَا عَلَى مُعَدِّهَا فى الرأى لم يوجد فيك بعد . ومثَّل له مثلاً بما هو أقوى من نبيِّه موسى صلى الله عليه وسلم وأثبت ، وهو الجبل فى قوله : (وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَفْرَ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي^(٥)) .

وهذا هو الدليل الثانى : وبيانه أنَّه تعالى علَّقَ رؤية موسى إياه تعالى باستقرار جبل المناجاة فى مكانه وقت التجلّى له ، والشىء المُعلَّق بالممكن ممكن ، إذ معنى التعليق الإخبار بثبوت المُعلَّق عند ثبوت المُعلَّق به . وعلى هذا فالشرطية خبرية إذا كان الجزاء فى الأصل خبرياً كما ههنا . فثبت إمكان الرؤية ضرورة أنَّ الله تعالى أخبر بوقوعها على بعض التقادير ، والمُحَال لا يقع على شىء من التقادير أصلاً ، وإذا ثبت الإمكان انتفى الامتناع وبالعكس وهنا أبحاث محلِّها الكتب الكلامية . وقول موسى صلى الله عليه وسلم : « ثُبْتُ إِلَيْكَ^(٦) » ، أَى من الإقدام على سوألى إياك فى الدنيا ما لم تُقدِّره لى . وقيل : إنَّ قوله (ثُبْتُ إِلَيْكَ^(٦))

(١) إضافة يقتضها السياق .

(٢) سورة الأعراف آية ١٤٣

(٣) تكله الآية القرآنية السابقة .

(٤) من الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .

إِنَّمَا كَانَ لِمَا غَشِيَهُ مِنْ شِدَّةٍ مَا أَقْضَى بِهِ إِلَى أَنْ صُبِقَ ، كَمَا تَقُولُ مِنْ فِعْلِ جَائِرٍ عَرَكَ مِنْهُ ٣٤٣ وَ مَشَقَّةٌ : تَبْتُ / عَنْ فِعْلِ مِثْلِهِ .

وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ الْهَلْدِيُّ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (لَنْ تَرَائِي)^(١) أَيْ لَيْسَ لِبَشَرٍ أَنْ يُطَبِّقَ النَّظَرَ إِلَيَّ فِي الدُّنْيَا وَأَنْ مِنْ نَظَرٍ إِلَيَّ فِي الدُّنْيَا مَاتَ ، أَيْ فِي الْحَالِ ، بِشَهَادَةِ صُبِقَ مُوسَى إِذْ رَأَى الْجَبَلَ » وَقَالَ الْقَاضِي : « وَقَدْ رَأَيْتُ لِبَعْضِ السَّلَفِ وَالْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّ رُؤْيَاهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا مِمْتَنَعَةٌ ، لَا مِنْ حَيْثُ ذَاتُهَا ، لِثَبُوتِ جَوَازِهَا فِيهَا بِمَا مَرَّ ، وَإِنَّمَا اِمْتَنَعَتْ فِيهَا لِضَعْفِ تَرَكَيبِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَقَوَاهُمْ ، وَكُونِهَا مُتَغَيِّرَةً عُرْضَةً لِلْآفَاتِ مِنْ نَوَائِبٍ مَقْلُقَةٍ وَنَوَاقِبٍ لِلْأَكْبَادِ مَعْلُقَةٍ تَنْذِرُ بِالْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ ، فَلَمْ تَكُنْ لَمْ قُوَّةٍ عَلَى الرُّؤْيَا فِي الدُّنْيَا . فَلِذَا كَانَ فِي الْآخِرَةِ وَرُكَّبُوا تَرْكَيبًا آخَرَ وَرُزِقُوا قُوَّةً ثَابِتَةً بَاقِيَةً وَأُتِمَّتْ أَنْوَارُ أَبْصَارِهِمْ وَقُلُوبُهُمْ حَصَلَ بِذَلِكَ قُوَّةٌ عَلَى الرُّؤْيَا فِي الْآخِرَةِ » .

وَقَدْ رَأَيْتُ نَحْوَ هَذَا لِلْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : « لَمْ يُرَ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُ بَاقٍ وَلَا يُرَى الْبَاقِي بِالْبَاقِي . فَلِذَا كَانَ فِي الْآخِرَةِ وَرُزِقُوا أَبْصَارًا بَاقِيَةً رُؤْيَى الْبَاقِي بِالْبَاقِي » وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْإِمَامُ مَالِكُ كَلَامٌ حَسَنٌ مَلِيحٌ ، وَلَيْسَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى الْإِسْتِحَالَةِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ ضَعْفُ الْقُدْرَةِ ، فَلِذَا قَوَّى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ شَاءَ أَقْدَرَهُ عَلَى حَمْلِ أَعْيَادِ الرُّؤْيَا فِي حَقِّهِ فِي أَيِّ وَقْتٍ كَانَ .

قَالَ الْحَافِظُ : « وَوَقَعَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مَا يُؤَيِّدُ هَذِهِ التَّفَرُّقَ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ فِيهِ : « وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا » . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ - بِخِطَابٍ مَعْجَمَةٍ مَضْمُونَةٍ فَرَاى مُفْتَوَحَةً - مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ ، وَمِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ . فَلِذَا جَازَتْ الرُّؤْيَا فِي الدُّنْيَا عَقْلًا ، فَقَدْ اِمْتَنَعَتْ سَمْعًا . لَكِنْ مِنْ أَثْبَتِهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ أَنْ يَقُولُ إِنَّ الْمُتَكَلِّمَ لَا يَدْخُلُ فِي عَمُومِ خُطَابِهِ » .

قَالَ الْقَاضِي : « وَلَا حُجَّةَ لِمَنْ اسْتَدَلَّ عَلَى مَنَعِهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ)^(٢) لِاخْتِلَافِ التَّأْوِيلَاتِ فِي الْآيَةِ ، فَقَدْ قِيلَ : الْمُرَادُ بِالْإِدْرَاكِ الْإِحَاطَةُ ، فَلَا نَفْيَ فِيهَا لِمَطْلَقِ

(١) مِنَ الْآيَةِ ١٤٣ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ .

(٢) سُورَةُ الْأَنْعَامِ آيَةُ ١٠٣ .

الرؤية ، وقيل : لا تدركه أبصار الكفار ، وقيل غير ذلك . والجواب الصحيح أنه لا دلالة في هذا النقي على عموم الأوقات ولا حال من الأحوال لانه مَسْكُوتٌ عنه . فمن أين أن المراد لا تدركه الأبصار في وقت من الأوقات ولا حال من الأحوال ؟ بل يَتَّعِنُ الحمل على النقي بالنسبة إلى دار الدنيا جمعاً بين الأدلة السمعية .

قال أبو العباس [أحمد بن عمر^(١)] القرطبي في المفهم [في شرح صحيح مسلم]^(٢) : « الأبصار » جمع مُحَلٍّ بالألف واللام ، فيقبل التخصيص ، وقد ثَبَتَ ذلك سَمْعاً في قوله تعالى : (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ^(٣)) فيكون المراد الكفار ، بدليل قوله تعالى : (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ^(٤)) قال : فإذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا لتساوى الوقتين بالنسبة إلى الراي . انتهى .

قال الحافظ : « وهو استدلال جيد » .

وقد يُسْتَدَلُّ بهذه الآية على جواز إمكان الرؤية ، إذ لو امتنعت الرؤية لما حصل التمدح في الآية بنقي الرؤية ، ووجه الملازمة أن المنتفع مُتَنَفٍّ في حد ذاته ، فلا يكون نَفْيُهُ صفة مدح ، لأنه ضروري كالمعلوم المنتفع الرؤية ، لا يُمَدَّح بعدم رؤيته ، إذ لا يكون : « المعلوم لا يُرى » تمداحاً ، لامتناع رؤية المعلوم . وقد ثبت التمدح بنقي عدم رؤيته تعالى فتكون رؤيته ممكنة ، والحاصل أن التمدح بنقي عدم الرؤية إنما يكون في إمكان رؤيته تعالى لكنه لا يُرى للامتناع وتعذر الإبصار والتعجب بحجاب الكبرياء والجلال لا في أنه لا يُرى لامتناع رؤيته تعالى . لكن الصفات السلبية على هذا ، صفات تَمَدُّح ، وإن جعلنا الإدراك في الآية عبارة عن الرؤية على وجه الإحاطة بجوانب المرئي وحدوده . فدلالة الآية حينئذ على جواز الرؤية بل على تحققها بالوقوع ، أظهر من دلالتها على الجواز بما دُكِرَ من التمدح . إذ المعنى على هذا لا تدركه الأبصار ، إذا نظرت إليه على وجه الإحاطة ، لأنه

(١) بياض بالأصول والتكلمة من الديباج المذهب لابن فرحون (القاهرة سنة ١٣٥١ هـ ص ٢١٧)

(٢) تكله عنوان الكتاب الذي رجع إليه المؤلف . نقلا عن الديباج وقد ذكر ابن فرحون أن القرطبي الغسر مع من الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي مؤلف المفهم في شرح صحيح مسلم بعض هذا التفرع .

(٣) سورة المطففين آية ١٥ .

(٤) سورة القيامة آية ٢٢ و ٢٣ .

٣٤٣ ظ تبارك وتعالى ، مع كونه مريئاً بالأبصار / لا تدركه الأبصار على وجه الإحاطة ، لتعالیه قطعاً عن التناهی وعن الاتصاف بالحدود التي هي النهايات والجوانب على ما تبين في كتب الكلام .

والإحاطة بما لا يتناهى مُحال . ولهذا مزيد بيان يأتي في الكلام على حديث عائشة رضي الله عنها . ومع القول بجوازها في الدنيا ، لم يحصل لبشر غير نبينا صلى الله عليه وسلم ، على ما في ذلك من الخلاف ، ومن ادّعاها غيره فهو ضالٌّ . كما جزم بكفره الإمام موفق الدين الكواشي - بالفتح والتخفيف وبالمعجمة - والإمام المهدوي في تفسيريهما ، والإمام جمال الدين الأزرقي - بالفتح وسكون الراء وضم الدال المهملة وكسر الموحدة وسكون التحتية - في الأنوار ، إذ قد سألها نبي الله ورسوله وكتيمه موسى بن عمران ، ولم تحصل له ، أفنحصل لآحاد الناس ؟ هذا مما يُتوقَّفُ فيه .

فصل : وإذا عَلِمَ ما تقرر في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه تبارك وتعالى ليلة المعراج مذهبان : ففتنها عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ، وجاء مثله عن أبي هريرة ، وإليه ذهب كثيرون من المُحدِّثين والمتكلمين . وبالحافظ عثمان عن سعيد الدارمي ، فنقل فيه الإجماع ، والثاني أنه رآه . وروى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن أنه كان يحلف بالله أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه . وروى ابن خزيمة عن عروة بن الزبير إثباتها ، وكان يشند عليه إنكار عائشة لها . وبه قال سائر أصحاب ابن عباس ، وبه جزم كعب الأخبار والزهري ومعمر وآخرون . وبه قال الشيخ أبو الحسن الأشعري وغالب أتباعه . وجنح ابن خزيمة إلى ترجيحه بما يطول ذكره . ثم اختلفوا : هل رآه بعينه أو بقلبه ؟ والقولان رؤيا عن الإمام أحمد . وقال الإمام النووي : الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ ليلة المعراج ، وبسط الكلام على ذلك واستدل بأشياء نوزع في بعضها كما سيأتي بيانه في ذكر أدلة المذهب الأول .

وذهب جماعة إلى الوقف في هذه المسألة ولم يجزموا بنفي ولا إثبات لتعارض الأدلة ، ورجَّح ذلك الإمام أبو العباس القرطبي في الْمُفْتَمِّم ، وعزَّاه لجماعة من المحققين ، وقوَّاه بأنَّه ليس في الباب دليل قاطع . وغالب ما استدلت به الطائفتان ظواهر متعارضة قابلة

للتأويل . قال : وليست المسألة من التعطيلات فيُكْتَفَى فيها بالدلالة الظنية ، وإنما هي من المعتقدات فلا يُكْتَفَى فيها إلا بالدليل القطعي .

وقال السبكي^(١) رحمه الله في السيف المسلول : « ليس من شرطه أن يكون قاطعاً متواتراً بل متى كان حديثاً صحيحاً ولو ظاهراً وهو من رواية الآحاد ، جاز أن يُعْتَمَدَ عليه في ذلك لأن ذلك من مسائل الاعتقاد التي يُشْتَرَطُ فيها القطع ، على أننا لسنا مُكَلِّفِينَ بذلك » . انتهى .

وقال القاضي في الشفاء وغيره : « لا يَرِيَّةَ في الجواز ، إذ ليس في الآيات : (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ^(٢)) ، (لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي^(٣)) نَصٌّ في المنع للرؤية ، بل هي مشيرة للجواز كما تَقَرَّرَ ذلك . وأما وجوب وقوعها لبينا صلى الله

عليه وسلم ، والقول / بأنه رآه بعينه ، فليس فيه قاطع أيضاً ولا نَصٌّ يُعَوَّلُ عليه ، إذ ٣٤٤
المُعَوَّلُ عليه فيه على آيَتَيْ النِّجْمِ : (مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى^(٤)) و (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَفَى^(٥)) . والتنازع بين الأئمة فيهما مأثور ، والاحتمال لهما من حيث دلالتهما على الرؤية وعدمها ممكن ، لعدم صراحتها بها ، ولا أثر قاطع متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . وحديث ابن عباس^(٦) أنه رآه بعينه أو بفؤاده إنما نشأ عن اعتقاد لم يُسَيِّدْهُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى يُعْتَبَرُ فيجب العمل باعتقاد مُضْمِنٍ من رؤيته رَبِّهِ . ومثله حديث شريك عن أَبِي ذَرٍّ^(٧) في تفسير الآية بأن النبي صلى الله عليه وسلم رَأَى رَبَّهُ ، وحديث مُعَاذُ : «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ» ، مضطرب الإسناد والمثنى . وحديث أبي

(١) يقصد المؤلف هنا تقي الدين أبا الحسن علي بن عبد الكافي السبكي (٦٨٣ - ٧٥٦ هـ) وكتابه الذي يشير إليه المؤلف هو السيف المسلول على من سب الرسول . وقد ترجم له ولده تاج الدين عبد الوهاب السبكي (٧٢٧ - ٧٧١ هـ) ترجمة مستفيضة في كتابه : طبقات الشافعية الكبرى (طبعة الحسينية بالقاهرة سنة ١٣٢٤ هـ ج ٦ ص ١٤٦ : ٢٢٧) وذكر في ص ٢١٤ أن كتاب السيف المسلول من بين مصنفات والده .

(٢) من الآية ١٠٣ من سورة الأنعام

(٣) من الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .

(٤) سورة النجم آية ١١

(٥) سورة النجم آية ١٧

(٦) في رواية مسلم عن ابن عباس : رآه بفؤاده مرتين (صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ٧) وفي رواية الترمذي عن ابن عباس : وقد رأى ربه تعالى مرتين (تيسير الوصول ج ١ ص ١٦٦) .

(٧) أخرج مسلم حديثين ينتهي إسنادهما إلى عبد الله بن شقيق عن أبي ذر جاهد في أولهما : نور أني أراه وفي الثاني قال : رأيت نوراً (صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ١٢) .

ذَرَّ مُخْتَلِفٌ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظِ مُخْتَمِلٌ لِأَن يَكُونَ رَأَاهُ أَوْ لَمْ يَرَهُ ، مُشْكِلٌ مِنْ حَيْثُ جَعَلَ ذَاتَهُ نَوْرًا ، فَرَوَى : «نورُ أنَّى أراه» - بفتح أوله وتشديد النون - أى نوراً لن أراه ، أى ليجزى العادة بأن النور إذا غشى البَصَر حجب في رؤيته لما وراءه ، وَرَوَى : «نوراني» ، أى بكسر النون الثانية وتشديد التحتية . .

قال القاضي : «وهذه الرواية لم تقع لنا ، ولا رأيتهما في أصل من الأصول ، ومُحَالٌ أن تكون ذاته تعالى نوراً ، إذ النور جسم يتعالى الله عَزَّ وَجَلَّ عنه ، ومن ثَمَّ كانت تسميته نوراً بمعنى ذى النور أو خالقه . وفي حديثه الآخر : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيته ربك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رَأَيْتُ نَوْراً» . وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما لإفصاحهما بأنه لم يَرَهُ ، فإن كان الصحيح «رَأَيْتُ نَوْراً» ، فقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لم يَرِ الله تعالى ، وإنما رأى نوراً منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى . وإلى قوله : «رَأَيْتُ نَوْراً» يرجع قوله : «نور أنَّى أراه» ، أى كيف أراه مع كون حجابهِ النور المُغْشَى للبصر ، وهذا الحديث مثل الحديث الآخر من حيث المعنى : حجابُهُ النور ، كما رواه مسلم وغيره . وقال أيضاً في الإكمال : وقف بعض مشايخنا في هذا . وقال : ليس هذا عليه دليل واضح ، ولكنه جائز ، ورؤية الله تعالى في الدنيا جائزة .

ذكر أدلة القول الأول

زاد الشيخان وعبد الرزاق وعبد بن حُمَيْد والترمذى وابن جرير وغيرهم عن مسروق ، زاد عبد الرزاق ومن بعده عنه ، قال : لقي ابن عباس كعباً بعرفة فسأله عن شيء فقال ابن عباس : إنا بنو هاشم نَزْعُم ، وفي لفظ نقول : إن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ . فكَبَّرَ كعب حتى جاوبته الجبال . ثم قال : «إن الله قَسَمَ رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما السلام [فكَلَّمَ موسى^(١) مرتين] ورآه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين» . ثم اتفقوا . قال مسروق : فدخلتُ على عائشة^(٢) فقلت يا أمتاه ، هل رأى محمد رَبَّهُ ؟ فقالت : لقد قَفَّ شَعْرِي بما قُلْتُ ، أَيْنَ أَتَيْتُ مِنْ ثَلَاثٍ مَنْ حَدَّثَكُنَّ فَقَدْ كَذَبَ ، وفي لفظ :

(١) تكلت الحديث من تيسير الوصول (ج ١ ص ١٦٦) .

(٢) روايات حديث مسروق عن السيدة عائشة أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي (٣٧ ص ٨ : ١١) .

فقد أعظمَ على الله الفرية ، مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَّبَ وَفِي لَفْظٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفَرِيَّةَ ، ثُمَّ قَرَأْتَ (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ^(١)) ، وَمَا كَانَ لِيَشْرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ^(٢)) ، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَّبَ ، وَفِي لَفْظٍ : فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفَرِيَّةَ ، ثُمَّ قَرَأْتَ : (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ^(٣)) وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ قَدْ كَتَمَ فَقَدْ كَذَّبَ ، وَفِي لَفْظٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفَرِيَّةَ ، ثُمَّ قَرَأْتَ : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ^(٤)) وَلَكِنَّهُ رَأَى جَبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ .. زَادَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ قَالَ مَسْرُوقٌ : وَكُنْتُ مُتَكَلِّمًا فَجُلِسْتُ فَقُلْتُ : أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ تَعَالَى : (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ^(٥)) . إِنْ أَوَّلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ فَقَالَ : « لَا ، إِنَّمَا رَأَيْتُ جَبْرِيلَ مُنْهَبِطًا » .

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ طَرِيقِ هَمَّامٍ ، وَمُسْلِمٌ عَنْ طَرِيقِ مُعَاذِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ ، وَمِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، ثَلَاثَتُهُمْ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ : لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُ تَسْأَلُهُ ، قَالَ : كُنْتُ أَسْأَلُهُ : هَلْ رَأَى رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى . قَالَ : إِنِّي قَدْ سَأَلْتُهُ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ فَقَالَ : نُورٌ أَتَى أَرَاهُ ، وَفِي رِوَايَةٍ : رَأَيْتُ نُورًا ^(٦) .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : قال جماعة : لم تَنْفِ عَائِشَةَ وَقَوَّعَ الرَّوْيَةَ بِحَدِيثِ مَرْقُوعٍ ، وَلَوْ كَانَ مَعَهَا لَدَّكَرْتَهُ ، وَإِنَّمَا اعْتَمَدْتَ الْاِسْتِنْبَاطَ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنْ ظَاهِرِ الْآيَةِ وَمَا قَالُوهُ غَفْلَةً عَنْ قَوْلِهَا : إِنَّمَا سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ فَقَالَ : « لَا ، إِنَّمَا رَأَيْتُ جَبْرِيلَ مُنْهَبِطًا » .

(١) سورة الأنعام آية ١٠٣

(٢) سورة الشورى آية ٥١

(٣) سورة لقمان آية ٣٤

(٤) سورة المائدة آية ٦٧

(٥) سورة النجم آية ١٣

(٦) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ١٢

الثاني: أن من قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم خاطبها على قدر عقلها، ومن حاول تخطئتها فيها ذهبت إليه فهو مخطئ قليل الأدب.

الثالث: قول ابن الجوزي: «إن أبا ذر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسراء، فأجابه بما أجابه به، ولو سأل به بعد الإسراء لأجابه بالإثبات، ضعيف جداً، فإن عائشة رضى الله عنها سأله بعد الإسراء ولم تثبت لها الرؤية».

الرابع: احتجاج عائشة بالآية خالفها فيه ابن عباس، فروى الترمذى وحسنه من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: محمد رأى ربه. قلت: أليس الله تعالى يقول: «لا تدركه الأبصار»؟ قال: «ويحك، ذلك نوره إذا تجلّى بنوره الذى هو نوره، وقد رأى ربه مرتين^(١)». والحاصل أن المراد بالآية الإحاطة به عند رؤيته، لا نفى أصل رؤيته. وقال النووى: المراد بالإدراك الإحاطة، والله تعالى لا يحاط به، وإذا ورد النص بنفى الإحاطة لا يلزم منه نفى الرؤية بغير إحاطة، وأما احتجاجها بقوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا^(٢)) فالجواب عنه من أوجه: أحدها: أنه لا يلزم مع الرؤية وجود الكلام حال الرؤية، فيجوز وجود الرؤية من غير كلام، الثانى: أنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة، الثالث: ما قال بعض العلماء إن المراد بالوحي هنا الكلام من غير واسطة، وأن القول وإن كان مُحتملاً لكن الجمهور على أن المراد بالوحي هنا الإلهام والرؤيا فى المنام وكلاهما يسمى وَحْيًا. وأما قوله تعالى (أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ^(٣)). فقال الواحدى وغيره بمعناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه تعالى من حيث لا يَرَوْنَهُ، وليس المراد أن يكون هناك حجاب يفصل موضعاً عن موضع، ويدل على تحديد المحجوب، فهو بمنزلة ما يُسمع من وراء حجاب حيث لم يَرِ الْمُتَكَلِّم.

الخامس: قول كعب: «وكلّمه موسى مرتين»، فيه نظر. والحق أنه كلّمه أكثر منهما، كما يرشد إلى ذلك قوله تعالى: (وَمَا تِلْكَ بَيِّنَاتُكَ يَا مُوسَى^(٤))، وقوله عز وجل:

(١) أخرجه الترمذى عن ابن عباس (تيسير الوصول ج ١ ص ١٦٦).

(٢) سورة الشورى آية ٥١

(٣) سورة طه آية ١٧

(وَمَا أَغْنَىٰكَ عَنْ قَوْمِكَ يَأْمُوسَىٰ) ^(١) . وقوله تبارك وتعالى : (فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ) ^(٢) وقوله تَقْدَسُ اسْمُهُ : (فَخَلَدَهَا بِقُوَّةٍ) ^(٣) وقوله تعالى : (اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ) ^(٤) ، وقوله عز وجل : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ) ^(٥) ، إلى غير ذلك من الآيات .

السادس : في غريب ما سبق «يا أمتاه» : أصله يا أمة والهاء للسكوت فأضيفت إليها ألف الاستغاثة فأبدلت تاء ، ثم زيدت هاء السكوت بعد الألف . ووقع في كلام الخطابي إذا نادوا قالوا يا أمة عند السكوت وعند الوصل «يا أمتاه» . فإذا تَفَجَّعُوا لِلنَّدْبَةِ قالوا : «يا أمتاه» والهاء للسكوت . وتَقَبَّبه الكرماني بأن قول مسروق : «يا أمتاه» ليس للنَّدْبَةِ ، إذ ليس هو تَفَجُّعاً عليها . قال الحافظ : وهو كما قال . قَفَّ شَعْرِي : قام من الفزع لِمَا حصل عندها من هيبة الله واعتقده من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك . قال النَّصْر - بالنون والضاد المعجمة - ابن شُمَيْل - بضم الشين المعجمة وفتح الميم وسكون التحتية وباللام : الْقَفَّ - بفتح القاف وتشديد الفاء - كالقشعريرة ، وأصله الْقَبْضُ والاجتماع لأن الجلد ينقبض عند الفزع فيقوم الشعر لذلك . «أين أنت من ثلاث» ، أى كيف يغيب فُهْمُكَ عن هذه الثلاث . وكان ينبغي أن يكون مُسْتَحْضِرَهَا ومعتقِدَ الْكَلْبِ مِنْ يَدِّهِ وقوعها «الفريضة» بالكسر : الكذب وجمعها فَرَى كَتَبَ .

ذكر أدلة القول الثاني

تقدم حديث مسروق عن ابن عباس وكعب . وروى النسائي بإسناد صحيح عن طريق عِكْرِمَةَ عن ابن عباس قال : أتعجبون أن الخلَّة تكون لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم ؟ ورواه ابن خزيمة : «إن الله اصطفى إبراهيم بالخلَّة» . إلى آخره . وروى ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي سلمة أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس رضى الله عنهم يسأله : هل رأى محمد ربه ؟ فأرسل إليه أن نعم .

(١) سورة طه آية ٨٣

(٢) سورة طه آية ٨٥

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٥

(٤) سورة طه آية ٤٣

(٥) سورة طه آية ٣٩ و ٤٠ .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : قال الحافظ ابن كثير وابن حجر وغيرهما : جاءت عن ابن عباس أخبار مُطْلَقَةٌ كما تقدم وأخبار مُقَيَّدَةٌ ، فيجب حَمْلُ مُطْلَقِهَا على مُقَيَّدِهَا . فمن المُقَيَّدَةِ ما رواه مسلم عن أبي العالية في قوله تعالى : (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) (١) ، (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) (٢) ، قال : « رآه بفؤاده مرّتين » . وروى أيضاً عن طريق عطاء عنه قال : « رآه بقلبه » . وروى ابن مَرْكَوَيْه من طريق عطاء عنه أيضاً في الآية قال : « لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه إنما رآه بقلبه » . وروى النسائي وابن خزيمة عن أبي ذر في الآية / قال : « رآه بقلبه ولم يره بعينه » . وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق موسى ابن عبيد عن محمد بن كعب القُرظي - بالطاء المعجمة المشالة وبالتحتية - قال ابن جرير عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قلنا : يارسول الله ، هل رأيت ربك ؟ قال : لم أره بعيني ، رأيته بفؤادي مرّتين ، ثم تلا (ثُمَّ دَنَا فَتَلَوْنِي) (٣) وموسى ضعيف .

٣٤٥ ظ

الثاني : قال الحافظ : المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب ، لا مجرد حصول العلم لأنه صلى الله عليه وسلم كان عالماً بالله تعالى على الدوام . بل مراد من أنه أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خُلِقَتْ في قلبه كما تُخْلَقُ الرؤية بالعين لغيره ، زاد صاحب السراج : « بخلاف غيره من الأولياء ، فإنهم إذا أطلقوا الرؤية والمُشَاهَدَةَ لأنفسهم ، فإنهم إنما يريدون « المعرفة » فاعلمه ، فإنه من الأمور المهمة التي يغلب فيها كثير من الناس » . انتهى . والرؤية لا يُشْتَرَطُ لها شيء مخصص عقلاً ولو جرت العادة بخُلْقِهَا في العين . قال الواحدي : « وعلى القول بأنه رآه بقلبه جعل الله تعالى بَصَرَهُ في فؤاده ، أو خَلَقَ لفؤاده بَصَرًا حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين » .

الثالث : على هذه الآثار المُقَيَّدَةِ عن ابن عباس يمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونَفْيِ عائشة ، بأن يُحْمَلَ نَفْيُهَا على رؤية البصر وإثباتها على رؤية القلب .

(١) سورة النجم آية ١١

(٢) سورة النجم آية ١٣

(٣) سورة النجم آية ٨

الرابع : قال ابن كثير : [فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما^(١)] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيتُ ربِّي عزَّ وجلَّ » ، فإنه حديث إسناده على شرط الصحيح لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس .

الخامس : قال ابن كثير : من روى عن ابن عباس أنه رآه ببصره فقد أغرب فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة . وقول البغوي : وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه ، وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر . قلت : سبق البغوي إلى ذلك الإمام أبو الحسن الواحدى وقول ابن كثير : إنه لم يصح في ذلك شيء عن الصحابة فليس بجيد ، قال : فقد روى الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس أنه كان يقول : نظر محمد إلى ربِّه مرتين : مرة ببصره ومرة بفؤاده .

(١) إضافة من تفسير ابن كثير (ج ٤ ص ٢٥٠) .

الباب الرابع

فى أى زمان ومكان وقع الإسراء

وفيه فصلان : الاول فى مكانه . فى رواية أنه كان عند البيت كما عند البخارى فى باب بدء الخلق وفى باب المعراج فى الحطيم ، وربما قال فى الحجر ، والشك من قتادة كما بينه الإمام أحمد فى روايته عن عفان عن همام ولَفْظُهُ : « بينا أنا فى الحطيم » ، وربما قال قتادة فى الحجر . قال الحافظ : والمراد بالحطيم هنا الحجر ، وأبعد مَنْ قال : المراد به ما بين الركن والمقام ، أو ما بين زمزم والحجر . قال : وهو وإن كان مختلفاً فى الحطيم بل هو الحجر أم لا فالمراد به هنا بيان البقعة التى وقع ذلك فيها لأنها لم تعدد لأن القصة متحدة باتحاد مخرجها .

وفى رواية الزهرى عن أنس : « فُرج سقف بيتى وأنا بمكة » ، وفى رواية الواقدى أنه : « أُسْرِى به من شِعْبِ أبى طالب » ، وفى حديث أم هانئ عند الطبرانى أنه « بات فى بيتها » ، قالت : فقدته من الليل / فقال : إن جبريل أتانى . قال الحافظ : والجمع بين هذه الأقوال أنه بات فى بيت أم هانئ ، وبيتها عند شِعْبِ أبى طالب ، ففُرج عن سقف بيته ، وأضاف البيت إليه لأنه كان يسكنه ، فنزل منه منزلة المالك ، وأخرجه إلى المسجد ، وكان به أثر النعاس ، ثم أخرجه إلى باب المسجد ، فأركبه البُراق . قال : وقد وقع فى مُرسَل الحسن عند ابن إسحق فأتاه فأخرجه إلى المسجد ، وهو يؤيد هذا الجمع . انتهى .

٣٤٦ و

وقال بعضهم : ليس بين قوله : « بينا أنا فى المسجد الحرام » وبين قوله : « فى بيتى » وبين أم هانئ ، تنافٍ لأنه قد يكون المراد بالمسجد الحرام .

الفصل الثانى : فى زمانه : الصواب الذى اتفق عليه العلماء : أن الإسراء كان بعد البعثة . أما ما وقع فى رواية شريك من قوله : « جاءه ثلاثة نفر قبل أن يُوحى إليه » ، وفيه « فكانت تلك الليلة فلم يره حتى أتته ليلة أخرى » ، ولم يُعَيَّنِ المدة التى بين المجيئين ، فيُحتمل

على أن المجئ الثاني كان بعد أن أُوحيَ إليه ، وحينئذ وقع الإسراء والمعراج ، وإذا كان بين المجيئين مدة فلا فرق بين أن تكون المدة ليلة واحدة أو ليال كثيرة أو عدة سنين .

قال ابن كثير : « وهذا الحمل هو الأطهر » ، وجزم به ابن القيم ، وجرى عليه الحافظ ، قال : « وبهذا يرتفع الإشكال عن رواية شريك ، ويحصل به الاتفاق بأن الإسراء كان في اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة ، ويسقط تشنيع الخطابي وابن حزم بأن شريكاً خالف الإجماع في دعواه أن المعراج كان قبل البعثة » . قال الحافظ : « وأما ما ذكره بعض الشراح أنه كان بين الليلتين اللتين أتاه فيهما الملائكة سبع وقيل تسع وقيل ثلاثة عشر ، فيُحتمل على إرادة السنين كما فهمه الشراح المذكور ، وأجاب بعضهم بأن القليلة هنا هي في أمر مخصوص وليست مطلقة ، واحتُيل أن يكون المعنى قبل أن يُوحى إليه في شأن الإسراء والمعراج مثلاً ، أي أن ذلك وقع بَعَثَةٍ قبل أن يُنذَرَ به . ويؤيده قوله في حديث الزهري : فُرج سقف بيتي . انتهى .

واختلفوا في أي سنة كان ، فعَجزَ جَمْعُ بآئه كان قبل الهجرة بسنة ، وجرى عليه الإمام النووي ، وبالح ابن حَزْم فنقل فيه الإجماع . وقال القاضى : قبل الهجرة بخمس سنين لأنه لا خلاف أن خديجة صَلَّت معه بعد فَرُض الصلاة ، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة ، ولا خلاف أن فَرُض الصلاة كان ليلة الإسراء ، وتَعَقَّبَ ابن دِحْيَةَ بأن المراد بالصلاة التي صَلَّتها معه هي التي كانت من أول البعثة ، وكانت ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي ، وإنما الذى فَرُض ليلة الإسراء الصلوات الخمس . وقد قالت عائشة رضى الله عنها : « إن خديجة رضى الله عنها ماتت قبل أن تُفَرَّض الصلاة » ، رواه ابن سعد ، ويعقوب بن سفيان . فالمُعْتَمَد أن مراد من قال : بعد أن فَرِضَت الصلاة ، ما فَرِض قبل الصلوات الخمس ، إن ثبت ذلك . ومراد عائشة بقولها : ماتت قبل أن تُفَرَّض الصلاة ، أي الخمس ، فيُجَمَّع بين القَوْلَيْنِ بلنك ، ويلزم منه أنها ماتت قبل الإسراء وقد حكى العسكرى أنها ماتت قبل الهجرة بسبع سنين وسيأتى تحقيق ذلك في ترجمتها .

واختلفوا في أي الشهور كان [الإسراء] فعجز ابن الأثير وَجَمَّع ، منهم النووي في فتاويه كما في النسخ المُعْتَمَد ، بأنه كان في ربيع الأول ، قال النووي : « ليلة سبع وعشرين » .

٣٤٦ ظ وجرى عليه جَمْعٌ ، / وهكذا نقله عن الفتاوى الإسئوى فى المهمات ، والأذرعى - بفتح أوله والراء وسكون الدال المعجمة بينهما - فى التوسط ، والزركشى فى الخادم ، والدميرى فى حياة الحيوان^(١) ، وغيرهم . وكذا رأيتُه فى عدة نسخ من الفتاوى وفى بعض النسخ من شرح مسلم كذلك ، وفى أكثرها ربيع الآخر كما فى نسخ الفتاوى . ونقله ابن دحية فى الابتهاج ، والحافظ فى الفتح ، وجمَعُ عن الحربى . والذي نقله عنه ابن دحية فى كتابيه : التنوير والمعراج الصغير ، وأبو شامة فى الباعث ، والحافظ فى فضائل رجب ، ربيع الأول . وقيل : كان فى رجب ، وحزم به النووى فى الروضة تبعاً للرافعى ، وقيل فى رمضان ، وقيل فى شوال .

قال ابن عطية بعد أن حكى الخلاف والتحقيق : « إنه كان بعد شَقِّ الصحيفة وقبل بيعة العقبة » . قال ابن دحية : « ويمكن أن يُعَيَّن اليوم الذى أسفرت عنه تلك الليلة ، ويكون يوم الاثنين » . وذكر الدليل على ذلك بمقدمات حساب من تاريخ الهجرة ، وحاصل الأمر أنه استنبطه ، وحاول موافقة كون المولد يوم الاثنين وكون المبعث يوم الاثنين وكون المعراج يوم الاثنين وكون الهجرة يوم الاثنين وكون الوفاة يوم الاثنين . قال : فإن هذه أطوار الانتقالات النبوية وجوداً ونبوة ومعراجاً وهجرةً ووفاةً ، فهذه خمسة أطوار ، فيكون يوم الاثنين فى حقه صلى الله عليه وسلم كيوم الجمعة فى حق آدم عليه الصلاة والسلام فيه خُلِقَ وفيه أنزل إلى الأرض وفيه تاب الله عليه وفيه مات ، وكانت أطواره الوجودية والدينية خاصة بيوم واحد . انتهى .

وروى ابن أبى شيبَةَ عن جابر وابن عباس رضى الله عنهما قالا : « وُلِدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وفيه بُعِثَ وفيه عرج إلى السماء وفيه مات » . وقولهما : « وفيه عرج إلى السماء » أراد الليلة لأن الإسراء كان بالليل اتفاقاً .

(١) جاء فى حياة الحيوان الكبرى للدميرى مادة براق (ج ١ ص ١٠٧ : ١٠٩ طبعة القاهرة سنة ١٣٠٥ هـ) . واختلف الناس فى تاريخ الإسراء فقال ابن الأثير : الصحيح عنى أنه كان ليلة الاثنين لسبع وعشرين من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة . وهذا جزم شيخ الإسلام محمى الدين قنؤوى فى شرح مسلم وحزم فى فتاويه فى كتاب الصلاة بأنه كان فى شهر ربيع الآخر وفى سير الروضة أنه كان فى رجب ، وإنما كان ليلاً لتظهر الخصوصية بين مجلس الملك نهاراً وجلسه ليلاً .

تنبيه : ذكر أبو الخطاب بن دحية^(١) أن الإسراء كان في الليلة التي بين الأحد والاثنين على القول بأن الليلة تتبّع اليوم الذي قبلها . ثم قال : « ويدل على أن الليلة تتبّع اليوم الذي قبلها أن ليلة عرفة هي التي قبلها بإجماع ، وكان بعضهم يقول : ليلة السبت في ظنّ الناس هي ليلة الجمعة » . انتهى . والذي ذكره النحاة في باب التأريخ أن ليلة كل يوم هي التي قبله ، لأن أول الشهر ليلة ، وآخره يوم . وبذلك صرح أئمتنا الشافعية في غير موضع من كتبهم . وليلة عرفة وإن تأخرت عن يومها شرعاً فذلك في الحكم ، وهو مشروعية الوقوف في هذا الوقت المخصوص ، ولا يُعترض على ما سبق بقوله تعالى : (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ^(٢)) لأنّ المُفسرين ذكروا فيه معنى غير هذا ، فقال مجاهد^(٣) : « في قضاء الله تعالى وعلمه لا يفوت الليلُ النهارُ حتى يدركه فيذهب بظلمته ، وفي قضاء الله وعلمه لا يفوت النهارُ الليلُ حتى يدركه فيذهب بضوئه » . رواه ابن المنذر .

وقال الضحاك : « لا يذهب الليل من ههنا حتى يجيء النهار من ههنا » . رواه ابن أبي حاتم . وقال البغوي : « أي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته » . وقيل لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر ، فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء . فإذا اجتمعا وأدرك كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة ، وقيل : لا يتصل ليلٌ بليل ولا يكون بينهما نهار فاصل . والله أعلم .

(١) هو الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسين بن دحية من كبار محدثي والحفاظ الأثبات الثقات توفي سنة ٦٣٣ هـ ترجم له المقرئ في نفع الطيب (بولاق سنة ١٢٧٩ هـ ج ١ ص ٣٧٤ : ٣٧٧) .
(٢) من الآية ٤٠ من سورة يس .
(٣) في تفسير ابن كثير (ج ٤ ص ٥٧٢) : قال مجاهد : « ولا الليل سابق النهار » يطلبان حيثين يصلح أحدهما من الآخر والمعنى في هذا أنه لا فترة بين الليل والنهار ، بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ لأنهما مسفران دالّين يطلبان طلباً حثيثاً .

الباب الخامس

في كيفية الإسراء / برسول الله صلى الله عليه وسلم
وهل تكرر أم لا .

و ٣٤٧

وفيه فصلان : الأول : اعلم أنه لا خلاف في صحة الإسراء به صلى الله عليه وسلم .
إذ هو نص القرآن على سبيل الإجمال ، وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه أحاديث كثيرة
منتشرة عن جماعة من الصحابة يأتي ذكرهم بعد في باب مُفْرَد ، وإنما الخلاف في كيفية
الإسراء ، فاختلف العلماء في ذلك على أقوال : الأول وهو قول الأكثر إنه كان بالروح
والجسد معاً يقظة لا مناماً ، من مكة إلى بيت المقدس ، إلى السموات العُلا إلى سِدْرَةِ المنتهى
إلى حيث شاء العليُّ الأعلى .

قال القاضي وغيره : « وهو الحق وعليه تدل الآية نصاً وصحيح الأخبار إلى السموات
استفاضة ولا يُعْتَدل عن الظاهر من الآية والأخبار الواردة فيه ، ولا عن الحقيقة المتبادرة
إلى الأذهان من أفتاضهما ، إلى التأويل ، إلا عند الاستحالة وتعلُّق حَمَل اللفظ على حقيقته ،
وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة تُؤْذِن بتأويل ، إذ لو كان مناماً لقال :
سبحان الذي أسرى بروح عبده ، ولم يقل : وعبده ، والعبد حقيقة هو الروح والجسد ،
ويدل عليه قوله تعالى (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ^(١)) أي ما عدل عن رؤية ما أمر برويحه
من عجائب الملكوت وما جاورها لصراحة ظاهرة في كونه بجسده يقظة لأنه أضاف الأمر
إلى البصر ، وهو لا يكون إلا يقظة بجسده بشهادة : (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ^(٢)) .
ولو كان مناماً لَمَا كانت فيه آية ولا معجزة خارقة للعادة ثورث [عدم] ^(٣) صِدْقِهِ ،

(١) سورة النجم آية ١٧

(٢) سورة النجم آية ١٨

(٣) إضافة يقتضها السياق .

وإن كانت رؤيا الأنبياء وحياً ، إذ ليس فيها من الأبلنية وخرق العادة ما فيه يقظة^(١) .
وأيضاً لو كان مناماً لما استبعده الكفار ولا كذبوه ، ولا ارتدّ به ضعفاء من أسلم واقتنوا
به ، لبعثه عن ساحة العادة ، ووقوعه في زمن يُستبعد فيه جداً ، إذ مثل هذه المنامات لا يُنكر ،
بل لم يكن منهم ذلك الاستبعاد والتكذيب ، والارتداد والافتتان إلا وقد علموا أن خبره
إنما هو عن جسمه وحال يقظته .

وقد روى البخارى في باب الإسراء من صحيحه^(٢) ، وسعيد بن منصور في سننه
عن ابن عباس رضى الله عنه في قوله تعالى : « وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ »^(٣)
هى رؤيا عَيْنِ أَرَاهَا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء . زاد سعيد : « وليست
رؤيا منام » .

قال الحافظ : « إضافة الرؤية للعين للاحتراز عن رؤيا القلب . وقد أثبت الله تعالى رؤيا
القلب في القرآن بقوله : (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)^(٤) ، ورؤية العين بقوله : (مَا زَاغَ
الْبَصَرُ وَمَا طَغَى)^(٥) . وأما ما رواه ابن مردويه عن طريق العوفي عن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما في الآية قال : « رأى أنه وصل مكة وأصحابه . فلما رده المشركون كان لبعض
الناس في ذلك فتنة » . وما رواه ابن مردويه عن الحسن بن على رضى الله عنهما ، رفعه
قال : رأيت كأن بنى أمية يتعاورون منبرى هذا ، فقال : هى « دنيا نناهم » ، ونزلت
هذه الآية ، فكلاهما إسناده ضعيف والصحيح ما تقدم ، وجزم بما قاله ابن عباس إنها
رؤيا حين ليلة الإسراء مجاهد وسعيد بن جبهر والحسن ومسروق وإبراهيم وقتادة وعبد الرحمن
ابن زيد وغير واحد .

تنبيه : قال ابن دحية : « جنح البخارى إلى أن ليلة الإسراء كانت غير ليلة المعراج
لأنه أفرد لكل منهما ترجمة » / قال الحافظ : « ولا دلالة في ذلك على التغاير جنده ، ٣٤٧ ظ

(١) زاد القاضى عياض فيما نقله المؤلف عنه : « على أن ذلك إنما يعرفه من صدقه وصدق خبره » . وقد نقله
بدوره الزرقانى في شرحه على المواهب (ج ٦ ص ٨) .

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه في كتاب التفسير (ج ٦ ص ١٦٠)

(٣) سورة الإسراء آية ٦٠

(٤) سورة النجم آية ١١

(٥) سورة النجم آية ١٧

بل كلامه في أول الصلاة ظاهر في اتحادهما ، وذلك أنه ترجم باب : كيف فُرِضَت الصلاة ليلة الإسراء ، والصلاة إنما فُرِضَت في المعراج ، فدلَّ على اتحادهما عنده ، وإنما أفرد كلاً منهما بترجمة لأن كلاً منهما يشتمل على قصة منفردة وإن كانا وقعا معاً .

القول الثاني : إن الإسراء كان بالجسد يقظةً إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح ، دَهَبَ إلى هذا طائفة واحتجوا بقوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) فجعل المسجد الأقصى غايةً للإسراء الذي وقع التَّعَجُّبُ فيه من حيث أنه كان في بعض ليلة . والتَّعَجُّبُ فيه من الكُفَّارِ تَعَجُّبٌ استحالة ، ومن المؤمنين تَعَجُّبٌ تعظيم القُدرة الباهرة . ووقع التَّمَدُّحُ بتشريف النبي صلى الله عليه وسلم ، وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه . ولو كان الإسراء إلى مكانٍ زائدٍ على المسجد الأقصى لذكره تعالى فيكون ذِكْرُهُ أبلغ في المدح من علم ذكره فيه .

ولجَّاب الأئمة عن ذلك بأن استدرجهم إلى الإيمان بذكر الإسراء أولاً ، فلمَّا ظهرت أمارات صدِّيقه ، وَصَحَّتْ لهم براهينُ رسالته ، واستأنسوا بتلك الآية الخارقة ، أخبرهم بما هو أعظم منها ، وهو المعراج ، فَحَدَّثَهُم النبي صلى الله عليه وسلم به ، وأنزله الله تعالى في سورة النَّجْم . ويؤيد وقوع المعراج عَقِبَ الإسراء في ليلة واحدة رواية ثابت عن أنس رضي الله عنه عند مسلم^(١) : « أُتِيْتُ بِالْبَرَاءِ فَرَسِيْعُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ » ، فلذكر القصة إلى أن قال : « ثُمَّ خَرَجَ بَنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا » وحديث أبي سعيد الخُدْرِي : بالخاء المعجمة المضمومة وباللادال المهملة - عند ابن إسحق : « فَلَمَّا فَرَعْتُ مِمَّا كَانَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ أُتِيَ بِالْمِعْرَاجِ » . فلذكر الحديث .

القول الثالث : إن الإسراء كان بالروح وإنه رؤيا منام ، مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء وَحْيٌ بشهادة : (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ)^(٢) ، وقوله صلى الله عليه وسلم :

(١) الحديث يطوله عن ثابت البناني عن أنس بن مالك في صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٢ ص ٢٠٩ وما بعدها)

(٢) من الآية ١٠٢ من سورة الصافات .

« الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ ^(١) » . واحتج من قال بهذا القول بقوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) ^(٢) ولو كان يقظة لقال : « الرؤيا » بالياء ، وقول أنس في حديثه في رواية شريك : « وهو نائم بالمسجد الحرام » . وذكر القصة الواردة ليلة الإسراء ، ثم قال في آخرها : « استيقظت - أى انتبهت - من منامى وأنا في المسجد الحرام » . وهذا المذهب يُعزى لمعاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه فإن ابن إسحق ^(٣) قال : « حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عُثْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ سَرِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « كَانَتْ رُؤْيَا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى صَادِقَةً » . ويعقوب وإن كان ثقة إلا أنه لم يُذكر معاوية ^(٤) فالحجة منقطعة .

ويُعزى أيضاً إلى عائشة رضى الله عنها ، قال ابن إسحق : « حَدَّثَنِي بَعْضُ آلِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ تَقُولُ : « مَا فُقِدَ جَسَدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنْ أُسْرِى بِرُوحِهِ » ^(٥) . كذا فيما وقفت عليه من نُسَخِ السيرة « فُقِدَ » بالبناء / ٣٤٨ و للمفعول . وفي الذى وقفت عليه من نسخ الشفا للقاضى « مَا فَقَدْتُ » بالبناء للفاعل وإسناد الفعل إلى تاء المتكلم .

وأجيب عن الأول بأن « الرؤيا » قد تكون بمعنى « الرؤية » في البقعة كما نقله أبو الخطاب ابن دحية عن ابن عباس . قال الشيخ السهيلي في الروض ^(٦) : « وَأَنْشَدُوا لِلرَّاعِي يَصِفُ صَائِداً :

وَكَبَّرَ لِلرُّؤْيَا وَهَشَّ فُؤَادَهُ وَيَشَّرَّ قَلْباً كَانَ جَمًّا بِلَابِلِهِ

(١) أخرجه البخارى في كتاب المناقب (٢ ج ص ٣٣ : ٣٤) في حديث عن أنس بن مالك جاء في خاتمه : « وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ » وبماثلة ما جاء في طبقات ابن سعد « ج ١ ق ١ ص ١١٢) ومستند أحمد (ج ١ ص ٢٧٤) ومستند ابن أبي داود الطيالسى (رقم ٢٧٣١) .
(٢) من الآية ٦٠ من سورة الإسراء .
(٣) سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٦)
(٤) يقيده رأى المؤلف أن يعقوب بن عتبة كما جاء في خلاصة الخزرجى (ص ٣٧٥) توفى سنة ١٢٨ هـ بينما توفى معاوية سنة ٦٠ هـ .
(٥) سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٥) .
(٦) الروض الأنف (ج ١ ص ٢٤٣) .

وقوله : (إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) يدل على أنها رؤية عَيْن ، وإسراء شخص ، إذ ليس في الحلم فتنة للناس من تَعَجُّبِهِمْ تَعَجُّبَ استحالة ، حتى ارتد كثيرٌ من آمن . وقال الكُفَّار : « يَزُمُّ محمد أنه أتى بيت المقدس وَرَجَعَ إلى مكة في لَيْلَتِهِ ، واليَمِيرُ تَطَرَّدَ إليها شهراً مُقْبِلَةً وشهراً مُثْبِرَةً . ولو كانت رؤيا نوم لم يَسْتَبْعِدَ أَحَدٌ منهم هذا ، فمعلوم أن النائم قد يرى نفسه في السماء وفي المَشْرِقِ وفي المَغْرِبِ فلا يُسْتَبْعَدُ منه ذلك ، ويؤيد كونها يَقْطَعُ ما ورد من شربه تلك الليلة الماء الذي كان لِسْقَارِ قريش ، وضعوه في بعض مراحلهم في قَدَحٍ وَغَطَّوْهُ ، فأصبحوا ولأما فيه ، فَعَجِبُوا لذلك . وإرشاد أصحاب اليمير الذين نَدَّ بعيرُهم حين أنفروه حِسَّ البُرَّاقِ حتى دَلَّهم عليه ، فأتخبر أهل مكة بِأَمَارَةِ ذلك ، حتى ذكر الغرارتين السوداء والبرقاء ، وَوَعَدَهُ لقريش بِقدوم اليمير التي أرشد أصحابها إلى بعيرهم وشرب مائهم أن يَقْدَمُوا يوم الأربعاء » . كما سيأتى بيان ذلك مبسوطاً في القصة . وهذا كله لا يكون إلا بقظة وقد تقدم في القول الأول عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال في الآية : هذه رؤيا عين^(١) أَرَبَّهَا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء فراجعه .

وأجيب عن الثانى وهو قوله : « بينا أنا بين النائم واليقظان ، ثم استيقظت » بأنه لا حجة في ذلك . إذ يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ « بين النائم واليقظان » إلى آخره أنه أول وصول المَلَك كان وهو نائم بشهادة حديث الحَسَن : « بينا أنا نائم في الحِجْرِ جامئى جبريل فَهَزَّنِي بِعَقِيهِ ، فجلستُ فلم أَرِ شيئاً فَعُدْتُ لمُضْجِى » ، إلى أن قال : « فَجَرَّنِي إلى باب المسجد فإذا أنا بِدَابَّةٍ » أو أنه محمول على ابتداء الحال ، ثم لما خرج إلى باب المسجد ، فأركبه البُرَّاق فاستمرَّ في يقظته . وليس في الحديث أنه كان نائماً في القصة كلها . وأما قوله : « ثم استيقظتُ وأنا بالمسجد الحرام » ، فقد قال الحافظ : « إن قيل بالتَّعَدُّدِ فلا إشكال وإلا حُجِّلَ على أن معناه أَقْفَتُ أى أَفاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة عجائب الملكوت ورجع إلى العالم الدنيوى فلم يرجع إلى عالم البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام » .

(١) انظر أيضاً شرح المراهب ج ٦ ص ٢ .

قال ابن كثير : « ويؤيد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أوجىء إليه يستغرق فيه فإذا انتهى رجع إلى حالته الأولى ، فكُنِيَ عنه بالاستيقاظ كما في حديث عائشة ، حين ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فكَلِّبُوهُ ، قال : « فرجعت وأنا مهموم فلم أَسْتَقِيقَ إلا بقرن الثعالب » أى وهو مكان . وفي حديث أبي أُسَيْدٍ - بضم الهمزة وفتح المهملة - حين جاء بابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيُحَنِّكَه ، فوضعه على فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم . واشتغل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث / مع الناس . فرقع ٣٤٨ ظ أبو أُسَيْدٍ ابنه ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يجد الصبي فسأل عنه فقالوا « رُفِعَ » ، فسماه المُنْزِلَ أحد رواته استيقاظاً . وهذا الحَمَلُ أَحْسَنُ من تغليب شريك .

تنبيه : قال بعضهم إنه صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة نائم العين حاضراً القلب ، غَمَضَ عينيه لثلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله . قال القاضى : « وهذا غير صحيح لأنَّ المقام مشاهدة عجائب الملكوت بشهادة قوله تعالى : (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا)^(١) ، (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)^(٢) ، إذ المتبادر منه رؤية العين ، ولا يصح أيضاً أن تكون في وقت صلاته بالأنبياء .

وأما ما يُعزى لعائشة رضى الله عنها ، فلم يرد بَسَنَدٍ يصلح للحجة بل في سَنَدِهِ انقطاع وأرد مجهول كما تقدم . وقال أبو الخطَّاب بن دحية في التنوير^(٣) : إنه حديث موضوع عليها . وقال في مراحله الصغير : « قال إمام الشافعية القاضى أبو العباس بن سُرَيْج : هذا حديث لا يصح وإنما وُضِعَ رَدًّا للحديث الصحيح » . انتهى .

وعلى تقدير أن يكون صحيحاً ورد بالبناء للمفعول فعائشة رضى الله عنها لم تُحَدِّثْ عن مشاهدة لأنَّها لم تكن زوجة إذ ذاك ، أو بالبناء للفاعل : « مَا فَقَدْتُ جَسَدَهُ الشَّرِيفَ » فعائشة لم يدخل بها إلا بالمدينة بالإجماع ، ولا كانت وقت الإسراء في سِرٍّ من يَضْبُطُ الأمور ، لأنَّها في سنة الهجرة كانت بنت ثمان سنين . فعلى القول بأنَّ الإسراء كان قبلها

(١) سورة الإسراء من الآية الأولى

(٢) سورة النجم آية ١٨

(٣) هو التنوير في مولد السراج المنير نقلا عن ترجمة مؤلفه في نفع الطيب (١٦ ص ٢٧٤ : ٢٧٧)

بسنة تكون بنت سبع ، وعلى القول بأكثر من ذلك تكون أصغر من ذلك ، وعلى قول من قال : إن الإسراء كان بعد البعث بعام لم تكن وُلدت .

تنبيه : قال في زاد المعاد^(١) : « ينبغي أن يُعلم الفرق بين أن يقال : كان الإسراء مناما وبين أن يقال : كان بروحه دون جسده ، وبينهما فرق عظيم . وعائشة ومعاوية لم يقولوا : كان مناماً ، وإنما قالوا : الإسراء بروحه ولم يُفقد جسده . وقرق بين الأمرين ، فإن ما يراه النائم قد يكون أمثالاً مضروبة للمعلوم في الصور المحسوسة ، فيرى كأنه عُرج به إلى السماء ، أو ذهب به إلى مكة أو أقطار الأرض ، وروحه لم تصعد ولم تذهب ، وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال ، والذين قالوا : عُرج برسول الله صلى الله عليه وسلم طائفتان : طائفة قالت عُرج بروحه وبَدَنِهِ ، وطائفة قالت عُرج بروحه ولم يُفقد بَدَنَهُ . وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان مناماً وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أُسْرِى وعُرج بها حقيقةً وباشرت من جنس ما تباشر بعد المفارقة . وكان حالها في ذلك كحالها بعد المفارقة في صعودها إلى السموات سماءً سماءً ، حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة ، فتقف بين يدي الله تعالى فيأمر فيها بما يشاء ، ثم تنزل إلى الأرض » .

« والذي كان برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة . ومعلوم أن هذا أمرٌ فوق ما يراه النائم . لكن لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام خرق العوائد ، حتى شقَّ بطنه وهو حي لا يتألم بذلك ، عُرج بذات روحه المقدسة حقيقةً من غير إماتة . ومن سواه : لا ينال بذات روحه الصعود إلى السموات إلا بعد الموت والمفارقة^(٢) ، إلى آخر كلامه ، وسيأتى بتأمله في باب حياته صلى الله عليه وسلم في قبره .

٣٤٩ و . الفصل الثاني : في تكرره / :

ذهب جماعة منهم الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشهير بابن شامة رحمه الله تعالى إلى أن الإسراء وقع مراراً ، واحتجَّ بما رواه سعيد بن منصور ، والبرقي ، وابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أنا

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

(٢) يقع هذا النص في ج ٣ ص ٣٠٤ : ٣٠٦ على هامش شرح التزيدي على المواهب .

ناتم إذ جاء جبريل عليه السلام فوَكَّرَ بين كَيْفَيَّ ، فَقَعْتُ إلى شجرة فيها مثل وَكْرَى الطَّيْرِ ، ففقد جبريل في أحدهما وَقَعْتُ في الآخر ، فَسَمْتُ وَارْتَفَعْتُ حَتَّى سَدَّتْ الْخَافَقَيْنِ ، وَأَنَا أَقْلَبُ طَرْفِي ، فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَمْسُ السَّمَاءَ لَمَسْتُ وَفُتِحَ لِي بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ فَرَأَيْتُ النُّورَ الْأَعْظَمَ ، وَإِذَا دُونَ الْحِجَابِ رَفَرَفَ الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ ، وَفِي رِوَايَةٍ فُذِّلْتُ بِسَبَبٍ وَهِيَ إِلَى النُّورِ فَوَقَعَ جَبْرِيلُ مَفْشِيًّا عَلَيْهِ كَأَنَّهُ جَلَسَ ، فَعَرَفْتُ فَضْلَ خَشْبَتِهِ عَلَى خَشْبَتِي ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيَّ مَا شَاءَ أَنْ يُوحِيَ ، وَفِي رِوَايَةٍ : فَأَوْحَى إِلَيَّ نَبِيًّا مُلَكًا أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا وَإِلَى الْجَنَّةِ مَا أَنْتَ ، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ جَبْرِيلُ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ : أَنْ تَوَاضَعَ . قَالَ : قُلْتُ : لَا بَلْ نَبِيًّا عَبْدًا

شرح غريب ما سبق

« وَكَّرَ » ضرب برفق . « وَكْرَى الطائر » تنثية وَكَّرَ بفتح الواو وهو عُشُّ الطائر . إِنْ كَانَ فِي جَبَلٍ أَوْ شَجَرٍ ، وَالْمُرَادُ هُنَا بَيْتَانِ شَبِيهَانِ بَعْضُهُ فِي الْهَيْئَةِ وَالْوَضْعِ لَا فِي الْمَقْدَارِ . « نَمَتُ » زادت . « الْخَافِقَانِ » طرفا السماء والأرض أو المشرق والمغرب وخوافق السماء جهاتها التي تهب منها الرياح الأربع . « لَمَسْتُ » بكسر أول سينيه وفتحها وقد يُخَفَّفُ وَتُنْقَلُ حركتها إلى الميم وقد تُنْزَعُ الميم مفتوحة « أَقْلَبُ طَرْفِي » حال من الضمير قبله أى مُقَلِّبًا بَصَرِي فِي آيَاتِ اللَّهِ فِي الْآفَاقِ . « جَلَسَ » بكسر الحاء والسين الْمُهِمَلَتَيْنِ : كَسَاةً يَلِي ظَهَرَ الدَّابَّةِ تَحْتَ الرَّحْلِ يُشَبَّهِ بِهِ مَنْ لَزِمَ شَيْئًا مِنْ خَشْيَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ . « السَّبَبُ » فِي الْأَصْلِ الَّذِي يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الْمَاءِ ثُمَّ اسْتَعِيرَ لِكُلِّ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى شَيْءٍ .

قال الحافظ : « وحديث أنس السابق رجاله لا بأس بهم إلا أن الدارقطني ذكر له عِلَّةٌ تقتضى لإرساله^(١) . وعلى كل حال فهي قصة أخرى ، الظاهر أنها وقعت بالمدينة ، قال ولا بُدَّ في وقوع مثل ذلك في المنام ، وإنما المُسْتَعْرَبُ وقوع التعدد في قصة المعراج التي وقع فيها السؤال عن كل نبي وسؤال أهل كل سماء : هل بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ وفُرِضَ الصَّلوات الخمس وغير ذلك ، فَإِنْ تَعَدَّدَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الْبِقْظَةِ لَا يَتَجَهَّ ، فَيَتَعَيَّنُ رَدُّ بَعْضِ الرِّوَايَاتِ

(١) أى علة تجعل الحديث في حكم المرسل والحديث المرسل في علم مصطلح الحديث هو ما سقط من رواته الصحابي سواء أكان الراوى المرسل تابعيا كبيرا أم صغيرا وهو ضعيف عند الشافعي فلا يحتج به صحيح عند أبي حنيفة ومالك . انظر الباحث الحديث إلى معرفة علوم الحديث لابن كثير (طبعة القاهرة سنة ١٩٣٦ م ص ٣٧ : ٤٠)

المختلفة إلى بعض والترجيح ، إلا أنه لا بُد في وقوع جميع ذلك في المنام ، ثم وقوعه في اليقظة على وَفْقِهِ ولهذا مزيد بيان في الباب الثامن .

وذهب جماعة منهم المَهْلَب شارح البخارى ، وحكاه عن طائفة ، وأبو نصر القشيري ، والبغوى ، والسهيل ، ونقل تصحيحه عن شيخه القاضى أبى بكر العربى ، وجزم به النووى في فتاويه إلى أن الإسراء وقع مَرَّتَيْنِ : مَرَّةً في النوم ومَرَّةً في اليقظة . قالوا : « وكانت مرة النوم توطئة له وتيسيراً عليه ، كما كان في بدء نُبُوَّتِهِ الرؤيا الصادقة ، ليسهل عليه أمر النبوة ، فإنه أمر عظيم تضعف عنه القوى البشرية ، وكذلك الإسراء سَهَّلَهُ عليه الرؤيا لَأَن هَوْلَهُ عَظِيمٌ ، فجاء في اليقظة على توطئة وتَقْلِيمَةٍ رِفقاً من الله تعالى بعبده وتسهيلاً عليه » .

قال الحافظ : « ومن المستغرب قول ابن عبد السلام في تفسيره : إن الإسراء كان في النوم واليقظة ووقع بمكة والمدينة ، فإن كان يريد تخصيص المدينة بالنوم ويكون / كلامه على طريق اللَّفِّ والنَّشْرِ غير المُرْتَبِّ فيُحْتَمَلُ ، ويكون الإسراء الذى اتصل بالمِعْرَاج وفُرضت فيه الصلاة بمكة ، والآخر في المنام بالمدينة ، وينبغى أن يَزَادَ فيه أن الإسراء في المنام تكرر بالمدينة النبوية . ففي الصحيح في الجنائز حديث سَمُرَةَ الطويل ، وفي غيره حديث عبد الرحمن بن سَمُرَةَ الطويل ، وفي الصحيح حديث ابن عباس رضى الله عنهما في رؤيا الأنبياء ، وحديث ابن عُمر في ذلك .

قلت وسيأتى في باب مناماته صلى الله عليه وسلم ما فيه مَقْنَعٌ .

الباب السادس

في دفع شبهة أهل الزئغ في استحالة المعراج

اعلم أن الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُخَالَف في وقوعه أَحَدٌ من المسلمين ، وإنما طَعَن فيه أهلُ الزَّيْغ بِشَبْهِ باطلة . وقد تَصَدَّى الإمام الرازي وغيره للرد عليهم ، وأنا مُؤَرِّد تلك الشُّبْهة ثم أَتْبِعُهَا بالرد . قال أهل الزَّيْغ والفضالة قَبَحَهُمُ اللهُ تبارك وتعالى : « الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحد غير معقولة ، ولو صَعِدَ إلى السموات لوجب خَرَقُ الأفلاك ، وذلك مُحَال ، وصعود الجِرمِ الثقيل إلى السموات غير مقبول ، ولأن هذا المعنى لو صَحَّ لكان أعظم من سائر معجزاته ، وكان يجب أن يظهر ذلك عند اجتماع الناس حتى يستدلوا به على صدقه من ادِّعاء النبوة ، فأما أن يحصل ذلك في وقت لا يراه [فيه]^(١) أَحَدٌ ولا يشاهده فإن ذلك يكون عَبَثًا لا يليق بالحكيم » .

وأجيب عن الأول أن الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحد ممكنة في نفسها ، والله قادر على ذلك ، ويدل على صحته أن الفلك الأعظم يتحرك من أول الليل إلى آخره ما يَقرُب من نصف الدور ، وثبت في الهندسة أن نسبة القطر إلى الدور نسبة الواحد إلى ثلاثة وسُبع^(٢) . فبتقدير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتفع من مكة إلى ما فوق الفلك الأعظم فهو لم يتحرك [إلا]^(٣) إلى مقدار نصف القطر . فلما حصل في ذلك القدر من الزمان نصف الدور كان حصول الحركة بمقدار نصف القطر أَوَّلَى بالإمكان ، فهذا برهان قاطع على الارتفاع من مكة إلى ما فوق العرش في مقدار ثلث الليل [وأنه]^(٤) أمرٌ ممكن في نفسه .. وإذا كان كذلك كان حصوله في كل الليل أَوَّلَى بالإمكان .

(١) إضافة يقتضها السياق .

(٢) يقصد المؤلف النسبة القرينية بين قطر الدائرة ومحيطها .

(٣) إضافة يقتضها السياق .

وأيضاً ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة وثيناً وستين مرة ، ثم أننا نشاهد طلوع القرص يحصل في زمان لطيف سريع ، فدلّ على أن بلوغ الحركة في السرعة إلى هذا الحد أمرٌ ممكن في نفسه . فإن كان الكلام مع من لا يعرف الهندسة فنقول له : أنت تشاهد الشمس والقمر والنجوم تقطع من الشروق إلى الغروب مسافة لا يُقدَّر على قطعها في أعوام كثيرة .

وأيضاً كانت الرياح تُسَيِّرُ لسليمان بن داود عليهما السلام إلى المواضع البعيدة في الأوقات اليسيرة ، قال الله تعالى : (غُلِّثُوا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ)^(١) ، والجِسُّ يدل على ذلك وهو أن الرياح تنفذ عند شدة هبوبها من مكان إلى مكان آخر في غاية البُعد في اللحظة الواحدة .
٣٥٠ و قد أحضر الذي عنده عِلْمٌ من الكتاب كرسى بلقيس من / أقصى اليمن إلى أرض الشام في أقل من لمح البصر . والأجسام متائلة في تمام ماهياتها ، فلما حصل مثل هذه الحركة في حق بعض الأجسام وجب إمكان حصولها في سائر الأجسام ، فهي ممكنة والله تعالى قادر على حصولها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم .

والجواب عن الثاني : وهو خَرَقَ الأفلاك فليس بِمُحَالٍ وقد منعه الثُفَّةُ للجنة والنار . قال الشيخ سعد الدين^(٢) : « ادّعاء استحالة المعراج باطل لأنه إنما ينبغي على أصول الفلاسفة من امتناع الخرق والالتصام على السموات ، وإلا فالخرق والالتصام على السموات واقع عند أهل الحق ، والأجسام العلوية والسفلية متائلة مُركَّبة من الجواهر الفردة المتائلة ، يصبح على كل من الأجسام ما يصبح على الآخر ضرورة التماثل المذكور ، فإن أمكن خرق الأجسام السفلية أمكن خرق الأجسام العلوية والله قادر على الممكنات كلها ، فهو قادر على خرق السموات وقد ورد به السمع فيجب تصديقه » .

والجواب عن الثالث : فكما أنه يُسْتَبْعَد صعود الجسم الكثيف يُسْتَبْعَد نزول الجسم اللطيف الروحاني من العرش إلى مركز العالم . فإن كان القول بمعراج النبي صلى الله عليه عليه

(١) من الآية ١٢ من سورة سبأ .

(٢) يقصد المؤلف سعد الدين التفتازاني مسعود بن عمر المتوفى سنة ٧٩١ هـ اشتهر بمؤلفاته في الأصول وعلم الكلام والمنطق والتفسير وعلوم اللغة ومن كتبه المتداولة شرحه المعانيد النسفية لتجمل الدين عمر النسفي * ترجم له ابن حجر في الدرر الكامنة والسيوطي في بنية الوعاة (ص ٣٩١) وابن الهادي في شلوات الذهب (ج ٦ ص ٣١٩ : ٣٢٢) .

وسلم في الليلة الواحدة ممنوعاً كان القول بنزول جبريل عليه السلام من العرش إلى مكة في اللحظة الواحدة ممنوعاً كذلك ، ولو حكمتنا بهذا الامتناع كان ذلك طعناً في نبوة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والقول بشبوت المعراج قرعاً على تسليم جواز أصل النبوة ، فيلزم القائل بامتناع حصول هذه الحركة امتناع نزول جبريل عليه السلام . ولما كان ذلك باطلاً ، كان ما ذكروه باطلاً .

والجواب عن الرابع : أن كونه ليلاً [له]^(١) فوائد منها : ليزداد الذين آمنوا إيماناً بالغيب ، ويفتنن الذين كفروا زيادة على فتنتهم ، وقد قال الله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ)^(٢) ، ومنها أنه وقت الخلوة والاختصاص عرفاً ، فإن بين جلس الملك نهاراً وجليسه ليلاً قرعاً واضحاً ، والخصوصية الليل ، ورحم الله القائل :

اللَّيْلُ لِي وَلِأَحِبَّائِي أَنَادِيَهُمْ قَدْ اصْطَفَيْتُهُمْ كَيْ يَسْمَعُوا وَيَعُوا

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالعلامات التي تفيد اليقين من وصف بيت المقدس ووصف العير التي مر بها في طريقه ، وأنها تصل إليهم في وقت كذا ، فكان كما ذكر كما سيأتي مفصلاً . ومع ذلك قالوا : (هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)^(٣) . فلا فرق بين أن يريهم ذلك نهاراً وأن يُخبرهم بخبر يفيد اليقين ، وقد أراهم انشقاق القمر فقالوا : هذا : (سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ)^(٤) .

(١) إضافة يقتضيا السياق .

(٢) من الآية ٦٠ من سورة الإسراء

(٣) في الآية السابعة من سورة الأحقاف : قال الذين كفروا لئن لا جامع هذا سحر مبين .

(٤) من الآية الثانية من سورة القمر .

الباب السابع

في أسماء الصحابة الذين رَوَوْا القِصَّةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم

أَبِي بِن كَعْب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، رَوَاهُ عَنْهُ ابْنُ مَرْثُومٍ مِنْ طَرِيقِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ ، وَمِنْ طَرِيقِ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مُخْتَصِرًا ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي زَوَائِدِ الْمُسْتَدِّ ، وَابْنُ مَرْثُومٍ وَابْنُ عَسَاكِرٍ بِلَفْظِ حَدِيثِ أَنَسٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ حَرْفًا بِحَرْفٍ . قَالَ الْحَافِظُ فِي أَطْرَافِ الْمُسْتَدِّ : « لِأَنَّهُ وَقَعَ تَحْرِيفٌ وَكَانَ فِي الْأَصْلِ : « عَنْ أَبِي ذَرٍّ » فَسَقَطَ ٣٥٠ ظ مِنْ النُّسخَةِ / لَفْظَةُ « ذَرٍّ » ، فَظُنُّ أَنْ « أَبِي » [هـ] « أَبِي » ، فَأُذْخِرَ فِي مُسْتَدِّ أَبِي ابْنِ كَعْبٍ غَلَطًا » .

قُلْتُ : نَبَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي الْعِلَلِ عَلَى أَنَّ الْوَهْمَ فِيهِ مِنْ أَبِي صَمْرَةَ أَنَسَ بْنِ عِيَاضٍ .

وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، ذَكَرَهُ أَبُو حَفْصٍ النَّسْفِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ وَلَمْ يَقِفْ عَلَى حَدِيثِهِ .

وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَرَوَاهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ وَاسْطَةٍ رَوَاهُ عَنْهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ ثَابِتِ الْبُنَّانِيِّ . وَالشَّيْخَانِ مِنْ طَرِيقِ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَابْنُ مَرْثُومٍ مِنْ طَرِيقِ كَثِيرِ بْنِ خُثَيْسٍ - بَضْمِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَفَتْحِ التَّوْنِ وَسُكُونِ الْمُثَنَاءِ التَّحْتِيَةِ فَسِينٌ مُهْمَلَةٌ - وَالنَّسَائِيُّ ، وَابْنُ مَرْثُومٍ مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ وَجْهِ آخَرَ .

وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ مَرْثُومٍ وَالْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَرُؤَيْى مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صَهْبٍ ، وَالطَّبْرَانِيُّ مِنْ طَرِيقِ مَيْمُونِ بْنِ سِيَّاهٍ - بِكسْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ بَعْدَهَا مِثْنَاءُ تَحْتِيَةٍ - وَابْنُ جَرِيرٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ سَلِيمٍ وَابْنُ مَرْثُومٍ [مِنْ (١) طَرِيقِ أَبِي هَاشِمٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ وَعَنْ ثُمَامَةَ - بَضْمِ الْمُثَلَّةِ أَوَّلُهُ ، وَابْنِ سَعْدٍ وَسَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ ، وَالْبَزَّازِ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ - بَفَتْحِ الْجِيمِ - وَعِنْدَ بَعْضِ هَؤُلَاءِ مَا لَيْسَ عِنْدَ الْآخَرِ .

(١) لِإِضَافَةِ يَتَضَعُهَا السِّيَاقُ .

(٢) ابْتَدَأَ مِنْ هَذَا الْمَقْفَدِ حَتَّى الْمَقْفَدِ الْآخَرَ بَعْدَ أَكْثَرِ مِنْ صَفِيحَةٍ سَاقَطَتْ مِنْ تَوَمُّمِ .

وَبُرَيْدَةَ - بضم أوله وفتح الراء وسكون المثناة التحتية - ابن الحُصَيْب - بحاء مضمومة
فصاد مفتوحة مهملتين - رضى الله عنه ، ورواه الترمذى والحاكم وصحَّحه ، وبلال بن
حمامة ، وبلال بن سعد ذكرهما أبو حَفْص النسفى . وجابر بن عبد الله رضى الله عنهما
رواه الشيخان ورواه الطبرانى وابن مردويه بلفظ آخر بِسَنَدٍ صحيح . وَحُدَيْفَةُ بن الحِمْيَرِ
رضى الله عنه رواه ابن أبى شَيْبَةَ وأحمد والترمذى وصحَّحه / وَسَمُرَةُ بن جُنْدُب رضى الله عنه
رواه ابن مردويه .

٢٩٨ و
ط

وسهل بن سعد رضى الله عنه رواه ابن عساكر ، وشَدَّاد بن أَوْس رضى الله عنه رواه
الْبَزَّار والطبرانى والبيهقى وصحَّحه . وَصُهَيْب بن سِنَان رضى الله عنه رواه الطبرانى وابن
مردويه وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما رواه الإمام أحمد وأبو نُعَيْم وابن مردويه من
طريق قابوس - بالقاف والمُوَحَّدَة - عن أبيه بِسَنَدٍ صحيح . والإمام أحمد وأبو يَعْلَى من
طريق عِكْرِمَةَ . والشيخان من طريق أبى العالية ومن طريق عِكْرِمَةَ . والإمام أحمد والنسائى
والْبَزَّار بسند صحيح عن طريق سميد بن جُبَيْر . والإمام أحمد وابن أبى شَيْبَةَ والبزار بسند
صحيح من طريق زُرَّارَة بن أَوْفَى ، وهذه الطرق كلها مُخْتَصَرَة .

وعبد الله بن عمر بن الْخَطَّاب رضى الله عنهما رواه أبو داود والبيهقى . وعبد الله بن
عَمْرٍو رضى الله عنهما رواه ابن سعد وابن عساكر . وعبد الله بن الزُّبَيْر رضى الله عنهما .
وعبد الله بن أبى أَوْفَى رضى الله عنهما ذكرهما أبو حَفْص النَّسْفى . وعبد الله بن أَسَد بن
زُرَّارَة رضى الله عنهما رواه الْبَزَّار والبخارى وابن قانع كلاهما فى معجم الصحابة . وعبد الله
ابن مسعود رضى الله عنه رواه مسلم من طريق مُرَّة ، وابن عَرَفَةَ من طريق أبيه عن حَبِيبِ اللَّهِ .
والإمام أحمد وابن ماجه من طريق مؤثِر - بضم الميم وسكون الواو وكسر المثناة - ابن حَفَّازَة
بفتح المهملة والفاء ثم زاي - الكوفى .

وَالْبَزَّار وأبو يَعْلَى والطبرانى من طريق عُلَقَمَةَ ، والبيهقى من طريق زَرَّ - بكسر الزاي
وبالراء - ابن حُبَيْش - بضم الحاء المهملة وفتح الموحدة وسكون التحتية وبالشين المعجمة .
وعبد الرحمن بن عابس، ذكره ابن دُحْيَةَ فى التنوير . والعباس بن عبد المطلب، وعثمان
ابن عَمَّان رضى الله عنه ذكره أبو حَفْص النَّسْفى . وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه رواه
الإمام أحمد وابن مردويه . وعمر بن الخطاب رضى الله عنه رواه الإمام أحمد وابن مردويه :

وَأَنَسَ بْنِ عِيَاضٍ ذَكَرَهُ ابْنُ دَحِيَّةٍ . وَمَالِكُ بْنُ صَعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَوَاهُ عَنْهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالشَّيْخَانُ وَابْنُ جُرَيْرٍ وَالْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمْ . وَأَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَكَرَهُ ابْنُ دَحِيَّةٍ . وَأَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ فِي أَثْنَاءِ حَدِيثِ أَبِي (بَنِ كَعْبٍ) .

وَأَبُو الْحَمَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ . وَأَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَكَرَهُ أَبُو حَفْصٍ النَّسَقِيُّ . وَأَبُو ذَرٍّ الْفَضَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ . وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ - بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَالِدَالِ الْمَهْمَلَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ وَهُوَ مُتَكَلِّمٌ فِيهِ .

وَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي الْأَزْهَرِ قَالَ : حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ قَالَ : « رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِكَ يُقَالُ لَهُ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ / لَا بَأْسَ بِهِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا بَأْسَ بِهِ . حَدَّثَنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْكَ أَنَّكَ لَيْلَةَ أُمِّرَيْ بِكَ قُلْتَ : رَأَيْتُ فِي السَّمَاءِ ، فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ ، فَقَالَ : نَعَمْ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ نَاسًا مِنْ أُمَّتِكَ يُحَدِّثُونَ عَنْكَ فِي الْأَسْرَاءِ الْعَجَائِبِ . فَقَالَ : ذَلِكَ حَدِيثُ الْقُصَّاصِ » .

٢٩٨ ظ
ط

وَأَبُو سَفِيَانٍ بْنُ حَرْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَكَرَهُ أَبُو حَفْصٍ النَّسَقِيُّ . وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ دَحِيَّةٍ وَأَبُو سُلَيْمٍ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَهُ أَبُو حَفْصٍ النَّسَقِيُّ . وَأَبُو لَيْلَى الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ . وَأَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَوَاهُ مُطَوَّلًا ابْنُ جُرَيْرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالْبَيْهَقِيُّ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْعَالِيَةِ ، وَفِي سَنَدِهِ أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ وَهُوَ صَدُوقُ الْحَفَظِ ، وَمَخْتَصَرُ الشَّيْخَانِ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَلَمَةَ . وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهٍ عَنْ طَرِيقِ أَبِي الصَّلْتِ . وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ . وَابْنُ سَعْدٍ وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَالتَّبْرَانِيُّ مِنْ طَرِيقِ مَوْلَاهُ . وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ . وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْهَا . وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ [ابْنِ عُرْوَةَ] عَنْ أَبِيهِ عَنْهَا .

وَأُمُّ كَلْثُومُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذَكَرَهُ أَبُو حَفْصٍ النَّسَقِيُّ . وَأُمُّ سَلَمَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ وَابْنُ عَسَاكِرَ . وَأُمُّ هَانِئُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو يَعْنَى وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ طَرِيقِ أَبِي صَالِحٍ وَابْنِ إِسْحَاقَ بَلَقَظَ آخِرَ .

الباب الثامن

في سياق القصة

اعلم رحماني الله وإياك أن في حديث كل من الصحابة السابق ذكرهم في الباب السابع ما ليس في الآخر ، فاستخرت الله تعالى وأدخلت حديث بعضهم في بعض ورتبت القصة على نسق واحد ، لتكون أحلى في الآذان الواعيات ، وليعم النفع بها ^(١) في جميع الحالات . فلأن قلت إن أحاديث المعراج كل حديث منها مخالف للآخر . فقد يكون المعراج تعدد بعددها فلم جعلت الكل قصة واحدة ؟

فأقول : قال في « زاد المعاد » ^(٢) : « هذه طريقة ضمفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين إذا رأوا في القصة لفظاً تخالف سياق بعض الرواة جعلوه مرة أخرى فكلما اختلفت عليهم الرواة عدّوها هم الوقائع والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة ، وياعجباً هؤلاء الذين زعموا أنه وقع مراراً كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تُفرض عليه الصلاة خمسين ، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى يصير خمسين ، ثم يقول : « أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي » ، ثم يعيدها في المرة الثانية خمسين ثم يحطها عشراً عشراً ؟

قال الحافظ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى في تاريخه ، بعد أن ذكر أنه لم يقع في سياق مالك بن صعصعة ذكر بيت المقدس : « وكان بعض الرواة يحلف بعض الخبر للعلم به ، أو ينساه ، أو يذكر ما هو الأهم عنده ، أو ينشط تارة فيسوقه كله ، وتارة يحدث مخاطبته بما هو الأنفع له » ^(٣) ، « ومن جعل كل رواية خالفت الأخرى مرة »

و ٢٩٩

ط

(١) هذه هي نهاية ما سقط من م وقد ذكر في م عنوان الباب السابع في أسماء رواة القصة ولكنها لم تدرج به .

(٢) يقع النص التالى في نسخة زاد المعاد المطبوعة على هامش شرح الزرقاني على المرامج ج ٣ ص ٣٠٨ .

(٣) يقع هذا النص في البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١١٧ وفي المطبوعة ييسط بدلا من يفسط ومهارة : يحدث مخاطبه وردت في المطبوعة : يحلف عن مخاطبة . والنص الذى نقله المؤلف أصح .

على حِدَّة ، فَأَثْبَتَ إِسْرَاءَاتٍ مُتَعَدِّدَةً فَقَدْ أَبْعَدَ وَأَغْرَبَ وَهَرَبَ إِلَى غَيْرِ مَهْرَبٍ وَلَمْ يَحْصُلْ عَلَى مُطْلَبٍ^(١) ، « وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ السِّيَاقَاتِ فِيهَا تَعْرِيفُهُ بِالْأَنْبِيَاءِ ، وَفِي كُلِّهَا تُفَرِّضُ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتِ ، فَكَيْفَ يُدْعَى تَعَدُّدُ ذَلِكَ ؟ هَذَا فِي غَايَةِ الْبُعْدِ » ، « وَلَمْ يُنْقَلْ ذَلِكَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ وَلَوْ تَعَدَّدَ هَذَا التَّعَدُّدُ لِأَخْبَرِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ أُمَّتَهُ وَلِنَقْلِهِ النَّاسَ عَلَى التَّكْرَارِ » . انْتَهَى .

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ نَحْوَهُ وَزَادَ : « وَيَلْزِمُ أَيْضاً وَقُوعُ التَّعَدُّدِ فِي سُؤَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ نَبِيٍّ وَسُؤَالِ أَهْلِ كُلِّ بَابٍ : هَلْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ وَفَرَضَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ تَعَدُّدَ مِثْلِ ذَلِكَ فِي الْقِصَّةِ لَا يَنْتَجِيهِ ، فَيَتَعَيَّنُ رَدُّ بَعْضِ الرِّوَايَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ إِلَى بَعْضٍ أَوْ التَّرْجِيحُ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُعَدُّ وَقُوعُ مِثْلِ ذَلِكَ فِي الْمَنَامِ تَوَاطُؤَةً ثُمَّ وَقُوعُهُ يَقْطَعُهُ » . انْتَهَى مُلْخَصاً .

إِذَا حُلِمَ مَا تَقَرَّرَ فَأَقُولُ : « بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الْبَيْتِ فِي الْحِجْرِ ، إِذْ آتَاهُ جَبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَمَعَهُمَا مَلَكٌ آخَرٌ / ، فَقَالَ أَوَّلُهُمْ : أَيُّهُمْ ؟ فَقَالَ أَوَسْطُهُمْ هُوَ خَيْرُهُمْ . فَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ ، فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى لَيْلَةٍ أُخْرَى : فَقَالَ الْأَوَّلُ : هُوَ هُوَ . فَقَالَ الْأَوَسْتُ : نَعَمْ ، وَقَالَ الْآخَرُ : خَلَوْا سَيِّدَ الْقَوْمِ الْأَوَسْتُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ . فَرَجَعُوا عَنْهُ حَتَّى إِذَا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الثَّلَاثَةُ ، رَأَاهُمْ ، فَقَالَ الْأَوَّلُ : هُوَ هُوَ ، فَقَالَ الْأَوَسْتُ : نَعَمْ ، وَقَالَ الْآخَرُ : خَلَوْا سَيِّدَ الْقَوْمِ الْأَوَسْتُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ . فَاحْتَمَلُوهُ حَتَّى جَاءُوا بِهِ زَمَزَمَ ، فَأَلْقَوْهُ عَلَى ظَهْرِهِ فَتَوَلَّاهُ مِنْهُمْ جَبْرِيلُ » .

وَفِي رِوَايَةٍ : « فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي ، فَنَزَلَ جَبْرِيلُ ، فَشَقَّ مِنْ ثَغْرَةٍ نَحْرَهُ إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ ، ثُمَّ قَالَ جَبْرِيلُ لِمِيكَائِيلَ : انْتَبِئِي بِطُسْتٍ مِنْ مَاءِ زَمَزَمَ كَيْفَا أَطْهَرَ قَلْبَهُ وَأَشْرَحَ صَدْرَهُ ، فَاسْتَخْرَجَ قَلْبَهُ ، فَغَسَلَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَنَزَعَ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ أَذَى ، وَاخْتَلَفَ إِلَيْهِ مِيكَائِيلُ بِثَلَاثَ طَسُوتٍ مِنْ مَاءِ زَمَزَمَ ، ثُمَّ أَتَى بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِهِ ، وَمَلَأَهُ حِلْمًا وَعِلْمًا وَيَقِينًا وَإِسْلَامًا . ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ خَتَمَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ بِخَاتَمِ النَّبُوَّةِ ، ثُمَّ

(١) هذه الفقرة لم ترد في البداية والنهاية لابن كثير إنما وردت في تفسيره ج ٣ ص ٢٢ .

أتى بالبراق مُسْرَجاً مُلْجَماً ، وهو دابة أبيض ، طويل فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، مضطرب الأذنين ، إذا أُلّي على جَبَل ارتفعت رجلاه ، وإذا هبط ارتفعت يده ، له جناحان في فخليه يحضر بهما رجله .

وعند الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس رضى الله عنهما : « له خَلَدٌ كخَلَدِ الإنسان وعُرْفٌ كعُرْفِ الفرس وقوائم كالإبل وأظلاف وذنب كالبقرة » . انتهى . « فاستصعب عليه » وفي رواية « فشَمَس^(١) » ، وفي رواية كأنها صَرَّت^(٢) أذنيها فَرَزَهَا^(٣) جبريل وقال : مَهْ أجمد تفعلين هذا ؟ » وفي رواية : « فوضع جبريل يده على مَعْرَفته ثم قال : « ألا تستحي يا بُرَاق ؟ فوالله ما ركبك خلق » - وفي رواية - « عَبْدٌ لِلَّهِ قَطُّ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ . فاستحي حتى أَرْفَضَ عَرَقًا ، وقرَّ حتى رَكِبَهَا » - وفي رواية - « رَكِبَهُ . وكانت الأنبياء تركبها قبله . وقال أنس بن مالك : « كانت الأنبياء تركبها قبله » . وقال سعيد بن المسيب ، وأبو سلمة ابن عبد الرحمن : « وهى دابة لإبراهيم التي كان يزور عليها البيت الحرام » .

فانطلق به جبريل - وفي رواية - فانطلقت مع جبريل . وعند أبي سعيد النيسابورى في الشرف^(٤) : فكان الآخذ بركابه جبريل ، وبزمام البراق ميكائيل - وفي رواية : نجبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره . فساروا حتى بلغوا أرضاً ذات نخل . فقال له جبريل : انزل فَصَلْ ههنا ، ففعل ، ثم ركب . فقال له جبريل : أتدرى أين صَلَّيْتُ ؟ قال : لا . قال : صَلَّيْتُ بِطَيْبَةِ وإليها المهاجر . فانطلق البراق يَهْوِي به ، يضع حافره حيث أدرك طرفه . فقال جبريل : انزل فَصَلْ ، ففعل . ثم ركب . فقال جبريل : أتدرى أين صَلَّيْتُ ؟ قال : لا . قال : صَلَّيْتُ بِمَكِّيْن عند شجرة موسى . ثم ركب . فانطلق البراق يَهْوِي . ثم

(١) شمس الدابة تشرق وشوا وشما جمعت ونفرت . وفي هامش ط شمس الفرس منع ظهوره نهو شاس وشوس .

(٢) صر يصير صريراً ، صر للفرس ، أو الحمار أذنه وبأذنه نصبتها للاستباح .

(٣) في الأصول : فأدارها جبريل بأذنيها . وفي تفسير ابن كثير فرزها من رز يرز رزا رزها بالراء ثم بالزاي أى أثبتها .

(٤) في الأصل بالسين المهملة وصوابه المعجمة واسم الكتاب : شرف المصطفى ، ومؤلفه هو أبو سيد عبد الملك ابن أبي حنّان محمد بن إبراهيم ، النيسابورى من علماء نيسابور ووعاظها وقد صنف أيضاً كتاب الزهد وكتاب دلائل النبوة وغير ذلك ترجم له ابن الجوزى في المنتظم (ج ٧ ص ٢٧٩) في وفيات سنة ٤١٦ هـ . وكما ترجم له ابن العماد في شذرات الذهب (ج ٣ ص ١٨٤ و ١٨٥) غير أنه ذكره في وفيات سنة ٤٠٧ هـ .

قال : انزل فَصْلٌ . ففعل . ثم ركب . فقال : أتندري أين صَلَّيْتَ ؟ قال : لا . قال : صَلَّيْتَ بطور سينا حيث كَلَّمَ الله موسى .

ثم بلغ أرضاً بدت له قصوراً . فقال له جبريل : انزل فَصْلٌ . ففعل . ثم ركب وانطلق البَرَّاق يهوى . فقال له جبريل : أتندري أين صَلَّيْتَ ؟ قال : لا . قال : صَلَّيْتَ بببيت لحم ، حيث وُلِدَ عيسى . وبينما هو يسير على البَرَّاق إذ رأى غَفْرِيَّتاً من الجنِّ ، يطلبه بشعلة من نار ، كلما التفت رآه . فقال له جبريل : أَلَا أَعْلَمُكَ كلمات تقولهن ، فإذا قتلتهن طَفِقَتْ شِعْلَتُهُ وَخَرَّ لِفِيهِ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى ، فقال جبريل : « قُلْ أَعُوذُ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، وَبِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يَجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ ، مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ فِيهَا ، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَّا طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ » . / فانكَبَّ لِفِيهِ وانطفأت شِعْلَتُهُ . ٣٥١ ظ

فساروا حتى آتَوْا على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم ، كلما حصلوا عاد كما كان فقال : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تُصَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِسَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ ، وما أنفقوا من شيء فهو يُضَاعَفُ . ووجد ريحاً طيبة ، فقال : يا جبريل ما هذه الرائحة ؟ قال : هله رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها ، بينا هي تَمْشُطُ بنت فرعون إذ سقط المشط ، فقالت : بِسْمِ اللَّهِ ، تَحَسَّ فرعون . فقالت ابنة فرعون : أَوَلَيْكَ رَبُّ غَيْرِ أَبِي ؟ قالت : نَعَمْ ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ . وكان للمرأة ابنان وزوج فأرسل إليهم فراود المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما ، فقال : إني قاتلكما ، فقالا : لإحساننا منك إن قتلنا أن تجعلنا في بيت . وفي رواية قالت : إن لي إليك حاجة . قال : وما هي ؟ قالت : تجمع عظامي وعظام ولدي ، فتدفننا جميعاً . قال : ذَلِكَ لَكَ بِمَا لَكَ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ ، فَأَمْرٌ بِنُقْرَةٍ مِنْ نَحَاسٍ فَأُخِمَّتْ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهَا لِتَلْقَى فِيهَا هِيَ وَأَوْلَادُهَا ، فَأُلْقُوا وَاحِداً وَاحِداً ، حتى بلغوا أصغر رضيع فيهم ، فقال : يَا أُمَّهُ قَبِي وَلَا تَقَاعِسِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ . قال : وتكلم أربعة [في المهد] (١) وهم صِبْغَارٌ : هذا وشاهد يوسف وصاحب جُزْجِجٍ وعيسى ابن مريم عليه السلام .

(١) إضاءة نقلنا من ابن كثير في تفسيره (ج ٣ ص ١٥)

ثم أتى على قوم تُرَضِّخُ رعوهُمْ ، كلما رُضِخَتْ عادت كما كانت . ولا يُفتر عنهم من ذلك شيء . فقال : يا جبريل من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين تشاغل رعوهم عن الصلاة المكتوبة . ثم أتى على قوم على أقبالهم رِقاوع وعلى أدبارهم رِقاوع ، يَسْرَحُونَ كما تَسْرَحُ الإبل والغنم ، ويأكلون الصُّرِيع^(١) والزُّقُوم^(٢) ورَضَفَ جَهَنَّمُ وحجارتها . فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يُؤْتُونَ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ ، وما ظلمهم الله شيئا .

وأتى على قوم بين أيديهم لَحْمٌ نَضِيجٌ في قدور ، وَلَحْمٌ آخِرُ نَبِيٍّ خَبِيثٍ ، فجلسوا يأكلون من النَّبِيِّ الْخَبِيثِ وَيَدْعُونَ النَّضِيجَ . فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أُمَّتِكَ تكون عنده المرأة الحلال الطَّيِّبُ ، فيأتي امرأة خبيثة ، فيبيت عندها حتى يُضَيِّحَ ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طَيِّباً ، فتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت معه حتى تُضَيِّحَ .

ثم أتى على خَشَبَةٍ على الطريق لا يَمُرُّ بها ثَوْبٌ ولا شيء إلا خَرَقَتْهُ . فقال : ما هذا يا جبريل ؟ فقال : هذا مثل أقوام من أُمَّتِكَ يقعدون على الطريق فيقطعونه ، وتلا : (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ^(٣)) ورأى رجلاً يَسْبَحُ في نهر من دم ، يُلْقِمُ الحجارة ، فقال : من هذا ؟ قال : آكِلُ الرُّبَا . وأتى على قوم قد جمع الرجل منهم جِزْمَةً عظيمة لا يستطيع حَمْلُهَا ، وهو يزيد عليها ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أُمَّتِكَ تكون عنده أمانات الناس لا يَتَّقِدِرُ على أدائها ، ويريد أن يَتَحَمَّلَ عليها .

ثم أتى على قوم تُقَرِّضُ أَلْسِنَتَهُمْ وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قُرِضَتْ عاد ، لا يُفْتَرُ عنهم من ذلك شيء ، فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خُطَبَاءُ الْفِتْنَةِ من أُمَّتِكَ يقولون ما لا يفعلون . ومَرَّ بقوم لم أظفار من نحاس يَخْمِشُونَ وجوههم وصلوهم ، فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس وَيَقْعُونَ في أعراضهم .

(١) في تفسير القرطبي للآية السادسة من سورة النازية : « ليس لم طعام إلا من صريع » (ج ٢٠ من ٢٩ : ٣٠) إن الصريع نبت ذو شوكة لاصق بالأرض تسميه قريش الشبرق إذا كان رطباً فإذا يبس فهو الصريع لا تقربه دابة ولا بهيمة ولا ترعاه وهو سم قاتل وهو أخبث الطعام وأشنع . وعلى هذا عامة المفسرين . ثم أورد القرطبي أقوالاً أخرى .

(٢) وردت في التنزيل في سورة الواقعة والصفات والدخان . وقال القرطبي في تفسيرها (ج ١٥ من ٨٥) إنها مشتقة من الزَّقَم وهو البلع على جهد لكرهاتها وتنهها .. وأنها تحيا بلهب النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء ، فلا بد لأهل النار من أن ينشد إليها من كان فوقها ، فيأكلون منها وكللك يصد إليها من كان أسفل .

(٣) سورة الأعراف آية ٨٦ .

وَأَتَى عَلَى حَجَرٍ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ ثَوْرٌ عَظِيمٌ ، فَجَعَلَ الثَّوْرُ يَرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ فَلَا يَسْتَطِيعُ ، فَقَالَ : مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ ثُمَّ يَنْدَمُ عَلَيْهَا / فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّهَا . وَأَتَى عَلَى وَادٍ فَوَجَدَ رِيحاً طَيِّبَةً بَارِدَةً كَرِيحِ الْمَسْكِ ، وَاسْمَعُ صَوْتاً ، فَقَالَ : يَا جَبْرِيلُ مَا هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا صَوْتُ الْجَنَّةِ تَقُولُ : يَا رَبِّ إِنِّي بِمَا وَعَدْتَنِي ، فَقَدْ كَثُرْتُ غُرْقًى وَاسْتَبْرَقْتُ وَحَرِيرِي وَسُنْدُسِي ، وَعَبَقْرِي^(١) وَلَوْلُؤِي وَمَرْجَانِي وَفَضْبِي وَذَهَبِي ، وَأَكْوَابِي وَصِحَافِي وَأَبَارِيقِي وَمَرَاجِي وَعَسَلِي وَمَائِي ، وَلَبَنِي وَخَمْرِي . قَالَ : لَكَ كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٌ وَمُؤْمِنٌ وَمُؤْمِنَةٌ ، وَمَنْ آمَنَ بِي وَبِرُسُلِي ، وَعَمِلَ صَالِحاً ، وَلَمْ يُشْرِكْ بِي ، وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِي أُنْدَاداً ، وَمَنْ خَشِيَني فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ سَأَلَنِي أُعْطِيتُهُ ، وَمَنْ أَقْرَضَنِي جَزِيتُهُ ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيَّ كَفَيْتُهُ ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، لَا أُخْلِفُ الْمِيْعَادَ ، وَقَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ . قَالَتْ : قَدْ رَضِيتُ .

وَأَتَى عَلَى وَادٍ فَسَمِعَ صَوْتاً مُنْكَرًا وَوَجَدَ رِيحاً مُنْتِنَةً ، فَقَالَ : مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا صَوْتُ جَهَنَّمَ تَقُولُ : يَا رَبِّ إِنِّي بِمَا وَعَدْتَنِي ، فَقَدْ كَثُرَتْ سِلَاسِلِي وَأَغْلَالِي وَسَعِيرِي وَحَمِيمِي وَضَرَبِي وَغَسَاقِي وَعَذَابِي ، وَقَدْ بَعُدَ قَعْرِي وَاشْتَدَّ حَرِّي ، فَاتْنِي بِمَا وَعَدْتَنِي . فَقَالَ : لَكَ كُلُّ مُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةٍ ، وَكَافِرٍ وَكَافِرَةٍ ، وَخَبِيثٍ وَخَبِيثَةٍ ، وَكُلُّ جَبَّارٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ : قَالَتْ : قَدْ رَضِيتُ .

وَرَأَى الدَّجَالَ فِي صُورَتِهِ رُؤْيَا عَيْنٍ لَا رُؤْيَا مَنَامٍ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ رَأَيْتَهُ ؟ فَقَالَ : « رَأَيْتُهُ فِيلَمَانِيًّا^(٢) أَقْمَرُ هَجَانٍ إِحْدَى عَيْنَيْهِ قَائِمَةٌ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ، كَأَنَّ شَعْرَ رَأْسِهِ أَغْصَانُ شَجَرَةٍ ، أَشْبَهُهُ بِعَبْدِ الْعَزَّى بْنِ قُطْنٍ^(٣) » . وَرَأَى عَمُودًا أَبْيَضَ كَأَنَّهُ لَوْلُؤَةٌ ، تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ، فَقَالَ : مَا تَحْمِلُونَ ؟ قَالُوا : عَمُودُ الْإِسْلَامِ ، أَمَرْنَا أَنْ نَضَعَهُ بِالشَّامِ . وَبَيْنَا يَسِيرُ إِذْ دَعَاهُ دَاعٍ عَنْ يَمِينِهِ : يَا مُحَمَّدُ ، أَنْظِرْنِي أَسْأَلُكَ . فَلَمْ يُجِبْهُ . فَقَالَ : مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا دَاعِي الْيَهُودِ ، أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَجَبْتَهُ لَتَهَوَّدَتْ أُمَّتُكَ . وَبَيْنَا

(١) جاء في النهاية لابن الأثير (ج ٣ ص ٦٣) البقري هو الديباج وقيل البسط الموشية وقيل الطنافس الشخان . وفي التنزيل : « متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان » (سورة الرحمن آية ٧٦) .

(٢) الفيل كحيل الرجل العظيم والجهان والعظيم الجملة ، عن القاموس المحيط .

(٣) هذا الحديث أخرجه مسلم مطولاً عن النّوّاس بن سميان ، برواية مختلفة ، انظر النووي على مسلم ج ١٨ ص ٧٠ .

هو يسير إذ دعاه داعٍ عن شماله : يا محمد أنظرنى أسألك ، فلم يُجبه ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا داعى النصارى ، أما إنك لو أجبتَه لتنصّرت أمّتك .

وبينا هو يسير ، إذا بامرأة حاسرة عن ذراعها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى . فقالت : يا محمد أنظرنى أسألك ، فلم يلتفت إليها ، فقال : ما هذه يا جبريل ؟ قال : تلك الدنيا ، أما إنك لو أجبتَه لاختارت أمّتك الدنيا على الآخرة . وبينا هو يسير فإذا هو بشيء يدعوّه متنجّساً عن الطريق ، يقول : هَلُمَّ يا محمد ، فقال جبريل ، سرّ يا محمد ، فقال : من هذا ؟ قال : هذا عدو الله إبليس ، أراد أن تميل إليه . وسار فإذا هو بعبّوز على جانب الطريق ، فقالت : يا محمد أنظرنى أسألك ، فلم يلتفت إليها ، فقال : من هذه يا جبريل ؟ قال : إنه لم يبق من الدنيا إلا ما بقى من عُمر هذه العبّوز . وبينا هو يسير إذ لقيه خلق من خلق الله ، فقالوا : السلام عليك يا أول ، السلام عليك يا آخر ، السلام عليك يا حاشر ، فقال جبريل : ارُدّد السلام ، فردّد ، ثم لقيه الثانية فقال له مثل ذلك ، ثم لقيه الثالثة فقال له مثل ذلك . فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : إبراهيم وموسى وعيسى .

ومرّ على موسى وهو يصلى فى قبره عند الكثيب الأحمر ، رجل طوال سبط آدم كأنه من رجال شنوءة ، وهو يقول يرفع صوته : أَكْرَمَتَهُ وَفَضَّلَتَهُ ، فُدِّعْ إِلَيْهِ ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلام ، وقال : من هذا معك يا جبريل ؟ فقال : هذا أحمد ، فقال : مرحباً بالنبي العربي الذى نصّح لأُمّته ودعا له بالبركة / وقال : سَلِّ لأُمّتك اليسر .

ظ ٣٥٢

فساروا فقال : يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا موسى بن عمران ، قال : ومن يُعَاتِبُ ؟ قال : يُعَاتِبُ رَبَّهُ . قال : أَوْ يرفع صوته على ربه ؟ قال جبريل : إن الله تعالى قد عرف له جِدَّتَهُ . ومَرَّ عَلَى شَجَرَةٍ كَانَ ثَمَرُهَا السَّرح ، تحتها شيخٌ وعياله ، فرأى مَصَابِيحَ وَضُوءًا . فقال : من هذا يا جبريل ؟ قال : أبوك إبراهيم . فسَلِّمْ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلام . وقال : من هذا معك يا جبريل ؟ قال : هذا ابنك أحمد . فقال : مرحباً بالنبي العربي الذى بَلَغَ رسالة ربه وَنَصَحَ لأُمّته ، يا بُنَيَّ إِنَّكَ لَاقٍ رَبَّكَ اللَّيْلَةَ ، وَإِنَّ أُمّتَكَ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَضْعَفُهَا ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ حَاجَتَكَ أَوْ جُلَّتْهَا فِى أُمّتِكَ فَافْعَل . ودعا له بالبركة .

فسار حتى أتى الوادى الذى فى المدينة يعنى بيت المقدس ، فإذا جهنم تنكشف عن مثل الرواى . فقيل : يا رسول الله كيف وجدها ؟ قال : « مثل الحمم » ثم سار حتى انتهى إلى المدينة ، فدخلها من بابها الياى ، وإذا عن يمين المسجد وعن يساره نوران ساطعان . فقال : يا جبريل ما هذان النوران ؟ قال : أما الذى عن يمينك فإنه محراب أخيك داود ، وأما الذى عن يسارك فعلى قبر أختك مريم . فدخل المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر ، فأتى جبريل الصخرة التى ببيت المقدس ، فوضع أصبعه فيها فخرقها ، فشدَّ بها البراق ، وفى رواية مسلم ، فربطه بالحلقة التى ترتبط بها الأنبياء . فلما استوى بها النبي صلى الله عليه وسلم فى صخرة المسجد ، قال جبريل : يا محمد هل سألت ربك أن يرريك الحور العين ؟ قال : نعم ، قال جبريل : فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن ، وهنَّ جلوس عن يسار الصخرة ، فانتهى إليهن ، فسلم عليهن ، فرددنَّ عليه السلام . فقال : من أنتنَّ ؟ فقلنَّ : « خيرات حسان^(١) » ، نساء قوم أبرار ، نقوا فلم يذرنوا ، وأقاموا فلم يظعنوا ، وتخلدوا فلم يموتوا .

ثم صلى هو وجبريل كل واحد ركعتين فلم يلبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثيرون ، فعرف النبيين من بين قائم وراكع وساجد ، ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة ، فقاموا ينتظرون من يؤمهم ، فأخذ جبريل بيده فقدمه فصلّى بهم ركعتين . وفى رواية : ثم أقيمت الصلاة ، فتدافعوا حتى قدموا مُحمداً . وعند الواسطى عن كعب : فأذن جبريل ونزلت الملائكة من السماء وحشر الله له المرسلين ، فصلّى النبي صلى الله عليه وسلم بالملائكة والمرسلين ، فلما انصرف ، قال جبريل : يا محمد ، أتدرى من صلى خلّفك ؟ قال : لا . قال : كلُّ نبيٍّ بعثه الله تعالى .

وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، عند الحاكم وصححه البيهقي : فلقى أرواح الأنبياء ، فأتنوا على ربهم . فقال إبراهيم : « الحمد لله الذى اتخذنى خليلاً وأعطانى ملكاً عظيماً وجعلنى أمةً قانتاً يؤتمُّ بى ، وأنقذنى من النار ، وجعلها على بردٍ وسلاماً . ثم إن موسى أثنى على ربه تبارك وتعالى فقال : « الحمد لله الذى كلّمنى تكليماً وجعل هلاك فرعون ونجاة بنى

(١) متقدمة من الآية السبعين فى سورة الرحمن : « فبين خيرات حسان » .

إسرائيل على يدي ، وجعل من أُمِّي قوماً يهدون بالحق وبه يعدلون » . ثم إن داود أثنى على ربه فقال : « الحمد لله الذي جعل لي مُلْكًا عَظِيمًا ، وَعَلَّمَنِي الزُّبُرَ ، وَأَلَانَ لِي الْحَدِيدَ ، وَسَخَّرَ لِي الْجِبَالَ يُسَبِّحُنَ وَالطَّيْرَ ، وَأَعْطَانِي الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابَ » .

ثم إن سليمان أثنى على ربه فقال : « الحمد لله الذي سَخَّرَ لِي الرِّيحَ وَسَخَّرَ لِي الشَّيَاطِينَ وَالْإِنْسَ يَعْمَلُونَ لِي مَا شِئْتُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجُفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورَ رَاسِيَاتٍ ، وَعَلَّمَنِي / مِنْطَقَ الطَّيْرِ وَأَتَانِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَضْلًا ، وَسَخَّرَ لِي جُنُودَ الشَّيَاطِينَ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَتَانِي مُلْكًا عَظِيمًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي وَجَعَلَ لِي مُلْكِي مُلْكًا طَيِّبًا لَيْسَ فِيهِ حِسَابٌ وَلَا عِقَابٌ » .

ثم إن عيسى بن مريم أثنى على ربه تبارك وتعالى فقال : « الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعل منِّي مِثْلَ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ ، وَعَلَّمَنِي الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَجَعَلَنِي أَبْرَأَ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَأَخْيَبِي الْمَوْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَرَفَعَنِي وَطَهَّرَنِي ، وَأَعَاذَنِي وَأَمَى مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْنَا سَبِيلٌ » .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كلِّمكم أثنى على ربه وإني مُثْنٍ عَلَى رَبِّي » ، فقال : « الحمد لله الذي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ وَكَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْفُرْقَانَ فِيهِ تَبَيَّنَ كُلُّ شَيْءٍ » ، وجعل أُمِّي خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، وجعل أُمِّي وَسْطًا ، وجعل أُمِّي هُمُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ ، وشرح لي صدري ووضعتني وُزْرِي وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي وجعلني فَاتِحًا وَخَاتِمًا » . فقال إبراهيم صلى الله عليه وسلم : « هَذَا فَضْلُكُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

ثم تذاكروا أَمَرَ السَّاعَةِ ، فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ : « لَا عِلْمَ لِي بِهَا » : فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى مُوسَى فَقَالَ : « لَا عِلْمَ لِي بِهَا » . فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى عِيسَى فَقَالَ : « أَمَّا وَجَبَتْهَا ^(١) » فَلَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ ، وَفِيهَا عَهْدٌ لِي بِأَنْ أَرْبِيَّ أُنَاسَ الدُّجَالِ خَارِجَ ، وَمَعِيَ قَضِييَانِ ، فَإِذَا رَأَيْتَ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ ، فَيَهْلِكُهُ اللَّهُ إِذَا رَأَيْتَ ، حَتَّى أَنْ الْحَجَرُ لِيَقُولَ : يَا مُسْلِمُ إِنْ تَحْتِي كَافِرًا فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ ، فَيَهْلِكُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسَ إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ فَيَعْتَدُ

(١) من وجب الشيء يجب وجوباً وجبة وجبة ، انظر وثقت .

ذلك يخرج بأجوج ومأجوج . وهم من كل حذب ينتسلون فيطأون بلادهم لا يأتون على شيء إلا أهلكوه ، ولا يملكون على ماء إلا شربوه : ثم يرجع الناس فيشكونهم إلى ، فدعوا الله تعالى عليهم ، فيهلكهم ويبييتهم حتى تحوى الأرض من ربحهم . فيُنزل الله تعالى المطر ، فيجرف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر . ففيا عهد إلى ربى أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل المتيم لا يدرى أهلها متى تفجأهم بولادتها ليلاً أو نهاراً .

وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من العطش أشد ما أخذه ، فأتى بقدرين أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال في أحدهما لبن والآخر عسل - وفي رواية أتى بآنية ثلاث مغطاة أفواهاها ، فأتى بإناء منها فيه ماء فشرب منه قليلاً ، وفي لفظ أنه لم يشرب منه شيئاً ، ثم دُفع إليه إناء آخر فشرب منه حتى روى منه ، ثم دُفع إليه إناء آخر فيه خمر ، فقيل له : اشرب فقال : « لا أريد قد رويت » . فقال جبريل : « إنها ستحرم على أمتك » . وفي رواية : فعرض عليه الماء والخمر واللبن ، وفي رواية العسل بدل الماء فشرب من العسل قليلاً ، وتناول اللبن فشرب منه حتى روى ، فضرِب جبريل منكبيه وقال : « أَصَبْتَ الفِطْرَةَ ، ولو شربت الخمر لغَوَتْ أمتك ولم يتبعك منهم إلا القليل ، ولو شربت الماء لغرقت أمتك » ، وفي رواية فقال شيخ « متكى على منبر له لجبريل : « أخذ صاحبك الفِطْرَةَ ، وإنه لمُهْتَدٍ » . ثم أتى بالمعراج الذي تَعْرُجُ عليه أرواح بنى آدم ، فلم ير الخلق أحسن من المعراج ، له مرقاة من فضة و مرقاة من ذهب . وفي رواية لأبي سعيد في شرف المصطفى أنه أتى بالمعراج من جنة الفردوس مُنْضِدٍ باللؤلؤ ، عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة ، فصعد هو وجبريل حتى انتهيا إلى باب / من أبواب السماء الدنيا يُقال له باب الحَقَّةَ وعليه مَلَكٌ ظ ٣٥٣ يقال له إسماعيل ، وهو صاحب السماء الدنيا - وفي حديث جعفر بن محمد عند البيهقي : « يسكن الهواء فلم يصعد إلى السماء قط ولم يهبط إلى الأرض قط إلا يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم » ، انتهى - وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف .

فاستفتح جبريل باب السماء : قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أُرْسِلَ إليه ؟ - وفي رواية : بُعِثَ إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مَرْحَبًا به وأهلاً ، حَيَّاهُ الله من أخ ومن خليفة ، فَنِعَمَ الأخ وَنِعَمَ الخليفة ، وَنِعَمَ المَجِيءُ

جاء . فلما خلاصا إلى السماء ، فإذا فيها آدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته ، تُعْرَضُ عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول : رُوحٌ طَيِّبَةٌ وَنَفْسٌ طَيِّبَةٌ ، إجعلوها في عَلِيِّينَ ، ثم تُعْرَضُ عليه أرواح ذريته الكُفَّار ، فيقول : رُوحٌ خَبِيثَةٌ وَنَفْسٌ خَبِيثَةٌ ، إجعلوها في سَيِّئِينَ وعن يمينه أسودة وباب تخرج منه ريح طيبة وعن شماله أسودة وباب تخرج منه ريح خبيثة ، فإذا نظر عن يمينه ضحك واستبشر ، وإذا نظر عن شماله حزن وبكى . . .

فَسَلَّمَ عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فَرَدَّ عليه السلام ، ثم قال : مَرْحَباً بِالْأَهْلِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا أبوك آدم ، وهذه الأسودة نَسَمَ بنيه ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، وَأَهْلُ الشِّمَالِ مِنْهُمْ أَهْلُ النَّارِ ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر عن شماله بكى ، وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة ، إذا نظر من يخلطه من ذُرِّيَّتِهِ ضحك واستبشر ، والباب الذي عن شماله باب جهنم ، إذا نظر من يخلطه من ذريته بكى وحزن .

ثم مضى صلى الله عليه وسلم هنيئة ، فإذا هو بِأَخَوْتِهِ عليها لحم مشرح ليس يقربه أحد ، وإذا بِأَخَوْتِهِ عليها لَحْمٌ قَدْ أَرْوَحَ وَأَنْتَنَ ، عنده ناس يأكلون منه . فقال : يا جبريل مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قال : هَؤُلَاءِ مَنْ أَمْتَك يَتْرَكُونَ الْحَلَالَ وَيَأْتُونَ الْحَرَامَ . وفي لفظ : وإذا هو بِأَقْوَامٍ عَلَى مَائِدَةٍ عَلَيْهَا لَحْمٌ مَشْوِيٌّ كَأَحْسَنِ مَا رُؤِيَ مِنَ اللَّحْمِ ، وإذا حوله جَيْفٌ ، فجعلوا يُقْبِلُونَ عَلَى الْجَيْفِ يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيَدْعُونَ اللَّحْمَ . فقال : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جبريل ؟ قال : هَؤُلَاءِ الزَّنَاةُ يُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَيَتْرَكُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ .

ثم مضى هنيئة فإذا هو بِأَقْوَامٍ بِطُونُهُمْ أَهْمَالُ الْبُيُوتِ فِيهَا الْحَيَاةُ تُرَى مِنْ خَارِجِ بَطُونِهِمْ ، كلما نهض أحدهم خَرَّ ، فيقول : اللَّهُمَّ لَا تَقُمْ السَّاعَةَ ، قال : وهم على سَابِلَةِ آلِ فِرْعَوْنَ ، فتجئ السَّابِلَةُ فَتَطْوِمُهُمْ فَسَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ لِلَّهِ تَعَالَى . فقال : يَا جبريل مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قال : هَؤُلَاءِ مَنْ أَمْتَك (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ)^(١) .

ثم مضى هنيهة فإذا هو بأقوامٍ مَشَافِرُهُمْ كَمَشَافِرِ الْإِبِلِ ، فَتَفْتَحُ أَفْوَاهَهُمْ وَيُلْقِمُونَ مَصِجْرًا ، وفي رواية : يُجْعَلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ صَخْرٌ مِنْ جَهَنَّمَ ، ثم يخرج من أسافلهم ، فسمِعهم يُضْجِجُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى . فقال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا)^(١) ثم مضى هنيهة فإذا هو بنساء مُطْلَقَاتٍ بِثُدِيِّهِنَّ ونساء مُنْكَسَاتٍ بِأَرْجُلِهِنَّ ، فَسَمِعَهُنَّ يُضْجِجْنَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، قال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتي يزنيهن ويقتلن أولادهن . ثم مضى هنيهة فإذا هو بأقوامٍ يُفْطَحُ مِنْ جُنُوبِهِمُ اللَّحْمُ فَيُلْقِمُونَهُ ، فيقال له : كُلْ كما كنت تأكل من لحم أخيك . فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الْهَمَّازُونَ / من أَمَنَكَ اللَّمَّازُونَ . ٣٥٤ و

ثم صعدا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوقد أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به وأهلاً ، حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، فَنِعْمَ الْإِخْوَانُ وَنِعْمَ الْخُلَفَاءُ وَنِعْمَ الْمَجِئُ جَاءَ . ففتح لهما . فلما خَلَصَا فإذا هو بِابْنَيْ الْخَالَةِ : عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا ، شَبِيهَ أَحَدِهِمَا بِصَاحِبِهِ : ثِيَابُهُمَا وَشَعْرُهُمَا وَمَعَهُمَا نَفَرٌ مِنْ قَوْمِهِمَا . وإذا بعيسى جَعْدٌ مَبْرُوعُ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ سَبْطُ الشَّعْرِ كَأَنَّمَا أُخْرِجَ مِنْ دِيْمَاسٍ أَيْ جِمَامٍ شَبَّهُهُ بِعُرْوَةِ بَنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ .

فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا فَرَدًّا عَلَيْهِ السَّلَامَ ، ثم قالَا : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ودَعَوَا له بخير .

ثم صعدا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوقد أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به وأهلاً ، حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ فَنِعْمَ الْإِخْوَانُ وَنِعْمَ الْخُلَفَاءُ وَنِعْمَ الْمَجِئُ جَاءَ . ففتح لهما فلما خَلَصَا فإذا هو بِيُوسُفَ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَرَدَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ودعا له بخير ، وإذا هو قد أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ ، وفي

رواية أَحْسَنُ مَا خَلَقَ اللهُ ، قد فضل الناس بالحُسْن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب .
قال : من هذا يا جبريل ؟ قال : أخوك يوسف .

ثم صعدا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .
قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً
به وأهلاً حَيَّاهُ اللهُ من آخر ومن خليفة ، فَنِعْمَ الْأَخُ وَنِعْمَ الْخَلِيفَةُ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جاء . فلما
خَلَصَا فإذا هو بإدريس فقد رفعه الله مكاناً عَليّاً ، فسَلَّمَ عليه فَرَدَّ عليه السلام ، ثم قال :
مرحباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثم دعا له بخير .

ثم صعدا إلى السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ فقال : جبريل .
قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به
وأهلاً ، حَيَّاهُ اللهُ من آخر ومن خليفة ، فَنِعْمَ الْأَخُ وَنِعْمَ الْخَلِيفَةُ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جاء . ففتح
لهما ، فلما خَلَصَا فإذا هو بهارون ، ونصف لحيته بيضاء ونصف لحيته سوداء ، تكاد تضرب
إلى سُرَّتِهِ من طولها ، وحوله قوم من بني إسرائيل ، وهو يقص عليهم فسَلَّمَ عليه فَرَدَّ عليه
السلام ، ثم قال : مرحباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، ثم دعا له . فقال : يا جبريل
مَنْ هَذَا ؟ فقال : الرجل الْمُحَبَّبُ في قومه هارون بن عمران .

ثم صعدا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل .
قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به
وأهلاً ، حَيَّاهُ اللهُ من آخر ومن خليفة ، فَنِعْمَ الْأَخُ وَنِعْمَ الْخَلِيفَةُ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جاء ،
ففتح لهما ، فجعل يَمُرُّ بالنبي والنبیین معهم الرهط ، والنبي والنبیین معهم القوم ، والنبي
والنبیین ليس معهم أحد . ثم مرَّ بوابٍ عَظِيمٍ قد سَدَّ الْأَفُقَ من ذا الجانب ومن ذا الجانب
فقيل له : هؤلاء أَمَتُكَ وَسُوءُ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بغير حساب . فلما خَلَصَا
فإذا بموسى بن عمران ، رجل آدم طوال كأنه من رجال شنوءة ، كثير الشَّعْرِ ، لو كان
عليه قميصان لَنَفَقَدَ شَعْرُهُ دونهما .

فسَلَّمَ عليه النبي صلى الله عليه وسلم فَرَدَّ عليه السلام ، ثم قال : مرحباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ
وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، ثم دعا له بخير ، وقال : يَزْعُمُ الناس أني أكرم على الله من هذا ، بل هذا

أكرم على الله منى . / فلما جاوزه النبي صلى الله عليه وسلم بكى . فقال له : ما يُبْكِيكَ ؟ قال : أبكى لأن غلاماً بُعِثَ من بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخل الجنة من أمتي ، ويَرْزُقُ بنو إسرائيل أُنًى أكرم على آدم على الله . وهذا رجل من بني آدم خَلَفِي في دنيا وأنا في أُخْرَى ، فلو أنه بنفسه لم أَبَالِ ، ولكن معه كل أمته . ثم صعد .

فلما انتهينا إلى السماء السابعة رأى فوقه رعداً وبرقاً وصواعق ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ فقال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوقد أُرْسِلَ إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به وأهلاً ، حَيَّاهُ الله من آخرٍ ومن خليفة ، فَنِعْمَ الأخ ونعم الخليفة ونعم المحيي جاء . ففُتِحَ لهما فسمع تسبيحاً في السموات الثُلاث مع تسبيح كثير : سُبِّحَتِ السموات من ذى المهابة مشفقَات ؛ سُبْحَانَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . فلما خلصا فإذا النبي صلى الله عليه وسلم بإبراهيمَ رَجُلٌ أَشْمَطُ ، جالسٌ عند باب الجنة ، على كُرْسِيٍّ مُسْنَدٍ ظَهَرَهُ إلى البيت المعمور ، ومعه نَفَرٌ من قومه ، فَسَلَّمَ عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فَرَدَّ عليه السلام ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح وقال : مَرُّ أَمَّتِكَ فَلْيُكْثِرُوا من غِرَاسِ الجنة فَإِنَّ تَرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ وَأَرْضُهَا واسعة . فقال له : وما غِرَاسُ الْجَنَّةِ ؟ قال « لا حول ولا قوة إلا بالله العَلِيِّ الْعَظِيمِ » . وفي رواية : « أَقْرَى أَمَّتِكَ منى السلام ، وَأَخْيَرُهُمُ أَنَّ الجنة طيبة التربة عَذْبَةُ الماء وَأَنَّ غِرَاسَهَا ؟ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ » . وهو أشبه ولده به ، وعنده قَوْمٌ جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقَوْمٌ في ألوانهم شيء ، فقال هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ، فدخلوا نهرًا ، فاختسلوا فيه فخرجوا وقد خَلَصَتْ أَلْوَانُهُمْ فصارت مثل ألوان أصحابهم . فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم فقال : يا جبريل مَنْ هؤلاء البيض الوجوه وَمَنْ هؤلاء الذين في ألوانهم شيء وما هذه الأنهار التي دخلوها ؟ فقال : أما هؤلاء البيض الوجوه فقَوْمٌ لم يَلْبَسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا فَتَنَّبَاوَا فَتَنَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وأما هذه الأنهار فَأَلْوَاهَا رَحْمَةُ اللَّهِ وَالثَّانِي نِعْمَةُ اللَّهِ وَالثَّالِثُ (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) (١)

وقيل له : هذا مكانك ومكان أمتك ، وإذا هو بأمتيه شطرين : [شطرا] عليهم ثياب كأنها القراطيس ، وشطر عليه ثياب رُمْدٌ^(١) ، فدخل البيت المعمور ، ودخل معه الذين عليهم الثياب الرُمْد وهم على خير ، فصلى ومن معه من المؤمنين في البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة ، آخر ما عليهم ، ثم خرج ومن معه .

وفي حديث عند الطبراني بسند صحيح : « مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى فَلِذَا جَبْرِيلُ كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَفِي رَوَايَةٍ عِنْدَ الْبَزَارِ « كَأَنَّهُ حُلْسٌ لَطِيءٌ^(٢) » . انتهى ، ثم أتى بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ، فشرب اللبن ، فقال جبريل : اختارت أمتك الفطرة^(٣) ، وفي رواية : هذه الفطرة التي أنت عليها وأمتك . ثم رفع إلى سيرة المنتهى ، وإليها ينتهى ما يعرض من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يهبط من فوق فيقبض منها . وإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها . وإذا نبتها / مثل قلال حجر ، وإذا ورقها كأذان الفيلة ، تكاد الورقة تغطي هذه الأمة ، وفي رواية : الورقة منها مغطىة للأمة كلها . وفي لفظ عند الطبراني : الورقة منها تظل الخلق ، على كل ورقة ملك ، تغشاها ألوان لا يُدرى ما هي ، فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تغيرت ، وفي رواية : تحولت ياقوتاً وزبرجداً فما يستطيع أحد أن ينعتها من حسنها ، فيها قرأش من ذهب ، وفي رواية يلودها جراد من ذهب .

ف قيل له : هذه السدرة ينتهى إليها كل أحد من أمتك خلا^(٤) على سبيلك ، وإذا في أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقال : ما هذه يا جبريل ؟ قال : أما

(١) في الأصول « رمة » وصوابها رمد ، جاء في النهاية لابن الأثير (ج ٢ ص ١٠٢) : وفي حديث المراج : وعليهم ثياب رمد ، أى غير فيها ككفوة كلون الرماد ، واحدها أرمد .

(٢) الحلس هو الكساء الذى يلى ظهر البعير تحت القتب ، ومنه الحديث : كن حلساً من أحلاس بيتك « أى ملازماً له في الفتنة . ولا طيء من ليل يلى لطياً كسوى لوزق بالأرض ولم يكن يبرح .

(٣) يلى ذلك في رواية الحديث : هديت وهديت أمتك .

(٤) من خلا عليه أى اعتمد عليه كما في النهاية (ج ١ ص ٣٢٠) ولكن شرحها محققى نهاية الأرب (ج ١٦ ص ٢٨٩) : خلا على سبيلك أى مضى على طريقتك وصنعتك .

الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفُرات . وفي رواية : فإذا في أصلها عَيْنٌ تجري يقال لها السلسيل ، ينشق منها نهران : أحدهما الكوثر ، يَطْرُدُ عَجَاجاً مثل السَّهْمِ ، عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، وعليه طيورٌ خُضِرَ أنعم طير ، رأى فيه آتية الذهب والفضة ، تجري على ضرائض من الياقوت والزمرد ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، فأخذ من آتية ، فاغترف من ذلك الماء ، فشرب فإذا هو أحلى من العسل ، وأشد ريحاً من المسك ، فقال له جبريل : هذا هو النهر الذي حباك به ربك ، والنهر الآخر نهر الرحمة فاعْتَسِل فيه ، فتغير له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عند السدرة له ستمائة جناح ، جناحٌ منها قد سدَّ الأفق ، تتناثر من أجنته التهاويل : الدر والياقوت مما لا يعلمه إلا الله تعالى . انتهى . ثم أخذ على الكوثر حتى إذا دخل الجنة فإذا فيها ما لا عَيْنٌ رأت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خَطَرٌ على قلب بشر ، فرأى على بابها مكتوباً : الصَّدَقَةُ بعشر أمثالها ، والْفَرَضُ بمائة عشر . فقال : يا جبريل ما بالُ القرض أفضل من الصدقة ؟ قال : لأنَّ السائل يسأل وعنده ، والمُستقرض لا يسأل إلا من حاجة . فاستقبلته جارية فقال : لمن أنت يا جارية ؟ فقالت : لزيد بن حارثة .

ورأى الجنة من دُرَّةٍ بيضاء وإذا فيها جناب^(١) اللؤلؤ . فقال : يا جبريل ، إنهم يسألوني عن الجنة . فقال : أخبرهم أنها قيعان تُرابها المسك ، وسمع في خارجها وجساً^(٢) ، فقال : يا جبريل ما هذا ؟ قال : بلال المؤذن . فسار فإذا هو بأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مُصَفَّى ، وإذا رُماناً كالذلاء ، وفي رواية : وإذا

(١) في النهاية : جناب من لؤلؤ وهي جمع جنبة وهي القبة . وفي شرح الزرقاني على المواهب (ج ٦ ص ٩٠) : الجنبة ما ارتفع من البناء فارسي معرب والجنابة القباب ويؤيده ما في التفسير لسورة الكوثر عن البخاري من طريق قتادة عن أنس لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم قال : أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ . وفي تاج العروس . الجنبة وقد تفتح بالياء ما ارتفع من الشيء واستدار كالكفة وهو فارسي معرب . ومع ذلك لم نعر عليه في المعرب للجواليق ولا في شفاء القليل للنفاجي ولا في الألفاظ الفارسية المعربة لإحدى شعر الكلداني .

(٢) الوجسي : الصوت الخفي وفي النهاية : دخلت الجنة فسمعت في جالها وجساً فقيل : هذا بلال ،

فيها رُمان كأنه جلود الإبل المُقَتَّبَة ، وإذا بطيرها كالبحَّاقِ^(١) . فقال أبو بكر : يا رسول الله إن تلك الطير لناعمة . قال : أَكَلْتُمُهَا أَنْعَمَ مِنْهَا وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا^(٢) . وبينا هو يسير ينهر على حافتيه الدرَّ المُجَوَّف ، وإذا طينة مسك أذفر فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هو الكوثر .

ثم عُرِضَتْ عليه النار فإذا فيها غضبُ الله وزجره ونقمته ، ولو طُرِحَ فيها الحجارة والحديد لَأَكَلَتْهَا ، فإذا قوم يأكلون الجِيفَ ، فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس . ورأى رجلاً أحمر أزرق فقال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا عاقر الناقة . ورأى مالك خازن النار ، فإذا رجل عابس يُعَرِّفُ الغضب في وجهه ، فبدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام ، ثم أَغْلِقَتْ دونه ، ثم رُفِعَ إلى سدره المنتهى ، ففشيها / من أنوار الخلائق ومن أنوار الملائكة أمثال الغربان حين يَقْضَى على الشجرة وينزل على كل ورقة مَلَكٌ من الملائكة ففشيها سحابة من كل لون .

وفي حديث أن جبريل قال له : إِنْ رَبِّكَ يُسَبِّحُ . قال : وما يقول ؟ قال : يقول : «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ ، سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي» . فتأخر جبريل ، ثم عَرَجَ به حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريف^(٣) الأقدام . ورأى رجلاً مُغَيَّباً في نور العرش ، فقال : مَنْ هَذَا ؟ مَلَكٌ ، قيل : لا ، قال : نبي ، قيل : لا ، قال : من هو ؟ قيل : هذا رجل كان في الدنيا لسانه رَطْبٌ من ذِكْرِ الله ، وقلبه مُعَلَّقٌ بالمساجد ، ولم ينتسب لوالديه قط ، فرأى ربه سبحانه وتعالى ، فَخَرَّ النبي صلى الله عليه وسلم ساجداً ، وكَلَّمَهُ ربه تعالى عند ذلك . فقال له : يا محمد . قال : لَكَيْتُكَ يا رب . قال : سَلْ . فقال : لَئِنْ اتَّخَذْتُ إِبْرَاهِيمَ

(١) البهائي والبحت كانا من المصباح نوع من الإبل الواحد يمتلئ مثل روم ورومي والأشئ من الإبل يمتلئ والجمع يمتلئ ويغطف ويظفل وفي التهذيب وهو أمجى مغرب . وفي النهاية البهائية الأشئ من الجمال البحت والذكر يمتلئ وهي جمال طوال الأمتاع وتجمع على يمتلئ ويغطف واللفظة معربة .

(٢) أصناف الزرقاني (ج ٦ ص ٩٠ و ٩١) في شرحه لهذا الحديث : وفي عرضها عليه كرامة عظيمة لأنه كان يعرضها على أمته ليشتروها كما قال تعالى : « إِنْ أَنَا إِشْتَرَيْتُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ أَلْبِسَهُ » (التوبة آية ١١١) فأراد الله أن يعاين نبيه ما يعرضه على أمته ليكون وصفه لها عن مشاهدة .

(٣) في النهاية لابن الأثير : سمع صريف الأقدام أي صوت جزيلها بما تكتبه من أنفسه الله تعالى ووجهه وما يتسخره من الروح المحفوظ (ج ٢ ص ٢٦٠)

خَلِيلًا ، وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا عَظِيمًا وَكَلَّمْتَهُ مُوسَى تَكَلِيمًا ، وَأَعْطَيْتَ دَاوُدَ مُلْكًا عَظِيمًا وَسَخَّرْتَ لَهُ ^(١) الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَالشَّيَاطِينَ وَسَخَّرْتَ لَهُ الرِّيحَ وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ . وَعَظَّمْتَ عِيسَى التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَجَعَلْتَهُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيَحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِكَ ، وَأَعَلَّنْتَهُ وَأَمَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمَا سَبِيلَ .

فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : قَدْ اتَّخَلَّفْتُكَ حَبِيبًا . قَالَ الرَّاوِي : وَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ : حَبِيبُ اللَّهِ . وَأَرْسَلْتُكَ لِلنَّاسِ كَافَّةً بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَشَرَحْتُ لَكَ صَدْرَكَ ، وَوَضَعْتُ عَنْكَ وَزْرَكَ ، وَرَفَعْتُ لَكَ ذِكْرَكَ ، لَا أَذْكَرُ إِلَّا وَذُكِّرْتَ مَعِيَ ، وَجَعَلْتُ أَمَّتَكَ أُمَّةً وَسَطًا ، وَجَعَلْتُ أَمَّتَكَ هُمْ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ ، وَجَعَلْتُ أَمَّتَكَ لَا يَجُوزُ لَهُمْ خَطِيئَةٌ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، وَجَعَلْتُ مِنْ أَمَّتِكَ أَقْوَامًا قُلُوبُهُمْ أَنَا جِيلُهُمْ ، وَجَعَلْتُكَ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ خَلْقًا وَآخِرَهُمْ بَعثًا ، وَأَوَّلَهُمْ يُقَضَّى لَهُ ، وَأَعْطَيْتُكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي لَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ ، وَأَعْطَيْتُكَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ عَرْشِي لَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ ، وَأَعْطَيْتُكَ الْكَوْثَرَ ، وَأَعْطَيْتُكَ ثَمَانِيَةَ أَشْهُمٍ : الْإِسْلَامَ وَالْهَجْرَةَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ وَصَوْمَ رَمَضَانَ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَنَّى يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَرَضْتُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَمَّتِكَ خَمْسِينَ صَلَاةً ، فَقُمْتُ بِهَا أَنْتَ وَأَمَّتُكَ .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَصَّلَنِي رَبِّي : أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَأَلْقَى فِي قُلُوبِ عَدُوِّي الرُّعْبَ مِنْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ ، وَأَحْلَلَ لِي الْغَنَائِمَ ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مَسْجِدًا وَطَهْرًا ، وَأَعْطَيْتُ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَابَهُ ، وَعَرَّضْتُ عَلَى أُمَّتِي فَلَمْ يَخَفْ عَلَى التَّابِعِ وَالْمُتَبَوِّعِ وَرَأَيْتَهُمْ عَلَى قَوْمٍ يَنْتَعِلُونَ بِالشَّعْرِ ، وَرَأَيْتَهُمْ أَتَوْا عَلَى قَوْمٍ عِرَاضَ الْوُجُوهِ صِغَارُ الْأَعْيُنِ كَأَنَّمَا أُخْرِمَتْ أَعْيُنُهُمْ بِالْمُخِيطِ فَلَمْ يَخَفْ عَلَى مَا هُمْ ، لَا قُوَّةَ مِنْ بَعْدِي ، وَأَمَرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً » . انْتَهَى . وَأَعْطَى ثَلَاثًا : أَنَّهُ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَقَائِدُ الثَّرِّ الْمُحْجَلِينَ . وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ : أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسَ ، وَخَوَاتِمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُحْجَمَاتُ ^(٢) .

(١) لَعَلَّ لَهُ الْمَبَارَةَ فِي الْأَمَلِ : وَخَفَرَتْ لِسَانًا ، حَيْثُ أَنَّ تَسْمِيَةَ الْجِنِّ وَالرِّيحِ كَانَ لِسَانًا عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٢) فِي رِوَايَةِ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ : « مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا غُفِرَ لَهُ الْمُحْجَمَاتُ ؛ أَيِ الذُّنُوبِ الْبُظَامِ الَّتِي

تَقْعَمُ أَصْحَابُهَا فِي النَّارِ أَيْ تَلْتَقِمُ فِيهَا ، نَقْلًا عَنْ النَّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ج ٣ ص ٢٣١ .

ثم انجلت عنه السحابة وأخذ بيده / جبريل ، فأنصرف سريعاً ، فأتى على إبراهيم ، ٣٥٦ . فلم يقل شيئاً ، ثم أتى على موسى ، قال : ونعم صاحب كان لكم ، فقال : « ما صنعت يا محمد ؟ ما قرّض عليك ربك وعلى أمتك ؟ » قال : « قرّض عليّ وعلى أمتي خمسين صلاة كل يوم ليلة » . قال : « فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف عنك وعن أمتك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فإنني قد خبرتُ الناس قبلك وبلّوتُ بني إسرائيل وعالجتهم أشدّ المعالجة على أدنى من هذا فضّعفوا وتركوه ، فأمتك أضعف أجساداً وأبداناً وقلوباً وأبصاراً وأسماعاً » . فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل يستشيرهُ ، فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت ، فرجع سريعاً حتى انتهى إلى الشجرة ، فغشيته السحابة ، وخرّ ساجداً .

وقال : « رَبُّ خَفَّ عَنَّا » ، وفي لفظ : « عن أمتي فلإنها أضعف الأمم » . قال : « قد وضعت عنك خمساً » ، ثم انجلت السحابة ، ثم رجع إلى موسى فقال : « وضع عني خمساً » . قال : « ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك » . فلم يزل يرجع بين موسى وبين ربه ، يَحْطُّ عنه خمساً خمساً ، حتى قال : « يا محمد » ، قال : « لبيك وسعديك » قال : « هُنَّ خمس صلوات كل يوم ليلة ، لكل صلاة عَشْرُ ، فتلك خمسون صلاة لا يُبدَلُ القولُ لدى ولا ينسخُ كتابي تخفيفها عنك كتخفيف خمس صلوات ، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كُتِبَتْ له عَشْرًا ، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم يكتب شيئا فإن عملها كُتِبَتْ سيئة واحدة » . فنزل حتى انتهى إلى موسى ، فأخبره فقال : « ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك » . قال له : « قد راجعتُ ربي حتى استحيتُ منه ولكن أرضى وأسلم » . فناداه منادٍ أن « قد أمضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي »^(١) .

وال له موسى : « اهبط بسم الله » . ولم يمرَّ على الملائكة إلا قالوا له : « عليك بالحِجامة »^(٢) . وفي لفظ : « مُرَّ أَمْتُكَ بِالْحِجَامَةِ » . ثم انحدر ، فقال جبريل : « مالي لم آت لأهل السماء إلا رَحِبُوا بي وضحكوا لي ، غير واحد سلّمْتُ عليه فردَّ السلام ورَحِبَ بي ودعا لي ، ولم يضحك لي » . قال : قال : « مالك خازن النار ، لم يضحك منذ خُلِقَ ،

(١) الحديث بطوله في صحيح البخاري كتاب المناقب باب المراج . ج ٥ ص ١٤٥ : ١٤٨ رقم ٢٧٠) عن أنس ابن مالك عن مالك بن حصمة .

(٢) أخرج البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه : إن أنبل ما تلووهم به الحِجامة ، كتاب الطب باب الحِجامة من الداء حديث رقم ١٨ . صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٢٧ .

ولو ضحك لأحد لضحك إليك . فلما نزل إلى السماء الدنيا نظر أسفل منه ، فإذا هو بِرَهْجٍ وَدُحَّانٍ ، فقال ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم ، لا يتفكرون في ملكوت السموات والارض ، ولولا ذلك لَرَأَوْا العجائب .

ثم ركب منصرفاً ، فمرَّ بِعِيرٍ لقريش بمكان كذا وكذا ، منها جَمَلٌ عليه غرارتان . غرارة سوداء وغرارة بيضاء ، فلما حاذى العير نَفَرَتْ واستدارت وصرخ ذلك البعير وانكسر ، وَمرَّ بِعِيرٍ قد ضَلُّوا بِعِيراً لهم قد جمعه فلان ، فسَلَّمَ عليهم ، فقال بعضهم : هذا صوت محمد .

ثم أتى أصحابه قبيل الصبح بمكة ، فلما أصبح قطع وعرف أن الناس تُكذِّبُه ، فقعده حزيناً ، فمرَّ عليه علو الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه ، فقال له كالمستهزئ : هل كان من شيء ؟ قال : نعم . قال : ما هو ؟ قال : أُسْرِئَ في الليلة . قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس . قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم . فلم يرَ أنه يُكذِّبُه مَخَافَةً أَنْ يَجْعَلَهُ الحديث إن دعا قومه إليه . قال : أَرَأَيْتَ إِنْ دعوت قومك لتحديثهم ما حدثتني ؟ قال : نعم ، قال يا معشر بني كعب بن لؤى .

فانفضت إليه المجالس ، وجاءوا حتى جلسوا إليهما . فقال : حَدِّثْ قومك بما حَدَّثتني . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إني أُسْرِئَ الليلة في » . قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس / ، قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم ، فمن بين مُصَفِّقٍ ومن بين واضع يده على رأسه مُتَعَجِّباً ، وَضَجُّوا وأعظموا ذلك . فقال المُطْعَمُ بن عدي : كُلُّ أَمْرِكَ قبل اليوم كان أَمَماً^(١) غير قولك اليوم ، أنا أشهد أنك كاذب ، نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مُضَعِدَةً شهراً ومنحدرًا شهراً^(٢) ، أَتَدْعِي أَنْتَ أنك أَتَيْتَه في ليلة ؟ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَا أَصْدُقُكَ .

(١) الأُمُّ محرّكة . القرب واليسير واليسر من الأمر ، عن القاموس المحيط .

(٢) وفي رواية : فقال أبو جهل : ألا تعجبون بما قال عمد ؟ يزعم أنه أتى البارحة بيت المقدس ، ثم أصبح فينا ، وأحنا يضرب طيته مصعدة شهراً ومقفلة شهراً فهذه مسيرة شهرين في ليلة واحدة . عن أبي سعيد الخدري في تفسير ابن كثير ٢٣ ص ١٢ .

فقال أبو بكر لمُطِمْ : يَشْسُ ما قلت لابن أخيك ، جِبَهَتَهُ وَكَلْبَتَهُ ، اما أنا فأشهد أنه صادق . فقالوا : يا محمد صِفْ لنا بيت المقدس ، كيف بناؤه وكيف هيئته ؟ وكيف قُرْبُهُ من الجبل ؟ وفي القوم من سافر إليه . فذهب ينعت لهم بناءه كذا وهيئته كذا ، وقُرْبُهُ من الجبل كذا ، فما زال ينعتهم لم حتى التبس عليه النَّعْتُ فكَرِبَ كَرِيباً ما كُرِبَ مثله ، فجئى بالمسجد وهو ينظر إليه حتى وُضِعَ دُون دار عقيل أو عُقال ، فقالوا : كم للمسجد من باب ؟ ولم يكن عَدَها ، فجعل ينظر إليه وَيَعُدُّها باباً باباً ، وَيُعْلِمُهُمْ ، وأبو بكر يقول : صَلَّيْتُ صَلَّيْتُ ، أشهد أنك رسول الله . فقال القوم : أمَّا النعت فوالله لقد أصاب .

ثم قالوا لأبي بكر : أَفَتَصَدَّقَهُ أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يُصْبِحَ ؟ قال : نعم إني لأُصَدِّقُهُ فيما هو أبعد من ذلك ، أَصَدَّقُهُ بخير السماء في غُدُوٍّ أو رَوْحَةٍ . فبذلك سُمِّيَ أبو بكر الصديق . ثم قالوا : يا محمد أَخْبِرْنَا عن عِيرِنَا . فقال : « آتَيْتُ عَلَى عِيرِ بَنِي فُلَانٍ بِالرُّوحَاءِ قَدْ ضَلُّوا نَاقَةً لَمْ ، فَانْطَلَقُوا فِي طَلَبِهَا ، فَاَنْتَهَيْتُ إِلَى رَحَالِهَا ، فَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَإِذَا قَدَحُ مَاءٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ ، ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَى عِيرِ بَنِي فُلَانٍ فِي التَّنْعِيمِ يَقْدِمُهَا جَمَلٌ أَوْزَقٌ عَلَيْهِ مِسْحٌ أَسْوَدٌ وَغَرَارَتَانِ سَوْدَاوَانِ وَهَا هِيَ ذَهَبَتْ عَلَيْكُمُ مِنَ الثَّيْبَةِ » . قالوا : فَمَتَى تَجِيءُ ؟ قال : يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ . فلما كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، انصرفت قريش ينظرون وقد وَلَّى النَّهَارَ ، ولم تَجِيءْ . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ، فزید له في النهار ساعة ، وَحُسِبَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ، حَتَّى دَخَلْتَ الْعِيرَ ، فَاسْتَقْبَلُوا اللَّيْلَ . فقالوا : هل ضَلُّ لَكُمْ بَعِيرٌ ؟ قالوا : نعم . فسألوا الْعِيرَ الْأُخْرَى فقالوا : هل انكسر لكم ناقة حمراء ؟ قالوا : نعم . قالوا : فهل كان عندكم قِصْعَةٌ مِنْ مَاءٍ ؟ فقال رجل : أنا والله وضعتها فما شربها أحد ، متأولاً أُمْرِي قَتْ فِي الْأَرْضِ . فرمَوْهُ بِالسَّحَرِ ، وقالوا : صَلَّقَ الْوَلِيدُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) .

قائدة : أخرج ابن مَرْكُوبٍ عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْذُ أُسْرِيَ بِهِ رِيحُهُ رِيحُ عُرُوسٍ وَأَطْيَبُ مِنْ رِيحِ عُرُوسٍ . شعر :

ساد الأنام محمد خير الورى
وجوامع الكلم التي ما نالها
ولى الخلائق كلهم لإرساله
وله الشفاعة والوسيلة في غد
ويجيء يومئذ كما قد قاله
ولقد دنا من ربّه لادنا
سمع الخطاب بحضرة قلنسية
وبرؤية الجبار فاز وبألها
ما نال موسى والخليل ومُجَنَّبِي
يا كنز مُفْتَقِرٍ وملتجأ عائِدٍ
أنت الوسيلة للإله فسل لنا
ودخولنا الجنّات أول وهلة
بك نستغيث ونستجير ونلتجى
ونروم فضلاً من جنابك سيدي
فإليك ساق [الله] سحِبَ صلاتيه
وعلى صحابتك الرضى متعدداً

بفضائل جلت عن الإحصاء
أحد من الفصحاء والبلغاء
فشفى القلوب الجمّة الأدواء
ومقامه السامى على الشفعاء
أنا راكب والرسل تحت لوائى
في ليلّة المعراج والإسراء
ما حلّها بشر من العظماء /
من نعمة عظمت على النعماء
ما نلتّه يا سيّد الشفعاء
يا أفضل الأجواد والكرماء
عفواً عن الزلات والأهواء
وشفاعة للمفسد الخطاء
من ذى البلاء وفتنة الأهواء
وشفاعة يا سيّد الشفعاء
وجزاك ربّ الناس خير جزاء
والآل والأتباع والعلماء .

ولله درّ البوصيرى حيث قال مخاطباً للذات الشريفة :

سريت من حرم ليلاً إلى حرم
وبت ترقى إلى أن نلت منزلة
وقد كنتك جميع الأنبياء بها
وأنت تحترق السبع الطباقي بهم
حتى إذا لم تدع شأواً لمُستحق

كما سرى البدر في داج من الظلم
من قاب قوسين لم تترك ولم ترم
والرسل تقليم مظلوم على خدم
في موكب كنت فيه صاحب العلم
من اللغو ولا مرقى لمُستحق

خَفَضَتْ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ
كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلِي أَيْ مُسْتَعِيرٍ
فَحَزَتْ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرِ مُشْتَرِكٍ
وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وَلَّيْتَ مِنْ رُتَبٍ
أَنْوَدَيْتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ
عَنِ الْعِيُونِ وَسِرٍّ أَيْ مُكْتَسَمٍ
وَحَزَتْ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرِ مُزْدَحَمٍ
وَعَزَّ مِقْدَارُ مَا أُولَيْتَ مِنْ نِعَمٍ
بُشْرَى لَنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا
لَمَّا دَعَا اللَّهَ دَاعِينَ لَطَاعَتِهِ
يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ
مِنَ الْعَنَابِ رُكْنَا غَيْرَ مَنْهَلِمِ

الباب التاسع

في تنبيهات على بعض فوائد تتعلق بقصة المِغْرَاج

الأول : قال ابن المنير : كانت كرامته صلى الله عليه وسلم في المناجاة على سبيل المفاجأة كما أشار إليه بقوله : « بينا أنا » . وفي حق موسى عليه الصلاة والسلام عن ميعاد واستعداد فَحُمِلَ عنه صلى الله عليه وسلم أَلَمُ الانتظار . ويؤخذ من ذلك أَنَّ مَقَامَ النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة إلى مقام موسى المُرَاد بالنسبة إلى مقام المريد .

الثاني : قال ابن دحية في قوله : « فُرج سَقْفُ بيتي » ، يقال : لِمَ لم يدخل من الباب مع قوله تعالى (وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ^(١)) ، فالحكمة في ذلك المبالغة في المناجاة ، والتنبيه على أَنَّ الكرامة والاستدعاء كانا على غير ميعاد ، ولعل كونه فرج عن سقف بيته توطئة وتعميد لكونه فُرج عن صدره ، فأراه المَلَكُ ، بإفراجه عن السقف فالتأم السقف على الفور ، وَكَيْفِيَّةَ ما يُصْنَعُ به ، وَقَرَّبَ له الأمر في نفسه / بالمألِ المُشَاهِد في بيته لُطْفًا في حقه ^{ظ ٣٥٧} وتبييناً لَبَصَره ، ولعله فُرج عن سقف بيته حتى لا يَعرِج المَلَكُ ، وقد جاء في هذا الأمر المهم العظيم على شيءٍ سواه ، فانصَبَّ له من السماء انصبابةً واحدة [وهي] خَرَقَ الحِجاب .

ولو أنه جاء على العادة من الباب لاحتاج أَنْ يَلِجَ صَخْنُ الدار ، ثم يَعرِج إلى البيت الذي هو فيه وقال الحافظ : قيل الحكمة في نزوله عليه من السقف المبالغة في مفاجأته بذلك والتنبيه على أَنَّ المراد منه أَنْ يَعرِجَ به إلى جهة العُلُو .

الثالث : الرجلان اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم نائماً بهنهما تلك الليلة : حمزة وجعفر رضي الله عنهما ، نَبَّ عليه الحافظ . قال ابن أبي جمرة : وفي هذا تواضعه صلى الله عليه وسلم وَحُسْنُ خُلُقِهِ ، إذ أنه في الفضل حيث هو ، ومع ذلك كان يضطجع مع الناس

(١) سورة البقرة آية ١٨٩ .

ويقعد معهم ، ولم يجعل لنفسه المَكْرَمَةَ مَزِيَّةً عليهم ، وفيه دليل على جواز نوم جماعة في موضع واحد ، ولكن يشترط في ذلك أن يكون لكل واحد منهم ما يَسْتُرُ به جَسَدَه عن صاحبه .
الرابع : تقدم في أبواب صفاته الكلام على شَقِّ الصُّلْبِ وخاتم النبوة والطلست والذهب وزمزم .

الخامس : في الكلام على جبريل وفيه فوائد .

الفائدة الأولى : في لغات اسمه وهي إحدى وعشرون : الأولى : جِبْرِيل بكسر الجيم والراء وياء ساكنة وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر ، وحُفِّصَ عن عاصم وهي لغة الحجازيين . الثانية : جَبْرِيل كذلك إلا أنه بفتح الجيم وهي قراءة ابن كثير . الثالثة : جَبْرَءل كذلك إلا أنه بزيادة همزة مكسورة بعد الراء وحذف الياء وهي قراءة أبي بكر عن عاصم . الرابعة : جَبْرِئيل كذلك إلا أنه بزيادة ياء بعد الهمزة وهي قراءة حمزة والكسائي ولغة تميم وقيس وكثير من أهل نجد كما قاله القراء . الخامسة : جَبْرَائيل كذلك إلا أنه بزيادة ألف بعد الراء وهي رواية حمزة ونعيم بن سعيد وغيرهما عن الأعشى ورواية أبان بن تغلب - بفتح المثناة وسكون المعجمة وكسر اللام - وأبان بن يزيد الطار من رواية الثلاثة : بَكَارَ ويونس وعُبَيْد ، عنه كلاهما عن عاصم وأبو رجاء وأبو غرَوان عن طلحة ذكره الأهوازي . السادسة : جِبْرَائيل كذلك إلا أنه بكسر الجيم على وزن إسرائيل ، وهي إحدى الروايات عن عكرمة ورواها عنه الزبير ، وقرأ بها ابن صلقة عن يحيى ذكره ابن عيسى . السابعة : جَبْرَءل بفتح الجيم والراء وهمزة بلون ياء ، وفي رواية رزين وابن قيس وابن خُثَيْم وأبي عمران وإسماعيل عن الحسن وغيرهم وإسحق بن سويد بخلاف عنه والحسن الرازي^(١) عن أصحابه وأحمد بن يزيد وهي إحدى الروايات عن عكرمة أيضاً .
الثامنة : جبرائيل كذلك إلا أنه بياء ساكنة بدل الهمزة على الجمع بين التقاء الساكنين

(١) هو الحسن بن شعيب أبو علي الرازي روى للقراءة عرضاً عن الفضل بن خاذان وروى للقراءة عنه عرضاً عبد الرحيم ابن محمد المستناباني . انظر غايۃ النباهة في طبقات القراء لابن الجزري (٦ : ٢١٥ : ٢٢٦ رقم ٩٨٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٢ م)

وهي قراءة طلحة بن مضر بن الياس^(١). التاسعة : جَبْرِيل بفتح الجيم والراء ويامين أولهما مكسورة والثانية ساكنة وهي إحدى الروایتين عن ابن مُحَيِّص^(٢) ويحيى بن يَعْمَر وأبان ابن يزيد المطار عن عاصم . العاشرة : جبرئيل كذلك إلا أنه بهزة عَوْض الياء الأولى وتشديد اللام وهي إحدى الروايات عن ابن مُحَيِّص ويحيى بن يعمر وأبان بن يزيد المطار عن عاصم . الحادية عشرة : جَبْرَوَلْ كذلك إلا أنه بحذف الياء بعد الهمزة وقرئ بها شاذاً . الثانية عشر : جَبْرِئِل بفتح الجيم / والراء وياء ساكنة لا غير ، وهي قراءة محمد بن طلحة ابن مَضْرَف^(٣) وابن مُحَيِّص في إحدى الروايات عنه . الثالثة عشر : جبرال كذلك إلا أنه بهزة بدل الياء مُشَدَّدة مكسورة ولام لا غير ، وقد نقلها أبو عمر الدائى في المُحْتَجِّى في الشواذ عن ابن يَعْمَر أيضاً . الرابعة عشرة : جَبْرال بفتح الجيم والراء وألف ولام لا غير . الخامسة عشرة : جَبْرال كذلك إلا أنه بكسر الجيم . السادسة عشرة : جَبْرين بفتح الجيم وكسر الراء وياء ساكنة ونون بدل اللام . السابعة عشرة : جَبْرين كذلك إلا أنه بكسر الجيم . قال القراء هي لغة بنى أسد . الثامنة عشرة : جَبْرَيْن بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة وثنون ، نقلها ابن الأثير في كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان . التاسعة عشرة : جَبْرين كذلك إلا أنه بكسر الجيم نقلها ابن الجوزى وبرهان الدين الجَبَّار . العشرون : جَبْرِئِل بفتح الجيم والراء وهمزة ساكنة بعدها ياء . الحادية والعشرون : جبرائيل على وزن ميكايل . نقل جميع ذلك الإمام العلامة محب الدين بن شيخ الحنابل والفرائض الإمام العالم العلامة شهاب الدين بن الهائم في القُرَر ، ومن خطّه نقلت .

٣٥٨

القائدة الثانية : قال في الروض [الألف] : « ومعنى جبريل : عبد الرحمن أو عبد العزيز ، هكذا جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفاً ومرفوعاً^(٤) أيضاً والوقف

(١) هو طلحة بن مضر بن عمرو بن كعب الياسي الكوفي تابعي كبير له اختيار في القراءة ينسب إليه كانوا يسون له سيد القراء توفي سنة ١١٢ هـ - غاية النهاية ج ١ ص ٣٤٣ رقم ١٤٨٨ .

(٢) في الأصول ابن مجيذ وقد أصلحناها أيضاً فيها يمد وهو محمد بن عبد الرحمن بن عيسى السهمي المكنى مقرئ أهل مكة وكان نحوياً قرأ القرآن على ابن جاهد ، توفي سنة ١٢٣ هـ بمكة - غاية النهاية ج ٢ ص ١٦٧ رقم ٣١١٨ .

(٣) لم يكن لطبعة بن مضر في سبق أن ذكره المؤلف ولد اسمه محمد بن علماء القراءات إذ لا توجد له ترجمة في غاية النهاية إلا إذا كان يقصد محمد بن طلحة الإشبيلي وهو الوحيد عن اسمه محمد بن طلحة في غاية النهاية (ج ٢ ص ١٥٧) .

(٤) الحديث الموقوف في مصطلح الحديث : مطلقه يختص بالصالحين ولا يستعمل فيمن دونه إلا مقيداً وقد يكون =

أَصَحَّ . وأكثر الناس أن آخر الاسم منه أجمعى وهو «إيل»^(١) ، وكان شيخنا يعنى ابن العربى يذهب مذهب طائفة من أهل العلم فى أن هذه الأسماء إضاقتها مقبولة وكذلك الإضافة فى كلام العجم يقولون فى «غلام زيد» . زيد غلام فعل هذا يكون «إيل» عبارة عن العبد ويكون أول الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى^(٢) .

قلت : روى ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وابن المنذر عن عكرمة ، وأبو الشيخ عن على بن الحسين قالوا : اسم جبريل عبد الله وميكائيل عبيد الله ، وكل شيء راجع إلى «إيل» فهو مُعَبَّدُ الله عزَّ وجلَّ ، زاد على [بن الحسين] : وإسرافيل عبد الرحمن ، زاد عكرمة : «والإيل» : الله .

قال الماوردى : «ولا يُعْلَمُ لابن عباس مخالف فى ذلك» ، وقال السهيلي : «إنه قول الأكثر» . وقال الشيخ شهاب الدين الحلبي رحمه الله تعالى فى شرح الشاطبية^(٣) : «اختلف الناس فى هذا الاسم هل هو مشتق أم لا ؟ والذى عليه الجمهور لا اشتقاق لها» . وقال آخرون : بل هو مشتق من جبروت الله تعالى .

وكذلك اختلفوا فيه هل هو اسم بسيط لا تركيب فيه أو هو مُركَّب ؟ فإن جبرئ معناه «عَبْد» ، «وإيل» هو اسم البارئ تعالى وقد قيل ذلك فى إسرافيل ، ثم اختلفوا فى تركيبه ، هل هو مُركَّب تركيب إضافة أو تركيب مُزَج ؟ فذهب بعضهم إلى الأول ، وردَّ بأنه كان ينبغى أن يُعَرَّبَ لإعراب المتضايقيين ، فيجرى الأول منهما مجرى الإعراب ،

«إسناده متصل وغير متصل ؛ أى هو المروى عن الصحابة قولاً أو فعلاً أو تقريراً متصلاً أو منقطعاً ولا يقال فيها جاء عن التابعى موقوف إلا مقيداً . وهذا النوع من الروايات يسمى أثراً . أما ما كان عن النبي صلى الله عليه وسلم فيسمى خبراً ؛ والمرفوع هو ما أُضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً حته سواء كان متصلاً أو منقطعاً أو مرسلًا . أنظر لباحث الحديث إلى معرفة علوم الحديث لابن كثير ص ٣٤ و ٣٥ .

(١) إيل فى اللغة العبرية معناها الإله ، وجبريل وجبل الإله .

(٢) يقع هذا النص فى الروض الأنف ج ١ ص ١٥٥ من طبعة القاهرة سنة ١٩١٤ م

(٣) الشاطبية هى القصيدة الالامية المسماة بحزر الأمانى ووجه التأتى من نظم الإمام العلامة القاسم بن فيرة بن خلف الأندلسى الشاطبى الذى توفى بالقاهرة سنة ٥٩٠ هـ . هذا ولم نجد بين شارحى الشاطبية من ذكرهم ابن الجزرى فى كتابه النشر ج ١ ص ٦٣ و ٦٤ شارحاً اسمه شهاب الدين الحلبي . والحلبي الوحيد فى غاية النهاية فى طبقات القراء الكتاب الآخر لابن الجزرى هو أبو طاهر محمد بن ياسين البزار يعرف بالحلبي إمام محقق أخذ الروايات مرضاً عن أبي الفرج - الشيبوبى وغيره ، توفى سنة ٤٢٦ هـ فله هو ، أنظر غاية النهاية ج ٢ ص ٢٧٦ رقم ٣٥٢٢ .

ويجوز الثاني ويُتَوَّن ، إذ لا مانع له من الصَّرف ؛ كما انصرف « إل » في قول من جعله اسماً لله تعالى من قوله عَزَّ وَجَلَّ : (لَا يَرْقُبُونُ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً)^(١) وهذا كما تقول : جاعلي عبدُ الله ، ورأيتُ عبدَ الله ومَرَزْتُ بعبدِ الله . وذهب آخرون كآبي العباس المهدي إلى أنه مُركَّب تركيب مزج كبعليك وحضرموت ، وهذا قريب إلا أن بعضهم ردَّ عليه بأنَّه كان ينبغي أن يُتَيَّ الأَوَّل على الفتح ليس إلا ، وأنت كما رأيتهُم / يكسرون الراء في بعض اللغات . وردَّ عليه بعضهم أيضاً بأنَّه لو كان مُركَّباً تركيب مَزَج لجاز أن يُعَرَّب لإعراب المتضايقين أو يُتَيَّ على الفتح كأحد عشر ، فإنه مركب تركيب مزج يجوز فيه هذه الأوجه ، فكونه لم يُسَمَّع فيه البناء ولا جريانه جريان المتضايقين دليلٌ على عدم تركيبه تركيب مَزَج . وهذا الردُّ مردود لأنَّه جاء على أحد الجائزين ، واتفق أنه لم يستعمل إلا كذلك . انتهى^(٢) .

قال السهيلي : « واتفق في اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لمعناه وإن كان أعجمياً ، فإن الجبر هو إصلاح ما وهى ، وجبريل مُوسِّلٌ بالوحي ، وفي الوحي إصلاح ما فسَدَ وجبرُّما وهى من الدين ، ولم يكن هذا الاسم معروفاً بمكة ولا بأرض العرب ، فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة به انطلقت تسأل من عنده عِلْمُ الكتاب كهداس ونسطور الراهب وورقة . فقالوا لها : قُلُوس قُلُوس أنَّى لهذا الاسم أن يُذَكَّر في هذه البلاد ، كما تقدَّم بيان ذلك . »

الفائدة الثالثة : في بعض فضائله : ذكره تعالى في كتابه في خمسة وثلاثين موضعاً بالصريح وغيره ، وذكره باسمه في ثلاثة مواضع : في البقرة في موضعين (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ^(٣)) ، (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ^(٤)) ، والثالث في التحريم (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ^(٥)) ، وذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم

(١) سورة العنكبوت آية : ١٠ فسرهما ابن كثير (ج ٢ ص ٣٣٨) عن ابن عباس الإل : القرابة واللمة والمهد .

(٢) انظر في هذا الموضوع الزبيدي في تاج المروس .

(٣) سورة البقرة آية ٩٧ .

(٤) سورة البقرة آية ٩٨ .

(٥) سورة التحريم آية ٤ .

في أربعة مواضع الأول والثاني والثالث في آل عمران (فَتَدَاثُهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ^(١)) ، وهو جبريل وحده بليل قراءة ابن مسعود رضى الله عنه (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ^(٢)) ، (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ^(٣)) والرابع في النحل : (يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ^(٤)) يعنى جبريل والروح الوحى . وذكر بلفظ الروح في ثمانية مواضع بلفظ الروح مطلقاً ، وبإضافته إلى نفسه وبإضافته إلى القدس وهو الطهارة ، وبوصفه بالأمانة ، فقال : (تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ^(٥)) يعنى جبريل (تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ^(٦)) ، (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ^(٧)) ، (وَأَيُّدُنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ^(٨)) وفي المائدة (إِذْ أَيْدَتِكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ^(٩)) وفي النحل (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ^(١٠)) ، وفي الشعراء (نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ^(١١)) ، ووصفه في موضع واحد بسبع صفات جميلة وهى : الرسالة والكرم والقوة والقربة والمكانة وطاعة الملائكة والأمانة ، وذلك في سورة التكوين في قوله تعالى : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ، مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ ^(١٢))

وروى أبو الشيخ فى العظمة عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ جبريل وميكائيل وإسرافيل وإنهم من الله بمسيرة ألف سنة » . وروى أبو الشيخ عن وهب . قال : هؤلاء الأربعة أملاك : جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، أول من خلقهم الله من الملائكة وآخر من يُحييهم ، وأول من يُحييهم وهم المدبرات . وروى أبو الشيخ عن خالد بن أنس عمران قال : جبريل أمين الله تعالى إلى رُسُلِهِ ، وميكائيل يُلقى الكتب التى ترفع من أعمال الناس وإسرافيل بمنزلة الحاجب .

وروى أبو الشيخ عن عكرمة بن خالد أحد التابعين أن رجلاً قال : يا رسول الله أى

(١) آل عمران آية ٣٩ (٢) آل عمران آية ٤٢ (٣) آل عمران آية ٤٥

(٤) النحل آية ٢ (٥) المائدة آية ٢٥ (٦) سورة القدر آية ٤

(٧) سورة مريم آية ١٧ (٨) سورة البقرة آية ٨٧ كما وردت فى الآية ٢٥٣ بنسب السورة .

(٩) سورة المائدة آية ١١٠ (١٠) سورة النحل آية ١٠٢

(١١) سورة الشعراء آية ١٩٣ و ١٩٤ (١٢) سورة التكوين الآيات ١٩ و ٢٠ و ٢١ .

الملائكة أكرم على الله ؟ قال : لا أدرى فجاءه جبريل فقال : يا جبريل أى الملائكة أكرم على الله ؟ قال : لا أدرى ، فترج جبريل ، ثم هبط فقال : جبريل وميكائيل وإسرافيل وملَك الموت ، فلما جبريل فصاحب الحرب وصاحب المرسلين / وأما ميكائيل فصاحب كل قطرة تسقط وكل ورقة ، وأما ملك الموت فهو مؤكل بقبض روح كل عبد فى بَرٍّ أو بَحْرٍ ، وأما إسرافيل فأمين الله بينه وبينهم .

التنبيه السادس : فى لغات ميكائيل وهى سبع : الأولى وهى الأفصح : ميكال بوزن ميقات وميعاد وبها قرأ أبو عمرو^(١) . الثانية : مكائيل همزة فياء وهى قراءة نافع . الثالثة : ميكائيل بياعين وهى قراءة باقى السبعة . الرابعة : ميكييل همزة بعد الكاف فمُثَنَّة تحثية وهى قراءة ابن مُحَيَّصين . الخامسة : كللك [أى ميكال] إلا أنه لا ياء بعد الهمزة وبها قرأ بعضهم . السادسة : ميكاييل بياعين صريحتين بعد الألف وبها قرأ الأعمش . السابعة : ميكاييل همزة مفتوحة بعد الألف .

التنبيه السابع : فى الكلام على البراق ، وهو بضم الموحدة وتخفيف الراء مُشْتَق من البريق فقد جاء فى لونه أنه أبيض أو من البرق^(٢) لأنه وُصِفَ بسرعة السير أو من قولهم : شاة برقاء إذا كان خلال صوفها الأبيض طاقات سوداء ، ولا ينافيه وَصْفُهُ فى الحديث بالبياض لأن البرقاء من الغنم مَعْلُودَةٌ فى البيض . وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عند أحمد والحاثر^(٣) : « أَبْرَقُوا فَإِنَّ دَمَ عَفْرَاءٍ أَزْكَى عِنْدَ اللَّهِ مِنْ دَمِ سَوْدَاوَيْنِ »^(٤) ،

(١) هناك كثير من القراء من كنيهم أبو عمرو والأرجح أن المؤلف يقصد أشهرهم وهو عثمان بن سعيد أبو عمرو الدانى المتوفى سنة ٤٤٤ هـ ترجم له ابن الجوزى ترجمة مطولة فى كتابه غاية النهاية (ج ١ ص ٥٠٣ : ٥٠٥ رقم ٢٠٩١) (٢) أورد ابن الأثير فى النهاية (ج ١ ص ٧٤) هذين الرايين فى اشتقاق كلمة براق إذ قال : سمى بذلك لنسج لونه وشدة بريقه وقيل لسرعة حركته شبه فيها بالبرق غير أن التميمى فى حياه الحيوان (ج ١ ص ١٠٧) قال بأن الكلمة مشتقة من البرق الذى يلمع فى القيم كما روى فى حديث المرور على الصراط فمنهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح الماصف ومنهم من يمر كالفرس الجواد .

(٣) لعله الخارث بن محمد بن أبى سلمة التميمى صاحب المستد توفى سنة ٢٨٢ هـ . انظر ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٤٢ و ٤٤٣ رقم ١٦٤٤ .

(٤) أورد المؤلف كلمة : أفضل بدلا من أزكى وآثرنا إثبات نص الحديث كما أورده كل من الزعرى فى الفائق (ج ١ ص ٧٥) وابن الأثير فى النهاية (ج ١ ص ٧٤) وقال الأول فى شرحه : أى فسحوا بالبرقاء وهى الشاة التى تشب ضوفها الأبيض طاقات سود ، والمفراء التى يشرب لونها إلى بياض من عفرة الأرض . وزاد ابن الأثير شرحا آخر جاء فيه : وقيل مناه : اطلبوا النسم والنمن من يرتق له إذا دعت طعامه بالنمن .

فجعل البرقَاء مقابلة السوداويْن تفضيلاً للبياض ، فهذا يكون البرقَاء أفضل الألوان ، ويجوز أن يجتمع بين المعنيين فيسمى برقاً للونه ولسرعة مسيره فيكون ذلك من قبيل مُجْمَلِي اللفظ المُشْتَرَك دفعة واحدة في اللفظ ويُحْتَمَل ألا يكون مُشْتَقاً .

قال ابن أبي جُمَرَةَ : وإنما كان ركوب النبي صلى الله عليه وسلم على البرقَاء إشارة إلى أن الاختصاص به لأنه لم يُنْقَلْ أن أحداً ملكه بخلاف جنسه من النواب . قال : والقُدْرَةُ صالحة لأن يصعد بنفسه بغير برق ، لكن كان البرقَاء بشارة له في تشريفه ، لأنه لو صعد بنفسه لكان في ضورة ماشٍ ، والراكب خلاف الماشي . وقال ابن دَحِيَّة : رُبَّمَا مَرَجَ خَرَقُ العادة بالعادة تأنيساً ، وقد كان الحقُّ قادراً على أن يرفع نبيّه صلى الله عليه وسلم بدون البرقَاء ، ولكن الركوب وصفة الركوب المُعْتَاد تأنيس في هذا المقام العظيم يطرف من العادة ، ولعل الإسراء بالبرقَاء إظهاراً للكرامة العُرفِيَّة ، فإن المَلِك العظيم إذا استندى وكياً له وخصيصاً به ، وأشخصه إليه بعث إليه بمركوبٍ سَئِر ، يحمله عليه في وفادته إليه . ولم يكن البرقَاء بشكل الفرس ولكنه بشكل البغل ، وكان ذلك - والله تعالى أعلم - للإشارة إلى أن الركوب في سلم وأمن لا في حربٍ ويتوف ، أو لإظهار المعجزة في الإسراع العجيب من دابة ما يوصف شكلها بالإسراع الشديد جادة .

فإن قيل : فقد ركب النبي صلى الله عليه وسلم البغلة في الحرب ، فالجواب : كان ذلك لتحقيق نبوته عليه الصلاة والسلام في موطن الضرب والطعن والانتشاب في ثغر العدو ، ولما كان الله تعالى خصّه بمزيد من الشجاعة والقوة . وإلا فالبغال عادة من ركوب الطمأنينة والأمانة^(١) ، فبين أن الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفوس ، وثقة وتوكل . وركبت الملائكة في الحرب على الخيل لا غير لأنها بصدد ذلك عرفاً دون غيرها من المركوبات . ولطف شكل البرقَاء لما وصفه ، عن شكل البغل ، وما لطف من البغال واستندار أحمد وأحسن من المظلمات^(٢) منها ، وذلك بخلاف الخيل .

(١) من آمن يأمن أمنا وأماناً وأمنة . وفي الحديث : النجوم أمة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد . وأنا أمة لا أصحاب فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون . انظر النهاية لابن الأثير (ج ١ ص ٤٤) .

(٢) من طهم الله فسم طهم ، وفي النهاية (ج ٣ ص ٤٩) المظم المتفخ الوجه وقيل الفاحش السنن وقيل التحيف الجسم وهو من الأضداد .

ولم يُسمَّ الله سبحانه وتعالى / سَيَّرَ البراق برسوله صلى الله عليه وسلم طيراناً ، وإنما سَمَاهُ بما يُسمَّى به السير المعتاد وسير الليل عند العرب سُرَى ، فيؤخذ من هذا أن الوليَّ إذا طُويت له الأرض البعيدة في الساعة الواحدة يتناولوه اسم المسافر ، ويشمله أحكام السَّفَر باعتبار القَصْرِ والفِطْرِ^(١) . وإنما لم يُذَكَّر البُرَاق في الرجوع لأن ذلك معلوم بذكره في الصعود ، كقوله تعالى : (وَجَعَلْ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ^(٢)) يعني والبرد .

قال في فتح الصفا : فإن قيل : هَلَّا كان الإسراء على أجنحة الملائكة والريح كما كانت تحمل سليمان عليه الصلاة والسلام أو الخطوة كطَيَّ الزمان ؟ قلت المراد إطلاعه على الآيات الخارقة للعادة ، وما يتضمَّن أمراً عجبياً ، ولا عَجَبٌ في حَمَلِ الملائكة أو الريح بالنسبة إلى قِطْعَةِ هذه المسافة ، بخلاف قِطْعِهَا على دَابَّةٍ في هذا الحجم المَحْكِيَّ عن صفتها ، ووقع من تعظيمه بالملائكة ما هو أعظم من حَمَلِهِ على أجنحتها فقط . فقد أخذ جبريل برِكَابِهِ وميكائيل بزِمَامِ البُرَاق ، وهما من أكابر الملائكة ، فاجتمع له صلى الله عليه وسلم حَمَلُ البُرَاق ، وما هو كَحَمَلِ البُرَاق من الملائكة وهذا آتَمُّ في الشرف .

واختلفت الأقاويل في صفته ، فتُفِيلُ عن ابن عباس رضى الله عنهما ما ذُكِرَ . وقال صاحب الاحتفال : إنه دون البغل وفوق الحمار ، وَجْهُهُ كوجه الإنسان ، وَجَسَدُهُ كجَسَدِ الفرس وقوائمه كقوائم الثور وَذَنَبُهُ كذَنَبِ الغزال . وقال غيره : جَسَدُهُ كجسد الإنسان وَذَنَبُهُ كذَنَبِ البعير وعُرفُهُ كعُرفِ الفَرَسِ وقوائمه كقوائم الإبل وَأَظْلَافُهُ كَأَظْلَافِ البَقَرِ وَصَلْبُهُ ياقوتة حمراء وظَهْرُهُ دُرَّةٌ بيضاء ، له جناحان في فخله وهذا كله لم يَصِحَّ منه شيء ، وما ذكره عن ابن عباس أمثلها ، ولعل السَّرَّ في كونها في فخله لِثِقَلِ مُوَحَّرِ الدَابَّةِ ، أو لأن ذلك جارٍ على هذا الأمر في خَرَقِ العادة ، أو لِأَجْلِ الرَّاكِبِ ، لِأَنَّهُمَا لو كَانَا في جَنَبَيْهِ على العادة لكَانَا تحت فَخْذَيْ الرَّاكِبِ أو فوقهما ، وَحُصِّلَ له من ذلك مشقة بضمِّهما ونشرهما خصوصاً مع السرعة العظيمة .

(١) القصر في الصلاة والفطر للمسافر ، وفي التزويل : (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) (سورة النساء آية ١٠١) وقصرت الصلاة بالبناء المفعول فهي مقصورة وفي حديث السهو : أقصرت الصلاة أم نبيت وفي لغة يصدى بالحزمة والتضييف ، انظر المصباح المنير ، والنهاية ج ٣ ص ٢٥٧ .
(٢) سورة النمل آية ٨١ .

وفي بعض الآثار أنه ليس بذكر ولا أنثى ، فاقتضى ذلك أن يكون مفرداً بالخلق بهذه الصفة من غير توليد ، وقد قال تعالى : « وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ^(١) » ونقل الشيخ سعد الدين أن الملائكة الكرام لا ذكور ولا إناث إلى آخر ما ذكره . وفي أثر آخر أن جبريل خاطبه خطاب المؤنث .

واختلِف في الحكمة في استصعاب البراق ، فقال ابن بطال : إنما استصعب عليه لبعده بركوب الأنبياء قبله ، ويُؤيده ما في المبتدأ لابن إسحق رواية وثيمة بن موسى في ذكر الإسراء ، « فاستصعب البراق وكانت الأنبياء تركبها قبل » وكانت بعيدة العهد بركوبهم فلم تكن رُكِبَتْ في الفترة ^(٢) .

وقال ابن دحية وابن المنير : « إنما استصعب تيهاً وزهواً بركوب النبي صلى الله عليه وسلم » ، وأراد جبريل بقوله : أجمعده تستصعب ؟ استنطاقه بلسان الحال إذ أنه لم يقصد الصعوبة ، وإنما تاه لمكان النبي صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال : فارْقَضَ عَرَقاً ، فكأنه أجاب بلسان الحال ، فبرئ من الاستصعاب ، وعرق من خجل العتاب ، وذلك قريب من درجة الجحَل به حتى قال له : اثبت فلإنما عليك نبىٌ وصديقٌ وشهيدٌ ، فلأنها جزء طَرَب لا جزء غضب ، كما سيأتي الكلام على ذلك مبسوطاً في المعجزات . قال الشيخ قاسم بن قَطْرُبغا ^(٣) الحنفى رحمه الله تعالى : ولا يبعد أن يقال إنما كان استصعابه قرعاً من هيبه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

التنبيه الثامن : قال الحافظ : من الأخبار الواحية أن البراق لما عاتبه جبريل عليه السلام اعتذر إليه البراق بأنه مَسَّ الصَّفراء ^(٤) / اليوم ، وأن الصفراء صَنَمٌ من ذهب عند

(١) سورة الذاريات آية ٤٩ .

(٢) الفترة هي لفافيل الرمي بين يدي عيسى وعهد عليهما الصلاة والسلام .

(٣) هو العلامة زين الدين قاسم بن قَطْرُبغا السوفول الحنفى قلعده من ابن حجر السقلاوي وكانت له مشاركة في علوم الحديث والفقه والأصول ، ترجم له السخاوي في الفوائد اللاحقة ترجمة مطولة (ج ٦ ص ١٨٤ ، ١٩٠ رقم ٦٣٥) أورد فيها ثلثاً ضافياً عن لغاته التي لم يطبع منها سوى كتيب في طبقات الأحناف اسمه تاج التراجم أطلقنا عليه : كما ترجم له ابن الجليل في شذرات الذهب (ج ٧ ص ٣٢٦) في وثائق سنة ٨٧٩ هـ .

(٤) جاء في الترويض الألف ج ١ ص ٢٤٥ : قال جبريل لحمد عليه السلام حين شمس به البراق : لعلك يا حمد مسست الصفراء اليوم فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما مسها إلا لأنه مر بها فقال تها لمن يهلك من يوحى الله وما يبيها إلا لذلك وذكر هذه الرواية أبو سعيد التيسابوري في شرف المصطفى لفة أعلم .

باب الكعبة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ به فقال : « تَبَّ لمن يعبدك من دون الله » ،
وأن النبي صلى الله عليه وسلم نَهَى زيد بن حارثة أن يمسَّ بعد ذلك ، وكسره يوم الفتح .
وقال في الزهر : هذا لا ينبغي أن يُذَكَّر ولا يُعزَّى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال الإمام أحمد - روى عنه ابنه عبد الله أنه قال : « هو موضوع » وأنكره جداً .

التنبيه التاسع : قال الحافظ : من الأخبار الواهية ما ذكره الماوردي والثعلبي والقرطبي
في التذكرة من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الموت
والحياة جسان ، فالموت ليس يجدر بجمادى ولا شيء إلا مات ، والحياة قَرَس بقاء أنثى
وهي التي كان جبريل والأنبياء يركبونها لا تمرَّ بشيء ولا يجدر بجمادى شيء إلا حَيَّ .

التنبيه العاشر : اختُلِف في ركوب جبريل على البراق مع النبي صلى الله عليه وسلم ،
وعلى القول به هل ركب أمام النبي صلى الله عليه وسلم أم خَلْفَه ؟ فعند الإمام أحمد عن
حَدِيثَه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق فلم يزايل ظَهْرَه هو
وجبريل حتى انتهيا إلى بيت المقدس . وفي رواية عنه عند ابن جِبَّان أن جبريل حَمَلَه
على البراق رديفاً له ، وفي لفظ فَرَكَبَه خَلْفَ جبريل فصار بهما . وفي حديث أبي ليلى أن
جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالبراق فحمله بين يديه ، رواه الطبراني . وفي حديث
أبي مسعود ، رَقَمَهُ (١) : « أُتِيتُ بالبراق فَرَكَبْتُهُ خَلْفَ جبريل » . والصحيح أنه كان مُعَدًّا
لركوب الأنبياء قبل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . -

وروى الفاكهي بسند حسن عن علي رضي الله عنه قال : « كان إبراهيم يزور إسماعيل
وأُمَّهُ على البراق » . وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه : « وكانت الأنبياء تركبها قبل » .
رواه البيهقي وغيره . وقال أنس رضي الله عنه : « وكانت تُسَخَّرُ للأنبياء قبل » ، رواه
النسائي وابن مَرْقُويه . وقال سعيد بن المُسَيَّب وأبو سَلَمَةَ بن عبد الرحمن : « أُسْرِىَ
بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم على البَرَّاق ، وهي دابة إبراهيم التي كان يزور عليها البيت
الحرام » ، رواه ابن جرير .

(٦) أي أنه حديث مرفوع والحديث المرفوع هو ما أُضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولاً ، أو فعلاً عنه سواء
كان متصلاً أو منقطعاً أو مرسلًا ونحو الخليل أن يكون مرسلًا فقال : « هو ما أخبر فيه الصحابي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
انظر الباحث الحديث إلى معرفة علوم الحديث لابن كثير (ص ٣٤ و ٣٥) .

التنبيه الحادى عشر : قوله فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « وتكلم أربعة وهم صغار » فذكر ابن الماشطة وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم . وروى الشيخان من حديث أبى هريرة مرفوعاً : « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة » ، فذكر عيسى وصاحب جريج وابن الماشطة . وفى حديث مسلم عن صُهَيْب رضى الله عنه فى قصة أصحاب الأخلدود : أن امرأة جىء بها لتُلْقَى فى النار [أو ^(١) لتكْفَر] ومعها صبى يرضع فتقاعت فقال : يا أماء اصبرى فإنك على الحق . وفى رواية عند ابن قتيبة : إنه كان ابن سبعة أشهر . وروى الثعلبى عن الضحاك أن يحيى بن زكرياء تكلم فى المهد وذكر البغوى فى تفسيره أن إبراهيم الخليل عليه السلام تكلم فى المهد . وفى سير الواقدى أن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم فى أوائل ما وُلِدَ . وقد تكلم فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم مبارك الائمة كما سيأتى فى المعجزات ، فهذه عشرة ، وتقدم نَظْمُهُم فى أبواب المولد ، وسيأتى الكلام على ذلك مبسوطاً فى المعجزات . وإذا عُلِمَ ذلك فقوله صلى الله عليه وسلم : « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة » ، قاله قبل أن يعلم الزيادة على ذلك .

التنبيه الثانى عشر : ذُكِرَ فى القصة نزوله صلى الله عليه وسلم عن البراق وصلاته بعِدة مواضع كما هو مذكور فى القصة . وقال حُذَيْفَةُ رضى الله عنه : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزايل ظَهَرَ البراق هو وجبريل حتى انتهيا إلى بيت المقدس » . قال الحافظ : وهذا لم يُسَنِّده حُذَيْفَةُ إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فيُحْتَمَلُ أنه قاله عن اجتهاد . قلت : ويدل على ذلك إنكاره رِبْطَ البراق والصلاة فى بيت المقدس ، مع ورود الأحاديث الصحيحة عن جماعة من الصحابة بوقوع ذلك كما سيأتى ..

التنبيه الثالث عشر : أنكر حُذَيْفَةُ رضى الله عنه رِبْطَ البراق ، فروى الإمام أحمد والترمذى عنه أنه لما قيل له : رِبْطَ البراق قال : أَخَافُ أَنْ يَفَرَّ مِنْهُ وَقَدْ سَخَّرَهُ لَهُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ؟ قال البيهقى والسهيلى : وَالْمُثْبِتُ مُقَدِّمٌ عَلَى النَّافِى ، يعنى من أثبت رِبْطَ البراق فى بيت المقدس معه زيادة عِلْمٍ عَلَى مَنْ نَفَى ، فهو أولى بالقبول . قال الإمام النووى :

(١) إضافة يقتضها السياق

وفي ربط البراق الأخذ بالاحتياط في الأمور وتعاطي الأسباب ، وأن ذلك لا يَقْدَح في التَّوَكُّل إذا كان الاعتماد على الله سبحانه وتعالى . وقيل السهيلي : وفي هذا من الفقه التنبيه على الأخذ بالحزم مع صِحَّة التَّوَكُّل وأن الإيمان بالقَدَر كما رَوَى عن وَهْب بن مَثَب لا يمنع الحزم من تَوَقُّي المَهَالِك ، قال وهب : وَجَدْتُهُ في سبعين كتاباً من كتب الله القديمة ، وهذا نحو من قوله صلى الله عليه وسلم : « اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ » ^(١) . فإيمانه صلى الله عليه وسلم بأنه قد سُخِّرَ له كَلِمَاتُهُ يَقْدَرُ الله تعالى وَعِلْمُهُ بأنه قد سبق في أم الكتاب ما سبق ، ومع ذلك كان يتزود في أسفاره ، وَيُعِدُّ السلاح في حروبه ، حتى لقد ظَاهَرَ بين دِرْعَيْنِ في غزوة أُحُد وُرِيْطُهُ البراق من هذا الفن .

التنبيه الرابع عشر : في بعض فضائل بيت المقدس وفيه فوائد : الأولى : في مبدأ خلقه : روى أبو بكر الواسطي عن علي رضي الله عنه قال : كانت الأرض ماء ، فبعث الله تعالى ريحاً فمسخت الماء مَسْحاً ، فظهرت على الأرض زَيْدَةٌ ^(٢) فقسَّمَهَا أَرْبَع قِطَعٍ ، خلق من قطعة مكة ومن أخرى المدينة ومن أخرى بيت المقدس ومن أخرى الكوفة . وتقدم حديث أبي ذَرٍّ في الباب الأول من أبواب بعض فضائل بلده المنيف فراجع . وروى الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن سليمان عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل رَبَّهُ خِلالاً ثَلَاثاً فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا : سَأَلَهُ حِكْماً يَصَادِفُ حِكْمَهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَسَأَلَهُ مَذْكَباً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، وَسَأَلَهُ أَيُّمًا رَجُلٌ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ لَا يَرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ يَعْنِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَرَجَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ونحن نرجو أن يكون الله تعالى قد أعطاه ذلك » .

وروى ابن أبي شيبة والواسطي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : « إن بيت المقدس لِمُقَدَّسٍ في السموات السبع بمقداره في الأرض » وروى الواسطي عن عطاء الخراساني

(١) رواه الترمذي ، واعتقلا من عقل يقل عقلا ، عقل البعير ضم رُغِ يدُه إلى عضده وربطهما بما بالعتال ليق باركا ، ورواية السهيلي : قهها وتوكل .

(٢) زَيْدَةٌ هكذا في الأصول ، والزبد يلتصق من البحر وغيره كالرغوة ، ولعلها هنا محرفة عن « دُبَّة »

قال : « لما فرغ سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام من بناء بيت المقدس أنبت الله شجرتين عند باب الرحمة أحدهما تُنبت الذهب والأخرى تُنبت الفضة ، فكان كل يوم تُنزع من كل واحدة مائة رطل ذهب وفضة ، ففُرِشَ المنجد ، بلاطة ذهباً وبلاطة فضة . فلما جاء بختنصرُ خَرَّه واحتمل منه ثمانين عجلة ذهباً وفضة فطرحهما برومية . »

وروى الواسطي عن سعيد بن المسيَّب رحمهما الله تعالى أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس فرَّغ له عشرة آلاف من قُرَاء بني إسرائيل : خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار ، فلا تأتي ساعة من ليل أو نهار إلا والله تعالى يُعبد فيه . وروى الواسطي عن كعب الأحبار أن سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء المسجد خَرَّ ساجداً شكراً لله وقال : « يا رَبِّ مَنْ دَخَلَهُ مِنْ خَائِفٍ فَأَمَّنَّهُ أَوْ مِنْ دَاعٍ فَاسْتَجَبَ لَهُ أَوْ مُسْتَغْفِرٍ فَاعْفِرْ لَهُ » ، فأوحى الله تعالى إليه : « إني قد أَجَبْتُ لَأَلِّ داود الدعاء » . قال : فذبح أربعة آلاف بقرة وسبعة آلاف شاة ، وصنع طعاماً كثيراً ودعا بني إسرائيل إليه :

والآثار في هذا كثيرة ، وقد ذكر المؤرخون في عمارته وما فيه من الجواهر والمعادن والياواقيت في سائه وأرضه وجنانه ما تعجز عنه ملوك الدنيا . فلما دخل بختنصر خَرَّه وأخذ تلك النفائس التي فيه ، وذكرُ ذلك هنا ليس من غرضنا . الثانية : في بعض فضله ، قال الله سبحانه وتعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ^(١)) وهذه الآية هي المُعْظَمة لقدره بإسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه قبل عروجه إلى السماء وإخبار الله تعالى بالبركة حوله . وتقدم الكلام على ذلك . وقال تعالى : (وَنَجِّنَاهُ وَكُلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ^(٢)) .

روى أبو المعالي المشرف بن المُرجي المقدسي في فضائله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « الْجَنَّةُ تَجْرُ إلى بيت المقدس ، وصخرة بيت المقدس من جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ » . وروى الواسطي عن مكحول قال : « مَنْ صَلَّى في بيت المقدس ظهراً وعصراً ومغرباً وعشاءً ، ثم صَلَّى الْغَدَاةَ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

(١) من الآية الأولى من سورة الإسراء

(٢) سورة الأنبياء آية ٧١ .

وروى أيضاً عن كعب قال : « في بيت المقدس ، اليوم فيه كآلف يوم وشهر فيه كآلف شهر والسنة فيه كآلف سنة ، ومن مات فيه كآلفاً مات في السماء » . وروى الحاكم عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في بيت المقدس لنعم المصلّى ، وليوشكن ألا يكون للرجل مثل بسط فرشه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا وما فيها » . وروى الواسطي عن كعب قال : « إن الله تعالى ينظر إلى بيت المقدس كل يوم مرتين » . والآثار^(١) في فضله كثيرة .

الثانية : في أسمائه : الأول : المسجد الأقصى وتقدم / الكلام عليه . الثاني : مسجد إيلياء بوزن كيرنياء . وحكى البكرى^(٢) وغيره^(٣) قصر ألفه ، وحكى ابن يونس في شرح التعجيز . وابن الأثير في النهاية^(٤) بتشديد الياء . وحكى صاحب المطالع وغيره حذف الياء الأولى وكسر الهمزة وسكون اللام والمد ، قال محمد بن سهل الكاتب : معنى إيلياء بيت الله . وفي حديث ابن عباس رضى الله عنهما في مُسْنَد أبي يَعْلَى : « الإيلا » بالآلف واللام ، قال النووي : وهو غريب^(٥) . الثالث والرابع : « بَيْتُ الْمُقَدَّسِ » بفتح الميم وإسكان القاف وكسر الدال مُخَفَّفَةً ، « وَالبَيْتُ الْمُقَدَّسُ » بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة . قال الواحدى : « معناه المُطَهَّر » ، قال : أبو على المقدسى : « وأما بيت المقدس يعنى بالتخفيف فلا يخلو إما أن يكون مصدرأ أو مكانأ ، فإن كان مصدرأ كان كقوله

٣٦١ و

(١) : الآثار جمع أثر والأثر في مصطلح الحديث ما كان مروياً عن الصحابي أما ما كان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمى غيراً وعلى ذلك فالحديث الموقوف يمد أثراً . ويقول ابن كثير في الباعث الحديث (ص ٣٥) : « ومن هذا يسمى كثير من العلماء الكتاب الجامع لهذا وهذا (أى الخبر والأثر) بألسنة الآثار وكتابي السنن والآثار للطحاوى والبيهقى .

(٢) : في معجم ما استعجم للبكرى ج ١ ص ٢١٧ : إيلياء مدينة بيت المقدس فيها ثلاث لغات : مد آخره وقصره : إيلياء وإلياء وقصر أولها : إيلاء .

(٣) : في معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٣٩٢ : إيلياء بكسر أوله واللام وياء وألف ممدودة اسم مدينة بيت المقدس قيل منته بيت الله ، وحكى الحفصى فيه القصر وفيه لغة ثالثة حُفَّ الياء الأولى .. قال أبو يعلى : وقد سُمي البيت المقدس إيلياء بقول الفرزدق : وبيتان بيت الله نحن ولاته وقصر بألف إيلياء مشرف ..

(٤) : جاء في النهاية لابن الأثير ج ١ ص ٥٣ و ٥٤ أن ابن عمر رضى الله عنهما أهل بجدة من إيلياء وأضاف أن إيلياء بالمد والتخفيف اسم مدينة بيت المقدس وقد تشدد الياء الثانية وقصر الكلمة وهو مرعب .

(٥) : هذا النص ابتداء من ضاحك المطالع نقله المؤلف عن تهذيب الأسماء واللغات لنوى (القسم الأول من اللغات ص ٢٠) ولكنه أدخل فيه عبارة محمد بن سهل الكاتب المنقولة عن معجم البكرى .

تعالى : (لِإِيَّاهُ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا^(١)) ونحوه من المصادر ، وإن كان مكاناً فالعنى بيت المكان الذى جعل فيه الطهارة أو بيت مكان الطهارة ، وتطهيره على معنى إخلاقه من الأصنام وإبعاده منها ، وقال الرُّجَّاج : « البيت المُقَدَّس أى المكان المُطَهَّر ، وبيت المُقَدَّس أى المكان الذى يُطَهَّر فيه من الذنوب ، هذا ما ذكره الواحدى » ، وقال غيره : « البيت المُقَدَّس وبيت المُقَدَّس لغتان الأولى على الصفة والثانية على إضافة الموصوف إلى صفته كصلاة الأولى ومسجد الجامع .

قال ابن سُرَّاق : « ويقال الأرض المقدسة ثلاثة : فلسطين - بفاء مفتوحة فلام مفتوحة - والأردن - همزة مضمومة فراء ساكنة فดาล مهملة مضمومة فنون ، قال البكرى : مُشَدَّدَة - ودمشق ، وهو ما أدرك بَصَرُ إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين رُفِعَ على الجبل وقيل له : « ما أدرك بَصْرُكَ فهو ميراث لك ولوليك من بعدك » .

الخامس : بيت القُدُس : بضم الدال وإسكانها بغير ميم ، ذكره الحازى فى أساء الأماكن ونقل عن ابن الأثير أيضاً .

السادس : سَلَمٌ بتشديد اللام لكثرة سلام الملائكة فيه . قال ابن بَرِّي : وأصله « شلم » بالشين المعجمة لأن الشين المعجمة فى العربية سين ، فالسلام شلام واللسان لسان والامم اسم ، وقال البكرى فى حرف الشين المعجمة : « شَلَمٌ » بفتح أوله وثانيه وتشديده على وزن قَعْل^(٢) اسم لبيت المقدس . وقال الهمداني : « شَلَمٌ » : وقد تُعَرَّبُ العرب فنقول : شَلِم . وحكى ابن القَطَّاع : شَلَامٌ على وزن قَعَال . وقال ابن الأثير^(٣) : « شَلَمٌ » بالمعجمة وتشديد اللام اسم لبيت المقدس ويُروى بالمهملة وكسر اللام [سَلِم] كأنه عَرَبِي . ومعناه بالعبرانية : بيت السلام .

(١) سورة يونس آية ٤ .

(٢) فى الأصول : وتشديده على اسم فعل « والتصويب من معجم ما استعجم البكرى ج ٣ ص ٨٠٧ وقد أورد البكرى بيتاً للأعشى ذكر فيه أورى شلم :

وقد طفت المال آفاقه حنان فعمص فأورى شلم

(٣) جاء فى النهاية (ج ١ ص ٥٠) : فى حديث عطاء : أبشرى أورى شلم براكب الحمار يريد بيت المقدس . والمشهور أورى شلم بالتشديد وهو اسم بيت المقدس ورواه بعضهم بالشين المهملة وكسر اللام كأنه عربه .

السابع : روى عن كعب الأَجبار ، أن الجنة في السماء السابعة بحيال ^(١) بيت المقدس والصخرة ، ولو وقع حجرٌ منها لوقع على الصخرة ولذلك دُعيت : أورى شلِّم ، ودُعيت الجنة : دار السلام .

الثامن : أورى شلِّم ، بضم الهمزة وسكون الواو وكسر الراء وسكون التحتية وفتح الشين المعجمة وكسر اللام المخففة ، كذا قال أبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى ، والأكثرُونَ بفتح الشين واللام . التاسع : كَوْرَة إَلْيَا ، العاشر : أورى شلِّم ، بضم الهمزة وفتح الشين المعجمة واللام وسكون الميم . الحادى عَشْر : بيت إِنْزِل ، أى بيت الله . الثانى عشر : « صِهْيُون » : بصاد مهملة مكسورة فهاء ساكنة فُمُثْنَاة تحية فواو فنون ، ذكره البكرى ^(٢) . قال / : وهو بفتح الصاد اسم قبيلة . الثالث عشر : « مصرث ^(٣) » بيم فصاد فراء فثاء مثناة . الرابع عشر : « بابوش » : بموحدين وآخره شين معجمة . الخامس عشر : « كورشيلاه » . السادس عشر : « صلحون » . ذكر غالب هذه الأسماء ابن خالويه . السابع عشر : سلِّم . الثامن عشر : « قُسْط مصر » بضم الفاء . التاسع عشر : أرض المَحْشَر والمَنْشَر . العشرون : للمحفوظة . الحادى والعشرون : المُفَرَّقه . الثانى والعشرون : مدينة الجنة .

الرابعة : فى خصائصه ^(٤) : [الأولى] فى مضاعفة ^(٥) . الصلاة فيه : وقد اختلفت الأحاديث فى مقدارها : الأول : خمسمائة صلاة : روى الإمام أحمد وابن ماجه والْبَزَّاز والقباسم بن الحافظ . أبى القاسم بن عِساكر عن أبى الدُّرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال : « الصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة » . الثانى : ألف صلاة

(١) فى النهاية لابن الأثير : ميزان .

(٢) فى معجم ما استعجم للبكرى ج ٣ ص ٨٤٤ : « صهيون » بكسر أوله وإسكان ثانیه بعده إياه أخت الواو وهو اسم لبيت المقدس وكذلك : إيلياء ، وشلِّم . قال الأصبغ :

وإن أجليت صهيون يوما طليكا فإن رعى الحسب الذكوك رحابكا

رأى صهيون يفتح الصاد فاسم قبيلة ، أراد الأصبغ أهل صهيون أى إن أجليت الروم واجتمعت فأنتم أهل لها ذكوك طحون ، ذلك : طعن . كما ذكرها ياقوت بهذا اللفظ فى معجم البلدان (ج ٥ ص ٤٠٢) .

(٣) ما أورده المؤلف من هذه الأسماء الظاهرة العجيبة لم يتيسر لنا الإهتمام إليه لضيقه فى المعجمات اللغوية والبلدانية .

(٤) فى إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركلى ص ٢٨٧ : فى أحكامه .

(٥) فى ت و م : فى مضافات الصلاة فيه . وفى ط مضاعفة وكذلك فى إعلام الساجد .

روى ابن ماجه عن ميمونة^(١) رضى الله عنها ، قالت : قلت : يا رسول الله اقتنا في بيت المقدس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَرْضُ الْمَجَشَرِ وَالْمَنْشَرِ ، اثْنَوْهُ فَصَلُّوا فِيهِ فَإِنْ صَلَّاهُ فِيهِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ » . قال النووي : لا بأس بإسناده ؛ وقال الذهبي : حديث مُتَّكَرٌ . الثالث : خمسون ألف صلاة : روى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل في بيته بصلاة ، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة ، وصلاته في المسجد الذي يُجْمَعُ فِيهِ بِخَمْسِينَ [صلاة] ، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة » . وصلاته في المسجد الحرام مائة ألف صلاة^(٢) . الرابع : مائتان وخمسون : روى الطبراني في معجمه عن أبي ذر رضى الله عنه ، عـرفوعاً : « صلاة في مسجدي أفضل من أربع فية » ، يعنى بيت المقدس ، قَدْ لُغِيَ عَلَى أَنَّ الصَّلَاةَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ صَلَاةً . الخامس : بعشرين ألف صلاة ، روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما ولهذا مزيد بيان في أبواب فضائل المدينة الشريفة . الثانية : استحباب شُدِّ الْمَطْيُ إِلَيْهِ لَمَّا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ : « لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : مَسْجِدِي هَذَا ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى » .

الثالثة : استحباب خَتَمِ الْقُرْآنِ فِيهِ : روى سعيد بن منصور في سننه عن أبي بكر رَجُلٌ - بِكُسْرِ الْمِيمِ وَحُكِّيَ فَتَحَهَا وَإِسْكَانَ الْجِيمِ وَفَتَحَ اللَّامَ وَبِالزَّوْى - واسمه لاحق بن حميد ، قال : « كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ لِمَنْ أَقَى الْمَسَاجِدَ الثَّلَاثَةَ أَنْ يَخْتَمَّ بِهَا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ » . الرابعة : استحباب المجاورة به : روى الحاكم عن ثور بن يزيد عن مكحول قال : « كَانَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَشَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَسْكُنَانِ بَيْتَ الْمَقْدِسِ » . وَقَدْ سَكَنَهُ عِدَّةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

(١) هي مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليست زوجة . وقال أبو نعـم : هي عنـى ميمونة بنت سعد ولكن ابن الأثير في أسد الغابة (ج ٥ ص ٥١) نسب الحديث المروى في فضل الصلاة في بيت المقدس إلى ميمونة أخرى كانت مولاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليست ميمونة بنت سعد عاتمة التي ترجم لها أيضا ابن الأثير في أسد الغابة . ونقل ابن حجر العسقلاني عن أبي يزيد الهيثمي قوله بأن حديث فضل بيت المقدس روى عن ميمونة أخرى وأن ابن بطيم ذكر ميمونة ثالثة غير منسوبة . وقد أمثال ابن حجر في مناقشته لهذه التفرقة بين هؤلاء الميمونات ولكنه ختمها قائلا : واللهم يظلم علـى الظن أن الثلاثة واحدة ، انظر الإصابة ج ٨ ص ١٩٢ و ١٩٤ طبع القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ .

(٢) ابن ماجه ج ١ ص ٥٢ نقل عن تحقيق الشيخ أبي الوفاء المرازى لإعلام الساجد .

الخامسة : يُسْتَحَبُّ الصَّيَامُ فِيهِ فَقَدْ رَوَى : « صَوْمٌ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ » .
 السادسة : اسْتِحْبَابُ [الْإِحْرَامِ] بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ مِنْهُ . رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أُمِّ سَكْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ أَهْلًا بِحِجَّةٍ أَوْ عُمْرَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » (١) .

السابعة : يُسْتَحَبُّ لِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى زيارته أَنْ يُهْدِيَ لَهُ زَيْتًا ، رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ وَاللَّفْظُ لَهُ عَنْ مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ . قَالَ : « أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ ، لِإِيتِهِمَا فَصَلُّوا فِيهِ فَإِنْ صَلَّاهُ فِيهِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَصِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : « فَتُهْدَى إِلَيْهِ زَيْتًا لِيُسْرَجَ فِيهِ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ أَتَاهُ » (٢) . : الْمَحْشَرُ مَقْعَلٌ مِنَ الْحَشْرِ وَهُوَ الْجَمْعُ يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِذَا فَتَحَتْ الشَّيْنُ فَهُوَ الْمَصْدَرُ ، وَأَمَّا الْمَوْضِعُ فَهُوَ بِالْكَسْرِ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : الْمَحْشَرُ بِالْكَسْرِ مَوْضِعُ الْحَشْرِ . انْتَهَى . وَذَكَرَ صَاحِبُ [مُخْتَصَرِ] (٣) الْعَيْنِ أَنَّ الْمَحْشَرُ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُحْشَرُ إِلَيْهِ النَّاسُ وَالْمَنْشَرُ مَوْضِعُ الْبُشُورِ وَهُوَ قِيَامُ الْمَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ .

الثامنة : حُكِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّ السَّيِّئَاتِ تُضَاعَفُ فِيهِ ، رَوَى ذَلِكَ عَنْ رَكْبِ الْأَحْبَارِ وَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَأْتِي مِنْ حِمصٍ لِلصَّلَاةِ فِيهِ ، فَلَمَّا صَارَ مِنْهُ قَدْرٌ مِيلٍ اشْتَغَلَ بِالذِّكْرِ وَالتَّلَاوَةِ وَالْعِبَادَةِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ بِقَدْرِ مِيلٍ أَيْضًا وَيَقُولُ : « السَّيِّئَاتُ تُضَاعَفُ فِيهِ » ، أَيْ تَزْدَادُ قُبْحًا وَفُحْشًا لِأَنَّ الْعَاصِيَ فِي زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ شَرِيفٍ أَشَدَّ جُرْأَةً وَأَقْلَ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى . وَذَكَرَ أَبُو بَكْرِ الْوَاسِطِيُّ عَنْ ذَافِعٍ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ عُرْمَرٍ : « أَخْرَجَ بَنَّا مِنْ هَذَا الْمَسْجِدِ فَإِنَّ السَّيِّئَاتِ تُضَاعَفُ فِيهِ كَمَا تُضَاعَفُ الْحَسَنَاتُ » .

التاسعة : أَنَّ الدُّجَالَ لَا يَدْخُلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ . رَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمُصَنَّفِ عَنْ سُرَّةِ ابْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَ الدُّجَالَ فَقَالَ : « وَإِنَّهُ سَيُظْهِرُ

(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْمَنْزَنِ الْكُبْرَى ج ٥ ص ٣٠ نَقْلًا عَنْ عَقْدِ إِعْلَامِ السَّاجِدِ حَاشِيَةً رَقْم ٢ ص ٢٨٩

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ نَقْلًا عَنْ تَيْسِيرِ الْوَصُولِ لِابْنِ النَّبِيِّ (ج ٣ ص ١٢٧) لِلْقَاهِرَةِ سَنَةِ ١٢٢١ هـ) .

(٣) زِيَادَةُ مِنْ إِعْلَامِ السَّاجِدِ ص ٢٩٠ وَصَاحِبُ مُخْتَصَرِ الْعَيْنِ هُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الزَّيْدِيُّ الْإِثْبِيلِيُّ تَوَفَّى

سَنَةَ ٣٧٩ هـ انْظُرْ ابْنَ الْقُرْظِيِّ فِي تَارِيخِ عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ طَبْعَةُ الْقَاهِرَةِ سَنَةِ ١٩٥٤ م ٢ - ٢ ص ٩٢ رَقْم ١٣٥٧ .

[على] الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس [وأنه يحضر المؤمنين في بيت المقدس قال : فيهزمه الله وجنوده حتى إن نجّهم الحائط وأضل الشجرة ينادى : يا مؤمن : هذا كافر يستتر في تعال أقنّله إلى آخره] (١) .

العاشر : أن الصخرة في المسجد الأقصى كالحجر الأسود في المسجد الحرام . روى أبو نعيم عن وهب بن منبه قال : « إن الله تعالى قال لصخرة بيت المقدس : لأصنّ عليك عرشى ولأخسرك إليك خلقى وليأتينك يومئذ داود راكباً » . وروى أبو بكر الواسطي وابن عساكر عن يزيد بن جابر في قوله تعالى : (واستمع يوم ينادي المناد من مكان قريب (٢)) ، قال : « يقف إسماعيل على صخرة بيت المقدس فينفخ في الصور فيقول : يا أيتها العظام النخرة والجلود التمزقة والأشعار المتقطعة إن الله يأمرك أن تجتمعي لفصل الخطاب » . وروى ابن جرير وابن أبي حاتم والواسطي عن قتادة في الآية قال : « كنا نتحدث أنه ينادى من بيت المقدس من الصخرة وهي أوسط الأرض ، ونحدثنا أن كعباً قال : هي أقرب الأرض إلى السماء بمائتي عشر ميلاً » (٣) .

الحادية عشرة : يكره استقبال بيت المقدس واستدباره بالبول والغائط ولا يحرم قاله في الروض .

الثانية عشرة : روى أنه من دفن في بيت المقدس وفي فئنة القبر وسؤال الملكين ومن دفن في زيتون الليلة (٤) [يعني بإزلياء] (٥) فكأنما دفن في السماء الدنيا .

وروى أبو نعيم في تاريخه عن أحمد بن جعفر بن سعيد (٦) [قال] حدثنا يحيى بن مطرف حدثنا محمد بن بكر (٧) ، حدثنا يوسف بن عطية ، عن أبي سفيان ، عن الضحاك بن عبد الرحمن

(١) إضافة من إعلام الساجد ص ٢٩٠

(٢) سورة ق الآية ١٨

(٣) في إعلام الساجد ص ٢٩٢ : يأتى عشر ميلاً

(٤) في الأصول : بيوت الليلة

(٥) « بياض بالأمول بنحو كلمتين والتكلم والتصويب من الإنس والجن في تاريخ الثمن والتحليل العلمي ج ٢ ص ٤١٣ وزيتون الليلة مقبرة كبيرة من مقابر بيت المقدس

(٦) في إعلام الساجد : ابن عمه بدلاً من ابن عمه

(٧) في إعلام الساجد : ابن كبير :

ابن عَرَبٍ (١) - يفتح المهمة وسكون الراء وفتح الزاي ثم مُؤَحَّلَةٌ ، وقد تبدل: مياً -
 ظ ٣٦٢ عن أبي هريرة رضى الله عنه / قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات في
 بيت المقدس فكأنما مات في السماء » .

الثالثة عشرة : روى الخطيب في [كتابه] المَوْضُح [أو هام الجمع والتفريق (٢)]
 عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « أول من يدخل الجنة الأنبياء ثم مؤذنو البيت ثم مؤذنو بيت المقدس ثم مؤذنو مسجدى
 ثم سائر المؤذنين » .

الرابعة عشرة : ليحذر من اليمين الفاجرة فيه وكذا في المسجد الحرام ومسجد المدينة
 فإن عقوبتها مُعَجَّلَةٌ . روى أن عمر بن عبد العزيز أمر بحمل عُمَالِ (٣) سليمان بن عبد الملك
 إلى الصخرة ليحلفوا عندها فحلفوا عندها إلا واحداً ، فدى يمينه بألف دينار ، فما مرَّ
 الحول على واحد منهم بل ماتوا كلهم .

الخامسة عشرة : روى ابن جرير عن أبي أمامة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم » ،
 قيل : فَبَيْنَ هم يارسول الله؟ قال : « يَبْنِي المقدس » .. وروى أبو يعلى عن أبي هريرة رضى
 الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال عصابة من أمتي يُقاتلون على
 أبواب دمشق وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على
 الحق إلى أن تقوم الساعة » .

(١) هكذا ضبطه الزبيدي في تاج العروس وذكره النجدي في ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٣٢٤ رقم ٢١٣٥ وجاء في
 خلاصة تلخيص الكمال في أسماء الرجال لقرطبي ص ١٤٩ : الضحاك بن عبد الرحمن بن عروبة بمهملتين ثم معجمة كدحرج
 الأزدى الأشمري أبو عبد الرحمن الطبري النشقي ولها لعمري بن عبد العزيز (روى) عن أبيه وأبي موسى وعنه مكحول
 وحريز بن عثمان والأوزاعي ، وثقه المجل .

(٢) زيادة من إعراب الساجد ص ٢٩٤ وذكر ياقوت كتاب الموضح في ثبت مؤلفاته (معجم الأدباء - ٤ ص ١٩ :
 (٢١) .

(٣) حال هنا : أى ولاية وفي سيرة عمر بن عبد العزيز لعبد الله بن عبد الحكم (طبعة القاهرة سنة ١٩٢٧ م ص
 ٨٧ : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الخلفاء على ولاته على أقاليم الدولة الإسلامية .

السادسة عشرة : روى أبو المعالي المشرف بن المُرَجَّى المقدسي قال : « من حَجَّ وَصَلَّى في مسجد المدينة ، ومسجد الأقصى في عام واحد يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . وإذا ثبت ذلك فقول النووي : « إنه لا أصل لذلك ^(١) » فيه نظر .

السابعة عشرة : ذكر الدارمي : « أنه لا يجوز الاجتهاد يُمَنَّةً ولا يُسَرَّةً بمحراب بيت المقدس » وألحقه بمسجد المدينة .

الثامنة عشرة : نصَّ الصيدلاني والماوردي والرويانى والبغوى والبُنْدِينَجِي - بفتح الموحدة وسكون النون الأولى وكسر الثانية ثم تمحّية والجيم - والجوتّي في مختصره والغزالي في الخلاصة والخراساني ^(٢) في كافيه على استحباب صلاة العيد في مسجد بيت المقدس وأن يفعلها فيه أوّل من المُصَلِّي .

التاسعة عشرة : قال ابن سُرّاق في كتاب الأعداد : « أكبر مساجد الإسلام واحد وهو بيت المقدس » . وقيل : « ما تمّ فيه صَفٌّ واحد قط لا في عيد ولا في جمعة ولا غير ذلك » .

العشرون : يُستحب لزائره زيارة الأماكن المشهورة بآثار الأنبياء لاسيما مواضع صلاة نبينا صلى الله عليه وسلم .

الحادية والعشرون : حشّر الكعبة إلى بيت المقدس : روى الواسطي في فضائل بيت المقدس عن خالد بن مَعْدَان - بفتح الميم - قال : « لا تقوم الساعة حتى تُزَفَّ الكعبة إلى الصخرة زَفَّ العروس ، فيتعلّق بها جميع من حَجَّ واعتَمَر ، فإذا رأتها الصخرة قالت : مرحباً بالزائرة والزور إليها » . وروى أيضاً عن كعب قال : « لا تقوم الساعة حتى يُزَفَّ البيت الحرام إلى بيت المقدس فيُعَفِّدان إلى الجنة ، فيها أهلها ، والعَرَض والحساب ببيت المقدس » . وروى ابن مردويه والأصمغصاني في ترغيبه والتلبيس عن جابر رضى الله تعالى عنه قال :

(٦) جاء في إعلام الساجد ص ٢٩٩ . قال النووي : « ما يروى من حديث : « من زارني وزار قبر أبي إبراهيم في عام واحد غُفِرَ له كل الله الجنة » . بل لا يعرف ، وضعه بعض الفجرة ، وزيارة الخليل غير منكّرة ولكن لا تعلق لها بالخبر ولا بزيارة النبي صلى الله عليه وسلم بل هي قرينة على حدة .

(٢) في إعلام الساجد ص ٢٩٧ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم القيامة زُفَّتْ الكعبة : البيت الحرام إلى قبري فتناول الكعبة : السلام عليك يا محمد ، فأقول : عليك يا بيت الله ، ما صنع بك / أمي بعدى ؟ فتقول : يا محمد من أنا فأنا أكفيه وأكون له شفيعاً ، ومن لم يأتني فأنت تكفيه وتكون له شفيعاً » . وروى الجذدي عن الزهري نحوه .

التنبيه الخامس عشر : أنكر حليفة بن اليان رضى الله تعالى عنه صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس تلك الليلة ، واحتج بأنه لو صلى فيه لَكُتِبَ عليكم الصلاة فيه . قال البيهقي وابن كثير : والمثبت مُقَدَّم على الثاني ، يعنى من أثبت الصلاة في بيت المقدس ، وهم النجس من الصحابة معه زيادة علم على من نفي ذلك ، فهو أولى بالقبول . والجواب عما استند إليه حليفة رضى الله عنه منع التلازم في الصلاة إن كان أراد بقوله كُتِبَ عليكم الفرض ، وإن أريد التشريع فيلتزمه ، وقد شرع النبي صلى الله عليه وسلم في بيت المقدس ، فَعَرَفَهُ بالمسجد الحرام . وسبغ به في شِدِّ الرحلة وذكر فضيلة الصلاة فيه في غير ما حديث .

التنبيه السادس عشر : نظافت الروايات على أنه صلى الله عليه وسلم صَلَّى بالأنبياء قبل العروج وهو أحد الاحتمالين للقاضي ، وقال الحافظ : « إنه الأظهر » ، والاحتمال الثاني أنه صلى الله عليه وسلم صَلَّى بهم بعد أن هبط من السماء أيضاً فهبطوا . وصححه الحافظ ابن كثير ، وقال صاحب السراج : « وما المانع من أنه صلى الله عليه وسلم صَلَّى بهم مرتين ، فإن في بغض الأحاديث ذكر الصلاة بهم بعد ذكره المراج » .

التنبيه السابع عشر : قيل : كيف يصل الأنبياء وهم أموات في الدار الآخرة وليست دار عمل ؟ وأجاب القاضي وتبعه السبكي بجوابين : الأول : إنا نقول : إنهم كالشهداء بل أفضل ، والشهداء أحياء عند ربهم ، فلا يَبْعُدُ أن يحجوا وأن يُصَلُّوا كما ورد في الحديث الآخر ، وأن يتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا لأنهم وإن كانوا قد توفوا فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتى إذا فنيت مدتها ، وتَعَقُّبُهَا الآخرة التي هي دار الجزاء انقطع العمل ،

وحاصله ان البرزخ^(١) ينسحب عليه حكم الدنيا في استكثارهم من الأعمال وزيادة الأجور .
 الثاني ولفظه للسبكي رحمه الله تعالى : « إنا نقول إن المُنْقَطِع في الآخرة إنما هو التكليف ،
 وقد تحصل الأعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها والخضوع لله تعالى . ولهذا ورد
 أنهم يُسَبِّحُونَ وَيَذْكُرُونَ وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وانظر إلى سجود النبي صلى الله عليه وسلم وقت
 الشفاعة ، أليس ذلك عبادةً وعملاً ؟ وعلى كلا الجوابين لا يمتنع حصول هذه الأعمال
 في مدة البرزخ » .

وقد صَحَّح عن ثابت البناني التابعي أنه قال : « اللهم إِنْ كُنْتَ أَعْطَيْتَ أَحَدًا أَنْ يَصِلَ
 فِي قَبْرِهِ فَأَعْطِنِي ذَلِكَ » . فرؤى بعد موته يُصَلَّى في قبره ، ويكنى رؤية النبي صلى الله عليه
 وسلم لموسى قائماً يصلى في قبره ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء لم يُتَبَسَّضُوا
 حتى خُيِّرُوا بين البقاء في الدنيا وبين الآخرة فاختاروا الآخرة . ولا شك أنهم لو بقوا في
 الدنيا لازدادوا من الأعمال الصالحة ثم انتقلوا إلى الجنة ، فلو لم يعلموا أن انتقالم إلى
 الله تعالى أفضل لما اختاروه ، ولو كان انتقالم من هذه الدار يفوت عليهم زيادة فيما يقرب
 إلى الله تعالى لما اختاروه . انتهى ولهذا مزيد بيان يأتي في باب حياته في قبره صلى الله عليه
 وسلم .

التبئية الثامن عشر / : هذه الصلاة التي صلاها النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء عليهم
 الصلاة والسلام ، الصواب أنها الصلاة المعروفة لأن النص يحمل على حقيقتها الشرعية
 قبل اللغوية إلا إذا تعلَّزَ حَمْلُهُ على الشرعية ، ولم يتعلَّزَ هنا فوجب حَمْلُهُ على الشرعية .
 وعلى هذا قال بعضهم : « كانت الصلاة التي صَلَّاهَا الْعِشَاءُ » وقال بعضهم : « إنها الصبح » .

قلت : وليس بشيء سواء قلنا صَلَّى بهم قبل العروج أو بعده لأن أول صلاة صَلَّاهَا
 النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس مطلقاً الظُّهْر بِمَكَّةَ بِاتِّفَاقٍ ، ومن حمل الأولية على
 مكة فعليه الدليل ، والذي يظهر والله تعالى أعلم أنها كانت من النَّفْلِ أو كانت من الصلاة
 المفروضة عليه قبل ليلة الإسراء ، وفي فتاوى النوى ما يؤيد الثاني .

(١) البرزخ ما بين الدنيا والآخرة وفي التذييل : « ومن رآهم برزخ إلى يوم يبعثون » (المؤمنون آية ١٠٠)
 وفي تفسير القرطبي (ج ١٢ ص ١٥٠) هو الحاجز بين الموت والبعث وقيل الإمهال إلى يوم القيامة أو الأجل ما بين التفتتين
 وقال الجوهري البرزخ هو الحاجز بين الشيئين .

التنبيه التاسع عشر : قال بعضهم : ورؤيته لإبراهيم صلى الله عليه وسلم في السماء محمول على رؤيته أرواحهم إلا عيسى ، لما صَحَّ أنه رُفِعَ بجسده ، وقد قيل في إدريس أيضاً ذلك . وأما الذين صَلُّوا معه في بيت المقدس فيحتمل الأرواح خاصة ، ويؤيده ما في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عند الحاكم والبيهقي ، « فلقى أرواح الأنبياء » ، وفيه دليل على تَشَكُّل الأرواح بصور أجسادها في علم الله تعالى ، ويحتمل الأرواح بالأجساد ويؤيده حديث عبد الرحمن بن هاشم عن أنس رضي الله عنه عند البيهقي . وبعث الله له آدم فَمَنْ دُونَهُ من الأنبياء . وعند البرَّار والطيراني : « فنُشِرَ لى الأنبياء » ، من سَمَى الله تعالى ومن لم يَسْمُ ، فَصَلَّيْتُ بِهِمْ .

التنبيه العشرون : قول سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم : « وأعطاني مُلْكاً عظيماً » : قال ابن دحية : لا يُعْهَدُ لإبراهيم مُلْكٌ عَرَفِي ، وإِذَا أَن يُرَادَ بِالْمُلْكِ الإِضَافَةُ إِلَيْهِ نَفْسَهُ وَذَلِكَ لِقَهْرِهِ لِعِظَمِهِ الْمُلُوكِ ، وَنَاهِيكَ بِالنَّمْرُودِ ، وَقَدْ قَهَرَهُ : اللهُ تَعَالَى لَخَلِيلِهِ وَأَعَجَزَهُ عَنْهُ ، وَغَايَةُ لِلْمُلْكِ الْعَظِيمِ قَهْرُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ ، فَالْقَاهِرُ أَعْظَمُ مِنَ الْمَقْهُورِ قَطْعاً . وَيَحْتَمِلُ أَنَّ يُرَادَ الإِضَافَةُ إِلَى نَبِيِّهِ وَفُرِيغَتْهُ وَذَلِكَ نَحْوُ مُلْكِ يُوْسُفَ الصَّالِحِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَلْ جَرَأَ كَمُلْكَ دَاوُدَ وَهَلِيَّانَ ، وَالْكَلَنَ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ^(١)) وَالْإِشَارَةُ هُنَا إِلَى فُرِيغَتِهِ . وَإِذَا أَن يُرَادَ بِمُلْكِ النَّفْسِ فِي مَقْنَةِ الاضطرابِ مِثْلَ مُلْكِهِ لِنَفْسِهِ . وَقَدْ سَأَلَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ : أَلَيْكَ حَاجَةٌ ؟ فَقَالَ : أَمَا إِلَيْكَ فَلَا .

التنبيه الحادى والعشرون : اِخْتَلِفَ فِي تَحْقِيقِ الْآيَةِ هَلْ هُوَ قَبْلَ الْعُرُوجِ أَوْ بَعْدَهُ ؟ وَاعْتَلِفَ فِي مَعْنَاهَا فَكَثُرَ الرِّوَايَاتُ أَنَّهُ كَانَ قَبْلَهُ . رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالشَّيْخَانِ وَالنَّسَائِيُّ وَالْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صُهَيْبَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ : « ثُمَّ رُفِعَ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ » ، إِلَى أَنَّ قَالَ : « ثُمَّ أَتَيْتُ بِلَنَاءَيْنِ : أَحَدُهُمَا حَمْرٌ وَالْآخَرُ كَبَلٌ » ، وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي الْأَشْرِبَةِ مِنْ طَرِيقِ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعاً : « رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فَإِذَا فِيهَا

أربعة أنهار» قال : «وَأُتِيَتْ بِثَلَاثَةِ أَقْدَاحٍ^(١)» . لم يذكر شُعْبَةَ في الإسناد . الك بن صُصَّعَةَ . وعند ابن عائذ من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حديث المعراج بعد ذكر رؤيته إبراهيم في السماء السابعة : «ثم انطلقنا فإذا نحن بثلاثة آنية مُنْطَاطة» .

قال السهيلي وابن دحية وابن المنير وابن كثير والحافظ : «لعله قُلْمٌ مَرْتَيْنِ جَمْعاً بين الروايات» . قال ابن كثير والحافظ : «وأما الاختلاف في عدد الآنية وما فيها فيُحْمَلُ على أن بعض الرواة ذكروا ما لم يذكر الآخر ، ومجموعها أربعة آنية فيها تُعْرَضُ الآنية مَرْتَيْنِ وهي عائدة إلى أربعة أشياء من الأنهار الأربعة التي تخرج من أصل سِدْرَةِ المنتهى .

التنبيه الثاني والعشرون : إذا قلنا بِعَرْضِ الآنية مرتين ففائدة عَرْضِ الخمر [مع]^(٢) إعراضه عنها في المرة الأولى وتصويب جبريل له ، تكثير التصويب والتحليل . وهل كانت الخمر من خمر الجنة أو من جنس خمر الدنيا ؟ فإن كان الأول فَسَبَبَ تَجَنُّبِهَا صورتها ومضاهاتها للخمر المُحَرَّمَةَ ، ويكون ذلك أبلغ في الِوَرَع . وإن كان الثاني فاجتنابها واضح . وعلى التقدير الأول يُسْتَفَادُ منه فائدة : وهو أن من وَضَعَ من الماء ونحوه من الأشربة ما يَضَاهِي الخمر في الصورة وهَيَاةً بالهيئة التي يعاطاها [بها]^(٣) أهل الشهوات من الاجتماع والآلات فقد أتى مُتَكَبِّراً وإن كان لا يُحَدِّثُ^(٤) . وذكر أصحابنا أن إدارة كأس الماء على شاربِهِ تَشْبَهُ بِشَارِبِ الخمر حرامٌ ، وَيُعَزَّرُ فاعله .

التنبيه الثالث والعشرون : قال ابن دحية : اعلم أن التَّخْيِيرَ قد يكون بين وَاجِبَيْنِ كخضمال الكفارة وقد يكون بين مُبَاحَيْنِ ، وأما التَّخْيِيرُ بين واجب وممنوع أو مباح وممنوع فمستحيل ، فانظر في إحضار اللبن والخمر ، هل أريد به الإباحة لهما والإذن فيهما؟

(١) تمام الحديث كما في صحيح البخاري (ج ٧ ص ١٩٨) : « رفعت إلى سلمة النبي فإذا لها أربعة أنهار : نهران ظاهران ونهران باطنان فأما الظاهران فالتيل والفرات ، وأما الباطنان فنهران في الجنة فأُتِيَتْ بِثَلَاثَةِ أَقْدَاحٍ : قدح فيه لبن وقدح فيه صل وقدح فيه خر ، فأُغْنَتْ الذي فيه اللبن فخربت قتيل في أصبت الفطرة أنت وأهلك » .

(٢) إضافة يقتضها السياق .

(٣) أي لا يقام عليه الحد . وفي تاج العروس : الحد في الشرع تأديب اللذنب بما يمنعه عن المأودة ويمتنع غيره أيضا . عن إتيان الذنب وفي التهذيب : حدود الله عز وجل ضربان : ضرب منها حدود حدوها الناس بما أحل وحرّم وأمر بالانتهاء عما نهى منها ونهى عن تمديدها . والضرب الثاني عقوبات جعلت لمن ركب ما نهى عنه ومميت الأولى حدودا لأنها نهايات نهى الله عن تمديدها .

كما لو أَحْضَرْتَ طَعَامَيْنِ لَصِيفٍ وَأَبْعَثْتَهُمَا لَهُ ، فما معنى إختياره لأحدهما ؟ وما معنى قول جبريل : « اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ » ، أو « أَصَبْتَ » ، أصاب الله بك ؟ وإن كان المراد الإذن في أحدهما لا يَتَيَّنُّ ، بحيث يكون الآخر ممنوعاً لَزِمَ التَّخْيِيرُ بَيْنَ مَنُوعٍ وَمُبَاحٍ ، وذلك لا يَتَصَوَّرُ ، والذي يرفع الإشكال إن شاء الله تعالى أن يكون المراد تفويض الأمر في تحريم ما يُحَرِّمُ منها وتحليل ما يَحِلُّ إلى إجتهد النبي صلى الله عليه وسلم وسداد نظره المعصوم . فلما نظر فيها أدّاه إجتهداه إلى تحريم الخمر وتحليل اللبن ، فوافق الصواب في علم الله تعالى ، فقال له جبريل : « أَصَبْتَ » ، وعلى تقدير ألا تكون الخمر مُحَرَّمَةً لأنها إنما حُرِّمَتْ بالمدينة فيكون تَوْفِيقُهَا وَرَعاً وتعريضاً بأنها سَتُحَرِّمُ .

التنبيه الرابع والعشرون : قال أبو الخطّاب الكلبي : « الْفِطْرَةُ تُطْلَقُ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وتطلق على أصل الْخِلْقَةِ ، فمن الأول قوله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ^(١) » . ومن الثاني قوله تعالى : (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) ^(٢) ، وقال [تعالى] : (فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ^(٣) ، أى مبدئ خَلْقَهُمَا ، وقول جبريل : « اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ » أى اخْتَرْتَ اللَّبْنَ الذى عليه بُنِيَتْ الْخِلْقَةُ وبه يَنْبُتُ اللَّحْمُ ، أو اخْتَرْتَهُ لِأَنَّهُ الْحَلَالُ الدَائِمُ فى دين الإسلام ، وأما الخمر فحرام فيما يستقر عليه الأمر ، وقد تكون الإشارة بتقديم اللبن إلى أن شعار العلم فى التعبير ^(٤) ، كما ورد أنه عليه الصّلاة والسلام قال : « رَأَيْتُ كَأَنَّى

(١) الحديث كما أخرجه مسلم فى كتاب القدر عن أبي هريرة أنه كان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاهل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة : وقرأوا إن شئتم : « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » الآية « الجماء أى المتهمة الأعضاء السالبة عن النقص والجدهاء التى فيها الجود والنقص » ، انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ٢٠٧ : ٢١٠ حيث أورد مسلم هذا الحديث بروايات وأسانيد مختلفة .

(٢) سورة الروم آية ٣٠ وأورد القرطبي فى تفسيره (ج ١٤ ص ٢٤ : ٣١) ما قاله العلماء فى تفسير معنى الفطرة .

(٣) الآية الأولى من سورة فاطر والآية ١٤ من سورة الأنعام والآية الماشرة من سورة إبراهيم والآية ١١ من سورة الشورى .

(٤) أى تمييز الرؤيا وتأويل الأحلام الخاصة بالإنسان وأنه يدل فيما يدل عليه على العلم والتوحيد تناوله عبد الله النابلسى فى كتابه : تلميح الأنام فى تمييز المنام (ج ٢ ص ٢٤٨) .

أُتِيَتْ بِقَدَحٍ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ حَتَّى أَرَى الرِّىَّ^(١) يَخْرُجُ مِنْ أَظْفَارِي ثُمَّ نَاولْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَوَّلَتْهُ ؟ قَالَ : « الْعِلْمُ » .

وَالْإِسْرَاءُ وَإِنْ كَانَ يَقْظَةُ إِلَّا أَنَّهُ رُبَّمَا وَقَعَتْ فِي الْبِقْظَةِ إِشَارَةٌ إِلَى حَكَمِ الْقَالَ يُعْبَرُ كَمَا يُعْبَرُ فِي الْمَنَامِ . وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحِبُّ الْقَالَ الْحَسَنَ ، فَكَأَنَّهُ لَمَّا مَلَى قَلْبُهُ إِيمَانًا وَحِكْمَةً أَرَدَفَ ذَلِكَ بِالْعِلْمِ مُطْلَقًا ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ اللَّبَنَ سَبَبًا فِي تَرَادُّفِ الْعِلْمِ وَأَشْجَانِ الْقَلْبِ النَّبَوِيِّ بِأَنْوَارِهَا . وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ تَسْمِيَةَ اللَّبَنِ فُطْرَةً لِكَوْنِهِ أَوَّلَ شَيْءٍ يَدْخُلُ بَطْنُ الْمَوْلُودِ / وَيَشْتُقُّ أَمْعَاةَهُ ، وَالسَّرُّ فِي مِيلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ لِكَوْنِهِ مَأْلُوفًا لَهُ ، وَلِأَنَّهُ لَا يَنْشَأُ عَنْ جَنْسِهِ مَفْسَدَةٌ ، وَافْتِهَمُ قَوْلَ جَبْرِيلَ « أَصَبَتْ » ، فَإِنْ اخْتِيَارَ الْخَمْرُ خَطَأً عَصِمَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ الْمَسْأَلَةُ حِينَئِذٍ اجْتِهَادِيَّةً لِأَنَّ الْخَمْرَ لَمْ تَكُنْ حُرِّمَتْ بَعْدَ ، فَقَدْ وَقَعَ تَخْيِيرُهُ فِي مُلْكِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ .

التَّحْنِيهِ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ : ظَاهِرُ قَوْلِهِ : « ثُمَّ أُتِيَ بِالْمَعْرَاجِ » أَنَّ الْعُرُوجَ كَانَ لَا عَلَى الْبُرَاقِ وَفِي ذَلِكَ خِلَافٌ ، فَظَاهِرُ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ صَبْعَةَ أَنَّهُ اسْتَمَرَ عَلَى الْبُرَاقِ حَتَّى عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَهُوَ مُقْتَضَى كَلَامِ ابْنِ أَبِي جَمْرَةَ وَابْنِ دَحْيَةَ . قَالَ الْحَافِظُ : « لَكِنْ فِي غَيْرِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ مِنَ الْأَخْبَارِ أَنَّ الْعُرُوجَ لَمْ يَكُنْ عَلَى الْبُرَاقِ بَلْ رَقِيَ فِي الْمَعْرَاجِ وَهُوَ السَّلْمُ ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ فِي حَدِيثٍ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ^(٢) : « ثُمَّ أُتِيَتْ بِالْمَعْرَاجِ » .

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ : « لِأَنَّهُ لَمَّا قَرَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَمْرِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ نُصِبَ لَهُ الْمَعْرَاجُ وَهُوَ السَّلْمُ ، فَصَعَّدَ فِيهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَلَمْ يَكُنْ الصُّعُودُ عَلَى الْبُرَاقِ كَمَا قَدْ تَوَهَّمَهُ بَعْضُ النَّاسِ ، بَلْ كَانَ الْبُرَاقُ مَرْبُوطًا عَلَى بَابِ مَسْجِدِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ لِيَرْجِعَ عَلَيْهِ إِلَى مَكَّةَ » . وَقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : « لِأَنَّهُ الصَّحِيحُ الَّذِي تَقَرَّرَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ » .

(١) الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ (كِتَابُ التَّمِيمِ بَابُ الْبَيْنِ ج ٧ ص ٦٤) .

(٢) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ بِرِسْقِ النَّوَوِيِّ (ج ٢ ص ٢٠٩ وَمَا بَعْدَهَا) وَفِي إِسْنَادِهِ ثَابِتُ الْبَيْهَقِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ .

التنبيه السادس والعشرون : نَوَّعَ ابْنُ دِيحِيَّةَ الْمَعْرَاجَ إِلَى عَشْرَةِ أَنْوَاعٍ عَلَى عِدَدِ سَنَى
الهِجْرَةِ ، مِنْهَا سَبْعَةٌ مَعَارِيجٌ إِلَى السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ، وَالْمَعْرَاجُ الثَّامِنُ مِنْ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى
وَالْمَعْرَاجُ التَّاسِعُ الَّذِي سَمِعَ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ . فِي تَصْرِيفِ الْأَقْدَارِ ، وَالْمَعْرَاجُ الْعَاشِرُ إِلَى
الْعَرْشِ وَالرَّقَرَفِ وَالرُّؤْيَا وَسَيَأْتِي مَا أَبْدَاهُ مِنَ الْحِكْمِ فِي ذَلِكَ .

التنبيه السابع والعشرون : وَرَدَ أَنَّ بَيْنَ الدَّرَجَةِ وَالدَّرَجَةِ فِي الْجَنَّةِ خَمْسِمِائَةَ عَامٍ وَأَنَّ
الدَّرَجَةَ تَهْبِطُ كَالْإِبِلِ لِيَصْعَدَ عَلَيْهَا وَلِيُّ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ تُرْفَعُ بِهِ إِلَى مَكَانِهَا وَالظَّاهِرُ أَنَّ دَرَجَةَ
الْمَعْرَاجِ كَذَلِكَ .

التنبيه الثامن والعشرون : لَا يُتَوَهَّمُ بِمَا تَسْمَعُهُ فِي قِصَّةِ الْمَعْرَاجِ مِنَ الصُّعُودِ وَالْهَبُوطِ
أَنَّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ مَسَافَةٌ ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُفْرٌ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا هَذَا الصُّعُودُ وَالْهَبُوطُ
بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعَبْدِ لَا إِلَى الرَّبِّ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ إِنْتِهَائِهِ لَيَلْتَقِيَ إِلَى أَنَّ كَانَ
قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَقْدَى ، لَمْ يَجَاوِزْ مَقَامَ الْعِبُودِيَّةِ ، وَكَانَ هُوَ وَنَبِيُّ اللَّهِ يُونُسُ بْنُ مَتَّى صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ التَّقَمُّهُ الْحَوْتَ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى الْبَحَارِ يَشْقُهَا حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى قَرَارِ الْبَحْرِ ،
فِي مُبَايَنَةِ اللَّهِ تَعَالَى خَلْقَهُ وَعَدَمِ الْجَهَةِ وَالتَّحْيِيزِ وَالْحَدِّ وَالْإِحَاطَةِ سِوَاهُ . وَقَدْ ذَهَبَ بِهِ مَسِيرَةً
سَنَةِ آلَافٍ سَنَةِ ذَكَرَهُ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ وَغَيْرُهُ .

وَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَالْمُرَادُ بِتَرْقِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَطْعَ هَذِهِ الْمَسَافَاتِ لِظَهَارِ مَكَانَتِهِ
عِنْدَ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَأَنَّهُ أَفْضَلُ الْمَخْلُوقَاتِ . وَيُقَوَّى هَذَا الْمُرَادُ بِكَوْنِهِ أَرْكَبَةَ الْبَرَقِ وَنَصَبَ
لَهُ الْمَعْرَاجَ وَجَعَلَهُ إِمَامًا لِلنَّبِيِّينَ وَالْمَلَائِكَةِ ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَرْفَعَهُ بِلَدُونِ الْبَرَقِ
وَالْمَعْرَاجِ .

وَيُقَالُ لِأَصْحَابِ الْجَهَةِ^(١) : إِنَّمَا مَنَعَكُمْ مِنْ اعْتِقَادِ الْحَقِّ اسْتِبْعَادَكُمْ مَوْجُودًا إِلَّا فِي
جَهَةٍ ، فَاحْلُثُمُ^(٢) ذَلِكَ . فَخَبَّرُونَا عَنِ الْعَرْشِ وَالْفَوْقِ هَلْ ذَلِكَ قَدِيمٌ ؟ / أَوْ مُخْدَتٌ ؟ فَإِنَّ

(١) أَيِ مَنْ يَقُولُونَ بِالْجَهَةِ وَالْمَكَانِ وَالْحَدِّ وَنَسَبَتِهَا إِلَى الْبَارِي تَعَالَى اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ .
(٢) فَاحْلُثُمُ أَيِ جَسَمٍ بَيْنَ الْمُتَنَاقِضِينَ فِي كَلَامِهِمْ .

قالوا قديماً جاھروا بقِدَمِ العالمِ وأدَّى ذلك إلى مُخَالَتِنِ : أحدهما أن يكون مع البارئ تعالى في الأزل خَيْرُهُ ، والقديمان ليس أحدهما بأن يكون مكاناً للثاني بأوَّلى من الآخر . ثانيهما أن الجهة والمكان إما أن يكونا جَسْمَيْنِ ، وهذا يُؤدِّي إلى جواز وجود الأجساد كلها ، وهو قول من قال بقِدَمِ العالمِ ، نعوذ بالله من ذلك . وإن قالوا : مُخَدَّث ، قل : قد صدَّقْتُم بأن الرَّبَّ تعالى كان موجوداً أولاً ولا جهة ، والمستحيل [لا] ^(١) ينقلب جائزاً أو واجباً لأن الحادث لا يحتاج إليه القديم ، فإنه قَبْلَ كَوْنِهِ كان مستغنياً عنه ، وهو على استغناؤه عنه لم يَزَلْ وكذلك لا يزال ، ومُحَالٌّ أن يكون خالق الكل مُتَقَرِّراً إلى بعض مخلوقاته . وما ورد من الاستواء والنزول وغير ذلك من الصفات التي يُشَكِّلُ لإجرائها على ظاهرها ، نُؤْمِنُ به ونَكِرُّلُ عِلْمِ معناه إلى الله تعالى ، ولا نُشَبِّهُهُ تعالى بِخَلْقِهِ ولا تَنْنِي الصفات التي أثبتتها لنفسه وأثبتها له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

التنبيه التاسع والعشرون : نَقَلَ ابن دِحْيَةَ عن ابن حبيب ، والحافظ عن ابن المنبر عن ابن حبيب وأقرَّهُ : أن بين السماء والأرض بحراً يسمى المكفوف تكون بحار الدنيا بالنسبة إليه كَالْقَطْرَةِ من المحيط ، فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلاق لنبيينا صلى الله عليه وسلم فهو أعظم من انفلاق البحر لِمُوسَى عليه الصلاة والسلام .

التنبيه الثلاثون : في قدر ما بين السماء والأرض : روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه ، وابن خُرَيْمَةَ في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «أتدرون كم بين السماء والأرض» ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : «بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، وبين كل سماء إلى سماء خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة ، وفوق السماء السابعة بَحْرٌ من أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض ثم

فوق ذلك ثمانية أوعال^(١) بين أظلافهن ورُكبين مثل ما بيّن سماء إلى سماء وفوق ظهورهن العرش وبين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض ثم الله تعالى فوق ذلك .

وروى اسحق ابن راهويه والبرار بسند صحيح عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بين السماء والأرض خمسمائة عام وغِلَظ كل سماء خمسمائة عام كذلك إلى السماء السابعة ، والأرضون مثل ذلك . وما بين السماء السابعة إلى العرش مثل جميع ذلك » .

وروى بن جرير وابن المنير عن ابن مسعود وناس من الصحابة رضى الله عنهم قالوا : « إن الله عز وجل كان عَرْشُهُ على الماء لم يخلق شيئاً غير ما خلق ، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسمّا عليه فسمّا سماء ، ثم أبيض الماء فجعله أرضاً واحدة ، ثم فَتَقَّهَا فجعلها سَبْعَ أرضين في يومين : الأحد والإثنين ، فخلق الأرض على الحوت ، وهو الذى ذكر الله تعالى في قوله : (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ^(٢)) ، والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة^(٣) والصفة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة على الريح ، وهى الصخرة التى ذكر لقمان ليست فى السماء ولا فى الأرض ، فَتَحَرَّكَ الحوت فاضطرب فتزلزلت الأرض فأرسي عليها الجبال فَقَرَّتْ وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغى لها في يومين : الثلاثاء والأربعاء ، ثم استوى إلى السماء وهى دُخَانٌ ، والدُخَانُ من تَنَفَّسَ الماء حين تَنَفَّسَ فجعلها سماء واحدة ثم فَتَقَّهَا / فجعلها سبع سموات في يومين : الخميس والجمعة وإنما سُمِّيَ الجمعة لأنه جُمع فيه خَلَقَ السموات والأرض وأَوْحَى في كل سماء أمرها أى خَلَقَ خَلَقَهَا من الملائكة والخلق الذى فيهما من البحار والجبال والبرد وما لا يُعْلَم ، ثم زَيْنَ السماء الدنيا بالكواكب ، فجعلها زينة وحفظاً من الشياطين .

(١) جاء فى النهاية : الحديث فى تفسير قوله تعالى « ويجعل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » . (سورة الحاقة آية ١٧) قبل ثمانية أوعال أى ملائكة على صورة الأوعال (النهاية ٤٠٠ ص ٢٢٠) وأورد القرطوبى فى تفسيره (ج ١٨ ص ٢٦٦ و ٢٦٧) أخباراً وآثاراً فى هذا منها الحديث المرفوع : « إن حملة العرش ثمانية أملاك على صورة الأوعال ما بين أظلافها إلى ركبا سبعين عاماً للطائر المسرع » . هذا والأوعال جمع وعل والوعل هو التيس الجبل .

(٢) الآية الأولى من سورة القلم .

(٣) الصفاة الحجر العريض الألس والجمع صفا .

وروى ابن أبي حاتم عن جبير بن مُطْعِم رضى الله عنه قال : « إن الله تعالى على عَرْشِهِ وعَرْشُهُ على سمواته ، وسمواته على أرضه هكذا » ، وقال بأصبعه : « مثل القُبَّة » وروى ابن حاتم عن القاسم بن أبي بَزَّة - بالزاي المعجمة - قال : « ليس السماء مُربَّعة ولكنها مَقْبُوَّةٌ براها الناس خضراء » وروى ابن راهويه والطبراني في الأوسط ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس قال : « السماء الدنيا مَوْجٌ مكشوفٌ والسماءُ الثانية زُمُرْدَةٌ بيضاء والثالثة حديد والرابعة نُحاس والخامسة فِضَّة والسادسة ذهب والسابعة ياقوته حمراء » ، زاد ابن أبي حاتم : « وما فوق ذلك صحارى من نور ، ولا يعلم ما فوق ذلك إلا الله تعالى ومَلَكٌ هو مُوَكَّلٌ بالْحُجُبِ يقال له ميطاطروس » . وروى أبو الشيخ وابن أبي حاتم عن كعب قال : « السماء أشدُّ بياضاً من اللبن واخضَرَّتْ من خُضْرَةِ جبل قاف . [شرح غريب ما سبق^(١) : « الموج » - بيم فواو فجيم - ما ارتفع من فوارن الماء . « المكشوف »^(٢) - بيم فكاف بفاعين بينهما واو - المحبوس .

التنبيه الحادى والثلاثون : استفتاح جبريل باب السماء يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بَقَرْعَ صَوْتُ . قال الحافظ : « والأشبه الأول لأنه صوت معروف » . قلتُ : فى حديث ثابت البناني عن أنس رضى الله عنه : « فَقَرَعَ الباب » . قال ابن دحية : وفى استفتاح جبريل لأبواب السماء دليلٌ على أنه صادف أبوابها مُغْلَقَةً ، وإنما لم تُهَيَّأ للنبي صلى الله عليه وسلم بالفتح قبل مجيئه ، وإن كان أبلغ فى الإكرام ، لأنه لو رآها مُفْتَحَةً لَظَنَّ أنها لا تزال كذلك ، ففُتِلَ ذلك لِيَعْلَمَ أَنَّ ذلك فُعِلَ من أجله ، وأن الله تعالى أراد أَنْ يُظْلِعَهُ عَلَى كَوْنِهِ معروفًا عند أهل السموات ، وقول أمين الوحي لما قيل له : من هذا ؟ « جبريل » : سَمَّى نفسه لثلاثاً يَلْتَمِسُ بغيره ولا يحتاج إلى موقفٍ لِلْمَرَاجَعَةِ فى المَرَّةِ ، فإنه معهود عندهم نزوله وصعوده ، ولذلك قَدَّمَ اسمه لأنه الرسول بإحضار النبي صلى الله عليه وسلم .

واستنبط ابن دحية وتبعه ابن المنير من قول المَلَكِ : « مرحباً » إلى آخره ، جواز

(١) إضافة اضطررنا لزيادتها وصلا لكلام المؤلف وجرياً على عادته فى مواضع مماثلة من كتابه .

(٢) فيما يتعلق بهذه الكلمة جاء فى النهاية (ج ٤ ص ٢٨) : إن بيننا وبينكم حية مكشوفة أى مشرعة على ما فيها مقفلة ضربها مثلاً للصدور وأنها نقية من الغل والفسخ فيما اتفقوا عليه من الصلح وقيل معناه أن يكون الشر بينهم مكشوفاً كما تكف (بالبناء للمفعول) الحية على ما فيها من النجاس .

رَدَّ السلام بغير لفظه . وَتَقَبَّأَ بِأَن قَوْلَ الْمَلِكِ : مرحباً ، ليس رَدَّ السلام ، فإنه كان قبل أن يَفْتَحَ الباب ، والسيافى يُرْشِدُ إليه . وقد تَبَّه على ذلك ابن أبي جَمْرَةَ . ووقع في رواية أن جبريل قال له عند كل نَبِيٍّ : «سَلِّمْ عليه» ، فَرَدَّ عليه السلام .

التنبيه الثاني والثلاثون : ينبغي للمستأذن إذا قيل له هذا أن يُسَمِّيَ نَفْسَهُ فيقول : محمد الشافى مثلاً ، ولا يقتصر على قوله : محمد ، مثلاً ، لأن المُسَمِّيَ بمحمد كثير ، فيشتبه عليه ، ولا يقول : «أنا» ، فإن جبريل ههنا لم يقل : «أنا» ، بل سَمَّى نفسه ، ولم يَرِدْ أن أحداً من الملائكة سَمَّى جبريل غير أمين الله تعالى على وَحْيِهِ . وأنكر النبي صلى الله عليه وسلم على الذى استأذن عليه فقال : «من هذا ؟» فجعل يقول : «أنا» ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أنا أنا^(١) إنكاراً لذلك . وَكُرِّهَتْ هذه اللفظة لِيَوْجِهَيْنِ : أحدهما أن فيها إشعاراً بالعظمة . وفي الكلام السائر أول من قال : أنا إبليس / فَشَقِيَّ حيث و ٣٦٦ قال : (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ^(٢)) ، وَتَعَسَ فرعون حيث قال (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى^(٣))) والثاني أنها مُبْهَمَةٌ لافتقار الضمير إلى العود ، فهي غير كافية في البيان ، والضمير إذا عاد وَتَعَيَّنَ مُضْمَرُهُ كان أعرف المعارف ، والمستأذن محبوب عن المُسْتَأْذِنِ عليه غَيْرُ مُتَعَيِّنٍ عنده فكأنه أحاله على جهالة .

التنبيه الثالث والثلاثون : قَوْلُ الْخَازِنِ : «وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟» أراد الاستفهام ، فحلف الممزة للعلم بها أى : «أَوْ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟» قال العلماء : ليس هذا الاستفهام عن البعث الذى هو الرسالة لأنه كان مشهوراً في الملكوت الأعلى ، بل البعث للمعراج ، وقيل : بل سألوا تعجباً من نعمة الله تعالى بذلك أو استبشاراً به ، وقد علموا أن بَشَرًا لَا يَتَرَكَّى هذا الترقى إلا بإذن الله تعالى وأن جبريل لا يصعد بمن لا يُرْسَلُ إليه . وقول الخازن : «من معك ؟» يُشِيرُ أَنَّهُمْ أَحْسَوْا معه برفيق وإلا لكان السؤال : «أَمَلَكَ أَحَدٌ ؟» وذلك الإحساس إما بمشاهدة لِيَكُونَ السماء شَفَافَةً ، وإما لأمر معنوى بزيادة أنوار ، وَلَزِمَ

(١) أخرجه البخارى في صحيحه في كتاب الاستئذان باب إذا قال من ذا قال أنا (ج ٨ ص ١٠٠)

(٢) سورة الأعراف آية ١٢

(٣) سورة النازعات آية ٢٤

من التبعث إليه صلى الله عليه وسلم الإذن في إزالة الموانع وفتح أبواب السماء . ولم يعوقف الخازن على أن يُوحى إليه بالفتح ، لأنه لَزِمَ عنده من التبعث الإذن ، وفي قول الخازن : «مرحباً به» إلى آخره ما يدل على أن الحاشية إذا فهموا من سيدهم عزماً لإكرام وافد أن يُبشروه بذلك وإن لم يأذن لهم فيه ، ولا يكون في ذلك إفشاء للسر ، لأن الخازن أعلم النبي صلى الله عليه وسلم حال استدعائه أنه استدعاء لإكرام وإعظام ، فعجل بالبشرى والقراسة الصادقة عند أهلها وفي محلها يحصل [بها] ^(١) العلم كما يحصل بالوحي ، ولم يخاطبه الخازن بصيغة الخطاب فيقول : «مرحباً بك» وإنما أراد التحية بصيغة الغيبة ، والسر في ذلك أنه حيَّاه قبل أن يفتح الباب وقبل أن يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم خطاب ، ولهذا قال الملك لجبريل : «ومن ملك ؟» فخاطبه بصيغة الخطاب ، لأن جبريل مخاطب الملك ، فارتفع حكم النبية بالتخاطب من الجانبين ، ويجوز أن يكون حيَّاه بغير صيغة الخطاب تعظيماً له لأن هاء النبية ربما كانت أفخم من كاف الخطاب .

التنبيه الرابع والثلاثون : قول جبريل حين سُئِلَ : «مَنْ معه» فقال : «محمد» ، دليل على أن الاسم أرفع من الكنية لأنه أخبر باسمه ولم يُخبر بكنيته ، وهو عليه الصلاة والسلام مشهور في العالمين العلوي والسفلي ، فلو كانت الكنية أشرف من الاسم لأخبر بها .

التنبيه الخامس والثلاثون : قال ابن أبي جمره : «استفهام الملكة» : «وقد أرسل إليه ؟» دليل على أن أهل العالم العلوي يعرفون رسالته ومكانته لأنهم سألوا عن وقتها : هل جاء ؟ لا عنها ، ولذلك أجابوا بقولهم : «مرحباً ونعم المجيء جاء» وكلامهم بهذه الصيغة أدل دليل على ما ذكرناه من معرفتهم بجلالة مكانته وتحقيق رسالته لأن هذا أجل ما يكون من حسن الخطاب ، والترفيح على المعروف من عادة العرب . وقد قال العلماء في معنى قوله تعالى : (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى^(٢)) إنه رأى صورة ذاته المباركة في الملكوت فإذا هو عروس الملكة .

التنبيه السادس والثلاثون : وقع في رواية أنس ومن رواية أبي ذر رضي الله عنهما :

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) سورة التيج آية ١٨

« قُلْتُ لجبريل : مَنْ هذا ؟ قال : أبوك آدم » . وظهره أنه سأل عنه بعد أن قال له آدم : « مَرْحَباً » . ورواية مالك بن صَفْصَةَ بعكس ذلك ، وهى الْمُعْتَمَدَة ، فَتَحْمَلُ هذه عليها ، وليس فى رواية أبى ذَرٍّ ترتيب . وفى قول آدم : « مَرْحَباً بالابن الصالح » ، إشارة إلى افتخاره بِأَبُوته للنبي صلى الله عليه وسلم .

وظاهر قوله فى رواية آدم : « تُعْرَضُ عليه أرواح ذُرِّيَّته » إلى آخره / أن أرواح بنى آدم من أهل الجنة والنار فى السماء . قال القاضى : « وهو مُشْكِل ، فقد جاء أن أرواح المؤمنين [مُنْعَمَةٌ ^(١)] فى الجنة وأن أرواح الكُفَّار فى سِجِّين ^(٢) » ، فكيف تكون مجمعة فى السماء ؟ وأجاب بأنّه يُحْتَمَلُ أنها تُعْرَضُ أوقانتاً فساد وقت عَرْضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم ، ويدل على أن كونهم فى النار فى أوقات دون أوقات قوله تعالى : « النَّارُ ، يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُلُوًّا وَعَشِيًّا » ^(٣) ، واعتُرض بأن أرواح الكفار لا تُفْتَحُ لهم أبواب السماء كما هو نص القرآن ^(٤) » ، والجواب ما أبداه القاضى احتمالاً أن الجنة كانت فى جهة يمين آدم والنار كانت فى جهة شماله وكان يُكشَفُ له عنهما .

وقال الحافظ : « وَيُحْتَمَلُ أن النِّسَمَ الكَرِيَّةَ هى التى لم تدخل الأجساد بعد وهى مخلوقة قبل الأجساد ومستقرها عن يمين آدم وشماله ، وقد أُعْلِمَ بما سيصبرون إليه فلذلك كان يستبشِرُ إذا نظر إلى من على يمينه ويحزن إذا نظر إلى من على يساره ، بخلاف التى فى الأجساد فليست مُرَادَة قطعاً وبخلاف التى نُقِلَتْ من الأجساد إلى مستقرها من الجنة أو النار فليست مُرَادَة أيضاً فيما يظهر ، وبهذا يندفع الإيراد ، ويُعرَفُ أن قوله : « نَسَمٌ بَنِيهِ » عام مخصوص أو أُريدَ به الخصوص » . انتهى .

وقال فى الفتح فى باب المعراج : « وظهر لى الآن احتمال آخر وهو أن يكون المراد من

(١) ساقط من الأصو والتكلة من الشفا للقاضى مياض

(٢) قال ابن المنبر فى شرح يمين بأنها مكان يذبون فيه أسفل سافلين . وجاء فى المواهب بأنها الأرض السابعة . وفى القاموس : يمين موضع فيه كتاب العقاب ووادى جهنم .

(٣) سورة غافر آية ٤٦

(٤) وذلك فى قوله تعالى : « إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين » (سورة الأعراف آية ٤٠)

«خُرِجَتْ» من الأجساد لا أنها مستقرة ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماء الدنيا أن تُفْتَحَ لها أبواب السماء ولا أن تَلْبَحَها ، ويؤيد هذا ما رواه ابن إسحاق^(١) : فإذا أنا بآدم تُعْرَضُ عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول : روحٌ طَيِّبَةٌ وَنَفْسٌ طَيِّبَةٌ اجعلوها في عِلِّيِّين ، ثم تُعْرَضُ عليه أرواح ذريته الفُجَّار فيقول : روحٌ خَبِيثَةٌ وَنَفْسٌ خَبِيثَةٌ اجعلوها في سِجِّين . وفي حديث أبي هريرة : فإذا عن يمينه باب يخرج منه ريحٌ طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريحٌ خبيثة ، فهذا لو صَحَّ لكان المصير إليه أولى من جميع ما تقدم ولكن سنلذه ضعيف وظاهره عدم اللزوم المتقدم انتهى .

وقال السهيلي : «فإن قيل كيف رأى عن يمينه أصحاب اليمين ؟ ولم يكن إذ ذاك منهم إلا نفر قليل ، وعلله لم يكن مات تلك الليلة منهم أحد ، وظاهر الحديث يقتضي أنهم كانوا جماعة ، والجواب أن يُقال : إن كان الإسراء رؤيا بقلبه فتأويلها أن ذلك سيكون وإن كانت رؤيا عَيْن فمعناها أن أرواح المؤمنين رآها هنالك لأن الله يَتَوَقَّى الخَلْقَ في منامهم كما قال في التنزيل (اللهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى)^(٢) فَصَاعِدًا بِالْأَرْوَاحِ إِلَىٰ هُنَالِكَ ثُمَّ أُعِيدَتْ إِلَىٰ أَجْسَادِهَا » .

وقال ابن دحية : «فإن قيل : كيف تكون نَسَمُ السُّعَدَاءِ كلهم في السماء ، وقد كان حين الإسراء جماعة من الصحابة رضى الله عنهم في الأرض وهم من السعداء ؟ فالجواب : أن آدم إنما رآهم في مواضعهم ومقارنهم في الأرض ، ولكنه يراهم من الجانب الأيمن فالتفصيل للنظر لا للمنظور » .

وفي قول جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم : « هذا أبوك آدم فَسَلِّمْ عليه » ما يقتضي أن القادم يبدأ بالسلام على المُقِيم .

التنبيه السابع والثلاثون : وقع في رواية شريك^(٣) : «فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين

(١) سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ١٢) .

(٢) سورة الزمر آية ٤٢

(٣) الحديث بطوله في صحيح البخاري كتاب التوحيد (ج ٧ ص ٢٦٥ : ٢٦٨) رواية شريك بن عبد الله

٣٩٧ و يَطْرِدَان - أى بجريان - النيل والفُرات ، وَيُجْمَعُ مُنْصَرَفُهُمَا - / أى أصلهما . وظاهر هذا يخالف حديث مالك بن صَعْبَةَ فَإِنْ فِيهِ بَعْدُ ذِكْرُ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى : «فَإِذَا أَصْلُهَا أَرْبَعَةٌ» ، فذكر منها النيل والفُرات ، وَيُجْمَعُ بينهما بأن أصل منبعا من تحت سدرة المنتهى ومقرهما في السماء الدنيا ومنها ينزلان إلى الأرض .

التنبيه الثامن والثلاثون : وَقَعَ في رواية شريك أيضاً : «ثم مضى النبي صلى الله عليه وسلم في السماء الدنيا فإذا هو بنهر آخر عليه قصور من لؤلؤ وزبرجد ، فضرب يده فيه فإذا طينه مِسْكٌ أَذْفَرُ فقال : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هذا الكوثر الذي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ ، وهذا مما استَشْكِلَ في رواية شريك ، فإن الكوثر في الجنة وإن الجنة في السماء السابعة . وقد روى الإمام أحمد عن طريق حُمَيْد الطويل عن أَنَس ، رَفَعَهُ : «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ خِيَامُ اللَّوْثِ ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي فِي مَجْرَى مَائِهِ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ» . فقال جبريل : «هذا الكوثر الذي أعطاك الله تعالى» . وأصل هذا الحديث عند البخاري بنحوه ، وأخرجه في التفسير عن قتادة عن أَنَس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ولكن ليس فيه ذِكْرُ الْجَنَّةِ . ورواه أبو داود من طريق سليمان التيمي عن قتادة ولفظه : «لَمَّا عُرِجَ بَنِي اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَضَ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نَهْرٌ» ، قال الحافظ : ويمكن أن يكون في هذا الموضع شيء تقديره : ثم مضى به في السماء الدنيا إلى السماء [السابعة] فإذا هو بنهر ، قال تلميذه الحافظ قطب الدين الخيضرى^(١) في الخصائص : «وهذا بعيد إذ بينه وبين السماء السابعة خمس سموات أخرى وكل منها له صفة خلاف صفة الأخرى ولها أبواب وتُخَدَّمُ غير الأخرى ، فإِذَا طَلَقَ الْمَسِيرَ إِلَيْهَا وَذَكَرَهَا بَعْدَ السَّادَةِ مِمَّا يَبْعَدُهَا أَيْضًا ، وَلَكِنْ يُقَالُ مِنْ غَيْرِ اسْتِعْبَادٍ : إِنَّ أَصْلَ النَّهْرِ - الَّذِي هُوَ الْكَوْثَرُ - فِي الْجَنَّةِ ، وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ فُرْعًا فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا عَجَلًا لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُؤْيَاهُ اسْتِبْشَارًا لِأَنَّهَا أَوَّلُ الْمَرَاتِبِ الْعُلْوِيَّةِ ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا قَوْلُ جَبْرِيلَ : «خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ» . انتهى .

التنبيه التاسع والثلاثون : في قول آدم : «مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح» ،

(١) هو محمد بن محمد جد الله بن غيضر ، يعرف بالخيضرى نسبة إلى جد أبيه ، توفي سنة ٨٩٤ هـ وكان تلميذاً لحافظ ابن حجر السقلاقي ، ترجم له السخاوي ترجمة مطولة ملأها بكثير من المأخذ عليه ، انظر الضوء اللامع ج ٩ ص ١١٧ : ١٢٤ رقم ٣٠٥ .

ثناء جميل جليل للنبي صلى الله عليه وسلم ، ووصفه بالصلاح مكرراً مع النبوة ، أى صالح مع النبيين جميعاً ، وفيه تنويه بفضيلة الصلاح وعلو درجته ، ولهذا وُصِف النبي صلى الله عليه وسلم . قال بعضهم : صلاح الأنبياء صلاحٌ خاص لا يتناول عموم الصالحين . واحتج على ذلك بأنه قد تَمَتَّى كثير من الأنبياء أن يلحق بالصالحين ، ولا يَمُنَى الأعلى أن يلحق بالأدنى ، ولا خلاف في أن النبوة أعلى من صلاح الصالحين من الأمم . وبهذا تحقق أن الصلاح المضاف إلى الأنبياء غير الصلاح المضاف إلى الأمم ، فصلاح الأنبياء صلاح كامل لأنه يزول بهم كل فساد ، فلهم كل صلاح ومن دونهم الأمثل فالأمثل ، فكل واحد يستحق اسم الصلاح على قدر ما زال به أو منه من الفساد ، واقتصر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم على وصفه صلى الله عليه وسلم بالصلاح وتواردوا على ذلك لأن الصلاح يشمل خصال الخير ، ولذلك كررها كل منهم عند وصفه^(١) .

والصالح هو الذى يقوم بما يلزمه من حقوق الله تعالى وحقوق العباد / ، فمن ثم كانت ٣٦٧ ظ كلمة جامعة مانعة شاملة لسائر الخصال المحمودة ، ولم يقل له أحد : مرحباً بالنبي الصادق ولا بالنبي الأمين لما ذكرنا من أن الصلاح شامل لسائر أنواع الخير .

التنبيه الأربعون : إنما رأى أكلة الربا مُنتَفِخَةً بطونهم لأن العقوبة مشاكلة للذنب ، فأكل الربا يربو بطنه كما أراد أن يربو ماله بأكل ما حُرِّم عليه فَمُحِقَتِ البركة من ماله وجُعِلَتْ نَفْخاً في بطنه حتى يقوم (كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ^(٢)) . وإنما جعلوا بطريق آل فِرْعَوْنَ يَمْرُونَ عليهم عُذُواً وَعَشِيّاً ، لأن آل فرعون هم أشد الناس عذاباً فضلاً عن غيرهم من الكُفَّار ، وهم لا يستطيعون القيام . ومعنى كَوْنِهِمْ في طريق جهنم بحيث يَمُرُّ بالكفار عليهم أن الله سبحانه وتعالى قد أَوْقَفَ أَمْرَهُمْ بين أن ينتهوا فيكون خيراً لهم وبين أن يعودوا ويصبروا فيُدْخِلَهُم النار ، وهذه صفة من هو في طريق النار ، قال الله تعالى : (فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ، وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٣)) وفي بعض الأحاديث أنه رأى بطونهم كالببوت يعنى أكلة الربا ، وفيها حَيَاتٌ تُرَى من خارج البطون .

(١) هذه الفقرة نقلها الزرقاني في شرحه على المواهب ج ٦ ص ٥٩ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٥ .

التنبيه الحادى والأربعون : فإن قيل : هذه الأحوال التى ذكرها عن أكَلَة الربا ، إن كانت عبارة عن حالمٍ فى الآخرة ، قَالَ فرعون قد أَذْخِلُوا أَشَدَّ الْعَذَابِ وَإِنَّمَا يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ غُلُوبًا وَعَشِيًّا فى البرزخ ، وإن كانت الحال التى رآهم عليها فَأَيُّ بَطُونٍ لَمْ وَقَدْ صَارُوا عِظَامًا وَرُفَاتًا وَمَزَقُوا كُلَّ مَزْقٍ ؟ فالجواب أَنَّهُ إِنَّمَا رَأَاهُمْ فى البرزخ ، وهذه الحال هى حال أرواحهم بعد الموت . وفيها تصحيحٌ لمن قال : الأرواح أجساد لطيفة قابلة للنعم والعذاب ، فخلق الله تعالى فى تلك الأرواح من الآلام ما يَجِدُهُ من انتفخ بطنه حتى وُطِئَ بالأقدام ولا يستطيع معه قياماً . وليس فى هذا دليل على أَنَّهُمْ أَشَدَّ عَذَاباً من آل فرعون ، ولكن فيه دليل على أَنَّهُ يَطْوَاهُم آلُ فرعون وَغَيْرُهُمْ من الكفار الذين لم يأكلوا الربا ، ماداموا فى البرزخ إلى أن يقوموا يوم القيامة كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المَسِّ ، ثم ينادى منادى الله تعالى (أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ^(١)) . وكذلك ما رأى من النساء المَعْلُقات بِثَدْيِهِنَّ^(٢) يجوز أَن يكون رأى أرواحهنَّ وقد خُلِقَ فيها من الآلام ما يَجِدُهُ مَنْ هذه حاله ، وَيُحْتَمَلُ أَيْضاً أَن يكون مُثَلَّت له حالهنَّ فى الآخرة .

التنبيه الثانى والأربعون : ذِكْرُهُ لِإِدْرِيسَ [فى السماء الرابعة. مع قوله تعالى^(٣)] : (وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيًّا^(٤)) ، مع أَنَّهُ قد رَأَى موسى وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهما فى مكان أعلى من مكان إدريس ، فذلك - والله تعالى أعلم - لِمَا ذُكِرَ عن كعب الأحبار أَن إدريس خُصَّ من بين جميع الأنبياء بِأَنَّهُ رُفِعَ قَبْلَ وفاته إلى السماء الرابعة ، رَفَعَهُ مَلَكٌ كان صديقاً له وهو المَلَكُ المُوَكَّلُ بالشمس . وكان إدريس سَأَلَهُ أَن يُرِيَهُ الجنة فَأَذِنَ له الله فى ذلك ، فلما كان فى السماء الرابعة رآه هنالك مَلَكُ الموت فَعَجِبَ وقال : أَمِرْتُ أَن أَقْبِضَ رُوحَ إدريس الساعة فى السماء الرابعة فقبضه هنالك ، فرفعه حياً إلى ذلك المكان العَلِيِّ الذى خُصَّ به دون الأنبياء ، قاله السهيلي^(٥) .

وتقدم الكلام فى النسب النبوى على قوله : «مرحباً بالأخ الصالح» .

(١) سورة غافر آية ٤٦ .

(٢) الذى يذكر ويؤت والجوع أئد وثدى وبكر الشاء أيضاً إتياء لما يبعدها من الكسر ، عن الصحاح للبهري .

(٣) زيادة من الروض الأنف ج ١ ص ٢٥٤ السهيلي الذى نقل عنه المؤلف .

(٤) سورة مريم آية ٥٧ .

(٥) نص هذا فى الروض الأنف ج ١ ص ٢٥٤ .

التنبيه الثالث والأربعون : قال العلماء^(١) : « لم يكن بكاء موسى حسداً ، معاذ الله ، / فإن ٣٦٨ و
الحسد في ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين ، فكيف بمن اصطفاهم الله تعالى ، بل كان
أسفاً على ما فاتته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة
المخالفة الْمُقْتَضِيَةِ لتنقيص أجورهم والمُسْتَلْزِمَةِ لتنقيص أجره ، لأن لكل نبيٍّ أَجْرٌ مَنْ
تَبِعَهُ ، ولهذا كان من اتبعه في العدد دون من اتبع نبيينا صلى الله عليه وسلم مع طول مدتهم
بالنسبة لمدة هذه الأمة . وقال ابن أبي جَمْرَةَ : « قد جعل الله تعالى في قلوب أنبيائه عليهم
الصلاة والسلام الرحمة والرأفة لأمتهم ، وقد بكى النبي صلى الله عليه وسلم ، فستل عن
بكائه فقال : « هذه رحمة وإغا يرحم الله من عباده الرحماء^(٢) » . والأنبياء عليهم الصلاة
والسلام قد أخذوا من رحمة الله تعالى أوفر نصيب ، فكانت الرحمة في قلوبهم لعباد الله
أكثر من غيرهم . فلأجل ما كان لموسى عليه الصلاة والسلام من الرحمة والطف بكى إذ
ذاك رحمةً منه لأُمته لأن هذا وقت إفضال وجود وكرم ، فَرَجَا لعله يكون وقت القبول
والإفضال فيرحم الله تعالى أمته ببركة هذه الساعة . فلن قيل : كيف يكون هذا وأمته
لا تخلو من قسمين : قسم مات على الإيمان ، وقسم مات على الكفر فالذي مات على الإيمان
لا بُدَّ له من دخول الجنة والذي مات على الكفر لا يدخل الجنة أبداً ، فبكاؤه لأجل
ما ذكرتم لا يسوغ إذ أن الحكم فيه قد مرَّ ونَفَذَ . قيل في الجواب : وكذلك قَدَّرَ الله عز
وجل قَدْرَهُ على قسمين ، كما شأته حكيمه ، فَقَدَّرَ قَدْرًا وَقَدَّرَ أَنْ يَنْفُذَ على كل الأحوال
وَقَدَّرَ قَدْرًا وَقَدَّرَ أَلَّا يَنْفُذَ ، ويكون وقوعه بسبب دعاء أو صدقة أو غير ذلك » .

ومثاله دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوات الثلاث لأُمته وهي : أَلَّا يظهر عليهم
عدوٌّ من غيرهم ، وَأَلَّا يُهْلِكَهُمُ بالسنين^(٣) ، فَأَعْطِيَهُمَا ودعا بالألَّا يجعل بأسهم بينهم ،
فاستجيب في الاثنين ولم يُسْتَجَبْ له في الثالثة ، وقيل له : هذا أمرٌ قد قَدَّرْتَهُ أَى أَنْفَلْتَهُ ،
فكانت الاثنينان من القَدَرِ الذي قَدَّرَهُ الله تعالى وَقَدَّرَ أَلَّا يُنْفِذَهُ بسبب الدعاء وكانت دعوته

(١) الفقرة التالية وردت حرفاً بحرف في المواهب الدنية لقسطنطين المتوفى سنة ٩٢٣ هـ والذي ترجم له اليعاقبة في
النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ينداد سنة ١٩٣٤ م ص ١١٣ : ١١٥) ويبدو أن المؤلف وهو شمس الدين الشافعي
المتوفى سنة ٩٤٢ هـ قد نقلها عنه ، راجع ترجمة الشافعي في شذرات الذهب لابن العماد ج ٨ ص ٢٥٠ : ٢٥١ .

(٢) الثنتين جمع ستة والستة هنا هي الجلب والقطر .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم

الثالثة من القَدَر الذى قَدَره الله تعالى وَقَدَر إنفاذه على كل الأحوال لا يَرُدُّه رادٌ . وسيأتى لهذا مزيد إيضاح .

«فَلَا جُلَّ (١) ما رُكِبَ فى موسى عليه الصلاة والسلام من اللطف والرحمة بالأمة طَمِع لعل أن يكون ما اتفق لأُمتِه من القَدَر الذى قَدَره الله تعالى وَقَدَر ارتفاعه بسبب الدعاء والتَضَرُّع . وهذا وقت يُرَجَى فيه التعطف والإحسان من الله تعالى لأنه وقت أُسْرِيَ فيه بالحبيب ليخلع عليه خِلْعَ القُرْب والفضل العميم ، فطَمِع الكلِّيم لعل أن يُلْحَق لأُمتِه نصيباً» .

وبوجه آخر وهو البشارة للنبي صلى الله عليه وسلم وإدخال السرور عليه يشهد لذلك بكأؤه حين وُلَّى النبي صلى الله عليه وسلم وقَبِلَ أن يبعد عنه لكى يسمعه ، لأنه لو كان البكاء خاصاً بموسى لم يكن ليبكى حتى يبعد عنه النبي صلى الله عليه وسلم فلا يسمعه لأن البكاء والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ، فيه شيء من التهوين عليه . فلما أن كان المراد بذلك ما يصلز عن البشارة له صلى الله عليه وسلم بسبب البكاء بكى والنبي صلى الله عليه وسلم يسمعه ، والبشارة التى يَتَضَمَّنُهَا البكاء هى قول موسى عليه الصلاة والسلام لِلنَّبِيِّ هو أكثر الأنبياء اتباعاً : «إن الذى يدخل الجنة من أمة محمد أكثر ممن يدخلها من أمتي» .

«وقد وقع من موسى عليه السلام من العناية بهذه الأمة فى أمر الصلاة ما لم يقع لغيره ووقعت الإشارة لذلك فى حديث أبى هريرة (٢) رضى الله عنه ، مرفوعاً : «كان موسى أشدهم على حين مَرَزَتْ به وخيرهم حين رَجَعْتُ إليه» . وفى حديث أبى سعيد (٣) : فأقبلت راجعاً فَمَرَزْتُ بموسى ونعمَ صاحب كان لكم» .

٣٦٨ ظ . التنبيه الرابع والأربعون : قول موسى عليه الصلاة والسلام / : «لأن غلاماً ..» ليس على سبيل التَّقْصُّص بل على سبيل التنويه بقُدرة الله وعظيم كَرَمِه ، إذ أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم فى ذلك السن ما لم يُعْطِه أحداً قَبْلَه مِنَّن هو أَسَنُّ منه .

(١) هذه الفقرة نقلها المؤلف عن المؤلفات عن المؤلفات . (٢) عند الطبري والبراز .

(٣) هو أبو سعيد الخدري عند البيهقي وغيره .

وقال الخطَّاب : العَرَب تسمى الرجل المُستَجيع السِّن : غلاماً ما دامت فيه بَغْيَةٌ من القوة [في الكهولة] وقال ابن أبي جَمْرَةَ : العَرَب إنما يُطْلَقون على المرء غلاماً إذا كان سَيِّداً فيهم . فلا جُل ما في هذا اللفظ من الاختصاص على غيره من ألفاظ الأفضلية ذكره موسى دون غيره تعظيماً للنبي صلى الله عليه وسلم . قال الحافظ : ويظهر [لى] أن موسى عليه السلام أشار إلى ما أنعم الله به على نبيينا عليه السلام من استمرار القوة في الكهولة إلى أن دخل في سِن الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هَرَم ولا عَرَا قُوَّتُهُ نَقُصٌ ، حتى أن الناس لما رأوه مُرَدِّفاً أبا بكر عند قدومه المدينة أطلقوا عليه اسم الشاب وعلى أبي بكر اسم الشيخ مع كونه عليه السلام في العُمَر أَسَن من أبي بكر .

التنبيه الخامس والأربعون : قول موسى : « رب لم أَظُنْ أن تَرْفَع عَلَيَّ أَحداً - بفتح المُثَنَّى الفوقية و « أَحداً » بالنَّصْب ، ورواته في الصحيح بضم المُثَنَّى التحتية و « أَحداً » بالرفع . قال ابن بَطَّال : « فهم موسى عليه الصلاة والسلام من اختصاصه بكلام الله تعالى في الدنيا دون غيره من البشر لقوله تعالى (إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِيسَالَتِي وَبِكَلَامِي)^(١) » أن المراد بالناس هنا البَشَر كلهم ، وأنه استحق بذلك ألا يُرْفَعَ عليه أَحَدٌ ، فلما فُضِّل الله تعالى محمداً عليه الصلاة والسلام من المقام المحمود وغيره ارتفع على موسى وغيره بذلك^(٢) .

التنبيه السادس والأربعون : قال ابن أبي جَمْرَةَ : الظاهر أن القائل لموسى : « ما أَهْكَاك ؟ » هو الباري تبارك وتعالى ، يدل على ذلك قوله في الجواب : « رَبِّ [هذا غلامٌ بعثته من بعدى ، يَدْخُلُ من أمته الجنة أكثر مما يَدْخُلُ من أمي]^(٣) »

التنبيه السابع والأربعون : أكثر الروايات على أن موسى عليه الصلاة والسلام السابعة بتفضيل الله تعالى ، وهذا مطابق لقوله تعالى : (إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِيسَالَتِي وَبِكَلَامِي)^(١) وهذا يدل على أن شريكاً فَهَبَهُ كَوْنُ موسى في السابعة ، وحديث أبي ذَرٍّ يوافقُه فإن فيه [فيما رواه ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك قال : « فذكر أنه وجد

(١) سورة الأعراف آية ١٤٤ .

(٢) نقل المؤلف هذه الفقرة من التفسير في المواهب اللدنية .

(٣) تكملة حديث موسى كما رواه أبو هريرة وأخرجه البزار والبيهقي .

في السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم ^(١)] ولم يثبت منازلهم ، غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة . فإن قلنا بالتعدد فلا إشكال ومع علمه فقد يُجمع بأن موسى كان حالة العروج في السماء السادسة وإبراهيم في السماء السابعة على ظاهر حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط كان موسى في السابعة ، لأنه لم يُذكر في القصة أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كلّمه في شيء مما يتعلق بما فُرض على أمته من الصلاة كما كلّمه موسى عليه السلام والسماء السابعة هي أول [شيء] ^(٢) انتهى إليه حالة الهبوط ، فناسب أن يكون موسى بها لأنه هو الذي خاطبه في ذلك كما ثبت في جميع الروايات ويُحتمل أن يكون لقي موسى في السادسة فأُصعِد معه إلى السماء السابعة تفضيلاً له على غيره من أجل كلام الله تعالى وظهرت فائدة ذلك في كلامه مع نبيينا فيما يتعلق بأمر أمته في الصلاة .

التنبيه الثامن والأربعون : وقع في رواية شريك عن أنس رضى الله عنه أن كل سماء فيها أنبياء قد سَمَّاهم « فَوَعِيْتُ مِنْهُمْ إِدْرِيسَ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ وَهَارُونَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ / وَآخِرُ فِي الْخَامِسَةِ لَمْ أَحْظَ اسْمَهُ ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادَةِ وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ » . وفي رواية أنس عن أبي ذر رضى الله عنهما قال : « فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم » ، ولم يثبت منازلهم ، غير أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة . انتهى . وهذا موافق لرواية شريك في إبراهيم ، وهما مخالفان لرواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة ، والأكثر وافقوه ، وسياقه يدل على رجحان روايته ، فإنه ضَبَطَ اسم كل نبي والسماء التي هو فيها ، ووافقه ثابت البناني عن أنس ، كما هو عند مسلم ^(٣) فقال في روايته : « ثم صعد بي حتى آتيت السماء الثانية وفيها فلذا بيحيى وعيسى وهما أبنا خالة » ، وذكر في الثالثة يوسف وفي الرابعة إدريس وفي الخامسة هارون

(١) زيادة ما أخرجه البخاري في صحيحه في أول كتاب الصلاة (ج ١ طبعة مطبع من ١٥٧ و ١٥٨) لتوضيح مراد المؤلف .

(٢) ساقطة من الأصول وأثبتتها من القسطلاني الذي نقل عنه المؤلف

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٢٠٩ وما بعدها .

وفي السابعة موسى وفي السابعة إبراهيم ، وفي سياق الزهري في روايته عن أنس عن أبي ذر أنه لم يُثبت أسماهم ، وسياق شريك فيه أنه لم يَضْبِط منازلهم .

ولا شك أن رواية مَنْ ضَبَطَ أُولَى ، ولا سيما مع اتفاق قتادة وثابت وقد وافقهما يزيد ابن أبي مالك عن أنس إلا أنه خالف في إدريس وهارون ، فقال : هارون في الرابعة وإدريس في الخامسة ، ووافقهم أبو سعيد الخُدري رضي الله عنه ، في رواية إلا أنه قال : « رأى يوسف في الثانية وعيسى وبحي في الثالثة » . قلت : والأول أثبت ، وأما إبراهيم فالأرجح من الروايات أنه في السماء السابعة لقوله فيها : إنه رآه مُسْنِداً ظَهَرَهُ إلى البيت المعمور ، وهو في السابعة بلا خلاف .

وأما « ما جاء عن علي رضي الله عنه أن البيت المعمور في السماء السادسة عند شجرة طوبى^(١) » فإن ثبت حُجُل على البيت الذي في السادسة بجانب شجرة طوبى لأنه جاء عنه أن في كل سماء بيتاً يُحَادِثُ الكعبة وكل منها معمور بالملائكة ، وكذا القول فيما جاء عن الربيع بن أنس وغيره أن البيت المعمور في السماء

التسبية التاسع والأربعون : اختلفت طُرُقُ المتكلمين على حديث الإسراء في ذِكْر من ذُكِر من الأنبياء وترتيبهم في السموات ، فمن العلماء من لم يَرِ الكلام على سرِّ ذلك أصلاً ، ومنهم من تكلم فيه ، ثم اختلف هؤلاء ، فمنهم من قال : اختص مَنْ ذُكِر من الأنبياء بقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على عَرَفِ الناس إذا تَلَقَّوا الغائب مُبْتَدِرِينَ لِقائه ، فلا بُدَّ غالباً أن يَسْبِقَ بعضهم بعضاً ، ويصادف بعضهم اللقاء ولا يصادفه بَعْضُهُمْ وإلى هذا جَنَعَ ابن بطال وهذا زَيَّفَهُ السهيلي^(٢) . فأصاب . وذهب غير ابن بطال إلى أن ذلك تنبيه على الحالات

(١) في التزييل : « طوبى لم وحسن مأب » (سورة الرعد آية ٢٩) ، وأورد القرطبي (ج ٩ ص ٣١٦ و٣١٧) تفسيرات عدة لكلمة طوبى منها : ما روى عن ابن عباس أن طوبى لم أي فرح لم وفرح عين وأنها اسم الجنة بالحقيقة ومن قتادة : حسنى لم وعن عكرمة نسي لم وعن النحاس أن هذه الأقوال متقاربة لأن طوبى فعل من الطيب ، وفرحها مثل هذا الجليلين في المغرب ص ٢٢٩ وابن الأثير في النهاية ج ٣ ص ٤٦ والزبيدي في تاج المروس .

(٢) تناول السهيلي الإجابة على طعن السكاكيني : أو لمَّا تَفَضَّلُوا هؤلاء الأنبياء بالذكر وقالوا تخصيص من ذكر منهم بهذه الأماكن من السماء الدنيا إلى السابعة وأشار إلى ما كتبه ابن بطال في هذا الصدد بقوله : وملازم كلامه أن الأنبياء لما حلوا بقدمه عليهم ابتدروا إلى لقائه ابتداء أهل الغائب لِقائهم من أسرع ومنهم من أبطل . وعلم السهيلي على ذلك بأن ابن بطال لم يصنع شيئاً . وقال ابن حجر في فتح الباري : « قيل ليظهر تفاضلهم في الدرجات وقيل لخصاب تسميتهم بالحكمة في الاختصار على هؤلاء دون غيرهم من الأنبياء فقيل أمروا بملاقاتهم فمنهم من أدركه من أول وهلة ومنهم من تأخر فخلق ومنهم من فاته وهذا زيفه السهيلي » . انظر شرح الزرقاني على المباحث ج ٦ ص ٦٧ والبرهان الأنيب للجهلي ج ١ ص ٢٥٠ و٢٥١ .

الخاصة بهؤلاء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتمثيل لما سيقع للنبي صلى الله عليه وسلم مما اتفق لهم مما قصه الله تعالى عنهم في كتابه . والنبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الحسن ويستدل به على حسن العاقبة وبالضد من ذلك . والفأل في اليقظة نظير الرؤيا في المنام . وأهل التعبير يقولون من رأى نبياً من الأنبياء بعينه في المنام فإن رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبي من شدة أو رخاء أو غير ذلك من الأمور التي أخبر بها عن الأنبياء في القرآن والحديث .

ظ ٣٦٩

قال ابن أبي جَمْرَةَ : « الحكمة في كون آدم في السماء الدنيا لأنه أول / الأنبياء وأول الآباء وهو أصل فكان الأول في الأول ، ولأجل تأنيس النبوة بالأبوة . » وقال السهيلي رحمه الله : « فآدم وقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة إلى الأرض بما سيقع للنبي صلى الله عليه وسلم من الهجرة إلى المدينة ، والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق ما لقيه في الوطن ، ثم كان لكل منهما أن يرجع إلى وطنه الذي خرج منه . »

وقال ابن دحية : « إن في ذلك تنبيهاً على أنه يقوم مقامه في مبدأ الهجرة لأن مقام آدم التهيئة والنشأة وعمارة الدنيا بأولاده ، وكذا كان مقام المصطفى أول سنة من الهجرة مقام تنشئة الإسلام وتربية أهله واتخاذ الأنصار لعمارة الأرض كلها بهذا الدين الذي أظهره الله على الدين كله ، وزوى الأرض لنبيه حتى أراه مشارقتها ومغاربها ، فقال صلى الله عليه وسلم : (وَلَيَبْلُغَنَّ مَلَكُ أُمَّتِي مَا رُؤِيَ لِي مِنْهَا ^(١)) . » واتفق ذلك في زمن هشام بن عبد الملك حتى جيء إليه خراج الأرض شرقاً وغرباً ، وكان إذا نشأت سحابة يقول : « أنظر لي حيث شئت فسيصل إليّ خراجك » .

ثم رأى في السماء الثانية عيسى ويحيى وهما المُنْتَحَنان باليهود . أما عيسى فكذبته اليهود وآذنته وهُمُوا بِقَتْلِهِ فَرَفَعَهُ اللهُ تَعَالَى ، وأما يحيى فقتلوه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان . وكانت مِحْنَتُهُ لَهَا بِالْيَهُودِ [آذَوْهُ] ^(٢) وظاهروا عليه وهُمُوا بِالْقَاءِ الصخرة عليه ليقتلوه فَتَنَّاهُ اللهُ تَعَالَى

(١) وفي رواية : « رؤيت لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربها » وفي النهاية ج ٢ ص ١٣٥ زويت أي جمعت .

(٢) الكلمة من الرض الأنف ج ١ ص ٢٥٠ السهيلي الذي نقل عنه المؤلف .

كما نَجَّى عيسى (منهم) ^(١) ثم سَمَّوه في الشاة ، فلم تزل تلك الأكلة تُعَادُه حتى قطعت أبْهَرَه [كما قال عند الموت] ^(٢) .

وقال ابن أبي جَمْرَةَ : لأَهما أَقرب الأنبياء عهداً بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن دحية : كانت حالة عيسى ومقامه معالجة بنى إسرائيل والصبر على معاداة اليهود وجعلهم ومكرهم ، وطلب عيسى الانتصار عليهم بقوله : (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) أَى مع الله ؟ (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) ^(٣) فهذه كانت حالة نبينا صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية من الهجرة ، ففيها طلب الانتصار للخروج إلى بدر العظمى فأجابوا ونصروا ، فلقاؤه لعيسى في الساء الثانية تنبيه على أنه سيلقى مثل حاله ومقامه في السنة الثانية من الهجرة .

وأما لقائه ليوسف عليه السلام في الساء الثالثة فإنه يُؤذَن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف بما جرى له مع إخوته الذين أخرجوه من بين أظهرهم ثم ظفّر بهم فصَبَّحَ عنهم وقال : (لَا تَشْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَنْفِرُ اللَّهُ لَكُمُ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) ^(٤) وكذلك نبينا عليه الصلاة والسلام أخرجهم قومه ثم ظفّر بهم . في غزوة الفتح فعفا عنهم وقال : (أقول كما قال أخي يوسف : (لا تشريب عليكم) .

قال ابن أبي جمره : لأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة على صورته ، زاد ابن أقرص ^(٥) وإشارة إلى جعله على خزائن الأرض . وقال ابن دحية : مناسبة لقائه ليوسف في الساء الثالثة أن السنة الثالثة من سنى الهجرة اتفقت فيها غزوة أحد وكانت على المسلمين لم يُصَابُوا بنزلة قبلها ولا بعدها مثلها ، فلما كانت وقعة آسَفٍ وحُزن . وأهل التعبير يقولون : مَنْ رَأَى أَحَدًا اسمه يوسف آذَنَ ذلك من حيث / الاشتقاق ومن حيث

١٣٧٠

(١) التكملة من الروض الأكتف ج ١ ص ٢٥٠ المسجل الذي نقل عنه المؤلف .

(٢) من الآية الثانية والخمسين من سورة آل عمران .

(٣) سورة يوسف آية ٩٢ .

(٤) لم تتبين حقيقة هذا الاسم في معجمات رولة الحديث ولله ابن قبيصة ، وهو إصباح بن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي ،

مصدق روى عن أبيه وكعب الأحبار وروى عنه برد بن سنان وحنان بن عطاء بنى إلى حنود المشرين ومائة ، عن خلاصة الخزرجي ص ٢٥ .

قصة يوسف عليه السلام بِأَسْفَ يَنَالُهُ . قال ابن دحية : فإن كان يوسف النبي فالعاقبة حميدة والآخرة خَيْرٌ مِنَ الْأُولَى .

وبما اتفق في غزوة أحد من المناسبة شيوع قتل المصطفى فناسب ما حصل للمسلمين من الأسف على فقد نبيهم ما حصل ليعقوب من الأسف على يوسف لاعتقاده أنه فُقد إلى أن وَجَدَ رِيحَهُ بعد تطاول الأمد . ومن المناسب أيضا بين القصتين أن يوسف كِيدَ وأُلْقِيَ في غيابة الجُبِّ حتى أنقذه الله تعالى على يد من شاء . قال ابن إسحاق : وَكُتِبَتْ الحجارة على جبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش حتى سقط لجنبه في حُفْرَةِ كان أبو عامر الفاسق قد حَفَرَهَا مَكِيدَةً للمسلمين ، فَأَخَذَهُ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ بيدرسول الله صلى الله عليه وسلم واحتضنه طلحة حتى قام .

قال السهيلي : « ثم لقاؤه لإدريس عليه السلام في السماء الرابعة وهو المكان الذي سَمَّاهُ اللَّهُ (مَكَانًا عَلِيًّا)^(١) » وإدريس أول من آتاه الله الخط بالقلم فكان ذلك مُؤْذِنًا بحال رابعة وهي علو شأنه عليه السلام حتى خافه الملوك وكتب إليهم يدعهم إلى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عند مَلِكِ الروم حين جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ورأى ما رأى من خوف هِرَقْل : لقد أَمَرَ^(٢) أمرُ ابن أبي كبشة حتى أصبح يخافه مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ ، [وكتب عنه بالقلم إلى جميع ملوك الأرض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي وملك عمان ، ومنهم من هادنَه وأهدى إليه وأتخذه كَهْرَقْلَ والمقوقس ، ومنهم من تَعَصَّى عليه فأظهره الله عليه ، فهذا مَقَامٌ عَلِيٌّ وخط بالقلم كنحو ما أوتى إدريس عليه السلام .]^(٣)

« ولقاؤه في السماء الخامسة هارون المُحَبَّب في قومه يُؤْذِنُ بِحُبِّ قريش وجميع العرب له بعد بُنْيُسِهِمْ فيه » . وقال ابن أبي جَمْرَةَ : إِنَّمَا كان هارون في الخامسة لقربه من أخيه موسى ، وكان موسى أرفع منه بفضل كلام الله تعالى . وقال ابن دحية ما نال هارون من بني إسرائيل من الأذى ثم الانتصار عليهم والإيقاع بهم وقصر التوبة فيهم على القتل دون غيره من العقوبات المُتَحَفَّةُ عنه ، وذلك أَنَّ هارون عندما تركه موسى في بني إسرائيل

(١) من الآية ٥٧ من سورة مريم .

(٢) أمر الأمر أي اشتد .

(٣) ما بين متقين تكله لما نقله المؤلف عن السهيلي (الروض الأنف ج ١ ص ٢٥٠) .

وذهب لموعد المناجاة تَفَرَّقُوا على هارون وَتَحَزَّبُوا عليه وداروا حول قتله ونقضوا العهد وأخلفوا الموعد واستضعفوا جانبيه كما حكى الله تعالى ذلك عنهم وكانت الجنائية العظمى التي صدرت منهم عبادة العجل فلم يقبل الله تعالى منهم التوبة إلا بالقتل فقتل في ساعة واحدة سبعون ألفاً كان نظير ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم ما لقيه في السنة الخامسة من الهجرة من يهود قُرَيْظَةَ والنضير وَقَيْنَقَاع ، فإِذَاهم نقضوا العهد وَحَزَّبُوا الْأَحْزَابَ وجمعوها وحشدوا وحشروا وأظهروا عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله . وذهب إليهم قبل الواقعة بزمان يسير يستعينهم في دية قَتِيلَيْن فأظهروا إكرامه وأجلسوه تحت جدار ثم تواعدوا أَنْ يَلْقَوْا عليه رَجِي ، فنزل جبريل فأخبره بمكرهم الذي همُّوا به . فمن حينئذ عزم على حربهم وقتلهم ، وفعل الله تعالى ذلك ، وقتل قُرَيْظَةَ بتحكيمة سعد بن مُعَاذ ، فَقَتَلُوا شَرَّ قَتْلَةٍ وَحَاقَ الْمَكْرُ النَّيْمُ بِأَهْلِهِ . ونظير استضعاف اليهود لهارون استضعافهم المسلمين في غزوة الخندق كما سيأتي بَسْطُ ذلك .

ولقاؤه في الماء السادسة لموسى يُؤَذِّن بحالة تشبه حالة موسى / حين أمر بغزو الشام ، ٣٧٠ ظ
فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها وأدخل بنى إسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم ، وكذلك غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك من أرض الشام وظهر على صاحب دومة^(١) حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيراً ، وافتتح مكة ودخل أصحابه البلد الذي خرجوا منه .

وقال ابن دحية : « يُؤَذِّن لقاؤه في السادسة بمعالجة قومه فإن موسى ابتلي بمعالجة بنى إسرائيل والصبر على آذامهم ، وما عالجه المصطفى في السنة السادسة لم يُعالج قبله ولا بعده مثله ، ففي هذه السنة افتتح خيبر وقدك وجميع حصون اليهود وكتب الله عليهم الجلاء وضرهم بسوط البلاء وعالج النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السنة كما عالج موسى من قومه ، أراد أن يقيم الشريعة في الأرض المقدسة وحمل قومه على ذلك فتقاعدوا عنه وقالوا :

(١) هي دومة الجندل بضم أوله وأنكر ابن دريد الفتح وقطع بين الشام والمدنية قرب جبل طيه وميت دومة الجندل لأن حصنها مبنى بالجندل . وفي السنة التاسعة من الهجرة بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد لفتحها فزاعها وأسر صاحبها أكيدر الذي عاد به أسيراً إلى المدينة فأسلم وكتب له النبي كتاباً له ولأهل دومة . هذا وخدمة الجندل هي غير دومة الحيرة . انظر سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٨١ و ١٨٢ و فتوح البلدان للبلاذري طبعة القاهرة سنة ١٩٠١ م ص ٦٨ : ٧٠ ومجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ١٠٦ : ١٠٩ وتاريخ الطبري طبعة القاهرة سنة ١٢٢٦ هـ ج ٣ ص ١٤٦ : ١٤٧ .

إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها أبداً حتى يخرجوا منها . وفي الآخر سَجَلُوا بالقنوط فقالوا : إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، فغَضِبَ اللهُ عليهم وحَالَ بينهم وبينها ، وأوقعهم في التيه . وكذلك أراد النبي صلى الله عليه وسلم في السنة السادسة أن يدخل بمن معه مكة يُقيم بها شريعة الله وسُنَّةَ إبراهيم ، فصلَّوه فلم يدخلها في هذا العام ، فكان لقاءه لموسى تنبيهاً على النَّاسِ به وجميل الأثر في السنة القابلة .

ثم لقاءه في السماء السابعة لإبراهيم عليه السلام [لحكمتين : إحداهما أنه رآه ^(١)] عند البيت المعمور مُسْتَبِداً ظَهَرَهُ إِلَيْهِ . والبيت المعمور حيال الكعبة وإليه تحج الملائكة ، كما أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة وأُذِّن في الناس بالحج إليها [والحكمة الثانية أن ^(٢)] آخر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم حجه إلى البيت الحرام وحج معه في ذلك العام نحو من سبعين ألفاً [من المسلمين ^(٣)] . ورؤية إبراهيم عند أهل التأويل تُؤذَن بالحج لأنه الداعي إليه والرافع لقواعد [الكعبة المحجوجة ^(٤)] .

وقال ابن جرّمة : « وإنما كان إبراهيم في السماء السابعة لأنه الأب الأخير ، فناسب أن يتجدد للنبي صلى الله عليه وسلم بقاءه أنس لتوجهه بعده إلى عالم آخر ، وأيضاً فمنزلة الخليل تقتضي أرفع المنازل ، ومنزلة الحبيب أرفع من منزلته فلذلك ارتفع النبي صلى الله عليه وسلم عن منزلة إبراهيم إلى قاب قوسين أو أدنى » .

وقال ابن دحية : « مناسبة لقائه إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر عُمرة القضاء في السنة السابعة . من الهجرة ، ودخل مكة وأصحابه مُلَبَّين مُتَعَمِّرِينَ مُخْبِئاً لِسُنَّةِ إبراهيم ومُثَمِّلاً لرسمه الذي كانت الجاهلية أمانت ذِكْرَهُ وبُكِّلَتْ أَمْرُهُ . وفي بعض الطرق أنه رأى إبراهيم مُسْتَبِداً ظهره إلى البيت المعمور في السماء السابعة ، وذلك - والله تعالى أعلم - إشارة إلى أنه يطوف بالكعبة في السنة السابعة وهي أول دخلة دخل [فيها] مكة بعد الهجرة . والكعبة في الأرض قبالة البيت المعمور . وفي قوله صلى الله عليه وسلم في وصف البيت المعمور : « فإذا هو يدخله كل يوم سبعون / ألفاً »

٣٧١

(١) زيادة من السجل ، الذي نقل عنه المؤلف (الروض الأنف ج ١ ص ٢٥١) .

لا يرجعون إليه إلى آخر الدهر إشارة إلى أنه إذا دخل البيت الحرام لا يرجع إليه لأنه لم يخله بعد المعجزة الا عام الفتح ولم يعاوده في حجة الوداع .

التنبية الخمسون : فإن قيل كيف أمّ الأنبياء في بيت المقدس وسلم عليهم وعرفهم ثم سأل عنهم ثم يراهم تلك الليلة في السموات ويسأل عنهم جبريل ؟ فإنه لو رآهم وعرفهم لما احتاج إلى سؤال جبريل عنهم . والجواب أنه لما اجتمع بهم ببيت المقدس وأمهم على الهيئة البشرية تحقق وجودهم في الأرض ، ثم لما وصل إلى الملكوت العلوى لم يجدهم على تلك الحالة التي شاهدتهم عليها ، وإنما هم على صفات روحانية يُشكّل الله تعالى لهم أشكالاً لا تفتق بالملكوت العلوى تأنيساً لهم بأصْلهم البشرى وتكريماً لهم وتعظيماً للقُدرة الإلهية حيث شاهدتهم تلك الساعة في الأرض ثم رآهم في منازلهم في السماء ، فلذلك سأل عنهم استنباطاً لا تعجباً ، فإنه عالمٌ أن الله تعالى الذى أصعده إلى هذا المكان في لحظة قادرٌ على نقلهم إلى السموات في أسرع من طرفة عين سبحانه وتعالى .

التنبية الحادى والخمسون : واستشكّل رؤية الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في السموات مع أن أجسادهم مستقرة في قبورهم في الأرض . وأجيب بأن أرواحهم تشكلت بصور أجسادهم ، أو أُخْضِرَتْ أجسادهم لملاقاة النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة تشریفاً وتكريماً ويؤيده حديث عبد الرحمن بن هاشم عند البيهقي وغيره : « وَبُعِثَ لَهُ آدَمُ فَمِنْ دُونِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ » .

وقال ابن أبي جمرة : « رُئِيَتْهُ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ يَحْتَمِلُ وَجْهًا : الأول : أن يكون عليه السلام عاين كل واحد منهم في قبره في الأرض على الصورة التي أخبر بها عن الموضع الذى عاينه فيه فيكون الله عز وجل قد أعطاه من القوة في البصر والبصيرة ما أدرك به ذلك . ويشهد لهذا الوجه قوله صلى الله عليه وسلم : « رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فِي عُرْضِ الْحَاطِطِ » . وهو مُحْتَمَلٌ : لوجهين أحدهما : أن يكون صلى الله عليه وسلم رآهما من ذلك الموضع كما يقال رَأَيْتُ الْهَلَالَ مِنْ مَنْزِلِي مِنَ الطَّاقِ والمراد من موضع الطاق ، الثانى : أن يكون مثّل له صورتهما في عُرْضِ الْحَاطِطِ ، والقُدرةُ صالحةٌ لكليهما . الثانى : أن يكون صلى الله عليه وسلم عاين أرواحهم هناك في صورهم . الثالث : أن يكون الله عز وجل لما أراد الإسراء بنبيينا رفعهم من

قبورهم لتلك المواضع إكراماً لنبيه عليه السلام وتعظيماً له حتى يحصل له من قبلكم ما أشرنا إليه من الأُنس والبشارة وغير ذلك مما لم نُشير إليه ولا نعلمه نحن ، ولإظهاراً له عليه الصلاة والسلام القدرة التي لا يغلها شيء ولا تعجز عن شيء وكل هذه الأوجه ^(١) مُحتملة ولا ترجيح لأحدها على الآخر لأن القدرة صالحة لكلها .

وقال ابن القيم في كتاب الروح ^(٢) « الأرواح قسمان : أرواح مُعلَّبة وأرواح مُنعمّة ، فالمُعلَّبة في شُغل بما هي فيه / من العذاب عن التزاور والتلاقي . والأرواح المُنعمّة المرسلّة غير المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا ، فتكون كل روح معها رفيقها الذي هو على مثل عملها . وروح نبينا صلى الله عليه وسلم في الرفيق الأعلى . قال تعالى : (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ^(٣)) وهذه المِيعَة ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء والمرد مع من أحبّ .

٣٧١ ظ

ثم ذكر حديث أبي هريرة : « لما أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم لقى إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا أمر الساعة » . الحديث . قال : فهذا نصّ في تذاكر الأرواح العلم ، وقد أخبر الله تعالى عن الشهداء أنهم أحياء عند ربهم يرزقون وأنهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل وهذا يدل على تلاقيهم من ثلاثة أوجه : أحدها : أنهم أحياء عند الله وإذا كانوا أحياء عند الله فهم يتلاهمون . الثاني : أنهم إنما يستبشرون بإخوانهم لقولهم عليهم ولقاؤهم لهم . الثالث : أن لفظ يستبشرون يُفيد في اللغة أنهم يُبشّر بعضهم بعضاً مثل يتبشرون وقد تواترت المراتي ^(٤) بذلك فذكر عدة منامات . ثم قال : وقد جاءت سنة صريحة بتلاقى الأرواح وتعارفها . قال ابن أبي الدنيا ^(٥) : حدثني محمد بن عبد الله

(١) ذهب الزرقاني إلى أنه : « بقی احتمال رابع جزم به أبو الوفاء بن عقيل وهو أن أرواح هؤلاء الأنبياء مستقرة في الأماكن التي رآهم المصطفى فيها متشكلة بصورة أجسادهم لكنه إنما يظهر في الذين رآهم في السموات لا في بيت المقدس » (شرح المواهب ج ٦ ص ٧٢) .

(٢) نشر كتاب الروح لابن قيم الجوزية في حيدر اباد سنة ١٣٥٧ هـ .

(٣) سورة النساء آية ٦٩ .

(٤) المرأى المنظر وجسمها مرأى ويقصد بها الرؤى المتنامية .

(٥) هو عبد الله بن محمد بن حميد بن سفيان الأموي مولاهم أبو بكر بن أبي الدنيا البغدادي الحافظ صاحب التصانيف مع خلفه بن هشام وخالد بن غداش وأبا نصر التمار وغيرهم وقال ابن أبي حاتم صفوق ، توفي سنة ٢٨١ هـ انظر تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢٢٤ و٢٢٥ وخلاصة الخزرجي ١٨٠ .

ابن بَرِيغ - بفتح الموحدة وكسر الزاي والغين المعجمة - أنبأنا الفضيل بن سليمان التميمي حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن أبي أنيسة عن جده قال : لما مات بشر بن البراء بن معرور - بمهمات - وجدت أم بشر عليه وجداً شديداً ، فقال : يا رسول الله إنه لا يزال الهالك يهلك من بنى سكرمة - أي بكسر اللام - فهل يتعارف الموتى فأُمريل إلى بشر السلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم والذي نفسي بيده يا أم بشر ، إنهم ليتعارفون كما يتعارف الطير في رؤوس الشجر » .

وذكر الحديث وآثاراً تؤيد ذلك ، ثم قال : « والروح ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتخرج وتذهب وتجيء ، وتحرك وتسكن ، وعلى هذا أكثر من مائة دليل قد ذكرناها في كتابنا : معرفة الروح والنفس ، وبيننا بطلان ما خالف هذا القول من وجوه كثيرة ، وأن من قال غيرَه لم يعرف نفسه وقد وصفها الله تعالى بالدخول والخروج ، والقبض والتوفى والرجوع ، وصعودها السماء وفتح أبوابها وغلقها عنها ، وقد ذكرت آيات وأحاديث كثيرة تشهد بما قاله » .

ثم قال : « وأما إخباره صلى الله عليه وسلم عن رؤية الأنبياء ليلة الإسراء به ، فقد زعم بعض أهل الحديث أن الذي رآه أشباحهم وأرواحهم . قال : فإنهم أحياء عند ربهم يُرْزَقُونَ . وقد رأى المصطفى إبراهيم مُسْتِنْداً ظَهَرَ إلى البيت المعمور ورأى موسى قائماً في قبره يصلي ، وقد نعت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لما رآهم بنعت الأشباح » .

ونازعهم آخرون وقالوا : هذه الرواية إنما هي لأرواحهم دون أجسادهم ، والأجساد في الأرض قطعاً وإنما تُبعث يوم تبعث الأجساد ، ولا تُبعث قبل / ذلك ، إذ لو بُعثت قبل ذلك لكانت قد انشقت عنهم الأرض قبل يوم القيامة ، وكانت تلوق الموت عند نفخة الصور ، وهذه مorte ثالثة وهذا باطل قطعاً ، ولو كانت قد بُعثت الأجساد من القبور لم يُعدهم الله تعالى إليها ، بل كانت في الجنة وقد صَحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله إن الله تعالى حَرَّمَ الجنة على الأنبياء حتى يدخلها [هو] ، فهو أول من يَسْتَفْتَح باب الجنة ، وأول من تَنَشَّقُ عنه الأرض على الإطلاق ، ولم تنشق عن أحد قبله ، ومعلوم بالضرورة أن جسده صلى الله عليه وسلم في الأرض طرى .

وقد سأله أصحابه : كيف تُعرض عليك صلاتنا وقد بليت ؟ فقال : « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »^(١) ولو لم يكن جسده في ضريحه [طرياً] لما أجاب بهذا الجواب. وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى وكل بقبره ملائكة يُبلغونه عن أمتة السلام ، وصح عنه صلى الله عليه وسلم لما خرج بين أبي بكر وعمر قال : « هكذا نُبعث » .

هذا مع القطع بأن روحه الكريمة في الرفيق الأعلى في أعلى عليين مع أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم . وقد صح أنه رأى موسى عليه السلام قائماً يصلي في قبره ليلة الإسراء ورآه في السماء السادسة أو السابعة ، فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر وإشراق عليه وتعلق به بحيث تصلي في قبره وترد سلام من سلم عليه وهو في الرفيق الأعلى .

ولا تنافي بين الأمرين فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان ، فأنت تجد الروحين المتلاصقتين المتناسبتين في غاية التجاور والقرب وإن كان بين بدنيهما غاية البعد ، وتجد الروحين المتنافرتين المتباغضتين في غاية البعد وإن كان جسدهما متجاورتين متلاصقتين ، وليس نزول الروح وصعودها ، وقربها وبُعدها من جنس ما للبدن فهي تصعد إلى فوق سبع سموات ثم تهبط إلى الأرض ما بين قبضها ووضع الميت في قبره ، وهو زمن يسير لا يصعد البدن وينزل في مثله ، وكذلك صعودها وعودها إلى البدن في النوم واليقظة.^(٢) وقد مثلها بعضهم بالشمس في السماء وشعاعها في الأرض .

(١) رواه أبو داود وابن ماجه عن أوس رقه ، وروى الزبير بن بكار عن مرسل الحسن : « من كلمه روح القدس لم تأكل الأرض لحمة » . وروى البيهقي عن أبي العالية : « أن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع . وجاء في شرح الزرقاني على المواهب ج ٥ ص ٣٣٠ : قال الشيخ أبو الحسن المالكي في شرح الترغيب : « وحكمة عدم أكل الأرض أجساد الأنبياء ومن ألحق بهم أن التراب يمر على الجسد فيظهره والأنبياء لا ذنب لهم فلم يحتاج إلى تطهيره بالتراب » .

(٢) نقض ابن حجر والقسطلاني في فتح الباري وفي المواهب ما ذهب إليه ابن القيم في كتابه الروح في ترجيحه أن رؤيته صلى الله عليه وسلم للأنبياء أنها لأرواحهم فقط على اعتبار أن الأجساد في الأرض إنما تبعث يوم القيامة ولو بعثت قبل ذلك لكانت انشقت عنهم الأرض قبلها وكانت تلوق الموت عند نفخ الصور وهذه موقرة ثالثة وبأنها لو بعثت الأجساد لم تعد إلى القبور بل كانت في الجنة مع أنها محرمة على الأنبياء حتى يدخلها نبينا فهو أول من يفتح باب الجنة ولا تنشق الأرض عن أحد قبله . وهذا في نظرها باطل قطعاً لأنه إنما يصح لو كانت أرواح هؤلاء الأنبياء مفارقة لأجسادهم في قبورهم وليس كذلك . بل هم أحياء في قبورهم بحياة حقيقية يأكلون ويشربون ويخرجون من قبورهم ويجمعهم لها ليس الخروج المتعقبي لبث فلا يمد بذلك مفارقة الجسد والتي يمد به مفارقة هو ما يحدث بحيث لا يمد إليه بل يقوم للقيامة وبهذا سقط كلامه : انظر الزرقاني على المواهب ج ٦ ص ٧٣ .

قال^(١) شيخنا - يعني أبا العباس الحرّاني^(٢) : وليس هذا مثلاً مطابقاً فإن نفس الشمس لا تزول من السماء والشعاع الذي على الأرض لا هو الشمس ولا صفتها بل عَرَض حصل بسبب الشمس والجِرم المقابل لها ، والروح نفسها تصعد وتنزل وبَسَطَ الكلام على ذلك ولهذا مزيد بيان في باب حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره .

التنبيه الثاني والخمسون : في الكلام على البيت المعمور : قال أبو عبيدة : معنى المعمور الكثير الغاشية ويسمى الضُّرَّاح - بضم الضاد المعجمة - ويقال المهلة^(٣) . قال الزمخشري^(٤) في ربيع الأبرار وهو غلط ضُّرَّاح ، وبالضُّرَّاح تُسمَّى الملائكة ، وُسِّى به لأنه ضَرَح عن الأرض أى بَعْدَ^(٥) قال مجاهد : « البيت المعمور وهو الضريح » يعني بالمعجمة وهو في اللغة : البعيد ، وأكثر الروايات على أنه في السماء السابعة .

وروى ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة » . ورواه الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً أيضاً . وروى إسحق بن راهويه عن علي رضي الله عنه أنه سئل عن البيت المعمور ، قال : « بيت الله في السماء السابعة بحيال البيت ، وحرُمته كحرمة هذا في الأرض ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه » .

وفي حديث أبي هريرة عند ابن مَرَدَوِيَه والعُقَيْلِي وأبن أبي حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « في السماء [السابعة] بيت يقال له البيت المعمور وفي السماء الرابعة نهر

(١) القائل هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

(٢) شيخ ابن القيم هو العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني المعروف بابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ .

(٣) جاء في النهاية (ج ٣ ص ١٦) الضُّرَّاح بيت في السماء حيال النكية ويروى الضريح وهو البيت المعمور من المصاحفة وهي المقابلة والمضاربة وقد جاء ذكره في حديث علي ومجاهد ومن رواه بالصاد لقد صحت .
(٤) ذهب إلى دغل هذا الزمخشري في كتابه الفائق في غريب الحديث (ج ٢ ص ٥٩ القاهرة سنة ١٩٤٧ م) وأضاف :

يقال ضارح صابحك في رأيه ولوحه ، بمعنى المضاربة والمقابلة . ثم قال : وسألت عنه بعض المصنفين ل تفسير القرآن وأبأ حدث فطلق بلائى وزعم أنه بالصاد حتى رويت له بيت المعرى :

وقد بلغ الضُّرَّاح وساكنته تلك وزار من سكن الضُّرَّاح

وأرته كيف قصد أبو العلاء الجميع بين الضُّرَّاح والضريح لينسج ، فسكن ذلك من جاحه .

(٥) . في تاج العروس : ضربه كمنه ذفيع ونحاء وفي اللسان الضرح أن يؤخَّر فيه فيرى به في ناجية وعبارة الصباح والإساس والمان تفيده أن الضرح هو الدفيع مطلقاً ، وفي المعجم الرسيط : ضرح الشيء دفعه وأبله لاجبة .

يقال له الحيوان ، يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انفضاضاً فيخرّ عنه سبعون ألف قطرة ، يخلق الله من كل قطرة ملكاً يؤمّرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلّون فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبداً ، ويؤيّل عليهم أحدهم ثم يؤمّر أن يقف بهم في السماء موقفاً يسبّحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة . وإسناده ضعيف^(١) . والصحيح أنه ليس بموضوع كما بيّنته في : « الفوائد المجموعة في بيان الأحاديث الموضوعة »^(٢) .

وروى أبو الشيخ^(٣) من طريق الليث قال : حدثني خالد بن سعيد قال : « بلغني أن إسرئيل مؤدّن أهل السماء يسمع تأذينه من السموات السبع ومن في الأرض ، إلا الجن والإنس ، ثم يتقدم عظيم الملائكة فيصلّي بهم » ، قال : « وبلغنا أن ميكائيل يؤم الملائكة بالبيت المعمور » . واستدلّ بهذه الأحاديث على أن الملائكة أكثر المخلوقات ، لأنّه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدّد من جنسه في كل يوم سبعون ألفاً غير ما ثبت في هذه الأحاديث^(٤) .

التنبيه الثالث والخمسون : قوله : « فرُفِعَ إلى البيت المعمور » ، معناه أنه أرى له . وقد يحتمل أن يكون المراد الرفع والرؤية معاً ، لأنّه قد يكون بينه وبين البيت عوالم حتى لا يقدر على إدراكه ، فرُفِعَ إليه وأُمِدَّ في بصره وبصيرته حتى رآه ، ويحتمل أن تكون

(١) جزم بضعف هذا الإسناد ابن حجر في فتح الباري وذلك في شرحه لحديث بدء الخلق ، وقال الزرقاني : ورواه أيضاً ابن المنذر بدون ذكر النهر من طريق مصيبة عن أبي هريرة لكن موقوفاً . لكن حكم هذا الحديث الرفع إذ لا يقال رأياً ، فاحتشد بضعف طريق رفعه . ولذا قال الشامي - أي مؤلف هذا الكتاب - : « الصواب أنه ليس بموضوع كما زعم بعضهم » . انظر شرح المواهب ج ٦ ص ٨١ .

(٢) الشيخ الشامي وهو جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ كتاب يتناول هذا الموضوع من الأحاديث اسمه : « اللآلئ المنيرة في الأحاديث الموضوعة » طبع في القاهرة طبعة ثانية في مجلدين في سنة ١٣٥٢ هـ .

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري - وسكان بفتح الحاء المهمل والمثناة التحتية الثقيلة - ويعرف بأبي الشيخ . وهو حافظ أسهبان وسننه زمانه كتب المال والنال والقبول والكبار وقال ابن مردويه ثقة مأمون صنف الطعير والكتب العكبرية في الأحكام ومن كتبه التي يغور إليها المؤلف أكثر من مرة كتاب الطغمة ، ترجم له الذهبي في تلخيصه (ج ٣ ص ١٤٧) حيث جعله من حفاظ الطبقة الثانية وعرفه من أبي نعم قوله بأنه تولى سنة ٣٩٩ هـ .

(٤) بما يوضح ما ذهب إليه المؤلف من كثرة عدد الملائكة قول التستلطي : « إنه ليس في السماء ولا في الأرض موضع شبر إلا وملك وأصح جهته هناك ساجداً » .

وفي فتح الباري استدلل على أن الملائكة أكثر المخلوقات لأنه لا يعرف في جميع العوالم من يتجدّد من جنسه في كل يوم سبعون ألفاً غير الملائكة . انظر شرح الزرقاني على المواهب ج ٦ ص ٨٠ و ٨١ :

تلك العوالم التي كانت بينه وبين البيت المعمور أُزيلت حتى أدركه بَصَرُهُ . وقد يحتمل أن يكون العالم بقي على حاله والبيت على حاله ، وأُمِدَّ في بَصَرِهِ وبصيرته حتى أدركه وعائنه ، والقدرة صالحة للكُلِّ ، يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « رُفِعَ إِلَى بَيْتِ الْقُدْسِ عَلَى مَا سَيَأْتِي فِيهِ » ، والتأويل فيه كالتأويل في البيت المعمور .

وأكثر الروايات : « رُفِعَتْ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى » ، بضم الراء وسكون العين وضم التاء من « رفعت » ، وَبَعْدَهُ حَرْفُ الْجَرِّ . ول بعضهم « وَرُفِعَتْ » بفتح العين وسكون التاء ، أى « السدرة لى » باللام أى من أجلى ، وَيُجْمَعُ بَيْنَ الرَّوَايَتَيْنِ بِأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ رُفِعَ إِلَيْهَا أَيْ ارْتَفَعَتْ بِهَا فَظَهَرَتْ لَهُ وَالرُّفْعُ إِلَى الشَّيْءِ يُطْلَقُ عَلَى التَّقْرِيبِ مِنْهُ .

التنبيه الرابع والخمسون : / وَجَّهٌ مُنَاسِبَةٌ الْمَرَاكِجِ الثَّامِنِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى لما اشتملت عليه السنة الثامنة من الهجرة . إن السنة الثامنة اشتملت على فتح مكة ، ومكة أُمُّ الْقُرَى وإليها المنتهى ومنها المبتدأ ، على ما ورد أن الأرض كلها دُجِيت^(١) من مكة ، فلذلك سُمِّيَتْ أُمُّ الْقُرَى ، أو هى أُمُّ الْقُرَى لِأَنَّ أَهْلَ الْقُرَى يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا حَجًّا وَعَامَرًا وَجَوَارًا وَكَنْبًا وَاتِّجَارًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتَّى الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ)^(٢) أى تقوم بأبدانهم وأديانهم . وقال تعالى (لِيَسْهَلُوا مَنَافِعَ لَهُمْ)^(٣) قيل هى الأجر والتجارات فى الموسم . فبين سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَأُمُّ الْقُرَى من المناسبة ما لا يَخْفَى ، لِإِذْ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى يَنْتَهَى إِلَيْهَا عِلْمُ الْخَلَائِقِ ، وَمَكَّةُ يَنْتَهَى إِلَيْهَا أَهْلُ الْأَفَاقِ شَرْقًا وَغَرْبًا وَفِيهَا يَكُونُ الْاجْتِمَاعُ . فكان بلوغه إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . تنبيهاً على بلوغه إِلَى فَتْحِ مَكَّةِ أُمِّ الْقُرَى فِي الْعَامِ الثَّامِنِ ، وَقَدْ غَشَى السِّدْرَةَ الْجَرَادُ وَالْفَرَاشُ وَالْغُرَبَانُ الَّذِي هُوَ جُنْدُ مِنْ جُنْدِ اللَّهِ كَمَا غَشَى مَكَّةَ فِي الْفَتْحِ جُنْدُ اللَّهِ وَجَزِيَّتُهُ وَغَشِيهَا أَيْضًا أَجْنَاسُ مِنَ الْخَلْقِ

(١) من دعا يدعى دحراً ، دعا بجنى يدعى روسه . وفى التنازل : « والأرض بعد ذلك دحاجا » أى بسطها ولعل صرحا . ومن أين حباس : خلق الله الكعبة وروىها على المساء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألف عام ثم دحيت الأرض من تحت البيت . انظر تفسير القرطبي ج ١٩ ص ٢٠٢ و ٢٠٣ .

(٢) سورة المائدة آية ٩٧ وقيل للناس الصلوات لم فى أمر دينهم ودنياهم ونهوا إلى أفراسهم ومقاصدهم فى معاشهم ومعادهم لما يمت لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم (الكشف ج ١ ص ٢٢٨) وعند القرطبي (ج ٦ ص ٢٢٥) . قيل للناس أى صلاحاً ومعاشاً لأن الناس بها وكل جذا يكون قِيَامًا يعنى يقومون بها أو يقومون بشرائتها .

(٣) سورة الحج آية ٢٨ .

وَالْأَوَّلُ مِنَ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ . وجاء اللفظان معا في الحديث ، كما غشى صدره المنتهى ألوان لا يعلمها إلا الله تعالى : فلما غشيت الألوان السُدْرَةَ حَسَنَتْ إِلَى أَنْ لَا يُحْسَنَ أَحَدٌ أَنْ يَنْعَثَهَا لِفَرْطِ الْحُسْنِ . كما أَنَّ أَلْوَانَ الْخَلْقِ لَمَّا غَشِيَتْ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ حَسَنَتْ حِينَئِذٍ بِالْإِيمَانِ وَبِأَهْلِ الْقُرْآنِ حَتَّى لَا يُحْسِنَ أَحَدٌ أَنْ يَصِفَ حَالَهَا حِينَئِذٍ مِنْ عَظَمِ الشَّانِ .
ثم كان ظهور الأنهار الأربعة حينئذ دليلاً على أَنَّ تلك الأمة ستبلغها وَيُحَقِّقُهُ أَيْضاً قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « زُوِيَتْ لِي الْأَرْضُ مِشَارِقُهَا وَمَغَارِبُهَا وَمَسِيلُهَا مُلْكُ أُمِّي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا » .

الزنبية الخامسة والخمسون : وقع في حديث ابن مسعود رضى الله عنه عند مسلم^(١) أَنَّ السُدْرَةَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ وَظَاهِرُ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهَا فِي السَّابِعَةِ ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ^(٢) : « وَهَذَا تَعَارُضٌ لِأَشْكَ فِيهِ » ، وَهُوَ الَّذِي يَقْتَضِيهِ وَصْفُهَا بِكَوْنِهَا الَّتِي يَنْتَهَى إِلَيْهَا عِلْمُ كُلِّ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ وَكُلِّ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ ، « وَيَتَرَجَّحُ حَدِيثُ أَنَسٍ بِأَنَّهُ مَرْفُوعٌ وَحَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ بِأَنَّهُ مَوْقُوفٌ » . قَالَ الْحَافِظُ : « كَذَا قَالَ وَلَمْ يَتَرَجَّحْ عَلَى الْجَمْعِ بَلْ جَزَمَ بِالتَّعَارُضِ وَلَا يَعَارِضُ قَوْلُهُ لَهَا فِي السَّادِسَةِ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ بِقِيَةِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ وَصَلَ إِلَيْهَا بَعْدَ أَنْ دَخَلَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ لِأَنَّهُ يُحْتَمَلُ عَلَى أَنَّ أَصْلَهَا فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ وَأَخْصَانَهَا وَفُرُوعَهَا فِي السَّابِعَةِ وَلَيْسَ فِي السَّادِسَةِ مِنْهَا إِلَّا أَصْلُ سَاقِهَا^(٣) » .

(١) لفظ هذا الحديث كما أخرجه مسلم : « لَمَّا أَسْرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : انْتَبَهَى إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ وَإِلَيْهَا يَنْتَهَى مَا يَمْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ فَيَقْبِضُ مِنْهَا وَإِلَيْهَا يَنْتَهَى مَا يَهْطُ مِنْ فَوْقِهَا فَيَقْبِضُ مِنْهَا » (صحيح مسلم يشرح النووي ٣ ص ٢) .

(٢) يقصد المؤلف هنا أبا العباس القرطبي أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري المالكي الفقيه المحدث المتوفى بالإسكندرية سنة ٦٥٦ هـ وليس صاحب التفسير واسمه أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ . وكان الأول شيئاً لثاني بدليل أَنَّ ابْنَ فَرَسَوْنَ فِي الدِّيْبَاجِ الْمَذْهَبِ مِنْ ٣١٧ قَالَ فِي تَرْجُمَتِهِ لِلْقُرْطُبِيِّ الْمُسَرِّفِ إِنَّهُ سَمِعَ مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيِّ جَانِبًا مِنْ شَرْحِ الْأَخِيرِ الْمَسْمُومِ بِالْمَقْهَمِ لَمَّا أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِيصِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ . وَيَبْدُو مِنْ سَبَاقِ شَرْحِ الزَّرْقَانِيِّ الْمَوَاطِئِ الْقَدِيمَةِ أَنَّهُ لَسِبَ كِتَابُ الْمَقْهَمِ لِلْقُرْطُبِيِّ الْمُسَرِّفِ لِأَنَّهُ بَعْدَ أَنْ أَوْرَدَ الْأَقْوَالَ التَّاسِعَةَ فِي سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى إِلَى ذِكْرِهَا الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (ج ١٧ ص ٩٥) وَلَفْظُهُ : « وَقَدْ أَطْلَبَ الْقُرْطُبِيُّ لِمِثْلِ الْقَوْلِ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ » قَالَ : كَمَا رَمَدَ فِي الْمَقْهَمِ ، فَالتَّحْقِيقُ : أَنَّهُ يَهْوِي إِلَى الْقُرْطُبِيِّ الْمُسَرِّفِ وَهَذَا خَطَأٌ . « فَالْزَّرْقَانِيُّ حَلَّ الْمَوَاطِئِ ج ٦ ص ٧٩ وَ ٧٧ (فَالْمَقْهَمِ لِلْفَيْحِ الْقُرْطُبِيِّ الْمُسَرِّفِ وَهُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ ، رَاجِعَ تَرْجُمَةَ الْقُرْطُبِيِّ الْمُسَرِّفِ فِي الدِّيْبَاجِ ص ٣١٧ وَ ٣١٨ وَتَرْجُمَةَ شَيْخِهِ فِي الدِّيْبَاجِ ص ٦٨ : ٧٠ غَيْرَ أَنَّ ابْنَ فَرَسَوْنَ أَخْطَأَ فِي تَارِيخِ مَوْلِدِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيِّ وَكَذَلِكَ فِي تَارِيخِ وَفَاتِهِ ، إِذْ قَالَ : بَلَّغَهُ وَفَاتَهُ سَنَةَ ٥٩٨ هـ وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ وَلَدَ سَنَةَ ٥٧٨ هـ وَذَلِكَ قَدْ طَرَبَ كَمَا قَالَ بَلَّغَهُ تَوَفَى سَنَةَ ٦٢٦ هـ وَالصَّوَابُ سَنَةَ ٦٥٦ هـ ، رَاجِعَ تَرْجُمَةَ أَبِي الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيِّ فِي نَفْحِ الْعُطْبِ لِلْمَقْرِي طَبْعُ بُولَاقِ سَنَةِ ١٢٧٩ هـ ج ٢ ص ٦٤٢ .

(٣) هذا نص عبارة ابن حجر في فتح الباري وَقَدْ نَقَلَهَا عَنْهُ الْقَسْطَلَانِيُّ فِي الْمَوَاطِئِ

التنبيه السادس والخمسون : قال ابن أبي جَمْرَةَ : « والأظهر أن شجرة المنتهى مفروسة بأرض بدليل قوله : « ونهران باطنان » ولا يُطلق هذا اللفظ وما أشبهه إلا على ما يُفهم ، والباطن لابد أن يكون سريانه تحت شيء ، وخينثذ يُطلق عليه اسم الباطن ^(١) . / ٣٧٣ ظ

التنبيه السابع والخمسون : قال القاضي رحمه الله : ذلَّ الحديث على أن أصل سيثرة المنتهى في الأرض لكونه قال : « إن النيل والفرات يخرجان من أصلها » ، وهما بالشاهدة يخرجان من الأرض ، فيلزم فيه أن يكون أصل السدرة في الأرض . وتعبه النووي بأن المراد بكونهما يخرجان من أصلها غير خروجهما بالنبع من الأرض ، والحاصل أن أصلهما من الجنة وهما يخرجان أولاً من أصل السدرة إلى أن يستقرا في الأرض ثم ينبعان .

التنبيه الثامن والخمسون : قال ابن أبي جَمْرَةَ رحمه الله : قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم : « في أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران » ، هذا اللفظ يُحتمل أن يكون على الحقيقة ، ويُحتمل أن يكون من باب تسمية الشيء بما قاربه ، فإنه كان على الحقيقة فتكون هذه الأنهار تنبع من أصل الشجرة نفسها فتكون الشجرة طعمها نبق وأصلها ينبع منه الماء ، والقدرة لا تعجز عن هذا . وإن كان من باب تسمية الشيء بما قاربه فتكون الأنهار تنبع قريباً من أصل الشجرة .

التنبيه التاسع والخمسون : في قوله ^(٢) : « أما الباطنان فنهران في الجنة » ، دليل على أن الباطن أجل من الظاهر ، لأنه لما كان الباطنان أصلاً جُمِلَا في دار البقاء ، ولما كان الظاهران أقل أُخْرِجَا إلى دار الفناء ، ومن ثمَّ كان الاعتماد على ما في الباطن ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم ^(٣) » .

(١) جاء في المواهب : « وقال العارف ابن أبي جَمْرَةَ : وهل الشجرة مفروسة في شيء أم لا ؟ يحتمل الوجهين لأن القدرة صالحة لكلهما فكما جعل الله تعالى في هذه الدار الأرض مقراً للشجر كذلك جعل الهواء تلك مقراً وكما رجع صلى الله عليه وسلم معنى في الهواء ولأن بالقدرة استغرت الأرض مع أنها على الماء فلا مانع من أن تكون الشجرة في الهواء ويحتمل أن تكون مفروسة بأرض وأن تكون تلك الأرض من تراب الجنة والله قادر على ما يشاء . وقد استظهر ابن أبي جَمْرَةَ نفسه هذا الاحتمال لقوله : « ونهران باطنان ولا يطلق هذا اللفظ وما أشبهه إلا على ما يفهم والباطن لابد أن يكون سريانه تحت شيء » وخينثذ يُطلق عليه اسم الباطن .

(٢) أي في قول جبريل عليه السلام

(٣) تمامه في رواية أبي هريرة : « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » انظر الجامع الصغير - ص ٧٤ .

التنبيه الستون : في حديث أبي سعيد : « فإذا فيها - أى السماء السابعة - عَيْنٌ تجري يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران أحدهما نهر الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة . » ويمكن أن يُفسَّرَ بهما النهران الباطنان المذكوران في الحديث ، وكذا رُويَ عن مقاتل ، قال : « الباطنان السلسبيل والكوثر » .

التنبيه الحادى والستون : قال النووى في هذا الحديث : « إن أصل النيل والفرات من الجنة وأنها يخرجان من أصل سدرة المنتهى ثم يسيران حيث شاء الله تعالى ثم ينزلان إلى الأرض ثم يسيران فيها ثم يخرجان منها . وهذا لا يمنعه العقل وقد شهد به ظاهر الخبر فليُتَمَدَّ » .

٣٧٤ التنبيه الثانى والستون :/ استدل بهذا الحديث على فضيلة ماء النيل والفرات لِكُونِ منبعا من الجنة . وروى مسلم عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سيحان وجيحان والنيل والفرات من أنهار الجنة » . قال العلماء : والمراد به أن في الأرض أربعة أنهار أصلها من الجنة .: وحينئذ لم يثبت لسيحان وجيحان أنها ينبعان من أصل سدرة المنتهى ، فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك ، وأما الباطنان المذكوران في الحديث فهما غير سيحان وجيحان . قال القرطبي^(١) : « لعل ترك ذكرهما في حديث الإسراء لكونهما ليسا أصلاً برأسهما وإنما يحتمل أن يتفرعا من النيل والفرات » .

التنبيه الثالث والستون : قيل : إنما أُطلق على هذه الأنهار أنها من الجنة تشبيهاً لها بأنهار الجنة لما فيها من شدة العذوبة والحسن والبركة . قال القرطبي^(٢) : والأولى أنها من أنهار الجنة . وقال غيره : صورة انصبابها كأنصباب المطر متفرقاً ثم يجتمع في مواقعها في الأرض إلى أن ينماق كل منها إلى مستقره ومجراه . ويحتفل أن يكون انصبابها في نواحي الأرض الثانية المتصلة بماء هذه الأنهار فإنه لم يقف أحد على مباديها حتى الآن .

وروى أبو الشيخ في العظمة وأبو طاهر المخلص - هرؤن اسم الفاعل - بسند من طريق أبي صالح عبد الله بن صالح قال : حدثني الليث بن سعد قال : بلغني أنه كان رجل من بى

(١) وهو أبو البباس أحمد بن عمر القرطبي صاحب المجمع لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم

العيص يقال له حائد بن شالوم بن العيص بن إسحق بن إبراهيم عليهما السلام ؛ خرج هارباً من ملك من ملوكهم حتى دخل أرض مصر ، فأقام بها ، فلما رأى أعاجيب نيلها ، جعل لله عليه ألا يفارق ساحلها حتى يبلغ منتهاه ومن حيث يخرج أو يموت .

فسار عليه ، قبل ثلاثين سنة في الناس ، وثلاثين سنة في غير الناس ، وقيل خمس عشرة كذا وخمس عشرة كذا حتى انتهى إلى بحر أخضر ، فنظر إلى النيل ينشق مُقبلاً ، وإذا رجل قائم يصلي تحت شجرة تفاح ، فلما رآه استأنس به وسلم عليه ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا حائد بن شالوم بن العيص بن إسحق بن إبراهيم عليهما السلام فمن أنت ؟ قال : أنا عمران بن فلان بن العيص ، فما الذي جاء بك يا حائد ؟

قال : جئت من أجل هذا النيل وهل بلغك في الكعب أن أحداً من بني آدم يبلغه ولا أظنه غيرك قال كيف الطريق إليه ؟ قال : سير كما أنت على هذا البحر فإنك ستأتي دابةً تري آخرها ولا ترى أولها فلا يهولنك آخرها ، وهي معادية للشمس إذا طلعت أهوت إليها اثنتيهما وإذا غربت أهوت إليها كذلك ، فاركنها فذهب بك إلى جانب البحر ، فسير عليها فلما استبلغ أرضاً من حديد ، فإن جُرَّتْها وقعت في أرض من ذهب / فيها ينشئ ٣٧٤ ظ إليها علمُ النيل . فسار حتى انتهى إلى أرض من الذهب فسار فيها حتى انتهى إلى سور من ذهب ، وشرفة من ذهب وقبة من ذهب لها أربعة أبواب ، فنظر إلى ما ينحدر من فوق ذلك السور حتى يستقر في القبة ثم ينصرف في الأبواب الأربعة ، فأما الثلاثة فتفيض في الأرض وأما واحد فيسير على وجه الأرض وهو النيل^(١) .

فشرب منه واستراح وهو في السور ليصعد فاتاه ملك فقال له : يا حائد قف فإنه قد انتهى إليك علم هذا النيل ، وهذه الجنة ، وإنما ينزل من الجنة الغنبيه الرابع والستون : قال ابن أبي جمر في قول جبريل عليه السلام : أما الباطنان في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات ، دليل على أن النيل والفرات ليسا من الجنة

(١) هذه القصة لا تتجاوز في كشفها لمناخ النيل منطقة بلاد النوبة حيث الذهب والحديد وإيراد المؤلف لها يدل على أنه لم يطلع على مؤلفات الجغرافيين والرحالة العرب في القرنين الثالث والرابع الهجريين الذين أوردوا معلومات وفيرة من جري النيل جنوب بلاد النوبة .

لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن جبريل أخبره أن هذه الأنهار منبعها من سدرة المنتهى ،
 فيسير الباطنان إلى الجنة ، والنيل والفرات ينزلان إلى الدنيا ، وسدرة المنتهى ليست في
 الجنة حتى يقال إنها يخرجان منها بعدنبعهما من الجنة . وهذا مُعَارَضٌ لما رواه مسلم عن أبي هريرة
 من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سيجان وجيحان والنيل والفرات كُلٌّ من أنهار
 الجنة » . والجمع بينهما - والله تعالى أعلم - أن النيل والفرات منبعهما من سدرة المنتهى ،
 وإذا نزلا يسلكان أولاً [طريقاً]^(١) إلى الجنة فيدخلانها ثم ينزلان إلى الأرض .

التنبيه الخامس والستون : قال ابن أبي جمره : وردت الأخبار أن من شرب
 من ماء الجنة لا يموت ولا يفتنى وأنه ليس له فضلا تخرج على ما يُعْهَدُ في دار الدنيا خروجه
 وإنما خُرُوجُهُ رَشْحٌ سَلَكَ على البدن ، فجعل فيه هذه الخاصية العظيمة ، ثم لما شئت الحكمة
 نزوله إلى هذه الدار نُزِعَتْ منه تلك الخصوصية ، وبقي جوهره بحاله ، وكل الخواص
 مثله في هذا المعنى ، إن شاء الله عز وجل أبقي له الخاصية وإن شاء سلبها مع بقاء جوهره وليس
 للخواص تأثير بل الخاصية حَلَقُهُ والجوهر حَلَقُهُ وإنما القدرة هي المؤثرة [في كلها]^(٢)

التنبيه السادس والستون : قول ابن كثير : « المراد - والله أعلم - أن هذه الأنهار تشبه
 أنهار الجنة في صفاتها وعلويتها وجريانها من جنس تلك في هذه الصفات كما قال في
 حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « العجوة من الجنة »^(٣)
 أي تشبه ثمر الجنة لا أنها مجتناة من الجنة فإن الحس يشهد بخلافه . فيتعين أن يكون
 المراد غيره ، وكذلك أصل منابع هذه الأنهار مشاهدة من الأرض : « انتهى . وهو متعقب
 بآنه لا يلزم من كونها كذلك ألا تكون من الجنة ، لما قَدَمْنَا من / كيفية النزول . وقد
 جزم النووي^(٤) وغيره أنها من الجنة ، ولا يُشْكِلُ ذلك لأن في ماء الجنة خواص ليست
 في هذه الأنهار لما سبق في كلام ابن أبي جمره .

٣٧٥

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) إضافة من الزرقاني في شرحه على المواهب ص ٧٦ .

(٣) يروى أبو نعيم في الحلية : العجوة من فاكهة الجنة ، وروى الإمام أحمد في مسنده : العجوة من الجنة وهي
 شفاء من السم .

(٤) بلغ من تأكيد النووي لهذا المعنى أنه عد من المنكر التمسير بما يوحى إقبال شك في أن هذه الأنهار من الجنة فقد
 جاء في كتابه تهذيب الأسماء واللغات (ج ٢ من تهذيب اللغات ص ٧٨) رأيا قول ابن بطيئ : « يقال إنه من أنهار =

التنبية السابع والستون : وقع في رواية شريك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في السماء الدنيا نهرين يطردان فقال له جبريل : « هما النيل والفُرَات عُنُصْرُهُمَا » . وفي رواية غيره : « رآهما في السماء السابعة » . قال ابن دحية : والجمع بينهما أنه رأى هذين النهرين عند سِدْرَةِ المنتهى مع نَهْرَيِ الجنة ، ورآهما في السماء الدنيا دون نَهْرَيِ الجنة وأراد بالعُنُصْر عنصر انتشارهما .

التنبية الثامن والستون : روى أبو نعيم والضياف عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخلوداً في الأرض ، لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض » - الأخلود شق في الأرض مستطيل .

التنبية التاسع والستون : روى الحارث بن أبي أسامة في مُسنَّده والبيهقي في الشَّعْب عن كعب الأحبار قال : « إن نهر العسل نهر النيل ونهر اللبن نهر دجلة ونهر الخمر نهر الفُرَات ونهر الماء نهر سيحان » .

التنبية السبعون : قوله في السُّدْرَةِ : « يغشاها جرادٌ من ذهب » . قال البيضاوي : « ذِكْرُ الجراد والفُرَّاش وقع على سبيل التمثيل لأن من شأن الشجر أن يسقط عليه الجراد وشبهه ، وجعلها من ذهب لصفاء لونها وإضامتها في نفسها » . وقال الحافظ : « ويجوز جعلها من الذهب حقيقة » ، ويخلق الله فيها الطير ، والقدرة صالحة لذلك » . انتهى .

التنبية الحادي والسبعون : قوله : « ففقر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر » ، قال شيخ الإسلام تقي الدين السبكي ^(١) رحمه الله : « المراد تشريف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر ، أي لو كان له ذنوب لغفرت ولم يكن له ذنب البتة » . وحكى الشيخ رحمه الله في كتابه المُعَرَّر ، في الكلام على هذه الآية التي عشر قولاً ، ونقل عن السبكي فساد خمسة منها وبيَّن الشيخ فساد الباقي ، ثم قال : « وأما الأقوال المقبولة ففي الشفا / للقاضي ٣٧٥ ظ

= الجنة، فبارة تيسر من أجمع عبارات وأدكر المنكرات ، فإن هذه العبارة لا يقال . فبما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنها تقضى تشكك القائل في معناها فتسال الله التوفيق والمناجاة فقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن النيل والفُرَّات يفرجان من أصل سِدْرَةِ المنتهى » .

(١) هو علي بن عبد الكافي : السبكي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ترجم له ولده تاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧٢ هـ في كتابه : طبقات الشافعية الكبرى (ج ٦ ص ١٤٦ : ٢٢٧) .

قِيلَ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَمَرَ أَنْ يَقُولَ : (وَمَا أَذْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ^(١)) سُرَّ بِذَلِكَ الْكُفَّارُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ^(٢)) ، وَأَخْبَرَ بِمَالِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى بَعْدَهَا ، فَمَقْصِدُ الْآيَةِ أَنَّكَ مَغْفُورٌ لَكَ غَيْرُ مُوَآخَذٍ بِذَنْبٍ . وَهَذَا الْأَثَرُ رَوَاهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، بِدُونِ قَوْلِهِ وَأَخْبَرَ بِمَالِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى آخِرِهِ ، وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ نَحْوَهُ .

قال القاضي : قال بعضهم : المغفرة هنا تنزيه من العيوب ، وقال بعض المحققين : المغفرة هنا كناية عن العِصْمَةِ أَيْ قُعُصَتُ فَيَا تَقَدَّمَ مِنْ عُصْرِي وَفِيهَا تَأَخَّرَ مِنْهُ ، وَهَذَا الْقَوْلُ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ . وَقَدْ عَدَّ الْبُلْغَاءُ مِنْ أَسَالِيبِ الْبِلَاغَةِ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ يُكْنَى عَنْ التَّخْفِيفَاتِ بِالْفَتْحِ الْمَغْفِرَةِ وَالْعَفْوِ وَالتَّوْبَةِ ، كَقَوْلِهِ عِنْدَ نَسْخِ قِيَامِ اللَّيْلِ : (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَأْتَى عَلَيْهِ^(٣)) . وَعِنْدَ نَسْخِ تَقْدِيمِ الصَّدَقَةِ بَيْنَ يَدَيِ النَّجْوَى (فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ^(٤)) . وَعِنْدَ نَسْخِ تَحْرِيمِ الْجَمَاعِ لَيْلَةَ الصِّيَامِ : (فَتَابَ عَلَيْهِ^(٥)) وَعَفَا عَنْكُمْ فَلَا تَنْ بَاشِرُونَ^(٦)) .

ثم يُقَالُ عَنِ السَّبْكِ أَنَّهُ قَالَ : « قَدْ تَأَمَّلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ بِذِمَّتِي مَعَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا فَهِيَ جَدِيدَةٌ لَا تَحْتَمِلُ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا وَهُوَ تَشْرِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ ذَنْبٌ ، وَلَكِنَّهُ أُريدَ أَنْ تُسْتَوْعِبَ فِي الْآيَةِ جَمِيعُ أَنْوَاعِ النِّعَمِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ . وَجَمِيعُ النِّعَمِ الْأُخْرَوِيَّةِ شَيْثَانٌ : سَلْبِيَّةٌ وَهِيَ غُفْرَانُ الذُّنُوبِ ، وَثَبُوتِيَّةٌ وَهِيَ لَا تَنْهَاهِي . وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا يَقُولُهُ (وَيَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ^(٧)) وَجَمِيعُ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ شَيْثَانٌ : دُنْيَايَّةٌ أَشَارَ إِلَيْهَا يَقُولُهُ : (وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا^(٨)) وَدُنْيَوِيَّةٌ وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ بِهَا الدِّينَ وَهِيَ قَوْلُهُ

(١) سورة الأحقاف الآية التاسعة . وجاء في سبب نزول هذه الآية : قال عطاء عن ابن عباس أن اليهود شتموا بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما نزل قوله تعالى : « وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم » ، وقالوا : كيف تبع رجلا لا يدري ما يفعل به ؟ فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » (سورة الفتح آية ١ و ٢) . انظر أسباب النزول الواحدي طبعة القاهرة سنة ١٣١٥ ص ٢٨٥ .

ب (٢) سورة الفتح الآية ٢

(٣) سورة المزمل آية ٢٠

(٤) سورة المجادلة آية ١٣

(٥) سورة البقرة آية ١٨٧

(٦) سورة الفتح من الآية الثانية .

تعالى : (وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا^(١)) وقَدَّمَ الأُخْرَوِيَّةَ عَلَى الدُّنْيَوِيَّةِ تَقْدِيمًا لِلْأَهَمِّ ، فَانْتِظَمَ بِذَلِكَ تَعْظِيمُ قَدْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِتِّمَامِ أَنْوَاعِ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى الْمُتَفَرِّقَةِ فِي غَيْرِهِ .
وَيَبْعَدُ أَنْ وَقَفْتُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى رَأَيْتُ ابْنَ عَطِيَّةٍ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ فَقَالَ : « وَإِنَّمَا الْمَعْنَى تَشْرِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْحُكْمِ ، وَلَمْ تَكُنْ ذُنُوبًا الْبَقِيَّةَ » . وَقَدْ وَفَّقَ فِيهَا قَالَهُ .

التنبيه الثاني والسبعون : قوله : « ثُمَّ أَخَذَ عَلَى الْكُوْثَرِ حَتَّى دَخَلَ الْجَنَّةَ » . قَالَ الشَّيْخُ عَزَّ الدِّينُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ^(٢) فِي تَفْسِيرِهِ : « هَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ السُّلْطَةَ لَيْسَتْ فِي الْجَنَّةِ » . وَجَزَمَ بِهِ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ . وَقَالَ ابْنُ دَحِيَّةٍ : « ثُمَّ هُنَا لَيْسَتْ لِلتَّرْتِيبِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا^(٣)) » إِنَّمَا هِيَ مِثْلُ الْوَالِدِ لِلْجَمْعِ وَالِاشْتِرَاكِ فَهِيَ بِذَلِكَ خَارِجَةٌ عَنْ أَصْلِهَا ، قَالَ صَاحِبُ فَتْحِ / الصَّفَا : « وَهِيَ خِلَافُ الظَّاهِرِ » .

٣٧٦

التنبيه الثالث والسبعون : قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي تَوْجِيهِ كَوْنِ دَرَاهِمِ الْقَرَضِ بِثَانِيَةِ عَشَرَ :
إِنْ دَرَاهِمُ الْقَرَضِ بِدَرَاهِمَيْنِ مِنْ دَرَاهِمِ الصَّدَقَةِ كَمَا وَرَدَ ، وَدَرَاهِمِ الصَّدَقَةِ بِعَشْرَةٍ ، وَدَرَاهِمِ الْقَرَضِ يَرْجِعُ لِلْمُقْرِضِ بِكَلِّهِ ، وَهُوَ بِدَرَاهِمَيْنِ مِنْ جُمْلَةٍ مَبْلُغِ أَصْلِهِ عَشْرُونَ يَتَأَخَّرُ لِلْمُقْرِضِ مِنْهُ ثَمَانِيَةُ عَشَرَ .

وَسَمِعْتُ شَيْخَنَا الْإِمَامَ الْعَلَامَةَ نُورَ الدِّينِ الْمَحَلِّيَّ^(٤) يَذْكُرُ ذَلِكَ [فِي] الْأَصُولِ : ثُمَّ رَأَيْتُ فِي « نَوَادِرِ الْأَصُولِ »^(٥) لِلْحَكِيمِ التَّرْمِذِيِّ^(٦) مَا نَصَّهُ : « مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُتَصَدِّقَ

(١) سورة الفتح آية ٢

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي من أعلام القرن السابع الهجري توفى سنة ٦٦٠ هـ ترجم له التاج السبكي ترجمة مستفيضة في طبقات الشافعية الكبرى (ج ٥ ص ٨٠ : ١٠٧) .

(٣) سورة البقرة آية ١٧٠

(٤) لم يتيسر لنا الوقوف على ترجمته من بين أعلام النصف الثاني من القرن التاسع وذلك في الضوء اللامع للسخاوي وأعلام أوائل القرن العاشر في النور السافر للبيروني ومن المتعبد أن يكون جلال الدين الأمل المتوفى سنة ٨٦٤ هـ والذي أكل الجلال السبكي تفسيره وهو التفسير المعروف باسم تفسير الجلالين ، إلا أن يكون الأمل شيخنا المؤلف مجازاً على اعتبار دراسته لمؤلفاته . وفي الضوء اللامع (ج ٧ ص ١٦ و ٧٦) اثنان باسم محمد بن أحمد بن الأمل متعبد أن يكون أحدهما شيخنا المؤلف .

(٥) الاسم الكامل لهذا الكتاب هو : نَوَادِرُ الْأَصُولِ فِي مَعْرِفَةِ أَخْبَارِ الرُّسُلِ ، وَلَهُ شَرْحٌ يَقْلَمُ مَضْطًى بْنُ إِسْمَاعِيلَ الدَّمَشْقِيِّ اسْمُهُ : مِرْقَاةُ الْوُصُولِ إِلَى نَوَادِرِ الْأَصُولِ ، طُبِعَ فِي اسْمَنْبُولِ سَنَةِ ١٢٩٣ هـ وَجَدَلَا لَوْ أُغِيدَ طَبْعُ هَذَا الْكِتَابِ حَقَّقًا مع شرحه لإحياء لمراجع السيرة النبوية

(٦) ينسب إلى ترمذ إحدى بلاد ما وراء النهر وهي التي ينسب إليها الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي الترمذي

حُسِبَ له الدرهم الواحد بعشرة ، فدرهم صدقته وتسعة زائدة فصارت له عشرة ، والقَرْضُ ضَوْعُ له فيه بدرهم والتسعة مضاعفة فهذه ثمانية عشر ، ودرهم القَرْضُ لم يُحَسَّبْ لَأَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِ ، فَيَبْقَى التَّضْعِيفُ وَهُوَ ثَمَانِيَةٌ عَشْرَ ، وَفِي الصَّدَقَةِ لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ فَصَارَتْ لَهُ عَشْرَةٌ .

التنبيه الرابع والسبعون : قَالَ ابْنُ دَنِجِيَّةٍ : وَفِي عَرْضِ الْجَنَّةِ عَلَيْهِ كَرَامَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْضُ الْجَنَّةَ عَلَى أُمَّتِهِ لِيَشْتَرَوْهَا كَمَا قَالَ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ^(١)) . *

فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُعَايِنَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَعْزِضُهُ عَلَى أُمَّتِهِ لِيَكُونَ وَضْفُهُ هَا عَنْ مَشَاهِدَةٍ وَلَأَنَّهُ كَانَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْجَنَّةِ وَهِيَ الدَّارُ الَّتِي هِيَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِبُضِيْفَةِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَبِعَثْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَاعِيًا إِلَيْهَا فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُرِيَهُ الدَّارَ وَكَثْرَةَ مَا أَعَدَّ فِيهَا مِنَ النِّعَمِ وَالْكَرَامَةِ لثَلَاثِينَ بِالدَّعْوَةِ وَلِيَعْلَمَ أَنَّهَا تَسَعُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ وَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ . وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ إِذَا أَرَاهُ إِيَّاهَا لِيَعْلَمَ خِصَّةَ الدُّنْيَا فِي جَنْبِ مَا رَأَاهُ فَيَكُونَ فِي الدُّنْيَا أَزْهَدَ وَعَلَى الشَّدَائِدِ أَصْبَرَ . فَقَدْ قِيلَ : حَبِذا مَحَنَةٌ تَوْدِي بِصَاحِبِهَا إِلَى الرِّخَاءِ وَيَوْمُسُ نِعْمَةٌ تَوْدِي بِصَاحِبِهَا إِلَى الْبَلَاءِ . وَيَحْتَمَلُ أَنْ اللَّهُ تَعَالَى أَرَادَ أَلَّا يَكُونَ لِأَحَدٍ كَرَامَةٌ إِلَّا وَلِمَحَمَّدٍ مِثْلُهَا ، وَلَمَّا كَانَ لِإِدْرِيسَ كَرَامَةٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَكُونَ [ذَلِكَ ^(٢)] أَيْضًا لَصَفِيَّهِ وَنَجِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٠ المتوفى سنة ٢٧٩ هـ مؤلف الجامع الصحيح أحد الكتب الستة المتصلة في الحديث أما الحكيم الترمذي فهو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن الملقب الزاهد صاحب التصانيف لم يورد لنا اللغوي في ترجمته له في تذكرة الحفاظ (ج ٢ ص ١٩٧) تاريخ مولده أو وفاته إنما ذكر أنه قدم نيسابور في سنة ٢٨٥ هـ كما لا ينظر بالكثير من ترجمة أبي نعيم له في الحلية (ج ١ ص ٢٣٣ : ٢٣٥) وكذلك طبقات الصوفية السلي (ص ٢١٧ : ٢٢٠) وطبقات الشافعية للسبكي (ج ٢ ص ٢٠) ومؤلفات الحكيم الترمذي تكاد كلها تكون مخطوطة ومنها نقول في الإحياء الفزائي والفتوحات المكية لابن عربي وكتاب الروح لابن قيم الجوزية وغيرها . انظر بيان مفصلا عن مراجع ترجمته وثبته بمؤلفاته في بحث بقلم المستشرق هير في كتاب عالم الإسلام المشتمل على دراسات إسلامية تكريمًا لقلب حتى ، لندن سنة ١٩٦٠ م ص ١٢١ : ١٣٤ .

(١) سورة التوبة آية ١١١

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

التنبيه الخامس والسبعون : قال ابن دحية : « إنما عُرِضَتْ عليه النار ليكون [أمناً]^(١) »

يوم القيامة ، فإذا قال سائر الأنبياء : نفسي نفسي فَنَبَّيْنَا / يقول : أُمِّي أُمِّي ، وذلك
ظ ٣٧٦ حين تُسَجَّرُ جهنم ، ولذلك آمن الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، فقال عز من قائل (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ)^(٢) والحكمة في ذلك أن يفزع إلى شفاعته أمة ، ولو لم يؤمنه
لكان مشغولاً بنفسه كغيره من الأنبياء ، لأنهم لم يَرَوْا قبل يوم القيامة شيئاً منها ، فإذا
رَأَوْها جزعوا وكَفَّتْ ألسنتهم عن الخطبة والشفاعة من هَوْلِها وشغلهم أنفسهم عن أمهم ،
وهو صلى الله عليه وسلم قد رَأَاهَا قبل ذلك فلا يفزع منها مثل ما فزعوا فيقدر على الخطبة
وهو المقام المحمود ، لأن الكفار لما كانوا يُكَلِّبُونَهُ ويستَهْزِئُونَ به ويؤذونه أشد
الأذى أَرَاهُ الله سبحانه وتعالى النار التي أَعَدَّهَا لِلْمُسْتَخَفِّينَ به تطيباً لقلبه وتسكيناً لقواده
وللإشارة إلى أن مَنْ طَيَّبَ قَلْبَهُ بإهانة أعدائه والانتقام منهم فَأَوَّلَى أَنْ يُطَيَّبَهُ في أوليائه
بالشفاعة والإكرام ، وليعلم منه الله عليه حين أنقلهم [منها] ببركته وشفاعته .

التنبيه السادس والسبعون : لم يَرِ مالكا في صورته التي يراه عليها الْمُعَذِّبُونَ في الآخرة ،
ولو رآه على تلك الصورة لما استطاع أن ينظر إليه .

التنبيه السابع والسبعون : قال الطيبي : « إنما بدأ مالك رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
بالسلام ليزيل ما امتلأ من الخوف منه بخلاف سلامه على الأنبياء ابتداءً » .

التنبيه الثامن والسبعون : ذكر صلى الله عليه وسلم أنه لم يَلْقَهُ مَلَكٌ من الملائكة إلا
ضاحكاً مستبشراً إلا مالكا خازن النار ، وذلك أنه لم يضحك لأحد قبله ، ولا هو ضاحك
لأحد بعده . قال الله تعالى : (عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ^(٣)) وهم موكلون بغضب الله
تعالى ، فالغضب لا يزيلهم أبداً

وفي هذا الحديث معارضة لما رواه الإمام أحمد وأبو الشيخ عن أنس رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل : « مالي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط ؟ » قال :

(٢) سورة التحريم آية ٨

(١) إضافة يقتضيا السياق .

(٣) سورة التحريم آية ٦

« ما ضحك منذ خُلِقَت النار » . وهذا الحديث يعارضه ما رواه الدارقطني وغيره أن رسول الله تَبَسَّمَ في الصلاة ، فسئل عن ذلك فقال : « رأيت ميكائيل راجعاً في طلب القِزَمِ وعلى جناحيه الغُبَار ، فَضَحِكْتُ لِي ، فَتَبَسَّمْتُ إِلَيْهِ » . قال السهيلي : [وإذا صَحَّ الحديثان ^(١)] فَوَجْهُ الْجَمْعِ بينهما أن يكون لم يضحك منذ خُلِقَت النار إلا هذه المَرَّة التي ضَحِكَ فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكون الحديث عاماً يُراد به الخصوص أو يكون الحديث الأول حَدَّثَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هذا الحديث الآخر ، ثم حَدَّثَ بَعْدَ مَا حَدَّثَ بِهِ مَنْ ضَحِكَهُ إِلَيْهِ » / ٣٧٧و

التنبيه التاسع والسبعون : المناسبة بين المعراج التاسع - وهو المستوى الذي سُمِعَ فيه صريف الأقلام - والعالم التاسع من سنى الهجرة . قال ابن دحية : « كان في العام التاسع غزوة تبوك وفيها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى الشام في العدد الذي لم يَتِمَّ قَبْلَهُ مِثْلُهُ ، كان العدد ثلاثين ألفاً ، وكانت الشُّقَّةُ بعيدة ، ولهذا لم يُورَّ فيها ، بل أَغْلَمَ النَّاسُ بَوَجهِهِمْ لِيكونَ تَأَهُبُهُمْ بحسب ذلك ، ومع هذا الاجتهاد في الاستعداد لم يَلْقَ صلى الله عليه وسلم حَرْباً ولا افتتح بلداً ، لأنَّ أَجَلَ فَتْحِ الشام لم يكن نَحْلَ بعد ، فانتَبَخَ العِزْمَ بِالْقَدَرِ وبجفاف القلم ورجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وعلى المسلمين الوقار والسكينة من غير اضطراب . عند انصراف العزيمة .

التنبيه الثمانون : صريف ^(٢) الأقلام ، بالصاد المهملة وكسر الراء وبالفاء . قال القاضي والنووي رحمهما الله تعالى : هو صوت حركتها وجريانها على ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووَحْيِهِ وما ينسخونه من اللوح المحفوظ أو ما شاء الله من ذلك أن يُكْتَبَ وَيُرْفَعَ لما أَرَادَهُ من أمره وتدبيره . وفيه حجة لأهل السُّنَّة في الإيمان بصحَّة كتابة الوَحْيِ والمقادير في كتب الله تعالى من اللوح المحفوظ بالأقلام التي هو يعلم كيفيتها على ما جاءت به الآيات في كتابه والأحاديث الصحيحة ، وأن ما جاء من ذلك على ظاهره ، لكن كيفية

(١) الزيادة من السهيلي - ج ١ ص ٢٥٣ .

(٢) جاء في النهاية لابن الأثير (ج ٢ ص ٢٦٠) : « ومنه الحديث : « أسمع صريف الأقلام » أي صوت جريانها بما تكتبه من أقضية الله تعالى ووَحْيِهِ وما ينسخونه من اللوح المحفوظ . ومنه حديث موسى عليه السلام أنه كان يسمع صريف القلم حين كتب الله تعالى له التوراة .

ذلك وصورته وجنسه لا يعلمه إلا الله تعالى ، وَمَنْ أَطْلَعَهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ مِنْ مَلَايِكَتِهِ وَرُسُلِهِ .
وما يَتَأَوَّلُ هذا وَيُحِيلُهُ . إلا ضعیف النظر والإیمان ، إذ جاءت به الشريعة ، ودلیلُ القول
لا يُحِيلُهُ ، والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، حِكْمَةٌ مِنْ اللَّهِ وإظهاراً لما يشاء مِنْ
غَيْبِهِ لمن يشاء مِنْ مَلَايِكَتِهِ وسائر خلقه وإلا فهو غَنِيٌّ عَنِ الْكُتُبِ والاستدكار .

التنبيه الحادى والثمانون : قال ابن دحية : « قد عُلِمَ أَنَّ الْأَقْلَامَ إِنَّمَا تَكْتُبُ الْأَقْدَارَ ،
وَالْقَدَرُ الْمَكْتُوبُ قَدِيمٌ ، وَإِنَّمَا الْكِتَابَةُ حَادِثَةٌ . وظهر الأخبار أَنَّ اللُّوحَ الْمَحْفُوظَ فُرِغَ مِنْ
كِتَابَتِهِ وَجَفَّ الْقَلَمُ بِمَا فِيهِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَإِنَّمَا هَذِهِ الْكِتَابَةُ الْمَحْدُودَةُ فِي
صُحُفِ الْمَلَايِكَةِ كَالْفُرُوعِ الْمُنْتَسَخَةِ مِنَ الْأَصْلِ ، وَفِيهَا الْمُحَوِّلَاتُ عَلَى مَا وَرَدَ فِي الْأَثَرِ .
وَأَصْلُ اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ الَّذِي انْتَسَخَ مِنْهُ اللُّوحُ هُوَ عِلْمُ [الْغَيْبِ ^(١)] الْقَدِيمِ فِي أَرْزِ الْقَدِيمِ
وَهُوَ الَّذِي لَا مَخَوفَ فِيهِ وَلَا إِثْبَاتَ حَيْثُ لَا لَوْحٌ وَلَا قَلَمٌ .

والحكمة البالغة - والله أعلم - في سماعه لصريف الأقلام حصول الطمأنينة بحفاف القلم
بما في القدر حتى يمكن / التفويض للقدر لا للسبب ، وحتى يتعاطى السبب تبعداً لا تعذراً ،
وبذلك يتم التوكل ويستكن الاضطراب عند اختلاف الأسباب . وقال القرطبي : « وأصل
الأقلام الموصوفة هنا هي المعبر عنها بالقلم المقسم به في قوله تعالى (نَوَالِقَهِمْ وَمَا يُسْطَرُونَ ^(٢))
ويكون القلم هذا للجنس » .

التنبيه الثانى والثمانون : المناسبة بين المعراج العاشر وهو الرفوف حين لقي الله تعالى
وحضر بحضرة القدس وقام مقام الأئمة ورفيع الحجاب وسميع الخطاب ، وكان قاب
قوسين أو أدنى لابلصورة بل بالمعنى ، أن العام العاشر اجتمع فيه اللقاءان : أحدهما : لقاء
البيت وحج الكعبة ووقوف عرفة وإكمال الدين وإتمام النعمة على المسلمين ، واللقاء الثانى :
بقارب البيت وكانت فيه الوفاة واللقاء والانتقال من دار الفناء إلى دار البقاء والعروج
بالروح الكريمة إلى المقعد الصديق وإلى الموعد الحق وإلى الوسيلة وهى المنزلة الرفيعة التى

(١) زيادة ما نقله الزرقانى عن ابن المنير في شرح المواهب ج ٦ ص ٨٩ .
(٢) الآية الأولى من سورة القلم وأورد أبو عبد الله القرطبي عن ابن عباس في تفسيرها : هذا قسم بالقلم الذى خلقه
الله فأمره فبكره يكتبه جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة - تفسير القرطبي ج ١٨ ص ٢٢٥ .

لا تنبغي إلا لعبد واحد اختاره الله تعالى وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في صحيح الخبر أنه سُئِلَ عن الوسيلة فقال : « درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله فأرجو أن أكون إياه » . ورجاؤه مُحَقَّقٌ صلى الله عليه وسلم ، ونخاطره مُوَفَّقٌ .

التنبيه الثالث والثمانون : قال ابن دحية : خُصَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤية والمكاملة لأنه صاحب الشفاعة يوم القيامة ، فتوسَّطَ قبلها لثلاثين سنة كما يقع لغيره من الأنبياء فأراد الله سبحانه وتعالى أن يزيل عنه الانقباض قبل ذلك ليتمكن من المقام المحمود وأهله قبل المشهد الأعلى للمشاهدة والكلام .

التنبيه الرابع والثمانون : قوله تعالى : « وأعطيتك خواتم سورة البقرة من كنز تحت عرشى » ، إلى آخر الحديث . قال الثوريثي : ليس يعنى بقوله : « أعطيت » أنها أنزلت عليه بل المعنى أنه استجيب له فيها لقن من الآيتين (غُفِرَ لَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ^(١)) إلى قوله تعالى : (أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ^(٢)) ، ولما يقوم بهما من السائلين . وقال الطيبي : « وفي كلامه إشعار بأن الإعطاء بعد الإنزال لأن المراد منه الاستجابة وهي مسبوقة بالطلب والسورة والمعراج كان بمكة ، ويمكن أن يقال هذا من قبيل (وَمَا يَنْتَظِرُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَخْيٌ يُوعَى ^(٣)) وإنما أوثر الإعطاء لما غُفِرَ عنه بكنز تحت العرش » . وروى الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ٣٧٨ و « أعطيت خواتم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يُعْطَهُنَّ نبي قبلي ^(٤) » .

التنبيه الخامس والثمانون : الحكمة في تخصيص قرص الصلاة بليلة الإسراء أنه صلى الله عليه وسلم لما أُخْرِجَ به رأى تلك الليلة تعبداً للملازمة ، وأن منهم القائم فلا يقعد ، والراحم فلا يسجد ، والساجد فلا يقعد ، فجمع الله تعالى له ولأمته تلك العبادات كلها في ركعة واحدة يُصَلِّيها العبد بشرائطها من الطمأنينة والإخلاص .

(١) من الآية ٢٨٥ من سورة البقرة .

(٢) نهاية الآية ٢٨٦ ختام السورة السابق ذكرها .

(٣) سورة النجم آية ٤٣ .

(٤) انظر الجامع الصغير ج ١ ص ٤٦ .

التنبيه السادس والثمانون : وفي اختصاص قَرَضُها بليلة الإسراء إشارة إلى عظم شأنها ولذلك اختص قَرَضُها بكَوْنِهِ بغير واسطة بل بمراجعات عِدَّة . قال السهيلي : « [وأما قَرَضُ الصلاة عليه هنالك ^(١)] ففيه التنبيه على فضلها حيث لم تُقَرَضْ إلا في الحضرة القدسية المظهره ، ولذلك كانت الطهارة من شأنها ومن شرائط أدائها والتنبيه على أنها من مناجاة الرب ، وأن الرب تبارك وتعالى مُقْبِلٌ بوجهه على المُصَلِّ يَنَاجِيهِ يقول : حَمْدَنِي عَبْدِي أَتْنِي عَلَى عَبْدِي إلى آخر السورة ، وهذا مُشَاكِلٌ لِقَرَضِها عليه في الساء السابعة حيث سمع كلام الرب وناجاه ، ولم يَخْرُجْ به حتى طَهَّرَ ظاهره وباطنه بماء زمزم كما يَتَطَهَّرُ المُصَلِّ للصلاة وأُخْرِجَ عن الدنيا بجسمه كما يَخْرُجُ المُصَلِّ عن الدنيا بقلبه ويُحَرِّمُ عليه كل شيء إلا مناجاة ربه ، وتوجهه إلى قِبْلَتِهِ في ذلك الحين وهي بيت المقدس ، وِرْفَعُ إلى السماء كما يَرْفَعُ المُصَلِّ يَدَيْهِ [إلى جهة السماء ^(٢)] إشارة إلى القِبْلَةِ العليا وهي البيت المعمور وإلى جهة عَرْشِ مَنْ يَنَاجِيهِ وَيُصَلِّيُ لَهُ سبحانه وتعالى .

التنبيه السابع والثمانون : قوله : « قد وضعت عنك خمسا » ، كذا في رواية ثابت عن أنس . وفي رواية مالك بن صعبه : « عَشْرًا » ، وفي رواية شريك : « وضع شطرها » . قال النووي : « المراد بِحُطِّ الشَّطْرِ أَنَّهُ جُطِّ في مَرَّاتٍ بمراجعات فلا يخالف رواية ثابت » . قال الحافظ : « وكذا العَشْرُ فِكَانَهُ وضع العَشْرِ في دفعتين والشطر في خمس دفعات ، والمراد بالشطر هنا البعض » . قال : « وقد حققت رواية ثابت أن التخفيف كان خمسا ، وهي زيادة بمُتَمَلِّدة يَتَعَيَّنُ حَمْلُ باقي الروايات عليها » . قلت : ويؤيد رواية ثابت ما رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي وابن مبروكويه من حديث مالك بن صعبه : « فَحُطُّ عَنِّي خَمْسًا » ، وفيه : « فَمَا زِلْتُ بَيْنَ مَوَمَى وَبَيْنَ رَبِّي يَحُطُّ عَنِّي خَمْسًا خَمْسًا » . قال ابن دحية : **وَذِكْرُ الشَّطْرِ أَحَمُّ مِنْ كَوْنِهِ وَقَعَ دَفْعَةً وَاحِدَةً** .

التنبيه الثامن والثمانون : قال أبو طالب الجُمَحِيُّ في كتاب التحيات : « لكل قوم تحية ، فتحية العرب السلام وتحية الأكاسرة السجود قُدَّامَ الْمَلِكِ وتقبيل الأرض / وتحية ٣٧٨ ظ

(١) زيادة من السيل ج ١ ص ٢٥١ .

(٢) زيادة من السيل ج ١ ص ٢٥١ .

الْقُرْصُ طَرَحُ اليد على الأرض قُدَّامَ الْمَلِكِ ، وتحية الحبشة عَقْدَ اليَدَيْنِ على الصلوة بين يَدَيْ الْمَلِكِ بسكون ، وتحية الروم كشف غطاء الرأس من بعد تنكيس رأسه . وتحية النوبة إيماء الرجل بالدعاء بالأصابع وتحية الجبال^(١) وضع يد الداخل على كُفِّ الْمَلِكِ ، فلما بلغ الخدمة رفعها ووضعها مراراً . وهذه التحيات غالبها مجموعة في الصلاة التي هي خدمة ملك الملوك سبحانه وتعالى ، ولهذا ناسب أن يقال في آخرها : « التحيات لله » إشارة إلى أنه تعالى يستحق جميع التحيات .

التنبيه التاسع والثمانون : وقع في رواية أنس عن أبي ذر رضي الله عنهما : « قَرَضَ الله على أمي خمسين صلاة » وفي رواية ثابت عن أنس : « قَرَضَ الله على خمسين صلاة كل يوم ليلة » . ونحوه في رواية مالك بن صعصعة ، فيَحْتَمَلُ أن يقال في كل من رواية أبي ذر والرواية الأخرى اختصار . ويؤيد قوله في الروايات الأخرى : « إني قَرَضْتُ عليك وعلى أمتك خمسين صلاة » إلى آخره . ويقال ذَكَرَ الْقَرْضُ عليه يستلزم ذَكَرَ الْقَرْضُ على الأمة وبالعكس ، إلا ما استثنى من خصائصه .

التنبيه التسعون : قال ابن أبي جمرة : « الحكمة في كون إبراهيم عليه السلام لم يكلم المصطفى في طلب التخفيف أن مقام الخلعة إنما هو الرضى والتسليم ، والكلام في هذه الشأن ينافي ذلك المقام . وموسى هو الكلم ، والكليم أُعْطِيَ الإدلال والانبساط » . وقال القرطبي : « الحكمة في تخصيص موسى عليه الصلاة والسلام بمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الصلاة ، لعلها تكون أمة موسى كُلِّفَتْ من الصلوات ما لم يُكَلَّفْ به غيرها من الأمم فَتَقَلَّتْ عليهم فأنشق موسى على أمة محمد - عليهما الصلاة والسلام - من مثل ذلك ويشير إلى ذلك قول موسى : « إني قد جَرَيْتُ النَّاسَ قَيْلًا » .

وقال غيره : لعلها من جهة أنه ليس في الأنبياء من له أتباع أكثر من موسى ، ولأن من أتباعه أكبر ولا أجمع للأحكام من كتابه ، فكان من هذه الجهة مضاهياً للنبي صلى الله عليه وسلم ، فناسب أن يُتَمَنَّى أن يكون له مثل ما أنعم به عليه من غير أن يريد زواله عنه ،

(١) بكسر الباء الموحدة وتضم الياء جيم وألف أو هاء ، وردت بهذا الضبط في كتاب البلدان لليعقوبي (يدين سنة ١٨٩٢ م / ٢٣٦) وذكره القلقشندي في صبح الأعشى (ج ٥ ص ٢٧٣ : ٢٧٤ طبعة القاهرة سنة ١٩١٥ م) .

وناسب أن يُطْلِعَهُ على ما وقع له وينصحه فيما يتعلق به . ويُحْتَمَلُ أن موسى عليه السلام لما غَلَبَ عليه في الابتداء الأَسَفُ على نَقْصِ حَظِّ أُمَّتِهِ بالنسبة لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَمْنَى ما تَمْنَى أن يكون منهم ، استدرك ذلك ببذل النصيحة لهم والشفقة عليهم ليزيل ما عساه أن يُتَوَهَّمُ عليه مما وقع منه في الابتداء ، والعلم عند الله تعالى .

قال القرطبي : « وأما قول من قال إنه أول من لقيه بعد الميوط فليس بصحيح ، لأن حديث مالك بن صعصعة أنه رآه في السادسة وإبراهيم في السابعة ، وهو أقوى إسناداً من حديث شريك الذي فيه أنه رأى / موسى في السابعة . قال الحافظ : « إذا جمعنا ٣٧٩ بينهما بأنه لقيه في الصعود في السادسة ، وصعد موسى معه إلى السابعة فلقيه فيها بعد الميوط ارتفع الإشكال ويَطْلُ الرَّدُّ » .

قال السهيلي : « وأما اعتناء موسى عليه السلام بهذه الأمة وإلحاحه على نبيها أن يشفع لها ويسأل التخفيف عنها فلقوله - والله أعلم - حين قضى إليه الأمر بنجانب القرني^(١) ورأى صفات أمة محمد عليه السلام في الألواح وجعل يقول : إني أجد في الألواح أمة صفتهم كذا : اللهم اجعلهم أمتي . فيقال له : تلك أمة محمد . قال : اللهم اجعلني من أمة محمد ، وهو حديث مشهور في التفسير . فكان إشفاقه عليهم واعتناؤه بأمرهم يُعْتَنَى بالقوم من هو منهم لقوله : اللهم اجعلني منهم » .

التنبيه الحادي والتسعون : في قول موسى : « قد عالجت الناس قبلك » إلى آخره دليل على أن علم التجربة زائد على العلوم ، ولا يُقَدَّرُ على تحصيله بكثرة العلوم ولا يُكْتَسَبُ إلا بها ، أعنى التجربة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس وأفضلهم سيمًا وهو حديث عهد بالكلام مع ربه تبارك وتعالى وورد إلى موضع لم يظأه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، ثم مع هذا الفضل العظيم قال له موسى عليه السلام : « أنا أعلم بالناس منك » ، وذكر له العلة التي لأجلها كان أعلم منه بقوله : « عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة » ، فأخبره أنه أعلم منه في هذا العلم الخاص الذي لا يُوجَدُ ولا يُنْزَلُ إلا بالمباشرة وهي التجربة .

(١) هكذا في الأصول . وفي الروض الألف (- ١ ص ٢٥٥) مصبغة الغري بالثين المصبة .

التنبيه الثاني والتسعون : وفيه دليل على جواز الحكم بما أجرى الله تعالى بحكمته من ارتباط العوائد لأن موسى عليه السلام حَكَمَ على هذه الأمة بأنها لا تُطِيق ، وذلك سبب ما أخبر به وهو علاج بني إسرائيل ، وَمَنْ تَقَدَّمَ أَقْوَى وَأَجْلَدُ مِنْ يَأْتِي بَعْدَ ، كما أخبر تعالى بقوله : (كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا^(١)) فرأى موسى أن ما لم يحمله القوي فمن باب أولى ألا يحمله الضعيف [فهو^(٢)] بعد مُحْكَم بآثار الحكمة في ارتباط العادة ، مع أن القدرة صالحة لأن يحمل الضعيف ما لا يحمل القوي . وقد وَرَدَ أن الصلاة التي كُلِّفَ بها بنو إسرائيل ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي ومع هذا لم يقوموا بذلك .

التنبيه الثالث والتسعون : وفي سؤال موسى طلب التخفيف عن هذه الأمة دليل على أن بكاءه أولاً حين صعود النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن إلا للوجه الذي أَبْدَيْنَاهُ لغيره ، لأنه لو كان لغير ذلك لبكى حين رجوع النبي صلى الله عليه وسلم أو سَكَتَ ، ولكنه قام في الخدمة والتصيحة للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أن كان بكاءه أولاً للوجه الذي ذكرناه ولم يصادف ما أشرنا إليه وإنما كانت هذه / النِّفْعَةُ من النِّفَعَاتِ الخاصَّةِ بالنبي صلى الله عليه وسلم ، تَعَرَّضَ أيضاً لهذه الأمة بطلب التخفيف ، فصادف اعتراض هذه النِّفْعَةِ في موضعها لأنها خاصة بهذه الأمة . وتكلم هو صلى الله عليه وسلم في حَقِّهَا فَأُسْعِفَ فيها أراد وَحَقَّقَ الله عز وجل [دعاءه^(٣)] إذ ذاك وَرَدَ الخمسين إلى خَمْسٍ ، وزاد بالإفصال فجعل الْحَسَنَةَ عَشْرًا في الثَّوَابِ عليها ، فَأَزَالَ الله تعالى عن الأمة فَرَضَ تلك الصَّلَوَاتِ وَأَبْقَى لَهَا ثَوَابَهَا تَفْضِيلاً مِنْهُ وَإِحْسَانًا .

التنبيه الرابع والتسعون : قال ابن أبي جَمْرَةَ : « في الحديث دليل للصوفية حيث يقولون : « حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ مِيقَاتُ الْمُقَرَّبِينَ » ، لأن إبراهيم عليه السلام لم يتكلم في هذا الشَّيْءِ بِسَبَبٍ أَنْ مَقَامَهُ أَعْلَى مِنَ الْكَلَامِ ، فَلَوْ تَكَلَّمَ لَكَانَ ذَلِكَ فِي عَقْدِهِ سِيئَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى

(١) سورة الروم آية ٩ .

(٢) إضافة يقتضها السياق .

(٣) إضافة يقتضها السياق .

مقامه الخاص ، وموسى عليه السلام كان كلامه مما يتقرب به إلى مقامه الخاص ، كل منهم له مقام خاص لا يتعداه .

التنبيه الخامس والتسعون : قال ابن دحية : « في هذه المراجعة التي وقعت بين موسى والنبي عليهما السلام فوائد منها : تكرار الشفاعة في القصة الواحدة إلى أن يتم مقصود الشافع ، ومنها أن الأمر إذا انتهى إلى حد الإلحاح كان الأوكى الترك ، ومنها تعظيم الأمر الذي لا يُقدَّر عليه ، ومنها الرجوع إلى المُشير الناصح ، ومنها أن الشافع لا يتوقف على طلب المشفوع له في ذلك ، ومنها أن الشافع يُقيم عُدَّة المشفوع له عند المشفوع عنده في ذلك ، ومنها أنه لا يمتنع من الشفاعة وإن كان داخلاً فيها .

التنبيه السادس والتسعون : لما امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من طلب التخفيف في المرة العاشرة لما أمره موسى بذلك لِأَمْرَيْنِ :

أحدهما : أن الأمر إذا انتهى إلى حد الإلحاح كان الأوكى الترك .

ثانيهما : أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم تَفَرَّسَ أن هذا العدد لا يُحِطُ عنه فاستحى أن يسأل في مَظَنَّة الرَّدِّ ، وَوَجَّهَ التَّفَرُّسَ أن الله تعالى أدرج التخفيف خَمْسًا خَمْسًا من خَمْسٍ إلى خَمْسٍ . فالقياس أنه إن خَفَّفَ بِحَذَفِ الخَمْسَةِ الأخيرة ارتفعت الصلاة بجمليتها ، وقد عَلِمَ أنه لا بُدَّ من وظيفة ، فلها ترك السؤال ، وكشف الغيب أن العِلْمَ القديم تَعَلَّقَ ببقاء هذه الخَمْسِ ، ولهذا بَقِيَتْ ؛ فَصَلَّتِ القِرَاءَةَ وأصابَت الفكرة ، ولهذا جاء في بعض الطُّرُق أن النبي صلى الله عليه وسلم لما امتنع من المراجعة في العاشرة نادى مُنَادٌ : « أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّضْتُ عَنْ عِبَادِي » . /

٣٨٠ و

التنبيه السابع والتسعون : قال ابن دحية : « دَلَّتْ مراجعته صلى الله عليه وسلم في طلب التخفيف تلك المَرَّاتِ كلها ، لِأَنَّهُ عَلِمَ أن الأمر في كل مَرَّةٍ لم يكن على سبيل الإلزام بخلاف المَرَّةِ الأخيرة ، ففيها ما يُشِيرُ بذلك لقوله تعالى (مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ^(١)) » .

التنبيه الثامن والتسعون : قال ابن أبي جَمْرَةَ : « في امتناع النبي صلى الله عليه وسلم

(١) سورة آية ٢٩ .

في المرة العاشرة من طلب التخفيف دليل على أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد إسعاد عبده جعل اختياره في مَرَضَاة رَبِّهِ ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل اختياره وإيثاره لِمَا أراد الحق تبارك وتعالى إنفادَه وإمضاه ، وهو قَرَضُ الصلوات الخمس ، وذلك تكريم له صلى الله عليه وسلم وترفع ، لأنه لو رجع لَطَلَبِ التخفيف فلم يُخَفَّفْ كما خُفِّفَ أولاً لكان اختياره مُخَالِفاً للمقدور . فلما أن اختار وأُسيِفَ في اختياره كان دليلاً على ما استدللنا عليه وهو عُلُوُّ منزلته صلى الله عليه وسلم ، فإنه مادام يطلب التخفيف أُسيِفَ في مُناه ، ففي كل حال من طلب ومن عدم طلب كان اختياره موافقاً للمقدور .

وفيه دليل للصوفية حيث يقولون : « إن الحال ^(١) حامل « لا محمول » ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما أن ورد عليه حالُ الإشقاق على أمته بادر إلى طلب التخفيف عنهم ولم ينظر إلى غير ذلك ، ثم لما وَرَدَ عليه حالُ الحياء من الله تعالى لم يلتفت لأمرته إذ ذاك ولا طلب شيئاً .

التنبيه التاسع والتسعون : في هذا الحديث دليل على أَنَّ قَدَرَ الله تعالى على قِسْمَيْن ، كما قدمنا . فالقَدَرُ الذي قَدَرَهُ وَقَدَّرَ أَلَّا ينفذ بسبب واسطة أو دُعَاء هو قَرَضُهُ هنا للخمسين صلاة لأنه تعالى لما أمر بالخمسين أولاً وسبقت إرادته أَلَّا ينفذ ذلك جعل بحكمته موسى هناك سبباً لرفع ذلك . والقَدَرُ الذي قَدَّرَ إنفادَه ولا يَرُدُّه رَادٌّ هو قَرَضُهُ للخمس صلوات لأنه تعالى لما أَمَرَ بها وسبقت إرادته بإمضائها لم ينفع كلام موسى عليه السلام . إذ ذاك لأنه من القَدَرِ المحتوم .

(١) جاء في التريفات الشريف الجرجاني (ص ٥٥ طبعة القاهرة سنة ١٢٨٣ هـ) : « الحال » عند أهل الحق معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو هيئة ، ويؤول بظهور صفات النفس سواء يعقبه المثل أو لا ، فإذا دام وصار ملكاً يسمى مقاماً ، فالأحوال مواهب . والمقامات مكاسب . والأحوال تأتي من بين الجود والمقامات تحصل ببدل المجهود . ويصوب تعريف الجرجاني اشتباهه على اصطلاحات صوفية : أخرى هي في حاجة أيضاً إلى تعريف . ولقد عرف القبض والبسط في موضع آخر (ص ١١٤) فقال فيهما : هما حالتان بعد ترقى البعد عن حالة الخوف والزجاء فالقبض للمارف كالخوف الساتن والفرق بينهما أن الخوف والرَّجاء يتصلقان بأمر مستقبلي مكروه أو محبوب . والقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت ينقلب على قلب العارف من ولرد مخير . ولكن الجرجاني لم يعرف المقام وهو عند ابن عربي في الفتوحات الحكيمة عبارة عن استيفاء حقوق المرامم على التمام ، والحال عند ابن عربي هو كثير الأوصاف بل العبد وهناك تعريف مطوله للمقام في مسمات جامع أصول الأولياء للنقشبندی (القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ ص ١٢١) .

التنبيه الموفى مائة : قال ابن دحية : « فَإِنْ قُلْتَ : ما معنى قوله تعالى (مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ) (١) ؟ فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ لَا يُبَدِّلُ الْخَبَرَ فَكَيْفَ يَطْلُقُ الْحَدِيثُ ، لَأَنَّ السِّيَاقَ فِي الْأَحْكَامِ فَلِهَذَا نَسَخَ الْخَمْسِينَ إِلَى خَمْسٍ وَتَبْدِيلُ النَّسْخِ لَا يَبْقَى ، فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ لَا يُبَدِّلُ الْحُكْمَ فَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّ النَّسْخَ فِي الْأَحْكَامِ جَائِزٌ وَقَدْ وَقَعَ / فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِلَى خَمْسٍ . فَالْجَوَابُ أَنَّهُ ٣٨٠ ظ
تعالى إذا أخبر عن الحكم أنه مُؤَيَّدٌ استحالة التبديل والنسخ حينئذٍ لأجل العلم ، وقد أخبر الله تعالى أنه الفريضة أى أبدعها فلا يُبَدِّلُ هذا الخبر ولا يُتَوَقَّعُ النَّسْخُ بَعْدَ ذَلِكَ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ »
ويكون المراد أنه تعالى وَعَدَ هذه الأمة على السنة الملائكة أو في صفحتها أن لم أجر خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، فلما نَسَخَهَا إِلَى خَمْسٍ حصل للعدد نقص ، وإن الأجر المراد لم يَنْقُصْ لِأَنَّ الْحَسَنَةَ بَعَشْرَ أَهْلِهَا ، ولهذا قال تعالى : « هُنَّ خَمْسٌ وَهُنَّ خَمْسُونَ » أى هُنَّ خَمْسٌ عِدْداً وَخَمْسُونَ اعْتِدَاداً ، ذلك الفضل من الله ، ويكون ذلك كقوله في الصيام : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَاتَّبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ » (٢) ، بتأويل أن الحسنه بَعَشْرَ أَهْلِهَا ، فستة وثلاثون في عشرة بثلاثمائة وستين عدد أيام السنة .

واعْتُبِرَتِ الصَّلَاةُ بِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ صَلَاةٍ مِنْ وَضُوءٍ وَنَحْوِهِ ، فَوُجِدَ لَهَا مَا يَأْتِي عَلَى سَاعَتَيْنِ وَبِفَضِّ السَّاعَةِ غَالِباً ، فَعُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ الْخَمْسِينَ لَوْ اسْتَقَرَّتْ عَلَى أُمَّةٍ لَاسْتَوْعِبَتِ الْيَوْمَ وَاللَّيْلَةَ لِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ صَلَاةٍ مِنْ طَهَارَةٍ وَغَيْرِهَا ، وَكَانَتِ الطَّهَارَةُ وَاجِبَةً لِلتَّجْدِيدِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ، ثُمَّ نُسِخَ الْوُجُوبُ إِلَى التَّنْذِبِ ، فَكَأَنَّ الْمُصَلِّيَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِهَذِهِ الْخَمْسِ اسْتَوْعَبَ الدَّهْرَ صَلَاةً وَكَأَنَّهُ أَيْضاً اسْتَوْعَبَ الدَّهْرَ صِيَاماً .

والظَّاهِرُ أَنَّ نَقْصَ الْخَمْسِينَ إِلَى خَمْسٍ لَيْسَ مِنْ تَبْدِيلِ الْقَوْلِ لِأَنَّهُ تَبْدِيلُ تَكْلِيفٍ ، وَأَمَّا بَعْدُ الْإِخْبَارِ بِالْخَمْسِ وَالْخَمْسِينَ فَتَبْدِيلُ أَخْبَارٍ .

التنبيه الحادى والمائة : قال أبو الخطَّاب وتبعه ابن المنير : « جَوَّازُ النَّسْخِ قَبْلَ التَّمَكُّنِ مِنَ الْقَعْلِ قَبْلَ دُخُولِ الْوَقْتِ مَذْهَبُ أَهْلِ السَّنَةِ خِلَافاً لِلْمَعْتَزَلَةِ ، وَجَرَى كُلُّ فَرِيقٍ عَلَى قَاعِدَتِهِ وَعَقِيدَتِهِ . فَعِنْدَ أَهْلِ السَّنَةِ التَّكْلِيفُ عَلَى خِلَافِ الْإِسْتِطَاعَةِ جَائِزٌ ، بَلْ وَاقِعٌ

(١) سورة ق آية ٢٩ .

(٢) مسند أحمد عن أبي أيوب ، انظر الجامع الصغير ج ٢ ص ١٧٤ .

إِذْ الْأَفْعَالُ كُلُّهَا مخلوقة لله تعالى ، والعبد مطالب بما لا يُغَيِّرُ على إيجاده ولا يتمكن من التأثير في إحرازه ، جملاً بقوله تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ^(١)) بتقدير أن «ما» هنا مصدرية ، والمعتزلة تجعل «ما» هنا موصولة وجرواً على عقيدتهم في اعتقادهم أن العبد يخلق فِعْلَ نفسه ويوجد طاعة رَبِّه باستطاعته واختياره ، ولا يسقط التكليف عندهم على خلاف الاستطاعة فلا يُتَصَوَّرُ النَّسخ قبل التمكن من الفعل كما تُتَصَوَّرُ قاعدته . واستدل أهل السنة على جواز النَّسخ قبل التمكن بأنه وقع . وأى دليل على الجواز أَتَمَّ من الوقوع ؟

وَمَثَلُوا ذلك بقصة الذَّبِيح فإن الله تعالى أمر إبراهيم بلبح ولده ، ثم خَفَّفَ ذلك ونَسَخَهُ إلى الفداء قبل أن يمضي زمن يسع الذَّبِيح ولا يمكن فيه الفِعْل . ومن هنا ضاقت على المعتزلة المضايق حتى غلطوا في الحقائق ، واختلفوا في الأجوبة ، فمنهم من قال لم يأمره بالذَّبِيح لأن ذلك كان في المنام لا في اليقظة ، ولا عَقْلٌ أَصْلَ من عقل مَنْ زعم أنه استظهر على نبئ في واقعة هر صاجبها وقضى فيها ومنه ظهرت ، وعنه أُثِرَتْ ، فإن الذَّبِيح قال فيها حكاية الله تعالى وصوبه (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ^(٢)) ، ونحن نقول إن راوى الحديث أعرف بما أوَّله / وتفسيره ، وأقعد بتبيينه وتنزيله .

وحق لو تعارض تأويلان قَدِمْنَا تأويل صاحب الواقعة لأنه أفهم لها . فكيف لا يُقَدِّم تأويل الذَّبِيح النبي الذَّكِيُّ الْمُسَدَّدُ الْمُصَوَّبُ من رَبِّ العالمين على تأويل المُبْتَدِع الضَّالِّ الحائر المسكين ؟ ومنهم مَنْ قال: أَمَرَ ولكن بالمُقَدِّمات: الشَّدُّ والتَّلْ^(٣) والصَّرْع وتناولوا «المُدْيَةَ» . وهذا من الطراز الأول [لتهافت القول^(٤)] ، فإن إبراهيم قال (إِنِّي أَذْبَحُكَ^(٥)) ولم يَقُلْ أصرعك ، وأيضاً ليست المقدمات «بلا» ، ولا سيما في حق إبراهيم عليه السلام الذي

(١) سورة الصافات آية ٩٦ .

(٢) سورة الصافات آية ١٠٢ .

(٣) في التنزيل . وتله تبيين ، أى صرعه كما تقول كبه لوجهه والتل الدفع والصرع ومنه حديث أبي الدرداء وتركوك لملك أى لصرعه . وفي حديث آخر : فجاء بناق كوماه فتلها أى أناخها . وفي الحديث : بينا أنا نائم أتيت بفتاح خزائن الأرض فقلت فى يدى أى ألقيت فى يدى ، يقال تللت الرجل إذا ألقيته ، قال ابن الأعرابي فصب فى يدي ، والتل الصب ، يقال تل يتل إذا صب وتل يتل بالكسر إذا سقط ، انظر تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١٠٥ .

(٤) زيادة يقتضها السياق .

(٥) من الآية ١٠٢ من سورة الصافات .

علم أن الحال لا ينتهى بغير الاضطجاع خاصة بما لا يتَعَنَّى حينئذ للقداء ، فهذا أُخِيَدَ عن السُّنَنِ وجنوح إلى الرِّند والعَبْنِ .

وبهذه من قال : « أُمِرَ بِالدُّبُحِ وَقَعَلَ ، وَلَكِنْ انْقَلَبَتِ السُّكَيْنِ أَوْ لَمْ تَقْطَعْ ، أَوْ انْقَلَبَتْ الْعُنُقُ حَدِيداً ، وَهَذَا مِنَ التَّمَطِّ الْمُرْدُودِ ، وَحَاصِلُهُ النُّقْلُ بِالتَّقْدِيرِ وَهُوَ الْكَذِبُ بَعِيْنُهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : « دُبُحٌ وَالْقَحْمُ » ، وَهَذِهِ مُمَايِرَةُ النُّقُولِ وَمَكَابِرَةُ الْعُقُولِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْأَمْرَ لَوْ كَانَ عَلَى هَذِهِ الْمَثَابَةِ لَمْ يَقَعْ الْاِقْتِصَارُ فِي الْآيَةِ عَلَى حِكَايَةِ (وَتَلَّهُ لِلْمَجْبِينِ^(١)) وَلَكِنْ ذِكْرُ الدُّبُحِ أَوْقَعَ فِي الْاِبْتِلَاءِ وَلَسَقَطَتِ فَائِدَةُ الْقِدَاءِ . فَبُطِّلَ مَا قَالُوهُ ، وَتَعَيَّنَ الْقَوْلُ بِجَوَازِ النَّسْخِ قَبْلَ التَّمَكُّنِ بِدَلِيلِ وَقُوعِهِ فِي قِصَةِ الدُّبُحِ ، فَلَا يُمْكِنُهُمْ تَرْدِيدُ مِثْلِهَا فِي قِصَةِ الْاِسْرَاءِ إِذْ لَأَخْفَاءُ بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرَ فِي حَقِّ الْأُمَةِ بِخَمْسِينَ صَلَاةً ثُمَّ نُسِخَ مَا نُسِخَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَضْلاً عَنْ أَنْ يَمُضِيَ زَمَانٌ يَسَعُهَا .

قال شيخنا^(٢) السهيلي^(٣) : [وَأَمَّا فَرَضُ الصَّلَوَاتِ خَمْسِينَ ثُمَّ حُطُّ مِنْهَا عَشْرًا بَعْدَ عَشْرِ إِلَى خَمْسٍ صَلَوَاتٍ وَقَدْ رَوَى أَيْضاً أَنَّهَا حُطَّتْ خَمْساً بَعْدَ خَمْسٍ . وَقَدْ يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ الرَّوَايَتَيْنِ لِدُخُولِ الْخَمْسِ فِي الْعَشْرِ ، فَقَدْ تَكَلَّمْتُ فِي هَذَا النِّقْصِ مِنَ الْفَرِيضَةِ أَهْوَ نَسْخِ أَمْ لَا ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ ، فَقَالَ قَوْمٌ : هُوَ مِنْ بَابِ نَسْخِ الْعِبَادَةِ قَبْلَ الْعَمَلِ بِهَا ، وَأَنْكَرَ أَبُو جَعْفَرٍ النُّحَاسُ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ وَجْهَيْنِ :

أحدهما : الْبِنَاءُ عَلَى أَصْلِهِ وَمَذْهَبِهِ فِي أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا يَجُوزُ نَسْخُهَا قَبْلَ الْعَمَلِ بِهَا لِأَنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ مِنَ الْبِدَاءِ ، وَالْبِدَاءُ مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

الثاني : أَنَّ الْعِبَادَةَ إِنْ جَازَ نَسْخُهَا قَبْلَ الْعَمَلِ بِهَا عِنْدَ مَنْ يَرَى ذَلِكَ فَلَيْسَ يَجُوزُ عِنْدَ أَحَدٍ نَسْخُهَا قَبْلَ هَبْوَطِهَا إِلَى الْأَرْضِ وَهَبْوَطِهَا إِلَى الْمُخَاطَبِينَ ... إِنَّمَا هِيَ شَفَاعَةُ شُفَعَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ وَمَرَاجَعَةٌ رَاجِعُهَا رَبِّهِ لِيُخَفِّفَ عَنْ أُمَّتِهِ وَلَا يُسَمَّى مِثْلَ هَذَا نَسْخًا .

أما مذهب أبي جعفر النحاس في أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُنْسَخُ قَبْلَ الْعَمَلِ بِهَا وَأَنَّ ذَلِكَ بَدَاءٌ فَلَيْسَ

(١) سورة الصافات آية ١٠٣ .

(٢) القائل هو ابن دحية .

(٣) الفقرة الكبيرة الواردة بين معقفي هي مقدمة كلام السهيلي في الروض الأنف ج ١ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ انظر لنا لإثباتها لارتباطها بما جاء بعدها مما نقله المؤلف .

بصحيح لأن حقيقة البداء^(١) أن يبدو للآمر رأى يتبين له الصواب فيه بعد أن لم يكن تبينه ، وهذا مُحَال في حق من يعلم الأشياء بعلم قديم . وليس النسخ من هذا في شيء ، إنما النسخ تبديل حُكْمٍ بحكم ، والكل سابق في علمه ومقتضى حكمته ، كَنَسْخِهِ الْمَرَضُ بِالصَّحَّةِ وَالصَّحَّةُ بِالْمَرَضِ ونحو ذلك ، وأيضاً بأن^(٢) العبد المأمور يجب عليه عند تَوَجُّهِ الأمر [إليه^(٣)] ثلاث عبادات : الفِعْلُ الذي أُمِرَ به ، وَالْعَزْمُ على الامتنال عند [سماع^(٤)] الأمر ، واعتقاد الوجوب إن كان واجباً ، فإن نُسخَ الحُكْمِ قبل الفِعْلِ فقد حصلت فائدتان : العزم ، واعتقاد الوجوب . وَعَلِمَ اللهُ تعالى ذلك منه عَلِمَ مشاهدة . فَصَحَّ امتحانه له واختباره إياه ، وأوقع الجزاء على حَسَبِ ما عَلِمَ من نيته [والذي لا يجوز] إنما هو نَسْخُ الأمر قبل نزوله وقبل عِلْمِ الْمُخَاطَبِ به . والذي ذكر النحاس من نَسْخِ العبادات بعد العمل بها ليس هو حقيقة النسخ لأن العبادات المأمور بها قد مضت وإنما جاء الخطاب بالنهاي عن مثلها لا عنها . وقولنا^(٥) [في الخمس والأربعين صلاة الموضوعة عن محمد صلى الله عليه وسلم وأُمته أحد وَجْهَيْنِ : إما أن يكون نَسْخُ ما وجب على النبي صلى الله عليه وسلم من أدائها ، وَرَفَعَ عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب . وهذا قد قدمنا أنه نُسِخَ على الحقيقة ، ونُسِخَ عنه ما وَجَبَ عليه من التبليغ ، فقد كان في كل مرة عازماً على تبليغ ما أُمِرَ به [وقول أبي جعفر] إنما كان شافعاً ومُراجِعاً يَنْفِي النسخ فإن النسخ قد يكون عن سبب معلوم فشفاعته عليه السلام لأُمته كانت سبباً للنسخ لا مُبْطِلَةً لحقيقته ، ولكن المنسوخ ما ذكرنا من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحُكْمُ الصلوات الخمس في خاصته^(٦)] وأما أُمته فلم يُنسخ عنهم حُكْمُ [إذ] لا يُتَصَوَّرُ نَسْخُ الحُكْمِ قبل وصوله إلى المأمور به . وهذا كله أحد الوجهين في الحديث . والوجه الثاني : أن يكون هذا خيراً لا تعبدًا وإذا كان خيراً لم يخله النسخ ، ومعنى الخبر أنه عليه السلام ، أَخْبَرَهُ رَبُّهُ أن على أُمته خمسين صلاة [ومعناه : أنها خَمْسُونَ في اللوح المحفوظ ، وكذلك قال في آخر الحديث : هي خمس ، وهي خمسون والحسنة بعشر أمثالها ،

(١) البداء : ظهور الرأى بعد أن لم يكن ، والبداء استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم . ويقال بدا لي في هذا الأمر بداء أي ظهر لي فيه رأى آخر .

(٢) نهاية ما نقلناه عن السبيل لتكلمة ما نقله المؤلف عنه .

(٣) إضافة يقتضيا السياق .

(٤) إضافة بن السبيل (١ ص ٢٥١ : ٢٥٢) :

فتأوله رسول الله صلى الله عليه وسلم على^(١) أنها خمسون بالفصل^(٢) ، فلم يزل يراجع ربه حتى بيّن له أنها خمسون في الثواب لا بالعمل^(٣) .

التنبيه الثاني والمائة : قد عُلِمَ مما سبق جواز نَسْخِ الْفِعْلِ قبل التمكن من فعله ، وأن ذلك صحيح في حقه صلى الله عليه وسلم ، وغير صحيح بالنسبة لأئمة لاستحالة النسخ قبل البلاغ إذ شرط التكليف تمكين المُكَلَّف من العِلْم به ، أى إذا لم يكن العلم به شرطاً فإن نَسْخِ التكليف قبل البلاغ يناقض ذلك .

وقال ابن دحية : « يصح النسخ في حق الأمة / أيضاً باعتبار أن الإسلام يوجب على كل مسلم الدخول في فروعه وفي شرائع الدين بتفصيلها ، وكل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته دخل في الإسلام . على أن هنالك تكاليف منها ما نُزِّلَ وَبُيِّنَ بكل وجه ، ومنها ما نُزِّلَ مُجْمَلًا من وجه ومُبَيَّنًا من وجه ، ومنها ما لم يُنَزَّلْ بعد وَسَيُنَزَّلُ ، والإيمان والالتزام شامل للجميع . فكما يجوز نَسْخِ التكليف بعد أن يُبْلَغَ بخصوصية يجوز أيضاً قبله . وأكثر القواعد أن ما وَجِبَ مُجْمَلًا ثم بَيَّنَّ في وقت الحاجة كالصلاة والزكاة ، لم يَقْتَرِنَ بأول وجوبها ذِكْرُ أعدادها ولا إعدادها ولا أوقاتها ولا هيئاتها ولا شرائطها ، بل للتكاليف بها مستقر مع هذه الإجمالات ، لأن المكلف بالالتزام الأول قد دخل على التزامها على ما هي عليه في نفس الأمر . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن الإسلام هو « أن تشهد ألا إله إلا الله وأنى رسول الله وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت^(٤) » . فنجز التكليف عليه بهذه القواعد مُجْمَلَةً غير مُبَيَّنَةٍ .

(١) زيادة من السهيل .

(٢) في السهيل : بالفعل ، والمعتيان صحيحان فهى خسون بالفعل باعتبار العدد الذى ذكره الله تعالى لعباده وهى خسون بالفعل باعتبار ما تفصيل به تعالى عليه .

(٣) زاد السهيلي بعد ذلك قائلا : « فإن قيل فما معنى نقصها عشرا بعد عشر قلنا : ليس الخلق يحضر قلبه في الصلاة من أولها إلى آخرها ، وقد جاء في الحديث أنه يكتب له منها ما حضر قلبه فيها وأن البعد يصل الصلاة فيكتب له نصفها أو ربعها حتى انتهى إلى عشرها ووقف ، فهى خمس في حق من كتب له عشرها وعشر في حق من كتب له أكثر من ذلك ، وخسون في حق من كتبت صلاته وأداها بما يلزمه من تمام خشوعها وكال سجودها وركوعها . (الروض الأنف ج ١ ص ٢٥٢) (٤) هذا الحديث أخرجه البخارى في صحيحه في كتاب الإيمان باب الزكاة من الإسلام (ج ١ ص ٢٢) وإسناده حديثنا لإسماعيل عن مالك بن أنس عن عه ، أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد . فلما هو يسأل عن الإسلام : الحديث .

التنبية الثالث والمائة : قال ابن دحية : « إِذَا سَمِعْتَ الْعُلَمَاءَ يَتَكَلَّمُونَ^(١) عَلَى النَّسْخِ قَبْلَ الْفِعْلِ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا قَبْلَ مُضَى زَمَنِ يَسَعُ الْفِعْلَ الْأَوَّلَ . هَذَا هُوَ الْمُخْتَلَفُ فِيهِ ، وَإِلَّا فَكُلُّ نَسْخٍ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ لَا يَتَصَوَّرُ إِلَّا قَبْلَ الْفِعْلِ لِأَنَّهُ مَا فُعِلَ مُضَى وَانْقَطَعَ التَّكْلِيفُ بِهِ وَالنَّسْخُ فِيهِ . قَالَ : وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ نَسْخَ التَّكْلِيفِ قَبْلَ الْبَلَاغِ مُتَعَذِّرٌ لِأَنَّهُ شَرْطُ التَّكْلِيفِ الْبَلَاغُ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ تَنْجِيزَ التَّكْلِيفِ . هَذَا هُوَ الْمَشْرُوطُ بِالْبَلَاغِ . وَأَمَّا أَصْلُ التَّكْلِيفِ عِنْدَنَا فَلَا يَتَوَقَّفُ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ مَذْهَبَنَا أَنَّ الْأَمْرَ قَدِيمٌ مُحَقَّقٌ قَبْلَ وَجُودِ الْمَأْمُورِ فَضْلًا عَنْ بَلَاغِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى الْمُؤَفَّقُ .

التنبية الرابع والمائة : قال بعض أهل الإشارات : « لَمَّا تَمَكَّنْتَ الْمَحَبَّةَ مِنْ قَلْبِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَضَاعَتْ لَهُ أَنْوَارُ نُورِ الطُّورِ لِيَقْتَبِسَ ، فَاحْتَبَسَ فَلَمَّا نَوَدَى فِي النَّادِي اشْتَاقَ إِلَى الْمُنَادِي فَكَانَ يَطُوفُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيَقُولُ : مَنْ يَحْمِلُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي ، وَمُرَادُهُ أَنْ تَطُولَ الْمُنَاجَاةُ مَعَ الْحَبِيبِ ، فَلَمَّا مَرَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْمَعْرَاجِ رَدَّدَهُ فِي أَمْرِ الصَّلَاةِ لِيَسْعَدَ بِرُؤْيَا حَبِيبِ الْحَبِيبِ . [وَقَالَ آخِرُ : لَمَّا سَأَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الرُّؤْيَا وَلَمْ تَحْصُلْ لَهُ الْبُخِّيَّةُ ، بَقِيَ الشَّوْقُ يُقْلِقُهُ وَالْأَمَلُ يُعَلِّلُهُ ، فَلَمَّا تَحَقَّقَ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنِحَ الرُّؤْيَا وَفُتِّحَ لَهُ بَابُ الْمَرْيَةِ أَكْثَرَ السُّؤَالِ لِيَسْعَدَ بِرُؤْيَا مَنْ قَدْ رَأَى^(٢)] ، كَمَا قِيلَ :

وَأَسْتَشْفِقُ الْأَرْوَاحَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ	لَعَلِّي أَرَاكُمْ أَوْ أَرَى مَنْ يَرَاكُمْ
وَأَنْشُدُ مَنْ لَاقَيْتُ عَنْكُمْ عَسَاكُمُ	تَجُودُونَ لِي بِالْعَطْفِ مِنْكُمْ عَسَاكُمُ
فَأَنْتُمْ حَيَاتِي إِنْ حَيَّيْتُ . وَإِنْ أَمُوتُ	فِيَا حَبِيبًا إِنْ مِتُّ عَبْدٌ هَوَاكُمُ

وقال آخر :

وَلَمَّا السَّرُّ فِي مَسْوِي يُرَدَّدُهُ ،	لِيَجْلِيَ حُسْنَ لَيْلَى حِينَ يَشْهَدُهُ
يَبْدُو سَنَاهَا عَلَى وَجْهِ الرَّسُولِ قَبَا	لِلَّهِ دَرُّ رُسُولٍ حِينَ أَشْهَدُهُ

(١) في الأصول : « يترحمون » من الرحمة وهي مستبعدة وإذا كانت يترجمون بالجمع فإن فعل : « ترجم لا يتعدى بحرف جر ، والسياق يقتضي ما ألفتناه .

(٢) زيادة من المواهب اللدنية التي نقل عنها المؤلف في ج ٦ ص ١٢٤ من شرح المواهب

لَوْ قَالَ^(١) آخِر : لَمَا جَلَسَ الْحَبِيبُ فِي مَقَامِ الْقُرْبِ ، دَارَتْ عَلَيْهِ مَكُوسُ الْحَبِّ ، ثُمَّ عَادَ وَمَلَكَ (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى^(٢)) بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَيَشْرُ (فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ^(٣)) مِنْ قَلْبِهِ وَأُذُنِيهِ ، فَلَمَّا اجْتَاَزَ بِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِسَانُ حَالِهِ لِنَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

يَا وَارِدًا مِنْ أَهْلِ السَّيْلِ الْحَيِّ يُخَيِّرُنِي عَنْ جِيرَتِي شَنْفَ الْأَسْمَاعِ بِالْخَبِيرِ
نَاشِدْتُكَ اللَّهُ يَا رَاوِي حَدِيثَهُمْ حَدَّثْتُ فَقَدْ نَابَ سَمْعِي الْيَوْمَ عَنْ بَصَرِي
فَأَجَابَ لِسَانُ حَالِ نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وَلَقَدْ خَلَوْتُ مَعَ الْحَبِيبِ وَبَيْنَنَا سِرٌّ أَرْقُ مِنَ التَّنْسِيمِ إِذَا سَرَى
وَأَبْسَاحُ طَرَفِي نَظْمَةً أَمَلْتُهَا . فَخَلَوْتُ مَعْرُوفًا وَكُنْتُ مُنْكَرًا^(٤)]

التنبيه الخامس والمائة : قوله فلما جاوزت نادى مناد : « أَصْبَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي » ، من أقوى ما يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَلَّمَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ بِغَيْرِ واسطة .

التنبيه السادس والمائة : وظاهر سياق حديث شريك أَنَّ مُوسَىٰ هُوَ الَّذِي قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللَّهِ » ، لِأَنَّهُ ذَكَرَ عَقِبَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَدْ وَاللَّهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفَ إِلَيْهِ » ، قَالَ : « فَاهْبِطْ » ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ الَّذِي قَالَ لَهُ « اهْبِطْ بِاسْمِ اللَّهِ » جَبْرِيلُ ، وَبِذَلِكَ جَزَمَ الدَّوْدِيُّ .

التنبيه السابع والمائة : قَالَ السَّهِيلُ : « فَإِنْ قِيلَ : « كَيْفَ اسْتَبَاحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ الْمَاءَ الَّذِي فِي الْقَدَحِ وَهُوَ مِلْكٌ لغيره ، وَأَمْلَكَ الْكُفَّارَ لَمْ تَكُنْ أَبْيَحْتَ يَوْمَئِذٍ وَلَا دِمَاؤُهُمْ ؟ » فَالْجَوَابُ أَنَّ الْعَرَبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ فِي عُرْفِ الْعَادَةِ عَنْدهُمْ إِبَاحَةُ اللَّبَنِ لِابْنِ السَّبِيلِ فَضْلًا عَنِ الْمَاءِ وَكَانُوا يَعْبُدُونَ بِذَلِكَ إِلَى رُعَاتِهِمْ وَيَشْتَرِطُونَهُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ عَقْدِ

(١) زيادة من المرواهب الدنية التي نقل منها المؤلف في ج ٦ ص ١٢٤ من شرح المرواهب .

(٢) سورة النجم آية ١١

(٣) سورة النجم آية ١٠

(٤) من شعر جرير بن الفارض ، ديوانه طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢ ص ٩٩ .

إجارتهم ألا يمتنعوا [الرسل وهد^(١)] اللَّبَن من أَحَد مَرَّ بهم ، فكيف بالماء ؟ وللْحُكْم بِالْعُرْف في الشريعة أَصُولٌ تشهد له [وقد^(٢) ترجم البخارى عليه في كتاب البيوع وخرَج حديث هند بنت عُتَيْبَة وفيه : « خذى ما يكفيك ووليك بالمعروف^(٣) »] .

قُلْتُ : وذكر أَمَتُنَا رحمهم الله تعالى في الخصائص أَنه صلى الله عليه وسلم أُبِيح له الطعام والشراب من مالكهما المحتاج إليهما إذا احتاج صلى الله عليه وسلم إليهما فإنه يجب على صاحبهما البذل له صلى الله عليه وسلم . قال تعالى (النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ^(٤))

· التنبيه الثامن والمائة : يَأْتِي الكلام على حَبْس الشمس في المعجزات .

التنبيه التاسع والمائة : قوله صلى الله عليه وسلم : « فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه » إلى ٣٨٢ ظ . آخره / كذا في رواية ابن عباس رضى الله عنهما عند الإمام أحمد والنسائي بسند صحيح ، وفي رواية عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة عند مسلم قال : « فسألوني عن أشياء لم أثبتها فكرَّبتُ كريباً لم أكرب مثله قط ، فرفعه الله تعالى لى أنظر إليه مايسألونى عن شيء إلا أنبأتهم به » . وفي رواية جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : « فَجَلَّى اللهُ لى بيت المقدس فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عن آياته وأنا أنظر إليه » . ومعنى « جَلَّى اللهُ بيت المقدس » كشف الحُجُب بينى وبينه حتى رأيته ، ويَحْتَمِلُ أن يريد أنه حُيِّلَ إلى أن وُضِعَ بحيث يراه ، ثم أُعيد ، ويؤيده رواية ابن عباس السابقة . ، وهذا أبلغ في المعجزات ولا استحالة في ذلك . وقد أُخْبِرَ عَرَّشُ بلقيس في أقل من طَرْفَةِ عين . ووقع في حديث أم هانئ عند ابن سعد : « فحِيلَ لى بيت المقدس فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عن آياته » . فإن ثَبَتَ احتِمالُ أن يكون المراد أنه مَثَّلَ قريباً كما قيل في حديث : « أُرِيتُ الجنة والنار » ويؤيد قوله : « حتى جىء بمثاله » .

التنبيه العاشر والمائة : مجموع ما خالفت فيه رواية شريك غيره : من المشهور اثنا عشر شيئاً : الأول كون المعراج قبل البعثة وقدمنا جوابه . الثانى : كونه مناماً وتقاسم

(١) زيادة من الروض الأنف ج ١ ص ٢٤٦ .

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه (ج ٣ ص ١٦٢ ، ١٦٣) في كتاب البيوع باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم في البيوع والإجارة والمكايال والوزن وسننهم على نياتهم ومناهم المشهورة .

(٣) سورة الأحزاب آية ٦ .

الكلام على ذلك . الثالث : أمكنة الأنبياء في السموات وقد اوضح أنه لم يضبط منازلهم لكن وافقه الزهرى في بعض ما ذكر . الرابع : مخالفته في محل سِدْرَةِ المنتهى وأنها فوق السماء البابية ، مما لا يعلمه إلا الله تعالى ، والمشهور أنها في السابعة أو السادسة كما تقدم . الخامس : مخالفته في التَّهْرَيْنِ وهما النيل والفُرَات وأن عنصرهما في السماء الدنيا ، والمشهور في غير روايته أنهما في السماء السابعة وأنهما تحت سدرة المنتهى وتقدم جوابه . السادس : شقَّ الصُّدر عند الإسراء وقد وافقته روايةٌ غَيْرُهُ كما تقدَّم بَسْطُ ذلك في أبواب صفاته . السابع : ذكر نهر الكوثر في السماء الدنيا ، والمشهور في الحديث أنه في الجنة ، وتقدم الكلام على ذلك . الثامن : نسبة الدُّنُوِّ والتُّدَلَّى إلى الله تعالى ، والمشهور أنه جبريل . قال الخطَّابي : « ليس في هذا الكتاب - يعنى صحيح البخارى - أشنع ظاهراً ولا أمتنع مذاقاً من هذا - يعنى قوله : « ودنا الجبار ربُّ العِزَّة فَبَدَلْ حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى » - فإنه يقتضى تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر وتمييز مكان كل واحد منهما ، هذا مع ما في التُّدَلَّى من التشبيه ، والتعميل له بالشئ الذى تَعَلَّقَ من فوق إلى أسفل . قال : فمن لم يبلغه من هذا الحديث إلا هذا القدر مَقْطوعاً عن غيره ، ولم يعتبره بأول القصة ولا بآخرها اشتبه عليه وجهه ومعناه ، وكان قَصَّارُهُ إما رَدَّ الحديث من أصله وإما الوقوع في التشبيه / ، وهما خَطَاآن مرغوب عنهما .

و ٣٨٣

« وأما من اعتبر أول الحديث بآخره فإنه يزول عنه الإشكال فإنه مُصَرَّحٌ فيهما بأنه كان رؤيا لقوله في أوله : « وهو نائم » وفي آخره : « استيقظ » . وفي بعض الرؤيا مُثَلُّ يُضْرَبُ لِيَتَنَاوَلَ على الوجه الذى يجب أن يُصْرَفَ إليه معنى التعبير في مثله ، وبعض الرؤيا لا يحتاج إلى ذلك بل يأتى كالمشاهدة » .

قال الحافظ : « وهو كما قال ولا التفات إلى من تعقب كلامه بقوله : إن في الحديث الصحيح أن رؤيا الأنبياء وَحْيٌ فلا يحتاج إلى تعبير ، لأنه كلام من لم يُعْنِ النظر في هذا المحل ، فإن بعض مرأى الأنبياء يقبل التعبير ، فمن ذلك قول بعض الصحابة له صلى الله عليه وسلم في رؤيا القميص : « فما أَوَّلُهُ يا رسول الله ؟ » قال : « الدِّين » . وفي رؤيا اللَّبَنِ قال : « العِلْم » . لكن جَزَمَ الخطَّابي بأن ذلك كان مناماً ، وهذا مُتَعَبٌّ بما قَدَّمْنَاهُ من ترجيح كونه في اليقظة بالأدلة التى أشرنا إليها .

ثم قال الخطابي مشيراً إلى رفع الحديث من أصله «إن القصة بطولها إنما هي حكاية يحكيها أنس من تلقاء نفسه لم يعزها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا نقلها عنه ولا أضافها إلى قوله ، فحاصل الأمر في النقل أنها من جهة الراوى أنس ، وأما شريك فإنه كثير التفرّد بمناكير الألفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة . [قال الحافظ^(١)] : «وما نفاه من أن أنساً لم يُسند هذه القصة إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا تأثير له ، فأدنى أمره فيها أن تكون مُرسَل صحابي ، فلما أن يكون تلقاها عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن صحابي تلقاها عنه . ومثل ما اشتملت عليه لا يُقال بالرأى فيكون لما حُكِمَ الرفع . ولو كان لما ذكره تأثير لم يُحتمل حديث أحد روى مثل ذلك على الرفع أصلاً وهو خلاف عمل المُحدِّثين قاطبةً فالتعليل بذلك [مردود^(٢)] .

ثم قال الخطابي : «إن الذي وقع في هذه الرواية من نسبة التَّدَلَّى للجَبَّار عز وجل مخالفة لعامة السلف والعلماء وأهل التفسير ومن تقدم منهم ومن تأخَّر . والذي قيل فيه ثلاثة أقوال : أحدها : دنا جبريل من محمد فتَدَلَّى أى تَقَرَّب منه ، وقيل هو على التقديم والتأخير أى تَدَلَّى فدنا لأن التَّدَلَّى سبب الدنو . الثاني : تَدَلَّى جبريل بعد الانصباب والاندفاع حتى رآه مُتَدَلِّياً كما رآه مرتفعاً ، وذلك من آيات الله حيث أقدره على أن يتدَلَّى في الهواء من غير اعتماد على شيء وَتَمَسَّكَ بشيء . الثالث : دنا جبريل فتَدَلَّى محمد ساجداً لربه شكراً على ما أعطاه من الزُّلْفَى . وقد رُوِيَ هذا الحديث عن أنس رضى الله عنه من غير طريق شريك فلم يذكر هذه الألفاظ الشنيعة ، وذلك مما يُقَوِّى الظَّن أنها صادرة من شريك .

قال الحافظ : «قد أخرج البيهقي من طريق الأموى في مغازيه عن محمد بن عمر بن أبي سلمة عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى^(٣)) ، قال : «دنا منه ربه» ، وهذا سَدَّدَ حَسَن وهو شاهد قوى لرواية شريك . ثم قال الخطابي : «وفى هذا الحديث لفظة أُخْرَى تَقَرَّد بها شريك أيضاً لم يذكرها غيره ، وهى قوله : «فَعَلَا بِهِ»

(١) زيادة من الزرقاني على المواهب ج ٦ ص ٩٧

(٢) سورة النجم آية ١٣

يعني جبريل إلى الجبار تعالى ، فقال وهو مكانه : « رَبِّ خُصِّفْ عَنَّا » . قال الخطابي : « والمكان لا ينسب إلى الله تعالى ، إنما هو مكان النبي صلى الله عليه وسلم في مقامه الأول الذي قام فيه قبل هبوطه » . قال الحافظ : « وهذا الأخير مُتَعَيِّنٌ وليس في السياق تصريح بإضافة المكان إلى الله تعالى ، وأما ما جَزَمَ به من مخالفته للسلف والخلف فقد ذكرنا من وافقه » .

وقد نقل القرطبي عن ابن عباس أنه قال : « دَنَا اللَّهُ » ، قال القرطبي : « والمعنى دَنَا أَمْرُهُ وَحُكْمُهُ ، وأصل التَّنَدُّلِ النزول إلى الشيء حتى يَقْرُبَ منه » . قال : « وقيل التدلُّى تَدَلَّى الرُفْرَفُ لمحمد حتى جلس عليه ، ثم دنا محمد من ربه » . وقد أزال العلماء إشكاله فقال القاضي : « إضافة الدنو والقرب هنا من الله تعالى أو إلى الله تعالى ليس بِدُنُوٍّ مكان وقرب مَدَى ينتهى إليه وإنما دُنُوُّ النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وَقُرْبُهُ منه إِبَانَةُ لعظيم منزلته وتشريف رتبته اعتناء بشأنه وإظهاراً لما لم يؤته أحداً غيره وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ، كما قال جعفر بن محمد : الدنو من الله تعالى لا حَدَّ له يَنْتَهِي إليه مَطْمَحٌ فَهْمٌ أَوْ مَطَرَحٌ وَهْمٌ ، ومن العباد بالحدود الغائبة المنتهية إلى غاية » .

وقال أيضاً : « انقطعت الكيفية عن الدنو ، ألا ترى كيف حُجِبَ جبريل عن دنوه ودنا محمد إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدل بسكون قلبه إلى ما أدناه إليه وأزال من قلبه الشك والارتباب [أى الذى عَرَا خَاطِرُهُ : هل يغشى حضرة هذا القرب وينال مواهبه من إنافة وإكرام وشرف وإنعام فأنجح الله أمنيته لا الشك في ذلك ، إذ كان أَثْبَتَ الناسَ مَعْرِفَةً وإيماناً وَأَسْكَنَهُمْ جَنَاناً وَأَمْلَكَهُمْ طُمَأْنِينَةً وَسَكُوناً^(١) ، وإنما الدنو والقرب من الله تعالى أو إليه كناية عن جزيل فوائده إليه وجميل عوائده عليه وتأنيس لاستيحاشه بانقطاع الأصوات عنه ، وَبَسْطُ بالمكاملة وإكرام بِشَرَائِفِ مُنِيفَةٍ ، يُتَبَاوَلُ في دُنُوِّه تعالى منه ما يُتَبَاوَلُ به في قوله صلى الله عليه وسلم : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وتعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ^(٢) » ، على أَحَدِ الوجوه من أن نزوله تعالى إنما هو نزول إفضال وإجمال وقبول توبة وإحسان بمعرفة وإشفاق » .

(١) زيادة من شرح الزرقاني على المواهب ج ٦ ص ٩٨ .

(٢) طرف حديث في البخارى في كتاب اللغات باب الدعاء نصف الليل (ج ٨ ص ١٢٧ : ١٢٨) أخرجه عن

وقال الواسطي : « مَنْ تَوَهَّم أَنَّهُ بِنَفْسِهِ دَنَا فَقَدْ جَعَلَ ثُمَّ مَسَافَةً وَلَا مَسَافَةً لِمَسَافَتِهَا بَلْ كَلِمَا دَنَا بِنَفْسِهِ مِنَ الْحَقِّ تَلَكَّلَ بَعْدًا ، يَعْنِي كَلِمًا قَرُبَ مِنْهُ نَزَلَ بِسَاحَةِ الْبُعْدِ كُنَايَةً عَنْ تَقَرُّبِهِمَا جَمِيعًا أَوْ عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ إِذْ لَا يَدْرِكُهَا أَحَدٌ ، وَلَا دُنُوٌّ لِلْحَقِّ وَلَا بُعْدٌ ، لِمَسَافَتِهِمَا . وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَإِنِّي قَرِيبٌ » فَتَمَثِيلٌ لِكَمَالِ عِلْمِهِ وَإِجَابَةٌ لَتَعَالِيهِ عَنْ الْقُرْبِ مَكَانًا . وَيَتَأَوَّلُ فِي الدُّنُوِّ مَا يَتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١) حِكَايَةً عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَيْئًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا » ، وَهُوَ تَمَثِيلٌ يُقَرَّبُ الْمَعْنَى لِلْأَفْهَامِ ، أَيْ مِنْ تَقَرَّبَ إِلَى طَاعَتِي جَازِيَتُهُ بِأَضْعَافٍ مَا تَقَرَّبَ بِهِ إِلَيَّ . « وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً » ، أَيْ سَبَقَتْهُ بِجَزَائِهِ ، فَهُوَ أَقْرَبُ بِالْإِجَابَةِ وَالْقَبُولِ ، وَإِتْيَانُ بِالْحَسَنِ ، وَتَعْجِيلُ الْمَأْمُولِ ، ثَوَابًا مُضَاعَفًا عَلَى حَسَبِ مَا تَقَرَّبَ بِهِ ، وَقَدْ سَبَقَ بِهِ طَرِيقُ الْمَشَاكِلَةِ فَسَمَاهُ تَقَرُّبًا . »

والتاسع : تصريحه بأن امتناعه صلى الله عليه وسلم من الرجوع إلى سؤال ربه تبارك وتعالى في طلب / التخفيف كان عند الخامسة . ومقتضى رواية ثابت أنه كان بعد السابعة . ٣٨٤ و
العاشر : قوله : « فَعَلَا بِهِ الْجَبَّارُ » ، وَهُوَ مَكَانُهُ تَقَدَّمَ مَا فِيهِ . الْحَادِي عَشَرَ : رَجُوعُهُ بَعْدَ الْخَمْسِ ، وَالْمَشْهُورُ فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ مُوسَى أَمَرَهُ بِالرَّجُوعِ بَعْدَ أَنْ انْتَهَى التَّخْفِيفُ إِلَى خَمْسٍ فَلَمْ يَرْجِعْ . الثَّانِي عَشَرَ : زِيَادَةُ ذِكْرِ « التَّوَرِ » (٢) بِالنَّاءِ الْمُثَنَّى فِي الطُّسْتِ ، فَإِنَّهُ قَالَ : « أُنَبِّئُ بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ » ، فَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ طُسْتٌ صَغِيرٌ دَاخِلٌ طُسْتٌ كَبِيرٌ لِثَلَا يَتَبَدَّدُ مِنْهُ شَيْءٌ فَيَكُونُ فِي الْكَبِيرِ . وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَوَايَةُ شَرِيكَ أَنَّهُمْ غَسَلُوهُ بِمَاءٍ زَمْزَمٍ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا فِيهِ مَاءُ زَمْزَمٍ وَالْآخَرُ هُوَ الْمَحْشُورُ بِالْإِيمَانِ ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ التَّوْرُ ظَرْفُ الْمَاءِ وَالْإِيمَانِ وَالطُّسْتُ لِمَا يُصَبُّ فِيهِ عِنْدَ الْغُسْلِ صَيَانَةٌ لَهُ عَنِ التَّبَدُّدِ فِي الْأَرْضِ وَجَرِيًّا لَهُ عَلَى الْعَادَةِ فِي الطُّسْتِ وَمَا يَوْضَعُ فِيهِ الْمَاءُ .

التَّانِيَةُ الْحَادِي عَشَرَ وَالْمِائَةُ : فِي بَيَانِ غَرِيبٍ مَا تَقَدَّمَ :

« بَيْنَا » : الْأَصْلُ « بَيْنَ » فَأُشْبِعَتْ الْفَتْحَةُ فَصَارَتْ أَلِفًا وَزِيدَتْ الْمِيمُ فَيُقَالُ : « بَيْنَا »

(١) صحيح البخاري كتاب التوحيد (ج ٧ ص ٢١٦) عن أبي هريرة . وأخرج أيضا مسلم في صحيحه بشرح النووي (ج ١٧ ص ٢٠٢) .

(٢) في حديث أم سلم رضي الله عنها : أنها صنعت حيسا في تور ، والتور هو إلهاء من صفر أو حجارة كالإجاعة وقد يتوسم منه ، عن النهاية ج ١ ص ١٢٠ .

و «بيننا» . قال في النهاية : وهما ظرفاً زمان بمعنى المُفَاجَأة^(١) . وقال في المطالع : «بيننا أنا» و «بيننا أنا» من البَيِّن الذي هو الوَصْل أى أنا متصل بفعل كذا . «الجِجْر^(٢)» ، بكسر الحاء وسكون الجيم وهو هنا حطيم مكة وهو المُدار عليه بالبناء من جهة الميزاب وسُمي جِجراً لأنَّه حُجِر عنه بحيطانِه وحطيماً لأنَّه حُطِمَ جِدارُه عن مساواة الكعبة وعليه ظاهر قوله : «بيننا أنا في الحطيم» ، وربما قال : «في الجِجْر» ، والشك من قتادة . وقال الطيبي : ولعله صلى الله عليه وسلم حكى لهم قصة المعراج فعَبَّرَ بالحطيم تارةً وبالجِجْر أخرى . وقيل : الحطيم غير الجِجْر ، وهو ما بين المَقَام إلى الباب ، وقيل : ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر ، والراوى شكَّ أنه سمع في الحطيم . أو في الجِجْر . «أوسطهم» خَيْرُهُم . «الثَّغَرَة» بضم المثناة وسكون المعجمة الموضع المنخريض بين الترقوتين ، إلى أسفل بطنه أى شِعْرَتِه بكسر الشين المعجمة أى شَعْر العانة . وفي رواية : «فشقَّ جبريل ما بين نحره إلى لَبَّتِه» وهى بفتح اللام وتشديد الموحدة موضع القلادة من الصدر ، وفي رواية : «إلى ثُنَّتِه» بضم المثناة وتشديد النون أى ما بين سُرَّتِه إلى عانته . وفي رواية : «من قَصْبِه بفتح القاف وتشديد الصاد المهملة أى رأس صدره ، وفي رواية : «قُرَج صدرى» ومعنى الروايات واحد . «الطَّسْت» بفتح الطاء وسكون السين المهملة ، وإعجمائها ليس بِلَسَن ، بل لغة صرَّح بها صاحب القاموس فيه وفي كتاب : تخيير الموشين فيها يقال بالسين والشين ، وبمثناة وقد تُحْلَف وهو الأكثر وإتيانها لغة طي ، وأخطأ من أنكرها ، وتُدْغَم السين فى التاء بعد قلبها فيقال طَسَّ وهى مؤنثة وجمعتها طساس وطسوس وطسوت^(٣) .

(١) زاد ابن الأثير فى النهاية (ج ١ ص ١٠٦) ويضافان إلى جملة من فعل وفاعل ومبتدأ وخبر ويحتاجان إلى جواب يتم به المعنى والاضمح في جوابهما ، لا يكون فيه إذ وإذا وقد جاء في الجواب كثيرا .

(٢) الحجر حجر الكعبة قال الأزهري هو حطيم مكة ما يلي المنب من البيت . وفي الصحاح للجوهري الحجر حجر الكعبة وهو ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال وكل ما حجرتة من حائط فهو حجر — عن تاج العروس والصحاح .

(٣) جاء فى النهاية (ج ٣ ص ٣٧) : فى حديث الإسراء . واختلف إليه ميكائيل بثلاث طساس من زمزم ، الطساس جمع طس وهو القلست والثاء فيه بدل من السين فجمع على أصلة ويجمع على طسوس أيضا . وجاء فى تاج العروس : الطست من آتية الصغر أى وقد تذكر ، والطس بلفظ طيه أبداً من إحدى السينين تاء للاستعقال فإذا جمعت أو صغرت رددت السين لأنك فصلت بينهما بألف أو ياء قلت طساس وطسوس ، ويجمع أيضا على طسوس باعتبار الأصل وعلى طسوت باعتبار اللفظ . ونقل عن بعضهم التذكير والتأنيث ، وقال الزجاج ، التأنيث : أكثر كلام العرب . وهى دخيلة فى كلام العرب لأن التاء والطاء لا يجتمعان فى كلمة عربية .

وقال الجوالقي فى المغرب (ص ٢٢١ ، ٢٢٢) إنها فارسية مما دخل فى كلام العرب غير أنهم لما أعربوا الطست قالوا طس ويجمع طساساً وطسوساً ونى لسان العرب . والأكثر الطس بالعربية .

« اختلف إليه » [تَرَدَّد^(١)] « مبتلى » بالتذكير على معنى الإثاء ، وفي رواية : « ملوعة » ، بالتأنيث أى الطست ، وفي رواية « مَحْشُوءًا » بالنصب وأُعْرِبَ بأنه حال من الضمير فى ٣٨٤ ظ الجار والمجرور ، وفي رواية « مَحْشُوءٌ » ، وفي رواية شريك : بطشت من ذهب بمشاة فوقية / ويأتى لهذا مزيد بيان . « إيماناً » منصوب على التمييز « وحِكْمَةً » معطوف عليه .

قال ابن أبى جَمْرَةَ : وفى هذا الحديث أن الحكمة ليس بعد الإيمان أجلّ منها ، ولذلك قُرِئَتْ به ، ويؤيده قوله تعالى : (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا^(٢)) . وقد اختلف فى تفسير الحكمة ف قيل إنها العلم المُشْتَمِل على معرفة الله تعالى مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكفّ عن ضده ، والحكيم من حاز ذلك ، قال النووي : « هذا ما صَفَّا لنا من أقوال كثيرة » ، انتهى . وقد تُطْلَق الحكمة على القرآن وهو مُشْتَمِل على ذلك كله ، وعلى النبوة كذلك ، وقد تُطْلَق على العلم فقط ونحو ذلك .

قال الحافظ : « وَأَصَحُّ ما قيل فيها إنها وضع الشيء فى محله ، أو الفهم فى كتاب الله ، وعلى التفسير الثانى قد توجد الحكمة دون الإيمان وقد لا توجد ، وعلى الأول قد يتلزامان لأن الإيمان يدل على الحكمة . « دَابَّةٌ أبيض » إنما قال أبيض ولم يقل ببيضاء لأنه أعاده على المعنى أى مركوب أو بُرَاق . « مُسَرَّجًا مُلْجَمًا » حالان من البراق . « الحافر » أحد حوافر الدابة سُمِّيَ بذلك لِخَصَرِهِ الأرض لشدّة وَطْئِهِ عليها . « الطَّرْف » بسكون الراء وبالفاء النظر ، « مُضْطَرِبِّ الأذُنَيْنِ » أى طويلهما والطاء بدل من التاء . « يَحْفِزُ بهما رجلَيْه » بمشاة تحتية مفتوحة فحاء مهملة ساكنة ففاء مكسورة قال فى النهاية^(٣) : الحَفَزُ الحَثّ والإعجال . « عُرْفُ الفَرَس » بضمّ العين المهملة وبالفاء الشَّعْرُ النَّابِت فى مُخَدَّب رَقَبَتِهِ . « الأظْلَاف » جمع ظلف بكسر الظاء المعجمة المُشَاة وهو من الشاء والبقر كالظفر للإنسان « صَرَّتْ بأذنيها » أى جمعت بينهما وأصل الصرّ الجمع والشّدّ قاله فى النهاية^(٤) وفى الصحاح : الصرّة الشدّة من كَرَبٍ وغيره .

(١) يبايخ بالأصول بنحو كلمة .

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٩ وفى تفسير القرطبى (ج ٣ ص ٣٣٠) مرويات عن معنى الحكمة لابن عباس والسدى وقتادة ومجاهد وعلق عليها القرطبى بقوله . وهذه الأقوال قريب بعضها من بعض لأن الحكمة مصدر من الإحكام . وهو الإتيان فى قول أو فعل . وأصل الحكمة ما يمتنع به عن السفه . وهو كل فعل قبيح .

(٣) فى ١ ص ٢٤٠

(٤) فى ٢ ص ٢٥٨

«أَرْقَضَ» جرى وسال «عَرَقًا» منصوب على التمييز من الفاعل ولذا وَرَدَ مُخَفَّفًا والمعنى فَتَبَّرًا من الاستصعاب وعَرَقَ من حجل الغناب فوثب. «الزَّمام» بالكسر اليَقُود. «طَبِيبَةٌ» من أسماء المدينة الشريفة «يَهْوَى بِهِ» يُسْرِعُ السَّيْرَ «مَدِينٍ» بفتح الميم وسكون الدال المهمله وفتح المُنْثَنَةِ التحية بلد بالشام لتلقا غَزَّة. «طور سيناء»: الطور جبل بيت المقدس^(١) وسيناء بكسر السين اسم للبقعة. «بَيْتَ لَحْمٍ» بلام مفتوحة فحاء [مهمله] ساكنة قرية من قُرَى الشام لتلقا بيت المقدس. «الْعَفْرِيتُ» من الْجِنِّ العارم الخبيث ويستعمل في الإنسان استعارة الشيطان له. «الشَّلْعَةُ» من النار بالضَّمِّ وهي شبه الْجُذُوءِ ، وَالْجُذُوءُ مُثَلَّثَةُ الْجِمِّ الْجَمْرَةِ. «خَرَّ» لفيه «أى على فمه». «الكلمات الثَّامَاتُ» أى الكاماة فلا يدخلها نقص ولا عيب ، وقيل النافعة الشافية. «لَا يُجَاوِزُهُنَّ» أى لَا يَتَعَدَّاهُنَّ. «الْبَرَّ» بفتح الباء التَّقَى. «الفاجر» المائل عن الحق. «ذَرَأًا» خلق. «طَوَارِقُ اللَّيْلِ» حوادثه التى تَأْتِي لَيْلًا. «الماشطة» اسم فاعل من مَشَطَ الشَّعْرَ يَمْشِطُهُ وَيَمْشِطُهُ بِضَمِّ المِجْمَةِ وكسرهما مَشَطًا سَرَّحَهُ ، والتثقييل مبالغة. «الْمَشْطَةُ بِضَمِّ الميم وإسكان الشين / ومع ضَمِّها أيضًا ، وبكسر الميم مع إسكان الشين ، ويقال يَمْشِطُ بِمِجْمِينِ الْأَوَّلَى مَكْسُورَةً وَ«تَعَسَّ» بفتح العين وتكسر ، تَعَسَّى بِسكون العين وفتحها لم يَسْتَقْبَلْ من عمرته وأُتِمَّسَ اللَّهُ فَتَعَسَّ ويقال تَعَسَّى أَكْبَرُ على وجهه^(٢). «راودوا^(٣) للزَّاءِ» أى راجعوها. «فَأَمْرٌ بِبَقْرَةٍ من نحاس» بباءَيْنِ مُوحَّدَتَيْنِ ففقا ، قال الحافظ أبو موسى المدينى^(٤) : [الذى]^(٥) يقع لى في معناه أنه لا يريد شيئاً مَصْبُوعاً على صورة البقرة ، ولكنته

(١) المؤلف هنا يخلط بين الطور الذى قال عنه الزبيدي في تاج العروس : «جبل بالقدس من بين المسجد ويعرف بطور زينا وقد صعدته وتبركت به» وبين جبل الطور الذى يضاف إلى سيناء وهو إلى الجنوب الغربى من أيلة على رأس خليج العقبة.

(٢) في القاموس المحيط التمس الهلاك والشار والسقوط والشر والبد والاضطراب ، والفعل كنع وسم ، وإذا خاطبت قلت تمنست كنع وإذا حكيت قلت تمس كنع ، وتمسه الله وأتمسه . وفي النهاية (ج ١ ص ١١٥) : في حديث الإنك : تمس مطع ، يقال تمس وتمس إذا عثر وانكب لوجهه وقد تفتح العين وهو دعاء عليه بالهلاك . وفي تاج العروس : قال الأزهرى : لا أعرف تمسه الله ولكن يقال تمس بنفسه وأتمسه الله .

(٣) في المصباح : رآدته على الأمر مرادة وزوآدا من باب قاتل طلبت منه فعله . وفي التاج : رآدته على كذا أى أردته .

(٤) في النهاية الحافظ أبو موسى ولم يذكر ابن الأثير المصنف ، وعلى بن عبد الله المدينى الحافظ الشهير المتوفى سنة ٢٣٤ هـ كانت كنيته أبا الحسن . ومع ذلك فإني أرجح أنه هو الذى يقصده المؤلف ، انظر في ترجمة ابن المدينى تذكرة

الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ١٥ و ١٦ .

(٥) زيادة من النهاية لابن الأثير ج ١ ص ٨٩ وتكلم الحديث : فأمر ببقرة نحاس فأحيت . وسبق أن أشرنا إلى

أنها وهدت بقرة من نحاس .

ربما كانت قِدْرًا كبيرة واسعة فسمّاها بَقْرَة مأخوذاً من التَّبَقُّرِ التَّوَسُّعِ أو كان شيئاً يَسَعُ بَقْرَة تَامَةً يَتَوَالِهَا فَسُمِّيَتْ بذلك . «ولا تَقَاعِي» أى لا تَتَأَخَّرِ وَتَتَوَقَّفِي عن إلقاءك فى النار ، يقال تقاعس عن الأمر إذا تَأَخَّرَ ولم يَتَقَدِّمْ فيه . «تُرَضِّخُ»^(١) رَغُوسُهُمْ «تُشَدِّخُ» كلها فى الغريب . وقال فى المصباح : تُكْسَرُ^(٢) . «لا يَبْقَرُ» لا يَسْكُنُ . «يَسْرَحُونَ» يقال سَرَحَتِ الإبلُ سَرَحًا وَسَرَحًا^(٣) أَيْضًا رَعَتِ . «الصَّرِيحُ» : الشوك اليابس أو نباتٌ أحمر مُتَنِينٌ الريح يرمى به البحر . «الزُّقُومُ» ثَمَرُ شَجَرٍ كَرِيهِ الطَّعْمِ قَلِيلٌ لَا يُعْرَفُ فى شجر الدنيا وإنما هى فى النار يَكْرَهُ أَهْلُ النَّارِ أَكْلُهَا^(٤) ، كما قال تعالى (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُغُوسٌ الشَّيَاطِينِ)^(٥) «رَضِفَ جَهَنَّمَ» بفتح الزاء وسكون الضاد المعجمة بعدها فاء ، هى الحجارة المُحَمَّاةُ واحداها رَضِيفَةٌ^(٦) «النَّيْءُ»^(٧) بالهمز وزان جِئِلُ كل شيء شأنه أن يُعَالَجَ بِئِيٍّ أو طَبِخٍ لم ينضج يقال لَحْمٌ نَيْيٌ والإِدْغَامُ والإِبدَالُ عَامِيٌّ . «الجُحْرُ» بضم الجيم وسكون الحاء المهملة وهو النَّقْبُ المستدير . «الثَّوْرُ» بالمثلثة معروف . «الْغُرْفُ» بِالضَّمِّ جمع غُرْفَةٍ وهى الْعُلْيَةُ^(٨) «الْإِسْتَبْرَقُ» ثخين الديباج «السُّنْدُسُ»^(٩) رقيق الديباج .

(١) فى القاموس المحيط وضع الحصى كنع وضرب كسرهما وفى النهاية (ج ٢ ص ٨٤) أرفض الشئ والرضخ أيضا اللق والكسر ولكن ابن الأثير فى مادة شخ قال بأن الشئ هو كسر الشئ الأجوف (جزء ٢ ص ٢٠٨) .
(٢) لفظ القويى فى المصباح . وضعت رأسه (بالهاء المهملة) إذا كسره وانها المعجمة لفة فيها .
(٣) سرحت الإبل ترحح سرحا وسروحا سامت أى رعت حيث شابت .

(٤) فى الزرقانى على المواهب يكره أهل النار على أكلها . وأضاف : وفى القاموس الزقوم كتنور الزيد بالفتح وشجرة يجهنم ونبات بالبادية .. وطعام أهل النار ، وأخرج ابن جرير عن قتادة قال : قال أبو جهل : زعم صاحبكم هذا أن فى النار شجرة والنار تأكل الشجر وإنما ما نمل الزقوم إلا الخمر والزبد - الزرقانى على المواهب ج ٦ ص ٤١ .
(٥) سورة الصافات آية ٦٤ ، ٦٥ .

(٦) فى القاموس : الرضف الحجارة المحمأة ، ورضفه يرضفه كواه بها . وفى حديث أبي ذر فى النهاية ج ٢ ص ٨٥ : يشر الكنازين برضف يحمى عليه فى نار جهنم .

(٧) فى الأنفال لابن القطوية ناه اللحم نياً لم ينضج (ص ١١٥) . وفى الصحاح : فهو لحم فى بالكسر بين النيوه والنيوأة ومثله فى القاموس . وفى التاج . ناه اللحم ينأى أى كينأف والذى فى النهاية والصحاح والمصباح ولسان العرب ينأى لم ينضج أو لم تمسه نار ، وقيل إنها يأتى أى يترك اللحم ويقلب ياء فيقال فى شفا قال أبو ذؤيب الهذلي :
حقار كناه . ناه لست بمخمطة ولا خلعة يكرى الشروب شهايا

«أنظر القسم الأول من ديوان الهذليين القاهرة سنة ١٩٤٥ م ص ٧٢» وفى النهاية (ج ٤ ص ١٨٨) . نهي من أكل اللحم النيء ، هو الذى لم يطبخ أو طبخ أذن طبخ ولم ينضج يقال ناه نهي نياً بوزن ناع ينبع نهما فهو فى بالكسر كنع . هذا هو الأصل وقد يترك اللحم ويقلب ياء فيقال فى شفا .

(٨) فى القاموس العلية بالضم . والكسر الغرفة والجمع العلال . وفى الصحاح : الغرفة العلية والجمع غرفات وغرف . ووردت فى شعر ليبيد :

سوى فأغلق دون غرفة مرشه صبا طباقا فوق فرع المنقل

يعنى به السهاد السابعة .

(٩) الإستبرق ما غلظ من الحرير والأبريسم والسندس مارك من الديباج كافى فى النهاية . وفى المغرب للجوهري أن الأولى =

« العبقري » قيل هو الديباج وقيل البُسط الموشَّية وقيل الطنافس الثَّخان^(١) والأصل في العبقري فيما قيل إن عَمَرَ قرية يسكنها الجِنّ فيها يَزْعُمُونَ فكلما يَزُون شيئاً فائقاً غريباً مما يَصْغُبُ عمله وَيَدِقُّ أو شيئاً عظيماً في نفسه نسبوه إليها . « اللؤلؤ^(٢) » بهزتين وَيَحْتَفِهُمَا وبإثبات الأولى دون الثانية « المَرْجان^(٣) » : قال الأزهرى وغيره هو صغار اللؤلؤ وقال الطرطوشى هو عروق حُمُر تطلع من البحر كأصابع الكَفِّ ، قال : وهكذا شاهدناه بمغارب الأرض كثيراً . « الأكواب » : جمع كوب : إناء لا عُرْوَة له ولا خُرْطُوم . « الصِّحاف » . جمع صَحْفَة إناء كالقصعة . « السَّعير » النار ، وسَعَرْتُهَا^(٤) وأسعرتها أوقدتها .

« الدَّجَال » : أصل الدَّجَل الخلط يقال رَجُلٌ دَجِلٌ^(٥) إذا لبس ومَوَّه والدَّجَالُ فَعَال من أبنية المبالغة أى يُكْثِرُ من الكذب والتلبيس وهو الذى يظهر فى آخر الزمان . « قِيلَمَانِيَا » : قال فى النهاية^(٦) القَيْلَمُ العظيم الجُنَّة والقَيْلَمُ الأمر العظيم والياء زائدة والقَيْلَمَانِى منسوب إليه بزيادة الألف والنون للمبالغة . « أقمَر^(٧) » أى شديد البياض . « هِجَان^(٨) » : شَدِيدُ البَيَاضِ . « دُرَى » : مُضَى . « عبد العزى بن قَطَن » : بفتح القاف

= فارسية والثانية عربية دون ذكر أصلها (ص ١٥ و ص ١٧٧) وفى التاج فى مادة سنس أن الإمام الشافعى وسجاعة ممنوا وقورح العرب فى القرآن .

(١٠) هذا هو شرح الفراء لكلمة عبقري فى الآية القرآنية : « متكئين على طرف خضر وعبقري حسان » (سورة الرحمن آية ٧٦) كما أورده القرطبى فى تفسيره (ج ١٧ ص ١٩٢) . وقال أبو عبيد : هو منسوب إلى أرض يعمل فيها الوشى منسوب إليها . وقال الخليل : كل جليل فاضل عند العرب عبقري ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فى عمر رضى الله عنه : فلم أر عبقرياً يفرى فريه .

(٢) اللؤلؤ الدر وهو يتكون من الأصداف من روابب أو جوامد صلبة لامة مستديرة فى بعض الحيوانات المائية الدنيا من الرخويات من المسجم الوسيط . وقد اكنى المؤلف بضبطه دون ترفينه باعتباره معروفاً . ومع ذلك فقد نسي وجهاً رابعا فى ضبط الكلمة . فقد جاء فى شرح النووى على مسلم (ج ٢ ص ٢٢٣) . وفى اللؤلؤ أربعة أوجه : بهزتين ويحفظهما وبإثبات الأولى دون الثانية وحكه .

(٣) فى المسجم الوسيط : المرجان من الحيوانات البحرية الثوابت لها هيكل وكلس أحمر .

(٤) فى التاج سر النار والحرب يسمرها سمرأ كنح أوقدتها وهيجهما كسمرها تسمرأ وأسمرها لإسارأ . وفى المصباح فاستمرت .

(٥) لم أشر فى المصاح على كلمة دجل بفتح الدال المهملة وكسر الجيم .

(٦) يقع هذا فى النسخة المطبوعة من النهاية سنة ١٣١١ هـ فى ج ٣ ص ٢١٥ . وفى القاموس المحيط . الفيل كحيدر الرجل العظيم والجبان والعظيم الجسة .

(٧) فى رواية أخرى فى حديث الدجال : أزهَر

(٨) جاء فى النهاية ج ٤ ص ٢٤١ : فى صفة الدجال : أزهَر هِجَان : الهِجَان الأبيض . ويقع على الواحد والاثنتين والجميع والمؤنث بلفظ واحد .

٣٨٥ ظ والمهملة وهو ابن عمرو بن جندب / بن سعيد بن عابد^(١) بن مالك بن المصطلق ، هلك في الجاهلية ، ووقع [عند ابن^(٢)] مذكوبه : قطن بن عبد العزى وهو وهم من بغض روايته . «العمود» بفتح العين المهملة وضمة الميم معروف وجمعه عُمَد بضمتين وأعمدة بكسر الميم وفتح الدال : «حاصرة» اسم فاعل من حَسَرَ^(٣) . «يا أول حاشر^(٤)» تقدم الكلام عليهما في الأسماء النبوية . «الكثيب» : التل من الرمل . «طوال» : يقال رجلٌ طويل فإن زاد قيل طَوَال بالضمُّ مُخَفَّفاً ، فإن زاد قيل طَوَال مُشَدِّداً . «شَعْرٌ سَبَطَ^(٥)» بفتحَين وكسيف وُسْكُنْ ، ثم قد يُكْسَر ، مُسْتَرْسِل ، وَجِئْتُ سَبَطَ كَكَيْفَ وَيُسْكُنُ حَسَنَ الْقَدِّ والاستواء . «آدَمَ^(٦)» : بالمَدِّ أَسْمَرُ «أَزْد» بفتح الهززة وسكون الزاي وبالذال المهملة «شَنُوءة^(٧)» بفتح الشين المعجمة وضمة النون وسكون الواو وبعدها همزة ثم تاء تأنيث حتى من اليَمَن يُنسَبون إلى شَنُوءة وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد^(٨) ،

(١) من الحفاظ أن تكون حالد أو عالد . وفي شرح النووي لصحيح مسلم باب ذكر الدجال (ج ١٨ ص ٥٨ : ٧٧) لم يذكر الثوري نسب عبد العزى بن قطن .

(٢) يبايض في الأصول بمقدار كليتين .

(٣) بل ذلك في الأصول : «إذا دلف» ولم أحر على هذا المعنى لكلمة حسر في المعجمات .

(٤) جاء في النهاية (ج ١ ص ٢٢٩) . في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن لي أسماء ، وعد فيها : وأنا الحاشر أي الذي يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره . وقوله إن لي أسماء أراد أن هذه الأسماء التي عدّها مذكورة في كتب الله تعالى المخرجة على الأمم التي كلفت نبوته حجة عليهم .

(٥) في شرح النووي على مسلم (ج ٢ ص ٢٢٧) السبط يفتح الباء وكسرها لفتان مشهورتان ويجوز إسكان الباء مع كسر السين وفتحها على التخفيف كما في كتب . وبابه قال أهل اللغة السبط هو المسترسل ليس فيه تكسر . ولم يذكر ابن الأثير في النهاية (ج ٢ ص ١٤٢) سوى سبط يتسكن الباء وذلك في صفة شعره صلى الله عليه وسلم : ليس بالسبط ولا الجعد القلط .

(٦) في الزرقاني على المواهب (ج ٦ ص ١٢٦) : جعل آدم يفتح الهززة والمدة . وفتح الدال وأصله آدم همزتين أبدلت الثانية ألفاً أي شديد السواد . ولكن جاء في النهاية (ج ١ ص ٢١) الأدم جمع آدم كأحمر وحمر والأدمة في الإبل البياض مع سواد المقلتين يعبر آدم بين الأدمة .. والأدمة في الناس السمرة الشديدة . وقيل هو من أمة الأرض وهو لونها وسما آدم عليه السلام . وجاء في الأضداد للسيستاني (بيروت سنة ١٩١٢ م ص ٧٢١) الأدم من الإبل الأبيض ومن كل شيء بعد ذلك غير الأبيض على ما يقول الناس ، يقولون رجل آدم نظية آدماء بيشاء ويعبر آدم للأبيض وناقة آدماء

(٧) في التاج : أزد شنوءة بالهمز على فوهة معمودة وقد تشدد الواو غير مهموزة قبيلة من اليمن سميت لشئان أي تباقت وقع بينهم أو لتباعدهم عن بلدهم وقال الخفاجي لعلو نسبهم وحسن أفعالهم من قولهم رجل شنوءة أي طاهر النسب ذو مروءة .

(٨) لم نجد بين ولد كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، من اسمه عبد الله . فقد جاء في جمهرة أنساب العرب لابن حزم (القاهرة سنة ١٩٤٨ م ص ٣٥٥) : ولد عبد الله بن مالك كعب فولد كعب الحارث فولد الحارث كعب وماتحه بطن .

ولقب شُئوة لشبَّان كان بينه وبين أهله والنسبة إليه شئوئي بالهمز بعد الواو [وشئئي] بالهمز بغير واو^(١). وقال ابن قتيبة : [أزد شئوة] : من قولك : رَجُلٌ فيه شئوة أى تَفَرُّزٌ . والتفَرُّز بقاء وزايين التباعد من الأذناس . قال الداودى : « رجال الأزد معروفون بالطول » . وفى رواية : كانوا من رجال الرُّط^(٢) وهم معروفون بالطول والأذمة . « يُعَاتَب رَبُّهُ » وفى رواية سَمِعْتُ صوتاً وتَلْمِيحاً فَقُلْتُ من هذا ؟ قال : هذا موسى . قلت : أَعْلَى رَبُّهُ ؟ قال : نعم . قد عَرَفَ حِلَّتَهُ . قال الخليل رحمه الله تعالى : حقيقة العتاب مخاطبة الإِذلال ومذاكرة المَوْجِلَةِ ، والتلمز^(٣) بذال معجمة مثله . « الحِلَّة » بكسر الخاء المهملة . « السُّرْح » بسين فراء فحاء مهملات وزن كُتِبَ جمع سَرْحَةٍ^(٤) وهى الشجرة العظيمة . « جُلُّهَا » بضم الجيم معظما . « مِثْلُ الزَّرَائِي » بزاي فراء كما رأيتُ بخط جماعة منهم الذهبي فى تاريخ الإسلام وأهيمشى فى مجمع الزوائد والشيخ فى تفسيره جَمْعُ زَرْيَةٍ بتثنية الزاى وهى الطُنْقَمَةُ بكسر الطاء والفاء وبضمهما وبكسر الطاء وفتح الفاء وهى البساط الذى له خَمَل رقيق ، ورأيت بخط بعض المحدثين الرواى براء فواو وأظنه تصحيحاً وإن كان قريب المعنى . « الحُمة » بحاء مضمومة الفَحْمَةُ . « السُّخَّة » بضم السين المهملة وسكون الخاء المعجمة أى الحَارَّة . « بِالْحَلْفَةِ » بإسكان اللام ويجوز فَتَحُهَا وبافتتح جمعها حَلَقٌ وحَلَقَاتٌ وبالإسكان حَلَقٌ وحَلَقٌ بفتح الحاء وكسرها . « يربط به الأنبياء » : قال النووي : كذا فى الأصول « به »^(٥) بضمير المَذْكُور أعاده على معنى الحَلْفَةِ وهو الشيء . قال صاحب التحرير : المراد

- (١) جاء فى التاج : والنسبة إليها شئوئي بالهمزة على الأصل أجروا فولة مجرى قبيلة لمشاهبتها إليها من عدة أوجه . فلما استمرت حال فولة وقبيلة هذا الاستمرار جرت وأو شئوة مجرى ياء حنيفة فكما قالوا حتى قياسا قالوا شئى . ومن قال شئوه بالواو دون الهمز جعل النسبة لها شئوى تيمنا للأصل .
- (٢) فى النهاية ج ٢ ص ١٣٥ : الرُّط جنس من السودان والهنود .
- (٣) فى التاج : تلمز لأم نفسه على فالتكى يحد فى الأمر . وفى الصلح : وأقبل ثلاث يظمر كأنه يلوم نفسه على قالت وفى الحديث : فخرج يظمر أى يمايب نفسه ويلومها على قوات الناس . وفى الأساس : وأقبل يظمر يلوم نفسه على التضرع ينشطها لئلا تفرط ثانية .
- (٤) فى التاج : السرخ شجر كبير لا ترعى وإنما يستظل فيه زيتون بنجد ولا يثبت فى زمل ولا جبل أو هو كل شجر لا شوك فيه والواحدة سرحة .
- (٥) نقل الزرقانى ما كتبه المؤلف فى شرح الزواى حيث قال : وأورد الشافعى الحديث فى القصة قبل دخوله بيت المقدس ثم قال : الزواى بزاي فراء . . . انظر الزرقانى على المواهب ج ٣ ص ٩٢ م .
- (٦) زيادة من شرح النووي على مسلم .

حَلَقَةُ باب مسجد بيت المقدس . « الخليل والأمة والقانت » سبق بيانها في أسماؤه الشريفة « المحارب » ، قال في أنوار التنزيل هي قصور حصينة ومساكن شريفة سُميت بذلك لأنه يُلَبُّ عنها ويُحَارَب عليها . « التائيل » الصور ولم تكن مُحَرَّمَةً في زمنه . « الجِفَان » ٣٨٦ و جمع جَفَنَةٌ بفتح الجيم وسكون الفاء وهي القصعة الكبيرة ، / قال ابن الجوزي في زاد المسير : قال المُفسِّرون كانوا يصنعون القيصاع الكبيرة كحياض الإبل يجتمع على الواحدة [منها] ألف رجل . « الجواني » جمع جابية وهي الحوض الكبير يُجْبَى فيه الماء أى يجتمع ، « الأَكْمَه » الذى يولد أعمى . « كافَّة للناس » : تَقَدَّم في الأسماء الشريفة . « قدور راسيات » : أى ثوابت قال في زاد المسير : وكانت القدور كالجيال لا تتحرك من أماكنها يأكل من القِدَر ألف رجل . « الفُرْقَان » من أسماء القرآن وسُمِّيَ به لأنه فُرِّقَ به بين الحق والباطل . « التَّبَيَان » : بكسر أوله البيان الشافي « وَسَطًا » : خياراً عَدَلًا : « الأولون » في دخول الجَنَّة « والآخرون » في الوجود . « الوزر » : يأتى الكلام عليه في أبواب عصمته . « ورفع لى ذِكْرى » : يأتى ذِكْرُهُ في الخصائص . « جعلنى فاتحاً » : أى لأبواب الإيمان والهداية إلى صراط مستقيم وليبان أسباب التوفيق وما استغلق من العلم أو هو من الفتح بمعنى الحُكْم فجعله جاكماً في خلقه فانفتح ما انغلق بين الخصمين بإحيائه الحق وإيضاحه وإماتته الباطل وإدحاضه . « خاتماً للتبيين » : أى آخرهم بَعَثًا . « وَجَّهْتُهَا »^(١) سقوطها . « النُّجْد » ما ارتفع من الأرض « يَنْسِلُونَ » يُسْرِعُونَ . « تُجَزَم الأرض »^(٢) [من ريحهم] بالجيم تُنْتِن من جِيْفِهِمْ . « الحامل المُتِم » أى التى دنا ولادها . « الفِطْرَة » : بالكسر الهدى والاستقامة^(٣) « المِعْرَاج » لُقِّعَ السَّلَم وجمعه معارِج ومعاريج . قال الأَخْفَش إن شئت جعلت

(١) من وجب الله سقط إلى الأرض وفي التنزيل : « فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطموا القاع والممر » (سورة الحج ٣٦) « والوجه صوت الساقط . عن المصنف الوسيط .

(٢) تجزم من معانيها جزم السقاء ملأه كما في القاموس . وكذلك يقال وكثرت السقاء وزيجته وجزت ملأته . قال مضر النخعي : فلما جُزمت به قريتي تيممت أطربة أو خليفا . انظر كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ (بيروت سنة ١٨٩٥ م ص ٢٧) .

(٣) الفطرة التى يكون عليها كل موجود أول خلقه وهي الخلقة وتفسر أيضاً : بالطبيعة السليمة التى لم تشب بعب . قال تعالى : « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » (سورة الروم آية ٣٠) وفى النهاية (ج ٢ ص ٢٠٦) ، أنها تسمى أيضاً السنة أى سنن الأنبياء عليهم السلام التى أمرنا أن نقتدى بهم .

الواحد مُعْرَجٌ وَمُعْرَجٌ^(١) بفتح الميم وكسرها ، فعلى هذا يكون الجمع لِمُعْرَجٍ بفتح الميم
مَعَارِجٍ بياء ومُعْرَجٍ بكسرهما مَعَارِجٍ بغير ياء ، والمعارج المصاعد ، ويُقال عَرَجٌ في السلم بفتح
الراء يَعْرَجُ بضمها [عروجا] إذا ارتقى [وعَرَجَ أيضاً بفتح الراء^(٢)] إذا غمز من شيء
أصابه [في رجله فحَمَع^(٣) وَمَشَى مِشْيَةَ الأعرج إذا لم يكن خِلْفَةً أصليّة ، فإذا كان خِلْفَةً^(٤)]
يقال عَرَجَ بكسر الراء يَعْرَجُ بفتحها^(٥) . « طَمَحَ » بَصَرَهُ إلى الشيء ارتفع وكل طامح
مرتفع . « المِرْقَاة » موضع الرُقَى ويجوز فيها فتح الميم على أنه موضع الارتفاع ويجوز الكسر
تشبيهاً باسم الآلة كالْمِطْطَرَّة وأنكر أبو عبيد الكسر . « مُنْضِدٌ بِاللُّوْزِ » : أى جُولٍ بَعْضُهُ
على بعض . « مَرَحَبًا » بالنشوين : كلمة تقال عند المَسَرَّة بالقادم ومعناها صادفت
رُحْبًا أى سَمَةً وَيُكْنَى بذلك عن الانشراح فوضع المَرَحَبُ موضع الترحيب . « وَأَهْلًا »
أى أَتَيْتَ أَهْلًا فَاسْتَأْنَسَ وَلَا تَسْتَوْجِشْ . « حَيَّاهُ الله » أى أَبْقَاهُ ، من الحياة وقيل سَلَّمَ عليه
من التحية والسلام وقول الملائكة : « من أَخْرَجَ » ، المراد بهذه الأُخُوَّةُ أُنُخُوَّةُ الإِيمان المشار
إليها بقوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ^(٦)) . « الخليفة » : تقدم في أمائه الشريفة .

« نعم المجيء جاء » : المخصوص بالمدح محنوف وفيه تقديم وتأخير ، والأصل :
فَلَنَنْعِمَ المَجِيءُ مجيئه . « خَطْصًا وَصَلًا . « عَلِيَّينَ » : اسم لأعلى الجنة . « مُنَجِّينَ » : موضع
فيه كتاب الفُجَّار^(٧) . « الْأَسْوَدَةُ » جمع سَوَادٍ ويجمع على أَسَاوِدَ قال النووي : قال أهل

(١) زاد الجوهري في الصحاح : مثل مرقاة ومرقاة - بفتح الميم وكسرها - . وفي التاج المخرج بالفتح
نقله الجوهري عن الأخفش ونظيره مرقاة ومرقاة أو السلم شبه درجة تخرج عليه الأرواح إذا قبضت يقال ليس شيء أحسن منه
إذا رآته الروح لم تَهْلِكْ أن تخرج . والمرجع المصد الطريق الذي تصعد فيه الملائكة جمعه المعارج . وفي التنزيل : « من الله
في المعارج » (سورة المعارج آية ٣) قبل معارج الملائكة مصاعدها إلى تصعد فيها .
(٢) زيادة من تهذيب النوى (ج ٢ تهذيب اللغات ص ١١) .

(٣) في تهذيب النوى : فجمع وهو تصحيف صوابه فجمع بالخاء المعجمة وجمع في مشيه أى طلع وبه خماع أى خرج ،
عن الصحاح .

(٤) زيادة من الصحاح للجوهري وتهذيب النوى للفرقة بين العرج العارض والعرج الخلفة لأن عبارة المؤلف
لا توضح الفرق بينهما في العارض يقال عرج يمرج من باب نصر وفي عرج الخلفة يقال عرج يمرج من باب فرج .
(٥) زاد الجوهري في الصحاح بذلك بقوله : فهو أعرج - إذا كان ذلك خلقة - بين العرج من قوم عرج وعرجان
وأمرجه الله وما أشد عرجه ولا تقل ما أمرجه لأن ما كان لوثاً أو خلقة في الجسد لا يقال منه ما أفعله إلا مع أشد .
(٦) سورة المجبرات آية ١٠ .

(٧) في النهاية (ج ٢ ص ١٢٩) : ومنه قوله تعالى : « إن كتاب التجار لى بحين » (سورة المطففين) فقليل من
السجن أى الخيس .

اللغة : السواد الشخص وقيل السواد الجماعة^(١) . وقال في التقريب : السواد نقيض البياض
 ٣٨٦ ظ . وكل شخص من متاع أو حيوان والجمع أسودة / ثم أساود . « نَمَّ نبيه » يَنُون فسين
 مهمله مفتوحتين جمع نَسَمَة^(٢) بالتحريك وهى الروح . « قَبَلَ يمينه » بكسر القاف وفتح
 الموحدة أى جهة يمينه . « هنيهة » تصغير هَنَة يعنى شيئاً^(٣) يسيراً وإلهاء بدل من الياء
 والأصل هُنَيْة^(٤) . « الأخونة^(٥) » جمع رِخْوَان بكسر المعجمة وضَمُّها الذى يؤكل عليه .
 وقال الخليل : هو المائدة^(٦) . « أَرَوَح » تَغَيَّرَتْ رائحته . « المائدة^(٧) » الخوان إذا كان
 عليه طعام . « جَيْف » بكسر الجيم وفتح الياء جمع جَيْفَة وهى المَيْتَة من الدواب والماشية
 سُمِّيتَ بذلك لِتَغَيَّر ما فى جَوْفِها . « السابلة » : أبناء السبيل المختلفة . « يَضْجُون » بالجم
 يصيحون من الفزع . « المَسَّ » الجنون « المشافر » بالمعجمة جمع مِشْفَر بكسر الميم وسكون

(١) فى الزرقانى على المواهب (ج ٦ ص ٥٩) : أسودة أى أشخاص جمع سواد كآزمة جمع زمان . وفى النهاية
 (ج ٢ ص ١٩٠ و ١٩١) : كل شخص من إنسان أو متاع أو غيره سواد . وفى الحديث أنه قال لمر : انظر إلى هؤلاء
 الأساود هؤلاء ، أى الجماعة المتفرقة . يقال مرت بنا أسود من الناس وأسيدات ، كأنها جمع أسودة ، وأسودة جمع
 قلة لسواد وهو الشخص لأنه يرى من بعيد أسود . وفى الحديث : عليكم بالسواد الأعظم ، أى جملة الناس ومعظمهم الذين
 يعتمدون على طاعة السلطان وسلبه النجى المستقيم .
 (٢) جاء فى النهاية (ج ٤ ص ١٤١) : من أعتق نسمة أو فك رقبة : النسمة النفس والروح أى من أعتق ذا روح
 وكل دابة فيها روح فهى نسمة وإنما يريد الناس ، ومنه حديث على بن أبى طالب : والذى خلق الهبة وبرأ النسمة أى خلق ذات
 الروح .

(٣) الأصوب أن يقول المؤلف : يعنى وقتاً يسيراً بدلاً من شيء .
 (٤) فى النهاية (ج ٤ ص ٢٥٦) : أنه أقام هنية أى قليلاً من الزمان وهو تصغير هنة ويقال هنية .
 (٥) فى المصباح : الخوان ما يؤكل عليه معرب وفيه ثلاث لغات كسر الخاء وهى الأكثر وضما حكاة ابن السكيت
 ولخوان هبزة مكسورة حكاة ابن فارس وجمع الأولى فى الكثرة خون والأصل يسمتين مثل كتاب وكتب لكن سكن تخفيفاً .
 وفى القلة أعمولة وجمع الثالثة أخواوين ويحوز فى المضموم أى خوان فى القلة أخونة كثراى وأغربة .
 (٦) يل ذلك كلمتان وجههما هكذا : « مسح مقطع » لم نهتد إلى وجه الصواب فهما فى الأصول . وفى الزرقانى على
 المواهب ج ٦ ص ٤٣ وقال الخليل : « هو المائدة » ولم يزد الزرقانى على ذلك شيئاً .

(٧) جاء فى تفسير القرطبى ج ٦ ص ٣٦٧ فى معنى كلمة مائدة فى الآية ١١٤ من سورة المائدة : قال قطرب :
 لا تكون المائدة مائدة حتى يكون عليها طعام فإن لم يكن قيل خوان . وفى تاج العروس أن هذا ما قاله الفارسى وأضاف
 الزبيلى : وقد صرح به فقهاء اللغة وجزم به الشافعى وأبو فارس واقتصروا على الحريرى فى درة النواص وزعم أن غيره
 من أرواهم الخواص : هذا وفى درة النواص (طبع الجواثب بالقسطنطينية سنة ١٢٩٩ ص ١٠ و ١١) مناقشة طويلة
 أورد فيها الحريرى أمثلة أخرى مثل الكأس والركبة والظفحة والقدح والحديقة والكمى وغيرها لتأييد دعواه فى أن المائدة
 لا تسمى مائدة إلا إذا كان عليها طعام . ورد عليها الخفاجى فى شرح درة النواص (ص ٣٨ : ٤٠) : رداً مطولاً أورد
 الزبيلى ملخصه فى تاج العروس . ورد الخفاجى هذا أورد مظهر الألويسى المفسر فى كتابه كشف الظن عن الفرة دمشق سنة ١٣٠١ هـ
 ص ٣٦٧ : ٣٧٢ .

المعجزة وفتح الفاء وهي من البعير كَالْجَحْضَةِ من الفرس وهي من ذى الحافر كالشفة للإنسان «ثديهن» بضم المثلثة وكسر المهمل جمع ثدى يُذكر ويؤنث فيقال هو الثدى وهي الثدى وتُجمع أيضاً على أُنثى وزن أَكَل ورَبما جُمع على ثَدَاه مثل سَهْم وسِهَام . «الهَمازون» الذين يفتابون الناس من غير مواجهة . «اللَّمازون» العَيَّابون^(١) . «بابنى الخالة» : قال ابن السكيت : «يقال أبناء خالة ولا يقال أبناء عمّة» ، ويقال أبناء عمّ ولا يقال أبناء خال . قال الحافظ : «وسبب ذلك أن ابْنِ الخالة أُمّ كل منهما خالة الآخر ، بخلاف ابْنِ العمّة . «عيسى» : اسم أعجمى غير منصرف ، للعلمية والعجمة ، وقيل مشتق من العيس وهو البياض ، والأَعْيَس الجميل الأَبْيَض وجَمَعُهُ عيس فقيل له عيسى لبياض لونه . وقيل من العوس وهو السياسة وأصله عوساً فَقُلِبَتْ الواو ياء لكسر ما قبلها ، وقيل له عيسى لأنه سَأَسَ نَفْسَهُ بالطاعة ، وقلبه بالمحبة ، وأُمّتُهُ بالدعوة إلى رَبِّ العِزَّة .

«مريم» : اسم أعجمى فيه ثلاث عِلَل : العلمية والتأنيث المعنوى والعُجْمَة ، وقيل معناه بالعبراني : خادمة الله ، وقيل أمة الله ، وقيل الْمُحَرَّرَة^(٢) . «يحيى»^(٣) : مشتق من الحياة وأُطْلِقَ عليه هذا الاسم لأنه [وُلِدَ] في حال شيخوخة والديه ، وغالباً لا يطول عُمر من كان كذلك ، فوهبه الله تعالى هذا الاسم طمأنَةً لقلبيهما أَن يَحْيَا كثيراً ، وأنه وَلَدٌ يحيى بالمحبة ، حَيَّ الجسم بالطاعة حَيَّ اللسان بالذكر حَيَّ السِّرُّ بالمعرفة معصوماً من الزَّلَّة . «زكريا» : اسم أعجمى يُقْصَر وَيُمَدُّ وَقُرئَ بهما في السبعة ، ويقال له زكريا بتخفيف الياء وتشديد الهمزة . وزكريا كان عالماً بالتوراة والإنجيل وكان إمام علماء بيت المقدس ومُقدِّمهم

(١) نقل الزرقاني هذا الشرح في شرحه على المواهب (ج ٦ ص ٤٤) وأشار إلى نقله هذا بقوله . كما في الفاس ، في النهاية (ج ٤ ص ٦٦) الهز السيب والوقوف في الناس وقيل هو السيب في الوجه والهمز السيب بالنسب . وقال ابن الأثير في موضع آخر (ج ٤ ص ٢٥٣) : الهمز النبية والوقفة في الناس وذكر جويهم وقد همز حمز فهو هماز وهمزة اللبالة .

(٢) مما أورده القرطبي في تفسير «عمرأ» في الآية القرآنية ٣٥ من سورة آل عمران أن امرأة عمران نذرت إن ولدت أن يحمل ولها عمرأ أى حيقاً خالماً لله تعالى خادماً للكنيسة حبساً عليها مفرغاً لعبادة الله وكان ذلك جائزاً في قريشهم وفي النهاية (ج ١ ص ٢١٤) المهر الذي جبل من الحديد حراً فألقوا .

(٣) جاء في المراتل للتلوي (ص ٢٩٥ و ٢٩٦) : اختلفوا في سبب يحيى ، قال ابن عباس : لأن الله تعالى أحيا به عمر أمه ، وقال قتادة وغيره : لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان والنبوة ، من مكرومة وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صل الله عليه وسلم : ما من أحد يلتقى الله عز وجل قد هم بخليقة أو عملها إلا يحيى بن زكريا فإنه لم يعم ولم يعمل .

وكان من ثلاميزه أربعة آلاف عالم قارىء للتوراة : « النفر^(١) » مُحَرِّكًا جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة أو إلى سبعة . « وإذا هو يعينى جَعَدَ » : قال النووي : قال العلماء : المراد بالجَعَد هنا جعودة الجسم وهو اجتماعه واكتنازه وليس المراد جعودة الشعر^(٢) . « مربع » هو الرجل الذى بين الرجلين فى القامة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحقيق . ٣٨٧ و « سَبَطَ الرأس » بفتح الباء وكسرها ويجوز / إسكان الباء مع فتح السين ومع كسرها على التخفيف أى مُسْتَرْسِلَ الشعر وليس فيه تكسير . « الديماس » بكسر الدال المهملَة وتُفْتَح وبإسكان المثناة التحتية ، فَسَّرَه الراوى وهو عبد الرزاق بالحَمَام ، والمعروف عند أهل اللغة أن الديماس هنا هو السَّرَب ، والمراد من ذلك وَضَعُهُ بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه حتى كأنه كان فى موضع كَيِّنَ فخرج منه وهو عَرَقَان . قال السهيلي : وفى هذه الصفة من صفات عيسى عليه السلام إشارة إلى الرِّى والخُضْب فى أيامه إذا أَهْبَطَ إلى الأرض . « عروة بن مسعود » أحد السادة الصحابة رضى الله عنهم . « يوسف » : اسم أعجمي وتُثَلَّثَ سِينُهُ وهو غير منصرف للعلمية والعُجْمَة . « إذ هو قد أعطى » بدل من الأول بدل اشتغال « الشطر » : قال بعض شُرَاح المصابيح : المراد به هنا النصف ، وقيل : البعض لأن الشطر كما يراد به نصف الشيء قد يراد به بعضه مطلقاً . قال الطيبي : وقد يُرَادُ به الجهة أيضاً نحو قوله تعالى : (قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ^(٣)) أى جهته « من الحُسن » أى مَسْحَةٌ منه كما يقال على وجهه مَسْحَةٌ مُلْكٍ وَمَسْحَةٌ جَمَالٍ أى أَثَرٌ ظاهر ولا يقال ذلك إلا فى المدح . « هارون » : اسم أعجمي للعلمية والعجمة وقيل مُعَرَّبٌ « أَرُون » والأَرَن النشاط سُمِّيَ به لنشاطه فى طاعة الله تعالى ، ثم قيل هارون كما قالوا فى إِيَّاكَ هَيَّاكَ . « الرَّهْط » يسكون الهاء وفتحتها ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة أو منها إلى الأربعين . « الْقَوْم » : جماعة الرجل عند الأكثرين . « الْأَفُق » بضمّتين وجمعها آفاق بالمَدِّ أى

(١) فى التاج : النفر محرّكة الناس كلهم وقيل نفر والرهط ما دون العشرة من الرجال ، ومنهم من خصص فقال : الرجال دون النساء . وقيل نفر والرهط والقوم : هؤلاء منهم الجميع لا واحد لم من لفظهم . وفى النهاية (ج ٤ ص ١٦٣) : فى حديث أبى ذر : لو كان هنا أحد من أنفارتنا ، أى من قومنا جمع نفر وهم رهط الإنسان وعشيرته وهو اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاث إلى العشرة ولا واحد له من لفظه .

(٢) هنا فى ج ٢ ص ٢٢٢ من شرح النووي على مسلم .

(٣) من الآية ١٤٤ من سورة البقرة .

التواحي . « موسى » اسم مُعَرَّبٌ أصله « مو » وهو بالعبرانية الماء ، « والسّا » وهو الشجر ، سُمِّيَ به لآَنَهُ وُجِدَ في الماء والشجر الذي كان حول قصر فرعون . « آدم أسمر طَوَال » : تَقَدَّمَ . « جَاوَزَه » : عَدَاهُ وفَارَقَهُ « يَزْعُم » : يقول . « إسرائيل » يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام ، ومعناه عبد الله وقيل صفوة الله وقيل سِرَّ الله لآَنَهُ أُسْرِيَ به لمسا هاجر ، وفيه لغات أشهرها بياضين بعد الهجزة ثم لام ، وقُرِئَ لإسرائيل بلا همز . « الشَّمَط » : بياض شعر الرأس يخالطه سواده والرجل أَشْمَطَ وَقَوْمٌ شَمْطَانٌ مثل أسود وسودان وقد شَمِطَ بالكسر شَمْطًا والمرأة شَمْطَاء . « مُسْنِدٌ ظَهَرَه » ، مرفوع على أَنه خَبِرَ مبتدأ محذوف أى هو مُسْنِدٌ ظَهَرَه ، وفي رواية : مُسْنِدًا ظهره بالنَّصْبِ على الحال . فائدة : نقل في النور أن السلطان الملك برقوق^(١) سأل عن البيت المعمور من أى شيء هو ؟ قال بعض الحاضرين بأنّه من عقيق ، ونقله عن بعض التفسير^(٢) .

« الفراس » بكسر الفين المعجمة وبالسین المهملة يقال غَرَسْتُ الشجرة غَرْسًا من باب ضَرَبَ ، والشجر مقروس ويطلق عليه أَيْضًا غَرْسٌ وِفَراسٌ بالكسر فاعل بمعنى مفعول مثل كِتَابٍ وِسَاطٍ . « الفراطيس » جمع قِرْطَاسٍ ما يُكْتَبُ فيه ، وكثر القاف فيه أشهر من ضَمِّها ، والقِرْطَاسُ وزان جعفر فيه لغة . « وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ » أى لم يَخْلِطُوهُ بِثَرَكٍ / ٣٨٧ ظ « ثِيَابٌ رُمْدٌ^(٣) » أى لون الرماد . « آخِرٌ ما عليهم » بضم الراء وفتحها ، فالرفع على تقدّم ذلك آخِرٌ ما عليهم ، والنَّصْبُ على الظرف ، قال القاضي : والرفع أجود . « الجلس » - بحاء مهملة مكسورة ويفتح فلام ما كنة فسين مهملة . كناية بلى . ظَهَرَ البعير : عَجَزَ . اللَّقَبُ : والمراد أَنه لَيْتَصَاغَرَهُ وإخفائه عن هَيْبَةِ الله تعالى أَشْبَهَ الحِلْسَ المَخْفِيَّ تَحْتَ اللَّقَبِ . ولهذا في بعض الروايات قال : « لا طِيَّ » وهو بهجزة في آخره . ويُقَالُ لَطِئَ بالأرض لَطْوًا لَصِيقًا

(١) هو الملك الظاهر سيف الدين برقوق أول ملوك دولة المماليكة بمصر قبل السلطة على قرنين الأول من سنة ٧٨٤ هـ إلى سنة ٧٩١ هـ والثانية من سنة ٧٩٣ إلى سنة ٨٠١ هـ . انظر الجزء الأول من بياض الزهور لابن ياس طبعة بولاق سنة ١٣١١ هـ من ص ٢٥٨ : ٢٧٤ ، ص ٢٩٠ : ٣١٦ .

(٢) نقل الزرقاني هذه العبارة الخاصة بالسلطان برقوق في شرحه على اللغوي ج ٦ ص ٨٧ .

(٣) في النهاية ج ٢ ص ١٠٢ : في حديث المراج ، وعليهم ثياب رمد أي غير ملبسوا بلباس كدورة كدورة الرمد وأحدها أرمسد .

بها ، وهو شلة مغرفته بها ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « فَعَرَفْتُ فَضْلَ عِلْمِهِ بِاللَّهِ عَلَى » . قال بعضهم : وإنما قال ذلك صلى الله عليه وسلم تواضعاً إذ لا خلاف أنه أفضل خلق الله ، وإنما الخلاف في غيره من الملائكة . قلتُ : أو قال ذلك قبل أن يصل إلى ما وصل إليه . (آسِنَ الْمَاءِ » بفتح السين وكسرهما يَأْسُنُ مَثْلَثَةٌ [أَسْنًا وَأَسْنًا] وَأُسُونَا تَغْيِيرٌ فَلَمْ يُغْرَبْ فَهُوَ آسِنٌ . « الثَّبْتُ » : بفتح النون وكسر الباء وتُسْكُنُ ثَمرة السَّدر . « قِلَالٌ هَجَرٌ » : قال الخطَّابِيُّ بكسر القاف جَمْعُ قُلَّةٍ بِالضَّمِّ وهى الجِرَارُ الواحدة تسع قُرْبَتَيْنِ أو أكثر وهَجَرٌ^(١) بفتح الهاء والجم من قُرَى المدينة ولا تنصرف للتأنيث والعلمية ، ويجوز الصَّرْفُ ، يريد أن ثَمَرَ السَّدرَةِ فى الكِبَرِ مثل القِلَالِ ، وكانت معروفة عند المُحَاطِبِينَ ، ولذلك وقع التمثيلُ بها . تلييه : سئِلَ : هل ثَمَرُ سِدْرَةِ المنتهى كالثمار المأكولة فى أنه يزول وَيَعْقُبُهُ غيره ؟ وهل الزائل يؤكل أو يسقط ؟ « وإذا وَرَقُهَا مثل آذَانِ الْفِيلَةِ » : بكسر الفاء وفتح المثناة التحتية بعدها لام ، وحكى الزركشى^(٢) والبرماوى^(٣) فتح الفاء وقال الدمامينى^(٤) : إنه سهو ، والقبلة جمع فيل ، وفى رواية : مثل آذَانِ الْفِيلِ وهى جمع فيل أيضاً ، ولا منافاة بين ذلك وبين قوله : « تكاد الورقة تُغَطِّي هذه الأمة » ، لأن المراد التشبيه فى الشكل خاصَّةً لا فى الكِبَرِ ولا فى الأَحْسَنِ . « أَنهَارٌ » : جمع نَهَرٍ يسكون الماء وفتحها . « غَشِيَهَا ألوانٌ » : علاها . « وَلَابَسَهَا » ، « فلما غشيتها من الله ما غشيتها » هو كقولهِ تعالى : (إِذْ يَغْشَى السَّدرَةَ يَمَّا يَهْتَشَى^(٥)) فى إرادة الإبهام للتفخيم والتهويل ، وإن كان معلوماً كما فى قوله تعالى : (فَغَشِيَهُمْ

(١) (١) فى منجم البلدان ج ٨ ص ٤٤٦ : قال أبو الحسن المسعودى : الذى جاء فى الحديث ذكر القلال المجرية قيل إنها كانت تجلب من هجر إلى المدينة ثم انقطع ذلك فسمعت ، وقيل هجر قرية قرب المدينة . وقال بل علبت بالمدينة عمل مثل قلال هجر . وفى النهاية ج ٤ ص ٢٤٠ : فأما هجر التى تنسب إليها القلال المجرية فهى قرية من قرى المدينة .

(٢) (٢) هو بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ولد سنة ٥٧٤٥ وتوفى سنة ٦٧٩ هـ . كان من أئمة الحديث والأصول والفقهِ وما نشر من مؤلفاته البرهان فى علوم القرآن الذى حققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم وإعلام الساجد بأحكام المساجد حققه الأستاذ أبو الوفا الراغب ، انظر ترجمة الزركشى فى الدرر الكامنة لابن حجر (ج ٣ ص ٣٩٧ : ٣٩٨) وسنن المحاضرة للسيوطى (ج ١ ص ١٨٥ : ١٨٦) وشذرات الذهب (ج ٦ ص ٢٣٥) .

(٣) (٣) هو محمد بن عبد الدائم البرماوى السقلاوى الأصل ثم القاهرى من علماء الحديث والفقهِ توفى سنة ٨٣١ هـ انظر ترجمته فى الضوء اللامع (ج ٧ ص ٢٨٠ : ٢٨٢ رقم ٧٢٥) .

(٤) (٤) هو محمد بن أبي بكر بن حمر بدر الدين المعروف بابن الدمامين من علماء اللغة والحديث والفقهِ اشتغل بالتدريس بالأزهر ويزيد فى ابنه والمحدث توفى فى سنة ٨٣٧ هـ . انظر ترجمته فى الضوء اللامع ج ٧ ص ١٨٤ : ١٨٧ رقم ٤٤٠ .

(٥) سورة النجم آية ١٦ .

مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ^(١)) في حق فِرْعَوْنَ . وقوله : فَرَّاشَ بَيَانُ لِه . « الزَّبْرَجْدُ^(٢) » بَزَاىَ مُفْتَوِّحَةً
 وبالدَّالِّ المهملة جوهراً معروفاً ويقال هو الزمرّد^(٣) « يَكُوْذُ بِهَا » : يَطُوفُ بِهَا . « الْفَرَّاشُ »
 بالفتح جمع فَرَّاشَةٍ : الطير الذي يُلْقِي نفسه في ضوء السَّراج « خُلِّيَ عَلَى سَبِيلِكَ » : بالبناء
 للمفعول ، وهو صفة لقوله : أى أحد من أمتك تُرِكَ عَلَى طَرِيقِكَ . « الْفَرَّاتُ » : بِضَمِّ الْفَاءِ
 وبالتاء المبسوطة وَصْلاً وَوَقْفاً . ومن قال بالهاء فقد أخطأ . « الْعَنْصَرُ » : بِضَمِّ الْعَيْنِ وَالصَّادِ
 المهملتين بينهما نون ساكنة ، وهو الْأَصْل . « السِّلْسِيلُ » اسم عَيْنٍ فِي الْجَنَّةِ . « الْكُوْثَرُ » :
 يَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي الْخَصَائِصِ وَفِي أَبْوَابِ حَشْرِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . / « يَطْرُدُ » : يَجْزِي ٣٨٨
 « عَجَاجاً » : كَثِيرَ الْمَاءِ كَأَنَّهُ يَجْعُجُ مِنْ كَثْرَتِهِ وَصَوْتٌ تَقَعْقَعُهُ . « الْخِيَامُ » جمع خَيْمٍ
 كَفَرَّخٍ وَفَرَاخٍ وَسَهْمٍ وَسِيَهَامٍ وَهُوَ مِثْلُ الْخَيْمَةِ ، وَهُوَ بَيْتُ تَبْنِيَةِ الْعَرَبِ مِنْ عِيدَانِ الشَّجَرِ . قَالَ
 ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : لَا تَكُونُ الْخَيْمَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ مِنْ ثِيَابٍ بَلْ مِنْ أَرْبَعَةِ أَعْوَادٍ ثُمَّ يُسْتَقْفُ بِالثَّمَامِ
 بِضَمِّ الثَّاءِ [الْمَثَلَةُ] وَهُوَ تَبْتُ ضَعِيفٍ لَهُ خُوصٌ أَوْ شَبِيهِ بِالْخُوصِ ، وَالْجَمْعُ خَيْمَاتٌ وَخَيْمٌ
 وَزَانٌ بَيَضَاتٌ وَقَطْعٌ . « الرُّضْرَاضُ » : بِفَتْحِ الرَّاءِ وَسُكُونِ الضَّادِ الْمُجْعَمَةِ ، وَيَأْتِي مِثْلُهَا :
 الْحَصَى الصَّغَارُ . « الزَّمْرُدُ » بَزَاىَ فَمِمَّ قَرَأَ مُتَدَدَةً مَضْمُومَاتٍ فَذَالٌ مُجْعَمَةٌ ، هُوَ الزَّبْرَجْدُ^(٤) .
 « نَحْباً لَكَ » : بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُجْعَمَةِ وَالْمُوَحَّدَةِ مَهْمُوزاً أَى أَخْرَجَهُ لَكَ رَبُّكَ « ابْنُ سَاوَةَ » :
 يَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي الْمَوَالِي . « جَنَابُذُ اللَّوْؤُ » : بِجَمِّ فَتْوَنٍ مُفْتَوِّحَتَيْنِ فَالْفُ فَبَاءُ مُوَحَّدَةٍ
 فَذَالٌ مُجْعَمَةٌ وَهِيَ الْقِيَابُ وَاللَّوْؤُ تَقْدَمُ . « الْقِيَعَانُ » : جَمْعُ قَاعٍ وَهُوَ الْمَكَانُ الْمُسْتَوِى مِنْ
 الْأَرْضِ ، وَيُجْمَعُ أَيْضاً عَلَى أَقْوَعٍ وَأَقْوَاعٍ . « الْوَجْسُ » بِفَتْحِ الْوَاوِ وَسُكُونِ الْجِيمِ بَعْدَهَا سِتْرَانِ
 مَهْمَلَةٍ : الصَّوْتُ الْخَفِيُّ . « الدَّلَاءُ » بِكَسْرِ الدَّالِّ جَمْعُ دَلْوٍ . « لِلْإِبِلِ الْمُقْتَبَةِ » أَى الَّتِي
 بَأَقْتَابِهَا^(٥) . « مَسْكٌ أَذْفَرُ » : يَقَالُ ذَفِرَ الشَّيْءُ بِالْكَسْرِ ذَفَرًا بِالتَّحْرِيكِ اشْتَدَّتْ رَائِحَتُهُ

(١) سورة طه آية ٧٨ .

(٢) الزبرجد حجر كريم يشبه الزمرّد وهو ذو ألوان كثيرة . وفي المغرب الجواليقي (١٧٥) أن الزبرجد والزمرّد
 لفظان أعجميان معربان . ونص في المجامع على الزمرّد بالدال المعجمة . انظر الجواهر لأبي الريحان البيروني ، ولقب الشعائر
 في أحوال الجواهر لابن الأكفاني ، تحقيق الكرمل ، القاهرة سنة ١٩٣٩م .

(٣) الزمرّد من الألفاظ المبردة وهو حجر أخضر اللون شديد البهجة خفاف واحده زمردة والزبرجد يشبهه
 ولكن يعلو لونه .

(٤) سبقت التفرقة بينه وبين الزمرّد .

(٥) القتب : هو الرجل الصغير على قدر سنن البحر والجمع أقطاب .

طيبة كانت أو كريهة . « عاقر الناقة » : اسمه قَذَار بضم القاف والتخفيف ، ابن سالف بالسین المهملة والفاء . « غشيها أنوار الخلائق » : إضافة تشريف كما يقال بيت الله . « الزبربان » جمع غُرَاب . « ظَهَرَ » ارتفع . « سُيُوح قُلُوس » بضم أولهما أى نُزِهَ عن سوء وعيب . « لِمُسْتَوًى » : بفتح الواو وبالتنوين : موضع مُشْرِف [يُسْتَوًى عليه] أى يصعد وقيل المكان المستوى ، [وفي بعض الأصول] : « بمستوى » بموحدة بدل اللام وعليهما فالباء ظرفية . [وعلى رواية اللام : قال التوربشقي : اللام لليلة أى ارتفعت لاستعلاء مستوى أو لرؤيته أو لمطالعته ^(١)] ويُحتمل أن يكون مُتَعَلِّقاً بِالْمَصْنَعِ أى ظَهَرَتْ ظهور المستوى ، ويُحتمل أن تكون بمعنى « إلى » . قال تعالى : (أوحى لها ^(٢)) ، أى إليها ، والمعنى : إلى أقمْتُ مقاماً بَلَّغْتُ فيه من رفعة المَحَلِّ إلى حيث اطلَّعْتُ على الكواكن ^(٣) فظهر لى ما يُرَاد من أمر الله وتدبيره في خلقه ، وهذا هو المنتهى الذى لا تقدّم فيه لأحدٍ عليه .

وقال الطيبي : « لام » الغرض و « إلى » الغائية يلتقيان في المعنى ، قال في الكشف في قوله تعالى : (كُلٌّ يَجْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ^(٤)) : « [فَإِنْ قُلْتُ ^(٥)] : يَجْرَى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ، وَيَجْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، أهُوَ مِنْ تَعَاقُبِ الْحَرْفَيْنِ ؟ قُلْتُ : بَلَا وَلَا يَسْلُكُ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ إِلَّا بَلِيدُ الطَّبِيعِ ضَيَّقَ الْعَطَنَ ^(٦) ، ولكن المعنيين أغنى الانتهاء والاختصاص كُلُّ واحدٍ منهما مُلَاحَظَةٌ لِنُصْحَةِ الْفَرَضِ ، لِأَنَّ قَوْلَكَ : يَجْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى معناه يَبْلُغُهُ وَيَنْتَهِي إِلَيْهِ ، وَقَوْلَكَ : يَجْرَى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ، تُرِيدُ : يَجْرَى لِإِدْرَاكِ أَجَلٍ مُّسَمًّى .

فالحاصل أن « اللام » و « إلى » ، وإن كان معناهما أغنى الإدراك والانتهاه مُلَاحَظَةً لِنُصْحَةِ الْفَرَضِ فليستَا مُتَعَاقِبَتَيْنِ ، فمعنى : ظَهَرَتْ إِلَى مُسْتَوًى بَلَّغْتُهُ وَأَنْتَهَيْتُهُ إِلَيْهِ ، ومعنى « لِمُسْتَوًى » هو أَدْرَكْتُ مُسْتَوًى صَرِيفَ الْأَقْلَامِ بفتح الصاد المهملة وكسر الراء وبالفاء وهو صوت

(١) زيادة من شرح المواهب (ج ٦ ص ٨٨) لتكملة السياق .

(٢) سورة الزلزلة آية ٥ .

(٣) في الأصول : التوكب والتصويب من شرح المواهب .

(٤) سورة لقمان آية ٢٩ .

(٥) زيادة من الكشف .

(٦) يقال فلان واسع العطن أى واسع الصبر والحيلة وعنده ضيق العطن .

حركتها وجريانها على المكتوب فيه من أقضية الله تعالى ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ وما شاء الله تعالى الذى يعلم بكيفيةها . « العرش »^(١) : السرير الذى / للملك كما قال ٣٨٨ ظ الله تعالى : (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) ، وثبتت في الشرع أنه له قوائم تحمله الملائكة ، وهو فوق الجنة والجنة فوق السموات ، وفي الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات ، وقد بسطت الكلام عليه في « الجواهر الندائس في تحبير كتاب العرائس » . « لسانه رطب من ذكر الله » : أى لم يجف . « قلبه معلق بالمساجد » كأنه رطب بها أو حبا من العلاقة وهي المحبة . « لم يستسب لوالديه » أى لم يعرضهما للسب وهو الشتم ولا جرهما إليه بأن يسب أبا غيره فيسب [هذا] أباه مجازة له . وقد جاء مفسرا في الحديث الآخر : « أن من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه » . قيل : وكيف يسب والديه ؟ قال : « يسب أبا الرجل فيسب أباه وأمه » . « لبك » : هو من التلبية وهي إجابة المُنَادِي أى إجابتي لك يا رب وهو مأخوذ من لب بالمكان وألب إذا أقام به ، وألب على كذا إذا لم يفارقه ، ولم يستعمل إلا على لفظ التلبية في معنى التكرير أى إجابة بعد إجابة ، وهو منصوب على المصدر بعامل لا يظهر كأنك قلت : ألب ! ألب ! بعد إلباب . « يحفظون الكتاب المجيد » : يتلونه حفظا . « أناجيلهم » : الأناجيل جمع إنجيل وهو اسم كتاب الله تعالى المنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام . « سبعا من الثاني » : هي كل سورة دون الطوال ودون المائتين . « الرعب » الفرع وسبأ الكلام على ذلك في الخصائص . « فتواتح الكلم » وفي رواية مفاتيحه ومفاتيحه وهما جمع مفتاح ومنفتح وهما في الأصل كل ما يتوصل به إلى استخراج المغلفات التي بتعذر الوصول إليها ، فأخبر أنه أوتي مفاتيح الكلم ، وهو ما يسرا الله له من البلاغة والفصاحة والوصول إلى غوامض المعاني وبدائع الحكيم ومحاسن العبارات التي أغلقت على غيره وتعلت .

(١) في المفردات لراغب : وعرش الله ما لا يعلمه البشر إلا بالامع على الحقيقة وليس كما تدعي إليه العامة فإنه لو كان كذلك لكان حاملا له تعالى لا عمولا . وقال الله تعالى : « إن الله يسكن السموات والأرض أن تزولا ولئن زالحا إن أسكنهما من أحد من بعده » (سورة طه آية ٤١) . وفي القاموس المحيط : العرش ياقوت أحمر يتلأأ من نور الجبار تعالى . وفي الصحاح : العرش سرير الملك . وفي شرح الزبيدي يكنى به عن ابنز والسلطان والمملكة وقوام الأمر . ومنه ثل عرشه أى عظم ما هو عليه من قوام أمره وقيل : ومنه أمره .

(٢) سورة النمل آية ٢٣ .

« خواتمه » [به فَضْل الخطاب ^(١)] . « جوامعه » : أى من الكلمات القليلة الألفاظ ، الكثيرة المعانى . « المِخْطُط » : بكسر الميم وسكون الْمُعْجَمَةِ وفتح التحتية وبإطاء المهملة ما خيط به الثوب . « الْمَلَكُ القائد » : بقاف قَالِفَ فهزمة فذاك مهملة : الْمُقَدَّم . « الْغُرَّ » : بالغين المعجمة : جمع أَغَرَّ ، وهو هنا الأبيض الوجه من نور الوضوء . « الْمُحْجَلِينَ » : البيض الوجوه والرجلين من نور الوضوء . « الْمُقْجِمَات » : بضم الميم وإسكان القاف وكسر الحاء المهملة : اللذوب العظام الكبار التى تهلك أصحابها وتقودهم إلى النار ، والتَّقَحُّمُ الوقوع فى المهالك . قال النووى : والمراد بغفرانها ألا يُخْلَدَ فى النار بخلاف المشركين ، وليس المراد ، ألا يُعَلَّبَ أيضاً فقد عُلِمَ من نصوص الشرع وإجماع أهل السنة لإثبات عذاب العَصَاة من الْمُوحِدِينَ . « فَسَلُّهُ » : أصله فاسألَهُ لأنه أَمُرُ من السؤال ، فنُقِلَتْ حركة الهزمة إلى السين فحُلِفَتْ واستغْنِيَ عن هزمة الوصل فحلغت . « خَبِرْتُ النَّاسَ وَبَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ » : بمعنى جَرَّبْتُهُمْ ومارستُهُمْ وعالجتهم من المعالجة مثل المزاولة ، ولقيت الشدَّةَ فيها رأيتُ منهم ٣٨٩ و من [نبد^(٢)] الطاعة / . « أن نعم » : بفتح الهزمة فى « أن » والتخفيف وهى المُفسَّرة ، فهى من معناه مثل « أَى » ، وهى بالتخفيف . « فلم يزل يرجع بين موسى وبين رَبِّهِ » : أى بينه وبين مناجاة ربه . « ومن هَمَّ بِحَسَنَةٍ » : أى أراد فِعْلَهَا مُصَمِّمًا بقلبه . « كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ » : أى كُتِبَتْ لَهُ الحسنة التى هَمَّ بِهَا ولم يعملها كتابةً واحدة لأنَّ الهَمَّ بسببها أو بسبب الْخَيْرِ خَيْرٌ ، فوضع حَسَنَةٌ موضع المصندر ، وكذا [إن عملها ^(٣) كُتِبَتْ لَهُ] عَشْرًا [ومن هَمَّ ^(٣)] . بسببها لم تُكْتَبْ ^(٣) شيئاً [فإن عملها كُتِبَتْ شيئاً واحدة ^(٣)] . « لَبِيتُكَ » : تقدم . « وَسَعَلَيْكَ » : أى إسعاداً لك بعد إسعاد أو مساعدة بعد مساعدة ، جالِئاً [فى] الإسعاد والمساعدة مُتَابِعَةً الْعَبْدُ أَمَرَ رَبِّهِ ورضاه . « ومن هَمَّ بِسَيِّئَةٍ ولم يعملها لم تُكْتَبْ شيئاً » : أى إذا لم يُصَمِّمْ عَلَى الْفِعْلِ كما هو مذکور فى محله . « ولكن أَرْضَى وَأَسْلَمَ » : قال الطَّبْطَبِيُّ : فإن قلت : وقوع هذا بين كلامَيْنِ متغايرَيْنِ مَعْنَى فما وجهه هنا ؟

(١) بياض بالأسول يسمو ثلاث كلمات .

(٢) إضافة يقتضيا السباق .

(٣) فى الأسول : « وكذا عسرا سبعا شيئاً » وتكلمة السباق من حديث أنس بن مالك فى صحيح مسلم ، انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٢١٠ .

قلت : تقدير الكلام : حتى استحييتُ فلا أرجع ، فإنى إذا رجعت كنت غيرَ راضٍ ولا مُسَلِّمٍ ، ولكنى أرضى . « بِرَهَجٍ » : بفتح الهاء وهو الغبار وفى قوله : « ثم ركب مُنْصَرِلاً » ، دليل على أنه حالة المُروُج لم يكن راكباً . « العير » : بكسر العين المهملة - الإبل بأحمالها . « الغراراتان » : تشبة غرارة وهى الجوالق يجيم مضمومة فواو فألف فلام ففاف : الخُرج . « فُطِعَ » بفاء فطاء معجمة مشالة أى اشتدَّ عليه وهابَهُ . « بين ظَهْرَانَيْنَا » : بفتح النون أى : بيننا . « المُطْعِمُ بنِ عَدَى » : بضم الميم وسكون الطاء وكسر العين مُخَفِّفاً ، هلك كافرأ . « مُضْعِداً شهرأ » : بيم مضمومة فصاد ساكنة فعين مكسورة فдал مهملات . « مُنْجَلِيراً شهرأ » : بيم مضمومة فنون ساكنة فحاء فдал مكسورة مهملتين فراء « جِبْهَتُهُ » : بفتح الجيم والمُوَحَّدَةُ الهاء والفوقية أى استقبلته بالمكروه ، وأصله من إصابة الجِبْهَةِ يُقال جبهته [إذا أصبَتْ جبهته ^(١)] . كَرَبَ كَرْباً : وفى رواية : فَكُرِبَتْ كُرْبَةً - بضم الكاف وسكون الراء - ما كُرِبَتْ مِثْلُهُ [قط ^(٢)] والضمير [فى مثله ^(٣)] يعود على معنى الكُرْبَةِ وهو الكَرْبُ أو اللَّمُّ أو الهمُّ أو الشَّيْءُ . « الرُّوحَاء » : براء مفتوحة فواو ساكنة فحاء مهملة فألف ممدودة : بَلَدٌ من عمل الفُرْع ^(٤) على نحو أربعين ميلاً من المدينة ويقال على ستة وثلاثين ميلاً ، ويقال على ثلاثين ميلاً . « التنعيم ^(٥) » : من الحِلْ بينه وبين سَرْف ^(٦) على فرسخين من مكة نحو المدينة . « يَقْدُمُهَا » : بضم الدال فى المضارع وبفتحها فى الماضى ، يقال : قَدِمَ يَقْدُمُ قُدْماً ، بضم القاف فى المصدر ، أى تَقَدَّمَ . قال تعالى : « يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ^(٧) « جَمَلٌ أَوْرقى » : أى فى لونه بياض إلى سواد ، قاله الأصمعى . وقال أبو زيد : يُضْرِبُ لَوْنُهُ

(١) التكلفة من النهاية مادة جبه ج ١ ص ١٤٣ .

(٢) التكلفة من حديث أبي هريرة رواية زهير بن حرب كما أخرجه مسلم فى صحيحه . انظر النووى على مسلم ج ٢

ص ٢٣٧ : ٢٣٨ .

(٣) الفرع بضم الفاء والراء وليس بتسكين الراء كما فى معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٢٩٦) وفى معجم البكرى

(ج ٣ ص ١٠٢٠) أنها من أحوال المدينة .

(٤) هو موضع بمكة فى الحِلْ بين مر وسرف بينه وبين مكة فرسخان ومن التنعيم يحرم من أرواد العزرة ، وإنما سمى التنعيم لأن الجبل الذى عن يمينه يقال له نعم والذى عن يساره يقال له ناعم والوادي نعمان ، انظر معجم البكرى ج ١ ص ٣٢١ ومعجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٤١٩ .

(٥) سرف موضع على ستة أميال من مكة وقيل سبعة وتسعة وأثنى عشر ، انظر معجم البلدان ج ٥ ص ٧١ ومعجم البكرى

ج ٣ ص ٧٣٥ و ٧٣٦ .

(٦) سورة هود آية ٩٨ .

إلى الخُضرة : « أهرِقت » : انكبت^(١) . « في غُلوة » : يضم الغين المعجمة : ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس^(٢) . « الروحة » : اسم للوقت من الزوال إلى الليل^(٣) .

هذا ما يَسُرُّ الله تعالى من الكلام على بعض فوائد القصة وشرح مشكلها ، وقد جَمَعْتُ جزءاً في بيان تخريج أحاديثها سَمَّيْتُه : « الإفراج في تخريج أحاديث قصة المعراج » ، ٣٨٩ ظ فمن تَوَقَّفَ في ورود لفظ فليراجع ذلك الجزء يظفر بمعرفة / مَنْ رواه من الأئمة ، والله سبحانه وتعالى المَوْقُوفُ للصواب .

(١) لعل الأصح صَبَّ فإن انكَبَ لا تفيد هذا المعنى : فالانكباب على الشيء هو الإقبال عليه ولزومه والشغل به وكذلك انكَبَ والثلاث منه متعد : كبيت الإثناء كَباً من باب نصر قلبته على رأسه . والأصل في أهرِقت فعل راق : جاء في المصباح : راق الماء وغيره ريقاً من باب باع : انصب ، ويتبدى بالهمزة فيقال أراقه صاحبه ، والفاعل مريق والمفعول حراق . وتبدل الهمزة في « أراق » هاء فيقال : هراقه والأصل هريقه وزان دحرجه ، ولما تفتتح الهاء من المضارع فيقال هريقه كما تفتتح الدال من يدحرجه ، وتفتتح من الفاعل والمفعول أيضاً فيقال : مهريق ومهراق ، والأمر هرق مارك والأصل هريق مارك وزان دحرج . وقد يجمع بين الهاء والهمزة فيقال أهراقه هريقه ساكن الهاء كأن الهمزة زيدت عوضاً عن حركة الياء في الأصل ولهذا لا يصير الفعل بهذه الزيادة خاسياً . ومنهم من يحمل الهاء كأنها أصل ويقول حرقتة هرقاً من باب نفع ، انظر أيضاً النهاية ج ٤ ص ٢٤٧ .

(٢) الغلوة المرة من الغلوت وجمعها غلوت مثل مدية ومدى كما في المصباح وغدا يغدو غداً من باب قعد ذهب غلوة وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس ، ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق أي وقت كان . وفي النهاية (ج ٣ ص ١٥١) لغوة أو روحة في سبيل الله ، وقد وردت غلوة في الحديث أسماء وقعدا واسم فاعل ومصدر .

(٣) الروحة المرة من الرواح ، والرواح كما في التاج نقيض الصباح وهو اسم للوقت وقيل الرواح المشي أو من الزوال أي من لندن زوال الشمس إلى الليل غير أن الفيوي ينكر ربط الرواح والغلوت بوقت معين إذ قال الأزهرى وغيره : قد يتوهم بعض الناس أن الرواح لا يكون إلا في آخر النهار وليس كذلك بل الرواح والغلوت عند العرب يستعملان في المسير أي وقت كان من ليل أو نهار ، وعليه قوله عليه الصلاة والسلام : من راح إلى الجمعة في أول النهار فله كذا ؛ أي من ذهب إلى الجمعة وفي النهاية (ج ٢ ص ١٠٩) : على روحة من المدينة أي مقدار روحة وهي من الرواح .

الباب العاشر

في صلاة جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء وكيف فرضت الصلاة

روى الإمامان الشافعي وأحمد ، وأبو داود والترمذي وحسنه ، والطحاوي والبيهقي عن ابن عباس ، والإمام أحمد والنسائي والدارقطني والحاكم وصححه وأقره الذهبي عن جابر بن عبد الله ، والدارقطني والحاكم والإسماعيلي في معجمه ، وابن السكّن في صحيحه عن أنس ، والدارقطني بإسناد جيد عن ابن عمر ، والنسائي والحاكم وصححه وأقره الذهبي عن أبي هريرة وإسحق بن راهويه عن أبي مسعود الأنصاري ، وعبد الرزاق وإسحق عن أبي سعيد الخدري ، وإسحق عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه عن جده عمرو بن حزم رضي الله تعالى عنهم . قال الحافظ في المطالب : إسناده حسن ، إلا أن محمد بن عمرو بن حزم لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم لصغر سنه ، فإن كان الضمير في جده يعود على أبي بكر توقف على سماع أبي بكر من عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أئني جبريل عند البيت » - ولفظ الشافعي والطحاوي والبيهقي : « عند باب البيت » - « مرتين » ، فصل بى الظهر حين زالت الشمس ، وكانت قلن الشراك^(١) ، وصلى في العصر حين صار ظل كل شيء مثله ، وصلى في المغرب حين أفطر الصائم ، وصلى في العشاء حين غاب الشفق ، وصلى في الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم ، فلما كان الغد صلى في الظهر حين كان ظله مثله - وفي لفظ : « كوقت العصر بالأمس » - وصلى في العصر حين كان ظله مثله ، وصلى في المغرب حين أفطر الصائم ، وصلى في العشاء إلى ثلث الليل الأول ، وصلى في الفجر فأُسفر^(٢) ، ثم التفت فقال : « يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك ، والوقت ما بين هذين^(٣) » .

(١) لفظ الترمذي : « فصل الظهر في الأولى منهما حين كان الفجر مثل الشراك ثم صلى العصر حين كان كل شيء مثله ، ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس » .

(٢) هذه رواية النسائي ، أما رواية الترمذي فقد جاء فيها : « ثم صلى الصبح حين أسفرت الأرض . ويقال : أسفر الصبح إذا انكشف وأضاء .

(٣) لفظ الترمذي : « والوقت فيما بين هذين الوقتين » .

هذا ما وقفتُ عليه في صلاة جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بالصلوات الخمس ،
وأما عدد ركعاتها حين فُرِضَتْ فمن الناس من ذهب إلى أنها فُرِضَتْ أول ما فُرِضَتْ ركعتين
ركعتين ، ثم زيد في صلاة الحضر فأُكملت أربعاً إلا المغرب وأُقلَّت صلاة السفر ركعتين .
وروى ذلك عن عائشة رضي الله عنها الشعبي وميمون بن مهران ومحمد بن إسحق . ومنهم
من ذهب إلى أنها فُرِضَتْ أول ما فُرِضَتْ أربعاً إلا المغرب ففُرِضَتْ ثلاثاً والصبح ركعتين ،
وبه قال الحسن ونافع بن جبيرة بن مطعم وابن جرير .

ومنهم من ذهب إلى أنها فُرِضَتْ في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين ، يُروى ذلك
عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وذكر أدلة هذه الأقوال والكلام عليها مذکور في المطولات .

و ٣٩٠ وروى الشيخان وابن إسحق / عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : « افترضت الصلاة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افترضت ركعتين ركعتين كل صلاة ثم إن الله أتمها
في الحضر أربعاً وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين ^(١) » .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : ذكر بعضهم أن المعروف في رواية المواقيت عند البيت - وروى عند باب
البيت - وقد علمت أنها رواية الشافعي والطحاوي والبيهقي .

الثاني : المشهور في الأحاديث السابقة الابتداء بالظهور . روى ابن أبي خيثمة في تاريخه
عن أحمد بن محمد ، حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبي إسحق عن عتبة بن مسلم عن نافع
ابن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لما فُرِضَتْ الصلاة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتاه جبريل فصلى به الصبح حين طلع الفجر » ، وذكر الحديث . وكذا وقع في
رواية الدارقطني وابن جبان في الضعفاء من طريق محبوب بن جهم ، وهو ضعيف ، وفي
رواية أبي هريرة عند النسائي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا جبريل جاءكم
يُعَلِّمُكُمْ دينكم » ، فصلى الصبح حين طلع الفجر .

الثالث : قال أبو عمر : لم أجِدْ قَوْلَهُ « هذا وقتك وقت الأنبياء قبلك » ، إلا في
هذا الحديث ، يعني رواية ابن عباس ، قلت : قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله :

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة (ج ١ ص ١٥٩) .

ظَاهِرُهُ يَوْمٌ أَنَّ هَذِهِ الصَّلَوَاتُ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ مَشْرُوعَةٌ لِمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ،
إِنَّمَا مَعْنَاهُ : هَذَا وَقْتُكَ الْمَشْرُوعُ لَكَ ، يَعْنِي الْوَقْتُ الْمَوْسَعُ الْمَحْلُودُ بِطَرَفَيْنِ : الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ،
وَوَقْتُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ ، يَعْنِي مِثْلَهُ وَقْتُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ أَيْ صَلَاتِهِمْ كَانَتْ وَاسِعَةً الْوَقْتُ
وَذَاتِ طَرَفَيْنِ مِثْلُ هَذَا . وَإِلَّا فَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الصَّلَوَاتُ عَلَى هَذَا الْمِيقَاتِ إِلَّا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ خَاصَّةً
وَلِنْ كَانَ غَيْرِهِمْ قَدْ يَشَارِكُهُمْ فِي بَعْضِهَا .

وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي حَدِيثِ الْعِشَاءِ : « أَغْتَمُوا ^(١) » بِهَذِهِ الصَّلَاةِ فَإِنَّكُمْ قَدْ فَضَّلْتُمْ بِهَا
عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ [وَلَمْ تُصَلِّهَا أُمَّةٌ قَبْلَكُمْ ^(٢)] . وَكَذَا قَالَ أَبُو الْفَتْحِ : « يَرِيدُ بِهَا التَّوَسُّعَ
عَلَيْهِمْ فِي أَنْ لِلْوَقْتِ أَوَّلًا وَآخِرًا إِلَّا أَنَّ الْأَوْقَاتَ هِيَ أَوْقَاتُهُمْ بِعَيْنِهَا » .

الرَّابِعُ : اسْتَشْكَلَ بَعْضُهُمْ لَفْظَ « عِنْدَ الْبَيْتِ » بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْتَقْبِلُ
بَيْتَ الْمَقْدِسِ قَبْلَ الْهَجْرَةِ . قُلْتُ : وَلَا إِشْكَالَ فِي ذَلِكَ لِاحْتِمَالِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ
الْبَيْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَكَذَلِكَ رَوَايَةُ : « عِنْدَ الْبَابِ » لَا إِشْكَالَ فِيهَا ، إِذْ لَا يَلْزَمُ
فِي كَوْنِ الصَّلَاةِ عِنْدَ الْبَابِ أَنْ تَكُونَ الصَّلَاةُ إِلَيْهِ .

الخَامِسُ : قَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ : « لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَبْرِيلُ أَنْ يُعَلِّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ ، كَانَتْ هَذِهِ فَرَضًا عَلَيْهِ لِأَنَّهُ أُمِرَ بِذَلِكَ ، فَكَانَتْ صَلَاةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً مُفْتَرَضَةً خَلْفَ مُفْتَرَضٍ » .

السادس : قَالَ الْحَرَبِيُّ : « أَوَّلُ مَا فَرَضَتْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ : رَكْعَتَيْنِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَرَكْعَتَيْنِ
آخِرَهُ بِسَنَدِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا / قَالَتْ : « فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ ^{ظ ٣٩٠}
رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ زَادَ فِيهَا فِي الْحَضَرِ » . قَالَ أَبُو عُمَرَ : « لَيْسَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ دَلِيلٌ
عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْحَرَبِيُّ ، وَلَا يَوْجَدُ هَذَا فِي أَثَرٍ صَحِيحٍ ، بَلْ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّلَاةَ
الَّتِي فَرَضَتْ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ هِيَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ لِأَنَّ الْإِشَارَةَ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ فِي « الصَّلَاةِ »

(١) فِي الْأَصُولِ : اغْتَمُوا ، مَصْحُفٌ ، وَأَغْتَمُوا أَيْ ادْخُلُوا فِي التَّمَتَةِ ، وَابْنُ الْقَتَادَةِ أَوْ الْمَصَابِيحُ وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ
حَالٌ ، وَالتَّمَتَةُ ظِلَامٌ اللَّيْلِ أَوْ ظُلَامٌ أَوْ لَهُ بَعْدُ زَوَالِ نَوْرِ الشَّفَقِ .

(٢) تَكَلَّمَ الْحَدِيثُ مِنْ سَنَةِ أَبِي دَاوُدَ وَبَدَايَتِهِ بِرَوَايَةِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ : قَالَ : « بَقِينَا — عَلَى وَزْنِ رَمِينَا يُقَالُ بَقِيْتُ
الرَّجُلَ أَبَيْتُهُ إِذَا انْتَهَرَتْ — النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةِ التَّمَتَةِ فَتَأَخَّرَ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ لَيْسَ بِخَارِجٍ ، وَالْقَائِلُ مَنَا يَقُولُ :
عَلَى فَنَابَا لِكَذَلِكَ حَتَّى خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا لَهُ كَمَا قَالُوا : فَقَالَ : « أَغْتَمُوا هَذِهِ الصَّلَاةَ : إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ .

إشارة إلى المعهود . قال الحافظ : « الذي يظهر به تَجَمُّع الأدلة أن الصلاة فُرِضت ليلة الإسراء ركعتين ركعتين إلا المغرب ، ثم زيدت عَقِبَ الهجرة إلا الصبح كما روى ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي من طريق الشعبي عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت : « فُرِضت صلاة السفر والحضر ركعتين ركعتين ، فلما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واطمأن ، زيد في صلاة الحضر ركعتان وتُرِكَت صلاة الفجر لطول القراءة وصلاة المغرب لأنها وتُر . انتهى .

ثم بعد أن استقر فَرَضُ الرباعية خُفِّفَ منها في السفر عند نزول الآية وهي قوله تعالى : (وَإِذَا ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا^(١)) قال ويؤيد ذلك ما ذكره ابن الأثير في شرح مُسْنَد الشافعي : إن قَصْر الصلاة^(٢) كان في ربيع الأول من السنة الثانية ، وهو مأخوذ مما ذكره غيره أن نزول آية الخوف^(٣) كان فيها . وقيل قَصْر الصلاة كان في ربيع الأول من السنة الأولى ذكره الدلاوي وأورده السهيلي بلفظ بعد الهجرة بعام أو بنحوه ، وقيل بعد الهجرة بأربعين يوماً . فعلى هذا فالمراد بقول عائشة : فأقرت صلاة السفر^(٤) باعتبار ما آل إليه الأمر من التخفيف لأنها استمرت منذ فرضت فلا يلزم من ذلك أن القصر عزيمة^(٥) .

(١) سورة النساء آية ١٠١ .

(٢) أخرج البخاري في صحيحه (ج ٢ ص ١٠٢) في كتاب الصلاة : باب ما جاء في التقصير ولم يقيم حتى يقصر عن حكمة عن ابن عباس قال : أقام النبي صلى الله عليه وسلم تسعة عشر يقصر فنحن إذا سافرنا تسعة عشر قصرنا وإن زدنا أعمنا . وعن أنس قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة فكان يصل ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة . قلت : أقم بمكة شيئاً ؟ قال : أقمنا بها عشرة .

(٣) جاء في أسباب النزول للواحدي (ص ١٣٣) قال أبو عياض الورق : صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فقال المشركون : قد كانوا على حال لو كنا أصبنا منهم غرة . قالوا : تأتى عليهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم . فنزل جبريل بهذه الآية : وهي الآية ١٠٢ من سورة النساء .

(٤) قال يعل بن أمية : سألت عمر بن الخطاب قلت له : قوله : ليس عليكم جناح الآية وقد أمن الناس ؟ فقال لي عمر : صحبت مما صحبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » .

(٥) في تهذيب اللغات للنوري (ج ٢ ص ٩٤) يقال قصر المسافر الصلاة وقصرها يتخفيف الصاد وتشديدها لعتان مشهورتان والتخفيف أضعف وأشهر . وبه جاء القرآن وروايات الأحاديث الصحيحة والقصر والتقصير هو رد الرباعية إلى ركعتين . هذا وقصر الصلاة في السفر من غير خوف سنة لا فريضة لأنه لا ذكر لها في القرآن إنما القصر المذكور في القرآن إذا كان سافراً وخوفاً واجتماعاً فلم يبيح التقصر في كتابه إلا مع هذين الشرطين . ولأهمية المذاهب آراء مختلفة =

السابع : قال السهيلي : هل هذه الزيادة في الصلاة نسخ أم لا ؟ فيقال : أما زيادة ركعتين أو ركعة إلى ما قبلها من الركوع حتى تكون صلاة واحدة فنسخ ، لأن النسخ رفع الحكم ، وقد ارتفع حكم الأجزاء^(١) من الركعتين وصار من سلم فيها عامداً مفيداً لها ، وإن أراد أن يتم صلاته بعد ما سلم عامداً لم يجزه إلا أن يستأنف الصلاة من أولها ، فقد ارتفع حكم الأجزاء بالنسخ ، وأما الزيادة في عدد الصلوات حتى المكث خمسا بعد ما كانت اثنتين فسميت نسخاً عند أبي حنيفة ، قال الزيادة عنده نسخ ، وجمهور المتكلمين على أنه ليس بنسخ ، ولا يحتاج الفريقين موضع غير هذا .

الثامن : في بيان غريب ما سبق :

« زوال الشمس » : عبارة عن ميلها من جانب الشمال إلى جانب اليمين إذا استقبلت القبلة . « الشراك » : أحد ميور النعل التي على وجهها وقدره هنا ليس على معنى التحديد .

= في حكم قصر الصلاة وشروط صحة القصر وما يمنع القصر أوردها كتاب الفقه على المذاهب الأربعة قسم العبادات - الطهارة الثانية سنة ١٩٣١ م ص ٤٢٦ : ٤٣٩ .

(١) في النهاية (ج ١ ص ١٥٩) في حديث الأصبعية : ولن تجزئ عن أحد بملك ، أي لن تكن ، يقال أجزأت الشيء أي كفاني ويروى بالياء . وفي الفائق للزحشرى (ج ١ ص ١٨٩) لا تجزئ أي لا تكفي عنه الواجب ولا تقضيه وإنما وضع الجزء موضع الأداء لأن مكافأة الصنيع كقضاء الحق .

جُمَاعُ أَبْوَابِ بَدْءِ إِسْلَامِ الْأَنْصَارِ

الباب الأول

في نَسَبِهِمْ

قال السهيلي رحمه الله تعالى : « الأنصار جَمْعُ ناصر على غير قياس في جَمْعِ فاعل ، ولكن على تقدير حذف الألف من ناصر لأنها زائدة ، فالاسم على تقدير حذفها ثلاثي ، والثلاثي يُجَمَّع على أفعال ، وقد قالوا في نَحْوِهِ صاحب وأصحاب وشاهد وأَشْهاد^(١) » .
وفي الصحاح النصير الناصر ، والجَمْعُ أنصار مثل شريف وأشراف ، وجَمْعُ الناصر نصير مثل صاحب وصَحْب^(٢) » . انتهى .

ولم يكن « الأنصار » اسماً لهم في الجاهلية بل سَمَّاهم الله تعالى به في كتابه كما سيأتي في الباب بعده .

والأنصار جزئان : الأول : بنو الأوس ، قال السهيلي : وهو لُغَةٌ العِطَّة أو العَوْض . زاد في الزهر : وأوس زَجَرٌ لِلغَنَمِ والبقر^(٣) ، ودخول الألف واللام فيه على حَدِّ دخولها في التَّيْمِ جَمْعُ تَيْمِيٍّ ، وهو من باب روميٍّ وروم ، ومثل هذا إذا كان عَلَماً [لا]^(٤) تدخله الألف واللام ،

والثاني : بنو الخزرج ، قال السهيلي : وهو في اللغة الريح الباردة ، وقال بعضهم : هي الجَنُوبُ خاصة ، وقال بعضهم في الزهر : الريح الشديدة . والأوس والخزرج ابنا حارثة - بحاء مهمله / وثناء مثلثة - ابن ثعلبة العَنَقَاء - بعين مهمله مفتوحة فنون ساكنة ففاف ٩١

(١) هذا في الروض الأنف ج ١ ص ٢٦٦ .

(٢) هذا في الصحاح ج ١ ص ١٠٥ .

(٣) في التاج : الأوس الإعلاء والعيوض تقول فيها أست القرم أوهم أوساً أي أعطيتهم وكذا إذا عوضتهم من الشيء . وفي حديث قيلة : رب أسى لما أمضيت أي عوضني ويقولون أس فلاناً بخير أي أصبه ، ويقال : ما يؤاسيه من مودته ولا قرابته شيئاً ، مأخوذ من الأوس وهو العوض ، وكان في الأصل : ما يؤارسه ، فقدموا السين وهي لام الفعل وأغروا الواو وهي عين الفعل فصار يؤارسه ، فصارت الواو ياء لتحركها وانكسار ما قبلها . وهذا من المقلوب . والأوس الذئب وأويس مصغر حقروه متفائلين أنهم يقدرون عليه . وأوس بلا لام ، وفي الحكم الأوس ، أبو قبيلة ، وهو أوس ابن قيلة أخو الخزرج منهما الأنصار وقيلة أمهما .

(٤) زيادة يقتضها السياق .

فهزمة ممدودة ، لُقِّبَ به لَطُولُ عُنُقِهِ - ابن عمرو مُزَيَّيَاء - بجم مضمومة فزاي مفتوحة
فمُثَنَّاة تحتية ساكنة ، فقفاف مكسورة فمُثَنَّاة تحتية فهزمة ممدودة ، لُقِّبَ عمرو بذلك
لأنه كان من ملوك اليمن ، وكان يلبس كل يوم حُلَّتَيْنِ فَيُمَزَّقُهُمَا بِالْعِشِيِّ ويكره أن يعود
فيهما ، ويأنف أن يلبسهما أحدٌ غيره ، قاله في النور والروض يُمَزَّقُ كل يوم حُلَّةً بالإنفراد
- ابن عامر ماء السماء - لأن قومه كانوا إذا قَبَّطُوا بَثَّ فيهم ماله ، فكان يقوم لهم مقام
ماء السماء - ابن حارثة - بحاء مهملة ومُثَلَّثَةٌ ، ويُلقَّبُ بِالْعَطْرِيف - بغين معجمة مكسورة
فظاء مهملة ساكنة فراء مكسورة وفي آخره فاء ، وهو في اللغة السَّيِّدُ وقرَّخ البازي - ابن
امرئ القيس - ويُلقَّبُ : البَطْرِيقُ بباء موحدة فطاء مهملة ساكنة وفي آخره قاف - وهو
القائد من قُوَادِ الروم وهو مُعَرَّبٌ^(١) ، والجمع بطارقة ، وهو في اللغة السَّيِّدُ من الطَّيْرِ
وغيره ، وأيضاً الْمُخْتَالُ في مشيه - ابن ثَعْلَبَةَ - ويُلقَّبُ بِالْبُهْلُولِ بباء موحدة مضمومة
وهاء ساكنة وهو في اللغة السَّيِّدُ - ابن مازِن - ويُلقَّبُ : زَادُ السَّقَرِ - ابن الأَرْدَ - اسم
الأَرْدَ دَجْرًا ، بدال مكسورة فراء مهملتين فالْفُ ممدودة - ابن القَوْتُ - بغين معجمة
مفتوحة فواو ساكنة فمُثَلَّثَةٌ - ابن مالك بن زيد بن كهلان - بكاف مفتوحة فهاء ساكنة
وآخره نون - ابن مَبَا - يَمَدُّ وَيُقَصِّرُ ، وَيُصَرِّفُ وَلَا يُصَرِّفُ واسمه عامر وقيل عَبْدُ شَمْسٍ
- ابن يَشْجُبُ - بِمُثَنَّاة تحتية مفتوحة فشين معجمة ساكنة فجيم مضمومة فمُوحَّدة ،
وزان يُنْصَرُ ، ولا ينصرف للعلمية - ابن يَعْرُبُ - بعين مهملة وزان يَشْجُبُ - ابن قَحْطَان -
بقاف مفتوحة فحاء ساكنة مُهْمَلَّتَيْنِ فنون ، والنسبة إليها قحطاني على القياس ، ولقبه
يَقْطُنُ - بِمُثَنَّاة تحتية فقفاف فطاء مهملة وزان يَعْرُبُ وَسُمِّيَ بِقَحْطَانٍ لَّأنه كان أول من قَحَطَ
أموال الناس من ملوك العرب واسمه مهزم^(٢) ، ويقال إن قحطان كان أول من تكلم بالعربية

(١) أورده الجواليقي في المعرَّب (ص ٧٦) .

(٢) ت في دم يجرم وفي ط ه مهزم بكسر الراء والتصويب من السبيل (ج ١ ص ١٣) ولله مهزم كعظم سبياً

لتأبى أب المهزم يزيد أو عبد الرحمن بن سفيان كما ورد في التلخيص المحيظ .

وهو والد العرب المتعربة وأما إسماعيل فهو والد العرب المستعربة ، وقيل قحطان أول من قيل له : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، وعِم صَبَاحاً ، وذهب الزبير بن بَكَّار إلى أن قحطان من ذرية إسماعيل عليه السلام وأنه قحطان بن الهمَّسَع وتقدم ضَبْطُهُ في النسب النبوى : ابن إسماعيل وهو ظاهر قول أبي هريرة رضى الله عنه المتقدم في قصة هاجر حيث قال وهو يخاطب الأنصار : « تلك أمُّكم يابى ماء السماء » . قال الحافظ : « وهذا هو الراجح في نقدى » . وبَسَطَ الكلام على ذلك .

الباب الثاني

في فضلهم وحُبهم والوصية بهم والتجاوز عن مُسيئتهم والنهي عن بُغضهم

قال الله سبحانه وتعالى : (وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) (١) وقال الله عز وجل : (وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أَوْتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٢) وقال تَقَدَّسَ اسْمُهُ : (فَإِنْ يَكْثُرَ بِهَا هَوْلَاءُ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُو بِهَا يَكْفُرِينَ) (٣) .

وعن غيلان بن جرير قال : « قلت لأنس : أرأيتَ اسم الأنصار كنتم تُسمونَ به أم سُمَّاكم الله ؟ قال : بل سُمَّانا الله عزَّ وجلَّ » (٤) ، رواه البخاري والنسائي . وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، يرفعه : « إن الله أَمَلَنِي بِأَشَدِّ النَّاسِ أَلْسِنًا وَأَذْرَعًا ، بِأَبْنَى قَبِيلَةٍ : الْأَوْسَ والخَزْرَجَ » ، رواه الطبراني في الكبير . وعن أبي واقد / الليثي قال : كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه آتٍ فَالْتَقَمَ أَذُنَهُ فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَسَارَ الدَّمُ فِي أُسَارِيرِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « هَذَا رَسُولُ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ يَتَّهَدُّنِي فَكَفَانِيهِ اللَّهُ بِالْبَيْتَيْنِ مِنْ وَكَدِّ إِسْمَاعِيلَ بِأَبْنَى قَبِيلَةٍ » ، يعنى الأنصار ، رواه الطبراني في الكبير والأوسط .

وعن أنس رضي الله عنه قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان مُقْبِلِينَ [قال] : حَسِبْتُ [أَنَّهُ قَالَ (٥)] مِنْ عُرْسِ فَقَامَ [النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] (٥)

(١) سورة الأنفال آية ٧٤ .

(٢) سورة الحشر آية ٩ .

(٣) سورة الأنعام آية ٨٩ .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه باب مناقب الأنصار ج ٥ ص ١٠٨ .

(٥) زيادة من البخاري .

مُثْبَلًا^(١) ، فقال : « اللهم أنتم من أَحَبَّ الناس إلى » ، [قالها ثلاث مرات] . رواه البخاري^(٢) . وعنه أيضاً قال : جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها صبي لها كَلَمَها [رسول الله صلى الله عليه وسلم] فقال : « والذي نفسي بيده إنكم أَحَبُّ الناس إلى » ، مرتين ، رواه الشيخان والنسائي . وعن البراء بن عازب رضى الله عنه يرفعه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الأنصار لا يُحِبُّهم إلا مؤمن . ولا يَبْغُضُهم إلا مُنَافِقٌ فمن أَحَبَّهم أَحَبَّه الله ومن أَبْغَضَهم أَبْغَضَهُ الله^(٣) » ، رواه الستة خلا أبو داود . وعن أنس رضى الله عنه يرفعه : « آية الإيمان حُبُّ الأنصار وآية النفاق بُغْضُ الأنصار » رواه الشيخان والنسائي . وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ ببعض سلك المدينة فإذا بجوارٍ يَضْرِبُ بِلُغَيْنِ وَيَتَغَنَّى وَيَقُلُّن : نحن جوارٍ من بنى النَجَّار يا حَبْلًا محمد من جار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم تعلم أُنَى لأَحِبُّكُن » ، حديث صحيح رواه ابن ماجه ، وعن سعد بن عُبَّادة يرفعه : « إن هذا الحَيَّ من الأنصار بِخَيْرَةٍ : حُبُّهم إِيْمَانٌ وَيُبْغِضُهم نِفَاقٌ » ، رواه الإمام أحمد . وعن أبي سعيد الخُدْرِي يرفعه : « حُبُّ الأنصار إِيْمَانٌ وَيُبْغِضُهم نِفَاقٌ » ، رواه الإمام أحمد . وعنه : « لا يَبْغِضُ الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر » ، رواه الإمام أحمد .

وعنه أيضاً يرفعه : « مَنْ أَحَبَّنِي أَحَبَّ الأنصار ، ومن أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ الأنصار ، لا يُحِبُّهم منافق ولا يَبْغِضُهم مؤمن ، من أَحَبَّهم أَحَبَّه الله ومن أَبْغَضَهم أَبْغَضَهُ الله ، الناس دُثَّارٌ والأنصار شِعَارٌ ، ولو سلك الناس شِعْبًا وسلك الأنصار شِعْبًا لَسَلَكْتَ شِعْبَ الأنصار » رواه الإمام أحمد .

وعن جلد رباح بن عبد الرحمن بن حَوَيطٍ يرفعه : « لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء

(١) في النورى عل مسلم ج ١٦ ص ٦٧ : « مثلاً » بضم طالم الأول وإسكان الثانية وفتح اللام لثقله وكسرهما كذا روى بالوجهين وهما مشهوران . قال القاضى : جمهور الرواة بالفتح وصححه بعضهم . قال : ولبعضهم هنا وفى البخارى بالكسر وممنه : قائماً متصباً ، وعنه بعضهم مقبلاً . والبخارى فى كتاب النكاح : « مبتأى » بفتح ثاء فوق وكون . من المنة أى متفضلاً . قال : واختار بعضهم هذا ، وضبطه بعض المتقنين مبتأى بكسر التاء وتخفيف النون أى قِيَامًا طويلاً . قال القاضى : واختار ما قلناه عن الجمهور .

(٢) صحيح البخارى ج ٥ ص ١١١ .

(٣) صحيح البخارى ج ٥ ص ١١١ .

لمن لم يذكر اسم الله عليه ، ولا يؤمن بالله من لا يؤمن في ولا يؤمن في من لا يحب الأنصار » ،
رواه الترمذى وابن ماجه دون ذكر الأنصار فيه ، وقال الترمذى عن البخارى إنه قال :
هذا أحسن حديث في هذا الباب . وعن على بن سبرة عن أبيه عن جده يرفعه : « أيها الناس
لا صلاة إلا بوضوء ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ، ولم يؤمن بالله من لم يؤمن في
ولم يؤمن في من لم يعرف حق الأنصار » ، رواه الهغوى في معجمه والطبراني في الأوسط .

وعن الحارث بن زياد يرفعه : « من أحب الأنصار أحب الله ومن أبغض الأنصار
أبغضه الله » رواه الإمام أحمد . وعنه أيضاً يرفعه : « والذى نفسى بيده لا يحب رجل
الأنصار حتى يلتقى الله إلا لقي الله وهو يحبه ، ولا يبغض رجل الأنصار حتى يلتقى الله إلا لقي
الله وهو يبغضه » ، رواه الإمام أحمد والطبراني وسنده صحيح . وعن أنس رضى الله عنه
قال : افتخر الحَيَّان من الأنصار : الأوس والخزرج ، فقالت الأوس : « مِنَّا غسيل الملائكة^(١) »
حنظلة بن أبي عامر الراهب ، وَمِنَّا من اهْتَزَّ له عَرْشُ الرحمن ، سَعْدُ بن مُعَاذ ، وَمِنَّا من
حَمَمَتِ الدَّبِير ، عاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح^(٢) ، وَمِنَّا من أُجِيزَتْ شهادته بشهادة رَجُلَيْنِ ،
خزيمة بن ثابت^(٣) . فقال الخزرجيون : مِنَّا أربعة نفر جمعوا القرآن على عهد رسول الله
صل / الله عليه وسلم لم يجمعه غيرهم : زيد بن ثابت ، وأبو زيد ، وأبي بن كعب ، ومعاذ
ابن جبل ، حديث رواه أبو يعلى والبزار ، والطبراني في الكبير ، وفي الصحيح منه الذين
جمعوا القرآن .

٣٩٢ و

وعن معاوية بن أبي سفيان وأبي هريرة يرفعه : « من أحب الأنصار أحب الله ومن
أبغض الأنصار أبغضه الله » ، رواه أبو يعلى ، وهو حديث حسن صحيح رواه البزار عن
أبي هريرة والطبراني عن معاوية ، وله طريق آخر عند الطبراني عن معاوية يرفعه : « من أحب

(١) آمد النابة ج ٢ ص ٦٧ وسبب تسميته هبيل الملائكة كما في سيرة ابن هشام (ج ٣ ص ٢٠) أنه لما قتل في
غزوة أحد قال رسول الله صل الله عليه وسلم : « إن صاحبك - يعني حنظلة - لتفلسه الملائكة » فسالوا أهله : ما شأنه ؟
فبطلت صاحبه عنه فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهائلة .

(٢) قتل عاصم يوم الرجيع في سنة ثلاث ، وكانت ملاقة بنت سعد بن شهيد قد نذرت حين انساب ابنها يوم أحد
أن تقرب في تحفة الخمر فنته البهر (ابن هشام ج ٣ ص ١٦٣) .

(٣) هو خزيمة ابن ثابت بن الفاكه الأنصاري شهد المشاهد كلها وقتل في صفين وكان مع علي ، وهو ذو الشهادتين
جمل رسول الله صل الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين وقال : من شهد له خزيمة أو عليه ففسده (آمد النابة ج ٢ ص ١١٤)

الأنصار فَيَحْيَى أَحِبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَ الْأَنْصَارَ فَيَبْغِضُنِي أَبْغَضُهُمْ ، ، حديث صحيح . وعن أنس رضى الله عنه قال : قالت الأنصار يوم فتح مكة وأعطى قريشاً : « والله إن هذا لو العجب إن سيوفنا تَقَطَّرُ من دماء قريش وغنائمنا تُرَدُّ عليهم » . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فدعا الأنصار ، قال : فقال : « ما الذى بلغنى عنكم ؟ » وكانوا لا يَكْذِبُونَ ، فقالوا : « هو الذى بلغك » . قال : « أَوْلا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ الناس بالغنائم إلى بيوتهم وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيوتكم ، لو سلكت الأنصار وادياً أو شِعْباً لسلكت وادى الأنصار أو شِعْبَهُمْ ^(١) » . رواه الشيخان والنسائي ، وهو عند البخارى أيضاً من حديث أبي هريرة ، وفى آخره : « وَلَوْلا الهجرة لَكُنْتُ امرأً من الأنصار » . وعند النسائي بعد الشُّعْب : « اللهم ارحم الأنصار وَأبناء الأنصار وَأبناء أبناء الأنصار » ، فبكى الأنصار حتى اخضَلَّت لِحاهم ، وقالوا : « رَضِينَا برسول الله صلى الله عليه وسلم قِسْياً وَحَظاً » ، حديث صحيح رواه الإمام أحمد . وعن أبي هريرة يرفعه : « لولا الهجرة لَكُنْتُ امرأً أنصارياً » ، رواه الترمذى وحسنه . وعن أبي قتادة يرفعه : « أَلَا إِنَّ الناس دِثَار والأنصار شعار ، ولو سلك الناس سلك الأنصار شِعْباً لَا تُبْعَث شِعْبَ الأنصار ، ولولا الهجرة لَكُنْتُ امرأً من الأنصار ، فمن ولى من أمر الأنصار شيئاً فَلْيُحْزِنْ إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَلِيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ » ، من أفرعهم فقد أفرع هذا الذى بين هذين ، وأشار إلى نفسه ، حديث صحيح رواه الإمام أحمد والطبرانى ، وزاد فى آخره : يعنى قلبه . وعن السائب بن يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَسَمَ النِّقْيَ الذى أفاء الله تعالى بِحُنَيْنٍ من غنائم هوازن ، فَأَحْسَن ، فذكر الحديث وفيه : ثم قال : « يا معشر الأنصار أَلَمْ يَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ بِالْإِيمَانِ وَخَصَّكُمْ بِالْكَرَامَةِ وَسَمَّاكُمْ بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ : أَنْصَار الله وَأَنْصَار رسوله ؟ وَلَوْلا الهجرة لَكُنْتُ امرأً أنصارياً ، ولو سلك الناس وادياً ومسلكتكم وادياً لسلكت واديتكم ، أَوْلا تَرْضَوْنَ أَنْ يَنْهَبَ الناس بالنِّشَاءِ وَالنِّمِّمِ وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم » قالوا : قد رَضِينَا . قال : « أَجِيبُونِي فَمَا قُلْتُ » . قالت الأنصار : يا رسول الله وجدتنا فى ظلمة فَأَخْرَجَنَا اللهُ بِكَ ، ووجدتنا على شفا حفرة من النار فَأَيَّدَنَا اللهُ بِكَ ، ووجدتنا ضَلَالاً فَهَدَانَا اللهُ بِكَ ، فرَضِينَا بالله رَبّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً فاصنع يا رسول الله ما شئت فَأَوْسِعَ الحِلَّ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

« لو أجبتوني بغير هذا القول لقلت صدقتم ، لو قلتم : ألم تأتينا طريداً فأويناك ، ومُكذِّباً فصدَّقناك ، ومخولاً فنصرناك ، وقبَلنا ماردَ الناس عليك ؟ لو قلتم هذا لصدقتم » . فقالَت الأنصار : « بل الله ذو الفضل علينا وعلى غيرنا » . ثم بكوا فكثرَ بكاءهم وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم . رواه الطبراني في الكبير .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مِلْحَةٌ مُتَعَطِّفًا بما على مَنْكِبَيْهِ وعليه عِصَابَةٌ دَمِيَاءٌ ^(١) حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد [أيها الناس ^(٢)] فإن الناس يَكْثُرُونَ وَتَقِلُّ الْأَنْصَارُ حتى / يكونوا كاللِج في الطعام ، فمن وليَ منكم أمراً يَضُرُّ فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من مُحْسِنِهِم ويتجاوز عن مُسِيئِهِم » . رواه البخاري ^(٣) . وعن أنس رضي الله عنه يرفعه : « الأنصار كَرِشِي وَعَيْبِي ^(٤) والناس سيكثرون وَيَقْبَلُونَ فاقبلوا من مُحْسِنِهِم وتجاوزوا عن مُسِيئِهِم » ؛ رواه البخاري ^(٥) .

وعن أنس أيضاً ، قال : مرَّ أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يَبْكُون فقال : ما يبكيكم ؟ قالوا ؛ ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا ، فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ . قال : فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عَصَبَ على رأسه حاشية بُرْد ، قال فصعد المنبر ولم يصعد بعد ذلك اليوم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أوصيكم بالأنصار فإنهم كَرِشِي وَعَيْبِي وقد قَضَوْا الذي عليهم وبقى الذي لم فاقبلوا من مُحْسِنِهِم وتجاوزوا عن مُسِيئِهِم ^(٦) » ، رواه الشيخان والنسائي والترمذي .

(١) في النهاية (ج ٢ ص ٢٢) أنه خطب الناس ذات يوم وعليه عمامة دمياء أي سوداء .

(٢) زيادة من البخاري .

(٣) في صحيح البخاري ج ٥ ص ١١٥ .

(٤) البخاري ج ٥ ص ١١٦ وفي مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ٦٨ . أورد النووي في شرح كَرِشِي وَعَيْبِي جماعاً وخاصاً الذين ألقى بهم واعتصم في أمورهم . قال الخطابي : ضرب مثلاً بالكشر لأنه يستقر غذاء الحيوان الذي يكون به بقاؤه . والعيبه وعاء معروف أكبر من الخلاة يحفظ الإنسان فيها ثيابه وفاخر متاعه ، ويصونها ، ضربها مثلاً لأنهم أهل سره وبغى أسوأه .

(٥) الحديث في البخاري ج ٥ ص ١١٦ .

(٦) صحيح البخاري ج ٥ ص ١١٥ .

وعن أسيد بن حضير يرفعه : « الأنصار كرشى وعيبي وإن الناس يكفرون وهم يقولون ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن سيئهم » ، حديث صحيح رواه الطبراني في الكبير .
وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي عنهما ، يرفعه : « اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن سيئهم » ، يعني الأنصار ، رواه البرزاري والطبراني وهو حديث حسن . وعن أبي سعيد يرفعه : « ألا إن عيبي التي أوى إليها أهل بيتي وأن كرشى الأنصار فاعفوا عن سيئهم واقبلوا من محسنهم » ، حديث صحيح حسن رواه الترمذي . وعن كعب بن مالك^(١) عن رجل من الصحابة قال : « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه واستغفر للشهداء الذين قتلوا بأحد ثم قال : « إنكم يا معشر المهاجرين تزيدون وإن الأنصار لا يزيدون ، وإن الأنصار عيبي التي أوى إليها ، أكرموا كريمهم وتجاوزوا عن سيئهم ، وإنهم قد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم » ، رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن زيد بن عاصم في ذكر قسم غنائم هوازن في المؤلفة [قلوبهم] ، وفي آخره : « إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض^(٢) » ، رواه الشيخان . وعن أبي طلحة يرفعه : « أقرئ قومتك السلام فإنهم ما علمت أعفة صبر » ، حديث حسن صحيح ، رواه الترمذي والبرزاري .

وعن عائشة رضي الله عنها ترفعه : « ما يصبر امرأة نزلت بين بيتين من الأنصار أو نزلت بين أبيها » ، رواه الإمام أحمد والبرزاري . وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه : « أسلمت الملائكة طوعاً ، وأسلمت الأنصار طوعاً وأسلمت عبد القيس طوعاً » ، حديث حسن رواه الطبراني في الأوسط .

(١) هو كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري الخزرجي ، لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتى بيته وبين طلحة بن عبيد الله . ولم يشهد بدرًا ولكنه تخلف عن غزوة تبوك مع اثنين آخرين هما مرارة بن ربيعة وهلال بن أمية . فأنزل الله عز وجل في هؤلاء الثلاثة الآيتين ١١٧ و ١١٨ من سورة التوبة حيث تاب عليهم بعد أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وكان كعب من شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة . قال ابن سيرين كان كعب يخوف المشركين الحرب وحسان يقتل على الأسلاب وابن رواحة يبرهم بالكفر ، روى له جماعة من التابعين . كما روى له الستة وتوفي سنة ٥٣ هـ أو ٥٥ هـ وله ديوان طبع أخيرًا ، انظر ترجمته في أسد الغابة (٤ ص ٢٤٧ : ٢٤٨) والإصابة (ج ٥ ص ٣٠٨ : ٣٠٩ رقم ٧٤٢٧) وتكتمل المعاني (ص ٢٣١ : ٢٣٣) وميرة ابن هشام في مواضع متفرقة أحصاها ما جاء في ج ٤ ص ١٨٧ : ١٩٤ .
(٢) أخرجه البخاري من أنس في كتاب المناقب (ج ٥ ص ١١٣) .

وعن أنس رضى الله عنه يرفعه : « ألا إن لكل نبي تركة وضبعة ، وإن تركتي وضيعتي
الأنصار فأحفظوني فيهم » ، رواه الطبراني في الأوسط . وعنه يرفعه : « الأنصار أجبايى ،
وفى الدين إخاؤى وعلى الأعداء أعواى » ، غريب رواه الديلمي فى مسند الفردوس .

تنبيه فى غريب ما سبق

« ألسنا » جمع لسان . « قَيْلَة » بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ، أم الأوس والخزرج .
« التَّقَمَّ أَذْنَهُ » أى سارَه بشئ . « الأساير » : خطوط الجبهة واحدها سِرٌّ أو سِرَرٌ ^(١) والجمع
أسرار ، وأسارير جمع الجمع ، وفى تحكلة الصغاني عن بعض أهل اللغة هى الخُدَّانُ والوجنتان
ومحاسن الوجه « إزائى » بالزاي أى حذائى أى بالقرب منى . « السَّكَّ » جمع سيكة بالكسر
الزقاق . « الدُّبَّار » بالكسر والمثلثة ما يتدبَّر به الإنسان ، وهو ما يلقى عليه من كساء
وغيره فوق الشَّعار . « الشَّعار » : ما وَلَّى الجَسَدَ ، سُمِّيَ بذلك لأنه يلى الشَّعر ، المعنى أنهم
الخاصة والبطانة . « الشَّعب » : بالكسر الطريق فى الجَبَل . « الدُّبَر » ^(٢) : بفتح الدال
المهملة وسكون المؤخدة يقال لجماعة النحل والزنابير أيضاً قيل وهو المراد هنا . « الأفلح » ^(٣) :
٣٩٣ و بالقاف والمهملة . « قَسَمًا » : بكسر القاف أى نصيباً . « طريداً » : أى مُخْرَجًا من / بلده .
« الحِلْحَقَة » : بكسر الميم الملاءة التى يُلْتَحَفُ بها . « مُتَعَطِّفًا بها » ^(٤) : أى ثانياً طَرَفِي
الملحفة على كتفيه . « دَسَاءً » : أى سوداء . « الكَرْش » : كَكَيْفٍ وَيُخَفَّفُ ، والمراد هنا
مَّا يَحْفَظُ فيه نَفْسُ المتاع . « الْعَيْبَة » من الرجل موضع سِرِّه وأمانته . « أَثَرَة » : بفتح
الهمزة والمثلثة الاسم من أثر يؤثر لإثارة إذا أعطى أراد أن يستأثر عليكم فيفضل غيركم

(١) فى الصحاح مرر وجمعها أسرار كمنب وأعتاب ولكن جاء فى النهاية (ج ٢ ص ١٥٧) فى حديث عائشة
رضى الله عنها فى صفة صل الله عليه وسلم : تبرق أساير وجهه : الأساير الخطوط التى تجتمع فى الجبهة وتتكرر واحدها
سر أو سرر وجمعها أسرار وجمع الجمع أساير . وهكذا جاء فى النتائج .

(٢) فى النهاية : أرسل الله عليهم مثل الظلة من الدبر ، هو يسكون الباء النجلى وقيل الزناير والظلة السحاب .

(٣) أبو الأفلح كنية جده عامر بن ثابت الذى قتل يوم الرجيع وقد حنت جسده الدبر ، « والأفلح فى اللغة صغرة تملو
الأنثان ووسخ يركبها ، والرجل أفلح والجمع قلع .

(٤) المعطف الرداء وقد تعطف به واعتطف وتسلطه واعتطفه وسعى عطافاً لوقوعه على عطى الرجل وهما ناحيتا عنقه ،
من النهاية (ج ٣ ص ١٠٦) .

في نصيبه من القوم . « أُعِفَّةٌ ^(١) » [جمع عفيف وهو من يَكْتَفِ عما لا يحل ولا يَجْمُلُ] ^(٢)
 « صَبْرٌ » : بضم أوله وثانيه جمع صَبِير ^(٣) وهو هنا مُقَدِّمُ القوم . « التَّرْكَةُ » : الشيء
 المتروك أى الذى تركه الميت لوارثه . « الضَّيْعَةُ ^(٤) » : بالفتح العقار .

(١) وفي الحديث : فإنهم ما علمت ألفة صبر ، وألفة جمع عفيف ، عن النهاية (ج ٣ ص ١١٠) .

(٢) يباغض في الأصول بقدر بضع كلمات .

(٣) في التاج : والصبر أيضا مقدم القوم وزعيمهم الذى يصبر لهم ومعهم في أمورهم .. والجمع كالواحد وقيل

الجمع صبر يضمنين .

(٤) في التاج : الضيعة المقار نقله الجوهري وقال ابن فارس تسميتهم المقار ضيعة ما أحسبها من اللفظة الأصلية وأنها

من محدث الكلام قال : سميت من يقول إنها سميت ضيعة لأنه إذا ترك تمهيدا ضاعت فإن كان كلبا فهو دليل ما قلناه
 إنه من الكلام الحديث .

وفي القاموس : الضيعة الأرض المخلقة .

الباب الثالث

في بَدْءِ إِسْلَامِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره كلما اجتمع له ناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله تعالى وإلى الإسلام وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ وما جاءهم به من الله تعالى من الْهُدَى وَالرَّحْمَةِ ، ولا يسمع بقادم يَقْدَمُ مكة من العرب له اسم وشرف إِلَّا تَصَدَّقُوا له ودعاه إلى الله تعالى وَعَرَضَ عَلَيْهِ ما عنده^(١) . وروى ابن إسحق بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عن محمود بن لبيد قال : لما قدم أَبُو الْحَيَّسْرِ أَنَسُ^(٢) بن رافع [مكة] - فيها ذكره ابن إسحق ، وبُشِّرَ فيما ذكره الزبير بن بَكَّار - في فِتْنَةٍ من قومه بنى عبد الأشهل يلتسمون الحِلْفَ من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فَاتَّاهُم فاجْلَسَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُمْ : « هل لكم في خَيْرٍ مما جِئْتُمْ له ؟ » . فقالوا له : وما ذاك ؟ قال : « أنا رسول الله بعثني إلى العباد ، أَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبدُوا اللَّهَ ولا يُشْرِكُوا به شيئاً وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْكِتَابَ » ، ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن ، فقال إِيَّاسُ بن مُعَاذٍ ، وكان غلاماً حَدَّثَنَا : « أَيْ قوم هذا خَيْرٌ مما جِئْتُمْ له » . فَأَخَذَ أَبُو الْحَيَّسْرِ أَنَسُ بن رافع حَفَنَةً من تراب البطحاء فضرب بها وجه إِيَّاسُ بن مُعَاذٍ ، وقال : دَعْنَا مِنْكَ فَلَعَمْرِي لقد جِئْنَا لغير هذا . فصمَّتْ إِيَّاسُ وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم [واثصفوا^(٣)] إلى المدينة . وكانت وقعة بُعَاثُ^(٤) بين الأوس والخزرج ثم لم يلبث إِيَّاسُ بن مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ .

(١) هذه الفقرة مما رواه ابن إسحق في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٤ .

(٢) في جوامع السيرة لابن حزم ص ٦٩ أنيس بالتصغير ولكنه في سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٣٦) أنس وكذلك في أسد الغابة (ج ١ ص ١٢٤) وهو في الأخير أَنَسُ بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل أَبُو الْحَيَّسْرِ قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في فِتْنَةٍ من بَنِي عبد الأشهل .. إلى آخر الخبر بِإِسْنَادِ ابن إسحق وقد أخرج ابن منته وأبو نعيم .

(٣) ساقطة من الأصول والتكلم من ابن هشام

(٤) في معجم البكري (ج ١ ص ٢٥٩ : ٢٦٠) بعثت بضم أوله وبالكاء المثلثة موضع على ليلتين من المدينة فيه كانت الواقعة واليوم المنسوب إليه بين الأوس والخزرج . وذكر عن الخليل بغاث بالغين المعجمة ولم يسع من غيره .

قال محمود بن لبيد : فَاتَّخِرْنِي مِنْ حَضْرَةٍ مِنْ قَوْمِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا يَسْمَعُونَهُ يُهَيِّلُ
اللَّهُ تَعَالَى وَيُكَبِّرُهُ وَيُسَبِّحُهُ حَتَّى مَاتَ ، فَمَا كَانُوا يَشْكُونُ أَنَّ قَدْ مَاتَ مُسْلِمًا ، لَقَدْ كَانَ
اسْتَشْهَرُ الْإِسْلَامَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ حِينَ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا سَمِعَ .

وروى أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِي فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ لَهُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ مَعَاذِ
ابْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ^(١) أَنَّهُ خَرَجَ هُوَ وَابْنُ خَالَتِهِ مَعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ ^(٢) حَتَّى
قَدِمَا مَكَّةَ ، فَلَمَّا هَبَطَا مِنَ الثَّنِيَّةِ ، رَأَى رَجُلًا تَحْتَ شَجَرَةٍ . قَالَ : وَهَذَا قَبْلَ خُرُوجِ السَّنَةِ
مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ قُلْنَا نَأْتِي هَذَا الرَّجُلَ لِنَسْتَوْدِعَهُ رَا حَلَّتْنَا حَتَّى نَطُوفَ بِالْبَيْتِ ، فَجِئْنَا
فَسَلَّسْنَا عَلَيْهِ تَسْلِيمَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَرَدَّ عَلَيْنَا تَسْلِيمَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ،
فَأَنكَرْنَا فَقُلْنَا : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : « أَنْزِلُوا » ، فَزَلْنَا فَقُلْنَا : أَيْنَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يَدْعِي
مَا يَدْعِي وَيَقُولُ مَا يَقُولُ ؟ قَالَ : « أَنَا هُوَ » . قُلْنَا : أَعْرِضْ عَلَيْنَا الْإِسْلَامَ ، فَعَرَضَ ،
وَقَالَ : « مِنْ خَلَقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ؟ » قُلْنَا : خَلَقَهُنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . قَالَ « فَمَنْ
خَلَقَكُمْ ؟ » قُلْنَا : اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . قَالَ : « فَمَنْ عَمِلَ هَذِهِ الْأَصْنَامَ الَّتِي تَعْبُدُونَ ؟ » قُلْنَا :
نَحْنُ . قَالَ : « الْخَالِقُ أَحَقُّ بِالْعِبَادَةِ أَوْ الْمَخْلُوقُ ؟ » قُلْنَا : الْخَالِقُ . قَالَ : « فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ
تَعْبُدُوا رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ عَمِلْتُمْوهُمْ / وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَعْبُدُوهُ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْتُمْوهُ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ . إِلَى ٣٩٣ ذ
عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَشَهَادَةِ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَصِلَّةَ الرَّحِمِ وَتَرْكِ الْجِدْوَانِ وَإِنْ
غَضِبَ النَّاسُ » . فَقَالَا : لَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ بَاطِلًا [لَمَّا ^(٣)] كَانَ مِنْ مَعَالِي الْأُمُورِ
وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، فَأَمْسَكَ رَا حَلَّتْنَا حَتَّى نَأْتِيَ الْبَيْتَ . فَجَلَسَ عِنْدَهُ مَعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ .

قَالَ رَافِعٌ : فَجِئْتُ الْبَيْتَ فَطَفْتُ وَأَخْرَجْتُ سَبْعَةَ أَقْدَاحٍ وَجَعَلْتُ لَهُ بَيْنَهَا قِلْحًا ،
فَاسْتَقْبَلْتُ الْبَيْتَ وَقُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ حَقًّا فَأَخْرِجْ قَدْجَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ ،
فَضْرِبَتْ بِهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ ، فَصَحَّتْ : أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . فَاجْتَمَعَ

(١) نسب جده كما في جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص ٢٣٨) هو رافع بن مالك بن السبلان بن عمرو
ابن عامر بن زريق ، ورافع هذا عريق بدي .

(٢) هو معاذ بن الحارث الأنصاري من الخزرج يعرف بابن عفرأ وهي أمه شهد بدرًا هو وأخوه عوف وسعد
توفي في خلافة عثمان وقيل في خلافة علي . انظر أسد الغابة ج ٤ ص ٢٧٨ : ٢٨٠ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

الناس عَلَى وقالوا : مجنون رَجُلٌ صَبَأٌ^(١) ، فقلت : بل رجل مؤمن ، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ، فلما رآني مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ قال : لقد جئتَ بوجهٍ ما ذهبَ به يا رافع ، لقد جئتَ وآمنت . وعَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُورَةَ يُوسُفَ ، [وسورة العَلَقِ] : « اقرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ » . ثم خرجنا راجعين إلى المدينة .

بيان غريب ما سبق

« الحِلْفُ » - بكسر الحاء وسكون اللام : الْمُعَاقِدَةُ والمُعَاهِدَةُ عَلَى التَّعَاظُدِ والِاتِّفَاقِ .
 « أَبُو الْحَيْسَرِ » : يفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية بعدها سين مهملة ثم راء ، ذكره ابن منْدَه في الصَّحَابَةِ ، وذكره الحافظ في الإِصَابَةِ في الأَسْمَاءِ وفي الكُنَى في القسم الرابع فيمن ذُكِرَ في الصحابة غَلَطًا . « إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ » : ذكره ابن السَّكَنِ وابن حِبَّانَ في الصحابة ، وذكره البخاري في تاريخه الأوسط فيمن مات على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأولين والأَنْصَارِ . « الثَّنِيَّةُ » : كل عَقَبَةٍ مَسْلُوكَةٍ . « الْأَقْدَاحُ » : جمع قِدَحٍ - بكسر القاف - وهو عود السهم إذا قُومَ وإلى أن يَرَأَشَ فإذا رُكِبَ فيه النَّصْلُ وريش فهو سهم . والمراد هنا السهم الذي يَسْتَقْسِمُونَ بِهِ .

(١) جاء في التاج : صَبَأٌ يَصْبُو وَيَصْبُو كَعَمَّ وَكَرَّمَ صَبَأٌ وَصَبُوءٌ بِالضَّمِّ وَصَبُوءٌ بِالْفَتْحِ خَرَجَ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ آخَرَ كَمَا تَصْبُو النُّجُومُ أَي تَخْرُجُ مِنْ مَطَالِهَا قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي التَّهْدِيبِ صَبَأَ الرَّجُلُ فِي دِينِهِ يَصْبُو صَبُوءًا إِذَا كَانَ سَابِقًا . وَفِي الْهَيْأَةِ (ج ٢ ص ٢٤٨) فِي حَدِيثٍ بَيْنَ جَدِيَّةَ : كَانُوا يَقُولُونَ مَا أَسْلَمُوا : صَبَأْنَا صَبَأَنَا . يُقَالُ صَبَأَ فُلَانٌ إِذَا خَرَجَ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ آخَرَ مِنْ قَوْلِهِمْ صَبَأَ تَابَ الْبَحِيرُ إِذَا طَلَعَ وَصَبَاتِ النُّجُومُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ مَطَالِهَا . وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَسْمِي الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّبَاءَ لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِينِ قُرَيْشٍ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ وَيَسْمُونَ مَنْ يَدْخُلُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ مَصْبُوءًا لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَمِيزُونَ قَابِدِلُوا مِنَ الْهِنْدَةِ وَأَوْرَأَ وَيَسْمُونَ الْمُسْلِمِينَ الصَّبَاءَ بِلُغَةِ هَمَزٍ كَأَنَّهُ جَمَعَ الصَّبَاءَ غَيْرَ مَهْمُوزٍ كَقَضَاءٍ وَقَضَاءٍ وَغَايَ وَغَزَاةٍ .

الباب الرابع

في ذِكْر يوم بُعِثَ

قالت عائشة رضى الله عنها : « كان يوم بُعِثَ يوماً قَلَّمَهُ اللهُ لرسوله صلى الله عليه وسلم ، فَقَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد افترق مَلُوكُهُمْ وَقُتِلَت سَرَوَاتُهُمْ وَجُرِّحُوا ، فَقَدَّمَهُ اللهُ لرسوله صلى الله عليه وسلم في دخوله في الإسلام » . رواه البخارى ^(١) .

[بيان غريبه]

« بُعِثَ » : بضم الموحدة ، وحكى القَزَاز في الجامع فَتَحَهَا وبتخفيف العين المهملة وآخره المثناة - قال الجمهور - وقال ابن دُرَيْد : وذِكِرَ عن الخليل إعجامها ولم يَسْمَعْ من غيره وإنما هو بالعين المهملة . وذكر الأزهري أن الذى صَحَّفَهُ اللَّيْثُ عن الخليل . وذكر القاضى أن الأصبلى ^(٢) أحد رواة الصحيح رواه بالوجهين أى بالعين المعجمة والعين المهملة ، وأن وجهاً واحداً هو الذى وقع فى رواية أبى ذَرٍّ بالعين المعجمة . ويُقَالُ لِنَ أبا عُبَيْدَةَ ذكره بالمعجمة أيضاً . وبُعِثَ : مكان ويقال حِصْنٌ ، وقيل مزرعة عند بنى قُرَيْظَةَ على ميلين من المدينة كانت به وَقْعَةٌ بين الأوس والخزرج قُتِلَ فيه كثير منهم ، وكان رئيس الأوس فيه . حُضْبِيرٌ - بضم الحاء المهملة وفتح الضاد المعجمة وسكون التحتية بعدها راء - والد أسيد بن حُضْبِير ، وكان يقال له : حُضْبِيرُ الكَتَائِبِ ، وبه قُتِلَ ^(٣) ، وكان رئيس

(١) إسناده كما أخرجه البخارى في صحيحه (ج ٥ ص ١٠٨) حدثني عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام من أبيه عن عائشة رضى الله عنها .

(٢) هو عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الأموى المعروف بالأصيل من أهل أصيلة توفي سنة ٣٩٢ هـ كان من كبار أصحاب الحديث والفقهاء . سمع بقرطبة وفاس ورحل إلى المشرق سنة ٣٥١ حيث سمع بمصر وبمكة صحيح البخارى من أبى زيد محمد بن أحمد المروزي عن محمد بن يوسف الفريبرى عنه . ثم رحل إلى العراق وأكثر الجمع والرواية وحاد إلى الأندلس حيث ألف كتاباً في اختلاف مالك والشافعي وأبى حنيفة سماه كتاب الدلائل على أمهات المسائل . ترجم له ابن الفرغى في تاريخ العلماء والرواة بالأندلس (ج ١ ص ٢٩٠ : ٢٩١ رقم ٧٦٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٤ م) . والجليلى في جفوة المقتبس (ص ٢٣٩ : ٢٤٠ رقم ٥٤٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢ م) .

(٣) وبه قتل ، التضمير في « به » عائد على اليوم أى يوم بعث .

٣٩١ و الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان البياضى فقتل بها^(١) أيضاً . وكان النضر / فيها أولاً للخزرج ثم هُزم حُضَيْرُ فرجعوا وانتصرت الأوس وجرح حُضَيْرُ يومئذ فمات منهزماً ، وذلك قبل الهجرة بخمسة سنين . وقيل بأربعين سنة وقيل بأكثر . قال الحافظ : «الأول أصح» . وذكر أبو الفرج الأموى أن سبب ذلك كان من قاعدتهم أن الأصيل لا يُقتل بالحليف ، فقتل رجل من الأوس حليفاً للخزرج ، فأرادوا أن يُقيده ، فامتنعوا ، ف وقعت بينهما الحرب لأجل ذلك ، فقتل فيها من أكابرهم من كان لا يؤمن أن يتكبر ، ويأنف أن يدخل في الإسلام حتى لا يكون تحت حكم غيره ، وقد كان بقي منهم من هذا النحو عبد الله بن أبيّ بن سلول كما سيأتى بيان ذلك . «سَرَوَاتُهُمْ»^(٢) : بفتح المهملة والراء المخففة والواو ، أى خيارهم ، والسَرَوَات جمع السَرَاة - بفتح المهملة وتخفيف الراء - والسَرَاة جمع السَرَى وهو الشريف «جرحوا» لأكثر نضم الجيم والراء المكسورة مُثَقَلًا ومُخَفَّفًا فحاء مهملة ، وعند الأصيل بجيمين جَرَحُوا أى اضطرب قولهم ، من قول العرب جَرَجَ الخاتم إذا جال في الإصبع ، وعند ابن أبى صَفْرَةَ بحاء مهملة مفتوحة من الحَرَج : أى ضيق الصدر ، وعند المستمل وعبدوس والقاسمى : «وخرجوا» بفتح الخاء المعجمة والراء من الخروج ، وصوب ابن الأثير الأول وقال صاحب التقريب إنه المشهور ، وصوب غيره الثالث^(٣) .

(١) فقتل بها : الضمير عائد على الوقعة .

(٢) فى المصباح : السرى الرئيس والجمع سَرَاة وهو جمع عزيز لا يكاد يوجد له نظير لأنه لا يجمع فعيل على فعلة ، وجمع السَرَاة «أى جمع الجمع» سَرَوَات هذا وقد وردت كلمة سَرَاة فى الشعر الجاهلى قال : أنفوه الأودى .

لا يصلح القوم قوضى لأمراء لم : " . ولا سَرَاة إذا جهلهم سادوا

انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة طبعه لبنان سنة ١٩٠٢ م ص ١١٠ والطرائف الأدبية ص ١٠ القاهرة سنة ١٩٣٧ م .

(٣) .أورد أبو الفرج الأصفهاني فى الأغاني (ج ١٧ ص ١١٧ : ١٣١ طبعه القاهرة سنة ١٩٧٠ م) . أخباراً عن يوم بعاث أوفى ما ذكره المؤلف وذلك فى الفصل الذى عقده عن نسب أبى قيس بن الأملات ، وكذلك السهوى فى وفاء الوفا (ج ١ ص ١٥٢ : ١٥٦) (الفصل السادس فيها كان بين الأوس والخزرج من حرب بعاث) ونخص أخبار هذه الحرب عز الدين بن الأثير فى الجزء الأول من كتاب الكامل فى التاريخ (ص ٢٨٦ : ٢٨٨ طبعه بولاق سنة ١٢٩٠ هـ) . وكان يحسن بالتأليف أن ييسط القول فى حرب بعاث لما كان لها من أثر فى نجاح بيعة العقبة وتوطيد دعائم الدعوة الإسلامية كما يدل على ذلك حديث السيدة عائشة رضى الله عنها التى أخرجه البخارى فى صحيحه (ج ٥ ص ١٠٨) .

الباب الخامس

في بَيْعَةِ الْعُقَبَةِ الْأُولَى

وكانت في رجب . وقال الزهري وابن عُقْبَةَ وابن إسحق : « فلما أراد الله سبحانه وتعالى إظهار دينه وإعزاز رسوله وإنجاز مواعده له ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لُقِيَ فيه النفر من الأنصار ، فَعَرَضَ نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم . فبينما هو عند العقبة لُقِيَ رَهْطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً . فقال لهم : « من أنتم ؟ » قالوا : نَفَرٌ من الخزرج . قال : « أئمن موالى يهود ؟ » قالوا : نعم . قال : « أَقَلَّا تَجْلِسُونَ أَكُلُّكُمْ ؟ » قالوا : بلى ، من أنت ؟ فانتسب لهم وأخبرهم خبره . فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعَرَضَ عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . وكان مما صنع الله لهم [به]^(١) من الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا [هم] أَهْلُ شِرْكَ وَأَصْحَابُ أَوْثَانٍ ، وكانوا قد عَزَّوهُمْ^(٢) ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبياً مبعوث الآن قد أَظْلَمَ زمانه ، نَتَّبِعِهِ فنقتلكم . قَتَلَ عَادٍ وإِرَمَ .. فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله أيقنوا به واطمأننت قلوبهم إلى ما سمعوا منه وعرفوا ما كانوا يسمعون من أهل الكتاب من صفتة ، فقال بعضهم لبعض : يا قوم تَعَلَّمُوا والله إنه لَنَبِيِّ الذي تُوعِدُكم به يهود فلا تَسْقِئَنَّكُمْ إليه [فأجابوه إلى ما دعاهم إليه]^(٣) [بأن صَلَّوْهُ وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام . ثم قالوا : قد علمت الذي بيننا من الاختلاف وصفك الدماء ، ونحن جراحمن على ما أرسلك الله به ، مجتهدون لك بالنصيحة ، وإنا لنشير عليك برأيتنا ، فامكث على رِمْلِكَ باسم الله حتى نرجع إلى قومنا ، فنذكر لهم شأنك ، وندعوهم إلى الله ورسوله ، فلعل الله يصلح ذات / بينهم^{٢٩٤} ويجمع لهم أمرهم ، فلما اليوم متباغضون متباعدون ، ولكننا نواعدك الموسم من العام المقبل .

(١) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ٣٨)

(٢) بالين المهملة ، عز فلانا يمز عزاً من باب نصر ، غلبه وقهره .

فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانصرفوا راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصَدَّقُوا .

وهم فيما ذكر ابن اسحق في رواية ستة نفر من الخزرج :

[١] [من بنى النَجَّار^(١)] : أبو أُمَامَةَ أسعد بن زُرَّارة - بضم الزاي - [ابن عُدَس بن

عُبَيْد بن ثعلبة بن غَنَم بن مالك بن النجار] .

[٢] عوف بن الحارث ابن رِفاعَة - بكسر الراء وبالفاء - [ابن الحارث بن سَوَاد بن

مالك بن غَنَم بن مالك بن النجار] وهو ابن عَفْرَاء .

[٣] ومن بنى زُرَيْق - بتقديم الزاي على الراء - [ابن عامر ابن زُرَيْق بن عبد حارثة

ابن مالك بن غَضَب بن جُثَم بن الخزرج] : رافع بن مالك بن المَجْلَان . قال ابن الكلبي :

وهو أول من أسلم من الأنصار .

[٤] ومن بنى سَلِمة - بلام مكسورة - [ابن سعد بن علي بن أسد] : قُطَيْبة - بضم القاف

وسكون الطاء المهملة وبالموحدة - ابن عامر [ابن خَلِيدَة بن عمرو بن سَوَاد بن غَنَم بن كعب

ابن سَلِمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزويد بن جُثَم بن الخزرج بن حارثة] .

[٥] ومن بنى حَرَام - [بن كعب بن غَنَم بن كعب بن سَلِمة] : عُقَيْبة - بضم العين

المهملة وسكون القاف - ابن عامر بن نَابِية - بنون فآلَف فبَاء مُوحَّدة فمَشْنَة تحتيه -

[ابن زيد بن حرام بن كعب بن غَنَم بن سَلِمة] .

[٦] ومن بنى عبيد^(٢) [بن عَدِي بن غَنَم بن كعب بن سَلِمة] : جابر بن عبد الله

[ابن رثاب بن النعمان بن سنان بن عبيد ..] .

وفي رواية جرير بن أبي حازم عن ابن إسحق بدل عُقَيْبة بن عامر ، مُعَاذ بن عَفْرَاء ،

وخلد موسى بن عقبة عن الزهري عن عروة أنهم ثمانية . وهم : مُعَاذ بن عَفْرَاء^(٣) ، وَذَكْوَان -

بفتح اللال المعجمة وسكون الكاف - ابن عُبَيْد قيس^(٤) [بن خَلْدَة بن مُخَلِّد بن عامر بن

(١) ما بين أقواس مضافة زيادة من سيرة ابن هشام وجوامع السيرة لابن حزم وجمهرة أنساب العرب له .

(٢) في الأصول قليل والتصويب من سيرة ابن هشام .

(٣) هو معاذ بن الحارث بن رفاعَة بن سواد بن مالك بن غَنَم بن مالك بن النجار ، وهو ابن عَفْرَاء أخو عوف

المذكور قبل .

(٤) وذكرنا هذا رجل إلى مكة فسكها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مهاجرى أنصاري قتل يوم أحد ،

عن جوامع السيرة لابن حزم ص ٧١ .

زُرَيْقُ^(١)] ، وعُبَادَة - بضم العين المهملة فباء مُوحَّدة - ابن الصامت [بن قيس بن الأصرم ابن فُهر بن ثعلبة بن غَنَم بن عوف بن الخزرج بن حارثة] ، وأبو عبد الرحمن يزيد ابن ثعلبة [بن خَزَمَة بن أَصْرَم بن عمرو بن عَمَّارة من بني غُصَيْنَة ثم من بَنِي حَلِيف لهم] . وأبو الهيثم بن التَّيْهَان [بن جُثَم بن الحارث^(٢)] ، وعُوَيْم - بضم العين المهملة وفتح الواو وسكون المُثَنَّا التحتية - بن ساعدة [من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس بن حارثة] .

[بيان ما سبق]

«العقبة الأولى» : قال المحب الطبري^(٣) : «الظاهر أنها العقبة التي تُضاف إليها الجمرة إذ ليس أظهر منها وعن يسار الطريق لقاصد مَنى من مكة شِعْبٌ قريبٌ منها ، فيه مسجد مشهور عند أهل مكة أنه مسجد البيعة ، وهو على نَشْرِ من الأرض ، ويجوز أن يكون المراد من العقبة ذلك النَشْر ، وعلى الأول يكون قد نُسِب إليها لِقرْبِهِ منها» قال في النور : «وجزم غيره بأن البيعة التي وقعت عندها البيعة هي العقبة التي تُضاف إليها الجمرة^(٤)» .

«موالي يهود» : أي حلفائهم ، وهم سُمُوا حلفاء لأنهم تحالفوا على التناصر والتعاقد .
«الرُّهْط» : بسكون الهاء وتُفْتَح دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة أو منها إلى أربعين .

«يهود» : لا ينصرف للعلمية والتأنيث .

«أَظْلَ زمانه» : بفتح الظاء المعجمة وتشديد اللام أي قَرُب ودَنَا .

«قَتَلَ عَادٍ وإِرمَ» : أي نَسَأَ صلحهم .

«تَعَلَّمُوا» : بفتح اللام المُشَدَّدة ومعناه اعلَمُوا .

(١) تكله النسب من ابن هشام وجوامع السيرة وكذلك ما بين الأقواس المقفلة التالية .

(٢) أبو الهيثم بن التيهان وعمرو بن ساعدة من الأوس ، أما من سبق ذكرهم فهم من الخزرج ، ويلاحظ أن المؤلف خلط بين الستة الأول الذين مهدوا للدعوة وبين رجال العقبة الأول وعندهم اثنا عشر .

(٣) هو محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري المتوفى سنة ٦٩٤ هـ كتب في التفسير والتاريخ ومن مؤلفاته : الرياض النضرة في مناقب العشرة (طبع في القاهرة في جزئين سنة ١٣٢٧ هـ) وذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى (القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ) انظر شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٢٥ : ٤٢٦ .

(٤) لم يجدد الأزرق في كتابه أخبار مكة (ج ٢ ص ١٦٦ : ١٦٧ ، طبعة مكة سنة ١٣٥٢ هـ) تحت عنوان ذكر مسجد البيعة وما جاء فيه موقع هذا المسجد ولكن طلق محقق الكتاب رشدي الصالح ملحقاً على ذلك بقوله : «مسجد البيعة على يسار الذهاب إلى منى بين العقبة التي هي حد منى بمقدار غلوة أو أكثر ويسمى الموضع الذي فيه المسجد : شعب الرحبة أو شعب الأنصاري» .

الباب السادس

في بيعة العقبة - الثانية

قال ابن إسحق : فلما كان العام المقبل وأقَى المؤمِم من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن يُفَرَضَ عليهم الحرب ، وهم : أسعد بن زُرارة ، وذُكْوَان بن عبد قيس الزرقى ، وعُبادة بن الصامت ، والعباس بن عُبادة بن نَضْلَة - بالنون والضاد المعجمة - ونُقْطَة بن عامر [بن حَديدة] ، وعُقْبَة بن عامر [بن نَابِي] ، وعوف بن الحارث - بالفاء - [ابن رفاعَة] ، وعُوَيْم بن مابدة ، ومالك بن التيهان - بمثناة تحتية مُخَفَّفة عند أهل الحجاز وعند غيرهم بتشديد هاء - ومعوذ^(١) - بيم مضمومة فعين مهمل مفتوحة فواو مكسورة مُشَدَّدة فذال معجمة - ابن الحارث ، أخو عوف السابق ، ويزيد بن ثعلبة أبو عبد الرحمن البلوى حليف لهم . فبايع هؤلاء على بيعة النساء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى الشيخان والبيهقي ، واللفظ له عن عُبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة / النساء وذلك قبل أن تُفَرَضَ علينا الحرب ، على ألا نُشْرِكَ بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ، ولا نأثي بيهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف . قال : « فمن وقى ذلك منكم فأجره على الله » ، وفي لفظ : « فله الجنة » ، « ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة مظهر ، ومن أصاب من ذلك [شيئاً]^(٢) قَسَرَهُ الله فَأَمَرَهُ إلى الله إن شاء عَذَّب وإن شاء غفر » . فبايعته على ذلك .

(١) أبناء الحارث بن رفاعَة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك من بني النجار ، هم ثلاثة وهم : معاذ ومعوذ وعوف وهم بنو عفراء بنت عبيد بن ثعلبة هكذا ذكرهم ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص ٣٢٩ وابن حجر في الإصابة (ج ٥ ص ٤٢ في ترجمته لعوف بن الحارث رقم ٦٠٨٧) وترجم ابن الأثير في أسد الغابة لمعاذ ومعوذ ولم يترجم لعوف وإنما ذكر سما له هو عوف بن الحارث ونسبه يختلف عن نسب عوف بن الحارث بن رفاعَة مما يدل على أنه شخص آخر .
(٢) زيادة من صحيح البخاري (ج ٥ ص ١٥٠) .

قال ابن إسحق : « فلما انصرف القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مُصْعَب ابن عُمَيْر [بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيٍّ^(١)] » . وذكر ابن إسحق في رواية^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مُصْعَباً حين كتبوا إليه بِبَيْعَتِهِ إِلَيْهِمْ ، وهو الذي ذكره [موسى^(٣)] بن عُقْبَةَ إلا أنه جعل المَرَّةَ الثانية هي الأولى . قال البيهقي : « وسياق ابن إسحق أَتَمَّ^(٤) » . قال ابن إسحق : « وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ وَيُعَلِّمَهُمُ الْإِسْلَامَ وَيُفَقِّهَهُمُ فِي الدِّينِ ، فكان يسمى في المدينة الْمُقْرِئَ والقَارِئَ ، وكان مَنَزَلُهُ عَلَى أَسَدِ بْنِ زُرَّارَةَ [بن عُذْسٍ أَبِي أُمَامَةَ^(٥)] ، وذلك أن الأوس كَرِهَ بَعْضُهُمْ أَنْ يُؤْمَرَ بِعِضٍ . وقوله « على بيعة النساء » يعنى على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية ، وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه لیسلة العقبة ، وليس هذا بعجيب فإن القرآن نزل بموافقات عمر بن الخطاب . « تنبيه » : ذكروا هنا أن أسعد بن زُرَّارَةَ أول من جَمَعَ بالصحابية قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم وسيأتي الكلام على ذلك في الخصائص إن شاء الله تعالى .

(١) زيادة من ابن هشام .

(٢) رواية رواها البيهقي عن ابن إسحق قال : حدثني عاصم عن عمر عن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم .

(٣) زيادة من البداية والنهاية لابن كثير (ج ٣ ص ١٥١) .

(٤) زاد ابن كثير : وقال ابن إسحق : فكان عبد الله بن أبي بكر يقول : لا أدري ما العقبة الأولى ثم يقول ابن إسحق : بل لعمرى قد كانت عقبة عقبة .

(٥) زيادة من ابن هشام .

الباب السابع

في إسلام سعد بن معاذ وأُسَيْد بن حُضَيْر رضى الله تعالى عنهما .

روى ابن أبي الدنيا^(١) والخرائطي والبيهقي عن عبد المجيد بن أبي عيسى عن أبيه عن جَدِّه ، وابن عساكر عن البخارى في تاريخه الأوسط عن شيخه أبي محمد الكوفى قالاً : سَمِعْتُ قُرَيْشَ قَاتِلًا يَقُولُ فِي اللَّيْلِ عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ :

فَإِنْ يُسَلِّمِ السَّعْدَانُ يُضَيِّحْ مُحَمَّدٌ بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى خِصْلَافَ الْمُخَالِفِ

فلما أصبحوا قال أبو سفيان - وفي لفظ قريش - «مَنْ السَّعْدَانُ ؟» «أَسْعَدُ بْنُ بَكْرٍ أُمُّ سَعْدِ بْنِ هُذَيْمٍ^(٢) ؟» فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قاتلاً يقول :

فِيَا سَعْدَ سَعْدَ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِرًا وَيَا سَعْدَ سَعْدَ الْخَزَرَجِيِّينَ الْفُطَارِفِ
أَجِيبَا إِلَى دَاعِيِ الْمُسَدَّى وَتَمَنِّيَا عَلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ زُلْفَةً عَارِفِ^(٣)
فَسَلِّمْ لِسَوَابِ اللَّهِ لِلطَّلَابِ الْمُسَدَّى جَنَانٌ مِنَ الْفِرْدَوْسِ ذَاتُ زُخَارِفِ^(٤)

فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : هَذَا سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ :

١ وروى ابن إسحق : وَحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَغيرةِ بْنِ مُعَيْقِبٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أُمُّ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ خَرَجَ بِمُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، يَرِيدُ بِهِ دَارَ

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي سفيان المعروف بابن أبي الدنيا المحدث العالم الصدوق، عده الذهبي من حفاظ الطبقة العاشرة (تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢٢٤ : ٢٢٥) له مصنفات كثيرة في الزهد والرقائق (أورد ابن النديم في الفهرست ص ٢٦٢) فيها بها وطبع منها كتاب ذم الدنيا ، ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد (ج ١٠ ص ٨٩ : ٩١ رقم ٥٢٠٩) ترجمة مطولة نوعاً وقال بأنه كان يذنب غير واحد من أولاد الخلفاء توفي سنة ٢٨١ هـ وله ترجمة مختصرة في فوات الوفيات لابن شاکر (ج ١ ص ٤٩٤) وكذلك في البداية والنهاية (ج ١١ ص ٧١) .

(٢) في السبيل : « فحسبوا أنه يريد بالسعديين القيتلئين : سعد هذيم من قساعة ، وسعد بن زيد مائة بن تميم » وفي جهمرة أنساب العرب لابن حزم ، أجدام سعد هزيم (ص ٤١٨ : ٤٢١) وأجدام سعد بن زيد مائة (ص ٢٠٤ : ٢١١)

(٣) في الروض الأنف ج ١ ص ٢٧٢ : حنيفة عارف .

(٤) في البداية والنهاية لابن كثير (ج ٣ ص ١٦٥) : ذات زخارف .

بنى عبد الأشهل ودار بنى ظَفَر ، وكان سعد بن مَعَاذ [بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ^(١)] ابن خالة أسعد بن زُرارة ، فدخل به حائطاً من حوائط بنى ظَفَر فجلسا فيه ، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن مَعَاذ ، وأسيّد بن حُصَيِّر / يومئذ ٣٩٥ ظ سيّدا قومهما من بنى عبد الأشهل ، وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد ابن معاذ لأسيّد بن حُصَيِّر : لا أبا لك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا لِيُسْقِيَهُمَا ضُمَعَاءَنَا ، فازجرهما وانتهما عن أن يأتيا دارنا ، فإنه لولا أن أسعد بن زُرارة مِنِّي حيث قد عَلِمْتَ كَفَيْتُكَ ذلك ، فهو ابن خالي ولا أجد عليه مقدماً . [قال] : فأخذ أسيّد بن حُصَيِّر حَرَبَتَهُ ، ثم أقبل إليهما . فلما رآه أسعد بن زُرارة قال لمُصَنَّب بن عُيَيْر : هذا سيّد قومه فاصدق الله فيه . قال مصعب : إن يجلس أكلّمه . [قال] : فوقف عليهما مُتَشَمِّعاً ، قال : ما جاء بكما إلينا تُسْقِيَهُمَا ضُمَعَاءَنَا ؟ اغترلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة فقال له مُصَنَّب : أو تجلس فتسمع ، فإن رَضِيتُ أمراً قِيلَتْه وإن كَرِهْتَهُ كُفْتُ عَنْكَ ما تكره ؟ فقال : أَنْصَفْتُ . ثم رَكَرَ حَرَبَتَهُ وجلس إليهما ، فكلّمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن . فقالا فيا يُذَكِّرُ عنهما : والله لعرَفْنَا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم به في إظهاره وتَسْلِيهِ ، ثم قال : ما أحسن هذا الكلام وأجملَه ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالوا له : تَغْتَسِلُ فَنُطَهِّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ ، ثم تشهد شهادة الحق ثم تُصَلِّي . فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد بشهادة الحق ، ثم قام فصلى ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلاً إن اتبعتكما لم يتخلف عنه أحدٌ من قومه ، وسأرسله إليكما الآن . سعد بن مَعَاذ ، ثم أخذ حَرَبَتَهُ وانصرف إلى سعد وقومه ، وهم جلوس في ناديم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مُبْتَلِياً قال : أخلف بالله لقد جاءكم أسيّد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم .

فلما وقف على أنادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلّمْتُ الرجلين فوالله ما رأيتُهما بأُساساً وقد نهيتُهُمَا فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حَدَّثْتُ أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليُخْفِرُوكَ ، فقال : فقام .

(١) زيادة من ابن هشام ج ٧ ص ٤٣ .

سعد مُضْعَباً مُبَادِراً تَخَوُّفاً لِلَّذِي ذُكِّرَ لَهُ مِنْ أَمْرِ بَنِي حَارِثَةَ . فَأَخَذَ الْحَرَبَةَ مِنْ يَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئاً . ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا ، فَلَمَّا رَأَاهُمَا مُطْمَئِنِّينَ عَرَفَ سَعْدُ أَنَّ أُسَيْدًا إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا . فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَبِّهًا ، ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ : يَا أَبَا أُمَامَةَ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الْقَرَابَةِ مَا رُمْتَ هَذَا مِنِّي ، أَنْتَ شَانَا فِي دَارِنَا بِمَا نَكْرَهُ ؟ وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ لِلْمُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ : أَيُّ مُضْعَبٍ : جَاعَكَ وَاللَّهِ سَيِّدٌ مِنْ وَرَاءِهِ مِنْ قَوْمِهِ إِنْ يَتَّبِعُكَ لَا يَتَخَلَّفَ عَنْكَ مِنْهُمْ اثْنَانِ . قَالَ : فَقَالَ لَهُ مُضْعَبٌ : أَوْ تَقْعَدُ فَتَسْمَعُ ؟ فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا وَرَغِبْتَ فِيهِ قَبْلَتَهُ ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ . قَالَ سَعْدُ : أَنْصُفْتُ . ثُمَّ رَكَزَ الْحَرَبَةَ وَجَلَسَ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ .

قَالَا : فَعَرَفْنَا وَاللَّهِ فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِإِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ ؟ قَالَا : نَغْتَسِلُ فَتَطَهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، ثُمَّ تُصَلِّيُ رَكْعَتَيْنِ . ثُمَّ أَخَذَ حَرَبَتَهُ فَأَقْبَلَ عَامِدًا إِلَى نَادَى قَوْمِهِ وَمَعَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُصَيْرٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَوْمُهُ مُقْبِلًا قَالُوا : نَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدُ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ .

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ ؟ قَالُوا : سَيِّدُنَا وَأَفْضَلُنَا رَأْيًا وَأَيْمُنُنَا نَقِيَّةً . قَالَ : فَإِنْ كَلَامَ رَجَالِكُمْ وَنَسَائِكُمْ عَلَى حَرَامٍ حَتَّى تَتُومِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا أَوْ مُسْلِمَةً ، حَاشَا / الْأَصْبَرِمْ وَهُوَ عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ وَنَفْسٌ ^(١) فَإِنَّهُ تَأَخَّرَ لِإِسْلَامِهِ إِلَى يَوْمٍ أَحَدُ فَأَسْلَمَ وَاسْتَشْهَدَ . وَلَمْ يَسْجُدْ لِلَّهِ سَجْدَةً ، وَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَرَجَعَ سَعْدُ وَمُضْعَبُ إِلَى مَنْزِلِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ ، فَأَقَامَا عِنْدَهُ

(١) - وهو عمرو بن ثابت بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأوسي استشهد يوم أحد وهو الذي قيل فيه إنه دخل الجنة ولم يصل صلاة ، وذلك أنه كان يابئ الإسلام فلما كان يوم أحد ، بدا له الإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه فقاتل فأنشده الجراح ، فخرج رجال بني عبد الأشهل يفتقدون رجلا من المعركة فوجدوه في القتل في آخر رنق فسألوه : ما جاء بك يا عمرو ؟ أجاب على قولك أم رغبة في الإسلام ؟ فقال : بل رغبة في الإسلام أسلمت وقاتلته حتى أصابني مد ترون ، فلم يرحوا حتى مات ، فذكروهم لرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : « إنه من أهل الجنة » . انظر أسد الغابة ج ٤ ص ٩٠ ، ٩١ .

يدعون الناس إلى الإسلام حتى لم تَبْقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات إلا ما كان من دار بني أُمّية بن زيد وَخَطْمَةَ^(١) ووائل وواقف^(٢) ، وتلك أوس الله وهم من الأوس بن حارثة ، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت واسمه صَيْقِي . وكان شاعراً لم يَمُتْ قائداً يسمعون منه ويطيعونه فوقفهم عن الإسلام ، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر وأُحُد والخندق .

قال سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي^(٣) : كان أبو قيس^(٤) هذا قد تَرَهَّبَ في الجاهلية وَلَبِسَ المسوح وفارق الأوثان واغتسل من الجنابة ، وَتَطَهَّرَ من الحائض من النساء ، وَهَمَّ بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتاً له فاتخذ مسجداً لا يدخل عليه فيه حائض ولا جُنُب ، وقال : أَعْبُدْ إله إبراهيم حين فارق الأوثان وَكَرِهَهَا حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وَحَسَنَ إسلامه وهو شيخ كبير ، وكان قَوَّالاً بالحق مُعْظِماً لله في الجاهلية وله في ذلك أشعار [حَسَنَة]^(٥) .

(١) في القاموس المحيط : وخطمة من الأنصار بنو عبد الله بن مالك بن أوس ، وبنو خطامة كلمة سمي من الأزد .
(٢) في جهمرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٢٤ : ولد امرئ القيس بن مالك بن الأوس : مالك وهو واقف بطن ، والسلم بطن وهم خلفاء بني عمرو بن عوف .
(٣) هو أبو حنّان سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان الأموي اشتغل بالحديث وروى عنه البخاري ومسلم وغيرهما وله كتاب المغازي ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد (ج ٩ ص ٩٠ : ٩١) وقال إنه توفي سنة ٢٤٩ هـ وذكره البغوي بين كتاب السيرة وذلك في كتابه الإعلان بالتوبيخ الذي نشره في الترجمة العربية لكتاب روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ، بغداد سنة ١٩٦٢ م (ص ٥٢٥ : ٦٨٩ : ٧٠٠) .

(٤) لم يكن أبو قيس بن الأسلت هذا هو الذي تَرَهَّبَ في الجاهلية إنما هو سميه وهو أبو قيس صرمة بن أبي أنس ابن مالك بن عدي بن النجار ، كما أوضح ابن الأثير في أسد الغابة (ج ٥ ص ٢٧٧ : ٢٧٨) وذلك قبل ترجمته لابن الأسلت مباشرة . والفقرة التي نقلها ابن الأثير عن ابن إسحق والتي تبدأ بقوله : وكان رجلاً قد تَرَهَّبَ في الجاهلية إلى قوله وله في ذلك أشعار حسان ، أوردتها ابن الأثير في ترجمة أبي قيس صرمة بن أبي أنس وليس في ترجمة أبي قيس بن الأسلت . ووقع في هذا خطأ سعيد بن يحيى الأموي وكذلك ابن كثير في البداية والنهاية (ج ٣ ص ١٥٦) وتلاميذ مؤلف هذا الكتاب . وقد أوضح ابن حجر ذلك في ترجمته له (ج ٧ ص ١٥٨ : ١٥٩ رقم ٩٣٥) وقال بأنه كان يَنَاهُ في الجاهلية ويُدعى الحنف واختلف في إسلامه فقيل إنه أسلم وقيل إنه وعد بالإسلام ثم سبق إليه الموت فلم يسلم وكان عبد الله بن أبي بن سلول قد حرضه على عدم مخالفة قريش . وذكر ابن الأثير في الكامل (ج ١ ص ٢٨٤) أنه كان رئيساً للأوس في حرب حاطب قبل الهجرة وأورد الضربي له قصيدة في المفضليات (هي الخامسة والستين) في شرح ابن الأنباري ص ٥٦٤ : ٥٧٤ طبعة ليال أكسفورد سنة ١٩٢١ م) . وعقد أبو الفرج فصلاً عنه في الأغاني (ج ١٧ ص ١١٧ : ١٢١) وذكر ابن حجر في الإصابة (ج ٥ ص ٢٥٧) أخباراً أخرى عنه في ترجمته لولده : قيس بن صَيْقِي بن الأسلت رقم ٦١٨٣ .
(٥) زيادة من أسد الغابة وتاريخ ابن كثير وأورد كل منهما ستة أبيات لامية فيها الأول لأبي قيس صرمة بن أبي أنس .

«الحائط» : البستان .

«لا أباك» : هذا أكثر ما يُستعمل في المدح أى ؛ لا كافى لك غير نفسك ، وقد يُذكر في معرض الذم كما يقال : لا أم لك ، وقد يُذكر في معرض التعجب ودفعاً للعين كقولهم : لله درك ، وقد تكون بمعنى «جدّ في أمرك وشمر» ، لأن من له أب اتكل عليه في بعض شأنه ، وقد تحلّف اللام فيقال : «لا أباك» .

«دارتنا» : هو ثنية دار ، والدار هى القبيلة والعشيرة المُجمّعة في المحلّة فتسمى المحلّة داراً .

«النّادى» : مُتحدّث القوم .

«ليثخفروك» : بضم أوله وكسر الفاء رُباعياً أى لينقضوا عهدك ، يقال : أخفرتُ الرجل إذا نقضت عهده وذمّاه . «القطارف» : جمع غطريف بكسر العين المعجمة : السيّد «مبشّمتما» : من الشتم وهو السّب .

== أنس وأصلها الثانى فى نسبها إلى أبى قيس بن الأسلت وأضاف إليها قصيدة أخرى (ج ٣ ص ١٥٧) وتقع فى خمسة عشر بيتاً وإضافات فى ذيل الصحيفة مطلع قصيدة أخرى قدم له بقوله وقال أبو قيس صرمة أيضاً يذكر ما أكرمهم الله به ، مما يدل على غلب ابن كثير بين الرجلين .

الباب الثامن

في بيعة العقبة الثالثة

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم مَجَنَّةً وَعُكَاظَ وفي المواسم يمسي يقول : « من يؤويني ؟ ومن ينصرني ؟ حتى أُبَلِّغَ رسالات ربِّي وله الجنة » ، فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره ، حتى أن الرجل ليرحل من مُصَرٍّ أو اليمن ، فيأتيه قومه وذوو رَجِيمِهِ فيقولون : احلَّزْ فتي قريش لا يَفْتِنُكَ بِمَضَى بَيْنِ رَحْلِهِمْ ، وهم يشيرون إليه بأصابعهم ، حتى بعثنا الله إليه من يثرب فيأتيه الرجل منا فيؤمن به ويُقرئهِ القرآن فينقلب إلى أهله مُهْتَلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ حتى لم تَبْقَ دارٌ من دور يثرب إلَّا وفيها رَهْطٌ من المسلمين يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ . ثم بعثنا الله تعالى فاجتمعنا واجتمعنا فقلنا : متى نلر رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف في جبال مكة ويخاف ؟ فرحلَ إليه منا سبعون رجلاً حتى قَدِمُوا عليه في المَوْسِمِ ، فواعدناه شُعبَ الْعُقْبَةِ ، فاجتمعنا فيه من رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حتى تَوَافَيْنَا عنده ، فقلنا : يا رسول الله عَلَامَ نَبِإِطْلُوكَ ؟ قال : « تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى النفيقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أن تقولوا / في الله ، لا تأخذكم لومة لائم ، وعلى أن تنصروني إذا قُلِمْتُ عليكم يثرب ، تَمْنَعُونِي مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة » .

« فقمنا نبايعه ، فأخذ بيده أسعد بن زُرَّارة ، وهو أصر السبعين رجلاً إلَّا أنا فقال :

رَوَيْدًا يَا أَهْلَ يثرب . فلما لم نَضْرِبْ إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله وإن إخراجهِ اليوم مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ وَأَنْ تَعْصِيَهُ السِّيفُ ، فلما أنتم قَوْمٌ تَصِيرُونَ عَلَى عَصِ السِّيفِ إِذَا مَسَّتْكُمْ وعلى قتل خياركم وعلى مفارقة العرب كَافَّةً ، فخذوه ، وأجركم على الله ، ولما أنتم تخافون من أنفسكم خيفةً ، ففروا فهو أغلر لكم عند الله .

فقلنا : ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَسَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، فوالله لا تَدْرُ هذه البيعة ولا نستقيها . فقمنا إليه نبايعه رجلاً رجلاً ، يأخذ علينا شَرْطَهُ ويعطينا على ذلك الجنة » ، رواه الإمام أحمد والبيهقي .

وروى ابن إسحق عن كعب بن مالك رضى الله عنه^(١) قال : « خرجنا في حُجَّاج قومنا من المشركين وقد صَلَّيْنَا وَقَرَّهْنَا ، ومعنا البراء بن معرور سَيِّدُنَا وكبيرنا - زاد الحاكم - وكنا خمسمائة ، حتى إذا كنا بظاهر البيداء قال : يا هؤلاء إني قد رأيتُ رَأْيَا ، ووالله ما أدرى أنوافقوني عليه أم لا . فقلنا : وما ذلك ؟ قال : قد رأيتُ أَلَا أَدْعَ هذه البَنِيَّةَ مِنِّي بظَهْرٍ - يعنى الكعبة - وأن أصِلِّي إليها . قال : فقلنا : والله ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصل إلى إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه ، فقال : إني لمُصِلٌّ إليها . فقلنا له : لكننا لنفعل . قال : فَكُنَّا إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ صَلَّيْنَا إِلَى الشَّامِ وَصَلَّى هُوَ إِلَى الكعبة حتى قدمنا مكة . [وقد كُنَّا عِثْنَا عليه ما صنع وآبَى إِلَّا الإِقَامَةَ على ذلك فلما قدمنا مكة^(٢)] قال لي : يا ابْنَ أُخِي ، انطلق بنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أسأله عما صنعت . في سفرى هذا ، فإنه والله لقد وقع في نفسى منه شيء لِمَا رَأَيْتُ من خلافكم إِيَّاي فيه . قال : فخرَّجنا نَسَّالَ [عن] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [وكنا لا نعرفه لم نَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ فَتَقَرَّجْنَا رَجُلًا من أَهْلِ مكة فَسَأَلْنَاهُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم] فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا . قال : فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عَمَّهُ ؟ قلنا : نعم . وقد كنا نعرف العباس كان لا يَزَالُ يَقْدِمُ علينا تاجراً . قال : فإذا دخلنا المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس . قال : فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه . فسلَّمْنَا ثُمَّ جَلَسْنَا إِلَيْهِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : وهل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ قال : نعم ، هذا البراء بن معرور سَيِّدُ قَوْمِهِ ، وهذا كعب بن مالك . قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشاعر ؟ »

(١) إسناده كما في سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٤٧) : قال ابن إسحق وحديثي معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب ابن اللعين أخو بني سلمة أن أبا عبد الله بن كعب وكان من أهل الأنصار حدثه أن أبا عبد الله كان كعب من شبيبة النخبة ويابع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(٢) زيادة من سيرة ابن هشام طبعة التجارية ج ٢ ص ٤٨ .

(٣) زيادة من ابن هشام في الموضع السابق .

قال : نعم . فقال البراء بن معرور : يا نبي الله ، إني خرجت في سفرى هذا وقد هذاني الله تعالى للإسلام فرأيت ألا أجعل هذه البنية منى بظهر فصليت إليها ، وقد خالفني أصحابي في ذلك ، حتى وقع في نفسى من ذلك شيء ، فماذا ترى يا رسول الله ؟ قال : « قد كنت على قبلة لو صبرت عليها » . قال : فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معنا إلى الشام . قال : وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم . .

قال ابن هشام : وقال عوف بن أيوب الأنصاري :

وَمِنَّا الْمُصَلِّى أَوَّلَ النَّاسِ مُقْبِلًا عَلَى كَعْبَةِ الرَّحْمَنِ بَيْنَ الْمَشَاعِرِ

يعنى البراء بن معرور . قال كعب : ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله / ٣٩٧ و عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق - زاد ابن سعد - ليلة النفر الأول [إذا هذأت الرجل^(١)] أن يوافوه في الشعب الأيمن إذا انحلدوا من منى بأفضل العقبة حيث المسجد الحرام اليوم ، وأمرهم ألا ينهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً . [قال] : فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - لها معنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا أخلصنا معنا ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا فكلّمناه وقلنا له : يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا ، وإننا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون خطباً للنار غداً ، ثم دعونا إلى الإسلام وأخبرناه بمعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة ، [وكان نقيباً^(٢)] .

[قال] : فبينما تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلي القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نساينا : نسيبة^(٣) بنت

(١) زيادة من الطبقات الكبرى لابن سعد (ج ١ ص ٢٠٥) .

(٢) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ٤٩) .

(٣) هي نسيبة بنت كعب بن عمرو شهدت العقبة وكان مهزوجها زيد بن عامر بن كعب وابناها عبد الله وحبيب ابنا زيد بن عامر ، وحبيب قتلته سيامة ، انظر أمد القافية ج ٥ ص ٥٥٥ .

كعب ، أم عُمارة ، إحدى نساء بني مازن بن النُّجَار ، وأسَاء بنت عُمرو بن عَدِيّ ابن نَابِي ، إحدى نساء بني عَمِكة وهى أم منيع^(١) . فاجتمعنا فى الشَّعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر ابن سعد وأبو مَعْشَر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم - حتى جاءنا معه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أَحَبَّ أَنْ يحضر أمر ابن أخيه وَيَتَوَقَّى له .

فلما جلس كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال : « يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ ، - قال : وكانت العرب إنما يسمون هذا الحيَّ من الْأَنْصَارِ الْخَزَرَجِ خُزْرَجَهَا وَأَوْسَهَا - إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا بمن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عِزٍّ من قومه وَمَنْعَةٌ فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم والحق بكم ، فإن كنتم تَرَوْنَ أَنْكُمْ وَأَقْوُونَ له بما دعوتموه إليه وما نعوه مِنْ خالفه ، فأنتم وما تحلمتم من ذلك ، والله - كنتم ترون أنكم مُسْلِمُوهُ وخاذِلُوهُ بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه فى عِزٍّ وَمَنْعَةٍ من قومه وبَلَدِهِ . وروى الإمام أحمد عن الشَّعْبِيِّ عن أبى مسعود البدرى^(٢) رضى الله عنه قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس إلى السبعين من الْأَنْصَارِ هِنْدَ الْعَقَبَةِ تحت الشجرة فقال : « لَيْتَكُمْ مِتَّكُمْ لَمْ يَطْلُ الْخُطْبَةُ فَإِنْ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمُرْكِبِينَ عَيْنًا ، وَإِنْ يَعْلَمُوا بِكُمْ يَفْضَحُوكُمْ » . فقلنا « قد سمعنا ما قلت فَتَكَلَّمْ يَلُوسُ لَوْسُ اللَّهِ وَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ » .

قال : فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قَتَلَ الْقُرْآنَ ودعانا إلى الله وَوَعَبَ فى الْإِسْلَامِ ، ثم قال : « أَبَايَعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مَا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ » . قال : فَأَخَذَ الْبَرَاءَ ابْنَ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ، ثم قال : « نَعَمْ قَوْلَ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لِنَمْنَعَنَّكَ مَا نَمْنَعُ مِنْهُ أَرْزَانَا ، فَبَايَعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَنَحْنُ وَاللَّهُ أَبْنَاءُ الْحَرْبِ وَأَهْلُ الْحَلَقَةِ وَرَثَتُهَا كَبِيرًا عَنِ كَبِيرٍ » .

(١) زيادة من نسخة ابن هشام ج ٢ ص ٤٩

(٢) أبو مسعود البدرى: هو عتبة بن عمرو بن ثعلبة ، بن أسيرة بن بجليه .. بن الخزرج ، مشهور بكنيته ، اتفقوا على أنه شهد العقبة واختلفوا فى شهره يدرى فقال الأكثر نزلها فغلب إلينا وجزم البخارى بأنه شهدها وروى ابن سعد عن الواقدي أنه ليس من أصحابنا اختلف فى أنه لم يشهدا وقد شهد أحداً وما بعدها . توفى بعد سنة ٤٠ هـ فى نظر ابن حجر ، انظر الإصابة ج ٤ ص ٢٥٢ رقم ٥٥٩٩ .

قال : فاعترض القَوْلُ ، والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الهيثم بن التيهان ، فقال : « يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبالاً ولنا قاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتَدْعَنَا ؟ » قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « بل الدَّمُ اللَّذَمُّ والهدم الهدم » - أى ذمتكم وحرمتكم - « أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » . قال كعب : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم » . فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس : ٣٩٧

فمن الخزرج : (١) أبو أمامة أسعد بن زُرارة نقيب بني النجار . (٢) ورائع بن مالك ابن العجلان نقيب بني زُرَيْق ، (٣) وسعد بن الربيع ، بفتح الراء ، (٤) وعبد الله بن رواحة نقيب بني الحارث بن الخزرج (٥) وسعد بن عباد (٦) والمنذر بن عمرو نقيب بني ساعدة (٧) والبراء بن معرور - بالعين المهملة [(٨) وعبد الله بن عمرو بن حرام (٩) وعباد بن الصامت^(١٠)] . ومن الأوس : (١) أسيد بن حضير - بالحاء المهملة والضماد المعجمة - نقيب بني عبد الأشهل (٢) ورفاعة بن عبد المنذر (٣) وسعد بن خزيمة نقيب بني عمرو بن عوف .

قال ابن إسحق : حدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : « أنتم على قومكم بما فيهم ككفالة الحواريين ليعسى بن مريم وأنا كقيل على قومي » - [يعنى المسلمين] . قالوا : نعم . قال ابن هشام : وأهل العلم يعمدون فيهم أياً الهيثم بن التيهان ولا يعمدون رفاعة .

وروى البيهقي عن الإمام مالك رضى الله عنه قال : حدثني شيخ من الأنصار أن جبريل كان يشير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من يجعله نقيباً ليلة العقبة . قال مالك : وكنت أعجب كيف جاء هذا ؟ رجلان من قبيلة ورجل من أخرى ، حتى خلئت هذه الحديث : أن جبريل هو الذي ولّاهم وأنه أشار إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وروى

(١) تكله نقباء الخزرج عن ابن هشام (ج ٢ ص ٥٢) .

أبو نعيم عن ابن عمر قال : « لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم النقباء قال : لا يجِدُ امرؤ في نفسه شيئاً إلّا أخذ من أشار إليه جبريل » وروى أنه صلى الله عليه وسلم نقب على النقباء أسعد بن زرارة فلما توفى أسعد والمسجد بيني اجتماع بنو النجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجعل منهم شخصاً نقيباً^(١) عليهم ، فقال لهم : « أنتم أخوالي وأنا نقيبكم » وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخص بها بعضهم دون بعض قال السهيلي : « وإنما جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر نقيباً اقتداءً بقول الله تعالى في قوم موسى « وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً »^(٢) »

وقال كعب بن مالك يذكرهم فيما رواه ابن هشام عن أبي زيد [الأنصاري] :

وَحَانَ عَصَاةُ الشَّعْبِ وَالْحَيْنُ وَاقِعٌ	فَاتْلُغْ أَبِياً أَنَّهُ قَالَ ^(٣) رَأَيْسُهُ
بِجُرْصَادٍ أَمَرَ النَّاسَ رَاهٍ وَسَامِعٌ	أَبَى اللَّهُ مَا مَنَنْتَكَ نَفْسَكَ لِنَسْهِ
بِأَحْمَدٍ نَوَّرَ مِنْ هُدَى اللَّهِ سَاطِعٌ	وَأَتْلُغْ أَبَا سَفِيَانَ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لَنَا
وَالْبُ ^(٤) وَجَمَعَ كُلُّ مَا آتَتْ جَامِعٌ	فَلَا تُرْعِينِ ^(٥) فِي حَسَدٍ أَمْرٍ تُرِيدُهُ
أَبَاهُ عَلَيْكَ الرَّهْطُ حِينَ تَبَايَعُوا	وَوُتِنَكَ فَاغْلَمْ أَنَّ نَقَضَ هَوْدِنَا
وَأَسْعَدُ يَابَاهُ عَلَيْكَ وَرَافِعٌ ^(٦)	أَبَاهُ الْبَرَاءَ وَابْنَ عَمْرٍو ^(٧) كَلَاهُمَا
لِأَنْفِكَ إِنْ حَاوَلْتَ ذَلِكَ جَادِعٌ ^(٨)	وَسَعْدُ أَبَاهُ السَّاعِدِيُّ وَمُسْلِرٌ ^(٩)

(١) جاء في ترجمة أسعد بن زرارة في آمد الغابة (ج ١ ص ٧١ : ٧٢) أن أسعد توفى في السنة الأولى من الهجرة في سؤال قبل بدر لأن بدا كانت في رمضان سنة التثنية ٤٠ وقد مات أسعد والمسجد بيني وأنه لما مات جاء بنو النجار إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله إن أسعد قد مات وكان نقيبنا فلو جعلت لنا نقيباً . فقال : أنتم أخوالي وأنا نقيبكم فكانت هذه فضيلة بني النجار .

(٢) سورة المائدة آية ١٢ .

(٣) في الصحيح قال الرازي فيقول قول ضعيف وفيل رأيه تقيلاً ضعفه فهو فيل الرأي ، وفي شرح السيرة الخفي (ج ١ ص ١١٩) : « ضعفه وقال » وشرحها أبطل .

(٤) أي لا تيقن يقال : ما أرى عليه أي ما أبى عليه ، بن الخفي ج ١ ص ١١٩ .

(٥) في الصحيح : ألبت الجيوش إذا جمعت .

(٦) أي عبد الله بن عمرو بن حرام .

(٧) أي رافع بن مالك بن المجلان نقيب بني زريق .

(٨) أي المنذر بن عمرو نقيب بني ساعدة .

(٩) جادع مثناه قاطع ويقال جادع أنه أي قطعه ، عن الخفي .

وما ابنُ ربيع^(١) إنْ تناوَلتْ عَهْدُهُ
وَأَيْضًا فَلَا يُعْطِيكَهُ ابْنُ رَوَاحِيَةٍ
وَفَاءَ بِهِ وَالْقَوْلِيُّ ابْنُ صَامِتٍ
أَبُو هَيْثَمٍ أَيْضًا وَفِيَّ بِمَثَلِهَا
وَمَا ابْنُ حُصَيْنٍ إِنْ أَرَدْتَ بِمَطْمَعٍ
وَسَعْدٌ أَخُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَإِنَّهُ
أَوَّلَاكَ تُجِوْمُ لَا يُغِيكَ مِنْهُمْ

بِمُسْلِمِهِ لَا يُطْمَعَنَّ ثُمَّ طَامِعٌ
وَلِاخْتِصَارِهِ^(٢) مِنْ دُونِهِ أَلَسَّ نَاقِعٌ^(٣)
بِمَنْدُوحَةٍ^(٤) عَمَّا تَحَاوَلُ بِإَفْسَعٍ^(٥)
وَفَاءَ بِمَا أُعْطِيَ مِنَ الْعَهْدِ خَانِعٌ^(٦)
فَهَلْ أَنْتَ عَنْ أَحْذِقَةٍ الْغَيِّ نَازِعٌ
ضَرُوحٌ^(٧) لِمَا حَاوَلْتَ مِلَاسِرَ مَانِعٍ
عَلَيْكَ يَنْحَسِفُ فِي دَجَسَى اللَّيْلِ طَالِعٌ

فذكر كعب فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعه . قال ابن إسحق : وحدثني / ٣٩٨
عاصم بن عمر بن قتادة^(٨) أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الغباي بن عباد بن نضلة الأنصاري أخو بني سالم بن عوف : « يا معشر الخزرج ،
هل تدرؤن علام تباعون هذا الرجل ؟ » قالوا : نعم . قال : « إنكم تباعونه على حرب
الأحمر والأسود من الناس فإن كنتم تريدون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشراككم
قتل أسلمتموه فمن الآن فهو والله إن فعلتم خيزي الدنيا والآخرة . وإن كنتم تريدون أنكم
وأفون له بما عاهدتموه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير . الدنيا
والآخرة » . قالوا : « فإننا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك
يا رسول الله » ؟ قال : « الجنة » . قالوا : أبسط يترك . فبسط يده ، فباعوه . فأما عاصم

(١) أي سعد بن ربيع .

(٢) إختصاره نقض عهده عن الخشي .

(٣) نافع ثابت ولازم .

(٤) بمندوحة أي بفتح .

(٥) يافع أي موضع مرتفع كاليفاع ما ارتفع من الأرض ومن رواء يافع فغناه بهد وهو مأخوذ من يقع الأرض -

عن الخشي ١٦٠ ص ١٢٠ .

(٦) خانع مقر مطلل .

(٧) ضروح أي مانع ودافع عن نفسه من قولهم ضرحته الدابة يبرجلها إذا ضربت وملأها من الأمر .

(٨) في الأصول عمرو بدلا من عمر ، وهو عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأنصاري الظفري أبو عمرو المدني

يروى عن أبيه وجابر وروى عنه بكير بن الأشج وزيد بن أسلم ، ووثقه يحيى بن معين ومحمد بن سعد وقال : كان له

علم بالسيرة توفي سنة ١٢٠ هـ وقال أبو عبيد سنة ١٢٧ هـ وقال الواقدي سنة ثمان (وعشرين ومائة) ، أنظر خلاصة الفرجي

ابن عَصْر بن قَتَادَةَ فَقَالَ : « وَاللَّهِ مَا قَالَ ذَلِكَ الْعَبَّاسُ إِلَّا لِيَسُدَّ الْعَقْدَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْنَاقِهِمْ » . وَهَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : « مَا قَالَ ذَلِكَ الْعَبَّاسُ إِلَّا لِيُؤَخِّرَ الْقَوْمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ رَجَاءً أَنْ يَخْضُرَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَيَكُونُ أَقْوَى لِأَمْرِ الْقَوْمِ » ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : « وَبَنُو النُّجَّارِ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ أَسْعَدَ ابْنَ زُرَّارَةَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ صَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَقُولُونَ بَلْ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ » .

وفي حديث كعب بن مالك قال : « كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، البراء بن معرور ، ثم بايعَ بَعْدَ الْقَوْمِ » ، فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صَرَخَ الشيطان من رأس العقبة بِاتْفَاقِ صَوْتِ سَمِيعَتِهِ قَطَّ : يا أهل الجَبَابِجِ : هل لكم في مُلْتَمِسٍ والصُّبَاءِ معه قد اجتمعوا على حَرْبِكُمْ ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا أَزْبُ الْعَقَبَةِ ، هذا ابن أزيب ^(١) ، اسْتَمِعْ أَيَّ عُلُوِّ اللَّهِ ، أما والله لأَفْرَغَنَّ لَكَ » . ثُمَّ قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارْضَوْا ^(٢) إِلَى رِجَالِكُمْ » . فقال له العباس بن عبادَةَ ابنِ نُضْلَةَ : « وَاللَّهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مَنَى [غَدَا] ^(٣) بِأَسْيَافِنَا » . فَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمْ تَوْفَرْ بِذَلِكَ وَلَكِنْ ارْجِعُوا إِلَى رِجَالِكُمْ » . [قال] : **فَرَجَعْنَا إِلَى مَضَاجِعِنَا فَنَمْنَا عَلَيْهَا [عَنِّي أَصْهَبْنَا] ^(٤) .** وذكر سليمان بن طَرْخَانَ التَّمِيمِي ^(٥) : **بَيْنَ الْحُجَّاجِ :**

(٢) في النهاية (١٦ ص ٢٨) في حديث بيعة العقبة : هو شيطان اسمه أرب العقبة . وفي حديث ابن الزبير أنه وجد رجلاً يلقبه شربان فقال : من أنت قال : أرب فقال : وما أرب ؟ قال رجل من الجن . وفي الصحاح الإرب التلثم والإرب القصير التسم ومن ابن الأعرابي : رجل إرب حزب أي داهية . وقال السبكي (ج ١ ص ٢٧٨) : وابن أرب في رواية ابن هشام يجوز أن يكون فعلاً من الأرب أيضاً والأرب البخيل وأرب أسم ريح من الرياح الأربع والأرب الأجل المتناوب للمشي وهو على وزن أفعل قاله صاحب العين ويحتمل أن يكون ابن أرب من حلا أيضاً . وأما البخيل فأرب على وزن فاعل لأن يعقوب (ابن السكيت) في الألفاظ حكى امرأة أربية ولو كان على وزن أفعل لقل في المثلث زياد إلا أن فعلاً من أربية الأسماء عزيز .

(٢) و (٤) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٥٧

(٥) في توم التميمي نسبة إلى تميم والصواب التميمي ، وهو سليمان بن طرخان التميمي لم يكن تميميا بل نزل فيه . وصفه الخزرجي في الخلاصة ص ١٥٩ بأنه أحد سادة التابعين علما وعلماء توفي سنة ١٤٣ هـ عن ثمان وتسعين سنة .

(٦) إجماع هذه الكلمة في الأصول ليس واضحا ولكن لا مفر من قراءتها : بينية أي بني إبليس أو أعوانه على سبيل الحجاز . وفي الميرة الخليلية (ج ٢ ص ١٨ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ) ما يؤيد هذا فقد جاء فيها : ولا مانع من اجتماع صراخ أرب العقبة وصراخ إبليس الذي هو : أبو ابن .

« إن كان لكم بمحمد حاجة فأتوه بمكان كذا وكذا فقد خالفه الذين يسكنون يثرب » .
 قال : « ونزل جبريل فلم يُبصره من القوم أحدٌ ، واجتمع المَلَأُ من قريش عند صرخة
 إبليس ، فعظم الأمرُ بين المشركين والانصار حتى كاد أن يكون بينهم قتال : ثم إن
 أبا جهل كره القتال في تلك الأيام فقال : يا معشر الأوس والخزرج أنتم إخواننا وقد أثبتتم
 أمراً عظيماً ، تريدون أن تغلبونا على صاحبنا ، فقال له حارثة بن النعمان : نعم وأنفك
 راغم ، والله لو نعلم أنه من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نُخرجك أيضاً
 لأخرجناك . فقال أبو جهل : تعرض عليكم أن نلحق بكم من أصحاب محمد من شاء بعد
 ثلاثة أشهر ، ونعطيكُم ميثاقاً تَرْضَوْنَ به أنتم ومحمد لا نجسه بعد ذلك . فقالت الانصار
 نعم إذا رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، فذكر الحديث .

وقال كعب في حديثه : « فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم
 إلى صاحبنا هذا لتُخرجوه من بين أظهرنا وتُبايعوه على حربنا ، وإنه والله ما من حى من
 القرب أبغض إلينا أن تنشب الحربُ بيننا وبينهم منكم . قال : فانيث من هناك من
 مُشركي قومنا يَحْلِفُونَ بالله ما كان من هذا شيء / وما علمناه . وقد صَدَّقُوا لم يَعْلَمُوهُ ٣٩٨
 قال : وبعضنا ينظر إلى بعض . قال : ثم قام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة
 المخزومي - وأسلم بعد ذلك - وعليه نعلان جديدان . قال : فقلت له كلمة كَأَنِّي أُرِيدُ
 أن أشرك القوم بها فيما قالوا : يا أبا جابر أَمَا تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا
 مِثْلَ نَعْلِي هذا القبي من قريش ؟ قال : فسمِعها الحرث فخلعهما من رجليه ، ثم رَجَى بهما
 إلى ، فقال : والله لَتَنْتَعِلَنِيَّهما . قال : يقول أبو جابر : [مَهْ] أَحْضَطْتُ والله الذي قَارَدْتُ
 عليه نَعْلَيْهِ . قال : قلت : لا والله لا أُردهما ، قَالَ والله صالح ، لئن صَدَقَ القائل لَأَسْلُبَنَّه .
 قال ابن إسحق : « وحدثنى عبد الله بن أبي بكر : أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سُلَول
 فقالوا له مثل ما ذكر كعب من القول ، فقال لهم : إن هذا لأمرٌ جسيم ما كان قوًى لِيَتَفَرَّقُوا
 عَلَيَّ بِمِثْلِ هذا وما عَلِمْتُهُ . قال : فانصرفوا عنه . قال : وَفَرَّ الناس من مِنَى ، فَتَنَطَّسَ (١)
 القَوْمُ الخَبَرَ ، فوجدوه قد كان . وخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سجد بن عبادة .

(١) تنطس الخبر استقصاه في النهاية دقق النظر .

بِأَذْنِهِ^(١) ، والننذر بن عمرو ، وكلاهما كان نقيباً . فَأَمَّا الْمُئْتَرِ فَأُعْجَزَ الْقَوْمَ ، وَأَمَّا سَعْدُ فَأَخَذُوهُ فَرَبَطُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ بِنَسِجٍ^(٢) رَحْلَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا بِهِ حَتَّى أَدْخَلُوهُ مَكَّةَ يَضْرِبُونَهُ وَيَجْلِبُونَهُ بِجُمْتِهِ وَكَانَ ذَا جُمُعَةٍ وَشَعْرٌ كَثِيرٌ . قَالَ سَعْدُ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَنُفَى أَيْدِيهِمْ إِذْ طَلَعَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ قَرِيشٍ فِيهِمْ رَجُلٌ وَضِيءٌ أَبْيَضٌ شَعْشَاعٌ حُلُوٌّ مِنَ الرِّجَالِ .

قَالَ : قُلْتُ فِي نَفْسِي : إِنْ يَكُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ فَعِنْدَ هَذَا . قَالَ : فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَفَعَ يَدَهُ فَلَطَمَنِي لَطْمَةً^(٣) شَلِيدَةً - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : هُوَ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو ، قُلْتُ وَأَسْلَمُ بَعْدَ ذَلِكَ - قَالَ : فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَا وَاللَّهِ مَا عِنْدَهُمْ بَعْدَ هَذَا خَيْرٌ . قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَنُفَى أَيْدِيهِمْ يَسْحَبُونَنِي إِذَا أَوَى لِي رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُمْ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : هُوَ أَبُو الْبَحْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ ، قُلْتُ : وَمَاتَ كَافِرًا - فَقَالَ : وَيَحْكُ : أَمَّا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ قَرِيشٍ جِرَارٌ وَلَا عَهْدٌ ؟ قَالَ : قُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ وَلَقَدْ كُنْتُ أَجِيرٌ لَجَبِيرِ بْنِ مُطْعِمٍ بْنِ عَبْدِ تَيْجَارَةَ ، وَأَمْتُهُمْ مِمَّنْ أَرَادَ ظَلَمَهُمْ بِلِلَادَى ، وَلِلْحَرِثِ بْنِ حَرْبٍ بْنِ أُمِيَّةٍ . قَالَ : وَيَحْكُ ، فَأَهْتِفُ بِاسْمِ الرَّجُلَيْنِ ، وَاذْكُرْ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمَا . قَالَ : فَفَعَلْتُ وَخَرَجَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَيْهِمَا هُوَ جُودُهُمَا فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فَقَالَ لَهَا : إِنْ رَجُلًا مِنَ الْخُرُوجِ الْآنَ يُضْرَبُ بِالْأَبْطَحِ لِكَيْهْتِفُ بِكُمَا وَيَذْكُرُ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمَا جِرَارًا . قَالَا : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ . قَالَا : صَدَقَ وَاللَّهِ إِنْ كَانَ لَيُخْبِرُنَا لَنَا تَيْجَارَتَا وَيَعْنِيهِمْ أَنْ يُظْلَمُوا بِلِلَادَةِ . قَالَ : فَجَاءَ فَخَلَصَا سَعْدًا مِنْ أَيْدِيهِمْ ، فَأَنْطَلَقَا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ قَبِيلُ فِي الْهَجْرَةِ بَيْتَيْنِ قَالَهُمَا ضَرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ ابْنُ مِرْدَاسٍ^(٤) أَخُو بَنِي مَجَارِبِ بْنِ نُفَيْرٍ - قُلْتُ : وَأَسْلَمُ بَعْدَ ذَلِكَ .

(١) فِي مَعْنَى الْبَكْرِى (ج ١ ص ١٢٨ : ١٢٩) : أَذْخَرَ ثَلَاثَةَ بَيْنِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ بِالْخَاءِ الْمَجْمُوعِ وَالرَّاءِ عَلَى وَزْنِ أَنْطَلُ كَانَ جَمْعُ أَذْخَرَ . وَفِي فَتْحِ مَكَّةَ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَذْخَرَ حَتَّى نَزَلَ بِأَعْلَى مَكَّةَ .
(٢) النَّسِجُ الشَّرَاكُ الَّذِي يَشُدُّ بِهِ الرَّحْلُ : عَنْ الْحَشَنِيِّ (ج ١ ص ١٢٠)
(٣) فِي ابْنِ هِشَامٍ : فَلَطَمَنِي لَطْمَةً شَدِيدَةً وَفِي شَرْحِ الْمِيرَةِ لِلشَّيْخِ لَكُمْ أَيْ ضَرَبَهُ بِجَمْعِ كَفَةٍ . هَذَا وَالضَّرْبُ عَلَى الْخَدِّ يَنْسَبُ إِلَى كَفَتٍ يَسْمَى لُطْمًا وَبَقِيضُ الْكَفَتِ لُكْمًا وَبِكُلْتَا الْيَدَيْنِ لُطْمًا .
(٤) ضَرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ فَرَسَانَ قَرِيشٍ وَشُعْبَاتُهُمْ الْمُطَوِّعِينَ أَسْلَمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَقَالَ يَوْمًا لِأَبِي بَكْرٍ : نَحْنُ كُنَّا لِقَرِيشٍ خَيْرًا مِنْكُمْ أَدْخَلْنَاهُمُ الْبَيْتَ وَأَوْرَدْتُمُوهُمُ النَّارَ يَمْنَى أَنَّهُ قَتَلَ الْمُسْلِمِينَ فَدَخَلُوا الْبَيْتَ وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَتَلُوا الْكُفَّارَ فَأَدْخَلُوهُمُ النَّارَ . وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي تَارِيخِهِ دَخَلَ لَهُ كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ وَشَهِدَ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ فَتَوَحَّشَ الشَّامَ ، أَنْظَرَ أَسَدَ النَّابَةِ ٤٠ ص ٣٣ .

تَدَارَكْتُ سَعْدًا عَنْوَةً فَأَخْلَفْتُهُ وَكَانَ شِفَاءً لَوْ تَدَارَكْتُ مُثْلِرًا
وَلَوْ زِلْتُهُ طَلْتُ. هُنَاكَ جِرَاحُهُ وَكَانَ حَرِيًّا أَنْ يَهَانَ وَيُهْلِكَ

قال ابن هشام : وَيُرْوَى : « وَكَانَ حَقِيقًا أَنْ يَهَانَ وَيُهْلِكَ » ، قال ابن إسحق : فَعَاجِبُهُ
حَسَنٌ بِنِ ثَابِتٍ فِيهِمَا فَقَالَ :

فَلَسْتُ^(١) إِلَى عَمْرٍو^(٢) وَلَا الْمَرْءُ مُنْزِلِ إِذَا مَا مَطَالِبَا الْقَوْمِ أَصْبَحْنَ ضُمَرًا /
أَتَفَحَّرَ بِالْكَثَانِ لَمَّا لَيْسَتْهُ وَقَدْ يَلْبَسُ الْأَنْبَاطُ^(٣) رِبَاطًا^(٤) مُقَصَّرًا
فَلَوْلَا أَبُو وَهْبٍ لَمَرَّتْ قَصَائِدُ عَلَى شَرَفِ الْبَرَقَاءِ يَهْوِينَ جُسْرًا^(٥)
فَلَاتَكُ كَالْوَسْطَانِ يَحْلُمُ أَنَّهُ بِقَرِيْبَةٍ كَسَرَى أَوْ بِقَرِيْبَةٍ قَبْضَرًا
وَلَاتَكُ كَالْكَكْلِ وَكَانَتْ بِمَخْزِلِ عَنِ التَّكْلِ لَوْ كَانَ الْفَوَادُ تَمَكَّرًا
وَلَاتَكُ كَالشَّاةِ الَّتِي كَانَ حَنْفُهَا بِحَفَرٍ ذَرَاعِيهَا فَلَمْ تَرَضْ مَحْضَرًا
وَلَاتَكُ كَالْغَاوِي فَاقْبَلَ نَحْرَهُ وَلَمْ يَخْشَهُ سَهْمًا مِنَ النَّبْلِ مُضْمَرًا
فَأَنَا وَمَنْ يَهْدِي الْقَصَائِدَ نَحُونَا كَمُسْتَبْصِرٍ تَعَرَّى إِلَى أَهْلِ خَيْبَرَا

تَبَيَّهَاتُ

الأول : لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور بإعادة الصلاة التي صلاها إلى الكعبة حيث كان الفرض عليهم إلى بيت المقدس لأن البراء أسلم لما شاهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يأمره بإعادة تلك الصلاة من أجل ذلك كذا قيل ، والذي يقتضيه سياق القصة أن البراء كان مسلماً قبل هجرته إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويُحتمل أن تكون صلاة البراء إلى الكعبة اتباعاً لما علم به من علماء اليهود أن هذا النبي المبعوث في عصرهم

(١) ترتيب أبيات هذه القصيدة مخالف لما في ديوان حسان (ص ١٩٢ و ١٩٣) طبعة التجارية بالقاهرة سنة ١٩٢٩م

(٢) في سيرة ابن هشام: على هاشم الروض الأنف (ج ١ ص ٢٧٩) : لست إلى سعد ، مع أن السبيل في شرحه ذكر البيت : لست إلى عمرو ، وقال في الشرح : يعني بعمرو عمرو بن غنيس والله المتنزل يقول لست إليه ولإلى ابنه المتنزل ، أي أنت أقل من ذلك ، وهذا المتنزل بن عمرو أحد القباء .

(٣) الأنباط قوم من العرب .

(٤) الربط الملاحف البيض وأحطتها ربطة .

(٥) شرح الحاشي عجز هذا البيت بقوله : البرقاء موضع وسراعية ، انظر شرح السيرة (ج ١ ص ١٢١) .

هو على دين إبراهيم ودينهم وقِيلَ لَهُ الكعبة مُسْتَضِحًّا لِأَصْلِ الْحُكْمِ فِي ذَلِكَ ، وَرَجَّحَهُ عَلَى مَا وَجَدَ فِيهِ مِنَ التَّرَدُّدِ وَضَدَهُ فِي ثُبُوتِهِ وَالِاخْتِلَافِ فِي صَحَّتِهِ ، وَهُوَ وَجْهٌ مِنْ وَجُوهِ التَّرْجِيحِ . وَقَالَ السَّهْلِيُّ : إِنَّمَا لَمْ يَأْمُرْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِعَادَةِ مَا قَدْ صَلَّى لِأَنَّهُ كَانَ مُتَأَوَّلًا .

الثاني : في بيان غريب ماسبق : «مَجَنَّةٌ» : بِمِمْ فَجِمْ مَفْتُوحَتَيْنِ ، وَكَسَرُ بَعْضِهِمِ الْمِيمَ ، سُوِّقَ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ عَلَى بَرِيدٍ مِنْهَا . «عُكَاظُ»^(١) بِالضَّمِّ سَوْقٌ بِقَرْبِ مَكَّةَ وَرَاءَ قَرْنِ الْمَنَازِلِ . «مُضَرٌّ» بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ . «يُؤْوِي» : يَصْطَلِي إِلَيْهِ وَيَحْوَطِي «فَقَهْنًا» بِكَسْرِ الْقَافِ [فَهْنًا]^(٢) . «وَأَعَدْنَا» رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَجُوزُ بِسُكُونِ الدَّالِ ، فَيَكُونُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْصَوِّبًا عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ، وَيجوزُ فَتْحُ الدَّالِ ، فَرَسُولٌ مَرْفُوعٌ فَاعِلٌ . «اتَّعَمَرْنَا» : شَاوَرُ بَعْضُنَا بَعْضًا فِي ذَلِكَ وَعَزَمَ عَلَيْهِ «نَذَرٌ» : نَتَرَكُ . «الشَّعْبُ» بِكَسْرِ الشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ [انْفِرَاجٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ]^(٣) . «الْقَطَا» : بِالْقَصْرِ وَفَتْحِ الْقَافِ نَوْعٌ مِنَ الْحَمَامِ [وَاحِدُهَا قَطَا] . «تَوَافَيْنَا» : مِنْ تَوَافَى الْقَوْمُ^(٤) تَتَافَاوُ . «النَّشَاطُ» طَيْبُ النَّفْسِ . «الْكُسلُ» كَالثَّعْبِ : الْفُتُورُ ، فَيَتَخَلَّفُ الْعَبْدُ عَنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ ، وَإِنْ كَانَ لَعَدِمَ قُدْرَتَهُ فَهُوَ الْعَجْزُ ، وَإِنْ كَانَ لَعَدِمَ إِرَادَتَهُ فَهُوَ الْكُسلُ . «نَضْرِبُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ» أَيُّ نَرْكَبُ وَنَسِيرُ . «الذُّومُ» عَدْلُ الْإِنْسَانِ بِتَشْبِيهِهِ إِلَى مَا فِيهِ لَوْمٌ . «الْمُطَيُّ» جَمْعُ مُطِيَّةٍ فَهِيَ كَمَا بَعْنِي مَفْعُولَةٌ : الْبَحِيرُ سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُرَكَّبُ مَطَاهُ أَيُّ ظَهْرُهُ «مَسْتَكُمٌ» أَيُّ أَصَابَتْكُمْ . «تَعْصِيكُمْ» السُّيُوفُ ، أَيُّ تَجْرَحُكُمْ . «قَدَرُوهُ» فَاتْرَكُوهُ . «أَمَطَهُ» نَحَّ وَأَبْعَدَ^(٥) . «الْبَيْدَاءُ» الْمُبَارَاةُ . «أَدْعُ» : أَتْرُكُ . «الْيَنِيَّةُ» بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَكَسْرِ النُّونِ وَتَشْدِيدِ الْمُنَاةِ التَّحْتِيَّةِ الْمُخْتَصَّةِ ثُمَّ تَاءٍ تَانِيثٌ ، وَهِيَ الْكَمْبَةُ . «الرَّحَالُ» بِالْحِظِّ الْمَهْمَلَةِ جَمْعُ رَحْلٍ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَا أَوَى الشَّخْصَ فِي الْحَضَرِ ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى أَمْتَعَةِ الْمَسَافِرِ لِأَنَّهَا هُنَاكَ مَأْوَاهُ . «مَنْعَةٌ» بِفَتْحِ

(١) فِي تَجْمِيعِ مَا اتَّصَفَ بِالْكِبَرِ (ج ٣ ص ١٥٩ : ٩٦٦) قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ : عُكَاظُ بِالْعِلِّ نَجْدٌ قَرِيبٌ مِنْ عَرَافَاتٍ . وَقَالَ غَيْرُهُ عُكَاظُ وَرَاءَ قَرْنِ الْمَنَازِلِ بِمَرْحَلَةٍ مِنْ طَرِيقِ صَنْعَاءَ وَهِيَ مِنْ عَمَلِ الطَّالِفِ وَهِيَ بِرِيدٍ مِنْهَا . وَاتَّخَذَتْ سَوَاقًا يَمْدُ اللَّيْلِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَاعَةً وَتَرَكْتَ عَامَ خُرُوجِ الْحُرُوفَةِ بِمَكَّةَ .

(٢) زِيَادَةُ لُفْظِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي يَقْتَضِيهَا الْمُؤَلَّفُ عَلَى ضَبْطِهَا هُوَ ذِكْرُ مَعْنَاهَا .

(٣) فِي الْأَصُولِ تَكَلَّمْنَا وَلَيْسَتْ هَذِهِ مَعْنَى تَوَافَيْنَا وَفَرْجَ تَوَافَيْنَا مُسْتَعِدٌّ مِنَ الْعِيَّاحِ

(٤) فِي الْأَصُولِ : لِيَأْخُذَ .

النون باختلاف المعنى وتقدم بيان ذلك^(١). «الانحياز إليكم» : الاختلاط بكم^(٢) «أزونا» [جمع إزار] قال أبو ذر^(٣) : يعنى نساءنا والمرأة قد يكنى عنها بالإزار «الحلقة» بسكون [اللام] السلاح. «كاهراً عن كاهر» : أى كبيراً عن كبير فى العز والشرف. «حبالاً» : ٣٩٩ ظ بكسر الحاء المهملة وبالموحدة جمع حبل وهو العهد والميثاق. «عسيتُ» : بكسر السين وفتحها لغتان. «الدم الدم الهدم الهدم» : قال فى النهاية^(٤) : يروى الهدم بسكون الدال وفتحها فالهدم بالتحريك القبر يعنى أنى أقبر حيث تُقبرون ، وقبل هو المنزل أى منزلكم منزلى ، كحديثه الآخر : المحيّا محياكم والممات مماتكم أى لأفارقكم ، والهدم بالسكون وبالفتح أيضاً هو إهدار دم القتل ، يقال : دماؤهم بينهم هدم أى مهترة والمعنى أن من طلب دمكم فقد طلب دى وأن من أهتر دمكم فقد أهتر دى ، لاستحكام الألفة بيننا ، وهو قول معروف للعرب يقولونه عند المعاهدة والنصرة . وفى تهذيب الأزهري أن ابن الأعرابي رواه بالفتح : دى دمك وهدى هدمك . «النقيب» : قال فى التوقيف : يُقال نَقَبَ الرجل ونَقَبَ بالتحفيف والتشديد استخراج الأسرار والنقيب الأمين والكفيل والعريف أو هو فوق العريف ، وشاهد القوم نَقَبَ عليهم كقَتَلَ نِقَابَةً بالكسر فعل ذلك . ونَقَبَ بالضم نِقَابَةً بالفتح^(٥) [إذا] لم يكن فصار [نقيباً] ، ونَقَبَاءُ الأنصار الذين تقدموا لأخذ البيعة لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم سموا بذلك لضبانهم إسلام قَوْمِهِمْ^(٦) .

(١) المنع بسكون النون الحرمان والمنع بضمها النور والقوة .

(٢) الأصوب أن يكون سناها : الانضمام إليكم .

(٣) يقصد المؤلف هنا أنها قد ألغيت شارح سيرة ابن هشام

(٤) هذا النص فى النهاية ج ٤ ص ٢٤٢ : ٢٤٣ .

(٥) من باب نصر : لقب الرجل عن الشيء ينقب نقبا بحث ولقب عن الشيء تنقيباً فحص منه لخصاً بليناً .

(٦) فى الأصول : « ونقب بالضم والكسر نقابة بالفتح لم يكن فصار » والعبارة غامضة وغير صحيحة لأن نقب

بالكسر من باب فرح من معانها : نقب الشيء ينقب نقبا تحرق ونقب البئر رقت أعفائه . وفى الصحاح : وقد نقب على تومه ينقب نقابة مثل كتب يكتب كتابة ، قال الفراء إذا أردت أنه لم يكن نقيباً ففعل قلت : نقب بالضم نقابة بالفتح ، قال سيويه : النقاية بالكسر الاسم وبالفتح المصدر مثل الولاية والولاية .

(٧) جاء فى النهاية (ج ٤ ص ١٦٧ : ١٦٨) : النقباء جمع نقيب وهو كالعريف على القوم المقدم عليهم الذى

يتعرف أخبارهم وينقب عن أحوالهم أى يقتض وكان الذى صلى الله عليه وسلم قد جعل ليلة العقبة كل واحد من الجماعة الذين بايعوه بها نقيباً على قومه وجاعته ليأخذوا عليهم الإسلام ويعرفهم شرائطه . وكانوا اثني عشر نقيباً كلهم من الأنصار .

شرح أبيات كعب بن مالك [الأنصاري]

«قَالَ رَأَيْهِ» بفاء ولام أى بَطَلَ . «فَلَا تُرْعَيْنِ» ، بضم المُثَنَّا الفوقية وسكون الراء وكسر العين المهملة وفتح المثناة التحتية ونون التوكيد أى لَا تُبْقِيَنَّ يقال ما أَرعى عليه أى ما أَبقى عليه^(١) . «أَلْبٌ» وَجَمْعٌ بِمَعْنَى «جَادِعٌ»^(٢) ، بالجيم أى قاطع . «إِخْفَارُهُ» بالخاء المعجمة نَقَضَ عَهْدَهُ . «نَاقِعٌ» بالقاف ثابت^(٣) «الْقَوَقَلُ» بقاف مفتوحة فواو ساكنة فقفاف مفتوحة ولام [نسبة لأبي بطن^(٤)] من الخزرج : قَوَقَلَ ، وهو غَنَمٌ بن عَوْف بن عمرو ابن عَوْف بن الخزرج ، كذا لابن الكلبي^(٥) ، وقال ابن اسحق : قيل لهم القوافل لأنهم كانوا إذا أجازوا أحداً أَعْطَوْهُ سَهْماً وقالوا له : : قَوَقَلَ به حيث شئت أى سِرَّ به حيث أَرَدْتَ . «بِمَنْتَلَوْحَةٍ» أى بِمَنْتَسَعٍ . «يَافِعٌ» بالمثناة التحتية والفاء المكسورة أى موضع مرتفع فالْيَفَاعُ ما ارتفع من الأرض ومن رواه باقٍ بالباء الْمُوحَّدة والقاف فمعناه بعيد وهو مأخوذ مِنْ بَقَعَ الْأَرْضَ^(٦) . «خَانِجٌ» بالخاء المعجمة والنون أى مُبْعِرٌ مُتَذَلِّلٌ . «الْأُخْمُوقة» أَفْعُوقة من الْحَقِّ وحقيقته وضع الشيء فى غير مَوْضِعِهِ مع العلم بِقُبْحِهِ . «نَازِعٌ» بالزى والعين المهملة أى ذاهب . «ضُرُوحٌ» بفتح الضاد المعجمة وضم الراء وبالحاء المهملة أى مانِعٌ ودَافِعٌ عن نفسه من قولهم ضَرَحَتْ^(٧) الدَّابَّةُ بِرِجْلِهَا ضَرَبَتْ بِهَا . «أَوَّلَاكُ» بترك الهمزة

(١) هذا الفرج وغالب ما يليه نقله المؤلف من شرح السيرة الخفش .

(٢) أصناف الخفش : ويقال جَدَحَ اللَّهُ أى قطعه .

(٣) فى ت و م ثاب . . والتابع يقال نافع أى ناجٍ يَنْفَعُ الغلة ، وسم نافع أى بالغ قائل ودم نافع أى طوى ، وموت نافع أى دائم .

(٤) زيادة من القاموس المحيط وقد جاء فيه : القوقل ذكر الحبل والقطا ، واسم أبى بطن من الأنصار لأنه كان إذا أتاه إنسان يشتجر به أو يئرب قال له : قوقل فى هذا الحبل وقد أمنت أى ارتق وهم القوقلة .

(٥) أوضح ابن حزم فى جبهة أنساب العرب أسماء بنى غنم بن الخزرج بن حارثة . (ص ٣٣٥) وبنى عوف ابن الخزرج (ص ٣٣٣) .

(٦) هذا النص منقول من الخفش ولم نجد فى المراجع ما يفيد أن يقع الأرض تنق البعد وفى القاموس بقى الأرض منه أى خلت وفى الصحاح والتاج : ما أدرى أين يقع أى ذهب ولا يستعمل إلا فى الجحد .

(٧) ضرحت الدابة ضراحا بن باب نصر رخت ، وشرح الثعلبى بن باب فتح دفعه وأبداه ناحية ، والقرواح مبالغة ضارح وفرس ضروح نضوح برجله .

أى أولئك . « يُعْبَكْ » بضم المنة التحتية وكسر الغين المعجمة وتشديد الباء الموحدة [من
أَغَبَّ الْقَوْمَ إِذَا جَاءَهُمْ يَوْمًا وَتَرَكَهُمْ يَوْمًا^(١)]. « دُجِيَ اللَّيْلُ » بضم الدال المهملة أى ظلمة الليل .
[شرح ما جاء فى بيعة العقبة^(٢)]

« كَفَلَاءَ » جمع كفيل وهو الضَّيِّين . « عَلَامَ » : ما استفهامية اتصلت بعل .
« الأحمر » : العَجَم « والأسود » : العَرَب . « نُهَكْتُ » بضم النون وكسر الهاء وفتح
الكاف فتاء تَأْنِيث : نَقَصْتُ . « أَنْفَذَ صَوْتَ » بالذال المعجمة : أَبْعَد . « الْجَبَابِجُ »
بجيمين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة وبعد كل جيم : مُوَحَّدَةٌ ، قال فى
القاموس جبال بمكة أو أسواقها أو متحر مئى كان يُلْقَى به الكروش . « الْمُدَّمُ » بذال
معجمة المذموم جداً ، وأرادت قريش عكس اسم النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يقولون
عِرْضَ محمد ؛ مُتَّم بوزنه وعكس معناه ، وكَذَّبُوا بل محمد من كثرة خصاله المحمودة
وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو اسم صادق على مُسْمَاءَ / « الصُّبَاء » بضم الصاد
المهملة والباء المُشَدَّدَة جمع صابئ وهو الخارج من دين إلى دين . « لَازِبٌ » بهزة مكسورة
فزأى ساكنة فباء مُوَحَّدَة . وفيها ذكر ابن هشام بفتح الهززة وسكون الزأى وفتح الباء
[أَزْبَبَ] . « اِرْقُضُوا » تَفَرَّقُوا . « أَحْضَطَّتْ » التقت بالحاء المهملة والفاء والظاء المعجمة أى أَغْصَبَتْهُ
والحفيظة الغَضَب . « أَمَرُ جِسْمٍ » عظيم . « لِيَتَفَوَّتُوا عَلَى » ، من الْقَوْتَ ، يُقَالُ تَفَوَّتَ فُلَانٌ
على فُلَانٍ فى كَذَا وافتات عليه إِذَا انفرد برأيه دونه فى التصرف ولما ضَمَنَّ معنى التغلب
عُدَى بعل^(٣) . « تَنَطَّسَ » بثناة فوقية فنون فطاء فسين مهملتين ، قال ابن هشام : المُبَالَغَة
فى التفتيش . « أَذْأَخِرَ » بذال وحاء مكسورة معجمتين اسم موضع^(٤) . « يَنْسُجُ رَحْلَهُ^(٥) » :
بنون مكسورة فسين فعين مهملتين : السير المضفور من الأديم على هيئة أهيئة البغال .
« الْجُمَّةُ » : بِالضَّمِّ الشَّعْرُ إِلَى شَعْمَةِ الأُذُن . « وَضِئٌ » : جميل . « لَكُمُّهُ » : ضربه بِجَمْعٍ
كَفَّهُ . « أَوَى » : أى أَشْفَقَ وَرَجِمَ . « شَعْشَاعٌ » : طويل . « جِسْرَارٌ » : بَضْمٌ الجيم وكسرها

(١) زيادة أضيفت لأن المؤلف اقتصر على ضبط الكلمة دون شرحها .

(٢) عنوان جديد لأن المؤلف خلط بين شرح أبيات كتب بن مالك وشرح ماجاء فى بيعة العقبة .

(٣) هذا الشرح فى النهاية (ج ٣ ص ٢١٧) (٤) أذاخر ثنية بين مكة والمدينة عن معجم للبكرى

(٥) فى النهاية (ج ٤ ص ١٤٠) للسنه بالكسر مير مضفور يحمل زمانا البعير وغيره . وقد تنسج عريضة تحمل على

صدر البعير ، والجمع نسج - بضم النون وسكون السين - ونسج - بكسر النون وفتح السين - وأنسج .

[العهد والأمان^(١)] . « تَجَار » : بكسر التاء يُخَفَّف وَيُشَدَّد جمع تاجر . فاهْتَف : صَحَّ واذْع .

[شرح أبيات ضرار بن الخطاب وحسان بن ثابت^(٢)]

« عَنَوَة » : بفتح العين أى قهرا « طُلْتُ » بضم الطاء المهملة وتشديد اللام المفتوحة ثم تاء التأنيث : أى أهْدِرت . « حَرِيًّا » : بفتح الحاء المهملة وكسر الراء وتشديد المثناة التحتية : أى حقيقاً وجديراً . « ضَمَرًا » : بضم الضاد المعجمة جمع ضامر . « شَرَف » : المكان العالى [يُشْرِف على ما حوله^(٣)] . « نَدَارَكْتَ وَأَخَذْتَ » : كلاهما بقاء الخطاب . « الْبُرْقَاء » : كل موضع فيه حجارة مختلفة الألوان « الْكُتَّان » : بفتح الكاف^(٤) . « الْأَنْبَاط^(٥) » : قوم من العجم . « الرِّبْط » : الملاحف البيض واحدتها رِبْطَةٌ « مُقَصَّرًا » : بيم مضمومة ففأف مفتوحة فصاد مهملة مُشَدَّدة أى قُصِّرَتْ^(٦) بِالْمُقَصَّرَةِ كَيْكُنَّسَةً خَشْبَةً الْقَصَار « حُسْرًا » مُغْيِيَةً^(٧) . « الْوَسْثَان » : النائم . التَّكْلَى : المرأة الفاقدة ولدها . « حَفْهًا » : هلاكها . « مُحَفَّرٌ » بفتح الفاء مصدر « وَمَحْفَرٌ » بكسر الفاء مكان .

الثالث^(٨) : فى معرفة أسماء اللين بايعوا لَيْلَةَ الْعَقْبَةِ الثالثة :

وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين . قال فى العيون : هذا هو العدد المعروف، وإن زاد فى التفصيل فليس ذلك بزيادة فى الجملة وإنما هو لِمَحَلِّ الْخِلَافِ فيمن شهد . فبعض الرواة

(١) زيادة لشرح ما أفضله المؤلف .

(٢) عنوان جديد يقتضيه انتقال المؤلف إلى شرح أبيات ضرار بن الخطاب وحسان بن ثابت .

(٣) زيادة لشرح المعنى .

(٤) الكُتَّان ثبت بخط من أبياته التلج المعروف .

(٥) الْأَنْبَاط قوم من الساميين هاجروا إلى أصليين : أحدهما آراس والأخر عربى كانت لهم دولة فى القرن السابع قبل الميلاد وسقطت فى أوائل القرن الثانى بعد الميلاد وأخذت أملاكهم من الجزء الجنوبى الشرقى من فلسطين إلى رأس خليج العقبة وكانت عاصمتهم سلع أى الصخرة وهى التى سماها اليونان بطرة وأطلقوا هذه الكلمة على البلاد العربية كلها . ويطلق العرب كلمة أنباط على المشتغلين بالزراعة أو أعطوا الناس من غير العرب عن المعجم الوسيط .

(٦) قصر الثوب دقه ويبيضه فهو مقصر والقصر المبيض لثياب . وتنسب الصا التى يلقى بها القصار الثياب المقصرة

(٧) هكذا شرحها الخشنى (ج ١ ص ١٢١) ومعينة من الإعياء وأعياء الرجل تعب تعباً شديداً وعلى ذلك فإن حسرا

هنا من حسر يحسر حسارة من باب كرم : كل - بفتح الكاف وتشديد اللام - فهو حسير . قال تعالى : « ينقلب إليك البصر غافلاً وهو حسير » (سورة الملك آية ٤) .

(٨) هذا هو التنبيه الثالث .

يشبهه وبعضهم يثبت غَيْرَه بدله . قلت : ورَّتب ابن إسحق أسماءهم على القبائل والبطون ورَّتبهم على حروف المعجم ليسهل الكشف [عنهم] . واعلم أن كل اسم يأتي فيهم بلفظ : « عبد الأشهل » فإنه بشين معجمة ، أو بلفظ « بُهْته » فإنه بضم الباء الموحدة وسكون الهاء وبالثاء المثناة ، أو بلفظ « يزيد » فإنه بالثناة التحتية إلا « تزید بن جُثَم » فإنه بالثناة الفوقية والزاي بعدها تحتية . أو بلفظ « جُثَم » فإنه بجم مضمومة فشين معجمة مفتوحة ، وهو غير منصرف للعلمية والعُدل من جاشم ، أو بلفظ « حارثة » فإنه بالحاء المهملة والمثناة ، أو بلفظ « حَرَام » فإنه بالحاء والراء المهملتين ، أو بلفظ « حَنَسَاء » فإنه بخاء معجمة فنون فسين فألف تأنيث . أو بلفظ « زُرَيْق » فإنه بزاي مضمومة فراء مفتوحة فَمَثْنَاء تحتية ساكنة فقاق . أو بلفظ « زعوراء » فإنه بزاي مفتوحة فمين مهملة مضمومة فواو ساكنة فراء فهمة ممدودة ، أو بلفظ « سارِدة » بكسر الراء فإنه بمُهْمَلَات ، أو بلفظ « سَرَح » بسكون الراء فإنه بمهملات ، أو بلفظ « سَلِمة » بكسر اللام ، أو بلفظ « السَّلم » فإنه بفتحتين . أو بلفظ « سِتَان » فإنه بسين مكسورة ونونين بينهما ألف أو بلفظ « سَوَاد » فإنه بفتح السين المهملة وتخفيف الواو وآخره دال مهملة . أو بلفظ « غَنَم » فإنه بغين معجمة فنون ساكنة أو بلفظ « كَوْدَان » فإنه بفتح اللام والذال المعجمة . أو بلفظ « مَبْلُول » / فإنه بالموحدة والمعجمة بلفظ . اسم المفعول . أو بلفظ « نَائِي » فإنه بالنون والياء الموحدة . أو بلفظ « النَّجَّار » أو « النَّجَّارِي » فإنه بالنون والجم .

[باب الهمة^(١)] : أبى - بضم الهمة وفتح الموحدة وتشديد التحتية - ابن كعب بن قيس بن عُبَيْد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النُّجَّار ، وهو تيم الله بن ثعلبة ابن عمرو بن الخَزْرَج بن عمرو بن حَبِيب - بفتح المهملة وكسر الموحدة - ابن حارثة ابن غضب بفتح الغين وسكون الضياد المعجمتين . أسعد بن زُرَّارة - بضم الزاي - ابن عَدَس بن عُبَيْد بن ثعلبة بن غَنَم بن مالك بن النُّجَّار الخزرجي النَّجَّارِي أَبُو أُمَامَةَ . أَسِيد - بضم أوله وسكون التحتية - ابن حُضَيْر - بحاء مهملة مضمومة فضاء معجمة مفتوحة^(٢) فراء - ابن سِمَاك - بكسر السين المهملة وآخره كاف - ابن عَتِيك - ككريم -

(٢) نسي المؤلف أن يضيف فتحة ساكنة .

(١) زيادة عن الأصل .

ابن رافع^(١) بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جُشم بن الحارث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الأوس الأوسى الأشهل يُكنى أبا يحيى وقيل كنيته أبو عتيك .
أوس بن ثابت - بالثلثة - ابن المنذر ابن حَرَام بن عمرو بن زَيْد مَنَاء - بفتح الميم - ابن عَدِيّ بن مالك^(٢) بن النجار [ابن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج^(٣)] أخو حَسَن بن ثابت رضى الله عنه . أوس بن زيد بن أصرم ، ذكره ابن عُقْبَةَ فيهم .

الباء الموحدة : البراء - بفتح الموحدة فالراء مملوداً مُحْضَفاً - ابن مَعْرُور - بيم مفتوحة فعين مهملة ساكنة فراء مضمومة فواو فراء أخرى - ابن صَخْر - بصاد مهملة مفتوحة فحاء معجمة - ابن خنساء [ابن سنان بن عُيَيْد^(٤)] بن عَدِيّ بن غَنَم بن كعب بن سلمة ابن سعد بن علي بن أسد [ابن سارة^(٥)] ابن يزيد ابن جُشم [ابن الخزرج^(٦)] ، وهو أول من بايع ليلثذ في قول ابن إسحق ، وأول من أوصى بثلاث ماله . يشر بن البراء بن معرور .
بشير - بفتح أوله وكسر المعجمة بعدها مثناة - ابن سعد بن ثعلبة بن جُلَاس - بضم الجيم مخففاً وضبطه الدارقطني بفتح الحاء المعجمة وتشديد اللام - ابن زيد بن مالك بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج [ابن الحارث بن الخزرج^(٧)] . بُهَيْز - بضم أوله وفتح الهاء وسكون التحيّة ، قال في النور : وآخره زاي ، وضبطه الحافظ^(٨) في الإصابة بالراء : وقيل : أوله نون بدل الموحدة - ابن الهيثم بن عامر ، وقيل ابن نابی بن مَجْدَعَة - بفتح الميم وسكون الجيم ، وبالعين المهملة - ابن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس الأوسى الحارثي .

الثاء المثناة : ثابت بن الجذع - واسم الجذع ثعلبة ، والجذع بكسر الجيم

(١) لم يرد ابن رافع في نسب أسد بن حشير كما ذكره ابن الأثير في ترجمته ، انظر أسد القابضة ج ١ ص ٩٢
(٢) في أسد القابضة (ج ١ ص ١٤٠) : ابن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار ، أى أن عدى حفيد مالك وليس له ابناً له .

(٣) زيادة في نسب من أسد القابضة .

(٤) زيادة في نسب البراء بن معرور من أسد القابضة ج ١ ص ١٧٣ . وزيادة في نسب بشير بن سعد (ج ١ ص

١٩٥)

(٥) لفظ ابن حشير في الإصابة (ج ١ ص ١٧٣ رقم ٧٤٧) - جيز بالتصغير آخره راء ، أبو الهيثم الأنصاري الحارثي ذكره ابن إسحق فيمن شهد العقبة وكذا ذكره أبو الأسود عن عروة وزاد أنه شهد أحدًا وكذلك ذكره الطبري وقال إن أوله نون .

وبالذال المعجمة كذا قال في النور ، وفي نسخة صحيحة من العيون بضم الجيم وفتح الذال وفي نسخة صحيحة من سيرة ابن هشام بفتحها - ابن زيد بن الحارث بن حرام بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج السلمي . ثعلبة بن عبيد بن عدي : قال الذهبي في التجرید : « ذكره ابن الجوزي في التلخيص » . قال الحافظ : « أئحى أن يكون وقع في اسم أبيه تصحيف وهو ثعلبة بن عَمَّة - بعين مهملة ونون فميم مفتوحات - ابن عدي بن نابی بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب ابن سلمة السلمي الخزرجي » .

الجيم : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة^(١) بن حرام بن كعب بن غنم ابن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج الخزرجي السلمي . جَبَّار - بجيم مفتوحة فباء موحدة مُشَدَّدة فراء - ابن صخر بن أمية ابن خنساء - ويقال خُنَيْس - ابن سينان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة [الخزرجي ثم^(٢)] السلمي أبو عبد الله .

الحاء المهملة : الحارث بن قيس بن خَلْدَة - بفتح الحاء المعجمة واللام ويقال خالد - ابن مُخَلَّد - بضم الميم فحاء معجمة فلام مُشَدَّدة مفتوحين - ابن عامر بن زُرَيْق [بن عامر ابن زُرَيْق^(٣)] بن عبد حارثة بن مالك بن غَضَب - بغين مفتوحة فصاد ساكنة معجمتين - ابن جُشَم [ابن الخزرج الخزرجي ثم^(٤)] [الزرق ، أبو خالد .

الخاء المعجمة : خارجة بن زيد بن [أبي^(٥)] زُهَيْر بن مالك بن امرئ القيس بن مالك

(١) جابر بن عبد الله له أعياد (جمع سمى) كثيرون ولذا فإنه يحسن ضبط نسه وقد ساق المؤلف نسه هكذا : جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام [بن عمرو بن سواد بن سلمة] وما بين مقفين خطأ وصوابه ما أثبتناه نقلا عن ابن هشام (ج ٢ ص ٧١) الذي وقف عند حرام ثالثة وأكله ابن حزم في الجمهرة ص ٣٣٩ .

(٢) زيادة من ترجمة جبار بن صخر في أسد القباية ج ١ ص ٢٦٥ .

(٣) زيادة في نسه أثبتنا ابن الأثير في أسد القباية (ج ١ ص ٣٤٤) وأغفلها ابن حجر في الإصابة (ج ٧ ص ٥٠ رقم ٢٣٠) حيث ترجم له في باب الكنى وكنية الحارث بن قيس هو أبو خالد .

(٤) زيادة في نسه من أسد القباية (ج ١ ص ٣٤٤) .

(٥) أغفلت الكنية في الأصول والتصويب من ابن هشام (ج ٢ ص ١٧١) وأسد القباية (ج ٢ ص ٨٠) .

٤٠١ و [الأغر] بن ثعلبة / بن كعب بن الخزرج بن الحارث الخزرجي . خالد بن زيد بن كليب - بضم الكاف - ابن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار [واسمه^(١)] تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج [الأكبر]^(٢) أبو أيوب الخزرجي النجاري . خالد ابن عمرو بن عدى^(٣) بن ناني بن عمرو بن سواد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة [الخزرجي] السلمي . خالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن مالك بن عامر بن بياضة [ابن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غصب بن جشم بن الخزرج الأكبر^(٤)] الخزرجي البياضي . خديج بن سلامة - وقيل بن سالم بن أوس^(٥) بن عمرو [بن] القُرَازِ - بفاين وراعين مُهْمَلَتَيْن - ابن الضَّحْيَان^(٦) البلوي نَسَباً الْأَنْصَارِي حِلْفاً ، حليف لبني حرام بن كعب [بن غنم بن كعب بن سلمة من الأنصار^(٧)] . خَلَاد - بفتح أوله وتشديد اللام وآخره دال مهملة - ابن سُؤَيْد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة ابن امرئ القيس [بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأكبر الأنصاري^(٨)] الخزرجي الحارثي [من بلحارث بن الخزرج^(٩)] .

الذال المعجمة : ذَكْوَان بن عبد قيس بن خَلْدَةَ^(١٠) - أخو الحارث السابق^(١١) - [ابن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيْق^(١٢)] أبو السبع - يسمين مهمة فباء موحدة ، كان خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فهو مهاجري أنصاري .

(١) زيادة من أسد الغابة ج ٢ ص ٨٨ . وقال ابن حجر في الإصابة (ج ٢ ص ٨٩) إنه معروف باسمه وكنيته (٢) ذكر المؤلف أن جده أبو كعب ولم يجده في سياق نسبه في أسد الغابة (ج ٢ ص ٩٨) ولا في الإصابة (ج ٢ ص ٩٥ رقم ٢١٨١) .

(٣) زيادة من أسد الغابة ج ٢ ص ٩٩ . (٤) زاد ابن حجر في الإصابة (ج ٢ ص ١٠٩ رقم ٢١٢٧) ويقال : ابن أوس بن سالم . (٥) سقطت كلمة « ابن » من الأصول وهي مثبتة في سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٧١) وأسد الغابة (ج ٢ ص ١١٥) وجوابع السيرة لابن حزم ص ٨٤ والخشج ص ١٢٣ ، وجاء في الأخير أن الفرافر يروي بالفاء والقاف قيده الدارقطني وفي الإصابة (ج ٢ ص ١٠٦) ابن الفرار وهو خطأ . (٦) في الأصول الضحاك والتصويب من أسد الغابة . (٧) زيادة من أسد الغابة .

(٨) زيادة من أسد الغابة ج ٢ ص ١٢١ (٩) في سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٦٩) وأسد الغابة (ج ٢ ص ١٣٧) وفي الكنى (ج ٥ ص ٢٠٧ : ٢٠٨) (١٠) لم تذكر كلمة عيه في اسم أبي الحارث بن قيس بن خلدة . (١١) زيادة في نسبه من أسد الغابة (ج ٢ ص ١٣٧) والإصابة (ج ٢ ص ١٧٢ رقم ٢٤٣٢)

الراء : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيْق [بن عامر^(١)] بن عبد حارثة بن مالك [بن غَضَب بن جُشَم بن الخرج الخزرجي الزرقى^(٢)] . رفاعه - بكسر الراء وتخفيف الفاء وفتح العين المهملة - ابن رافع بن مالك بن العجلان الخزرجي الزرقى . رفاعه بن عبد المنذر بن زُنْبَر^(٣) - بزاى مفتوحة فنون ساكنة فمُوَحَّدَة مفتوحة - ابن زيد ابن أمية بن مالك بن عوف بن عمرو [بن عوف بن مالك بن الأوس أبو لُبَابَة^(٤)] . الأَوْسَى . رفاعه بن عمرو بن زيد - وقيل ابن نوفل وقيل ابن عمرو وقيل ابن قيس - ابن ثعلبة [بن جُشَم بن مالك بن سالم بن غَنَم بن عوف بن الخرج الخزرجي^(٥)] أبو الوليد^(٥) .

الزاي : زياد بن كبيد - بفتح اللام وكسر الموحدة وسكون التحتية وآخره [دال] مهملة - ابن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عَدِيّ بن أمية بن بياضة - بالمعجمة - ابن عامر ابن زُرَيْق بن عبد حارثة بن مالك [بن غَضَب بن جُشَم بن الخرج^(٦)] الخزرجي البياضي . زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة [بن عدى^(٧)] بن عمرو بن مالك ابن النجار الخزرجي [النَّجَارَى^(٨)] أبو طَلْحَة [وهو مشهور بكنيته وهو^(٩)] زوج أم سليم [بنت مِلْحَان^(١٠)] أم أنس بن مالك .

السين المهملة : سعد بن خيشمة - بخاء مفتوحة فمشناة تحتية فمثلة فميم فهاء تأنيث - ابن الحارث بن مالك بن كعب [بن] النُّحَاط^(١١) - بنون فحاء وطاء مهملتين بينهما ألف - ابن كعب بن حارثة بن غَنَم بن السُّلَم - بسين مهملة مشددة فلام ساكنة^(١٢) -

(١) زيادة من أسد الغابة (ج ٢ ص ١٥٧)

(٢) هو زُبَيْر أيضا في الإيضاح ص ٣٧ ولكنه في جمهرة ابن حزم « زور »

(٣) زيادة من أسد الغابة (ج ٢ ص ١٨٣)

(٤) زيادة من أسد الغابة (ج ٢ ص ١٨٤)

(٥) ويعرف أيضا بابن أبي الوليد لأن جده زيد بن عمرو يكنى أبا الوليد .

(٦) زيادة من أسد الغابة ج ٢ ص ٢١٧

(٧) زيادة من أسد الغابة ج ٢ ص ٢١٧

(٨) زيادة من أسد الغابة ج ٢ ص ٢٣٢

(٩) نقل ابن سعد عن ابن الكلبي أنه كان يقول الحنطاط بن كعب .

(١٠) السلم بلام مفتوحة في جوامع السيرة لابن حزم ص ٧٧ .

ابن امرئ القيس بن مالك [بن الأوس^(١)] الأوسى أبو خيثمة . سعد بن الربيع - بفتح
الراء - ابن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن
كعب بن الخزرج . سعد بن زيد بن مالك بن عبد بن كعب بن عبد الأشهل الأوسى
الأشهل . سعد بن عبادة - بعين مهملة مضمومة فباء موحدة مُخَفَّفة - ابن دُلَيْم - بدال
مهملة مضمومة فلام مفتوحة فمشناة تحتية ساكنة - ابن حارثة بن أبي خزيمه - بحاء
مهملة مفتوحة فزاي مكسورة فمشناة تحتية ، قال في الإملاء : هذا هو الصواب وكذا
قِيَّده الدارقطني ويروى بخاء مضمومة وزاي مفتوحة - ابن ثعلبة بن طريف - بالطاء
المهملة المفتوحة وبالفاء - ابن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، يُكْنَى أبا ثابت
[وقيل] أبا قيس^(٢) . سيد الخزرج . سَكَمَة - بفتح أوله وثانيه - ابن سلامة بن وقش -
بفتح الواو وإسكان القاف وتُفْتَح - ابن زُغَبَة - بزاي مضمومة فغين معجمة ساكنة ،
فمَوْحِدَة مفتوحة فناء تأنيث - ابن زَعُوراء بن عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن
الخزرج بن مالك بن الأوس الأوسى الأشهل . سليم بن عمرو - أو عامر - ابن حديدة -
بفتح الحاء المهملة - ابن عمرو بن غَنَم بن سواد بن غَنَم بن كعب [بن سَلَمَة^(٣)] ،
السَلَمَى . سِنَان بن صَبِي بن صَخْر بن خَنَسَاء بن سِنَان بن عُبَيْد بن عَدِي [بن غَنَم^(٤)] ٤٠١ ظ
ابن عَتِيك بن عمرو بن مبلول - بالذال المعجمة اسم مفعول - وهو عامر بن مالك بن
الْتَجَار [الخزرجي^(٥)] .

الشَّيْن المعجمة : شمر بن سعد بن ثعلبة ، كذا في التلخيص ولم أره في غيره .
الصاد المهملة : صَبِي بن سواد بن عَبَاد بن عمرو بن غَنَم^(٦) [بن سواد بن غَنَم بن
كعب بن سَلَمَة^(٧)] السَلَمَى .

(١) زيادة من أسد الغابة (ج ٢ ص ٢٧٥) .

(٢) زاد ابن الأثير (ج ٢ ص ٢٨٣) . والأول أصح .

(٣) زيادة من أسد الغابة (ج ٢ ص ٣٤٩) .

(٤) زيادة من أسد الغابة (ج ٢ ص ٣٥٩) .

(٥) زيادة من ابن الأثير الذي ذكر أيضاً أنه يسمى سبيلا . (ج ٢ ص ٣٦٧) .

(٦) في الأصول : عَمَان وأثبتنا ما ورد في أسد الغابة (ج ٣ ص ٣٤) وقال ابن هشام : صَبِي بن أسود .

(٧) زيادة من أسد الغابة

[الضاد المعجمة^(١)] : الضَّحَّاكُ بن زيد بن الطفيل ، كذا في التلخيص ولم أره في غيره .
 الضَّحَّاكُ بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عُبَيْد [بن عدى بن غُثَم بن كعب بن سَلَكَة^(٢)]
 الخزرجي [ثم :^(٣) السلمي] .

الطاء المهملة : الطفيل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عُبَيْد بن عدى بن غُثَم بن كعب السلمي .

الطاء المعجمة : ظُهَيْر - بالتصغير - ابن رافع بن عدى بن زيد^(٤) بن جُثَم بن حارثة
 ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو - [وهو النبيث^(٥)] - ابن مالك بن الأوس الأوسى .

العين المهملة : عامر بن نابي - بالنون وبالموحدة - ابن زيد بن حرام . عُبَادَة - بضم
 أوله وتخفيف الموحدة - ابن الصامِت - بكسر الميم - ابن قيس بن أَصْرَم بن فِهْر بن
 ثعلبة بن غُثَم بن عوف^(٦) بن عمرو بن عوف بن الخزرج أبو الوليد . عِبَاد -
 بفتح أوله وتشديد الموحدة - ابن قيس - بالثناة التحتية - ابن عامر بن خالد بن مُخَلَّد^(٧) -
 كمحمد - ابن عامر بن زُرَيْق الزرق . العباس بن عُبَادَة بن نضلة - بنون مفتوحة فضاء
 معجمة ساكنة - ابن مالك بن العجلان الخزرجي . عبد الله بن أَنَس - بضم أوله مُصَفَّرًا -
 ابن أسعد بن حرام [بن حَبِيب^(٨)] بن مالك بن غُثَم بن كعب بن ناشر^(٩) - بالنون والشين
 المعجمة والزاي - ابن يَرْبُوع - بمثناة مفتوحة فراء ساكنة فموحدة مضمومة فعين مهملة -
 ابن البرك - بموحدة مضمومة فراء ساكنة فكاف - ابن وَبَرَة - بفتح الواو فالموحدة والراء ،
 وعند ابن عُمَر : تيم^(١٠) بن نَفَاة - بنون مضمومة ففاء ومثناة - ابن لِيَاس بن يَرْبُوع ،

(١) زيادة لبيان الأعلام التي تبدأ بحرف الضاد

(٢) زيادة من أسد الغابة (ج ٣ ص ٢٥) .

(٣) هكذا في الإسماعية (ج ٣ ص ٢٠٤) ولكن في أسد الغابة ج ٣ ص ٧٠ : يزيد بدلا من زيد .

(٤) زيادة من أسد الغابة .

(٥) زاد المؤلف « سالم » بن غم وعوف ولم نجد سالما في النسب الذي ساقه ابن سعد ولا ابن الأثير ولا ابن حجر

وكذلك لم نجده في جوامع السيرة لابن حزم ص ٧١ .

(٦) لم نجد في نسب عباد بن قيس : خالد بن غلذ .

(٧) زيادة من جوامع السيرة لابن حزم ص ٨٣ .

(٨) وردت أيضا ناشرة بالراء وتاء التأنيث .

(٩) في نسبه خلاف بدم تيم فهو تيم بن بجة بن ناشرة بن يربوع . وساق ابن حزم في الجمهرة (ص ٤٢٣) .

نسبه هكذا بدم تيم : ابن تيم بن نفاة بن لياس بن يربوع بن البرك بن وبرة .

دَخَلَ الْبَرْكُ^(١) فِي جِهِنَّةٍ حَلِيفاً لَمْ^(٢) . عبد الله بن جُبَيْر - بضم الجيم وفتح الموحدة - ابن النعمان [بن أُمَيَّة^(٣)] بن امرئ القيس [وهو^(٤)] الْبَرْك - بضم الموحدة وفتح الراء وبالكاف - ابن ثعلبة بن عَمْرُو [بن عوف بن مالك بن الْأَوْس^(٥)] [الْأَوْبَى] ثَمَّ من بنى ثعلبة بن عَمْرُو^(٦)] . عبد الله بن الربيع بن قيس بن عمرو بن عَبَّاد بن الْأَبْجَر - بفتح الهمزة فموحدة ساكنة فجيم مفتوحة فراء ، وَالْأَبْجَرُ هو خُدْرَةٌ - بضم الخاء المعجمة وإسكان الدال المهملة - ابن عوف بن الحارث بن الخزرج الخزرجي . عبد الله بن رَوَاحَةَ - بالفتح ومهملة مُخَفَّفًا - ابن ثعلبة بن امرئ القيس بن عَمْرُو بن امرئ القيس [الأكبر] ابن مالك الْأَعْرَج ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الخزرجي . عبد الله بن زيد ابن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد [من بنى جُثَمَ^(٧)] بن الحارث بن الخزرج ، الخزرجي الحارثي [ويُكْنَى] أَبَا مُحَمَّدٍ [وهو الذي] أَرَى^(٨) الْأَذَانَ [في النوم^(٩)] . عبد الله بن عمرو ابن حرام [بن ثعلبة بن حرام^(١٠)] بن كعب بن عَنَم بن كعب بن سلمة [بن سعد بن علي ابن أسد بن ساردة بن يزيد^(١١)] بن جُثَم بن الخزرج الخزرجي^(١٢) [السلمي] ، يَكْنَى أَبَا جَابِرٍ والد جابر بن عبد الله . عَبَسَ - بفتح أوله وسكون الباء وبالسین المهملة - ابن عامر

(١) ضبطت البرك في جوامع السيرة (ص ٨٣) وفي الجوهرة بفتح الموحدة وإسكان الراء كما أن المؤلف بدأ أن يضبطها بضم الموحدة وإسكان الراء عاد إلى القول بضبطها بفتح الراء .

(٢) في جوامع السيرة حليف لم قفصاعى .

(٣) زيادة من أسد الغابة (ج ٣ ص ١٣٠) .

(٤) في الأصول : ابن امرئ القيس بن البرك أى أنها شخصان وهما شخص واحد والتصويب من نسب أخيه هوات بن جبير كما أورده ابن حجر في الإصابة (ج ٢ ص ١٤٣) ومن أسد الغابة (ج ٣ ص ١٣٠) .

(٥) زيادة من أسد الغابة .

(٦) زيادة من أسد الغابة (ج ٣ ص ١٦٥) ونسبه في الإصابة (ج ٤ ص ٧٢) زاد ابن حجر فيه بند ثعلبة ابن عبد الله (بدلاً من عبد ربه) بن ثعلبة .

(٧) في الأصول رأى الأذان .

(٨) زيادة من ابن الأثير .

(٩) زيادة من جوهرة ابن حزم ص ٣٣٩

(١٠) في رواية : ابن قزيلة .

(١١) زيادة من أسد الغابة (ج ٣ ص ٢٣١)

ابن عدى بن نابی [ابن عمرو بن سواد بن تمیم بن كعب بن سَلِمة^(١)] السَلِمي . عُبيد -
 بضم أوله بغير إضافة - ابن التَّيهان ، أخو أبي الهيثم^(٢) . عُقبَة - بضم أوله - ابن عمرو
 ابن ثعلبة بن أُسيرة - بضم الهززة وفتح المهملة - ابن عُسيرة ، واختلفوا في تقييد عُسيرة
 فمنهم من يفتح العين ويكسر السين المهملتين ومنهم من يضم العين ويفتح السين - ابن
 عطية بن خُدَّارة - بالخاء المعجمة المضمومة ، وبعضهم يقول بجيم مضمومة ومكسورة^(٣) -
 ابن عوف بن الحارث بن الخزرج أبو مسعود البدرى^(٤) . عُقبَة بن وهب بن كَلْدَة -
 بفتح الكاف واللام والذال المهملة - ابن الجند - بفتح الجيم وسكون العين وبالذال
 المهملتين / ابن هلال بن الحارث بن عمرو بن عدى بن جُشم بن عوف - بالقاف - ابن ٤٠٢
 بُهْشَة بن عبد الله بن غَطَفَان - بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة والفاء - [ابن قيس بن
 عَيْلان^(٥)] الغَطَفَاني ، حليف لبني سالم [ابن غُثَم بن عَوْف بن الخزرج^(٦)] قال ابن
 إسحق : « كان أول من أسلم من الأنصار ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلم يزل
 معه حتى هاجر فكان يقال له مهاجري أنصاري » . عُمارة - بضم أوله والتخفيف - ابن
 حَزَم بن زيد بن لَوْذَان بن عمرو بن عبْد [بن^(٧)] عوف بن غُثَم بن مالك [بن^(٨)] النُّجَار ،

(١) زيادة في نسه من الإصابة (ج ٤ ص ١٩٦ رقم ٥٢٨٠) وأضاف ابن حجر : ذكره موسى بن طيبة زابن
 إسحق والواقدي وغيرهم فيمن شهد بدرًا والعقبَة وأحدًا إلا أن موسى قال : عيسى .

(٢) ذكر ابن حجر نسه في ترجمة أخيه أبي الهيثم (ج ٧ ص ٢٠٩ في الإصابة) وهو : ابن مالك بن حنك
 ابن عمرو بن عبد الأمل بن عامر بن زُخْر الأوسي . وقال ابن حجر في ترجمة عبيد بن التَّيهان (الإصابة ج ٤ ص ٣٠٣)
 إن ابن إسحق ذكره فيمن شهد بدرًا وتابعه الواقدي هل تسميه وأما موسى بن عقبَة وأبو مسعود وعبد الله بن محمد بن حمزة
 فسوه حنكًا وترجم له ابن الأثير تحت اسم عبيد وسمت اسم حنك (أسد الغابة ج ٣ ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٧٠) .

(٣) في مرجع السيرة الخشني (ج ١ ص ١٢٢) : وقوله في نسب عقبَة بن عمرو بن عُسيرة بن جذارة يروى هنا
 بفتح الجيم وكسرها ويروى أيضًا عُدارة بخاء معجمة مضمومة وهو أحد عُدرة الذي ينسب إليه أبو سيد الحُدري وبالجيم
 المكسورة قيده الدارقطني .

(٤) مشهور بكنيته ولم يشهد بدرًا وإنما سكن بدرًا وشهد العقبة الثانية ، عن أسد الغابة ج ٣ ص ٤١٩ .

(٥) زيادة من أسد الغابة (ج ٣ ص ٤٢١) .

(٦) هكذا في أسد الغابة وفي جوامع السيرة : ابن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر حليف لهم .

(٧) زيادة من جمهرة ابن حزم ص ٣٢٨ .

(٨) زيادة من أسد الغابة (ج ٤ ص ٤٨) .

الخزرجي التجاري . عمرو بن الجموح - بفتح الجيم وضم الميم وبالحاء المهملة - ابن زيد ابن حرام بن كعب بن غنم^(١) بن سلمة السلمي [من بني جشم بن الخزرج^(٢)] . عمرو ابن الحارث بن كتنكة بن عمرو بن ثعلبة [من القواقل شهد العقبة الثانية قاله ابن إسحق^(٣)] . عمرو بن عمنه - بمهملة فنون فميم مفتوحات - ابن عدى بن نابت [بن عمرو^(٤)] بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي . عمرو بن غزيرة - بغين معجمة مفتوحة فزاي مكسورة فمشناة تحتية مشددة - ابن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن مبدول بن عمرو [ابن غنم^(٥)] بن مازن - بالزاي - ابن النجار [الخزرجي ثم المازني^(٦)] ، يقال إنه شهد العقبة ، وقال ابن هشام : عمرو بن غزية [بن عمرو بن ثعلبة^(٧)] وهو عطية بن خنساء . عمير - وقيل عمرو - ابن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن كعب بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد الخزرجي [كذا نسبة ابن إسحق وزاد موسى^(٨)] بن عتبة بين الحارث وثعلبة : لبدة^(٩) - بكسر اللام وإسكان الموحدة وبالمهمل . عمير بن

(١) زاد المؤلف كعباً بين غنم وسلمة ولم يجهده في النسب الذي ساقه ابن حجر في الإصابة (ج ٤ ص ٢٩٠ رقم ٥٧٩٢) .

(٢) زيادة من أسد الغابة (ج ٤ ص ٩٣) .

(٣) زيادة من أسد الغابة (ج ٤ ص ٩٦) .

(٤) زيادة من الإصابة (ج ٥ ص ٩ رقم ٩١٨) هذا ولم يترجم ابن الأثير في أسد الغابة لعمرو بن عنة كما أن ابن حجر لم يذكر أنه كان عطية أي شهد العقبة فقد اقتصر على القول أن موسى بن عتبة وغيره ذكروه فمن شهد بدرأ وفي البكائين كذا ذكره ابن إسحق .

(٥) زيادة من جليل السيرة ص ٨٠ .

(٦) زيادة من أسد الغابة ج ٤ ص ١٢٥ .

(٧) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ٦٧) وصواب ثعلبة عند ابن هشام هو عطية ولو أن لاشير السيرة في طبعة التجارية سنة ١٩٢٧ م وضع بين قوسين (ابن عطية) وقد ورد ابن ثعلبة في أسد الغابة ج ٤ ص ١٢٥ وفي الإصابة ج ٥ ص ١٠ ولكنه لم يرد في جبهة ابن حزم ٣٣٣ وورد بدلاً منه عمرو بن عطية بن خنساء .

(٨) زيادة من الإصابة ج ٥ ص ٣٠ .

(٩) هذا ما نقله المؤلف عن ابن حجر وأضاف الأخير ما قاله ابن إسحق وابن عتبة أن عمرو بن غزية شهد بدرأ وقال ابن حجر شهد العقبة وبدرأ وأحدأ وقال ابن الكلبي كان يقال له مقرن لأنه كان يقرن الأسارى بعد وقعة بدر (الإصابة ج ٥ ص ٣٠) .

عامر بن نافع بن يزيد بن حرام الخزرجي ، قال^(١) ابن الكلبي : شهد المشاهد كلها ، وأقره الرشاشي^(٢) والحافظ ، وقال الحافظ اللمياطي^(٣) : لم أر من ذكره في الصحابة غيره .
عوف بن الحارث بن رفاعه - بكسر الراء - ابن الحارث بن سواد [بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار الخزرجي^(٤)] النجاري يُعرف بأمة عُفراء^(٥) ، ويقال بحلف الحارث الثاني . عُوَيْم - بضم أوله وفتح الواو وسكون التحتية بعدها ميم وليس بعدها راء - ابن ساعدة بن عايش - بمثناة تحتية فشين معجمة - ابن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية ابن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأوثي .

الفاء : فَرَوْه - بفتح الفاء وسكون الراء - ابن عمرو بن ودقة - بفتح الواو وإسكان الدال ، قال ابن إسحق : وهي معجمة وقال ابن هشام : مهملة ورجحه السهيلي وقسره بالروضة^(٦) - ابن عُبَيْد بن عامر بن بياضة البياضي .

(١) ترجم ابن حجر في الإصابة (ج ٥ ص ٢٢) لمير بن عامر وأضاف لما نقله عن ابن الكلبي أن عميراً استشهد يوم الجملاء ثم قال : ذكره الرشاشي وقال : لم يذكره ابن عبد البر (أي في الاستيعاب) .

(٢) الرشاشي ضبط فيه لراء بالفتح والقلم والرشاشي هو عبد الله بن علي بن أحمد الرشاشي الأندلسي الحافظ النسابة كان إماماً في الحديث حافظاً للتاريخ والأنساب قديماً بارحاً ، استشهد عند فتح الفرنجة لمدينة المرية بالأندلس سنة ٥٤٣ هـ ، من مؤلفاته : اقتباس الأنوار واقتباس الأزهار في القياس أنساب رواة الآثار ، وكتاب الإعلام لما في الخطيف والمؤتلف للدارقطني من الأرواح ، انظر تذكرة الحافظ للذهبي (ج ٤ ص ٩٩) . هذا وقد ذكره الزبيدي في التاج بقوله : أحد أعلام مرسية من أئمة الأندلس محدث كبير وكتابه المعروف بالأنساب في ستة أسفار ضخام ينقل عنه الحافظ ابن حجر كثيراً في التبيين وهو محدث في هذه الصفة .

(٣) هو الحافظ العلامة عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن شرف الدين اللمياطي الشافعي (٦١٣ - ٧٠٥ هـ) وصفه التاج السبكي في ترجمته له في طبقات الشافعية (ج ٦ ص ١٣٢ : ١٤١) بأنه كان حافظ زمانه وأستاذ الأستاذين في معرفة الأنساب وإمام أهل المحدث الجمع حل جلالة الجامع بين الدراية والرواية بالسنة المال القدر ، سمع الكثير ورحل ولازم الحافظ عبد العظيم المنذري سنين وتخرج به ، روى عنه تلاميذه المزي والبرزالي وابن سيد الناس والشيخ السبكي والده التاج السبكي وأورد الأخير في ترجمته لللمياطي تحقيقاته التاريخية في أرواح بعض المحدثين والأخباريين مثل الزهرى وابن سعد وأحمد وعبد البر المنذري وغيرهم تدل على صحة علمه وملكوته في النقد والتحقيق ومن مصنفاته الصلاة الوسطى والذكر والتسبيح ومختصر في السيرة ترجم له الكشي في فوات الوفيات (ج ٢ ص ٣٧ : ٣٩) وابن كثير في البداية والنهاية (ج ١٤ ص ٤٠) وهدايات الذهب (ج ٦ ص ١٢) .

(٤) هي عقراء بنت عبيد بن ثعلبة بن مالك بن النجار وهي أم معاذ وميض وعوف .

(٥) قال الخشني (ج ١ ص ١٢٢) فيما يتعلق بفروية بن عمرو بن ودقة : ذكره ابن إسحق بذلك معجمة وابن هشام بذلك مهملة ومن رواه بالذال المعجمة فهو من توذف في مثبته إذا تبختر أو أسرع وبالذال المهملة فهو من ودفت الشحمة إذا قطرت وذكرها صاحب العين بالذال المهملة قال ودقة اسم رجل . وعند السجلى (ج ١ ص ٢٨٢) أن ودقة بالذال المهملة هو الأصح وقسر الودقة بالروضة لأنها تقطر ماء من نمتها . وقال ابن حجر في الإصابة (ج ٥ ص ٢٠٨) : ودقة ، ضبطه الذافي في كتاب أطراف الموطأ له بفتح الواو وسكون الدال المهملة بعدها قاف قال : وهي الروضة .

القاف : قَتَادَةُ بْنُ التَّعْمَانِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَامِرِ بْنِ سَوَادِ بْنِ ظَفَرٍ بْنِ الْخَزْرَجِ [بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ^(١)] [الْأَوْسَى] [ثُمَّ] الظَّفَرِيُّ ، ذَكَرُوهُ فِيهِمْ إِلَّا ابْنَ إِسْحَقَ . قُطْبَةُ - يَضُمُّ أَوَّلَهُ وَسَكُونُ الطَّاءِ الْمَهْمَلَةِ - ابْنُ عَامِرِ بْنِ حَلِيدَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَوَادِ بْنِ غَنَمِ بْنِ كَعْبِ ابْنِ سَلَمَةَ الْخَزْرَجِيِّ السُّلَمِيُّ يُكْنَى أَبَا زَيْدٍ . قَيْسُ بْنُ أَبِي صَعْصَعَةَ - وَاسْمُ أَبِي صَعْصَعَةَ عَمْرُو - ابْنُ زَيْدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ مَبْلُوطِ بْنِ عَمْرُو بْنِ غَنَمِ بْنِ مَازَنِ بْنِ النَّجَّارِ [الْخَزْرَجِيُّ الْمَازَنِيُّ^(٢)] .

الكاف : كَعْبُ بْنُ عَمْرُو بْنِ عَبَّادٍ - بَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ - ابْنُ عَمْرُو بْنِ سَوَادِ بْنِ غَنَمِ^(٣) [بْنِ كَعْبِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَسَدِ بْنِ سَارِدَةَ ابْنَ تَزِيدِ بْنِ جُثَمِ بْنِ الْخَزْرَجِ^(٤)] [الْخَزْرَجِيُّ السُّلَمِيُّ أَبُو الْيَسْرِ - بَفَتْحِ الْمَثْنَاءِ التَّحْتِيَةِ وَالْمَهْمَلَةِ . كَعْبُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي كَعْبِ عَمْرُو بْنُ الْقَيْنِ - بَفَتْحِ الْقَافِ وَسَكُونِ الْمَثْنَاءِ التَّحْتِيَةِ - [ابْنِ كَعْبِ^(٥)] [بْنِ سَوَادِ بْنِ غَنَمِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَلِيٍّ - يَضُمُّ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةَ وَفَتْحِ اللَّامِ - ابْنُ أَسَدِ بْنِ سَارِدَةَ^(٦)] أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَزْرَجِيُّ السُّلَمِيُّ - [بَفَتْحَتَيْنِ^(٧)] وَيُقَالُ أَبُو بَشِيرٍ ، وَيُقَالُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

الميم : مَالِكُ بْنُ التَّيْهَانِ - بِمَثْنَاءِ فَوْقِيَةٍ مُفَتْوحَةٍ فَمَثْنَاءِ تَحْتِيَةٍ مَكْسُورَةٍ مُشَدَّدَةٍ وَيَجُوزُ تَخْفِيفُهَا فَأَلْفَ فَنُونٍ - ابْنُ مَالِكِ بْنِ حُبَيْدٍ بْنِ عَمْرُو بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَمِ بْنِ عَامِرِ^(٨) بْنِ زَعُوزَاءِ بْنِ جُثَمِ بْنِ [الْحَارِثِ^(٩)] [بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ عَمْرُو وَهُوَ النَّبِيتُ - بَفَتْحِ النُّونِ وَكَسْرِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ فَمَثْنَاءِ تَحْتِيَةٍ بِمَآكِنَةِ فَمَثْنَاءِ فَوْقِيَةٍ - ابْنُ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ ، أَبُو الْهَيْثَمِ

(١) لِهَادَةِ مِنْ أَسَدِ الْغَابَةِ (ج ٤ ص ١٩٥) .

(٢) زِيَادَةُ مِنْ أَسَدِ الْغَابَةِ (ج ٤ ص ٢١٨) .

(٣) فِي الْجُمُحَةِ ص ٣٤١ : ابْنُ عَلِيٍّ يَدُلُّ مِنْ ابْنِ غَنَمٍ .

(٤) زِيَادَةُ مِنْ أَسَدِ الْغَابَةِ ج ٤ ص ٢٤٥ .

(٥) زِيَادَةُ مِنَ الْجُمُحَةِ ص ٣٤١ .

(٦) عَلَى سَارِدَةَ : ابْنُ أَسَدٍ وَلَمْ يَجِدْ هَذَا فِي مِثَالَةِ نَسَبِهِ فِي كِتَابِ الرِّجَالِ .

(٧) هَذَا التَّضْيِيقُ مَذْكُورٌ فِي الْإِصَابَةِ ج ٥ ص ٣٠٨ .

(٨) عَامِرٌ فِي الْإِصَابَةِ ج ٧ ص ٢٠٩ وَلَيْسَتْ فِي أَسَدِ الْغَابَةِ ج ٤ ص ٢٧٤ .

(٩) زِيَادَةُ مِنْ أَسَدِ الْغَابَةِ ج ٤ ص ٢٧٤ .

الأوسى . مالك بن النخشم / بدال مهملة مضمومة فحاء ساكنة فشين مضمومة معجمتين ٤٠٢ ظ
فميم ويقال بالنون بدل الميم ويقال كذلك بالتصغير . - ابن مالك بن غنم [بن عوف^(١)]
ابن عمرو بن عوف ، وقيل في نسبه غير هذا^(٢) . قال أبو عمر^(٣) : لا يصح منه النفاق
فقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع من اتهامه بذلك . مالك بن رفاعه بن عمرو بن زيد ،
ذكره الأُموي ، كذا في العيون ولم أره في التلخيص . لابن الجوزي ولا في المُجَالَة للبرهان
النووي ولا في الإصابة للحافظ . مسعود بن يزيد بن سُبَيْع بن خنساء - ويقال سنان - ابن
عُبَيْد بن عَدِي بن كعب بن غنم بن كعب بن سَلَمَة السَلَمِيَّ . . مُعَاذ - - بضم أوله وبالذال
المعجمة - ابن جَبَل - بفتح الجيم والموحدة - ابن عمرو بن أوس^(٤) بن عايد - بالثناة
التحتية والذال المعجمة - ابن عَدِي بن كعب بن عمرو بن أَدَى - بضم الهزعة وفتح الدال
المهملة وتشديد المثناة التحتية - ابن سعد بن عُلَى - بضم العين المهملة وفتح اللام - ابن
أَسَد بن ساردة بن يزيد بن جُشَم^(٥) بن الخزرج ، أبو عبد الرحمن الخزرجي الجُشَمِي ،
الإمام المُقَدِّم في علم الحلال والحرام رضى الله تعالى عنه . مُعَاذ بن الحارث بن رفاعه بن
الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النخشم الخزرجي ، يُعْرَف بِأُمِّهِ عَفْرَاء .
بِعَاذ بن عمرو بن الجَمُوح - بفتح مفتوحة فميم قواو - ابن زيد بن حرام بن كعب بن
غنم بن كعب بن سَلَمَة الخزرجي السَلَمِي . مَخْبِل - بيم مفتوحة فميم ساكنة مهملة ففأب
مكسورة فلام - ابن المُنْبِر بن سَرَح - بسين فراء فحاء مهملات - ابن جُنَاس بن سَبَّان
[بن عبيد^(٦)] بن عدى بن غنم السَلَمِي^(٧) ، معن بن عَدِي بن الجَلَّة - بفتح الجيم وتشديد
الدال المهملة - ابن العَجَلَان بن ضُبَيْعَة - بضم الضاد وفتح الموحدة وسكون التحتية

(١) زيادة من أسد الغابة ج ٤ ص ٢٧٨ .

(٢) قيل في نسبه : مالك بن النخشم بن مالك النخشم بن مرثدة بن غنم .

(٣) في ت و م ابن عمر والتصويب من ط والإصابة ج ٦ ص ٢٣ .

(٤) في ت و م : أسد والتصويب من ط وابن هشام ج ٢ ص ٧٢ .

(٥) ذكر المؤلف بعد جشم : ابن عدى بن نابت ولم نجد فيها لدينا من المراجع هذه الأسماء في سبأته نسبه .

(٦) زيادة من الإصابة ج ٦ ص ١٢٦ .

(٧) بعد السلمي أضاف ابن حجر أن ابن إسحق ذكره فيمن شهد بدرا .

وبالعين - [ابن حارثة بن ضَبَيْعَة^(١)] بن حَرَام بن جُثَل - بضم الجيم وسكون العين المهملة - ابن عَمْرُو بن جشم بن رَذَم بن دُبَيَّان بن هُمَيْم - بضم الهاء مُصَغَّرًا - ابن دُهَل - بضم الذال المعجمة - [ابن هَنِي بن بَكِي]^(٢) البُلُوْى ، حليف [بنى عَمْرُو بن عوف^(٣)] . مُعَوَّذ - بالذال المعجمة بلفظ اسم الفاعل - ابن الحارث بن رِفاعَة ، ويُعرَف بِأُمِّه عَمْرَاء . المُنْبِر بن عَمْرُو بن خُنَيْس بن حارثة بن لَوْذَان بن عبلود بن زيد بن ثعلبة بن الخرج بن ساعدة ابن كعب بن الخرج الساعدي^(٤) .

النون : النعمان بن عَمْرُو بن رِفاعَة بن الحارث بن سواد [بن مالك^(٥)] بن غَنَم بن مالك بن النَجَّار . نَير بن بهير - بالموحدة ، [وهو نَير بن الهيثم - من بني نَابِي بن مجدعة ابن حارثة بن الحارث بن الخرج بن عَمْرُو بن مالك بن الأوس الأوسى^(٦)] .

الهاء : هاتئ - همزة آخره - ابن نِيار - بكسر النون وتخفيف المثناة التثنية . وآخره واء - ابن عَمْرُو بن عُبَيْد بن كِلَاب بن دُهْمَان - بدال مهلة مضمومة فهاء ساكنة - [بن غَنَم^(٧)] بن دُبَيَّان - بدال معجمة مكسورة ويجوز ضمها فمؤخدة ساكنة فمثناة كَحِثَّة وآخره نون - ابن هُمَيْم - بياء مضمومة فميم مفتوحة فمثناة تحتية فميم أخرى - ابن كَاهِل - بِكسرة الهمزة - ابن دُهَل - بضم الذال المعجمة وسكون الهاء - ابن هَنِي^(٨) - بفتح الهاء وكسر التَّوْن وتشدِيد التثنية - ابن بَكِي - بالموحدة واللام وزان عَلِيّ - ابن عَمْرُو بن الحَاف - بِالْحَاءِ المهملة والفاء ومنهم من يكسر همزته ويقطعها ومنهم من يجعل الألف واللام فيه

(١) زيادة من أسد الغابة ج ٤ ص ٤٠١ .

(٢) في الأصل : حليف الأنصار وأثبتنا عبارة ابن الأثير لأنها أكثر تعديداً .

(٣) أثبت ابن هشام (ج ٢ ص ٥٢ و ٧٤) وابن الأثير (أسد الغابة ج ٤ ص ٤١٠) ابن حارثة وأنقطها ابن الكلبي وابن مندو وأبو نعيم فقالوا : خنيس بن لوذان والمنذر هو الذي لقب بالملق يموت أي المسرع إلى منته نظراً إلى ما صنعه في بئر معونة .

(٤) زيادة من أسد الغابة (ج ٥ ص ٢٧) وجوامع السيرة ص ١٤٢ .

(٥) أثبتنا اسمه المشهور به وهو نَير بن الهيثم وكذلك نسبته نقلاً عن ابن الأثير (أسد الغابة ج ٥ ص ٤٣) وجوامع

السيرة ص ٧٨ .

(٦) زيادة من الإصابة (ج ٦ ص ٢٧٨) وأسد الغابة (ج ٥ ص ٥٢) . وجوامع السيرة ص ٧٨ .

(٧) في جوامع السيرة ضبطت هني بضم الهاء وفتح التَّوْن وتشديد الياء .

للتعريف منزلة اسم الفاعل من حَفِيَ يَحْفَى - ابن قُصَاعَة - بضم القاف وبالفصاد المعجمة حليف [لبنى حارثة من^(١)] [الأنصار^(٢)].

المُنْتَهَا التحتية : يزيد بن ثعلبة بن خَزَمَة - يَفْتَحُ المعجمتين قاله الدارقطني ، وقال ابن إسحق وابن الكلبي بسكون الزاي - ابن أَصْرَمَ بن عَمْرُو بن عَمَّارَة - بفتح أوله والتشديد - ابن مالك البلوي أبو عبد الرحمن حليف [بني سالم بن عوف بن الخُزْجِج^(٣)] .
يزيد بن خُثَّام - بخاء مكسورة وذال معجمتين ، ويقال حرام بالحاء والراء المهملتين - ابن سُبَيْع - بموحدة مُصَفَّرًا - ابن خنساء بن سنان بن عُبَيْد بن عَدِي بن غنم بن كعب ابن سَلَمَة الخُزْجِجِ السلمي . يزيد بن عامر بن حديد - بالحاء المهملة - ابن غَنَمَ بن سواد ابن [غَنَم^(٤)] بن كعب بن سلمة أبو المُنْثَلِرِ الخُزْجِجِ السلمي . يزيد بن المنذر بن سَرَح - بمهملات - ابن خُنَّاس بن سنان [بن عُبَيْد بن عدي^(٥)] بن غَنَمَ بن كعب بن سلمة الخُزْجِجِ السلمي .

الكُنَى : أبو سنان بن صبيح بن صخر بن خنساء بن سنان بن عُبَيْد [بن عدي^(٦)] ابن غَنَمَ بن كعب بن سَلَمَة .

النساء : أسماء بنت عمرو بن عدي بن نافي بن سواد بن غَنَمَ بن كعب بن سلمة ، أم منيع السلمية . نسبية / بفتح النون وكسر السين المهملة - بنت كعب بن عَمْرُو بن عوف ٤٠٣ و ابن عَمْرُو بن مبلول [بن عمرو] بن غَنَمَ بن مازن ، أم عمار^(٧).

(١) زيادة من أسد الغابة ج ٥ ص ١٤٦ .

(٢) نسي المؤلف أن يذكر الكنية التي اشتهر بها هاني بن تيار وهي أبو بردة .

(٣) في الأصل حليف الأنصار وأثبتنا ما أورده ابن الأثير .

(٤) زيادة من أسد الغابة ج ٥ ص ١١٦ .

(٥) زيادة من الإصابة ج ٦ ص ٣٤٧ وأسد الغابة ج ٥ ص ١٢١ .

(٦) زيادة من أسد الغابة ج ٥ ص ٢٢٢ .

(٧) زاد ابن حجر في الإصابة (ج ٨ ص ١٩٨) أنها مشهورة بكنيتها واسمها ما .

الباب التاسع

في إسلام عمرو بن الجموح

بفتح الجيم وبالحاء المهمله رضى الله تعالى عنه

قال ابن إسحق وغيره : لما قُلبم النفر الذين يابِعُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أظهروا الإسلام بالمدينة ، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك ، منهم عمرو بن الجموح [بن زيد بن حرام بن كعب بن عثم بن كعب بن سلمة السلمي من بني جشم بن الخزرج ^(١)] . وكان ابنه مُعَاذ بن عمرو شهد العقبة ويايَع رسول الله صلى الله عليه وسلم [بها ^(٢)] . وكان عمرو (بن الجموح) ^(٣) سيداً من سادات بني سلمة [وشريفاً من أشrafهم ^(٤)] ، وكان قد اتخذ في داره صَنَمًا من خشب يُعَظَّمه يقال له : مناة [كما كانت الأشراف يصنعون تتخذ إلهاً تُعَظَّمه وتُظَهَره ^(٥)] .

فلما أسلم فتيان بني سلمة : مُعَاذ بن جبل ومُعَاذ بن عمرو في فتیان منهم ممن أسلم وشهد العقبة ، كانوا يُدْجِون بالليل على صَنَمٍ حَمَرُوْا ذلك فيحملونه ويطرحونه في بعض حُفْرٍ بني سلمة وفيها عِلَر الناس ، مُنْكَسًا على رأسه ، فإذا أصبح عمرو قال : وَيَحْكُمُ آءٌ من عَدَا على آلهتنا هذه الليلة ؟ قال : ثُمَّ يَغْدُوْا يَلْتَمِسُه حَتَّى إِذَا وَجَدَه غَسَلَه وَطَهَرَه وَطَبَّيَه ، ثُمَّ قال : أما والله لو أعلم مَنْ فَعَلَ بِكَ هذا لَأُخْرِيتَه . فإذا أَمسى ونَامَ عَدَاْوا عليه ففعلوا به مثل ذلك ، [فَيَغْدُوْا فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى فَيَغْسِلُه وَيُطَهِّرُه وَيُطَبِّبُه ثُمَّ يَغْدُوْنَ عليه إذا أَمسى فيفعلون به مثل ذلك] ^(٦) فلما أَكْثَرُوا عليه استخرجه من حيث أَلْقَوْه يومًا فغسله وَطَهَرَه وَطَبَّيَه ، ثُمَّ جَاءَ بِسَيْفِه فَعَلَقَه عليه ثُمَّ قال له : إني والله ما أعلمُ مَنْ يصنع بِكَ ما أرى ، فإن كان فيكَ خَيْرٌ فامْتَنِعْ بهذا السيف مَعَكَ . فلما أَمسى ونَامَ عَمَرُوْا عَدَاْوا عليه فَأَخَذُوا السيف من عُنقه ثُمَّ أَخْلَوْا كَلْبًا مَيْتًا فَقَرَّتُوْه به بِجَبَلٍ ثُمَّ أَلْقَوْه فِي بَيْتٍ مِنْ

(١) تكله نسه من ابن هشام (ج ٣ ص ٦١) وأسد الغابة (ج ٤ ص ٩٤) ...

(٢) زيادة من ابن هشام . (٣) زيادة من ابن هشام .

من آبار بنى سلمة فيها عَليٌّ من عَليِّ الناس . وَغَدَا عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ يَلْتَمِسُهُ فَلَمْ يَجِدْهُ
 فِي مَكَانِهِ ، فَخَرَجَ يَتَّبِعُهُ حَتَّى وَجَدَهُ فِي تِلْكَ الْبُحْر مُتَكَسِّبًا مَقْرُونًا بِكَلْبٍ مَيِّتٍ . فَلَمَّا رَأَاهُ
 أَبْجَهَ شَأْنُهُ ^(١) ، وَكَلَّمَهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَسْلَمَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَحَسُنَ لِإِسْلَامِهِ . فَقَالَ حِينَ
 أَسْلَمَ وَعَرَفَ مِنَ اللَّهِ مَا عَرَفَ [وَهُوَ يَذْكُرُ صَمَمَهُ ذَلِكَ وَمَا أَبْصَرَ مِنْ أَمْرِهِ وَيَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى
 الَّذِي أَنْقَذَهُ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْعَمَى وَالضَّلَالَةِ] ^(٢) :

وَاللَّهُ لَوْ كُنْتُ لِلْهَأْ لَمْ تَكُنْ . أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسَطٌ يَنْتَرُ فِي قَرْنٍ
 أَقْبَى لِمَلَأَكَ لِلْهَأْ مُسْتَدَنٌ . الْآنَ فَتَشْتَاكُ ^(٣) عَنْ سِوَةِ الْغَيْنِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ ذِي الْمِيزَنِ . الْوَاهِبِ الرِّزَاقِ ذِيانَ الدِّينِ
 هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَكُونَ فِي ظُلْمَةٍ قَبْرِ مُرْتَهَنٍ

[بِأَحْمَدَ الْمَهْدِيِّ النَّبِيِّ الْمُؤْتَمِنِ] ^(٤)

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : في الزهر قول عَمْرُو : « لَوْ كُنْتُ لِلْهَأْ لَمْ تَكُنْ » فيه عيب يسمى : سِنَادُ
 الإِشْبَاعِ ^(١) وهو تغيير حركة الدخيل فالضمة مع الكسرة غير معيب والفتحة مع واحد
 منهما معيب والمذكور في الرَّجَزِ معيب بغير شك لأنه جمع بين الفتح والضم في قوله :
 فِي قَرْنٍ ^(٢) .

(١) : في أسد الغابة ج ٤ ص ٩٤ : أبصر وفقه .

(٢) : زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٦٢ و ٦٣ .

(٣) : في أسد الغابة : فلنشكك من شئنا يشكوه شيئاً وشئاناً ، من باب فتح ، أبغضه وتبعه . . .
 (٤) : في الأصول : سناد : الإِشْبَاعُ وصوابه ما أتبعناه . والسناد عند ابن قتيبة هو أن يخلف إرث القواني (مقبلة
 الشطر وللشعراء تحقيق المستشرق ديمويين بازيث سنة ١٩٤٧ م ص ٣٠) وفي تاج المروس : الإِشْبَاعُ في القواني حركة الدخيل
 وهو الحرف الذي يهمل التأسيس وقيل هو اختلاف تلك الحركة إذا كان الريد مقيداً وقال الأخفش الإِشْبَاعُ حركة الحرف الذي
 بين التأسيس والرويد المطلق . وفي حاشية السهوي على متن الكافي في علمي العروض والقواني (بولاق سنة ١٣٨٥ هـ ص
 ١٣٤ : ١٣٥) : السناد هو اختلاف ما يراعى قبل الرويد من الحروف والحركات وهو خمسة أقسام : سناد الريد وسناد
 التأسيس وسناد الإِشْبَاعِ وسناد الحذف وسناد التوجيه . أما سناد الإِشْبَاعِ فهو اختلاف حركة الدخيل أي يجر كين بتقاربتين
 في القتل وذلك الضمة مع الكسرة أو متباعدتين فيه وذلك الفتحة مع أحداهما . والثاني أفتح من الأول ، بل قيل إن الأول ليس
 بمعيب . وأما سناد الإِشْبَاعِ فهو اختلاف حركة الدخيل بضم وكسر أو بفتح وغيره كما ذكره الشيخ الصبان وغيره .
 (٥) : قيل ذلك في ط الجزء الأول من سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد تأليف سيدنا وشيخنا الإمام العالم
 للعلامة بمجاعة المحققين الشيخ محمد بن يوسف بن علي الشافعي الصالحي نزيل بريقية الصحراء من القاهرة ودفن بموحى . بها
 رحمه الله تعالى آمين .

الثاني : في بيان غريب ما سبق :

« مناة » [وَزَنَتْهُ فَعَلَةٌ ^(١)] من مَنَيْتُ الدَّمَ وَغَيْرَهُ إِذَا صَبَبْتَهُ لِأَنَّ الدَّمَ كَانَتْ تُمْنَى عَنْده
أَي تَصَبَّ تَقَرُّباً إِلَيْهِ . « الْعَنَرِ » بفتح العين المهملة وكسر الذال المعجمة جمع عَدْرَةٍ
الخروء . « الْقَرَن » بفتح القين المعجمة . « مُسْتَدَنَّ » بفتح المثناة الفوقية والذال المهملة معناه
ذَلِيل مُسْتَعْبَد ذكره في الإملاء قال في الروض : هو من السَّدَانَةِ وهي خُلعة البيت وتعظيمه
« الْغَيْن » بفتح الغين المعجمة والباء [الموحدة] يُقَال : غَيْنَ رَأْيَهُ كَمَا يُقَال سَفِهَ نَفْسَهُ ،
فَتَصَبَّوْا لِأَنَّ الْمَعْنَى خَيْرَ نَفْسِهِ وَأَوْبَقَهَا وَأَفْسَدَ رَأْيَهُ ونحو هذا ^(٢) . « الدَّيْن » بكسر الدال
المهملة جَمْعُ دَيْنَةٍ وهي العادة وَيُقَالُ لَهَا دَيْنٌ أَيْضاً ، ويجوز أن يكون أراد بالدين الأديان
٤٠٣ ظ أي هو دِيَانُ أَهْلِ الْأَدْيَانِ ، ولكن جَمَعَهَا / على الدَّيْنِ لِأَنَّهَا يَلْتَلِ وَيَحُلُّ ^(٣) والله أعلم بالصواب
ولِإِلَهِ الْمَرْجِعِ وَالْمَلَأَبْ وَإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ^(٤) .

(١) زيادة من السهيل (١٦ ص ٢٧٩ و ٢٨٠) التي نقل عنه للزُّلْفِ وقد أضاف السهيل في شرحه لكلمة مناة ،
ومن حيث الأصنام الذي .

(٢) في الصحاح في مادة غين : الغَيْنُ بالسكون في البيع والنَّيْنُ بالتحريك في الرأى وفي المضباح غينه يغينه غيناً من باب
ضربها بفتحها ونقصه ، وغَيْنَ رَأْيَهُ غَيْناً من باب تصب قلت فطنته وذكرناه . وفي الصحاح مادة سفه : وقولهم سفه نفسه وغين
رأيه فُيْطَرُ مَحْذُوفٌ ورشد أمره كان الأصل : سفهت نفس زيد ورشد أمره فلما حول الفعل إلى الرجل انتصب ما بعده بوقوع الفعل
عليه لأنه صار في معنى سفه نفسه بالتشديد . هذا قول البصريين والكسائي ، ويجوز عندهم تقديم هذا المنصوب كما يجوز
فلإساره فترادف زيد : وقال القراء : لما حول الفعل من النفس إلى صاحبها خرج ما بعده مفعلاً ليدل على أن السفه فيه وكان
مُحْذَوفاً أَنَّهُ يَكُونُ سَفِهَ زَيْدٌ نَفْساً لِأَنَّ الْمَفْسَرَّ لَا يَكُونُ إِلَّا نَكْرَةً وَلَكِنَّهُ تَرَكَ عَلَى إِضَافَةٍ وَنَصَبَ كَنَصَبِ النُّكْرَةِ تَشْبِيهاً بِهَا ،
وَلَا يَجُوزُ مَعْنَى تَقْدِيمِهِ لِأَنَّ الْمَفْسَرَّ لَا يَقْتَضِي وَحْطَهُ قَوْلُهُ خَفَّتْ بِهِ ذُرْعاً وَطَبَتْ بِهِ نَفْساً وَالْمَعْنَى خَفَّتْ ذُرْعِي بِهِ وَطَبَتْ نَفْسِي بِهِ .
(٣) شبه السهيل هذا بالقول في جمع الحرة حرارٌ « لأنهن في معنى الكرائم والمقاتل وكذلك مرائر الشجر وإن كانت
الواحدة مرة وَلَكِنْ كُنَّ فِي مَعْنَى فَعِيلَةٍ لِأَنَّهَا عَصِيْرَةٌ فِي اللَّوْقِ وَشَدِيدَةٌ عَلَى الْإِكْلِ وَكَرَجَةٌ إِلَيْهِ (الروض الألف ١٦ ص ٢٨٠) .
(٤) يدل ذلك في م : فيجز الجزء الأول من السيرة الشامية على يد مكلة أفقر العباد وأحوجهم لمولاه ، التي عن كل
نفس سواه : على ما لم ين الشيخ محمد سالم ، غفر الله له ولوالديه والسلمين آمين والحمد لله رب العالمين وصلَّى الله على سيدنا محمد
الذي لا اله الا هو وصحبه وسلم .

جُمَاعُ أَبْوَابِ الْحَجَّةِ إِلَى الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ

الباب الأول

٤٠٤ ظ

في إذن النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين في الهجرة إلى المدينة

روى ابن سعد عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف [وعن عروة عن ^(١)] عائشة رضي الله عنهما قال : لما صدّر السبعون من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طابت نفسه وقد جعل الله له منعة وقوما أهل حرب [وعدة ^(٢)] ونجدة ، وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين لما يعلمون من الخروج ^(٣) فضيقوا على أصحابه وتعبوا ^(٤) بهم ، ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى ، فشكا ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنوه في الهجرة ، فقال : « قد أريت دار هجرتكم ، أريت سبعة ذات نخيل بين لابتين » - وهما الحرتان - « ولو كانت السراة أرض نخيل وسياح لقلت هي هي » ثم مكث أياماً ثم خرج إلى أصحابه مسروراً فقال : « قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب ، فمن أراد الخروج فليخرج إليها » فجعل القوم يتجهزون ويتوافقون ^(٥) ويتواسون ويخرجون ويخفون ذلك . فكان أول من قِيم المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سلمة بن عبد الأسد ^(٦) - بسين ودال مهملتين . قال ابن إسحق : « هاجر إلى المدينة قبل بيعة العقبة بسنة . وحُيِّت عنه امرأته أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة

(١) زيادة من طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢١٤

(٢) في ط : الخروج بدلاً من الخروج .

(٣) في الأصول : وتجهزوا وأتبعنا أويده ابن سعد حيث نقل عنه المؤلف .

(٤) في طبقات ابن سعد : ويتوافقون .

(٥) هو أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واسمه عبد الله وهو من المهاجرين من قريش من بني مخزوم ، وكان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكة من أرض الحبشة فلما أدته قريش وولاه إسلامه أسلم من الكوفة . خرج إلى المدينة مهاجراً ، انظر ابن هشام ج ٢ ص ٧٧ وقال ابن الأثير في أسد الغابة (ج ٢ ص ٢١٨) إن أمه هي برة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، فهو ابن عمه الذي صلى الله عليه وسلم .

بمكة نحو سنة ثم أذن^(١) لها بنو المغيرة الذين حبسوها في اللحاق بزوجها فانطلقت وحدها
 ٤٠٥ و مهاجرة حتى إذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة [بن أبي طلحة^(٢)] / أخا بني عبد الدار
 وكان يومئذ مشركاً وأسلم بعد ذلك ، فشيعها حتى إذا أوفى على قرية بني عمرو بن عوف
 بقباء قال لها : هذا زوجك في هذه القرية . ثم انصرف راجعا إلى مكة ، فكانت تقول :
 ما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة ، كان إذا بلغ المنزل أناخ في ثم
 استأخر عني حتى إذا نزلت عنه استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجرة ، ثم أتى
 إلى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فركله^(٣) ، ثم استأخر
 عني وقال : ارتكبي . فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأتخذ بخطابه فقادني^(٤) ، فلم يزل
 يضيئ ذلك لي حتى أقدمتني المدينة^(٥) . [

وقيل أول المهاجرين مصعب بن عمير . روى البخاري في صحيحه ، والحاكم في
 الإكمال عن البراء بن عازب قال : « أول من قدم علينا المدينة من المهاجرين مصعب بن
 عمير » . وروى ابن إسحق وابن سعد : « ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة :
 عامر بن ربيعة [حليف بني عدي بن كعب^(٦)] ، معه امرأته ليلى بنت أبي حنمة^(٧) - بالحاء
 المهملة المفتوحة وسكون التاء الثلاثة - قالوا : وهي أول ظئينة قدمت المدينة » .

قال ابن إسحق : « ثم عبد الله بن جحش^(٨) احتمل بأهله وبأنجبه . أبي أحمد عبد بن

أب (١) روى طبري ابن إسحق في سبب إطلاقها أنها قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فإذا أبوك حتى
 مني ، سنة أو قريباً منها حتى مر بي رجل من بني أمية أحد بني المغيرة ، فرأى ما بي فرحماني فقال ليبي المغيرة : ألا تخرجون
 من هذه المسكنة فرقم بينها وبين زوجها وبين ولدها قالت فقالوا له : الحق بزوجك إن شئت ابن هشام ج ٢ ص ٧٧ .
 (٢) زيادة من ابن هشام .

(٣) دخل البعير برحله ودخل ورحلته من باب فتح جمل عليه الرجل والرجل هو ما يوضع على ظهر البعير للركوب
 وكل شيء يده الرجل .

(٤) في ابن هشام : فقادني . (٥) زيادة من ابن هشام .

(٦) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٧٨ .

(٧) هي ليلى بنت أبي حنمة بن حذيفة بن غاث بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن علي بن كعب بن لؤي القرشية
 العذرة امرأة عامر بن ربيعة . وهي أم ابنه عبد الله بن عامر وبه كانت تكنى وكانت من المهاجرات الأول خارجت المبعرتين
 إلى الحبشة وإلى الحبشة وصلت القبليين . انظر ، أسد الغابة ج ٥ ص ٥٤١ .

(٨) هو عبد الله بن نضال بن زوقاب بن يعمر بن مبرة بن كعب بن ظم بن دودان بن أسد بن خزيمه حليف
 بني أمية بن عبد شمس ، انظر ابن هشام ج ٢ ص ٧٨ .

جَحْش - بإضافة عَبد إلى ابن جَحْش - وكان أبو أحمد رجلاً ضريب البَصَر ، وكان بطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعراً ، وكانت عنده القارعة ابنة أبي سفيان بن حرب ، وهاجر جميع بنى جحش بنسائهم فعلاً أبو سفيان على دارهم^(١) فتعلَّكها ، قال بعضهم : إنه باعها من عمرو بن علقمة أخى بنى عامر بن لؤى ، فذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا ترضى يا عبد الله أن يُعطيك الله بها داراً في الجنة خيراً منها ؟ » قال : بلى . قال : « فذلك لك . » ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكةَ كَلَّمَهُ أبو أحمد في دارهم ، فأبْطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال الناس لأبي أحمد : يا أبا أحمد إن رسول الله يكره أن ترجعوا في شيء أُصيب منكم في الله . فأمسك الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحق : وكان بنو غنم بن دودان أهل لإسلام ، قد أُوْعِبُوا إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هِجْرَةَ رِجَالَهُمْ ونساؤهم : [عبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد ابن جحش ، وعكاشة بن محصن وشجاع وعُقْبَةُ ابنا وهب وأريد بن حُمَيْر]^(٢)

وروى ابن السمان في « الموافقة » عن علي^(٣) رضي الله عنه قال : ما عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا من المهاجرين هاجر إلا مختفياً إلا عُمَرَ بن الخطاب فإنه لما هَمَّ بالمهجرة تَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَتَنَكَّبَ قَوْسَهُ وانتضى في يده أسنماً واختصر عِزَّتَهُ^(٤) ، ومضى قِبَلَ الكعبة ، والملا من قريش بفِئَاتِها فطاف بالبيت سَبْعاً [متمكناً^(٥)] . ثم أتى المقام فصلى ركعتين^(٦) ، ثم وكَّفه

(١) في الأصول : فدا أبو سفيان علياً ، والسياق يقتضى النص على كلمة : دارهم لمعرفة الشيء الذي عدا عليه أبو سفيان ، هذا وكلمة فقدأ مصحفة وسوابها بالعين المهملة من عدا على الشيء ينلو عداً وعلوئاً غصبه وسرقه .

(٢) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ٨٠) وأثبتنا ضبط ابن هشام لاسم أريد بن حمير ، وفي رواية وهب بن جرير عن أبيه عن ابن إسحق : ابن حمزة وكذلك رواية يونس بن بكير عن ابن إسحق ، ورواه ابن سعد عن ابن إسحق أريد بن حمير يضم الحاء المهملة وفتح الميم وتشديد اللام الحنية وآخره راء قاله الأمير أبو نصر بن ماكولا ، انظر أسد الغابة ج ١ ص ٥٨ هذا وقد أورد ابن حجر جانباً من هذه الخلافات في اسم أريد في الإصابة ج ١ ص ٢٥ .

(٣) أورد ابن الأثير في أسد الغابة (ج ٤ ص ٥٨) إسناداً مطولاً لرواية علي بن أبي طالب تذكر جانباً منه فيما يلي : جدنا عبد الله بن القاسم الأمل عن أبيه عن عقيل بن خالد عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن عبد الله بن عباس قال : قال لي علي بن أبي طالب : ثم ذكر ما رواه .

(٤) اختصر أى أسك المخرصة والمززة في النهاية (ج ٣ ص ١٢٢) هي مثل نصف الرمح أو أكبر شيئاً وفيها سنان مثل سنان الرمح والمكازة قريب منها . واختصر عزته أى حملها مضبومة إلى خاصرتها .

(٥) زيادة من أسد الغابة ج ٤ ص ٥٨ .

(٦) في أسد الغابة : فصل متمكناً .

على الحَلَكِ واحدةً واحدةً وقال لهم : شَهِتَ الوجوه ، لا يُرْغِمُ الله إلا هذه المعاطس ، من أراد أن يُغْمَلَ أمه أو يُؤْتَمَ وَلَدَهُ أو يُرْمَلَ زوجته فَلْيَلْقَنِى وراء هذا الوادى . قال على رضى الله عنه : فلم يتبعه أحدٌ إلا قوم من المُسْتَضْعِفِينَ عَلَّمَهُمْ ما أُرْسَدَهُمْ إليه ثم مضى لوجهه . وزوى ابن إسحق : [حدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر عن أبيه ^(١)] : عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال : اتَّعَدْتُ لما أَرَدْنَا الهجرة إلى المدينة أَنَا وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ وَهشامُ بن العاصِ [بن وائل ^(٢)] السَّهْمِيُّ التَّنَاضُبُ من أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ فوق سَرِفٍ ، وَقُلْنَا : أَيُّنَا لَمْ يُصْبِحْ غِنْدَهَا فَقَدْ حُسِبَ فَلْيَمْنُصْ صاحباهُ . قال : فَأَصْبَحْتُ أَنَا وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ عِنْدَ التَّنَاضُبِ وَقَطِنَ هِشَامُ قَوْمَهُ فَجَبَسُوهُ عَنِ الهجرة وَفَتَنَ فَاغْتَتَنَ . ثم إنَّ أَبَا جَهْلٍ وَالْحَارِثَ بنَ هِشَامٍ - وَأَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ - خَرَجَا حَتَّى قَدِمَا المدينة ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَكَّةَ ، فَقَالَا لِعِيَّاشِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ وَكَانَ ابْنُ عَمِّهِمَا وَأَخَاهُمَا لِأُمِّهِمَا : إِنَّا أُمَمٌ قَدْ تَلَرَجَتْ أَلَّا يَمَسَّ رَأْسُهَا مُشْطٌ حَتَّى تَرَكَ وَلَا تَسْتَظِلَّ مِنْ شَمْسٍ حَتَّى تَرَكَ ، فَفَرَّقَ لَنَا . فَقُلْتُ لَهُ : يَا عِيَّاشُ إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ يَرِيدُكَ الْقَوْمُ إِلَّا لِيَفْتَنُوكَ عَنْ دِينِكَ فَاتَّخِذْهُمْ ، فَوَاللَّهِ لَوْ قَدْ آذَى أُمَّكَ الْقَمَلُ لَا مَتَشَطْتُ ، وَلَوْ قَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهَا حَرٌّ مَكَّةَ لَأَسْتَظَلْتُ . فَقَالَ : أَبُورِقَسَمٍ أَيُّى وَلَى هَذَاكَ مَا لَمْ يَخْلُصْهُ . فَقُلْتُ : . وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ . [لَمْ يَنْ ^(٣)] أَكْثَرَ قَرِيْبَهُمَا مِلًّا . فَلَمَّا نَصَفَ مَالِي وَلَا تَذْهَبُ مَعَهُمَا . فَلَبَّى عَلَىَّ إِلَّا أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمَا ، فَلَمَّا أَبَى إِلَّا ذَلِكَ فَهَلَفْتُ : . أَمَا إِذَا قَدْ قَتَلْتِ مَا فَعَلْتُ فَقَدْ نَاقَتِ هَذِهِ فَلَمَّا نَاقَتْ نَجِيبَةَ ذُلُولٍ فَالْزَمِي ظَهْرَهَا ، فَإِنْ رَأَيْتَ مِنَ الْقَوْمِ رَيْبَ فَانْجِ عَلَيْهَا ، فَخَرَجَ [عَلَيْهَا] مَعَهُمَا ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بَعْضُ الطَّرِيقِ قَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ : وَاللَّهِ يَا أَخِي لَقَدْ اسْتَغْلَطْتُ بِعَمْرِي هَذَا ، أَفَلَا تُعْقِبُنِي عَلَى نَاقَتِكَ هَذِهِ ؟ قَالَ : بلى .

٥٥٥ . قَالَ غُلَانَاخُ وَأَنَاخَا لِيَتَحَوَّلَ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا اسْتَوَوْا بِالْأَرْضِ عَدُوا عَلَيْهِ فَأَوْتَقَاهُ رِبَاطًا وَفَتَنَاهُ فَاغْتَتَنَ وَدَخَلَ بِهِ مَكَّةَ نَهَارًا مُوْتَقَاً ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ مَكَّةَ هَكَذَا فَاغْلُوا بِسَفْهَانِكُمْ كَمَا فَعَلْنَا بِسَفْهَانَا هَذَا . قَالَ عُمَرُ : فَكُنَّا نَقُولُ : مَا اللَّهُ تَعَالَى بِقَابِلٍ مِمَّنْ افْتَتَنَ صَرَفًا

(١) إسناده رواية ابن إسحق نقله عن ابن هشام ج ٢ ص ٨٤ .

(٢) زيادة من ابن هشام .

(٣) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٨٦ .

ولا عدلاً ولا توبة ، قَوْمٌ عرفوا الله ثم رَجَعُوا إلى الكفر لبلاء أصابهم . قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . فلما قَدِمَ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ) وَأَنِيبُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (١) .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام ابن العاصي . قال : فقال هشام : فلما أتيتني جعلت أقرأها بلدى طوى (٢) أصعد بها فيه وأصوب . ولا أفهمها حتى قلت : اللهم فهنيئها قال : فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت [فيها] وفيها كنا نقول في أنفسنا (٣) . قال : فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقني برسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا ما ذكره ابن إسحق في شأن هشام .

قال ابن هشام : فحدثني من أتى به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالمدينة : « مَنْ لِي بِعِثَاشِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ وَهَشَامِ بْنِ الْعَاصِي ؟ » فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أَنَا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بهما . فخرج إلى مكة فقدمها مستخفياً ، فلقى امرأةً تحمِلُ طِئْلاً فقال لها : آتين ترديدن يا أمة الله ؟ قالت : أريد هِلَيْنِ المحبوسين . فعنيهما ، فتيحها حتى عرف موضعهما ، وكانا محبوسين في بيت لا سقف له ، فلما أمسى تسور عليهما ثم أخذ مروة (٤) فوضعهما تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما ، فكان يقال لسيفه : ذو المروة ،

(١) سورة الزمر الآيات ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ .

(٢) طوى : وادى مكة وضيقها البكرى في منجبه (ج ٢ ص ٨٩٦ يفتح كل من اللام المهملة والواو) .

(٣) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ٨٧) .

(٤) ذكر الواحدي في أمثالي الزول من ٢٧٧ و ٢٧٨ عن ابن عباس قال : نزلت في أهل مكة قالوا يلزم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يضر له فكيف نهجر وتسلم وقد عينا مع الله فلما آخر وقتنا النفس التي حرم الله ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية .. وعن ابن عباس أيها أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد تعلقوا فأكثروا وزلوا ثم أتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن الذي تدعو إليه لحسن إن نغيرنا لما عملناه كفارة فنزلت هذه الآية . رواه البخاري وميزوري أيها أن هذه الآية نزلت في وحشي قاتل نخزة . هذا وقد أبود الواحدي ما رواه نافع عن عبد الله بن عمر عن أبيه عن شبيب أنزل هذه الآيات كما ذكر ابن هشام .

(٥) قال الأصمعي : المزو ونجارة يفض براقة تقطع منها النار ، الواحدة مروة ، وبها سميت المروة بمكة ، ونحن الصنمات المذمومة .

لذلك ثم حملهما على بعيره وساق بهما فَعَثَرَ قَدَمَيْتُ إصبعه فقال :

هَلْ أَنْتَ إِلَّا إَصْبَعٌ دَمِيَتْ ؟ وفي سبيل الله ما لَقِيتُ

ثُمَّ قَدِمَ بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تتابع المهاجرون أرسالا^(١) فنزل
طلحة بن عبيد الله وصُهَيْب بن سنان على خُيْبٍ^(٢) - بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة -
ابن إيساف - بكسر الهمزة - بالسَّحْ ويقال بل نزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن
زُرَّارة :

وروى ابن سعد عن سعيد بن المسيَّب أن صُهَيْبًا حين أراد الهجرة قال له كُفَّار قريش :
أَتَيْنَا صُغْلوكًا حَقِيرًا فَكُتِرَ مَالُكَ عِنْدَنَا وَبَلَّغْتَ الَّذِي بَلَغْتَ ثُمَّ تَرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ بِمَالِكَ
وَنَفْسِكَ وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ . فقال لم صُهَيْب / : أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي أَتَخْلَوْنَ سَبِيلِي ؟
قالوا : نعم . قال : فَإِنِ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي . قال : فَيُلْغِ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فقال : « رِيحٌ صُهَيْبٍ رِيحٌ صُهَيْبٍ »^(٣) .

قال ابن سعد : لما قَدِمَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا فنزلوا في الأنصار
في دورهم وآوؤهم ونصروهم وآسوهم ، وكان سالم مولى أبي حذيفة يَوْمَ الْمُهَاجِرِينَ بِقَبَاءَ
قَبْلَ أَنْ يَقْدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال ابن إسحق وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
بِمَكَّةَ يَمُدُّ أَصْحَابَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤَدَّنَ لَهُ فِي الْهَجْرَةِ ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مَعَهُ بِمَكَّةَ أَحَدٌ
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا مِنْ حُيَيمٍ أَوْ فُتَيْنٍ ، إِلَّا عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ رَضِيَ

(١) في شرح الزرقاني عل المواهب (ج ١ ص ٣١٨) : أرسالا بفتح الهمزة أي أفواجا وفرقا متقطعة واحدهم
رسل يفتح الراء والسين المهملة كما في النور وقال شيخنا : وفيه تغليب فقد خرج كثير منهم متفردين مستغنيين .

(٢) قاله السجستاني (ج ١ ص ٢٨٩) . وذكر نزول طلحة وصُهَيْب على خُيْبٍ بن إيساف ويقال فيه يسافه يياه
مفعولة في غير رواية الكتاب وهو إيساف بن عتبة ولم يكن حين نزول المهاجرين عليه مسلما في قول الواقدي بل تأخر إسلامه
حتى يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يثرب . قال غريب . فخرجت معه أنا ورجل من قومي وقتلنا له : نكره أن
يشهد قوما شهادا لا تفهمهم . فقال : أأسلمت ؟ قلنا لا . فقال : أوجما فإننا لا نستعين بمشرك .

(٣) روى ابن الأثير في ترجمة صُهَيْب (أسد الغابة ج ٣ ص ٣٠ : ٣٣) أن صُهَيْبًا عند هجرته تبعه نفر من المشركين
نقل كنانته وقال لهم : يا مشرك قريش تعلمون أني من أرواكم وواؤه لا تصلون إلى حتى أرميكم بكل سهم مني ثم أضر بكم
يسير ما بين يدي . منه شيء فإن كنتم تريدون مالي فدعكم عليه . قالوا : فدلنا على ماك وبنا ونجلبك عنك فصاعدا على ذلك فدعهم
عليه وعلق برسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ربيع البيع أبا يحيى فأنزل الله (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء
مرضاة الله) (من الآية ٢٠٧ من سورة البقرة) .

الله عنهما . وكان أبو بكر كثيرًا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول له : « لا تَعْجَلْ لعل الله يجعل لك صاحبًا » . فيقطع أبو بكر أن يكونه .

قال ابن سعد : وكان نَفَرٌ من الأنصار بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة الآخرة ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فلما قَدِمَ أول من هاجر إلى قَبَائِمَ خرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، حتى قَدِمُوا مع أصحابه في الهجرة ، فهم مهاجرون أنصاريون وهم : ذُكْوَان بن عبد قيس [بن خَلْدَةَ الزُّرَيْي (١)] ، وَعُقْبَةُ بن وَهَب بن كَلْبَةَ وَالْعَبَّاس [ابن عَبَّادَةَ (٢)] بن نَضْلَةَ وزِيَاد (٣) بن لبيد [بن ثعلبة الخزرجي البياضي (٤)] .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : ذكر ابن إسحاق وابن سعد أن أول من هاجر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبو سَلَمَةَ عبد الله بن عبد الأسد . وروى ابن أبي شَيْبَةَ وَالْبُخَارِيُّ عن البراء بن عازب رَضِيَ الله عنه أنه قَالَ : أول من قَدِمَ علينا المدينة من المهاجرين مُصْعَب بن عُمَيْر . قال الحافظ : « فَيُجْمَعُ بينهما بحمل الأَوَّلِيَّةِ في أحدها على صفة خاصة . فقد جَزَمَ ابن عَقْبَةَ بِأَنَّ أول من قَدِمَ من المهاجرين مطلقاً أبو سَلَمَةَ بن عبد الأسد ، وكان رجوع من الحِشَّةِ إلى مكة ، فَأُوذِيَ بِمَكَّةَ ، فبلغه ما وقع للثاني عشر من الأنصار في العقبة الأولى ، فتوجه إلى المدينة في أثناء السنة ، فَيُجْمَعُ بين ذلك وبين ما وقع في حديث البراء بِأَنَّ أبا سَلَمَةَ خرج لادِّلْقَصْدِ الإقامة بالمدينة بل فراراً من المشركين ، بخلاف مُصْعَب بن عُمَيْر فكان على حية الإقامة بالمدينة » .

الثاني : جَزَمَ أبو عَمَرُ بِأَنَّ لَيْلَى بنت أبي حَكَمَةَ بن غانم أول ظُعِينَةٍ دَخَلَتْ المدينة من المهاجرات ، وقال موسى بن عُقْبَةَ بل أم سَلَمَةَ فالله أعلم .

الثالث : ذكر ابن إسحاق في مهاجرات بنى [غَنَم بن] ذُكْوَان بن أسد : بنات حَيْثُ

(١) زيادة من ابن هشام وابن الأثير .

(٢) في الأصول : زياد بن لبيد والتصويب من الإصابة وأسد النابة .

وذكر فيهن أم حبيبة - بالهاء - وقال السهيلي^(١) : أم حبيب - بغير هاء - وقال أبو عمر : هو قول الأكثر ، قال الحافظ^(٢) : كذا قال . قُلْتُ لَأَنَّ قِصَّتَهَا فِي الاسْتِحْضَاةِ رَوَاهَا الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ وَابْنُ أَبِي ذَثْبٍ كُلُّهُمْ عَنْ الزُّهْرِيِّ : أُمُّ حَبِيبَةَ بِالْهَاءِ وَقَالَ مَعْمَرٌ عَنْهُ : أُمُّ حَبِيبٍ بِغَيْرِ هَاءٍ ، وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِالْهَاءِ . وَقَالَ ابْنُ عَيْنَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ : أُمُّ حَبِيبَةَ أَوْ حَبِيبَ عَلَى الشُّكِّ . فَظَهَرَ مِنْ هَذَا أَنَّ أَكْثَرَ الرِّوَاةِ قَالُوا أُمُّ حَبِيبَةَ بِالْهَاءِ خِلَافًا لِمَا قَالَه أَبُو عَمَرَ . قَالَ فِي الْعَمِيُونِ : « وَأَمَّا ابْنُ عَسَاكَرٍ فَقَعْنده أُمُّ حَبِيبَةَ وَاسْمُهَا حَمْنَةُ فَهِيَ أَيْ بَنَاتُ جَحْشٍ ثِنْتَانِ عَلَى هَذَا » . انْتَهَى . قُلْتُ : كَانَ مُسْتَنْدَ الْحَافِظِ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ دَطْلِجَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أُمِّهِ حَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ قَالَتْ : كُنْتُ أَسْتَحْضِئُ فَذَكَرَ الْحَدِيثُ : فَنُفِثَ وَأُخْبِرَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكَرٍ حَدِيثَ الاسْتِحْضَاةِ تَارَةً يُرْوَى عَنْ حَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ وَتَارَةً يُرْوَى عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ طَرَفًا أَنَّ اسْمَ / أُمِّ حَبِيبَةَ حَمْنَةُ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّ حَمْنَةَ بِنْتَ جَحْشٍ وَكُلَّ مِنْهُمَا اسْتَحْضِئُ . وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَابْنُ سَعْدٍ وَغَيْرُهُمَا بَنَاتَ جَحْشٍ وَسَمَوْنَهُنَّ وَذَكَرُوا أَزْوَاجَهُنَّ ، وَلِهَذَا زَيْدٌ بَيَّنَّ فِي كِتَابِي : « عَيْنُ الْإِصَابَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ » ، أَعَانَ اللَّهُ عَلَى إِكْمَالِهِ .

الرَّابِعُ : ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ نِسَاءِ بَنِي جَحْشٍ : جُدَامَةَ بِنْتُ جَنْدَلٍ . قَالَ السَّهِيلُ :

(١) لَفْظُ السَّهِيلِ (ج ١ ص ٢٨٥) : أُمُّ حَبِيبٍ بِنْتُ جَحْشٍ الَّتِي كَانَتْ تَسْتَحْضِئُ وَكَانَتْ تَحْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ الَّتِي كَانَتْ تَحْتُ مَصْبُوبٍ بِنِ عَمْرِو وَكَانَتْ تَسْتَحْضِئُ أَيْضًا وَقَدْ رَوَى أَنُ زَيْنَبُ اسْتَحْضِئَتْ أَيْضًا وَوَقَعَ فِي الْمَوْطَأِ أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَكَانَتْ تَسْتَحْضِئُ ، وَلَمْ تَكُ قَطُّ زَيْنَبُ عِنْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَوْفٍ ، وَلَا قَالَ أَحَدٌ . وَإِنَّمَا كَانَتْ تَحْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخِيهَا أُمُّ حَبِيبٍ وَيُقَالُ قِيَاهُ : أُمُّ حَبِيبَةَ غَيْرَ أَنَّ شَيْخَنَا أَبَاعَدَ اللَّهُ عَنْهُ ابْنَ نِجَاحٍ أَخْبَرَنِي أَنَّ أُمَّ حَبِيبٍ كَانَتْ اسْمُهَا زَيْنَبُ فَهِيَ زَيْنَابُ غَلَبَتْ عَلَى إِحْدَاهُمَا الْكُتْبَةُ فَقُلْتُ هَذَا لَا يَكُونُ فِي حَدِيثِ الْمَوْطَأِ وَمِمَّا لَا فَلَطَ .

(٢) أَيْ ابْنُ حَبِيبٍ وَقَدْ قَالَ فِي الْإِصَابَةِ (ج ٨ ص ٢٢٢ رَقْمُ ١٢٠٢) : أُمُّ حَبِيبَةَ بَزِيَادَةَ هَاءٍ فِي آخِرِهَا بِنْتُ جَحْشٍ أُمُّ زَيْنَبَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَتْ تَحْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَاسْتَحْضِئَتْ فَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتُ جَحْشٍ خَتَنَ رَسُولَ اللَّهِ اسْتَحْضِئَتْ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَابْتِغَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ الْحَدِيثُ . وَرَوَاهُ مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ فَقَالَ أُمُّ حَبِيبٍ بِنْتُ هَاءٍ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ . وَقَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ إِنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ ، أَوْ أُمَّ حَبِيبَةَ عَلَى الشُّكِّ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتُ جَحْشٍ أَنَّهَا اسْتَحْضِئَتْ فَسَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهَا بِالْتَّمَلِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ فَإِنَّهَا كَانَتْ تَخْرُجُ مِنَ الْمَرْكَنِ وَقَدْ غَلَتْ حِمْرَةَ الدَّمِ عَلَى الْمَاءِ فَتَصَلِّي . وَجَاءَ فِي الْبَهَاةِ ج ٢ ص ١٠١ : فِي حَدِيثٍ حَمْنَةُ كَانَتْ تَجْلِسُ فِي مَرْكَنِ أَخِيهَا وَهِيَ اسْتَحْضِئُ : الْمَرْكَنُ بِكَسْرِ الِمْ الْإِجَابَةُ الَّتِي يَصِلُ فِيهَا الْقِيَابُ وَالْمَاءُ زَائِدَةٌ وَهِيَ الَّتِي تَخْصُ الْأَلَاتُ .

« وَأَحْسَبُهَا جُدَامَةً بِنْتُ وَهْبٍ وَأُمَا جُدَامَةُ بِنْتُ جَنْدَلٍ ^(١) فَلَا تُعْرَفُ فِي آلِ جَحْشِ الْأَسْلَدِيِّينَ وَلَا فِي غَيْرِهِمْ وَلَعَلَّهُ وَهْمٌ وَقَعَ فِي الْكِتَابِ وَأَنَّهَا بِنْتُ وَهْبٍ بِنْتُ مِصْحَنَ بِنْتُ أَخِي عُبَاكَاةَ بِنْتُ مِصْحَنَ ^(٢) . قَالَ فِي الزَّهَرِ : وَهَذَا غَيْرُ لَأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جَرِيرٍ ذَكَرَ جُدَامَةَ فِي الْمَهَاجِرَاتِ ، قَالَ : وَالْمُحَلِّثُونَ قَالُوا فِيهَا : جُدَامَةُ بِنْتُ وَهْبٍ ، وَالْمُخْتَارُ أَنَّهَا بِنْتُ جَنْدَلِ الْأَسْلَدِيَةِ أَخْتُ عُبَاكَاةَ بِنْتُ مِصْحَنَ الْمَشْهُورِ ، وَتَكُونُ أُخْتُهُ مِنْ أُمِّهِ .

وَفِي كِتَابِ الصَّحَابَةِ لِابْنِ حِبَّانَ : جُدَامَةُ بِنْتُ جَنْدَلٍ مِنْ بَنِي غَنَمٍ مِنَ الْمَهَاجِرَاتِ ، وَجُدَامَةُ بِنْتُ وَهْبٍ مِنْ بَنِي هَلَالٍ . وَفِي الطَّبَقَاتِ لِابْنِ سَعْدٍ : جُدَامَةُ بِنْتُ جَنْدَلِ الْأَسْلَدِيَةِ أَسْلَمَتْ قَدِيمًا وَبَايَعَتْ وَهَاجَرَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ . وَبَزِيدٌ ذَلِكَ وَضَوْحًا مَا ذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْخَزَرَجِيُّ فِي كِتَابِ تَقْرِيبِ الْمَدَارِكِ فِي «الْكَلَامِ عَلَى مُوْطَأَ مَالِكٍ» : أَنَّ جُدَامَةَ بِنْتُ وَهْبٍ أَسْلَمَتْ عَامَ الْفَتْحِ ، وَدَالَ جُدَامَةُ رَوَى لِإِعْجَابِهَا وَإِهْمَالِهَا ^(٣) وَصَحَّحَ .

الخامس : فِي بَيَانِ غَرِيبٍ مَا سَبَقَ :

« اللَّحَاقُ » : بِفَتْحِ اللَّامِ مُصْدَرٌ لَحِجَّةً وَلَحِجَّ بِهِ ^(١) . « أَرْسَالًا » : بِفَتْحِ الهمزة أَى أَفْوَاجًا وَفَرَقًا . « التَّنْعِيمُ » : عَلَى لَفْظِ الْمَصْدَرِ مُحَلٌّ بَيْنَ مَكَّةَ وَسَرِفَ ^(٢) عَلَى مَرَحِلَتَيْنِ مِنْ

(١) قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْإِصَابَةِ (ج ٨ ص ٣٧) فِي تَرْجُمَةِ جُدَامَةَ بِنْتُ جَنْدَلٍ أَنَّ ابْنَ إِسْحَقَ ذَكَرَهَا فِيمَنْ هَاجَرَ مِنْ نِسَاءِ بَنِي غَنَمٍ مِنْ حُدُودِ بَنِي أَسَدٍ بِنْتُ غَزِيمَةَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ.. وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ فِي الذَّيْلِ أَنَّهَا هِيَ بِنْتُ وَهْبٍ فَإِنَّ الْمُحَدِّثِينَ قَالُوا هِيَ بِنْتُ وَهْبٍ . وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ أَسْلَمَتْ قَدِيمًا بِمَكَّةَ وَبَايَعَتْ وَهَاجَرَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَ أَنَيْسَ بْنِ قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ الدُّوسِيِّ وَهُوَ بَدْرِي اسْتَشْهَدَ بِأَسَدٍ ، وَتَجَمَّعَ ابْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ . وَفِيهِ لَيْتِي كَانَتْ تَحْتَ أَنَيْسَ بْنِ قَتَادَةَ غُلَسَاءَ بِنْتُ خَدَامٍ وَلَا مَانِعَ أَنْ تَكُونَ جَمِيعًا زَوْجَتِي . هَذَا وَلَمْ يَزِدْ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي أَسَدٍ الْغَابَةِ (ج ٥ ص ١٤٤) عَلَى ذِكْرِ رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَقَ أَنَّ جُدَامَةَ بِنْتُ جَنْدَلٍ مِنْ نِسَاءِ بَنِي غَنَمٍ مِنْ حُدُودِ بَنِي أَسَدٍ بِنْتُ غَزِيمَةَ كَانَتْ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

(٢) فِي الْإِصَابَةِ (ج ٨ ص ٣٧) جَاءَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَتْهُ جُدَامَةُ بِنْتُ وَهْبٍ الْأَسْلَدِيَةِ أَنَّهَا أَخْتُ عُبَاكَاةَ ابْنِ وَهْبٍ مَعَ أَنَّ الْمُسَمَّى بِمَكَاةَ فِي أَسَدٍ الْغَابَةِ (ج ٤ ص ٢) وَفِي جَوَانِحِ السَّيْرِ لِابْنِ حَزَمٍ هُوَ عُبَاكَاةُ بِنْتُ مِصْحَنَ (٣) جَاءَ فِي تَعْلِيلِ السَّجَلِ عَلَى اسْمِ جُدَامَةَ أَنَّهَا هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي حَدِيثِ الرِّضَاعِ فِي الْمَوْطَأِ وَقَالَ فِيهَا خَلْفُ بْنُ هَاشِمٍ الْبَزَارِ جُدَامَةَ بِالْإِذَالِ الْمَنْقُوطَةِ ، هَكَذَا ذَكَرَ مُسْلِمٌ فِي الْمَجْلَدِ ، وَالْمَعْرُوفُ جُدَامَةُ بِالْإِذَالِ الْمَهْمَلَةِ وَقَدْ يُقَالُ فِيهَا جُدَامَةُ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ . وَالْجُدَامَةُ قَصَبُ التَّرْعِ .. وَعَنْ أَبِي عَمْرِو الزَّاهِدِ قَالَ : الْجُدَامَةُ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ طَرَفُ السَّعْفَةِ وَبِهِ سَمِيَتْ الْمَرْأَةُ . (٤) مِنْ لَحِقِ الْأَثَرِ أَوْ الْيَمِينِ فَلَنَا يَلْحَقُ لَحَقًا وَلِخَلْقٍ مِنْ بَابِ فَرَحٍ لَزِمَهُ ، وَلِخَلْقٍ بِهِ أَذْرَكَهُ .

(٥) فِي مَعْجَمِ الْبَكْرِ (ج ١ ص ٣٢١) : التَّنْعِيمُ عَلَى لَفْظِ الْمَصْدَرِ مِنْ نَعْمَةٍ تَنْتَبِهُ وَهُوَ بَيْنَ سَرِفٍ وَبَيْتِهِ وَبَيْنَ مَكَّةَ فَرَسَحَانَ وَمِنْ التَّنْعِيمِ يَجْرِمُ مَنْ أَرَادَ الْعَصْرَةَ وَهُوَ الَّذِي أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَصْرَ مِنْهُ عَائِشَةَ وَإِنَّمَا سَمِيَ التَّنْعِيمُ لِأَنَّ الْجَبَلَ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ يُقَالُ لَهُ نَعْمٌ وَالَّذِي عَنْ يَسَارِهِ يُقَالُ لَهُ نَاهِمٌ وَالْوَادِي نَعْمَانٌ .

مكة . « مُنْعَةٌ » : بفتححتين أى فى قوم يمنونه ويحمونه جمع مانع ككاتب^(١) وَنَكَبَةٌ وتقدم مبسوطاً غير مرة . « السِّبْخَةُ » : بكسر الموحدة وتُسَكَّنُ الأرض المألحة . « بين لائَتَيْنِ » : ثنائية لابة بالموحدة وهى الحرَّة^(٢) وتأتى . « الحرَّتَانِ » : ثنائية حرَّة^(٣) وهى أرض ذات أحجار سود نخرة كأنَّها أحرقت بالنار . « السَّرَاةُ » : بفتح السين المهملة أعظم جبال بلاد العرب . « الظعينة » : بفتح الظاء المعجمة المُشَالَّة^(٤) : المرأة وأصله الهُودَج الذى تكون فيه المرأة^(٥) . « عَدَاً » : بالعين المهملة من العُدَّوان^(٦) . « غَابِطاً » : بهزة مفتوحة فى أوله وأخرى فى آخره . « أُصِيبَ مِنْكُمْ » بالبناء للمفعول . « أَوْعِبُوا »^(٧) : قال ابن السَّكَيْتِ : أَوْعَبَ بَنُو فُلَانٍ جَلَاءً لم يبق بدارهم منهم أحد . « تَنَكَّبَ قَوْسَهُ »^(٨) : ألقاها على مَنْكِبِهِ . « انْتَضَى فى يده أسنهماً » أى سلَّها من كِنَانَتِهِ وتركها مُعَدَّة فى يده وكذلك انْتَضَى سَيْفَهُ ونَصَّاهُ سَلَّهُ . « اختصر العنزَةَ » العنزَةُ بالتحريك أطول من العصا وأقصر من الرُّمَحِ وفيه زُجَجٌ كَرُجَجِ الرُّمَحِ ، واختصرها حملاً مضمومة إلى خاصرتة . « المعاطِسُ » جمع مَعَطَسٍ بَزَنَةٌ مَجْلِس وهو الأنف . « وإرغامها » : إلصاقها بالرَّغَامِ وهو التراب كُنِيَ بذلك عن الإهانة والذل .

(١) فى المصباح : هو فى منعة بفتح النون أى فى عز من قومه فلا يقدر عليه من يريده . قال الزمخشري : وهى مصدر مثل الألفة والنظمة أو جمع مانع وهم العشرة والحياة ويجوز أن تكون مقصورة من المناعة وقد تسكن فى الشعر لا فى غيره خلافاً لمن أبجازه مطلقاً .

(٢) فى التاج : اللابة واللوبية الحرة والجمع لوب ولاب ولايات وهى الحرار وأنا سيويوه فجعل اللوب جمع لابة كقارة وقور وساحة وسوح وفى الحديث . حرم النبى صلى الله عليه وسلم ما بين لابتى المدينة وهما حرتان تكتنفانها . قال الأصبغى وغيره اللوبة هى الأرض التى قد أتبستها حجارة سود وجعلها لابات ما بين الثلاث إلى العشر فإذا كثرت فهى اللاب واللوب .

(٣) فى النهاية (ج ١ ص ٢١٥) تجمع حرة على حر وحرار وحرات وحرين وآخرين وهو من المجموع النادرة .

(٤) يقال شلت به شولا من باب قال رفعت ، يتمنى بالحرف على الأفصح ويتمنى بنفسه لغة ويستعمل الثلاثى مطاوعاً فيقال شلته فحال . وشال الميزان يشول إذا خفت إحدى كفتيه وشالت ثماثيلهم طاشوا خوفاً فهربوا .

(٥) فى المصباح : يقال المرأة ظليمة ظليمة بمعنى مفعولة لأن زوجها يظن بها أى يترحم بها . ويقال الظليمة المودج وسواء كان فيه امرأة أم لا والجمع ظلمات وظلن بضمين . ويقال الظليمة فى الأصل وصفت للمرأة فى هودجها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت فى بيها لأنها تصير مظومة .

(٦) من عدا على الشيء يمدو عداً وعدواً وانا زعدونا سرقة ، وعدا عليه وثب

(٧) فى التاج : ومن الهجاز أوعب القدم إذا حشوا وأوعب بنو فلان إذا جاؤا أجمعين .

(٨) ومنه الحديث فى النهاية (ج ٤ ص ١٧٤) : كان إذا خطب بالمصل تنكب على قوس أو عصا أى اتكأ . عليها ، وأصله من تنكب القوس واتكأ إذا علقها فى منكبه .

« التَّنَاضِبُ » : بمثناة فوقية مفتوحة فنون فألف فضاد معجمة مضمومة هو اسم موضع ويُرْوَى بكسر الضاد جمع تَنْضُب وهو شجر وأحلتة تنضبة^(١) . « الْأَضَاة »^(٢) : بفتح الهمزة والضاد المعجمة بوزن حَصَاة وَمَنَاة الغدير يجمع من ماء المطر يُمدُّ وَيُقَصَّر . « غِفَار » بكسر الغين المعجمة وبالفاء وبالراء^(٣) . « مَرْف » بفتح السين والراء المهملتين وبالفاء موضع بين مكة والمدينة^(٤) « تَسَوَّرَ الحائط » تَسَلَّقَهُ . « المَرْوَة » : الحجر الصلب . « فَعَثَر » بفتح المثناة صَدَمَ رَجُلَهُ شَيْءٌ . « ذُو طَوَى » بثلاث الطاء بمكة قال النووي يُصْرَف ولا يُصْرَف^(٥) .

(١) في معجم البكري (ج ١ ص ٢٢٠) سميت التناضيب لأنها تثبت التناضيب . وفي التاج التناضيب بفتح التاء وضم الضاد شجر حجازي شوكة كشوك الوسج ودخان التناضيب أبيض مثل لون الثيار .
(٢) في النهاية (ج ١ ص ٢٤) الْأَضَاة بوزن الحَصَاة التندير وجمعها أَضَى وَأَضَاء كَأَكَمَ وَأَكَامَ . ولكن البكري في المعجم (ج ١ ص ١٦٤) ذكر أن جمعها إِضَاء وقال بأنها موضع بالمدينة . بينما ذهب ياقوت في معجم البلدان (ج ١ ص ٢٨٠) إلى أنها موضع قريب من مكة فوق سرف قرب التناضيب . وهذا مما يتفق مع قصة هجرة عمر .

(٣) نسي المؤلف أن يقول بأن غفار قبيلة من كنانة
(٤) في معجم البكري (ج ٣ ص ٧٣٥) سرف بفتح أوله وكسر ثاليه بعده فاء على ستة أميال من مكة من طريق بر وقيل سبعة وتسعة وأثنا عشر .

(٥) في معجم البكري (ج ٣ ص ٨٩٦) . طوى يضم أوله وكسره مقصور اسم واد في أصل الطور بالشام وهو المذكور في التنزيل . وقال محمد بن يزيد : طوى اسم واد يصرف لأن إحدى الملتين قد انخرمت عنه وبالتنوين قرأ الكوفيون وابن عامر . وهو طوى بفتح أوله مقصور متون على وزن قبل واد بمكة .

الباب الثاني

٤٠٧ و

في سبب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة / وكفاية

الله تعالى رسوله مكرّ المشركين حين أرادوا ما أرادوا

روى ابن إسحق وعبد الرزاق والإمام أحمد وابن جرير وابن المنذر والطبراني عن ابن عباس ، وعبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة ، والبيهقي عن ابن إسحق أن قريشاً لما رأّت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شعبة وأصحاب من غيرهم ببلدكم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرّفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا جواراً ومنعة ، فحلبوا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرّفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له في دار النثوة - وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر النبي صلى الله عليه وسلم حين خافوه . فاجتمعوا لذلك واتبعوا ، وكان ذلك اليوم يُسمّى يوم الزحمة فاعترضهم إبليس [لَمَنَّهُ اللهُ ^(١)] في هيئة شيخ جليل عليه بَتُّ له ، فوقف على باب الدار ، فلما رآوه واقفاً على بابها قالوا : مَنْ الشَّيْخُ ؟ قال : شيخٌ من أهل نجد سمِعَ بالذي اتَّعَلَّمتُمُ له فحَضَرَ معكم لِيَسْمَعَ ما تقولون وعسى ألا تَعْلَمُوا ^(٢) منه رأياً ولا نَصْحاً . قالوا : أَجَلٌ فَاذْخُلْ ، فَدَخَلَ معهم ، وقد اجتمع فيها أشرف قريش : [من بنى عبد شمس ^(٣) :] عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان ابن حرب - وأسلم بعد ذلك - [ومن بنى نوفل - بن عبد مناف ^(٤)] : طعيمق بن عدي ، وجبير بن مطعم - وأسلم بعد ذلك - [والحرث بن عامر بن نوفل . ومن بنى عبد الدار

(١) زيادة من ابن هشام .

(٢) في طيبة التجاوية لسيرة ابن هشام (الفاهزة سنة ١٩٣٧ م ج ٢ ص ٩٣) : وعسى ألا يدرككم منه رأياً ونصحاً . ومن الجائز قراءة الفعل ثلاثياً في الصباح عنده عندما من ياب تمب فقدته والاسم الدم وزان قتل ، ويصلح إلى ثان بالهززة فيقال لا أصلني الله فضله وقال أبو حاتم عن النبي وأعلمني فقدني وأعلمته فقدم مثل أفقدته ، فقدني بجاه الرباعي للفاعل والثلاثي للمفعول .

(٣) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ٩٣) .

ابن قُصَيٍّ^(١) : [النَّضْرُ بْنُ الْحَرِثِ بْنِ كَلْدَةَ] ومن بنى أَسَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيِّ^(٢) : أَبُو الْبَحْتَرِيِّ
ابن هشام ، وَزَمَعَةُ بْنُ الْأَسَدِ - وَأَسْلَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - وَحَكِيمُ بْنُ جِرَازٍ - وَأَسْلَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ،
[وَمِنْ بَنِي مُخَزَّوْمٍ^(٣)] : أَبُو جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ ، [وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ^(٤)] : نُبَيْهَةُ وَمُنْبَهَةُ ابْنَا
الْحِجَااجِ ، [وَمِنْ بَنِي جُبَيْحٍ^(٥)] : أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، وَمِنْ كَانَ مَعَهُمْ ، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ لَا يُعَدُّ
مِنْ قُرَيْشٍ .

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنْ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَأْمَنُهُ
عَلَى الْوُثُوبِ عَلَيْنَا بِمَنْ قَدْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِنَا فَاجْمَعُوا فِيهِ رَأْيًا . قَالَ : فَتَشَاوَرُوا ثُمَّ قَالَ قَائِلٌ
مِنْهُمْ - نَقَلَ السَّهْلِيُّ عَنْ ابْنِ سَلَامٍ أَنَّهُ أَبُو الْبَحْتَرِيُّ بْنُ هِشَامٍ - احْبِسُوهُ فِي الْحَدِيدِ وَأَغْلِقُوا
عَلَيْهِ بَابًا ، ثُمَّ تَرَبَّصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَشْبَاهَهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ : زُهَيْرًا وَالنَّابِغَةَ
وَمَنْ مَضَى مِنْهُمْ مِنْ هَذَا الْمَوْتِ حَتَّى يُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ . فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ^(٦) - لَعَنَهُ اللَّهُ -
لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ ، وَاللَّهُ لَوْ حَبَسْتُمُوهُ كَمَا تَقُولُونَ لَيَخْرُجَنَّ أَمْرُهُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ الَّذِي
أَغْلَقْتُمْ دُونَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَلَا وَشَكُوا أَنْ يَتَّبِعُوا عَلَيْكُمْ فَيَنْتَزِعُوهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ ، ثُمَّ يَكَاثِرُوكُمْ
بِهِ حَتَّى يَغْلِبُوكُمْ عَلَى أَمْرِكُمْ ، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ فَانظُرُوا فِي غَيْرِهِ .

فَتَشَاوَرُوا ثُمَّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ - ذَكَرَ السَّهْلِيُّ أَنَّهُ أَبُو الْأَسَدِ رَبِيعَةُ بْنُ عَمْرٍو - أَحَدُ بَنِي
غَاثِرِ بْنِ لُؤْيٍ - لُحْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا فَتَنْفِيهِ مِنْ بِلَادِنَا ، فَلَمَّا خَرَجَ عَنَا فَوَاللَّهِ مَا نُبَالِي
أَيْنَ ذَهَبَ وَلَا حَيْثُ وَقَعَ ، إِذَا غَابَ عَنَا وَفَرَّغْنَا مِنْهُ فَاصْلَحْنَا أَمْرَنَا وَأَلْفَقْنَا^(٧)] كَمَا كَانَتْ^(٨)
فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ : لَا وَاللَّهِ ، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ ، أَلَمْ تَرَوْا حُسْنَ حَدِيثِهِ وَحِلَاوَةَ مَنْطِقِهِ
وَعَلَبَتَهُ عَلَى قُلُوبِ الرِّجَالِ بَمَا يَأْتِي بِهِ ؟ وَاللَّهُ لَوْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ مَا أَمِنْتُمْ أَنْ يَحُلَّ عَلَى حَتَّى مِنْ
التَّعَرُّبِ فَيَغْلِبَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ وَحَدِيثِهِ حَتَّى يَتَابِعُوهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَسِيرُ بِهِمْ إِلَيْكُمْ حَتَّى
يَطَاقُكُمْ بِهِمْ [فِي بِلَادِكُمْ^(٩)] ، فَيَأْخُذْ أَمْرَكُمْ مِنْ أَيْدِيكُمْ ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِكُمْ مَا أَرَادَ ، فَدَبَّرُوا

(١) زيادة من ابن هشام (٢٦ ص ٩٤) :
(٢) في الزوائد (١٠٦ ص ٢٩١) : وإنما قال إيليش لم يأت من أهل نجد ، فيها ذكر بعض أهل السيرة ،
لأنهم قالوا لا يدخلونكم في المشاورة أحد من أهل تامة لأن هوام مع عبد .
(٣) زيادة من ابن هشام (٢٦ ص ٩٤) .

فيه رأياً غير هذا . فمقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقمتم عليه بعد .

٤٠٧ ظ قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى / أن تأخذوا من كل قبيلة فتني شاباً جلدأ نسبياً وسيطاً ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه بأجمعهم فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه فنستريح منه ، فلنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً ، فلم يترك بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالقتل ففعلناه لهم ^(١) . فقال الشيخ النجدي أخزاه الله : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي لا أرى غيره

وذكر ابن الكلبي في الجمهرة ^(٢) أن إبليس لما حمد رأى أبي جهل قال :

الرأي رأيان : رأي ليس يعرفه هاد ورأي كنعلي السيف معروف
يكون أوله عسر ومكرمة يوماً وآخره جد ^(٣) وتشريف

وتفرق القوم على ذلك وهم مجتمعون له . فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا تبث هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه ، وأخبره بمكر القوم وإذن الله تعالى له بالخروج . فلما كانت العتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرضدونه متى ينأى فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : « نَمْ على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر فتم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم » ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتنام في برده ذلك إذا نام .

فلما اجتمعوا قال أبو جهل بن هشام : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره

(١) روى السهوي في وفاء الوفا (ج ١ ص ١٦٨) أن أبا جهل قال : قد رأيت الصلح من رأيكم أن يطيح خمس رجال من خمس قبائل سيفاً سيفاً فيضربونه ضربة رجل فيتفرق دمه في هذه البُلُون فلا يقدر لكم بنو هاشم على شيء . وعلق الزرقاني في شرحه على المواهب (ج ١ ص ١٢٢) على ذلك بقوله : فلملم استبدوا عليه قوله من كل قبيلة إذ لا يمكن عشرون مثلاً ، أن يضربوا شخصاً ضربة واحدة فقال لهم خمسة رجال .

(٢) يشير المؤلف إلى كتاب جمهرة الأنساب لـ هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٦ هـ وكان عالماً بالأخبار والنسب والأوائل والمجاهلة والأشمار والأعمار وتستغرق عناوين مؤلفاته في الفهرست لابن التميم ما يقرب من مئتين (١٤٢ ، ١٤٣) وكان المستشرق الإيطالي جورجيو ليبي ديلافيدا قد وعد بتحقيق كتاب جمهرة الأنساب لابن الكلبي ونشره ولكن لم يتيأ له ذلك .

(٣) في . حمد .

بكنتم ملوك العرب والعجم ثم يُعْثَم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن وإن أنتم لم تفعلوا كان فيكم ذبح ، ثم يُعْثَم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تُحْرَقُونَ فيها .

فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال : « نعم أنا أقول ذلك وأنت أجدهم » . وأخذ الله عز وجل على أبصارهم عنه فلا يروونه . فجعل يذرى ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات : (يَسْ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَبِينَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) إلى قوله تعالى : (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ^(١)) . فلم يبقَ منهم رجل إلا وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسه تراباً ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ^(٢) .

فأتاهم آتٍ مِنْ لَمْ يكن معهم فقال : « ما تنتظرون هنا ؟ » قالوا : « محمداً » . قال : « خيبتكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته ، أفما ترونَ ما بكم ؟ » قال : « فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب » ، ثم جعلوا يتطلعون فيرونَ عليّاً على الفرائش مُتَسَحِّجاً ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائماً عليه بُرْدُهُ . فلم يزالوا كذلك حتى أصبحو . فقام عليّ رضي الله عنه من الفرائش . فقالوا : « والله لقد صدقنا الذي كان حدثناه » . وذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غار ثور .

وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « شَرَى عَلِيٌّ نَفْسَهُ وَلَيْسَ ثَوْبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ نَامَ مَكَانَهُ » . وكان المشركون يرجون رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا يرمون عليّاً ويروونه النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل عليّ يتوضأ فإذا هو عليّ ، فقالوا : إِنَّكَ لِلنَّبِيِّ ، إِنَّكَ لَتَتَضَوَّرُ ^(٣) وكان صاحبك لا يتَضَوَّرُ وقد استنكرناه منك .

(١) سورة يس الآيات ١ : ٩ .

(٢) في الروض الأنف (ج ١ ص ٢٩٢) : وفي قراءة الآيات الأولى من سورة يس من الفقه التذكيرة بقراءة المخالفين لما اعتدوا به عليه السلام فقد روى البخاري بن أبي أسامة في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر فضل يس أنها : إن قرأها خائف أبى أو جالس شيع أو عاب كسى أو عاظم سقى حتى ذكر خلافاً كثيرة .

(٣) في النهاية (ج ٣ ص ٢٨) : يتضوّر يطوى ويتقلب .

وروى الحاکم عن علي بن الحسين رضي الله عنهما / قال : إن أول من شَرى نفسه ابتغاء رضوان الله عليّ ، وقال في ذلك شعراً :

وَقَيْتُ بِنَفْسِي خَيْرَ مَنْ وُطِيَ الْحَصَى وَمَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَبِالْجِجْرِ
رَسُولُ إِلَهٍ خَافَ أَنْ يَمْكُرُوا بِهِ فَتَنَّهُ ذَوَالطُّوْلِ إِلَهٌ مِنَ الْمَكْرِ^(١)
وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْغَارِ آمِنًا مُؤَمِّيٌّ وَفِي حِفْظِ الْإِلَهِ وَفِي سِتْرِ
وَيْتٍ أَرَاغِيهِمْ وَمَا يَتَهَمُونِي وَقَدْ وَطَنْتُ نَفْسِي عَلَى الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ

قال ابن إسحق : وكان لما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ)^(٢) بِالْوَثَاقِ^(٣) وَالْحَبَسِ وَالْإِثْخَانِ بِالْجَرْحِ (أَوْ يَقْتُلُوكَ) بسببهم (أَوْ يُخْرِجُوكَ) - من مكة - (وَيَمْكُرُونَ) - يحشرون في أمرك - (وَيَمْكُرُ اللَّهُ) - يجازيهم جزاء مكرهم فسعى الجراء مكرراً لأنه في مقابلته ، والمعنى أنهم احتالوا في إبطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى منعمٌ منهم وأظهره وقواه ونصره ففضاع فعلهم وظاهر فعل الله عز وجل - (وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)^(٤) - لأن مكره حق ، وإتيان هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز إطلاقه ابتداءً لما فيه من إيهام الذم ، وهذه الصورة مدنية ، وهذه الواقعة كانت بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة . وقد ذكر الله تعالى النبيّ محمداً صلى الله عليه وسلم نِعْمَتَهُ عليه .

(١) أورد القمطلان البيت الأول والثاني وزاد عليهما الزرقاني في شرحه على المواهب (ج ١ ص ٣٢٢) بقوله : وبمدهما في الشامية - أي كتاب سبل الهدى والرشاد للمؤلف - وغيرها ، ثم أورد البيهقي الثالث والرابع .

(٢) الوثاق يفتح الواو اسم من الإثاق والوثاق بكسر الواو ما يشد به .

(٣) سورة الأنفال آية ٣٠ . وقال القرطبي (ج ٧ ص ٢٩٧) في تفسير قوله تعالى : « وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ » : المكر من الله هو جزاؤه بالمداب على مكرهم من حيث لا يشعرون . وقال الزمخشري (الكشف ج ١ ص ٣٠٢) : أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيراً لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب . وفي النهاية (ج ٤ ص ١٠٣) في حديث الدعاء : اللهم امكر لي ولا تمكر بي . مكر الله إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه وقيل هو استدراج المبد بالطاغات فيتهم أنها مقبولة فهي مردودة ، والمعنى : ألحق مكره بأعدائي وأصل المكر الخداع . وفي التاج : قال الأثير : المكر من الله تعالى جزاء سعى باسم مكر المجازي . وقال الراغب : مكر الله إيهاله المبد وتمكينه من أغراض الدنيا . وفي الفروق القوية لأبي هلال العسكري (طبعة القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ ص ٢١٥) أن الكيد والمكر متضادان والشاهد أن الكيد يتعدى بنفسه والمكر يتعدى بحرف فيقال كاده يكيده ومكر به ولا يقال مكره ، والذي يتعدى بنفسه أقوى . ونقل الزبيدي في التاج عن البصائر أن المكر ضربان : محمود : وهو ما يتحرى به أمر جميل وعلى ذلك قوله تعالى : والله خير الماكرين ، ومذموم : وهو ما يتحرى به فعل ذميم نحو قوله تعالى : « وَلَا يَحِثُّ الْمَكْرَ الْبِئْسَ إِلَّا بِالْهَلِكِ » .

قال ابن إسحق : وأنزل الله تعالى في ذلك (فَذَكِّرْ) - أي دُم على تذكير المشركين ولا ترجع عنهم لقولهم لك كاهن مجنون (فَمَا أَنْتَ بِنَعَمِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ) - جزأ - (وَلَا مَجْنُونٍ) معطوف عليه - (أَمْ) - بل - (يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبِّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) - أي حوادث الدهر فيهلك كغيره من الشعراء - (قُلْ) - لم - (تَرَبَّصُوا) - هلاكى - (فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَبِصِينَ ^(١)) - هلاككم ، فَعَلَبُوا بالسيف يوم بدر ، والتربص الانتظار .

تَنْبِيهَات

الأول : روى ابن جرير وابن المنذر عن عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ ، وابن جرير من طريق آخر عن المطلب بن أبي وداعة قال : لما اتبعتموا بالنبي صلى الله عليه وسلم لِيُثَبِّتُوهُ أَوْ يَقْتُلُوهُ أَوْ يُخْرِجُوهُ قال عمه أبو طالب : هل تدري ما اتبعتموا بك ؟ قال : يريدون أن يسجنوني أَوْ يَقْتُلُونِي أَوْ يُخْرِجُونِي . قال : مَنْ حَدَّثَكَ بِهَذَا ؟ قال : رَبِّي . قال : نعم الرب ربك إلى آخره . قال في البداية : ذَكَرْتُ أَبِي طَالِبَ فِيهِ غَرِيبٌ بَلْ مُنْكَرٌ لَأَنَّ الْقِصَّةَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي طَالِبٍ بِثَلَاثِ سِنِينَ .

الثاني : قال السهيلي : إنما قال لم إبليس إنه من أهل نجد لأنهم قالوا : لَا يَدْخُلُونَ مَعَكُمْ فِي الْمَشَاوِرَةِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةٍ لِأَنَّ هَوَامَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلِلنَّبِيِّ تَمَثُّلٌ لَهُمْ فِي صُورَةِ شَيْخٍ نَجْدِي وَقَدْ أَقْدَمَ فِي بَنِيانِ قُرَيْشِ الْكُفَّةَ أَنَّهُ تَمَثَّلَ فِي صُورَةِ شَيْخٍ نَجْدِي حِينَ حَكَّمُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرِ الرِّكَنِ مَنْ يَرْفَعُهُ ، فَصَاحَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَقْدَرُ رَضِيْتُمْ أَنْ يَكِلِيَهُ هَذَا / الْغَلَامُ دُونَ أَشْرَافِكُمْ وَذَوَى أَسْنَانِكُمْ ، فَإِنْ صَحَّ ٤٠٨ هَذَا الْخَبَرُ فَلَمَعَنِي آخِرُ تَمَثُّلِ نَجْدِيٍّ وَذَلِكَ أَنَّ نَجْدًا يَطْلُعُ مِنْهَا قَرْنُ الشَّيْطَانِ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَبِلَ لَهُ : وَفِي تَجَلِّينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : هُنَالِكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَمِنْهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ [فَلَمْ يَبَارِكْ عَلَيْهَا كَمَا بَارَكَ عَلَى الْيَمَنِ وَالشَّامِ وَغَيْرِهَا ^(٢)] .

الثالث : المانع لم من التَّحْقُّمِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى عَلِيٍّ وَهُمْ يَظُنُّونَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا قِيَامًا حَتَّى أَصْبَحُوا أَنْ بَعْضُ أَهْلِ الشَّيْرِ ذَكَرُوا السَّبَبَ الْمَانِعَ مِنْ ذَلِكَ

(١) سورة الطور آية ٢٩ و ٣١ .

(٢) زيادة من السهيلي التي نقل عنه المؤلف .

مع قُصِر الجدار وأنهم إنما جاءوا لِقَتْلِهِ ، [فذَكَرَ فِي الْخَبَرِ ^(١)] أَنَّهُمْ هَمُّوا بِالرُّلُوجِ عَلَيْهِ فَصَاحَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الدَّارِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : وَاللَّهِ إِنَّمَا لِلْسَّبَةِ فِي الْعَرَبِ أَنْ يُتَحَدَّثَ عَنَّا أَنَّا تَسَوَّرْنَا الْحِيطَانَ عَلَى بَنَاتِ الْعَمِّ وَهَتَكْنَا سِتْرَ حُرْمَتِنَا [فَهَذَا هُوَ الَّذِي أَقَامَهُمْ بِالْبَابِ حَتَّى أَصْبَحُوا يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ ثُمَّ طَمَسَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنْهُ حِينَ خَرَجَ] ^(٢) وَقَالَ بَعْضُهُمْ : « الْحِكْمَةُ فِي كَوْنِ الْمَوْضُوعِ عَلَى رَأْسِهِمْ تَرَابًا دُونَ غَيْرِهِ الْإِشَارَةُ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ الْأَرْدَلُونَ الْأَصْغَرُونَ الَّذِينَ أَرْغَمُوا وَالصِّقُوا بِالرَّغَامِ وَهُوَ التَّرَابُ » ، وَأَنَّهُ سَيُطْبَقُهُم بِالتَّرَابِ بَعْدَ هَذَا .

الرابع : رَوَى ابْنُ مَنَدَةَ وَغَيْرُهُ عَنْ مَارِيَةَ خَادِمَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا طَأْطَأَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى صَعِدَ حَائِطًا لَيْلَةً فَرَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَمَا سَبَقَ فِي الْقِصَّةِ مِنْ أَنَّهُ طَلَعَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْبَابِ أَقْوَى سَنَدًا مِنْهُ ، وَحَدِيثُ مَارِيَةَ فِيهِ مُجَاهِيلٌ .

الخامس : فِي قِرَاءَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآيَاتِ مِنْ سُورَةِ يَسٍ مِنَ الْفَقْهِ التَّذَكُّرَةُ بِقِرَاءَةِ الْخَائِفِينَ لَهَا اقْتِدَاءً بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَوَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَثَارِ : مَا قَرَأَهَا خَائِفٌ إِلَّا آمِنَ .

السادس : فِي بَيَانِ غَرِيبٍ مَا سَبَقَ : « مَنَعَةٌ » : سَبَقَ بَيَانُهَا ، « شَيْخٌ جَلِيلٌ » : يُقَالُ جَلَّ الرَّجُلُ وَجَلَّتْ لِرَأْسِهِ إِذَا أَسْنَأَ . « عَلَيْهِ بَتٌ » : الْبَتُّ ^(٣) بَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَتَشْدِيدِ الْمُنَاةِ الْفَوْقِيَّةِ : الْكِسَاءُ الْغَلِيظُ الْمُرْبُوعُ وَقِيلَ الطَّلِيسَانُ مِنْ خَزْ . « أَجَلٌ » : بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْجِيمِ وَالْإِسْكَانِ الْإِلَامُ مُخَفَّفَةٌ . بِمَعْنَى نَعَمٌ ^(٤) . « أَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا » بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْمِيمِ : يُقَالُ أَجْمَعْتَ الْأَمْرَ وَعَلَى الْأَمْرِ إِذَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ . « أَوْشَكُوا » : بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالشِّينِ الْمَعْجَمَةِ أَيْ أَسْرَعُوا . « أَظْهَرْنَا » : بَيِّنًا . « أَلْفَتْنَا » بِضَمِّ الْهَمْزَةِ ^(٥) . « أَنْ يَحُلَّ » : بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَضَمِّ الْحَاءِ

(١) زِيَادَةٌ مِنَ السَّهْلِ الَّذِي نَقَلَ عَنْهُ الْمُؤَلِّفُ .

(٢) فِي النَّجَاحِ الْبَيْتُ هُوَ كِسَاءٌ غَلِيظٌ مَهْلَهْلٌ مَرِيعٌ ، أَخْضَرُ وَقِيلَ هُوَ مِنْ وَبَرٍ وَصُوفٍ قَالَ فِي الْحَكَمِ ، وَمِثْلُهُ فِي كِتَابَةِ الْمُتَحَفِّظِ فِي الْهَيْذِ الْبَيْتُ ضَرْبٌ مِنَ الطَّلِيسَانِ يُسَمَّى الْمَرِيعَ غَلِيظٌ أَخْضَرٌ وَجِذْمُهُ أَيْتٌ وَيَتَاتُ وَبُتُوتُ . وَفِي الصَّحَاحِ الْبَيْتُ الَّذِي يَمْلَأُ أَوْ يَبْنِيهِ وَمِنْهُ عَمَّانُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْبَيْتُ الْمَحْدَثُ كَانَ يَبْنِي الْبُتُوتُ .

(٣) فِي الصَّحَاحِ : أَجَلَ هُوَ جَوَابٌ مِثْلُ نَعَمْ قَالَ الْأَخْفَشُ إِلَّا أَنَّهُ أَحْسَنُ مِنْ نَعَمْ فِي التَّصْدِيقِ وَنَعَمْ أَحْسَنُ مِنْهُ فِي الْإِسْتِفْهَامِ فَإِذَا قَالَ : أَنْتَ سَوْفَ تَقْبَلُ ؟ قُلْتَ : أَجَلَ ، وَكَانَ أَحْسَنُ مِنْ نَعَمْ . وَإِذَا قَالَ : أَتَلْعَبُ ؟ قُلْتَ نَعَمْ وَكَانَ أَحْسَنُ مِنْ أَجَلَ .

(٤) الْأَلْفَةُ الْمُرَدَّةُ وَالِاتِّمَامُ .

المهملة أى يَنْزِل. « جَلِدْأ » : بفتح الجيم وكسر اللام أى قويا^(١). « وَسِطاً »^(٢) : بفتح الواو وكسر السين والطاء المهملتين أى حسيباً فى قومه . « صَارِماً » : قاطعاً . « نَعْمِد » بكسر الميم فى المستقبل وفتحها فى الماضى^(٣) . « الْعَقْل » كعَقَلَ الإنسان الدِّية^(٤) . « عَمَّةُ اللَّيْلِ » : بفتح العين والثناة فوقية وقت صلاة العِشاء ، وقيل ثلث الليل الأول من الليل بعد غيبوبة الشَّفَق ، وعَمَّةُ الليل ظلامه . « الْحَضَرَمِى » : منسوب إلى حَضَرَمَوْت . « تَابَعْتُمُوهُ » : بمثناة فوقية وموحدة من المتابعة . « بُعِثْتُمْ » بالبناء للمفعول . « الْجِنَان » جمع جَنَّة : البُشَان . « الْأُرْدُنُّ » : همزة مضمومة فراء ساكنة فดาล مهملة فنون مُشَدَّدة الكورة المعروفة من أرض الشام بقرب بيت المقدس . « حَفَنَةً » : بفتح الحاء المهملة وسكون الفاء هى ملء الكف والشئ المحصول حَفَنَةً بالضم ويجوز الفتح ، والمرَّة بالفتح ليس غير . « صَدَقْنَا » : بفتح الدال الْمُخَفَّفَةُ أى حَدَّثْنَا حديث صادق .

(١) فى القاموس المحيط هو جلد (بفتح الجيم وسكون اللام) وجليه والجمع أجلاد وجلده على وزن فقهاه وجليه على وزن قفل . ولم أشر على ضبط المؤلف جلد فى الميجات .

(٢) لم نشر على هذا الضبط المؤلف فيها رجسنا إليه . فى التاج : وهو وسط فيهم أى أوسطهم نسباً وأرفعهم علواً . قال العرجى . كأن لم يكن فيهم وسطاً . ولم تلك نبيى فى آل عمرو . وقال الليث . غلان وسيق الدار والحسيم فى قومه .

(٣) لا يوجد فى الميجات ما يؤيد دعوى المؤلف أن نمى بكسر الميم فى المستقبل وفتحها فى الماضى . فبمعنى الثمة يعمده حمداً من باب ضرب أقامه بحداد ودعه ودم فلانا ضربه بالحداد . ويقال عد الشيء والىء وإليه قصد يعمده ويعد إليه ويعد إليه . وعد من باب فرح وغضب . وعد به لزمه وعد الإنسان إذا جهده المرعى . وعد الثرى بالله المطر يفيض وتراكم بعضه على بعض .

(٤) العقل هو الدية ، جاء فى النهاية (ج ٣ ص ١١٧) : أصله لمن القاتل كان إذا قتل قتلاً جمع الدية من الإبل فتلها بقتل أو لياها للقتول أى شفا فى عقلها (جمع عقال) ليلمها إليهم ويقضوها منه فسميت الدية عقلاً بالمصدر . وبالمبالغة هى المعصة والأقارب من قبل الأب الذين يملكون دية قبل الخطأ وأصلها اسم فاعلة من القتل

الباب الثالث

في قدر إقامة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة

وروياه الأرض التي يهاجر إليها

روى البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة / ، والرواية عن ابن عباس ^(١) في ذلك مختلفة ، وسيأتي تحريرها في الوفاة النبوية إن شاء الله تعالى وعن أبي موسى الأشعري ^(٢) رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيتُ في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي ^(٣) إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب » ، رواه الشيخان وعن صهيب رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أريتُ دارَ هجرتكم سبعة بين ظهراني حرتين فلما أن تكون هجراً أو يثرب » ، رواه الترمذي والحاكم والطبراني .

وروى الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن عبد الله بن عدى بن الحمراء ^(٤) رضي الله عنه ، والإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة ، قال الحافظ ^(٥) : وذكره وهم وإنما هو

(١) لفظ الحديث في البخاري في باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم (ج ٥ ص ١٥٣) : عن ابن عباس قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة فكثت ثلاث عشرة سنة يوسى إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين .

(٢) الحديث في البخاري (ج ٥ ص ١٥١) وفي النهاية (ج ٤ ص ٢٣٤) : وهل إلى الشيء بالفتح يدل بالكسر وحلا بالسكون إذا ذهب وهمه إليه ، ومنه حديث عائشة : وهل ابن عمر أي ذهب وهمه : أما الولد بالانحراف فهو الفزع وقد وهل يوهل فهو واهل ، والوهلة المرة من الفزع فلقيته أول وهلة أي لقيته أول فزعة فزعتها بقاء إنسان .

(٣) هو عبد الله بن علي بن الحمراء القرشي الزهري من أنفسهم ، وقيل أنه ثقي حليف لهم ، يكنى أبا عمرو وله حصة وهو من أهل الحجاز كان يترك بين قديق وصفان انظر أسد الغابة (ج ٢ ص ٢٢٥) .

(٤) قال الحافظ أي ابن حجر ، وذكره وهم أي إسناده إلى أبي هريرة وهم . وجاء في الإنبابة (ج ٤ ص ١٠٥) في ترجمة ابن حجر لابن الحمراء : ويقال إنه عقي وقال البخاري له حصة وهو من سلسلة الفتح ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل مكة قلت (أي ابن حجر) انفرد برواية حديث الزهري واختلف عليه فيه فقال الأكثر عنه عن أبي سلمة عن عبد الله بن علي بن الحمراء ، وقال منسوبة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة وفرة أرسله . والمخطوط الأول . وفي خلاصة الخزرجي (ص ١٧٥) أنه صاحب روى عنه أبو سلمة ومحمد بن جبير بن مسلم .

عبد الله بن حَرْبٍ ، والنخاسم وابن جعجع بن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على الحزورة^(١) فقال : « والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرضي لى ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت منك » .

تَبَيَّهَات

الأول : قال ابن التين^(٢) : أرى النبي صلى الله عليه وسلم أولاً دار هجرته بصفة تجمع المدينة وعبرها ، ثم أرى الصفة المختصة بالمدينة فتبينت . الثاني : حديث أبي هريرة مرفوعاً : « اللهم إنك أخرجني من أحب البقاع إلى فأسكتني في أحب البقاع إليك » ، رواه الحاكم ، وقال الذهبي إنه موضوع ، وقال ابن عبد البر : لا يختلف أهل العلم أنه منكر موضوع . الثالث : في بيان غريب ما سبق : « وهلى^(٣) » : بفتح أوله وثانيه أى ظنى ، يقال وهلى يهلى وهلاً بالسكون إذا ظن شيئاً فتبين الأمر خلافه . « اليمامة^(٤) » : مدينة على يومين من الطائف وأربعة من مكة . « هجر » : بفتح أوله وثانيه وهى هنا مدينة باليمن ، وهى قاعدة البحرين^(٥) وهى من مساكن عبد القيس ، وقد سبقوا غيرهم من

(١) قال البكرى في معجم ما استسجم (ج ٢ ص ٤٤٤) : الحزورة موضع بمكة يل البيت وفيه دفن عبد الرحمن ابن عثمان بن عبيد الله ابن أبي طلحة بن عبيد الله وكان قتل مع ابن الزبير ، فلما زيد في المسجد الحرام دخل قبره في المسجد وروى الزهرى قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن علي بن حمراء أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو واقف بالحزورة في سوق مكة الحديث . وهذا من الأحاديث الصحاح التي يخرجها الدارقطني وذكر أن البخارى وسلم أفلا تقر به في كتابهما على ما شرطاه . وهذا الحديث من أقوى ما يحتج به الشافعي في تفضيل مكة على المدينة وقال الدارقطني : والمحدثون يقولون الحزورة بالتحديد وهو تصحيف إنما هو الحزورة بالتخفيف .

(٢) هو أبو محمد عبد الواحد بن التين الصفاقى الإمام المحدث الرواية المفسر الفقيه له شرح على البخارى سماه : الخبر الفصيح في شرح البخارى الصحيح اعتمد ابن حجر في شرح البخارى ، توفي سنة ١١١١ هـ بصفاقس ، النظر ترجمته في شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن مخلوف (القاهرة سنة ١٣٤٩ هـ ج ١ ص ١٦٨ رقم ٥٢٨) . هذا وكثيراً ما يشير إلى ابن التين كل من ابن خلدون في المقدمة والسيوطي في الإقتان والزرقاني في شرحه على المواهب .

(٣) هذا الضبط من المؤلف لكلمة وهلى بفتح الهاء يتناقض مع ما ذكره فيما بعد وهو بتسكينها . وقد أشرنا في حاشية سابقة إلى ضبط ابن الأثير لما في النهاية وهو أن الوهل بالفتح الفرع والوهل بتسكين الماء الوهم ، والثنان .

(٤) اليمامة في معجم البلدان لياقوت (ج ٨ ص ٥١٦) معلومة من نجد بينها وبين البحرين عشرة أيام . وفي كتاب البلدان لابن الفقيه (طبعة لندن سنة ١٨٨٥ م ص ٢٨) إن أول ديار ربيعة اليمامة واليمامة لى حيفة وتبحرين ليد القيس والجزيرة لى تلب وعبود اليمامة كثيرة .

(٥) يخلط المؤلف هنا بين هجر اليمن وهجر البحرين فمن معجم البلدان لياقوت (ج ٨ ص ٤٤٦) : هجر قصبا بلاد البحرين بينها وبين نرين ستة أيام ، وفجر بلد باليمن بينها وبين عثر يوم وليلة من نجة اليمن . وذكر المسدق المعروف بابن الحالك والمحق سنة ٣٣٤ هـ في كتابه صفة جزيرة العرب (طبعة القاهرة سنة ١٩٥٣ م ص ٨٦) : « أن الهجر بلد بمسير القوزية ومنها جيم البحرين وهجر نجران » . وقال في ص ١٣٦ : إن مدينة البحرين الظننى هي هجر وهى سوق بنو محارب من عبد القيس .

القرى إلى الإسلام^(١) ، يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ ؛ قال الجوهري مُذَكَّرُ مصروف^(٢) . « أَرْضٌ سَيْحَةٌ » :
يَفْتَحُ . السَّيْنُ المَهْمَلَةُ وكسر الموحدة وتُسَكَّنُ وتُفْتَحُ ، أَى مَالِحَةٌ . « ظَهَرَائِيَّ خَرَّتَيْنِ » :
أَى بينهما والخَرَّتَانِ ثَنِيَّةٌ خَرَّةٌ وهى أرض ذات حجارة سود : « الْحَزْوَرَةُ » : بحاء مفتوحة
فزأى ساكنة فزوا فراء ، سوق كانت بِمَكَّة أَدْخِلَتْ فى المسجد .

(١) مما يدل على سبق عبد القيس إلى الإسلام ما ورد فى كتب السيرة وفق صحيح البخارى (ج ١ ص ٣٦) مستنداً إلى
أَبْنِ عَبَّاسٍ عَنِ قَدُومٍ وَفَعِمَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلَّا فِي شَهْرِ الْحَرَامِ
فِيهِنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كَفَّارٍ مَضَى قَرُونًا بِأَمْرِ فَضْلِ بْنِ خُزَيْمٍ بِهِ مِنْ وَرَائِنَا وَتَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةُ ؛
(٢) . (٧٠) . فى الصحاح : هجر اسم بلد معروف ولكن الفيروز آبادى أشار إلى أنه يمنع أيضاً من الصرف . فقد قال ؛
هجر بحركة بالهمز مذكر مصروف وقد يؤنث ويمنع (أى يمنع من الصرف) .

الباب الرابع

في هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفمه الكريمة
وما وقع في ذلك من الآيات

قال الله تعالى : (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا^(١)) . روى الإمام أحمد والترمذي والحاكم والضياء وصححه عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأمير بالمهجرة من مكة وأنزل عليه (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) الهجرة إلى المدينة (وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) / : كتاب الله عز وجل ، وفرائضه وحدوده . وروى الحاكم ٤٠٩ ط وصححه عن قتادة في الآية قال : (أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ) [يعني المدينة^(٢)] « وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ » يعني مكة . وروى الزبير بن بكار عن زيد بن أسلم في الآية قال : جعل الله تعالى مُدْخَلَ صِدْقٍ المدينة ومُخْرَجَ صِدْقٍ مكة ، وسلطاناً نصيراً الأنصار .

قال ابن سعد : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من بيته أتى بيت أبي بكر

(١) سورة الإسراء آية ٨٠ . وقال الواحدي في سبب نزولها (ص ٢٢٠) في روايته عن الحسن أنه قال إن كفار قريش لما أرادوا أن يوثقوا النبي صلى الله عليه وسلم ويخرجوه من مكة أراد الله تعالى بقاء أهل مكة وأمر نبيه أن يخرج : مهاجراً إلى المدينة . وما فسره به القرطبي (ج ١٠ ص ٣١٣) : عليه ما يدعو به في صلاته وغيرها من إخراجها من بين المشركين وإدخاله موضع الأمن فأخرجه من مكة وصيره إلى المدينة . وهذا للمعنى رواه الترمذي عن ابن عباس وقال هذا حديث حسن صحيح . وقال الفصحاك هو خروج من مكة ودخوله مكة يوم الفتح آنأ . وروى ابن كثير في تفسيره (ج ٣ ص ٥٩) ما قاله قتادة فيها وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم علم أن لا طاعة له بهذا الأمر إلا بسلطان فقال سلطاناً نصيراً لكتاب الله ولخود الله ولفرائض الله وإقامة دين الله . وقال الزنجشري في الكشف (ج ١ ص ٤٦١) : قرئ مبطل ويخرج بالضم والفتح بمعنى المصير وقيل نزلت حين أمر بالمهجرة يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة وقيل إدخاله مكة ظاهراً عليها بالفتح وإخراجها منها آنأ من المشركين وقيل إدخاله الفار وإخراجها منه سالماً وقيل إدخاله فيها حمله من عظيم الأمر وهو النبوة وإخراجها منه مؤدياً لما كلفه من غير تعريض ، وقيل الطاعة ، وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلبسه من أمر يمكن . وسلطاناً أي حجة تنصرف كل من خالفني أو ملكاً وعزاً قوياً ناصرًا للإسلام على الكفرة .

(٢) زيادة من تفسير ابن كثير (ج ٣ ص ٥٩) .

بمكة فكان فيه إلى الليل ، ثم خرج هو وأبو بكر فمضيا إلى غار ثور فدخلاه^(١) . وروى موسى بن عُقْبَةَ وابن إسحق والإمام أحمد والبخارى وابن جِبَّان عن عائشة رضى الله عنها ، وابن إسحق والطبراني عن أختها أسماء رضى الله عنها أن أبا بكر رضى الله عنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج قِبَلَ الْمَدِينَةِ^(٢) ، فقال [له] رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على رِسْلِكَ فَإِنِ أَرَجُو أَنْ يُؤَدَّنَ لِي » . فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بآبِى وأُمِّى أنت ؟ قال : « نعم » . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيَصْحَبَهُ وَعَلَفَ راحلتين كانتا عنده وَرَقَ السَّمَرِ^(٣) ، وهو الْخَيْطُ^(٤) أربعة أشهر .

[قال ابن شِهَاب أخبرني عُرْوَةُ بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها قالت^(٥) :] « لم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طَرْفَى النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً » . قالت : « فبينما نحن [يوماً] جلوس في بيت أبي بكر في نَحْرِ^(٦) الظهيرة قال قائل لآبِى بَكْرٍ : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتَقَنِّمًا^(٧) في ساعة لم يكن يأتينا فيها » . فقال أبو بكر : « فِدَاكَ لَهُ أَبِى وَأُمِّى ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أَمْرٌ » . قالت : « فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذِنَ لَهُ فدخل ، فَتَأَخَّرَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ عن سريره فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فقال أبو بكر : « يا رسول الله ما جاء بك إلا أَمْرٌ حَدَثَ » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لآبِى بَكْرٍ : « أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ » . فقال أبو بكر : لا عَيْنَ عَلَيْكَ إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَاى ، وَفِي لَفْظِ أَهْلُكَ . قال : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ وَالْهَجْرَةِ » . فقال أبو بكر :

(١) أضاف ابن سعد : وضربت المنكبوت على بابه بمشاش بمضها على بعض ، وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الطلب حتى انتهوا إلى باب الدار ، فقال بعضهم : إن عليه المنكبوت قبل ميلاد محمد فأنصرفوا ، انظر طبقات ابن سعد (طبعة القاهرة سنة ١٣٥٨هـ ج ١ ص ٢١٣) .

(٢) لفظ البخارى (ج ٥ ص ١٥٦) : وتجهز أبو بكر قبل المدينة .

(٣) في النهاية (ج ٢ ص ١٨١) : السمر هو ضرب من شجر الطلع الواحدة سمرة ومنه الحديث : يا أصحاب الشجرة وهى الشجرة التى كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية .

(٤) في النهاية (ج ١ ص ٢٨٠) : الخيط ضرب الشجر بالمصا ليتناثر ورقها وأسم الورق الساقط خيط بالتعريك .

(٥) زيادة في إسناد الحديث من صحيح البخارى (ج ٥ ص ١٥٤) .

(٦) في النهاية (ج ٤ ص ١٢١) : في حديث الهجرة : نحر الظهيرة هو حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع كأنها وصلت إلى النحر وهو الصدور .

(٧) متقنماً أى مغنياً رأسه ، وتقنع مطاوع قنع . وفي النهاية مقنع بالحديد أى المتخفي بالسلاح .

« الصَّحْبَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ». قال : « نعم ». قالت عائشة : « فوالله ما شعرت قط قبيل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذٍ » .

قال أبو بكر : « يا رسول الله خُذْ لِحْدِي راحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بالثَّمن ، لا أركب بعيراً ليس هو لي » . قال : فهو لك . قال : « لا ولكن بالثمن الذي ابْتَعَتْهَا بِهِ » . قال « أَخَذْتُهَا بِكَذِّ وَكُذَّا » . قال : « أَخَذْتُهَا بِذَلِكَ » . قال : هي لك . وعند البخاري في غزوة الرجيع أنها الجَذَنَاءُ^(١) ، وأفاد الواقدي أن الثمن ثمانمائة . واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلاً من بني الدَّيْل [وهو من بني عَبْدِ ابن عَدِي^(٢)] هادياً خَريْتاً - والخَريْت الماهر بالهداية - [قد غَمَسَ حُفْفاً في آل العاص ابن وائل السُّهْمِي^(٣)] وهو على دين كُفَّار قريش - وأسلم بعد ذلك - فأيناه فدفعنا إليه راحلتيهما وواعداه غَارَ ثور بعد ثلاث [ليال^(٤)] براحتيهما [صبح ثلاث^(٥)] .

قالت عائشة : فَجَهِزْنَاهُمَا أَحَدُ الْجِهَازِ^(٦) وصنعنا لهما سَفْرَةَ في جراب . وأفاد الواقدي أنه كان في السَّفْرَةِ شاة مطبوخة . قالت عائشة : فَشَقَّتْ أَشْيَاءَ بَنَتْ أَبِي بِكَرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا - وفي لفظ قطعت نِطَاقَهَا فِطْعَتَيْنِ فَأَوَكَّتْ^(٧) بقطعة منه الجِراب وَشَدَّتْ فَمِ الْقُرْبَةِ . بِالْيَاقِي فَسَمِيَتْ ذات النطاق وفي لفظ النِطَاقَيْنِ . وعند البلاذري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) لفظ البخاري (ج ٥ ص ٢٢٤) في باب غزوة الرجيع عن عائشة رضي الله عنها . قال أبو بكر : يا رسول الله عندي ثقتان قد كنت أهدتهما للقروج . فألقى النبي صلى الله عليه وسلم إحداهما وهي الجذعاء . وفي شرح المواهب (ج ١ ص ٣٢٧) : وأفاد الواقدي أن الثمن ثمانمائة درهم . وأن التي أخذها النبي صلى الله عليه وسلم هي القصواء وكانت من نهم بني قشير . وعاشت بعده عليه السلام قليلاً وماتت في خلافة أبي بكر وكانت مرسله تروى بالبيع . وذكر ابن إسحق أنها الجذعاء وكانت من إبل بني الحريش وكذا في رواية ابن حبان عن هشام عن أبيه عن عائشة أنها الجذعاء ذكره في فتح الباري .

(٢) زيادة من صحيح البخاري (ج ٥ ص ١٥٧) .

(٣) في الأصول : أُنِيبَ الْجِهَازُ وهو موافق لما في ابن سعد (ج ١ ص ٢١٤) وآلنا إلهيات رواية البخاري وفي شرح المواهب (ج ١ ص ٣٢٧) : فَجَهِزْنَاهُمَا أَحَدُ مِهْمَلَةٍ وَمُطْلَقَةٍ أَسْرَعَ وفي رواية بجملة والأول أصح ، الجهاز قال الخلف بفتح الجيم وتكسر ومهم من أنكره وهو ما يحتاج إليه في السفر . وقال في الثور بكسر الجيم الأصح من فتحها بل لمن من فتح . والذي في الصحاح : وأما جهاز الثوروس والسرير فيفتح ويكسر .

(٤) لفظ ابن سعد (ج ١ ص ٢١٤) : فَأَوَكَّتْ بِهِ الْجِرَابِ وقطعت أخرى فصيرته عصاً لقم القرية . وفي النهاية (ج ٤ ص ٢٢٩) أَوَكَّا الْأَسْقِيَةَ أي شدوا رءوسها بالوكاء لئلا يدخلها حيوان أو ينقلب فيها شيء يقال أَوَكَيْتَ السَّقِيَّةَ أَوَكَيْتَ لَهَا فُهْرَ مَوْكِي . والمعصم وباط وجهه عصم .

قال : « إن لها نطاقين في الجنة » فسميت ذات النطاقين ^(١) .

قال ابن إسحق : « وأُعْلِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علياً بخروجه وأمره أن يتخلف بعده [بمكة] حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس / وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته » . قالت عائشة : « ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بغار في جبل ثور » . وفي حديث عمر بن الخطاب عند البيهقي أنهما خرجا ليلاً . وذكر ابن إسحق والواقدي أنهما خرجا من خوخة في ظهر بيت أبي بكر . وروى أبو نعيم عن عائشة بنت قدامة ^(٢) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لقد خرجت من الخوخة متنكراً فكان أول من لقيني أبو جهل فأعصى الله عز وجل بصره عني وعن أبي بكر حتى مضينا » . قالت أسماء : « وخرج أبو بكر بماله خمسة آلاف درهم » . قال البلاذري : « وكان مال أبي بكر يوم أسلم أربعين ألف درهم ، فخرج إلى المدينة للهجرة وماله خمسة آلاف أو أربعة ، فبعث ابنه عبد الله فحملها إلى الغار » . قالت : « فدخل علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال : « والله إني لأراه قد جمعكم بماله مع نفسه » . قالت : « قلت : كلاً يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً » . قالت : « فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت ، كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده فقلت : يا أبت ضع يديك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه . فقال : لا بأس إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاء لكم . ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكني أردت أن أسكن الشيخ [بذلك] » .

وفي حديث عند البيهقي أن أبا بكر رضى الله عنه لما خرج هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار ، جعل أبو بكر يمشي مرة أمام النبي صلى الله عليه وسلم ، ومرة خلفه

(١) بالتحية هي رواية الكشي ورواية غيره الطلاق بالإفراء قالوا بن حجر : الطلاق ما يشهد به الوسط وقيل هو إقرار فيه تكة وقيل ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها يحمل ثم ترسل الأمل على الأسفل قاله أبو حنيفة الخروقي قال : وسميت ذات النطاقين لأنها كانت تحمل نطاقاً على نطاق . وقيل كان لها نطاقان فليس أحدهما يحمل في الآخر الزاد قال ابن حجر : والمحمول في البخاري أنها شقت نطاقها نصفين فهدت بأحدهما الزاد واتصرت على الآخر ثم قيل لها ذات النطاق وذات النطاقين بالثنية والإفراء هذين الاختبارين - عن الزرقاني في شرح المواهب ج ١ ص ٣٢٨ .

(٢) هي عائشة بنت قدامة بن مضمون القرشية الجمعية كانت هي وأنها راتلة بنت سفيان الخزاعية من المبايعات ، انظر أسد الغابة ج ٥ ص ٥٥٥ والإصابة ج ٨ ص ١٤٢ رقم ٧٠٨ .

(٣) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ١٠٢ .

ومرة عن يمينه ومرة عن شماله ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال : « يا رسول الله أَذْكَرُ الرُّصْدُ^(١) فَأَكُونُ أَمَامَكَ وَأَذْكَرُ الطَّلَبُ فَأَكُونُ خَلْفَكَ ، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لَأَمْنٌ عَلَيْكَ ، فلما انتهينا إلى فم الغار قال أبو بكر : والذي بعثك بالحق لا تَدْخُلُهُ حَتَّى أَدْخُلَهُ قَبْلَكَ ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ نَزَلَ فِي قَبْلِكَ . فدخله فجعل يلمس بيده ، فجعل كلما دَخَلَ جُحْرًا قَامَ إِلَى ثَوْبِهِ فَشَقَّهُ ثُمَّ أَلْقَاهُ الْجُحْرَ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ بِثَوْبِهِ أَجْمَعُ : فَبَقِيَ جُحْرٌ فَوَضَعَ عَقِبَيْهِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَتْ الْحَيَاتُ يَلْسَعْنَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَعَلَتْ دُمُوعُهُ تَنْحَلِرُ .

وروى ابن أبي شيبه وابن المنذر عن أبي بكر أنهما لما انتهيا إلى الغار إذا جُحْرٌ فَأَلْقَاهُ أَبُو بَكْرٍ رَجْلَيْهِ . قال : « يا رسول الله إِنْ كَانَ لَدُنْكَ أَوْ لِسَعَةٌ كَانَتْ بِي » . وروى ابن مَرْثُومٍ عَنْ جُنْدَبِ بْنِ سُفْيَانَ^(٢) قال : « لَمَّا انْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْغَارِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَدْخُلِ الْغَارَ حَتَّى أَسْتَبْرِئَهُ . فدخل أبو بكر الغار فَأَصَابَ يَدَهُ شَيْءٌ فَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ إَصْبَعِهِ وَيَقُولُ

هَلْ أَنْتَ إِلَّا لِأَصْبَعٍ كَتَمْتَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَالِيَّتٌ^(٣)

وفي حديث أنس عند أبي نُعَيْمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ « أَيِنَّ تَوْبُكَ ؟ » فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي صَنَعَ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَبَا بَكْرٍ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي فِي الْجَنَّةِ » . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : « قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ » . وروى ابن سعد وأبو نُعَيْمٍ والبيهقي وابن عساکر عن أبي مُصْعَبٍ الْمَكِّيِّ قَالَ : « أَدْرَكْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ، وَزَيْدَ بْنَ أَرْثَمَ ، وَالْمُعِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى

(١) الرصد - حركة - القوم يرمضون كالمرس يهرى له الواحد والجمع والمثلث ، وربما قالوا أرصاد .
(٢) هو جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي أبو عبد الله ، وقد يلقب إلى جده ليقال جندب بن سفيان ، سكن الكوفة ثم البصرة قدمها مع مصعب بن الزبير ، وروى عنه أهل المصرين ، وروى عنه من أهل الشام شهر بن حوشب فقال حدثني جندب بن سفيان . قال ابن السكن : وأهل البصرة يقولون جندب بن عبد الله ، وأهل الكوفة يقولون جندب ابن سفيان ، غير شريك وحده ويقال له جندب الخير وأنكره ابن الكلبي . وقال البهقي يقال له جندب الخير وجندب الفاروق . . . وقال ابن حبان هو جندب بن عبد الله بن سفيان . . . انظر الإصابة ج ١ ص ٢٦٠ رقم ١٢٢٠ .
(٣) ذكر الواقدي وابن هشام أن هذا البيت للوليد بن الوليد بن المغيرة الصحابي لما رجع في صلح الحديبية إلى المدينة وعثر بحماتها فاقطعت إصبعه . انظر الزرقاني على المواهب ج ١ ص ٣٢٦ .

الله عليه وسلم ليلة الغار أمر شجرة - وفي رواية عند قاسم بن ثابت^(١) : أنبت الله شجرة المرأة^(٢) ، فنبئت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسترته ، وبعث الله العنكبوت فَنَسَجَتْ ما بينهما فستر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا في فم الغار ، وأقبل فتیان قريش من كل بطن يعصبيهم وهراهم^(٣) وسبوفهم ، حتى إذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم على أربعين ذراعاً ، جعل بعضهم ينظر في الغار فلم يَرَ إلا حمامتين وحشيتين بفم الغار ، فرجع إلى أصحابه ، فقالوا له : مالك ؟ قال : رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد ، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قال : فعرف أن الله قد رآه بهما فبارك عليهما النبي صلى الله عليه وسلم وفرض جزاءهن وانحدرتا في الحرم فأفرخ ذلك الزوج كل شيء في الحرم^(٤) . وروى الإمام أحمد بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن المشركين قصّوا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم ، فصعدوا الجبل فمروا بالغار قرأوا على بابهِ نسيج العنكبوت ، فمكث فيه ثلاثة أيام .

(١) هو قاسم بن ثابت بن حزم النوف السرقطي يكنى أبا عبد رحل مع أبيه فسمع بمصر من أحمد بن شعيب النسائي وصححه وحكى مجمع الحديث واللفظ هو زايه وأدخل الأندلس علماء كثيرًا . وألف قاسم كتاباً في شرح الحديث سماه كتاب الدلائل بلغ فيه الناية من الإتيان ومات قبل إكاله فأكله أبوه ثابت بعده . وكاف قاسم عالماً بالحديث والفقه مقدماً في تفسيره للزبيدي والنسائي والشعر وكان ورعاً ناسكاً وإني أن على القضاء ، توفي في سرقطة سنة ٣٠٢ هـ . أنظر تاريخ العلماء والرواة بالأندلس لابن الفرغى (ج ١ ص ٤٠٢ : ٤٠٣ رقم ١٠٦٢) . هذا وقد ترجم له الزرقاني في شرحه على المواهب (ج ١ ص ٣٣١) ترجمة مختصرة قال فيها بأنه توفي ٣٦٠ هـ . والأصوب ما ذكره ابن الفرغى حيث قال إنه ولد سنة ٣٥٥ هـ . أما عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت فقد أشار إليه الزرقاني بأن مؤلفه شرح فيه ما أفضله أبو عبيد القاسم ابن سلام وابن تقيّة من غريب الحديث .

(٢) في القاموس المحيط : أروا المكان كثر به الرأه وقال الزبيدي في التاج : الرأه شجرة ترتفع على ساق ثم يرتفع لها ورق مدور وقيل لها شجرة جبلية لها زهرة بيضاء كأنها قطن أو نوع من شجر اللؤلؤ ، وجمع الرأه الرأه . وقال السبيل (ج ٢ ص ٤) إن قاسم بن ثابت ذكر في الدلائل فيها شرح من غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وأبو بكر معه ألبس الله جل باباه الرأه وهي شجرة معروفة فصبغت من الدار أمين الكفار وقال أبو حنيفة (ينقص السبيل) أنها حنيفة البهتوري وكان حنانياً : الرأه من أغلات الشجر وتكون على قامة الإنسان ولها عيطان وزهر أبيض يمتلئ به الخاد فيكون كالريش خلفه وليه .

(٣) في الصحاح الرأه النسا الضخمة والجنت الهراوى بفتح الواو . وفي شرح الزرقاني على المواهب (ج ١ ص ٣٣٢) : قال البرهان كان ينبغي أن يكتب بالألف وينطق بها فيقال : هراوأم أو أنه يقال : هراوى وهراوى - بفتح الواو وكسرهما - بكسحاوى ومحمداً - بفتح الواو وكسرهما .

(٤) في الزرقاني على المواهب أن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاء وفقاً لما حصل بها الحماية جوزيا بالنسل وحمايته في الحرم فلا يتعرض له ، وفي المثل : آمن من حمام الحرم .

وروى الحافظ أبو بكر أحمد بن سعيد القاضى شيخ النسائى فى مسند الصديق عن الحسن البصرى قال : « جاءت قريش يطلبون النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نَسَجَ العنكبوت ^(١) قالوا : لم يَدْخُله أحد . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قائما يصلى وأبو بكر يرتقب . فقال أبو بكر : يا رسول الله هؤلاء قومك يطلبونك ، أما والله ما على نفسى أبكى ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تخف إن الله معنا » وروى الإمام أحمد والشيخان عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال : « قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار . لو أن أحدهم نَظَرَ إلى قدمه لأبصرنا تحت قدميه ^(٢) » فقال : « ما ظَنُّكَ باثنين الله ثالثهما » . وروى أبو نعيم فى الجيئة عن عطاء بن ميسرة قال : « نَسَجَتِ العنكبوت مَرَّتَيْنِ مَرَّةً على داود حين كان طالوت يطلبه ومرة على النبي صلى الله عليه وسلم فى الغار » .

وذكر البلاذرى فى تاريخه وأبو سفيان فى الشرف أن المشركين استأجروا رجلاً يقال له عُلْقَمَةُ بن سُكْرَز بن هلال الخزاعى - وأسلم عام الفتح - فقفا لهم الأثر حتى انتهى إلى غار ثور ^(٣) وهو بأسفل مكة فقال : ههنا انقطع أثره ولا أدرى أخلد ميمناً أم شاملاً أم صعد الجبل . فلما انتهوا إلى فم الغار قال أمية بن خلف : ما أَرَبُكُمْ فى الغار ؟ إن عليه لعنكبوتاً كان قبل ميلاد محمد . ثم جاء فيقال .

وروى البيهقى عن عروة أن المشركين لما فقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رَكِبُوا فى كل وجه يطلبونه وبعثوا إلى أهل المياه يأمرؤنهم به ويجعلون لهم الجُعْلَ العظيم وأتوا على ثور الجبل الذى فيه الغار الذى فيه النبي صلى الله عليه وسلم حتى طلوعوا فوقه ، وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أصواتهم ، فأشفق أبو بكر وبكى وأقبل عليه الهم والحزن والخوف ، فعند ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لَا تَحْزَنَ إِنَّ

(١) من بلغ الأبيات التي قبلت في هذا الصدد :

والعنكبوت أجنادت حوك حلتها . فاستحال غلال النسج من خلال

(٢) العبارة هنا بها تكرار ، وهي كما أوردها ابن الأثير فى أسد الغابة (ج ٣ ص ٢٠٩) : لو أن أحدهم نظر

إلى تحت قدميه لأبصرنا .

(٣) فى معجم البكرى ج ١ ص ٣٤٨ : هو ثور أطحل وهو جبل مكة الذى فيه غار الذى صلى الله عليه وسلم .

وروى الحارثى من طريق التميمى عن أبيه عن علي قال : حرم النبي صلى الله عليه وسلم ما بين صبر إلى ثور .

الله مَعَنَا^(١) ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت السكينة من الله تعالى . وروى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر عن ابن عباس في قوله تعالى : (فَاتَّزَلَّ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ)^(٢) ، قال : على أبي بكر لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم تنزل السكينة معه^(٣)

وروى أبو نعيم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أن أبا بكر رأى رجلاً مواجهاً الغار فقال : « يا رسول الله إنه يرانا » . « قال كلا إن الملائكة تستره الآن بأجنحتها » . فلم ينشب أن قعد يبول مستقبلنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر لو كان يراك ما فعل هذا » .

ويرحم الله الشرف البوصيري^(٤) حيث قال :

وَبَحَّ قَوْمٌ جَفَوْا نَبِيًّا بِأَرْضٍ أَلْفَتَهُ ضِبَابُهَا وَالظَّبَابُ
وَسَلَّوْهُ وَحَسَنَ جِدْعٌ لَّابِيهِ وَقَلَّوْهُ وَرَدَّهُ الْغُرَابُ
أَخْرَجُوهُ مِنْهَا وَأَوَّاهُ غَسَارٌ وَحَمَّنُوهُ حَمَامَةٌ وَرَقَاءُ
وَكَفَّنُوهُ بِنَسْجِهَا عَنكِبُوتٌ مَا كَفَّنَتْهُ الْحَمَامَةُ الْحَصْدَاءُ^(٥)

(١) هذا من الآية الأربعين من سورة التوبة وتعلمها : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بيمينه لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » وأخرج البخاري في تفسيرها (ج ٦ ص ١٢٦) حديثاً رواه أنس بن أبي بكر أنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار فرأيت آثار المشركين قلت : يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رأانا قال : « ما ظنك بالثنتين الله ثالثهما » وروى في تفسير : « فأنزل الله سكينته عليه » أي حل أبي بكر بتأمين النبي صلى الله عليه وسلم له فسكن جلته وذبح دمه (تفسير القرطبي ج ٨ ص ١٤٨) .

(٢) في الأصول : الأبو بصيري وأثبتنا الاسم الذي اشتهر به صاحب البردة . وعلق الزرقاني في شرحه على المواهب (ج ١ ص ٣٣٠) على هذه النسبة لبدة بوصير قالوا : لو سلم أن القرية بلفظ الكنية فإيما يقال في النسبة « بصيري » يحذف الجزء الأول كما يقال بكرى في النسبة إلى أبي بكر إذ لا ينسب إلى الاسمين معاً المضاف والمضاف إليه لأن إعراب أولهما بحسب العوامل والثاني مخفوض بالإضافة . غير أن هذا لا يصح لأن أبو أو أبو أساسية في الكنية . قال محمد رمزي في القاموس المغربي لبلاد المصرية في ج ٢ ص ٦٩ القاهرة سنة ١٩٤٨ . وبناء على ذلك يجب أن يلاحظ أن كلمة أبو التي في أول اسم بوصير هي جزء من الاسم لا يجوز أن تتغير بما يدخل عليها من عوامل الإعراب كما يفعل بعض الكتاب الذين لا يعرفون أصل هذا الاسم .

(٣) يقال شجرة حصداً أي كثيرة الوراق فكأنه استعارة للحمة لكثرة ريشها .

وحيث قال :

أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنَشَقِّ أَنْ لَهُ
وما حَوَى الْغَارَ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
فَالصَّدِّقُ فِي الْغَارِ وَالصَّالِقُ لَمْ يَرِدَا
ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى
وَقَايَةُ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةِ
مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةَ مَبْرُورَةِ الْقَسَمِ
وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُمِ
وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرَمٍ^(١)
خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسَجْ وَلَمْ تَحْمِ
مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأَطْمِ

لطيفة : سئل بعضهم عن الحكمة في اختفائه صلى الله عليه وسلم في غار ثُور دون غيره فأجيب بأنه صلى الله عليه وسلم كان يحب الفألَ الحَسَنَ ، وقد قيل إن الأرض مستقرة على قرن الثور فنامب استقراره صلى الله عليه وسلم في غار ثُور تفاؤلاً بالطمأنينة والاستقرار فيها يقصده هو ورفيقه .

وروى ابن عَليّ وابن عساكر عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحَسَّانَ : « هل قلت في أبي بكر شيئاً ؟ » قال : نعم . قال : « قُلْ وَأَنَا أَسْمَعُ » ، فقال :

وَالثَّانِي اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ الْمُتَيْفِ وَقَدْ
وَكَانَ حِجْبُ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا
طَافَ اللَّعْتُ بِهِ إِذْ صَعَدَ الْجَبَلَ^(٢)
مِنَ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَعْلِلْ بِهِ رَجُلًا^(٣)

فَصَحِّحْكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ / ثُمَّ قَالَ : « صَدَقْتَ يَا حَسَّانَ »^{٤١١} ظ هو كما قلت .

قالت عائشة رضي الله عنها : « فَكَمْنَا فِي الْغَارِ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا ، وَهُوَ غَلَامٌ ثَقِيفٌ لَقِينٌ^(٤) ، فَيُلْتَلَجُ مِنْ عِنْدَهُمَا بِسَحَرٍ فَيَصْبِحُ مَعَ قَرِيضٍ

(١) الأرم والإرم ككتف وعتب حجارة أو نحوها تنصب في المغارة ليعلى بها .

(٢) وقيله :

إِذَا تَذَكَّرْتُ شَجَرًا مِنْ أَعْيُ ثَقَةٍ فَذَكَرْتُ أَعَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا ضَلَا
اتَّسَلَى الثَّانِي الْمَحْسُودُ شَيْئَةً وَأَوَّلُ النَّاسِ طَرَأَ صَدَقَ الرِّسَالَا

(٣) وبه : غير البرية أنقاما وأرأفها بعد النبي وأوفاما بما حلا - أنظر ديوان حسان (القاهرة سنة ١٩٢٩

ص ٢٩٩ : ٣٠٠) .

(٤) في النهاية (ج ١ ص ١٣١) في حديث الهجرة وهو غلام لقن ثقف أي ذو طعة وذكاء ، ورجل ثقف وثقف
وثقف - يكسر القاف وضما وتسكيها - والمزاد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه . وعند الزركاني لقن أي سريع الفهم .

[بمكة كباثت] ^(١) ، فلا يَسْمَعُ بِأَمْرِ يُكَادَان به ^(٢) إلا وعاء حتى يأتِيهما بخَبَر ذلك حين يختلط الظلام . وعند ابن إسحق أن أسماء بنت أبي بكر كانت تأتيهما إذا أُمست بما يُضِلُّهُمَا مِنَ الطَّعام . وكان عامر بن فُهَيْرَة يَرْعَى غَنَمًا لِأَبِي بَكْرٍ فِي رُعْيَان ^(٣) أَهْل مَكَّة فَإِذَا أُمَّتِي يُرِيحُهُمَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَب سَاعَة مِنَ الْعِشَاء ، فَيَبِيتَان فِي رِسْلٍ [وَهُوَ لَبَنٌ مِنْحَتُهُمَا ^(٤)] وَرَضِيْفُهُمَا ^(٥) [حَتَّى يَنْتَقِ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَس ^(٦)] ، فَيَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ .

فلما مضت الثلاث وسكنَ عنهما الناس أتاها صاحبهما الذي استأجره فَرَكِبَا وانطلقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالْدَّلِيلُ الدَّلِيلُ . وأردف أبو بكر عامر بن فُهَيْرَةَ مَوْلَاهُ لِيُخْلِمَهُمَا فِي الطَّرِيقِ - وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ ^(٧) فِي غَزْوَةِ الرَّجِيعِ كَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ غَلَامًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الطُّفَيْلِ بْنِ سَخْبَرَةَ ^(٨) أَخُو عَائِشَةَ لِأُمِّهَا ^(٩) - وَأَخَذَ بِيَمَا الدَّلِيلُ طَرِيقَ السَّاحِلِ أَسْفَلَ مِنْ عُسْفَانَ ^(١٠) ثُمَّ أَجَازَ بَهُمَا حَتَّى عَادَا مِنَ الطَّرِيقِ عَلَى أُمِّجٍ ^(١١) .

وروى أبو نُعَيْمٍ مِنْ طَرِيقِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ : « بَلَغْنِي أَنَّ

(١) زيادة من صحيح البخارى (ج ٥ ص ١٥٧) .

(٢) هذه رواية الكشي ورواية غيره : يكادانه أى يطلب لما فيه الفوائد .

(٣) فى الصحاح الراعى جمعه وعاء مثل قاض وقصاة وريحان مثل شاب وشبان ورياء مثل جائع وجياح .

(٤) زيادة من البخارى ، والمنحة من لبن أى غنم فيها لبن . والرسل كما فى الصحاح اللبن وقد أرسل القوم أى صار اللبن فى مواشيم .

(٥) فى النهاية (ج ٢ ص ٨٥) فى حديث الهجرة : فبييتان فى رسلهما ورَضِيْفُهُمَا . الرَضِيْفُ (بالضاد المعجمة) بَزَّةٌ رَغِيْفٌ وَهِيَ مَصْفُوفَةٌ بِالضَادِّ الْمُهْمَلَةِ فِي طَبَقَةِ الْمَتَرِيَّةِ الْبُخَارِيُّ (هُوَ اللَّبَنُ الْمَرْصُوفُ وَهُوَ الَّذِي طُرِحَ فِيهِ الْحَجَارَةُ الْمُهْمَلَةُ لِيَنْهَبَ وَخَمَهُ .

(٦) صحيح البخارى ج ٥ ص ٢٣٤ .

(٧) السخبرة فى اللغة ضرب من التبت يشبه الإذعر كما جاء فى الاشتقاق لابن دريد طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨ م

ص ٥٦٤ .

(٨) أمها أم رومان بنت ميمر بن غامر من بني كنانة .

(٩) عسفان كما فى معجم البلدان لياقوت (ج ٦ ص ١٧٤) منبلة من مناهل الطريق بين الجيفة ومكة وبهى على مرحلتين

من مكة وقيل على ستة وثلاثين ميلا منها وهى حد تهامة .

(١٠) أمج بلد من أعراض المدينة كما فى معجم ياقوت (ج ١ ص ٣٣٠) ، وفى معجم البكرى (ج ١ ص ١٩٠) قرية جماعة بها سوق وهى كثيرة المزراع والتمثل وهى على ساية وساية ، واد عظيم وأهل أمج خزاعة . ومن أبيات لجعفر ابن الزبير بن العوام :

أم كيف أنسى مسيرنا حرمنا يوم حللنا بالتمثل من أمج

رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خَرَجَ مُهَاجِرًا قَالَ : « الحمد لله الذى خلقنى ولم أَكْ شَيْئًا ، اللهم أَعِنِّى عَلَى هَؤُلَ الدُّنْيَا وَبَوَائِقِ الدَّهْرِ وَمَصَائِبِ اللَّيَالِى وَالْأَيَّامِ ، اللَّهُمَّ اصْصِبْنِى فى سَفَرِى وَاصْخَفْنِى فى أَهْلِى وَبَارِكْ لى فىمَا رَزَقْتَنِى ، وَلَكَ فَلَلْتُنى ، وَعَلَى صَالِحِ خَلْقِى فَقَوِّمْنِى ، وَإِلَى رَبِّى فَجَبِّبْنِى ، وَإِلَى النَّاسِ فَلَا تُكِلْنِى ، أَنْتَ رَبُّ الْمُتَضَعِّفِينَ وَأَنْتَ رَبِّى ، أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ الذى أَشْرَقَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فَكَشَفْتَ بِهِ الظُّلُمَاتِ وَصَلَّحَ عَلَيْهِ أَمْرَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، أَنْ يَحِلَّ لى غَضَبُكَ أَوْ يَنْزِلَ عَلَى سَخَطِكَ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَفُجَاعَةِ نِقْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَاقِبَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ ، لَكَ الْمَتْنِبَى خَيْرٌ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ » .

وروى الإمام أحمد والشيخان ويعقوب بن سفيان^(١) عن البراء بن عازب رضى الله عنه أن أباه قال لأبي بكر رضى الله عنه : كيف صَنَعْتُمَا لَيْلَةَ سَرَيْتَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : خرجنا فَأَذَلَجْنَا فَأَحْيَيْنَا يَوْمَنَا وَلَيْلَتَنَا حَتَّى أَظْهَرْنَا وَقَامَ قَائِمُ الظُّهيرة فَضَرَبْتُ بِبَصْرِى هَلْ أَرَى ظَلًّا نَأْوِى إِلَيْهِ فَإِذَا أَنَا بِصَخْرَةٍ فَأَقْوَيْتُ لَهَا فَإِذَا بَقِيَّةُ ظِلِّهَا فَسَوَّيْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وفرشت له قُرُوءَةً ثُمَّ قُلْتُ : اضْطَجِعْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَنْفَضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ ، ثُمَّ خَرَجْتُ [هَلْ أَرَى أَحَدًا مِنَ الطَّلَبِ] [فَإِذَا بِرَاعٍ مُقْبِلٍ بَغْنَمِهِ يَرِيدُ مِنَ الصَّخْرَةِ مَا أَرَدْنَا : فَلَقِيْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ : لِمَنْ أَنْتَ يَا غَلَامُ ؟ فَقَالَ : لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَسَمَّاهُ فَرَقَرْتُهُ فَقُلْتُ : هَلْ فى غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قُلْتُ : هَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لى ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَأَمَرْتُهُ فَأَعْتَقَلَ شَاةً مِنْهَا . فَقُلْتُ : أَنْفَضِ الضَّرْعَ مِنَ التَّرَابِ وَالْقَلْدَى ، فَحَلَبْ لى فى قَعْبٍ مَعَهُ كُتْبَةٌ^(٢) مِنْ لَبَنٍ وَمَعَهُ إِدَاوَةٌ أَرْتَوِى فِيهَا لِلنَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم

(١) هو الإمام الحجة أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوفان الفارسى القسوى صاحب التاريخ الكبير والمشقة روى عنه الترمذى والنسائى وابن خزيمة وأبو حنيفة وابن أبي حاتم وآخرون . ويقع فى الرحلة ثلاثين سنة . قال أبو زرعة الدمشقى قدم علينا من بلاء الرجال يعقوب بن سفيان يميز أهل العراق أن يروا مثله ، توفى سنة ٢٧٧ هـ ، انظر تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٤٥ و ١٤٦ وخلاصة الخزرجى ص ٣٧٥ . وإسناده هذا الحديث الذى رواه يعقوب يختلف عما أورده ابن الأثير فى أسد الغابة (ج ٣ ص ٢١٠) ومن رواه محمد أبو حميد عن إسرائيل عن أبي إسحق عن البراء بن عازب قال اشتري أبو بكر من عازب رجلا بثلاثة عشر درهما فقال أبو بكر لما زب من البراء فليجعله لى منزلى فقال لا حتى نخدشنا كيف صنعت حيث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه .

(٢) زيادة من أسد الغابة .

(٣) الكتبه كانى النهاية (ج ٤ ص ٩) : بضم الكاف وتسكين المثلثة كل قليل جمته من طعام أو لبن أو غير ذلك والجمع كتب .

وسلم يشرب منها ويتوضأ ، على فمها خرقة ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَوْقِظَهُ مِنْ نَوْمِهِ ، فَوَقَفْتُ حَتَّى اسْتَيْقِظَ ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّيْنِ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى بَرَدَ ٤١٢ وَأَسْفَلَهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْرَبْ مِنْ هَذَا اللَّيْنِ . فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيَ . / ثُمَّ قَالَ : أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ ؟ قُلْتُ : بَلَى . قَالَ فَارْتَحَلْنَا بَعْدَ مَا زَالَتِ الشَّمْسُ .

قِصَّةُ أُمِّ مَعْبِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

روى الطبراني والحاكم وصححه ، وأبو نُعَيْمٍ وأبو بكر الشافعي عن حَبِيشِ بْنِ خَالِدٍ الْأَشْمَرِ^(١) الْخَزَاعِيُّ الْقُلَيْدِيُّ^(٢) ، أَخَى أُمِّ مَعْبِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَأَبُو بَكْرِ الشَّافِعِيُّ عَنْ أَبِي سَلَيْطٍ^(٣) - بَفَتْحِ السَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَكَسْرِ اللَّامِ فَمُنْثَاةٌ تَحْتِيةً فِطَاءَ مَهْمَلَةٍ - وَاسْمُهُ أُسَيْرَةٌ - بَضْمِ أَوَّلِهِ وَفَتْحِ ثَانِيهِ وَسُكُونِ الْمُثْنَاةِ التَّحْتِيَةِ - ابْنُ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَابْنُ سَعْدٍ وَابْنُ أَبِي مَعْبِدٍ^(٤) ، وَابْنُ السَّكَنِ عَنْ أُمِّ مَعْبِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَالْبَزَارِ^(٥) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ ، وَمَوْلَى أَبِي بَكْرٍ عَامِرُ بْنُ مُهَيَّرَةَ وَدَلِيلُهُمُ اللَّيْثِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَرْقِطِ^(٦) ، مَرُّوا عَلَى خَيْمَةِ أُمِّ مَعْبِدٍ الْخَزَاعِيَةِ ، وَهِيَ لَا تَعْرِفُهُ ، وَكَانَتْ بَرْزَةً جُلْدَةً تَحْتِي بِقِنَاءِ

(١) اختلف في نسبة إذهاب في أسد الغابة (٦ ص ٤٧٦) : حبش بن خالد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم .. وقيل حبش بن خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة - لا يذكرون منقذاً - الخزاعي الكوفي أبو حضر وأبو خالد ، يقال له الأشمر . وقال ابن الكلبي حبش هو الأشمر وزاد في نسبه .. وهو أخو أم معبد وصاحب حديثها .

(٢) نسبة إلى قديد موضع قرب مكة وهو على لفظ التصغير وفي معجم البكري (٦ ص ١٠٥٤) أن هذه القرية سميت قديداً لتقدم السيول بها وهي لخزاعة .

(٣) أبو سليط الأنصاري ملقب اسمه أسيرة بن عمرو بن قيس بن مالك . الخزرجي النجاري .

(٤) أبو معبد الخزاعي زوج أم معبد اختلف في اسمه . قال محمد بن إسماعيل اسمه : حبش وأنه سمع حديثه من أم معبد في صفة النبي صلى الله عليه وسلم . وروى عن أبي معبد زوجها وعن حبش بن خالد أشياء ، كلهم يرويه بمعنى واحد . قيل توفي أبو معبد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يسكن قديداً .

(٥) في الأصول : والبزار عن ثم يياض يقدر ثلاث كلمات لم نستطع تكله .

(٦) في إحدى النسخ الخليفة من سيرة ابن هشام هو عبد الله بن أرقط بالذال بدل الطاء ، وفي رواية الأُموي أرقط بالتصغير وقيل رقيط كما في الزرقاني من المواهب (٦ ص ٣٣٩) وهو من الدليل وقيل الدليل كما في فتح الباري . وكان الأرقط على دين كفار قريش ولم يعرف له إسلام فيما بعد كما جزم به عبد الله المقدسي وتبعه النووي وقال ابن حجر في الإصابة لم أر من ذكره في الصحابة إلا الله في التنجيد وقال السهيلي (٦ ص ٨) : عبد الله بن أرقط لم يكن إذ ذاك مسلماً ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك .

(٧) في رواية : حتى .

الْقُبَّةُ ثُمَّ تَسْقَى وَتَطْعِمُ فَسَأَلُوهَا لَحْمًا وَتَمَرًا لِيَشْتَرُوهُ مِنْهَا ، فَلَمْ يُصِيبُوا عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، وَإِذَا الْقَوْمُ مُرْمِلُونَ مُسْتَيْثُونَ . فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ عِنْدُنَا شَيْءٌ مَا أَعُوْزْنَاكُمْ . فَظَنَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى شَاةٍ فِي كِسْرِ الْحَيْمَةِ - وَفِي لَفْظٍ فِي كِفَاءِ الْبَيْتِ - فَقَالَ : « مَا هَذِهِ الشَاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ ؟ » قَالَتْ : شَاةٌ خَطَفَهَا الْجَهْدُ عَنِ النَّعَمِ . قَالَ : « هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟ » قَالَتْ : هِيَ أَحْجَدُ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : « أَتَأْذِنِينَ لِي أَنْ أُحْلِبُهَا ؟ » قَالَتْ : بَلَى أَنْتَ رَأَى [نَعَمْ] ^(١) . إِنْ رَأَيْتُ بِهَا حَلَبًا فَاحْلُبِيهَا فَوَاللَّهِ مَا ضَرَبَهَا فَحَلَّ قَطُّ فَشَأْنُكَ بِهَا . فَدَعَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَحَّ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا وَظَهَرَهَا وَسَمَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَدَعَا لَهَا فِي شَاتَانِهَا فَتَفَاجَتْ عَلَيْهِ وَدَرَّتْ [وَاجْتَرَتْ] ^(٢) ، وَدَعَا بِإِلْنَاءِ يُرْبِضُ ^(٣) الرَّهْطُ فَحَلَبَ فِيهِ ثَجًّا حَتَّى عَلَاهُ الْبِهَاءُ - وَفِي لَفْظِ الثَّمَالِ ^(٤) - ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى رَوَيْتَ ثُمَّ سَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا ، ثُمَّ شَرِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخِرَهُمْ ، وَقَالَ : « سَاقَى الْقَوْمَ آخِرَهُمْ شَرْبًا » ^(٥) . ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ ثَانِيَةً بَعْدَ بِلْدِهِ ^(٦) حَتَّى مَلَأَ الْإِنَاءَ ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا . فَبَايَعَهَا وَارْتَحَلُوا عَنْهَا .

وروى ابن سعد وأبو نعيم عن أم معبد قالت : « بقيت الشاة التي لمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة وهي سنة ثمانى عشرة من الهجرة زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكنا نحلُبها صَبُوحًا وَعَشِيًّا ، وما في الأرض قليل ولا كثير . » وقال هشام بن جُبَيْش : « أَنَا رَأَيْتُ الشاةَ وَإِنَّا لَنَأْكُمُ أُمَّ مَعْبَدٍ وَجَمِيعَ صِرْمَتِهَا ، أَيُّ أَهْلِ ذَلِكَ الْمَاءِ . »

فَقُلَّ مَا لَبِثَتْ أَنْ جَاءَ زَوْجُهَا أَبُو مَعْبَدٍ يَسُوقُ أَعْزُرًا حِيَالًا ^(٧) عِجَافًا [يَتَسَاوَرُ كَنَ

(١) زيادة من أسد الغابة (ج ١ ص ٣٧٧) .

(٢) زيادة من أسد الغابة والسهيل (ج ٢ ص ٨) والنهابة (ج ٢ ص ١٨٤) .

(٣) يربض الرهط أى يرومهم ويقطعهم حتى يناموا ويمتنوا على الأرض من ريفى بالمكان يربض إذا لعق بالمكان وأقام ملازمًا له . انظر النهاية ج ٢ ص ٥٩ .

(٤) في النهاية (ج ١ ص ١٣٤) في حديث أم معبد : فحلَبَ فِيهِ ثَجًّا حَتَّى عَلَاهُ الثَّمَالُ . ، الثَّمَالُ هُوَ بِالضَّمِّ الرَغْوَةُ وَاحِدَةُ الثَّمَالَةِ .

(٥) أخرجه الترمذى وابن ماجه ، انظر الجامع الصغير (ج ٢ ص ٣٠) .

(٦) في السهيل (ج ٢ ص ٨) : ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ مَرَّةً أُخْرَى حِلَابًا بَعْدَ تِلْ .

(٧) ٢ : كُلُّ أَنْثَى لَا تَحْمِلُ فَهِيَ حَائِلٌ يُقَالُ امْرَأَةٌ حَائِلٌ وَنَاقَةٌ حَائِلٌ وَالجَمْعُ حَوَالٍ وَحِيَالٌ . وَفِي النَّهَابَةِ (ج ١ ص

٢٧٢) : وَالشَّاءُ عَازِبٌ حِيَالٌ أَيْ غَيْرُ حَوَامِلٍ ، حَالَتْ تَحْوِلُ حِيَالًا ، وَفِي شَاءِ حِيَالٍ وَلِإِلِّ حِيَالٍ ، وَالْوَاخِةُ خَائِلٌ وَجَمْعُهَا حَوَالٍ أَيْضًا بِالضَّمِّ .

فلما رأى اللبني عَجِبَ فقال : من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاة عازب ولا حلوب في البيت ؟ قالت : « لا والله إلا أنه مرَّ بنا رجل مُبَارَكٌ من حاله كذا وكذا » . قال : « صِفِيهِ لِي يا أم معبد » . قالت : « رَأَيْتُ رجلاً ظاهِرَ الوُضْءَةِ أَبْلَجَ الوجهِ حَسَنَ الخُلُقِ ، لم تَجِدْهُ ثُجْلةً ولم تُزِرْ به صَعْلَةٌ ، وَبِشِيمٌ قَسِيمٌ ، في عَيْنَيْهِ دَعَجٌ وفي أَشْفَاهِهِ وَطَفٌ وفي صوته صَحْلٌ - أو قالت صهل - وفي عنقه سَطَعٌ ، وفي لحيته كَشَاةٌ ، أَرْجٌ أَقْرَنٌ ، إِنْ صَمْتَ فلعليه الوَقَارُ ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمًا وَعَلَاهُ الْبَهَاءُ ، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبَاهُ من بعيد وأَحْسَنُهُ وَأَحْلَاهُ من قريب ، حُلُوُ المنطقِ فَضْلٌ لَا تَزُرْ وَلَا هَلُرْ ، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ حَرَزَاتٌ نَظْمٌ يَتَحَدَّرُنَ ، رَبِيعَةٌ لَا تَشْتَوُهُ من طول ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ / عَيْنٌ من قِصَرٍ ، غُضُنٌ بَيْنَ غُضُنَيْنِ ، فَهُوَ أَنْصَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا ، لَهُ رُفُقَاءٌ يَحْضُونُ بِهِ ، إِذَا قَالَ اسْتَمِعُوا لِقَوْلِهِ وَإِذَا أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ ، مَحْفُودٌ (٢) مُحْشودٌ لَا عَابِسَ وَلَا مُفَنِّدٌ » . فقال أبو معبد : « هذا والله صاحب قريش الذي ذُكِرَ لَنَا من أَمْرِهِ بِمَكَةٍ مَا ذُكِرَ وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَصْغِيَهُ وَلَا أَفْعَلَنَّ إِنْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا » .

٤١٢ ظ

قالت أسماء رضى الله عنها : « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أُنَانَا نَبْرًا من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فخرجت إليهم فقالوا : أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ » فقلت : « والله لا أدرى أين أبي » . فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشاً خبيثاً ، فَلَطَمَ خَدِّي لَطْمَةً خَرَجَ (٣) مِنْهَا قُرْطِي ، ثُمَّ انصرفوا ، فمكثنا ثلاثة أيام ما ندرى أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى رجل من الحِجْزِ من أسفل مكة يتغنَّى بِأَبْيَاتٍ من شعر غنّاه العرب وتبعه الناس يسمعون صوته وما يَرَوْنَهُ حَتَّى خَرَجَ من أعلا مكة وهو يقول :

(١) زيادة من أصل الغاية (١ - ص ٣٧٧) وتساوك أي سار سيرا خفيفا وتساوكت المشية أي هزلت حتى تمايلت في مشيها من الضعف . وفي حديث أم معبد في النهاية (ج ٢ ص ١٩٤) فجاء زوجها يسوق أعزاً جفافاً تساوك هزالاً وفي رواية ما تساوك هزالاً يقال تساوكت الإبل إذا اضطربت أعناقها من الهزال أراد أنها تتأيل من ضعفها ويقال أيضاً جابت الإبل ما تساوك هزالاً ما تحرك رعنسها . ومعهن قليل أي الودك الذي في العظم .

(٢) المحفود الذي يحميه أصحابه ويظلمونه ويسرعون في طابعه ، عن النهاية (ج ١ ص ٢٣٩) .

(٣) في رواية غرم في أخرى طرح منها .

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ^(١)
 هَمَا نَزَلَا بِالْبَرِّ ^(٢) وَارْتَحَلَا بِهِ
 فَيَا لِقُصَى مَا زَوَى ^(٣) اللَّهُ عَنْكُمْ
 لِيَهْنِي بَنِي كَعْبٍ مَقَامٌ ^(٤) فَتَاتِهِمْ
 سَلُّوا أُخْتُكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا
 دَعَاها بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ
 فغَادَرَهَا رَهْنًا لِلْبِهَا لِحَالِبٍ

فلما سمع ذلك حسان بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه قال يجابو الماتف :

لقد خَابَ قَوْمٌ غَاب عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ
 تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَضَلَّتْ عُقُولُهُمْ
 هَدَاهُمْ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ رَبَّهُمْ
 وَهَلْ يَسْتَوِي ضَلَالُ قَوْمٍ تَسَفُّهُوا
 لَقَدْ نَزَلَتْ مِنْهُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ
 نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ

وَقُلْتُ مَنْ يَسِرُّ إِلَيْهِ وَيَعْتَلِي ^(١)
 وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بَنُو مُجَدِّ
 وَأَرْشَدَهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْحَقَّ يَرْشِدُ
 عَمَى وَهْدَاةٌ يَهْتَدُونَ بِمَهْتَدٍ ^(٢)
 رِكَابُ هُدًى حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعَدِ
 وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ

(١) في رواية أبي سليل : جزى الله غيرا والجزاء بكفه .

(٢) قالواى نزلا وقت القيلولة ، وفي رواية حلا .

(٣) في الأصول : بالهلى وأثبتنا رواية ابن سعد وابن الأثير والنويرى وفي الخشني :

هما نزلاها بالهلى فاحضت به . فقد فاز من أمسى رفيق محب

وفي شرح المواهب هما رحلا بالحق وانزلا به . وفي رواية هما نزلا بالهلى واختلوا به .

(٤) ذوى أى جمع وقبش .

(٥) في شرح المواهب قال البرخان وتبه الشامى مؤلف هذا الكتاب : الظاهر بفتح اللام وعقة العين وهو الكرم .

(٦) وفي رواية لا تجازى بالزأى بدلا من الزأى . كما أن جزم هذا البيت في الديوان : به من فخار لا يتبارى وسوده .

(٧) في توم : مكان وفى ط والديوان والخشني : مقام .

(٨) أى مقلدها بمكان ترقب المؤمنين فيه لتواسيم .

(٩) في الأصول : ه إن تسألوا الناس وأثبتنا رواية ديوان حسان والخشني وابن الأثير في أسد الغابة (ج١ ص ٣٧٧)

(١٠) الصريح الذين الخالص لم يخلط ، والفسرة : أصل الصرع .

(١١) في نهاية الأرب للنويرى (ج ١٦ ص ٣٣٧) : قدر بها بدلا من يرددها .

(١٢) في الأصول زال بدلا من غاب وأثبتنا رواية الديوان .

(١٣) في الخشني وهاد به قال الهلى كل مهتد .

وإن قال في يومٍ مَقَالَةٌ غَائِبٍ فتصديقها في اليوم أو في ضُحَى الغَدِ
ليهن أبا بكرٍ سَعَادَةٌ جَسَدٌ بِصُحْبَتِهِ من يُسْعِدَ اللهُ يَسْعَدِ

وروى البيهقي بسندٍ حسنه والحافظ ابن كثير عن أبي بكر رضى الله عنه أنه قال :
« خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فانتهينا إلى حَيٍّ من أحياء العرب
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتٍ مُنتَجِياً فقصد إليه ، فلما نزلنا لم يكن فيه
إلا امرأة فقالت : يا عَبْدَى الله إنما أنا امرأة وليس معي أحد فليكما بعظيم الحَيِّ إن
أردتم التَّيْرَى . قال : فلم نُجِبْها ، وذلك عند المساء ، فجاء ابنُ لها بِأَعْزُرٍ له يسوقها .
فقال له : يا بني انطلق بهذه العنزة والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما : تقول لكم أُمِّي :
اذبحا هذه وأطعِمَانَا . فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « انطلقْ بالشفرة وجشني
بالقدح » . قال : إنما عازب وليس لها لبن . قال : « انطلقْ » . فانطلق فجاء بقدح فمسح
النبي صلى الله عليه وسلم ضَرْعَهَا ثم حَلَبَ مِنْ القَدَحِ ثم قال : انطلقْ به إلى أُمِّك . فشرِبتُ
ثم رَوَيْتُ ثم جاء به . فقال : انطلقْ بهذه وجشني بأخرى ففعل بها كذلك . ثم سقى أبا
بكر ، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ثم شرب النبي صلى الله عليه وسلم .

« فلبثنا لياليتين ثم انطلقنا ، وكانت تسميه المبارك ، وكثرت غَنَمُها حتى جَلَبَتْ
حَلَباً^(١) إلى المدينة فمر أبو بكر رضى الله عنه فرآه ابنها فعرفه ، فقال : يا أُمِّه إن هذا
الرجل الذى كان مع المبارك ، فقامت إليه فقالت : يا عبد الله مَنْ الرجل الذى كان معك ؟
قال : وماتنَّرين ؟ قالت : لا . قال : هو نَبِيُّ الله صلى الله عليه وسلم . قالت : فَأَدْخِلْنِي
عليه . قال : فَأَدْخَلَهَا فَأَطْعَمَهَا وَأَعْطَاهَا . وفي رواية فَأَهْدَتْ إِلَيْهِ شَيْئاً من أَقِطٍ^(٢) ومتاع
الأعراب ، فكساها وأعطاها ، قال - ولا أعلمه إلا قال : « أسلمت » . . .

قال البيهقي في الدلائل : « وهذه القصة وإن كانت تنقص عما رَوَيْنَا في قصة أم معبد
وتزيد في بعضها ، فهي قريبة منها ويشبه أن تكونا واحدة ، وقد ذكر ابن إسحق في قصة

(١) هكذا في الأصول .

(٢) الأقط كما قال الأزهرى في المصباح يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يصير ، وهو بفتح الهزلة وكسر
القاف وقد تسكن القاف لتخفيف مع فتح الهزلة وكسرها نقله الصغاني عن الثوراء ، ومصل اللبن يوصله مصل من باب
نصر وضعه في وعاء خوص ، أو نحوه حتى يقطر مائه .

أم معبد شيئا يدل على أنها وهذه القصة واحدة . ثم روى البيهقي من طريق يونس بن بكير^(١) عن ابن اسحق قال : « فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيمة أم معبد وهي التي تَمَرَّدَ بها الجَنُّ بأعلا مكة . واسم أم معبد عاتكة بنت [خالد]^(٢) . بن خليف بن مُثَنِّد بن ربيعة بن أَصْرَم [الْحَزَاعِيَّة]^(٣) ، فَأَرَادَ الْقِرَى فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا طَعَامٌ وَلَا لَنَا مَنَحَةٌ وَلَا لَنَا شَاةٌ إِلَّا حَائِلٌ ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعض غَنَمِهَا فَمَسَحَ ضَرْعَهَا بِيَدِهِ فدعا الله تعالى فَحَلَبَ فِي الْعَسِ^(٤) حَتَّى رَغَى^(٥) ، وقال : « اشربي يا أم معبد . » قالت : اشرب أنت به أَحَقَّ . فَرَدَّهَ عَلَيْهَا فَشَرِبَتْ . ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك ، فسقى دَليْلَهَ ثم دعا بحائل ففعل بها مثل ذلك فسقى عامر بن مُهَيَّرَةَ ، ثم استراح^(٥) .

وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أم معبد فسألوها عنه فقالوا : « أَرَأَيْتَ مُحَمَّدًا مِنْ حَلِيبَتِهِ كَذَا وَكَذَا ؟ » فوصفوه لها ، فقالت : « ما أدرى ما تقولون فقد ضَافَنِي حَالِبُ الْحَائِلِ ؟ » قالت قريش : « فذلك الذي أَرَدْنَا » . قاله البيهقي : فَيُحْتَمَلُ أَوَّلًا أَنَّهُ رَأَى الْقِي فِي كِسْرِ الْخِيَمَةِ ، كَمَا رَوَيْنَا فِي حَنِيثِ أم معبد ، ثم رجع ابنها بِأَعْتَرُ كَمَا رَوَيْنَا ثُمَّ لَمَّا آتَى زَوْجُهَا وَصَفَتْهُ لَهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قِصَّةُ سُرَاقَةِ رَضَى اللَّهِ عَنْهُ

روى الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان والشيخان عن سُرَاقَةَ بن مالك رضى الله عنه ، والإمام أحمد والشيخان ويعقوب عن أَبِي بَكْرٍ رضى الله عنه قال سُرَاقَةُ بن جُعْثَمُ : جِئْنَا

(١) هو يونس بن بكير بن واصل أبو بكر الشيباني الكوفي ، العالم المؤرخ صاحب المغازي حدث عن الأعمش وهشام بن عروة ومرو بن ذر . وابن إسحق وكهيس بن الحسن وخلق ، وروى عنه ابنه عبد الله وأبو كريب ويحيى ابن معين وأبو سعيد الأشج وأخرون . وثقه يحيى بن معين وقال أبو داود ليس بحجة وتوفى يونس بن بكير سنة ١٩٩ هـ . انظر تذاكر الحفاظ ج ١ ص ٢٩٩ . وفي خلاصة الخزرجي ص ٣٧٩ : أن النسائي ضعفه وأن أبا داود قال بأنه يأخذ بكلام ابن إسحق فهو صله بالأحاديث .

(٢) زيادة من أسد الغابة (ج ٥ ص ٤٧٩) وذكر ابن الأثير في نسبها أنها عاتكة بنت خالد بن مقلد بن ربيعة وقيل عاتكة بنت خالد بن غليل بن مقلد بن ربيعة ابن أَصْرَم .

(٣) الحسن : القلق الكبير وجمعه حاس وأحاساس قاله في النهاية (ج ٣ ص ٩٥) .

(٤) في المصباح : رَغَى الْبَنُّ بِالْكَشْدِ تَرْغِيَةً حَلَّتْ رَغْوَهُ .

(٥) في الأصول : ثم يروح ، ولعل ما ألقته هو العوَاب .

رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَى بَكْرٍ دِيَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ نَاقَةٍ مِنَ الْإِبِلِ لِمَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسْرَهُ ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلَسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدَلِجٍ ^(١) أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا [وَنَحْنُ جُلُوسٌ] ^(٢) فَقَالَ : يَا سُرَاقَةَ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آتِفًا أَسْوَدَةً ^(٣) بِالسَّاحِلِ - وَفِي لَفْظٍ : رَكَبَةً ^(٤) ثَلَاثَةَ - أَرَاهَا مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ . قَالَ سُرَاقَةُ : فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ ، فَلَوَّمْتُ إِلَيْهِ بَعْضِي أَنْ اسْكُتَ ، فَسَكَتَ ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فَلَانًا / وَفَلَانًا انْطَلَقُوا يَبْتَغُونَ ضَالَّةً لَهُمْ . ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلَسِ ثُمَّ قُمْتُ فَلَدَخَلْتُ بَيْتِي فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكْمَةٍ فَتَجَسَّسَهَا عَلَيَّ ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ فَحَطَطْتُ ^(٥) بِزُجَّةٍ ^(٦) الْأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَلَيْهِ . حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَارَكَبْتُهُ ، فَرَفَعْتُهَا تُقَرَّبُ بِي حَتَّى رَأَيْتُ أَسْوَدَ نَهْمًا ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُمْ عَثَرْتُ بِي فَرَسِي فَخَرَزْتُ عَنْهَا فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ بِيَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخَرْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ ^(٧) بِهَا أَضْرَهُمْ ، أَمْ لَا أَضْرَهُمْ ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهَ : أَنِّي لَا أَضْرَهُمْ ، وَكَسَبْتُ أَرْجُو أَنْ أَرُدَّهُ فَأَخَذَ الْمِائَةَ نَاقَةً ، فَارَكَبْتُ فَرَسِي وَعَصَصْتُ الْأَزْلَامَ فَرَفَعْتُهَا تُقَرَّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الْإِلْتِفَاتِ سَاحَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتْ الرُّكْبَتَيْنِ فَخَرَزْتُ عَنْهَا ، ثُمَّ زَجَرْتُهَا

٤١٣ ظ

(١) نسب سُرَاقَةَ كَمَا سَافَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي أَسَدِ الْغَابَةِ (ج ٢ ص ٢٦٤) هُوَ : سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مَالِكِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ تَيْمِ بْنِ مَدَلِجِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ الْكَثَّافِ الْمَدَلِجِيُّ . يَكْنَى أَبَا سَهْيَانَ . هَذَا وَقَدْ تَوَفَّى سُرَاقَةُ فِي سَنَةِ ٨٢٤ هـ .

(٢) زِيَادَةُ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ .

(٣) أَسْوَدَةٌ هِيَ أَلْيَاضُ جَمْعِ سَوَادٍ كَأَزْمَةٍ جَمْعِ زَمَانٍ .

(٤) فِي السَّاحِلِ الرِّكْبُ أَصْحَابُ الْإِبِلِ فِي السَّفَرِ دُونَ الدُّوَابِّ وَهُمْ الْعَشْرَةُ فَمَا فَوْقَهَا . وَاجْمَعِ أَرْكَبَ وَالرَّكْبَةَ بِالتَّحْرِيكِ أَقْلَ مِنَ الرِّكْبِ .

(٥) كَذَا رَوَاةُ الْكُشْمِينِيِّ ، وَرَوَاةُ غَيْرِهِ فَحَطَطْتُ بِأَنفَادِ الْمُحِصَّةِ .

(٦) الْزُجْجُ الْحَدِيدَةُ الَّتِي فِي أَسْفَلِ الرِّجْلِ وَاجْمَعِ زُجْجَةً وَزُجَاجٌ قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ فِي الصَّحَاحِ .

(٧) فِي الْآخِرَةِ (ج ٣ ص ٢٥٤) الْاسْتِقْسَامُ طَلَبُ الْقِسْمِ الَّذِي قَسَمَ لَهُ وَقَدَّرَ مَا لَمْ يَقْسَمْ وَلَمْ يَقْدَرْ وَهُوَ اسْتِفْعَالٌ مِنْهُ وَكَانُوا (فِي الْمِجَالِيَةِ) إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ سَفَرًا أَوْ تَزَوُّجًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْمَهَامِ ضَرْبَ بِالْأَزْلَامِ وَهِيَ الْقِدَاحُ (جَمْعُ قِلْعِ) وَكَانَ عَلَى بَعْضِهَا مَكْتُوبٌ أَمْرِي رَبِّي وَعَلَى الْآخَرِ نَهَانِي رَبِّي وَعَلَى الْآخِرِ غَفْلَتِي فَإِنْ خَرَجَ ، أَمَرْتِي رَبِّي لِنَهَائِهِ ، وَإِنْ خَرَجَ نَهَانِي أَسْكَتُ وَإِنْ خَرَجَ الْغَفْلُ حَادٍ فَأَحَالُمَا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ الْأَمْرُ أَوْ الْتَمَى .

فَنَهَضَتْ فَلَمْ تَكُنْ تَخْرُجُ يَدَيْهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرٍ يَدَيْهَا عَنَانٌ^(١) سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ
مِثْلَ الدُّخَانِ فَاسْتَقْبَلَتْهُ بِالْأَزْلَامِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهَ - أَلَا أَضْرَبُهُمْ - قَالَ : فَعَرَفْتُ
حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ مُنِعَ مِنِّي وَأَنَّهُ ظَاهِرٌ ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَنِّ وَقُلْتُ : أَنْظِرُونِي فَوَاللَّهِ لَا أَقْبِلُكُمْ
وَلَا يَأْتِيَكُمْ مِنِّي شَيْءٌ تَكْرَهُونَهُ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ : « قُلْ
لَهُ وَمَا تَبْتَغِي مِنَّا ؟ » فَقُلْتُ : إِنْ قَوْمُكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكُمَا الدَّيَّةَ وَأَخْبَرْتُمَا أَخْبَارَ مَا يَرِيدُ
النَّاسُ بِهِمْ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ فَلَمْ يَرْزُقَانِي شَيْئًا وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ : « أَخْفِ عَنَّا^(٢) »
فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ مُوَادَعَةٍ^(٣) آمَنُ بِهِ ، قَالَ : « اكْتُبْ لَهُ يَا أَبَا بَكْرٍ » - وَفِي رِوَايَةٍ :
فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ قُهَيْرَةَ فَكُتِبَ فِي رَقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

[ثُمَّ رَجَعْتُ]^(٤) فَسَكَنْتُ فَلَمْ أَذْكَرْ شَيْئًا مِمَّا كَانَ حَتَّى إِذَا كَانَ فَتَحَ مَكَّةَ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَرَّغَ مِنْ حُنَيْنٍ وَالطَّائِفِ خَرَجْتُ لِأَلْقَائِهِ وَمَعِيَ الْكِتَابُ الَّذِي كُتِبَ لِي
[فَلَقِيْتُهُ بِالْجِعْرَانَةِ^(٥)] . قَالَ : « فَبَيْنَا أَنَا عَامِدٌ لَهُ دَخَلَتْ بَيْنَ ظَهْرِي كَتِيبَةٌ مِنْ
كُتَائِبِ الْأَنْصَارِ ، فَطَفِقُوا يَقْرَعُونَنِي بِالرَّمَاكِ وَيَقُولُونَ : إِلَيْكَ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا دَنَوْتُ
مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ ، وَاللَّهُ لَكَأَنِّي أَنْظَرْتُ إِلَى سَاقِهِ فِي عَرَزِهِ^(٦)
كَأَنَّهَا جُمَارَةٌ^(٧) . قَالَ : فَرَفَعْتُ يَدِي بِالْكِتَابِ . ثُمَّ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا كِتَابُكَ
لِي وَأَنَا سُرَاقَةٌ بَنِي مَالِكٍ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَوْمَ وَقَاهُ وَبَرُّ أَذْنُهُ » ،
فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَاسْلَمْتُ ، ثُمَّ تَذَكَّرْتُ شَيْئًا أَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ فَمَا
أَذْكُرُهُ ، إِلَّا أَنِّي قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ الصَّلَاةُ مِنَ الْإِبِلِ تَقْشَى حِيَاضِي وَقَدْ مَلَأْتُهَا لِإِبِلِي

(١) فِي الْأَصُولِ : خَبَارٌ وَالتَّصْوِيبُ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (ج ٥ ص ١٥٨) . وَفِي حَدِيثِ الْمُهْجَةِ وَسُرَاقَةٍ فِي الْبَاقِيَةِ
(ج ٣ ص ١٩) : وَخَرَجْتُ قَوَائِمُ دَابَّتِهِ وَلَهَا، وَهَاجَتْ أَيُّ دُخَانٍ وَجِثَةٍ هَوَاتِي حُلِّ فَيُرَاقِ . وَفِي حَدِيثِ سَمِيلَةَ لَمَّا أَرَادَ
الْإِهْرَاسَ يَسْجِاجُ قَالَ عَنَّا، هَا إِلَى يَجْرُوا هَا الْيَهُودُ .
(٢) فِي الْأَصُولِ خَفَّفَ عَنَّا وَأَقْبَلْنَا وَرِوَايَةُ الْبُخَارِيِّ .
(٣) رِوَايَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ كَأَنَّهُ أَوْحَدَهَا ابْنُ هِشَامٍ : تَكْتُبُ لِي كِتَابًا يَكُونُ آيَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ .
(٤) زِيَادَةُ مِنْ ابْنِ هِشَامٍ ج ٢ ص ١٠٣ وَ ١٠٤ . وَابْنُ عَرَبٍ يَتَخَفِيفُ الرَّاءَ أَوْ يَتَشَدِّدُهَا كَمَا فِي مَعْنَى الْبُكْرِيِّ
(ج ٢ ص ٣٨٤) هِيَ مَاءٌ بَيْنَ الطَّائِفِ وَمَكَّةَ وَهِيَ إِلَى مَكَّةَ أَقْنَى .
(٥) فِي الْبَاقِيَةِ (ج ٣ ص ١٥٨) كَانَ إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْفَرَزِ يَرِيدُ السَّفَرَ يَقُولُ : يَسْمُ اللَّهُ . الْفَرَزُ رِكَابُ كَوْدِ
الْجَمَلِ : إِذَا كَانَ مِنْ جِلْدٍ أَوْ غَشَبٍ ، وَقِيلَ هُوَ الْكَوْدُ مَطْلَقًا مِثْلَ الرِّكَابِ السَّرَجِ .
(٦) الْبُحَارَةُ قَلْبُ النَّخْلَةِ وَضَعَهَا شَبَهَ سَاقِهِ بِبَيَاضِهَا . قَالَهُ فِي الْبَاقِيَةِ (ج ١ ص ١٧٥) .

هل لي من أجر [في أن أسقيها^(١)] ؟ قال : « نعم في كل ذات كبدٍ حرّى أجر^(٢) » قال : ثم رجعت إلى قومي فسقّتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقي .

وقال أبو بكر رضى الله عنه : « وتبعنا سراقاً بن مالك ونحن في جلدٍ من الأرض فقلت : يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا . قال : « لا تحزن إن الله معنا » . فلما دنا منا وكان بيننا وبينه قدر رُمحٍ أو رُمحين أو ثلاثة قلت : هذا الطلب قد لحقنا وبكيت . [قال صلى الله عليه وسلم : « ما يبكيك^(٣) »] قلت : « أما والله ما على نفسى أبكى ولكنى أبكى عليك » . فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم اكفناه بما شئت » . قال : فساخت به فرسه في الأرض إلى بطنها فوثب عنها ، ثم قال : يا محمد قد علمتُ أن هذا عمّلك فادعُ الله أن يُنجيَ بما أنا فيه ، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب وهذه كنانتي فخذ منها سهماً فلنك ستمر على إبلى وغضى بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حاجة لنا في إبلك وغنمك » ، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم . فانطلق راجعاً إلى أصحابه لا يلتقى أحداً إلا قال : « قد كفيتُم ما ههنا ، ولا يلتقى أحداً / إلا ردّه ، ووَقَى لنا . ٤١٤ »

... وعند ابن سعد أن سراقاً لما رجع قال لقريش : قد عرفتم بصرى بالطريق وقد استيرأت لكم فلم أَرِ شيئاً^(٤) ، فرجعوا . وقال ابن سعد والبلاذرى : عارضهم سراقاً بِقَدِيدٍ يوم الثلاثاء ودروى ابن جساكر عن ابن إسحق قال : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه - فيما يلجؤون بالله أعلم في دخوله الغار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي مسيرهم وفي طلب سراقاً إليهم^(٥) :

(١) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ١٠٤) .

(٢) أخرجه البخارى في كتاب الأدب باب رحمة الناس بالبهائم (ج ٨ ص ١٦) . بلفظ : في كل ذات كبد رطبة أجر .

(٣) زيادة من الرياض النضرة في مناقب العشرة للمسب الطبري (ج ١ ص ٧٢ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ) . وشرح المواهب (ج ١ ص ٣٤٧) .

(٤) لفظ ابن سعد في الطبقات (ج ١ ص ٢١٩) . « ورجع (سراقاً) فوجد الناس يلتصقون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ارجعوا فقد استيرأت لكم ما ههنا وقد عرفتم بصرى بالأثر » . وفي شرح المواهب ما يقرب من نقل المؤلف .

(٥) أورد السهيلي هذه القصيدة (ج ٢ ص ٦ ، ٧) . وقدم لها بقوله : وفي السير من رواية يونس شعر لأبي بكر رضى الله عنه في قصة الغار .

قال النبي^ﷺ : ولم يَجَزَعْ يَسُوقُ قُرَى
 لا تَحْشُ شَيْئًا فَإِنَّ اللَّهَ ثَالِثُنَا
 وَإِنَّمَا كَيْدُ مَنْ تَحْشَى بِسَوَادِهِ
 وَاللَّهُ مُهْلِكُهُمْ طَرًّا بِمَا كَمَبُوا
 وَأَنْتَ مُرْتَجِلٌ عَنْهُمْ وَتَارِكُهُمْ
 وَهَاجِرٌ رَضَمَهُمْ^(١) حَتَّى يَكُونَ لَنَا
 حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ وَارْتَنَّا جَوَانِيهَ
 سَارَ الْأَرْيَقُطُ بِهَيْبِنَا وَأَيْتَفُسَهُ^(٢)
 يَعْصِفُنْ^(٣) عَرَضَ^(٤) الثَّنَائِيَا^(٥) بَعْدَ أَطْوَلِهَا
 حَتَّى إِذَا قُلْتُمْ قَدْ أَنْجَدْنَا^(٦) عَارِضَهَا^(٧)
 [يُرَوِّى بِهِ مُشْرِفَ الْأَقْطَارِ مُعْتَزِمٌ
 فَقَالَ كُرُوا فَقُلْنَا إِنَّ كَرَرْنَا
 أَنْ يَخْصِفَ الْأَرْضَ بِالْأَحْوَى^(٨) وَقَارِسَهُ

ونحن في شِدَّةٍ من ظُلْمَةٍ الْعَارِ
 وَقَدْ تَوَكَّلَ لِي مِنْهُ بِإِظْهَارِ
 كَيْدُ الشَّيَاطِينِ كَادَتْهُ لُكْهَارِ
 وَجَاعِلُ الْمُتَنَوِّى مِنْهَا إِلَى النَّارِ
 إِمَّا غُلُوًّا وَإِمَّا مُدْلِجٌ سَارِي
 قَوْمٌ عَلَيْهِمْ ذُورٌ عِزٌّ وَأَنْصَارِ
 وَسُدٌّ مِنْ دُونِ مَنْ تَحْشَى بِأَسْتَارِ
 يَنْعَبِينَ^(٩) بِالْقَوْمِ نَعْبًا تَحْتَ أَكْوَارِ^(١٠)
 وَكُلُّ سَهْبٍ^(١١) رِقَاقِ التُّرْبِ مَوَارِ^(١٢)
 مِنْ مُدْلِجٍ فَارِسٍ فِي مَنْصِبٍ وَارِي
 كَالسَّيْدِ^(١٣) ذِي اللَّبْدَةِ الْمُتَسَائِدِ الضَّارِي^(١٤)
 مِنْ دُونِهَا لَكَ نَصْرُ الْخَالِقِ الْبَارِي
 فَاَنْظُرْ إِلَى أَرْبَعٍ فِي الْأَرْضِ غَوَارِ

(١) الرضم : الحجارة البيضاء ، والصخور المتركة .

(٢) في النهاية (ج ٤ ص ١٨٢) في حديث أبي هريرة : فوجد أَيْفَهُ : الأَيْقُ جمع قلة ثلاثة وأصله أنوق قلب وأبدل واو ياء وقيل هو حل حذف العين وزيادة الياء عوضا عنها ، فوزنه حل الأول أصغر لأنه قدم العين وحل الثاني أصغر لأنه حذف العين .

(٣) من تعب البعير ينصب نعبا ونعباتا من باب منع ، إذا أسرع في سيره .

(٤) أكوار جمع كور والكور الجماعة الكثيرة من الإبل .

(٥) من صفت الطريق أى سار فيه على غير هدًى .

(٦) عرض الجبل أى سفحه .

(٧) الثنائيا جمع ثنية والثنية الطريق في الجبل .

(٨) السهب يفتح السين المهملة وضمها والهب من الأرض ما بهه منها واستوى في سهولة وهى أجواف الأرض يقال

قطعوا سبها من الأرض .

(٩) موارد صيغة مبالغة من مار يور مورا تحركه وتتلعب ومار التراب ثار ومنه الرمح المورة المثيرة للتراب .

(١٠) أنهه ارتفع أو أتى نجدا والنجد ما ارتفع من الأرض وصلب .

(١١) المارضى ما اعترض في الأنف فسهه .

(١٢) السبد الذهب

(١٣) هذا البيت زيادة من السهيل .

(١٤) الأحوى من حوى النبات يحوى حوى وحوة خالط سواده خضرة أو خالط حبرته سواد فهو أحوى .

فَقِيلَ^(١) لَمَا رَأَى أَرْسَاغَ مُهْرَتِهِ
فَقَالَ هَلْ لَكُمْ أَنْ تُطْلِقُوا قَرِيْبِي
وَأَصْرَفَ الْحَيَّ عَنْكُمْ إِنْ لَقِيتُهُمْ
فَادْعُ الَّذِي هُوَ عَنْكُمْ كَفَّ عَوْرَتَنَا
فَقَالَ قَوْلًا رَسُولُ اللَّهِ مُبْتَهَلًا
فَنَجَّهِ سَالِمًا مِنْ شَرِّ دَعْوَيْنَا
فَظَاهَرَ اللَّهُ إِذْ يَدْعُو حَوَافِرَهُ
قَدْ سَخِنَ^(٢) فِي الْأَرْضِ لَمْ تُخَفَّرْ بِمُخْفَارِ
وَتَاخَلُّوا مَوْثِقًا فِي نُضْحِ أَسْرَارِ
وَأَنْ أَعُورَ^(٣) مِنْهُمْ عَيْنَ عَوَارِ
يُطْلِقُ جَوَادِي وَأَنْتُمْ خَيْرُ أَتْرَارِ
يَا رَبِّ إِنْ كَانَ مِنْهُ غَيْرُ لِمُخْفَارِ^(٤)
وَمُهْرَةٍ مُطْلَقًا مِنْ كَلِمِ^(٥) آثَارِ
وَقَازَ فَارِسُهُ مِنْ هَوْلِ أَخْطَارِ

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عُرْوَةَ وَالْحَاكِمُ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَقِيَ الزَّبِيرَ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا تُجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّامِ فَكَسَا الزَّبِيرَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثِيَابًا بَيْضًا^(٦) . وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا دَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَقَدِمَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ مِنَ الشَّامِ
خَرَجَ عَامِدًا إِلَى مَكَّةَ لَمَّا ذُكِرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ ، خَرَجَ إِذَا مَتَلَقِيَا
لَهُمَا وَلَمَّا عَامِدًا حَمْرَةً بِمَكَّةَ وَمَعَهُ ثِيَابٌ أَهْدَاهَا لِأَبِي بَكْرٍ مِنْ ثِيَابِ الشَّامِ ، فَلَمَّا لَقِيَهُ أَعْطَاهُ
الثِّيَابَ ، فَلَبَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا وَأَبُو بَكْرٍ^(٧) ،

١٤٤ ظ ... وَرَوَى / أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ ...^(٨) الْأَوْمَى الْأَسْلَمِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

- (١) هِيلَ أَيْ أَعْيَفَ مِنْ هَالِهِ الْأَمْرَ أَفْزَعَهُ .
- (٢) مِنْ سَلَخَ أَيْ غَاضَى فِي الْأَرْضِ ، سَاعَتِ أَرْسَاغَ مُهْرَتِهِ تَسْوِخَ وَتَسِيخَ .
- (٣) عَوْرَهُ أَيْ صِيْرَهُ أَعُورَ وَعَوْرَ غُلَانًا عَنْ الْأَمْرِ رَدَّهُ وَصَرَفَهُ عَنْهُ وَالْعَوَارُ الْقُلَى فِي الْعَيْنِ وَالْعَوَارُ الضَّمِيفُ الْجَبَانُ السَّرِيعُ الْفَرَارُ ، أَوْ مِنْ لَا يَهْمُ لَهُ بِالطَّرِيقِ .
- (٤) الْإِخْفَارُ : الْقُدْرُ وَنَقْضُ الْمَهْدِ .
- (٥) الْكَلِمُ : الْجُرْحُ كُلُّهُ يَكْلَهُ كُلُّهُ مِنْ بَابِ ضَرْبٍ جَرَحَهُ .
- (٦) الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (ج ٥ ص ١٥٩) عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ مَرْسَلًا وَفِيهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ وَأُورَدَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْهَيْلَةِ فِي حَدِيثٍ آخَرَ ثِيَابًا بَيْضًا .
- (٧) رَوَايَةُ الْحَاكِمِ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ تَذَكَّرَ أَيْضًا أَنَّ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدٍ اللَّهُ لَقِيَهُمَا وَكَسَاهُمَا . قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ : وَيَحْتَمِلُ أَنَّ كِلَا مِنْ طَلْحَةَ وَالزَّبِيرِ أَمْدَى لُهُمَا ، وَالَّذِي فِي السَّيْرِ هُوَ طَلْحَةُ ، وَالْأَوَّلُ الْجَمْعُ وَعِنْدَ أَبِي شَيْبَةَ مَا يُؤَيِّدُهُ وَإِلَّا فَافِي الْمَسِيحِ أَصَحُّ . هَذَا مَا ذَكَرَهُ كُلُّ مَنْ السُّهَوْدِيُّ فِي وَفَاءِ الْقَوْفَا (ج ١ ص ١٧٤) وَالدَّبَارِيُّ بِكَرَى فِي تَارِيخِ الْحَمِيسِ (ج ١ ص ٣٣٥) .
- (٨) نَرَجِعُ وَجُودَ اسْمٍ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ أَغْفَلَهُ التَّلَاخُ وَرَبَّمَا كَانَ أَبَا تَعَمٍّ الْأَسْلَمِيُّ ، قِيلَ هُوَ جَدُّ بَرِيقَةَ بِنْتُ سَفِيَّانَ ابْنِ فُرْقَةٍ وَكَانَ غُلَامَهُ سَمْعُوذَ الَّذِي رَدَّدَ ذِكْرَهُ فِي آخِرِ هَذَا الْحَدِيثِ . انْظُرْ أَسَدَ النَّبَايَةِ (ج ٤ ص ١٧٨) .

« لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مروا بليل لنا بالجحفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِمَنْ هَذِهِ الْإِبِلُ ؟ » فقالوا : لِرَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ^(١) » فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر فقال : « سامننا إن شاء الله » . فأتاه أبي وحمله على فحل من إبله وبعث معه غلامه مسعود » . وروى أبو يعلى والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن قيس بن النعمان قال : « لما انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مُسْتَفْهِينَ مَرَوْا بِعَبْدٍ يَزْعَى غَمًّا فَاسْتَسْقِيَاهُ اللَّبَنَ فَقَالَ : مَا عِنْدِي شاةٌ تُحَلَبُ ، غَيْرَ أَنْ ههنا عَنَاقًا^(٢) حَمَلَتْ أَوَّلَ الشَّتَاءِ وَقَدْ أَخْلَجَتْ^(٣) وَمَا بَقِيَ لَهَا مِنْ لَبَنٍ فَقَالَ : « اذْعُ بِهَا » ، فَذَعَا بِهَا ، فَاعْتَقَلَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسَحَ صَرْعَهَا حَتَّى أَنْزَلَتْ . ودعا أبو بكر بِمِجَنٍّ^(٤) ، فَحَلَبَ وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ ، ثُمَّ حَلَبَ فَسَقَى الرَّاعِي ، ثُمَّ حَلَبَ فَشَرِبَ ، فَقَالَ الرَّاعِي : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطْ . قَالَ : « أَوْتَرَاكَ تَكْتُمُ عَلَيَّ حَتَّى أُغَيِّرَكَ ؟ » قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : « فَإِنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » . قَالَ : أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ فَرِيضَ أَنْكَ صَائِي ؟ قَالَ : « إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ ذَلِكَ » . قَالَ : فَأَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيُّ اللَّهِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ حَقٌّ ، وَأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ مَا فَعَلْتَ إِلَّا نَبِيٌّ » .

وروى البيهقي عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر مدخله الملبنة : « أَلَيْهِ عَنَى النَّاسُ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يَكْذِبَ » . فكان أبو بكر إذا سُئِلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : باغٍ ، وإذا قيل : من الذى معك ؟ قال : هادٍ يَهْدِينِي . وروى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : « أَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُرْدِفٌ

(١) هذا الحديث مماثل لما أخرجه البيهقي عن برينة بن الحبيب وزاد فيه : لما جعلت قريش مائة من الإبل لمن يرد النبي صلى الله عليه وسلم حلقى الطمع فركبت في سبعين من بني سهم . الحديث أوردته الزرقاني في شرحه على الموابخ ج ١ ص ٣٤٩ : ٣٥٠ .

(٢) في المصباح : العناق الأثمن من ولد المزد قبل استكناها الحول .

(٣) في الأصول : أخرجت وصوابها أخرجت كما أوردتها ابن كثير في البداية والنهاية (٣ ص ١٩٤) . وفي الاشتقاق لابن دريد (ص ١٦٣) : خرجت الناقة وأخرجت إذا ألقت ولدها ناقص الخلق ومنه الحديث : كل صلاة لا يقرأ فيها بأم الكتاب فهي خداج . وقرق الأصمعي بين خدجت وأخرجت ، فقال : خرجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل تمام أيامه وإن كان تام الخلق ، وأخرجت إذا ألقت ناقصا وإن كان تام الأيام فالولد من ذلك خديج والناقة خداج والولد من هذا خديج والناقة خديج .

(٤) المجن هو الذى يوارى القتال ويستتره ولا أعلن أنه يصلح وعاء لبن ولعله الخلب أى الإتاة الذى يطلب فيه .

أبا بكر ، وأبو بكر شَيْخ ، والنبي صلى الله عليه وسلم شاب لا يُعْرَف ، فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : مَنْ هذا بين يديك ؟ فيقول : هذا الذي يهديني السبيل فيَحْصِبُ^(١) الحاميب إنما يعنى الطريق وإنما يعنى سبيل الخير « وروى الزبير بن بَكَار في المَوْفَّقِيَّاتِ ، وأبو نُعَيْم عن طريق شهر بن حوشب^(٢) عن ابن عباس عن سعد بن عبادَةَ قال : لما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة ، خرجت إلى حضرموت لبعض الحاجة فقضيت حاجتي ثم رجعت حتى إذا كنت ببعض الأرض نمت ففزعت من الليل فإذا بصائح يقول : أبا عمرو تَأْوِيْنِي^(٣) السُّهُودُ - وراح النوم وانقطع الهُجُودُ

ثم صاح آخر : « يا خَرَّعَ ، ذَهَبَ بِكَ اللَّيْبُ ، لَنْ أَعَجِبَ الْعَجَبَ بَيْنَ مَكَّةَ وَيَثْرِبَ » . قال : وما ذلك يا شهاب ؟ قال : « نَبِيُّ السَّلامِ ، بُعِثَ بِخَيْرِ الْكَلَامِ ، إِلَى جَمِيعِ الْأَنَامِ ، فَأُخْرِجَ مِنَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ ، إِلَى نَخِيلٍ وَأَطَامِ » ثم طلع الفَجْرُ فذهبت أتفكر فإذا عظامي^(٤) وثعبان ميطان ، فما علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم هاجر إلا بهذا الحديث .

ولما شارف رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه أبو عبد الله بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْنِ^(٥) الْأَسْلَمِيُّ فِي سَبْعِينَ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي سَهْمٍ ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَنْتَ ؟ » قَالَ : بُرَيْدَةُ . فَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ : « بَرْدُ أَمْرُنَا وَصَلْحُ » . ثُمَّ قَالَ : « مِمَّنْ ؟ » قَالَ : مِنْ أَسْلَمَ . فَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ : « سَلِمْنَا » . ثُمَّ قَالَ : « مِنْ بَنِي مَنْ ؟ » قَالَ : مِنْ بَنِي سَهْمٍ . قَالَ : خَرَّجْ سَهْمُكَ . يَا أبا بَكْرٍ . فَقَالَ بُرَيْدَةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : « أَنَا

(١) في المصباح حبت المال حبا من باب قتل أحصيته علداً والمصدر أيضا حبة بالكسر وحسانا بالضم وحسبت زيدا قائما أحسبه من باب تهب حسبا بالكسر بمعنى ظننت .

(٢) هو شهر بن حوشب مولى أسماء بنت يزيد بن السكن أبو سعيد النخعي أرسل عن ثميم الداري وسلمان وروى عن مولاه وابن عباس وعائشة وأم سلمة وجابر ومطالفة وروى عنه قتادة وثابت والحكم . وثقه ابن معين ولكن ضمنه النسائي . وقال الذهبي إن روايته عن بلال وتمام الداري ظاهرة الانقطاع . وقال ابن سعد توفي سنة ١١٢ هـ . أنظر ميزان الاعتدال للنهي (ج ٢) ص ٢٨٣ : ٢٨٥ رقم ٢٧٥٦ وخلاصة الخزرجي ص ١٤٣ .

(٣) تأويْنِي أي عانقني .

(٤) العظام نام أبرس والعظامي لغة تميم وجميع الأولى عظام والثانية عظاميات نقلا عن المصباح .

(٥) في الأصول : أبو بردة الأسلمي والتصويب من أسمه الغاية (ج ١ ص ١٧٥) والإصابة (ج ١ ص ١٥١) يكنى أبا عبد الله ونسبه كما ساقه ابن الأثير . بريدة بن الحبيب - على صورة التصغير بجاء مهمله - ابن عبد الله بن الحارث ابن سعد .. الأسلمي وأخبار بريدة كثيرة ومناقبه مشهورة وذكر قصة إسلامه هو وقومه الديار بكري في تاريخ الخميس (ج ١ ص ٣٢٥) والزرقي في شرحه على المواهب (ج ١ ص ٣٤٩ : ٣٥٠) .

محمد بن عبد الله رسول الله . فقال بُرَيْدَةُ : أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .
 فأسلم بُرَيْدَةُ وأسلم من كان معه جميعاً . قال بُرَيْدَةُ : الحمد لله الذي أسلم بنو سَهْم طائعين
 غير مُكْرَهِينَ (١) ، فلما أصبح قال بُرَيْدَةُ للنبي صلى الله عليه وسلم وسلم : « يا رسول الله
 لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء » . فَحُلَّ عمامته ثم شَدَّها في رُفْع ثم مشى بين يديه حتى
 دخلوا المدينة .

تَنْبِيْهَاتُ

الأول : قال الحافظ : كان بين ابتداء هجرة الصحابة وبين العقبة الأولى والثانية
 وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهران وبعض شهر على التحرير .

الثاني : قول عائشة رضي الله عنها : « ما كنت أرى أحداً يبكي من الفرح حتى رأيتُ
 أبا بكر يبكي من الفرح » . قال في الروض (٢) : « قالت ذلك ليَصغر سِنِّها وأنها لم تكن
 عَلِمَتْ بذلك » وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى فَأَخَذَتْهُ استحساناً له فقال الطائي يصف
 السحاب :

دُهُمٌ إِذَا وَكَّهَتْ (٣) فِي رَوْضَةٍ طَفِقَتْ عِيُونَ أَزْهَارِهَا تَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ
 وَذَكَرَ لَأَبِي الطَّيِّبِ وَزَادَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى :

فَلَا تُنْكِرَنَّ لَهَا صَرْعَةً فَمِنْ قَرَحِ النَّفْسِ مَا يَقْتُلُ

. [وقال بعض المُحَلِّثِينَ :

وَرَدَّ الْكِتَابُ مِنَ الْحَبِيبِ بَأَنَّهُ سَيَزُورُنِي قَاسْتَعَبَرْتُ أَجْفَانِي
 غَلَبَ السُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى أَنَّهُ مِنْ قَرَطِ مَا قَدْ سَرَّنِي أَبْكَانِي
 يَا عَيْنَ صَارَ الدَّمْعُ عِنْدَكَ عَادَةً تَبْكِينَ فِي قَرَحِ وَفِي أَحْزَانِ (٤)

(١) ساقطة من الأصول والتكلمة من المصادر المذكورة في الحاشية السابقة .

(٢) في النسخة المطبوعة من الروض الأنف ج ٢ ص ٣ .

(٣) وكف الماء وغيره يكب وكفا وكفنا وكفانا سال وقطر قليلا قليلا .

(٤) إضافة من السهيل ج ٢ ص ٣ .

قال في الزهر^(١) : « وفيه من عدم التثبت ما ترى ، أيجوز أن يُحتج على عائشة بقول مُخَذَّث ؟ إنما كان يُحتج عليها لو كانت العرب قائله ، أما إذا لم تَقُلَّ العرب فلا حجة عليها^(٢) والله أعلم . قلت : السهيلي لم يُحتج بذلك على عائشة رضي الله عنها ، وإنما ذكره استطراداً للفائدة .

الثالث : نُقِلَ في الروض عن بعض شيوخ أهل المغرب أنه سئل عن امتناعه من أخذ الراحلة مع أن أبا بكر أنفق عليه ماله ، فقال : أَحَبُّ أَلَّا تكون هجرته إلا من مال نفسه^(٣) .

الرابع : كانت هجرته صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من النبوة وذلك يوم الاثنين . روى الإمام أحمد عن ابن عباس أنه قال : « وُلِدَ نَبِيُّكُمْ صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين » . قال الحاكم : « تواترت الأخبار أن خروجه كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين ، إلا أن محمد بن موسى الخوارزمي قال : إنه خرج من مكة يوم الخميس » . قال الحافظ : « يُجْمَع بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لأنه أقام فيه ثلاث ليالٍ : هي ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد وخرج في أثناء ليلة الاثنين » .

الخامس : ذكر بعض أهل السَّيَر أن أبا بكر لما رأى المشركين وهو في الغار ، ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « لو جاءونا من ههنا خرجنا من ههنا » . فنظر أبو بكر إلى الغار وقد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتصل به وسَفِينَةٌ مشدودة إلى جانبهِ » . قال الحافظ ابن كثير^(٤) : وهذا ليس بِمُنْكَرٍ من حيث القُدْرَةُ العظيمة ولكن

(١) يشير المؤلف إلى قول الطائي يصف السحاب .

(٢) لفظ السهيلي (ج ٢ ص ٢) : سئل بعض أهل العلم لم يُقبلها إلا باليمن وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله ما هو أكثر من هذا ؟ فقليل : وقد قال عليه السلام : ليس من أحد (وفي رواية) ما أحد آمن علينا في أهل ومال من ابن أبي هُفَافَةَ (أي ما أحد أبجد بماله وذات يده) . وقد دفع إليه حين يني بماتشة اثنتي عشرة أوقية ونشاً . فلم يَأْب ذلك ، فقال المستول : إنما ذلك لتكون هجرته إلى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في استكمال فضل الهجرة وأن تكون الهجرة والمجاهدة حل أم أحوالهما . وهو قول حسن سدني به بعض أصحابنا عن الفقيه الزاهد أبي الحسن بن القوان رحمه الله .

(٣) في البداية والنهاية ج ٢ ص ١٨٣ .

لم يرد ذلك بإسناد قوى ولا ضعيف ، ولسنا ثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا ولكن ما صحَّ
أو حسنٌ [سننُهُ ^(١)] قلنا به [والله أعلم ^(٢)] .

السادس : السرُّ في اتخاذ رافضة العجم اللَّبَدِ الْمُقَصَّصَةِ على رموسهم التعظيم للحَيَاتِ
لِلذَّغِهنَّ أبا بكر ليلة الغار .

السابع : روى الإمام أحمد / والحاكم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لقد لَبِثْتُ
مع صاحبي - يعنى أبا بكر - ليلة الغار بضعة عَشَرَ يوماً ما لنا طعام إلا الْبَرِيرُ ^(٣) » . قال
الحاكم « معناه مكثنا مُخْتَفَيْنِ من المشركين في الغار وفي الطريق بضعة عَشَرَ يوماً » .

قال الحافظ : « لم يقع في رواية أحمد ذِكْرُ الغار ، وهي زيادة في الخبر من بعض
رواته ، ولا يصحَّ حملُه على حالة الهجرة لِمَا في الصحيح من أن عامر بن فُهَيْرَةَ كان يَرُوح
عليهما في الغار باللبن ، ولِمَا وقع لهما في الطريق من لقاء الراعي ومن النزول بخيمة أم
معبد وغير ذلك ، ويظهر أنها قصة أخرى » .

الثامن : قال السهيلي ^(٤) : « انْتَبِهْ أبا العبد المأمور بِتَدْبِيرِ كتاب الله تعالى لقوله :
(إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ^(٥)) الآية ، كيف كان معهما بالمعنى وباللفظ ؟
أما المعنى فكان معهما بالنصر والإفراد ، والهداية والإرشاد . وأما اللفظ فإن اسم الله تبارك
وتعالى كان يُذَكَّرُ إذا ذُكِرَ رَسُوْلُهُ وإذا دُعِيَ فَقِيلَ يا رَسُوْلَ اللَّهِ أو فَعَلَ رَسُوْلُ اللَّهِ . ثم كان
لصاحبه كذلك ، يُقَالُ : يا خليفة رسول الله ، وفَعَلَ خليفة رسول الله ، فكان يُذَكَّرُ معهما
بالرسالة والخلافة ثم ارتفع ذلك فلم يكن لأحد من الخلفاء ولا يكون » .

التاسع : قال المُهَلَّبُ بن أبي صُفْرَةَ رحمه الله : « إِنَّمَا شَرِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
من لبن الغنم لَأَنَّهُ حِينَئِذٍ كَانَ فِي زَمَنِ الْمُكَارَمَةِ وَلَا يَعَارِضُهُ : لَا يَحْتَبِرُنَّ أَحَدٌ شَاةً إِلَّا بِإِذْنِهِ ^(٦) »

(١) زيادة من البداية والنهاية .

(٢) في القاموس البربر كأكبر هو ثمر الأراك وفي النهاية (ج ١ ص ٧٣) هو ثمر الأراك إذا أسيد وبلغ ، وقيل هو
اسم له في كل حال .

(٣) الروض الأنت ج ٢ ص ٥ .

(٤) من الآية ٤٠ من سورة التوبة .

(٥) أي : إلا بإذن صاحبه . وفي كنز الحقائق للمناوي (ص ١٩٣) أن الشيخين أخرجاه بلفظ : « لا يحل
أحد ماله أحد » .

لأن ذلك وقع في زمن التشاح ، أو الثاني محمول على التسور ، والأول لم يقع فيه ذلك ، بل قدّم أبو بكر سؤال الراعي : هل أنت حالب ؟ فقال : نعم ، كأنه سأله : هل أذن صاحب الغنم في حلبها لمن يرد عليه ؟ فقال : نعم ، أو جرى على العادة المألوفة للعرب في إباحة ذلك والإذن في الحلب للمارّ وابن السبيل ، فكان كل راع مأذوناً له في ذلك .

وقال الداودي : « إنما شرب من ذلك على أنه ابن سبيل ، وله شرب ذلك إذا احتاج ولا سيما النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبعد من قال إنما استجازه لأنه مال حربي لأن القتال لم يكن فرض بعد ولا أبيحت الغنائم » . وقال الحافظ : « قول أبي بكر : أفي غنمك لبن ؟ الظاهر أن مراده بهذا الاستفهام : أمتعك إذن في الحلب لمن يمر بك على سبيل الضيافة ؟ ويحتمل أن أبا بكر لما عرف مالك الغنم عرف رضاه بذلك لصداقته له أو لإذنه العام بذلك » .

العاشر : ذكر أبو نعيم هنا قصة إسلام ابن مسعود ، ليما وقع في بعض طرقه ، قال : « كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط بمكة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وقد قرأ من المشركين ، فقالا : يا غلام هل معك من لبن ؟ » فذكر الحديث ^(١) ، ويأتي بتمامه في المعجزات . قال في البداية والفتح : « قوله في هذا السياق : « وقد قرأ من المشركين » ، ليس المراد به وقت الهجرة ، وإنما ذلك في بعض الأحوال قبل الهجرة ، لأن ابن مسعود كان ممن أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة كما تقدم ذلك ، وقصته ثابتة في الصحاح ^(٢) .

الحادي عشر : ذكر في « العيون » قصة سراقعة قبل قصة أم معبد والتزم في أولها أنه

(١) تمام الحديث في قصة إسلام عبد الله بن مسعود كما أورده ابن الأثير في أسد الغابة (ج ٣ ص ٢٥٦) : فقلت ثم وليني مؤتمن فقال : اتنى يشاء لم ينز عليها الفعل فأتيت بهنقا ، وجذعة فاعتقلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح الفرح ويدعو حتى أزلت فأتاه أبو بكر بمصحاة (أي إناء كما في الصحاح وفي الأصل : مصبة ولا يستقيم بها المني) فاحلب فيها ثم قال لأبي بكر اشرب ، فشرب أبو بكر ، ثم شرب النبي صلى الله عليه وسلم بعده ، ثم قال للفرع : أخلص فخلص فنادى كما كان ، ثم أتيت فقلت : يا رسول الله علمني من هذا الكلام أو من هذا القرآن فمسح رأسي وقال إنك غلام معلم - وفي رواية : فليعلم أي ملهم للصواب والخير كما في النهاية (ج ٣ ص ١٢٤) - قال : فلقد أخذت منه سبعين سورة ما فازعني فيها بشر ، وهو أول من جهر بالقرآن في مكة .

(٢) أخرج البخاري في صحيحه (ج ٥ ص ١٠٣ : ١٠٤) أربعة أحاديث في مناقب عبد الله بن مسعود .

يُرْتَبِّبُ الوقائع . وذكر في «الإشارة» قصتها قبل قصة سراقه ، وتَبَيَّنَتْ في ذلك وهو الصحيح الذي صرَّح به جماعة .

الثاني عشر : ذكر رزين^(١) أن قريشاً أقامت أياماً لا يدرون أين أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمعوا صوتاً على أبي قُبَيْسٍ وهو يقول :

فَإِنْ يُسَلِّمَ السَّعْدَانِ يُضِيحُ مُحَمَّدٌ
بِمَكَّةَ لَا يَخْفَى خِلَافَ الْمُخَالِفِ

كما سمعوا أيضاً البيتين السابقين في إسلام سعد بن معاذ وسعد بن عباد :
[فَيَا سَعْدَ سَعْدِ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِراً
أَجِيبَا إِلَى دَاغِي الْهَمْدَى وَتَمَنِّيَا
عَلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُنِيَّةً عَارِفاً]^(٢)

قال السيد / : والأقرب ما تقدم من إنشاد هذه الأبيات قبل ذلك لأن السَّعْدَيْنِ كانا ١٦٤ وقد أسلما قبل ذلك .

الثالث عشر : في بيان غريب ما سبق : « قَبْلَ المدينة » ، بكسر القاف وفتح الموحدة أي جهتها . « عَلَى رِسْلِكَ » بكسر أوله أي على مَهْلِكِ والرُّسْل السير الرقيق . « بِأَيِّ أَنْتَ » : أَنْتَ مُبْتَدَأٌ وَغَيْرُهُ : بِأَيِّ أَيِّ مُفِيداً بِأَيِّ ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَنْتَ تَأْكِيداً لِلْفَاعِلِ يَرْجُو وَبِأَيِّ قَمَمِ . « حَبَسَ نَفْسَهُ » : مَنَعَهَا مِنَ الْمَجْرَةِ . « السَّرَّ » : بِسَيْنِ مَهْمَلَةٍ مَفْتُوحَةٍ وَفَهْمِ الْمِيمِ وَهُوَ الْخَبَطُ^(٣) بفتح المعجمة والموحدة وبالطاء المهملة ، هذا الْمُتْرَجُّجُ في تفسير الزهري . وَيُقَالُ السَّمْرَةُ اسم شجرة أم غيلان ، وقيل ورق الطَّلَح ، وَالْخَبَطُ مَا يُخَبَطُ بِالْمِصْبَا فَيَسْقُطُ

(١) هو رزين بن أنس السلمي . قال ابن حجر في الإصابة (ج ٢ ص ٢٠٦) : إن له حصة كما ذكر ابن حبان وابن السكن .

(٢) زيادة من السجل (ج ١ ص ٢٧٢) .

(٣) يَخْلَطُ الْمُؤَلَّفُ هَذَا بَيْنَ السَّمْرِ وَالْخَبَطِ وَسَقِيَ لَنَا فِي حَاشِيَةِ سَابِقَةٍ أَنْ أَوْضَحْنَا الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا فَقُلْنَا عَنْ ابْنِ الْأَثِيرِ فِي الْهَاتِيَةِ . فَالسَّمْرُ ضَرْبٌ مِنْ شَجَرِ الطَّلَحِ الْوَاحِدَةِ سَمْرَةٌ . وَالْخَبَطُ بِالتَّحْرِيكِ اسمُ الْبُرْقِ السَّاقِطِ مِنْ ضَرْبِ الشَّجَرِ بِالْمَاءِ وَهُوَ فَعْلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٌ وَهُوَ مِنْ عِلْفِ الْإِبِلِ . وَفِي الْأَشْتِقَاقِ لَا يَنْ دَرِيهِ (ص ٨٠) : سَمْرَةٌ مُشَقَّةٌ مِنَ السَّمْرِ وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْمَضَاءِ وَالْمَضَاءُ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ شَوْكٌ . وَالْخَبَطُ (ص ٢٤٠) حَشِيشٌ يَنْتَبِعُ فِي الْمَاءِ وَتَمْلُغُهُ الْإِبِلُ . وَفِي فَتَاوَى السَّمْرِ بِضَمِّ الْمِيمِ شَجَرٌ مَعْرُوفٌ صَغِيرُ الْبُرْقِ قَصَارُ الشَّوْكِ وَلَهُ بَرْمَةٌ صَفْرَاءُ يَأْكُلُهَا النَّاسُ وَلَيْسَ فِي الْمَضَاءِ شَيْءٌ أَجْوَدَ خَشِيباً مِنَ السَّمْرِ وَاحِدَتُهَا سَمْرَةٌ . كَمَا زَادَ الزَّيْدِيُّ فِي مَادَةِ خَبَطَ : وَالْخَبَطُ حَرَكَةُ رِجْلِ الشَّجَرِ يَنْفُضُ بِهَا الْخَبَاطُ أَيْ الْمَصَى ثُمَّ يَنْفُضُ وَيَطْمِنُ وَيَخْلَطُ بِدَقِيقِ أَمِّ غَيْرِهِ وَيَوْخِفُ (أَيْ صَبَّ فِيهِ الْمَاءَ وَضَرْبَ لِيَخْلَطَ) فَتُجَرُّهُ الْإِبِلُ ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ (الدَّبْنُورِيُّ) سَمِيَ بِهِ لِأَنَّهُ يُخَبَطُ بِالْمِصْبَا حَتَّى يَنْتَرِ . غَيْرَ أَنَّ الْمُؤَلَّفَ فِي شَرْحِهِ التَّالِيِ أَوْضَحَ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ .

من ورق الشجر « نَحْر الظهيرة » : أى أول الزوال وهو أشد ما يكون من حرارة النهار ،
والغالب فى الحرّ القيلولة . « مُتَقَنِّعًا » : أى مُتَطَيِّلِسًا وسيأتى الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى
فى أبواب لباسه صلى الله عليه وسلم . « فِدَى » : بكسر الفاء والقصر وفى رواية فِذَاء بالمَدَّ .
« الصحابة » : بالنّصب أى أريد أو أسألك المصاحبة ويجوز الرفع على أنه خبر مبتدا محذوف
« أَيْنَاهُ » : بكسر الهم . « أَحَثَّ » : بحاء مهملة فمثلة أفعل تفضيل من الحثّ وهو الإسراع
وفى رواية أَحَبَّ بالموحدة والأول أَصَحَّ . « الْجَهَّاز » : بفتح الجيم أفصح من كسرهما ،
وهو ما يحتاج إليه المسافر . « ذات النطاق » : وفى رواية ذات النّطّاقين - بكسر النون -
وهو ما يُشَدُّ به الوسط ، وقيل هو ثوب قلبسه المرأة ، ثم تشد وسطها بحبل ، ثم ترسل
الأعلى على الأسفل . والمحفوظ فى هذا الحديث أن أمماء شَقَّتْ نِطَاقَهَا نصفين فَشَدَّتْ^١
بأحدهما الزاد واقتصر على الآخر ، ثم قيل لها ذات النطاق وذات النطّاقين ، فالثنية
والإفراد بهلين الاعتبارين . وعند ابن سعد أنها شَقَّتْ نِطَاقَهَا فَأَوَكَّتْ بقطعة منه الجِرَابَ
وَشَدَّتْ فَمِ الْقَرْيَةِ بالباقى^(١) فسميت ذات النطّاقين . « الْخَوْخَةُ » : بخاءين معجمتين
بفتوحتين بينهما واو ساكنة : باب صغير . « ثور » : بالثلثة . « الرّصد » : بفتحتين
جمع راصد كخادم وخَدَم . « استبرأه » : يقال : استبرأتُ الشيء طلبتُ آخره لقطع الشبهة
عنى . « أَلْقَمَهُ الْجُمُحُ » : الجحر بجيم فحاء مهملة : أى أدخله فيه . « الْعَقَب » : بعين
مهملة مفتوحة فقفاف مكسورة فموحدة : مُؤَخَّرُ الرَّجُلِ . « لَدَعَهُ » : بالذال المهملة والغين
المعجمة : عَضَهُ . « الرّأمة » : وهى شجرة معروفة قال أبو حنيفة الدينورى هى من أغلات
الشجر - بفتح الهززة وسكون العين المهملة وتُعْجَم - وتكون مثل قامة الإنسان ولها خيطان
وزهر أبيض تُحْبَثَى به المخاد فيكون كالريش [لحفته ولينه لأنّه كالقطن]^(٢) . قال فى
النور : وغالب ظنى أن هذه الشجرة التى وصف أبو حنيفة أنها العشر^(٣) [كذا رأيته]^(٤)

(١) لفظ ابن سعد (الطبقات ١ ص ٢١٤) : فأركت به الجراب وقطعت أخرى فصيرته عصاً لعمى القرية .

(٢) زيادة من الروض الأثف الذى نقل عنه المؤلف فى ج ٢ ص ٤ .

(٣) فى الأصول : العشار وأقبتنا رسم الكلمة كما أورده الزبيدى فى تاج العروس مادة روا . والنص الذى نقله المؤلف
نقله الزبيدى أيضاً .

(٤) زيادة من التاج .

بأرض بركة الحاج^(١) خارج القاهرة [وهى تنفتق عن مثل قطن يشبه الريش فى الخفة
ورأيت من يجعله فى اللحف فى القاهرة^(٢)]. «فتيان» : جمع كثرة لِفَتَى وهو الشاب الحَدَث
«الهرأوى» بفتح الهاء جمع هِرَاوَة^(٣) بكسرهما . «ذراً» : بمجمة فمهلة فهمزة أى دفع .
أثر : مُحرَّكَه والأثر بقية الشيء أو الخير^(٤) ، ونَحَرَج فى أثره بعده^(٥) . «الأرب» بالفتح
الحاجة . «يَنْشَبُ» يَنْشَبُ^(٦) . «حُو» بالحاء المهملة والواو : جمع^(٧) . «الغار» نَقَبٌ فى
الجبل . «الطُرف» : بفتح الطاء [المهملة] وسكون الراء^(٨) . «فالصديق»^(٩) : أى ذوالصدق
وهو النبي صلى الله عليه وسلم . «لم يَرَمَا» بفتح أوله وكسر ثانيه أى لم يَبْرَحْ . «من أرم»
أى أَحَد . «ظَنُّوا» : حَسِبُوا . «الحَمَام» : اسم جنس جمعى واحده حَمَامَة يقع على الذكر
والأنثى . «البرية» : بتخفيف الراء الخلق . «النسج» : بالجم الحياكة . «الحوم» :
الطواف . «الوقاية» : بكسر الواو الحفظ . «أَعْنَتُ» : أَجْرَأْتُ . «الدروع المصاعفة» :

(١) بركة الحاج هى قرية فى الشمال الشرقى لقاهرة بنحو خمس ساعات وفى غربى التربة الإسماعيلية بنحو ستة كيلومترات
وفى جنوب الخافاء كذلك وفى شرق قرية المروج بنحو ثلاثة كيلومترات ويقال لها بركة الجب كما ذكرها المقرئى فى خطه
فقال : بركة الجب هى بظاهر القاهرة . وسُميت بركة الحاج لنزول الحجاج بها عند سيرهم من القاهرة إل الحج فى كل سنة
وزولهم عند العيد بها ومنها يدخلون إل القاهرة . وقد أفاض على البارك فى تاريخ هذه القرية فى المخطط التوفيقية (ج ٩
ص ١٦ : ٢٢) حيث نقل ما كتبه المقرئى فيها وكذلك صاحب كتاب درر القرائل المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة
المظلمة هذا ويرجع إنذارها إل أنها كانت قبل شق ترعة السويس بداية الطريق البرى للحجاج القادمين من الفياد المصرية .

(٢) تكله النص الذى أوردته المؤلف ونقله الزبيدى فى التاج وقد عتب عليه قائلا : قلت ليس هو البشر كما زعم
بل شهر يشبهه . وما ذكره شيخنا هو الصحيح فإن الراء غير البشر وقد رأيت كليهما بايين ومن ثم نكل منها تحشى المخاد
والوسائل إلا أن العشر ثمرة يبدو صغراً ثم يكبر حتى يكون كالإذئجانة ثم ينفق عن شبه قطن وثمر الراء ليس كذلك والعشر
لا يوجد بأرض مصر . فهو من غلواص أرض الحجاز وما يليها ، ومن ثم الرء تحشى رجال الإبل وفيها فى الحجاز .

(٣) الهراوة العصا الضخمة والجمع هراوى بفتح الواو مثال المطايا ، قاله فى الصحاح .

(٤) الخبر أهم من الأثر فى مصطلح الحديث فالأثر الحديث مرفوعاً أو موقوفاً .

(٥) «خرج فى أثره بعده» وروى فى القاموس المحيط ولفظه : ويقال خرج فى إثره (بكسر فسكون) وأثره
(محرّكة) بعده وقال الزبيدى فى التاج : والثانى أقصح . ووقع فى شروح الفصح بدله عقبه . والأثر محرك هو ما يحرّك
الرجل بقدمه فى الأرض وكذا كل شيء مؤثر أثرأ ، يقال : جئت على أثر فلان كأنك جئت نطأ أثره .

(٦) نشب ينشب من باب نصب : ما نشب أن قال كذا أى مالئث .

(٧) فى الأصول : «حوى» وفى النهاية (ج ١ ص ٢٧٢) الحو جمع أحوى .

(٨) الطرف النظر وفى التنزيل : «قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك» (سورة
النمل آية ٤٠) والطرف بمعنى العين يطلق على الواحد وغيره . وقد يثنى ويجمع .

(٩) فى ردة البوصيرى : فالصدق فى الغار والصدق لم يَرَمَا . وهم يقولون ما بالنار من أرم .

٤١٦ ظه المنسوجة حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ / تُلْبَسُ لِلحِفْظِ مِنَ الْعَلَوِ . « الْأُطْمُ » بضمعين الحَصَوْن^(١) « الْمُئِيفُ » : الْعَالِي . « حِبُّ » رسول الله صلى الله عليه وسلم أى مَحْبُوبُهُ . « نَوَاجِدُهُ » : بفتح النون وكسر الجيم وَصَمَّ الذال المعجمة جمع ناجد وهو السَّنُّ من الْأَضْرَاسِ وَيَأْتِي الكلام على ذلك فى باب ضَحِيكِهِ وَتَبَسُّمِهِ . « كَمَبْنَا » : بفتح الكاف والميم ويجوز كَسْرُهَا^(٢) أى اخْتَفَا فِيهِ . « لَقِفَ » : بئاء مُثْلَثَةٌ مفتوحة ففاء مكسورة ويجوز لإسكانها وَصَمَّهَا ففاء أى فُطِنَ يُذَكِّرُ حاجته بسرعة . « لَقِفَ » : بفتح اللام وكسر القاف ويجوز سكونها أى سريع الفهم « يَدْلِجُ »^(٣) بتشديد الدال المهملة بعدها جيم أى يخرج بِسَخَرٍ . « يُكَاذَانُ » : وفى رواية يُكَاذَانُ أى يُطَلَّبُ لهما فيه المكروه وهو الكَيْدُ . « مِنْحَةٌ »^(٤) : بكسر الميم وسكون النون فحاء مهملة . « رِشْلُ » بكسر الراء بعدها مهملة ساكنة : اللَّبَنُ^(٥) . « الرُّضِيفُ » : براء فضاء معجمة ففاء وزن رَغِيفُ اللَّبَنِ المَرْضُوفُ الذى رُضِيفَتْ فِيهِ الْحِجَارَةُ الْمُحْمَاةُ بالشمس أو النار لينعقد وتزول رَخَاوَتُهُ^(٦) ، وهو بالرفع ويجوز الْجَرُّ . « يَنْتَقِ » : بكسر العين المهملة أى يصيح بِغَنَمِهِ ، وَالنَّتَقُ هو صوت الراعى إذا زَجَرَ الْغَنَمَ^(٧) ، وفى رواية :

(١) : فى القاموس المحيط : الأُطْمُ بضمه وبضمين القصر وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع مسطح والجمع أَطْمَامٌ . . وفى هذا ما يدل على أنه مفرد غير أن الجوهري فى الصحاح قال بأن الواحدة أطمعة مثل أكمة .

(٢) : فى القاموس المحيط كن له من باب نصر وكن له من باب سمع كوناً أى امتحن . وهى بمعنى الاستخفاف لم ترد فى التلخيص الوسيط على أنها من باب سمع .

(٣) : يجوز فيها تسكين الدال ولا وجه للفرقة بين الإدلاج بتسكين الدال والإدلاج بتشديدها على اعتبار أن الأول هو السير فى أول الليل والثانى السير فى آخره كما زعم صاحب القاموس وقد رد عليه الزبيدى فى التاج منكراً هذه التفرقة حيث ساق حججاً كثيرة منها حديث النبى صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالدجلة فإن الأرض تطوى بالليل » فلم يفرق فيه بين أول الليل وآخره .

(٤) : فى الحديث : ويرعى عليها منحة من لبن أى غنم فيها لبن ، قاله فى النهاية (ج ٤ ص ١١٠) .

(٥) : فى الأصول : اللبن الطرى ولم نمر على الطراوة كمنت من نومت اللبن . انظر كفاية المتخلف لابن الأجدادى (ص ٦١ و٦٢ طبع حلب سنة ١٣٤٤ هـ) وكتاب التيم والبهائم والوحش لأبى محمد عبد الله بن مسلم الذى حقق نصه الأب بويج ونشره فى المجلد الثالث من مجلة الكلية الشرقية ببيروت سنة ١٩٠٨ م ص ٢٨ : ٣٤ . وفى النهاية (ج ٢ ص ٨٠) الرسل هو اللبن ومن معانى الرسل الرق والجلدة يقال أفضل كذا على رسلك أى اتدد ولا تعجل . وفى الصحاح أرسل القوم أى صار لهم اللبن من جواهرهم .

(٦) : لفظ ابن الأثير فى النهاية : ليذهب وغمه . والرغيف الحجارة المحماة على النار واسطها رغبة .

(٧) : ينتق ، يفتح العين أيضاً فى القاموس المحيط نطق بغنمه كنعن . وضرب نمقاً ونمقاً ونمقاً ونمقاً صاح بها ووجرها .

يَنْقُ بِهما بالتثنية أى يُسَمِّعُهُما صَوْتَهُ إِذَا زَجَرَ غَمَمَهُ . « الدَّيْلُ ^(١) » : يكسر الدال المهملة وسكون التحتية . « الخَرِيتُ ^(٢) » : بكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء فمثناة تحتية ساكنة فمثناة فوقية ، وهو الماهر بهداية الطريق . « العُتْبَى » : بضم العين المهملة والراء ^(٣) . « بوائق الدَّهْرِ » : غوائله وشروبه واحداً بائقة وهي الداهية ^(٤) . « قائمُ الظَّهيرة » : أى نصف النهار، سُمِّيَ قائماً لأن الظِّلَّ لا يظهر حينئذ فكأنه واقف . « رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ » : أى ظهرت . « القَرَوَةُ » معروفة ويقال فيها قَرَوٌ بحذف الهاء وهو الأشهر فى اللغة ولا ينتجه أن يكون المُرَادُ بها القَرَوَةُ من الحشيش لقوله : كانت معى ^(٥) . « وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوَّلَكَ ^(٦) » أَنْفُضُ بفتح الهمزة وسكون النون وَضَمَّ الفاء بعدها ضاد معجمة ، أى أَتَحَسَّسُهُ وَأَتَعَرَّفُ ما فيه مِنْ تَخَافُهُ قَالَه فى التقريب وفى النهاية أى أحرك وأطوف هل أرى طلباً . « لِرَجُلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ » : شك فى ذلك أحمد بن يزيد ، ورواه مسلم من طريق الحسن ابن محمد بن أعين ^(٧) عن زهير ^(٨) فقال فيه : « لرجل من أهل المدينة » ، ولم يُشَكَّ .

(١) فى العرب بنو الديل والنول والدلل فالنول من حنيفة والدلل من بني بكر بن كنانة منهم أبو الأسد الدئل . واشتقاق اسم الدئل كما ذكره ابن دريد فى كتابه الاشتقاق (ص ٣٢٥) هو من دال يدل وهذا إما من قولهم ادال الشيء إذا تعلق وتحرر ومن الديلة وهو تمارو القوم الشيء .

(٢) الخريت الحاذق واشتقاقه من خرت الإبرة أى أنه من حذاقته يدعمل فى خرت الإبرة أى يدغل فى ثقبها قاله ابن دريد فى الاشتقاق (ص ١٠٩) .

(٣) العتي الرضا يقال : يعاتب من تربي عنه العتي أى يربي عنه الرجوع عن الذنب والإساءة ، عن المعجم الوسيط .

(٤) كما فى الحديث : لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه أى غوائله وشروبه عن النهاية .

(٥) فى الصحاح : القرو هو الذى يلبس والجمع القراء والقروة قطعة نبات مجتمعة يابسة ووردت بالمعنى الأول فى حديث الهجرة .

(٦) لفظ ابن الأثير فى النهاية (ج ٤ ص ١٦٥) : أى أحرك وأطوف هل أرى طلباً ، يقال نفطت المكان واستنفطته وتنفضته إذا نظرت جميع ما فيه والنفضة بفتح الفاء وسكونها والتنفيضة قوم يبعثون متجسسين هل يرون علواً أو خوفاً .

(٧) هو الحسن بن محمد بن أعين مولى بنى مروان أبو عل الخوافى روى عن عمه موسى وفضيل بن عازم وروى عنه سلمة بن شبيب وأحمد بن سليمان الراوى وثقه ابن حبان وقال أبو عروبة توفى سنة ٢١٠ هـ . انظر خلاصة الخزرجى ص ٦٨ .

(٨) هو زهير بن معاوية بن حديج أبو غيثمة الكوفي محدث الجزيرة روى عن الأسد بن قيس وابن إسحق وحديد الطويل ولقبهم زوروى عنه الحسن بن موسى الأشيب وأبو نعيم وأبو جعفر النخيل وآخرون . وقال الإمام أحمد : زهير من سادات العلم . توفى سنة ١٧٣ هـ انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٢١٤ : ٢١٥ .

ووقع في رواية ابن جُرَيْج^(١) : « قَسَمَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ » ، وَلَمْ يَشْكُ . قال الحافظ : « والمراد بالمدينة مكة ، ولم يَرِدْ المدينة النبوية لأنها حينئذ لم تكن تسمى المدينة ، وإنما كان يُقال لها يَثْرِب . وأيضاً لم تَجْرِ العادة للرعاة أَنْ يُتَبَعُوا في الرعى هذه المسافة البعيدة . ووقع في رواية إسرائيل^(٢) فقال : « لِيُرْجَلِ مِنْ قَرِيشٍ سَيَّاهُ فَعَرَفْتُهُ » ، وهذا يؤيد ما قررته لأن قريشاً لم يكونوا يسكنون المدينة النبوية » « أَيْ غَنِمْتُ لَبَنَ ؟ » بفتح اللام والموحدة ، وحكى القاضي أَنْ في رواية لُبَّيْن ، بضم اللام وتشديد الموحدة جمع « لَابَيْنِ » أَيْ ذات لَبَن . « الْعَنَاقُ » : بفتح العين المهملة : الْأُنْثَى مِنَ الْمَرْءِ : « فَأَخَذْتُ قَدْحاً فَحَلَبْتُ » : وفي رواية : « أَمَرْتُ الرَّاعِيَ فَحَلَبَ » ، وَيُجَمَعُ بِأَنَّهُ يَجُوزُ فِي قَوْلِهِ « فَحَلَبْتُ » : مراده أَمَرْتُ بِالْحَلَبِ . « كُثْبَةٌ » : بضم الكاف وسكون المثناة وفتح الموحدة أَيْ قَدَرٌ قَدَحٌ ، وقيل : حَلْبَةٌ خفيفة . « بَرَدٌ أَسْفَلُهُ » : بفتح الراء على المشهور وقال الجوهري بضمها^(٣) .

شرح قصّة أم معبد رضى الله عنها

« الخزاعية » : بضم الخاء المعجمة فزاي فعين مهملة . « بَرْزَةٌ » : يقال امرأة بَرْزَةٌ إذا كانت كهلة لا تَحْجِبُ احتجاب الشواب وهي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس للناس

(١) هو الإمام الحافظ فقيه الحرم عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي الأموي مولاهم المكي اللقيط صاحب التصانيف حدث عن أبيه ومجاهد وعطاء بن أبي رباح وميمون بن مهران ونافع والأزهري وخلق كثير ، ولد سنة ثيف وسبعين وأدرك سفار الصحابة وروى عنه السفيانان (الثوري وابن عينة) ومسلم بن خالو وابن علية وروح ووكيع وعبد الرزاق وغيرهم . وقال الإمام أحمد : كان من أوعية العلم توفي سنة ١٥٠ هـ انظر تذكرة الحفاظ - ١ ص ١٦٠ : ١٦٢ .

(٢) هو إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الإمام الحافظ أبو يوسف التكويني روى عنه ابن مهدي وأبو نعيم والفرغاني وحمل بن الجعد وخلق كثير كان حافظاً حجة صالحاً خاشعاً من أوعية العلم احتج به الشيخان توفي سنة ١٦٢ هـ تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٩٩ : ٢٠٠ .

(٣) أوضح ذلك الفيدي في المصباح بقوله : برد الشيء يبرد برودة مثل سهل سهولة إذا سكنت حرارته ، وهذا ما نقله المؤلف عن المصالح الجوهري . وأما يرد يبرد برداً من باب قتل فيستعمل لازماً ومتعدياً يقال يرد الماء وبردته وهذه العبارة تكون من كل ثلاثي يكون لازماً ومتعدياً .

وَتُحَدِّثُهُمْ / ، من البروز وهو الظهور ^(١) . « جَلَنَة » ^(٢) : إما قوية وإما عَاسِيَة ^(٣) . « الْفِئَاء » ^(٤) ٤١٧ و
سِعة أمام البيت ، وقيل ما امتدَّ من جوانبه . « تَسْقَى » : تَنَاولُهُمُ السَّقَى ليشربوا منه .
« مُرْمِلُونَ » : بضم الميم وسكون الراء ، نَفَذَ زَادَهُمْ وَأَصْلَهُ مِنَ الرَّمْلِ كَأَنَّهُمْ لَصِقُوا بِالرَّمْلِ
كما قيل للفقيير التَّربُّ بفتح التاء وكسرها الرَّاء ^(٥) . « مُسْتِنُونَ » : بكسر النون والمثناة
الفوقية ، أى أَجْدَبُوا أى أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ ^(٦) وهى القَحْطُ يقال أَسْنَتْ فهو مُسْنِتٌ إذا أَجْدَبَ .
« أَعْوَزْنَاكُمْ » : أَخَوَجْنَاكُمْ . « كَسَرَ الْخِيَمَةَ » : بفتح الكاف وكسرها وسكون المهملة ،
أى جانبها ، ولكل بيت كِسْرَانٌ عن يمين وشمال . « كِفَاءُ الْبَيْتِ » : قال فى القاموس :
الْكِفَاءُ كِتَابٌ سُرَّةٌ مِنْ أَعْلَى الْبَيْتِ إِلَى أَسْفَلِهِ مِنْ مُوَخَّرِهِ أَوِ الشُّقَّةِ مِنْ مُوَخَّرِ الْخِيَاءِ أَوْ كِسَاءِ
يُلْقَى عَلَى الْخِيَاءِ حَتَّى يَبْلُغَ الْأَرْضَ وَقَدْ أَكْفَأَتُ الْبَيْتَ ^(٧) . « الْجُهْدُ » : بِالْفَتْحِ وَيُضَمُّ : الطَّاقَةُ ،
وقيل بِالْفَتْحِ الْمَشَقَّةُ وبالضم الطَّاقَةُ والمراد هنا الْهَزَالُ ^(٨) . « ضَرَبَهَا فَحْلٌ » : أَلْقَاهَا .
« شَانَكَ » : منصوب ، أى أَصْلَحَ شَانَكَ ، أو نحو هذا ، فهو مفعول بِفِعْلِ مُقَدَّرٍ . « فَتَقَاجَتَ » :
بالمد وتشديد الجيم فتحت ما بين رَجْلَيْهَا لِلحَلَبِ ^(٩) . « يُرْبِضُ » : بضم المثناة التحتانية فراء

(١) فى التاج : قال أبو عبيدة امرأة بركة جليلة تبرز للقوم مجلسين إليها هى مع ذلك طريفة موقوت برأيا وعفاها وقيل
البرزة من النساء التى ليست بالمزاولاة التى تزييك بوجهها تسره عنك وتكذبك إلى الأرض والخرقة التى لا تكلمك إن كلبت .
(٢) فى شرح السيرة الخففى : جليلة أى جزلة وصفها بالجزالة (ج ١ ص ١٣٠) .

(٣) فى القاموس المحيط : عسا الشيخ يمسو عسوا وعسوا وعسا وعسا وعسى عسى ، كبر . وفى النهاية (ج ٣ ص
٩٦) : عسا بالسين المهملة أى كبر وأسن . وحل ذلك فماسبة أو مسبة .

(٤) قبل كلمة الفناء لى المؤلف أن يشرح كلمة « تحدى بفناء قبها » . وفى النهاية (ج ١ ص ١٩٩) : الاحتيا
هو أن يضم الإنسان رجله إلى بطنه يشوب مجسمهما به مع ظهوره ويشده عليهما وقد يكون الاحتيا باليدين عوض الثوب ،
ويقول الخففى : الاحتيا أن يبسط الرجل أصابع يديه ويمسكها على ركبتيه إذا قد ، وقد يحذى بمسالك سيفه .

(٥) يرى الجوهري فى الصباح أن مرملين مأخوذ من الرمل - حركة - والرمل القليل من المطر ويقال أرمِل للقوم
إذا نفذ زادهم وعام أرمِل أى قليل المطر ورسته وملاء ، من أين السكيت .

(٦) فى النهاية (ج ٢ ص ١٨٨) . السنة الجهد يقال أعلمتهم السنة إذا أجدهوا وأقصطوا وهى من الأسماء الثمانية
نحو الدابة فى الفرس والمال فى الإبل وقد عسرها بقلب لاسمها فاء فى استعرا إذا أجدها . ويقال سنة سنه ، أى لا نبات
بها ولا سطر وهى الخلقة مليحة من السنة كما يقال ليلة ليلاد ويوم أيام .

(٧) فى شرح التريشى لعبارة القاموس قال : أَكْفَأَتُ الْبَيْتَ إِكْفَاءً وَهُوَ مَكْلًا إِذَا حُلَّتْ لَهُ كَلَاهُ . وجمع كلاه
أكلافه كسار وأحمره .

(٨) فى المصباح الجهد بالضم فى الحجاز وبالفصحى غيرهم الواسع والطاقه وقيل المضموم الطاقه والمفتوح المشقة .
والجهد بالفصحى لا غير : النهاية والغاية وهو مصدر من جهد فى الأمر جهداً من باب ففع إذا طلب حتى يبلغ غايته فى الطلب .
وجهدته الأمر والرعى جهداً أيضاً إذا بلغ منه المشقة .

(٩) التناجى المبالغة فى تفرج ما بين الرجلين وهو من التلج الطريق . قاله فى النهاية (ج ٢ ص ١٨٤) .

ساكنة فَمَوْحَلَّة مَكسورة فضاء معجمة . قال في النهاية^(١) : أى يُرويه ويُنْقِلُهُمْ حتى يناموا ويمتلوا على الأرض ، من رِبَض في المكان يَرِبُض إذا لَصِقَ به وأقام ملازماً له ، يقال أَرِبَضَ : الشمس إذا اشتدَّ حرُّها حتى تَرِبُضَ الوَحْش في كِنَاسِها ، أى تجعلها تَرِبُض فيه ويُرَوَّى^(٢) بمثناة تحتية بعد الراء : [يَرِبُضُ الرَّهْط] أى يُرويه من أَرَاضِ الحَوْض إذا صَبَّ فيه من الماء ما يُؤارى أَرَضَه . والرَّوْض نحو من نصف قِرْبَةٍ^(٣) . « الرَّهْط » : يسكون الهاء وفتحها [ما] دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة أو منها إلى الأربعين^(٤) . « ثَجًّا » : أى لبناً سائلاً كثيراً^(٥) . « علاء البهاء » : أى علا الإناء بهاء اللين وهو بريق^(٦) رَغَوَيْته ، وفي رواية : الثَّمَال بضم المثناة الرُّغْوَة^(٧) . « اللَّكَل »^(٨) : بفتح العين المهملة ولائتين الأولى مفتوحة الشُّرْب الثاني . « النَّهْل » بفتح النون والهاء وتُسَكَّن وبالياء الشُّرْب الأول . « غَادَرُهُ » : بالغين المعجمة تَرَكَهُ^(٩) . « الصُّبُوح »^(١٠) : بفتح المهملة وبالموحدة ما يُشْرَب بالعداء فما دون القائلة . « والغَبُوق »^(١١) : بفتح الغين المعجمة الشرب بالعقيق . « الحِيَال » :

(١) ج ٢ ص ٥٨ و ٥٩ .

(٢) في النهاية ج ٢ ص ١١١ حيث طلق ابن الأثير حل الخلاف بين يربض ويربض بقوله : والرواية المشهورة بالهاء (الوحدة) ولكنه أورد الرواية الأخرى في حديث أم ميم : ففربوا حتى أربضوا أى شربوا علا بعد نهل مأخوذ من الرُّغْوَة وهو الموضع الذى يستلغ فيه الماء ، وقيل معنى أربضوا صبوا اللبن على اللبن . وربضت الغنم وغيرها من الدواب تربض رقبها وبربضها ، من باب ضرب ، أى طوت قوائمها ولصقت بالأرض . وأربضت الشمس اشتد حرها حتى تربض الغزاة من لُدته وأربض الراعى الغنم جعلها تربض .

(٣) في الأصول : نحو من ضمن قربة والتصويب من النهاية .

(٤) في المصباح : الرهط ما دون عشرة من الرجال ليس فيهم امرأة ويسكون الهاء أفصح من فتحها . ورهط الرجل قومه وقبيلته .

(٥) في النهاية ج ٢ ص ١٢٥ : أفضل الحج الحج والنجج « النجج سيلان دماء الحلى والأضاحى يقال نجج نججا . (من باب نصر) .

(٦) في الأصول : ويربض ، وأكرنا حياة النهاية وفي التلغى : البهاء هنا بريق الرهوة ولما هنا .

(٧) في النهاية ج ١ ص ١٣٤ : في حديث أم ميم : فطلب فيه نججا حتى علاه الثمال . الثمال هو بالهمزة الرهوة واحدة مثالة .

(٨) في المصباح المال سقى بعد سقى والنهل الشرب الأول وغالف الخفى ما ورد في المعجم فزم أن النهل هو الشرب الثاني (شرح السيرة ج ١ ص ١٢١) .

(٩) أضاف الخفى وفيه معنى النذر لأن السيل غادره أى تركه .

(١٠) وفي المصباح : اصطبغ أى شرب صبغاً .

(١١) فبقه يبقه فبقا من باب ضرب سقاء فبقوا بالفتحة المرة منه .

جَمَعَ حائل وهي التي لم تَحُولْ . « عَجَافًا »^(١) : بكسر العين المهملة جمع عَجَفَاء وهي المهزولة من الغَنَم [وغيرها^(٢)] . « الشَّاء » جمع شاة^(٣) . « عازب » : بعين مهملة فزاي فموحدة أي بعيلة المَرْحَى لا تَأْوِي إلى المنزل في الليل . « لا حلوب^(٤) » في البيت : أي لا شاة تُحَلَب . « الوَضَاءَة » : بفتح الواو وبالضاد المعجمة والمهمزة : الحُصْن والبهجة^(٥) . « الأَبْلَج^(٦) » الوجه : بالموحدة وبجيم أي مُشْرِقُهُ مُسْفِرُهُ ، ومنه تَبَلَّجَ الصَّبحُ وَانْبَلَجَ . فَأَمَّا الأَبْلَجُ فهو الذي قد وَضَحَ ما بين حاجبيه فلم يَقْتَرِنَا ، والاسم البَلَجُ بفتح اللام ، ولم تُرِدْ هذا أم معبد لأنها قد وصفته [في حديثها] بالقرن^(٧) . « الأشْفَار » : جمع شُفْر بضم اشين المعجمة وقد تَفَتَّحَ وهو طرف جَفْنِ العَيْنِ الذي يُنْبَتُ عليه الشَّعْر ، والمراد هنا الشَّعْر الذَّيْتُ^(٨) . « الوَطْف^(٩) » : بفتح الواو والطاء المهملة وبالفاء . الطول ، فمضى الكلام أن في شعر أجفانه طولاً ، قال في الإملاء : يُرْوَى الْغَطْفُ^(١٠) وَالْعَطْفُ بالعين المعجمة والعين المهملة ، نعمناه بالمعجمة مثل معنى الوَطْف ، وأما بالمهملة فلا معنى لها^(١١) ، وقد فُسِّرَ بعضهم فقال :

(١) في الصحاح : السَّجَف بالتحريك الهزال والأصيف المهزول . والأثني عصفاء والجمع عجات على غير لباس لأن أنمل وفلدا لا يجمع على فئال ولكهم بنوه على سمان والعرب قد تبنى الشيء على ضده كما قالوا فعوة بنه على صديقه . وفعلوا إذا كان بمنى فاعل لا تدخله الهاء .

(٢) زيادة من النهاية لأن الكلمة تطلق أيضا على غير الغنم .

(٣) الشاة الواحدة من الضأن والمز وغيرها يقال للذكر والأثني والجمع شاء وشباه .

(٤) زاد الخليلي : وقد تكون الحلوب واحدا وقد يكون جمعا .

(٥) في شرح السيرة النخعي (ج ١ ص ١٣١) : الوضادة حسن الوجه ونظافته ومنه اشتقاق الوضوء . والزبيدي في نتائج أكد هذا الاشتقاق بقوله : وأصل الوضوء من الوضادة وهي الحسن .

(٦) في الأصول .. مبلغ الوجه وأثبتنا لفظ أين الأثير في النهاية .

(٧) في المصباح : يبلغ الصبح بلوجاً من باب قد أسفر وأنار ، ومنه قيل يبلغ الحق إذا وضح وظهر ، ويبلغ بلجاً من باب تمب لفة . واسم الفاعل من الثانية أبليج وسجية بلجاء وابتليج الصبح بمعنى بلج ، وأبليج بالألف كذلك . وفي الأساس (ج ١ ص ٦٠) يقال (بجازاً) الرجل الطلق الوجه في الكرم والمعرف وهو أبليج وإن كان أقرن .

(٨) في المصباح شفر العين حرف الجفن الذي يهت عليه المذهب . قال ابن قتيبة : والعمامة تجمل أشفار العين الشعر وهو غلط وإنما الأشفار حروف العين التي يهت عليها الشعر ، والشعر المذهب والجمع أشفار مثل قفل وأقفال .

(٩) والقل : وطف يوظف وطفاً - من باب فرح - كثر شعر حاجبيه وأهداه مع استرخاء وطول . فهو أبوظف وهي وطفاء .

(١٠) في القاموس المحيط التلطف بحركة طوال الأشفار وتنتيتها أو كثرة شعر الحاجب غير أن ابن جرير في الاشتقاق (ص

٢٦٩) يفسر التلطف بقلعة حذب العين .

(١١) عبارة المؤلف هنا « ابتداء من كلامه على التلطف بالعين المهملة نقله عن الخليلي في شرح السيرة » (ج ١ ص ١٣٢) . غير أن الفيروز أبادي في القاموس يقول بأن التلطف بالعين المهملة وبحركة : طول الأشفار .

هو أن تطول أشعار العين حتى تنعطف ^(١) . « الدَّعَج » : بفتح الدال والعين المهملتين وبالجم والدَّعْجَة بإسكان العين : السواد في العين يريد - والله أعلم - أن سواد عينه شديد السواد ^(٢) . « الصَّحْل » ^(٣) : بفتح الصاد والحاء المهملتين وباللام وهو كالبَّحَّة وألا يكون حادَّ الصوت ^(٤) ، يقال منه صَحِلَ الرَّجُلُ بالكسر يَصْحَلُ يَصْحَلُ بالفتح صَحْلًا بفتحَيْن إذا صار أَبَحَّ فهو صَحِلٌ وَأَصْحَلُ . « ولا يَشْنُوهُ » : بالشين المعجمة والنون وقبل هاء الضمير همزة مضمومة : أى

لا يبيضه / لِفَرَطِ طوله - وَيُرْوَى لا يُتَشَنَّى من طول ، أبدل الهمزة ياء ، يقال شَنَنَتْهُ أَشْنُوهُ [شَنَأَ] وشَنَانًا ^(٥) . « ولا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ من قِصَر » ، أى لا تتجاوزهُ إلى غيره احتقاراً ^(٦) له ، وكل شيء اِزْدَرَيْتَهُ فقد اِقْتَحَمْتَهُ « لم تَعِبُهُ تُجَلَّة » : التُّجَلَّة : بضم التاء المثناة ثم جيم ساكنة ثم لام مفتوحة هي عِظَمُ البطن ^(٧) وسعته ، وَيُرْوَى بالحاء المهملة والنون أى نحولٌ ودِقَّة . « لم تُزْرِ به » : أى لم تُقْصِر ^(٨) . « صَعْلَةٌ » : بفتح الصاد وإسكان العين المهملتين ، والصَّعْلَةُ صِغَرُ الرَّأْسِ وهى أيضاً الدَّقَّة والنحول في البدن ^(٩) . وفى رواية لم تُزْرِ به صُعْلَةٌ بالqاف أى دِقَّة ونحول ^(١٠) وقيل أرادت أنه لم يكن مُنْتَفِخَ الخاصِرة

(١) لم يشرح المؤلف كلمة تحلة في حديث أم معبد حيث جاء فيه لم تبه تحلة . أى دقة وهزال وقد نحل جسمه نحولا ونحل الاسم وقال ابن قتيبة لم أسمع بالنحل في غير هذا الموضع . انظر النهاية (ج ٤ ص ١٣١) .

(٢) الدعج والدعجة السواد في العين يريد أن سواد عينه كان شديد السواد وقيل الدعج شدة سواد العين في شدة بياضها . وفى المصباح الدعج سمعة مع سواد والرجل أدمج والمرأة دهباء والجمع دمج مثل أحمر وحمر .

(٣) فى شرح النيرة الصحل محركة البسح بمعين مهملتين (والأخيرة مصحفة بالهمز فى كتاب الخشنى) يريد أنه ليس بمحاد الصوت .

(٤) فى القاموس المحيط صحل صوته كفجر فهو أصحل وأصل يحل يح أو أحتد فى بسح . وأورد الفيروز آبادى من معاني الصحل محركة غشونة فى الصدر وانشقاق فى الصوت من غير أن يستقيم . وليس هذا مراداً فى الحديث .

(٥) زيادة من النهاية التى نقل عنها المؤلف .

(٦) شَنَنَتْهُ أَشْنُوهُ من باب تَبَّ شَأْ (تكتب أيضا شَنَأَ) شَنَأًا أَبْغَضْتَهُ وفى المصباح : شَنَأًا بالتحريك والتسكين وقرئ بها قوله تعالى : شَنَأَ قَوْمٌ ، وهى شاذان فالنحرىك شاذ فى المعنى لأن فعلان إنما هو من بناء ما كان معناه الحركة والاضطراب كالضربان والنفقاتس والتسكين شاذ فى اللفظ لأنه لم يجرى فيه من المصادر عليه .

(٧) هذا لفظ ابن الأثير فى النهاية وفى تهو م ، إصداراً والمضى واحد .

(٨) زاد الخفش . يقال بطن أكل إذا كان عظيماً .

(٩) فى المصباح الإزواء البارون بالثاء .

(١٠) والفعل من باب تَبَّ : صحل يصحل صلا كان دقيق الرأس والمثق فهو أصحل وهى صملاء والجمع صعل - بضم الصاد وتسكين الين - ويقال للتمام صعل - أيضا - .

(١١) الصعلة الضمور .

[جِدًا^(١)] ولا نَاحِلًا [جِدًا^(٢)] ، وَيُرَوَّى بالسَّيْنِ عَلَى الْإِدَالِ مِنَ الصَّادِ . قَالَ أَبُو ذَرٍّ [الْخُشْنَى] : الصُّقْلَةُ جِلْدَةُ الْخَاصِرَةِ [تريد أنه ناعم الجسم ضامر الخَاصِرَةُ وهو من الأوصاف الحسنة^(٣)] . «الهاثف» : الصائح^(٤) . «أَبُو قُبَيْسٍ» : بضم القاف وفتح الموحدة فمثناة تحية ساكنة : جَبَلٌ بِمَكَّةَ معروف سُمِّيَ بِاسْمِ رَجُلٍ مِنْ مَلْجِجٍ حَدَّادٍ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ بَنَى فِيهِ^(٥) . وكان أَبُو قُبَيْسٍ الْجَبَلِ هذا يسمي الْأَمِينُ لِأَنَّ الرُّكْنَ [أَيَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدَ] كان مستودعاً فيه . «قَالَا» : من القيلولة وهي نصف النهار^(٦) . «الْهَدْيُ^(٧)» : بفتح الهاء وإسكان الدال المهملة والْهَدْيُ الطريق ، ولا يصح ضمها للوزن^(٨) ، ويعنى بالطريق الطريق الموصلة إلى الجنة «قُصَى» : بضم القاف وفتح الصاد المهملة وتشديد التحتية : تقدم الكلام عليه في النسب . «ما زَوَى» : بفتح الزاي والواو : أَي جَمَعَ وَقَبَضَ «من فَعَال^(٩)» : الظاهر أنه بفتح الفاء وتخفيف العين وهو الْكَرَمُ ، ويجوز أن يكون بكسر

(١) زيادة من النهاية (٢ ص ٢٦٩) .

(٢) زيادة من كتاب شرح السيرة الخشني الذي نقل عنه المؤلف . هذا وقد أغفل المؤلف شرح بقية التريب في حديث أم معبد ونجمه فيما يلي نقلا عن الخشني وابن الأثير .

في عنقه سلط أي إشراف وطول يقال عتق سلطاه إذا أشرفت وطالت . في لحيته كثافة : الكثافة دقة نبات شعر الخفية مع استدارة فيها . أَرْجَ أَقْرَنَ : الأرجع دقة شعر الحاجبين مع طولهما والقرن أن يتصل ما بينهما بالشعر . علاه البهاء : البهاء حسن الظاهر فضل لا نزر ولا هذر : الفصل الكلام البين وأنذر الكلام التليل والهدر الكلام الكثير ، أرادت أن كلامه ليس بقليل فينسب إلى المي ولا بكثير فينسب إلى التزيد . لا بأس من طول : أي ليس يبعد من الطوال . وقال ابن تقيية : أحسبه ولا يائن من طول يريد أن طوله ليس بمفرط . أنضر الثلاثة : أي أنم الثلاثة من النضرة وهو التميم محفود محفود لا حابس ولا مفتد : المحفود الذي يحميه أصحابه ويظلمونه ويسرعون في طاعته ، يقال حفدت وأحفدت فأنا حافد وحفود ، وحفد وحفدة جمع حافد كخند وكفرة . ومحفود إذا كان الناس يخفون نخبتة لأنه مطاع فيهم قاله الجوهري في الصحاح . ولا متمد أي غير ظالم .

(٣) في الخشني : قول القائل من الجن في شعره .

(٤) «أَبُو قُبَيْسٍ» كما في معجم البلدان لياقوت (ج ١ ص ٩٤ : ٩٥) هو اسم الجبل المشرف على مكة وجهه إلى تميمقان ومكة بينهما أَبُو قُبَيْسٍ من شرقيها وقيمقان من غربها . هذا وقد نقل المؤلف عبارة القاموس وزاد عليها شارحه بما نقله عن السبيل في الروض عن سبب تسميته أبا قُبَيْسٍ وهو اسم رجل من جرهم هرب فيه من عمرو بن مفسان وانقطع خبره فسمى الجبل باسمه .

(٥) أي نزلا في غيبي أم معبد عند القائلة إلا أنه حتى الفعل بغير حرف جر .

(٦) الهدى بفتح الهاء وسكون الدال المهملة ما يهدي إلى الحرم من التميم يهد أن معناها هنا الهداية والسيرة والطريقة .

(٧) ضبط خطأ : الهدى في كل من شرح السيرة الخشني (ج ١ ص ١٢٩) وبهذا الشرح تصحيفات وأعطاه كثيرة .

وشرح ديوان حسام (الناشرة سنة ١٩٢٩ م ص ٨٦) .

(٨) روى حيز البيت الذي وردت فيه كلمة فقال : به من فخار لا يبارى وسؤدد .

الفاء جمعاً . « لا يُجَارَى » : بالراء وفي رواية : يُجَارَى بالزاي . « السُّودَد » : بضم السين وإسكان الواو ، يقال سَادَ قَوْمُهُ مِيَادَةً وَسُودَدَاً وهو مصدر . « الصَّرِيح » : بالصاد والحاء المهملتين وهو اللَّبْنُ الخالص الذي لم يُمَلِّقْ^(١) . « الضَّرَّة » : بفتح الصاد المعجمة وتشديد الزاء والمشنة القوية أصل الضَّرْع . « مُزِيد » : بضم الميم وإسكان الزاي فموحدة مكسورة فдал مهمة أى علاه الزَّيْدُ^(٢) . « غادرها » : بالعين المعجمة والdal المهمة : تركها . « فِي مُصَادِرٍ ثُمَّ مَوْرِدٍ » : أى يحلبها مرةً ثم أخرى .

شرح شعر حسان بن ثابت رضى الله عنه

« قُدُس » : بضم القاف وكسر الدال المهمة المشددة وبالسین المهمة مبنى للمفعول أى طَهَّرَ . « يَرْشُدُ » : بضم الشين المعجمة وبفتحتها كَنَصَرَ يَنْصُرُ وفَرَحَ يَفْرَحُ ، والمصدر رُشْدًا وَرَشْدًا ورشاداً^(٣) أى يهتدى . « يَأْسَعُدُ » : بضم العين ، جمع سَعَدَ جمع قُلَّةَ . « سَعَادَةٌ » : بالرفع فاعل يَهْنَأُ ، وأبو بكر مفعوله . « جَدَّة » : بفتح الجيم وهو حظه . « مَنْ يُسْجِدُ اللَّهَ يُسَعِّرْ » : يجوز أن يكون مبنياً للفاعل وللمفعول أيضاً . « عَظُمَ الْحَيُّ »^(٤) : بضم أوله وسكون ثانيه أى أكثره . « الْقِرَى » : بكسر القاف^(٥) . « مُتَنَحِّيًا » : مُتَفَرِّدًا . « الشُّفْرَةُ »^(٦) : بفتح الشين المعجمة وسكون الفاء وفتح الراء : المَدْيَةُ وهى السَّكِينُ العريض

(١) « الصريح هنا اللبن الخالص قاله الخليل ، ويعلق من منقت اللبن بالماء ملقا من باب قتل مزجته وغلطته فهو مذيق قاله في المصباح :

(٢) « الزيد لمحركة من الماء والبحر والابن وغيرها الرغوة وفى المثل : قد صرح الحوض عن الزيد ، يضرب للامر إذا انكشف وتبين ، من الحميم الوسيط ، ومزيد أى علاه الزيد وهو ثمت الصريح .

(٣) « أورد أبو البقاء الكفوى في كتابه الكليات (بولاق سنة ١٢٨١ هـ ص ١٩٦) فروقا طريفة في معاني مصدر فعل «رشد فالرشد (بضم الراء) هو الاستقامة على طريق الحق مع تعصب فيه (وهذا هو تعريف الفيروز آبادي) وغالب استعماله للاستقامة بطريق العقل ويستعمل للاستقامة في الشرعيات أيضا ويستعمل استعمال المداينة . وقيل الرشد أغصن من الرشد محركة فإن الرشد (بضم الراء) يقال في الأمور الدنيوية والأغروية والرشد محركة في الأمور الأغروية لاخير ، والإرشاد أم من التوفيق لأن الله أرشد الكافرين بالكتاب والرسول ولم يوفقهم .

(٤) « ابتداء من هذه الفقرة إلى نهايتها لا يتعلق بشرح التفسير في أبيات حسان بن ثابت .

(٥) « من قرى الضيف يقرى قرى وقرأه أضافه وأكرمته . وهناك في هذه المادة لفظة أخرى وردت في حديث أم معبد أفضل المؤلف شرحها جاد في النهاية (ج٣ ص ٢٥٠ : ٢٥١) أن أم معبد أرسلت إليه بشاة وشفرة فقال : اردد الشفرة وحات لي قروا ، ينى قدحا من خشب .

(٦) « الشفرة ما عرض وحده من الحديد كعد السيف والسكين وغيرها .

والجمع شِفَارَ مثل كَلْبَةٍ وَكِلَابٍ وَشَفَرَاتٍ مثل سَجْدَةٍ وَسَجْدَاتٍ . « الْجَلْبُ » : بفتح الجيم واللام مَا يُجَلَّبُ من بِلَدٍ إلى بِلَدٍ . « الْأَقِطُ »^(١) : كَكَيْفٍ وَوَسَكَنٍ مُثَلَّتِ الهمزة : ثِيءٌ يُتَخَذُ من اللبنِ الْمَخِيضِ ، قال ابن الأعرابي : من ألبان الغنم خاصة .

شَرَحُ قِصَّةِ سُرَاقَةِ بن مالك رَضِيَ اللهُ عنه

« مُذْلَجٌ »^(٢) : بضم الميم . « أَسْوَدَةٌ » : جمع سَوَادٍ وهو الشخص^(٣) . « رَكْبَةٌ » : بفتح الراء والكاف أَقَلُّ من الرُّكْبِ وهو عشرة فما فوقها وهم أصحاب الإبل ، والأَرْكُوبُ أكثر من الرُّكْبِ والرُّكْبَانُ^(٤) الجماعة منهم . « أَرَاها » : بضم الهمزة أى أَظَنُّها . الأَكَمَةُ : بفتح الهمزة والكاف والميم : الرَّابِيةُ . « فَخَطَطْتُ به » بالخاء المعجمة وفي رواية بالحاء المهملة أى [أَسَكْتُ بِأَعْلَاهُ وَجَعَلْتُ^(٥)] أَسْفَلَهُ [فى الأَرْضِ^(٦)] . الرُّجُ : بضم الزاى بعدها جيم : الحَدِيدَةُ التى فى أسفل الرُّمَحِ . « خَفَضْتُ عَالِيَه » : أى أَسَكَّهُ بِيَدِهِ وَجَرَّ رَمَحَهُ لثَلَا يظهر بريقه لمن بَعُدَ منه ، لَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَتَّبِعَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَيَشْرَكَهُ فى الْجَعَالَةِ . « دَفَعْتُهَا » : بِتخفيف الفاء يقال : دَفَعَ الْفَرَسُ فى السَّيْرِ إِذَا بَالِغٌ وَدَفَعَهُ يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى . « تَقَرَّبَ بى » : التَّقَرُّبُ السَّيْرِ / دون العَدْوِ وفوق العادة^(٧) وقبل أن ترفع الفَرَسُ يَدَيْهِمَا وتضعهما مَأْ^(٨).

٤١٨ و

(١) الأقط كما فى النهاية (١ ص ٣٦) هو لبن يجفف يابس مستحجر يطبخ به .

(٢) مذلج من البقلة فلة من الدالج وهو السير ليلاً وقد سمى العرب مذلجاً وهو أبط بطن منهم ، عن الاشتقاق لابن

دريد (ص ١٩٥) .

(٣) فى القاموس المحيط : الركب ركبان الإبل اسم جمع وهم العشرة فصاعداً وقد يكون الخيل وجمع ركب أركب

وركوب والركبة محرّكة أقل والأركوب بالضم أكثر من الركب والركاب كتاب الإبل واسطتها راحلة وجمع ركاب

ركب ككتيب وركابيات وركائب والركاب من السرج كالفرس من الرجل .

(٤) يياض بقدر نحو ثلاث كلمات والتكلمة من السيرة الحلبية (طبعة القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ ٢ ص ٤٢) .

(٥) زيادة من السيرة الحلبية .

(٦) هكذا فى الأصول .

(٨) شرح ابن الأثير فى النهاية كلمة يقرب فى حديث الهجرة : « أتيت فرساً فركبتها فرغمتها تقرب بى » فقال :

تقرب الفرس يقرب تقريباً إذا عدوا دون الإسراع وله تقريبان أدنى وأعلى . ولكن المؤلف شرح التشريب بأنه نوع

من عدو الفرس قبل أن ترفع يديها ما وتضعهما شاماً . وهذا يخالف لما ورد فى دواوين الفقه فى ترتيب عدو الفرس فالتقريب

هو نفسه رفع الفرس ليديها ما ووضعها لمسماً مماً . انظر كتاب فقه اللغة للثعالى (طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م ص ١٨٧) .

وتهذيب التبريزى لكتاب الألفاظ لابن السكيت (بيروت سنة ١٨٩٥ م ص ١٨٥) فى الأول التشريب أن يرفع الفرس يديه

ويضعهما مماً وفى الثانى : إذا رفع يديه ووضعها ما فذلك التشريب . ولذا أودنا أن نحدد هذا النوع من عدو الفرس كما

جاء فى عبارة « تقرب بى » فى الحديث فهو أكثر من الخيب ودون الإجماع . والخيب هو أن تراوح الفرس بين يديها

قَالَ ابن السكيت وَأَنْ يَسْتَقِمَّ تَهَادِيهاً فَيَجْرِيها فَيَرَاوِج بَيْنَ يَدَيْها وَيَقْبِضُ رِجْلَيْها قَاله الثعالى . والإجماع أن تأخذ فى العدو

قبل أن تضطرم فى حلولها .

« أَهَوَيْتُ » يبدى : بَسَطْتُهَا لِلْأَخَذِ . « الْكِنَانَةُ » : بكسر الكاف الخريطة ^(١) المستطيلة التي يجعل فيها السهام . « الْأَزْلَامُ » : واحدها زلم بفتحتين وبفتحة فَصْمَةٌ وهو القِدَاحُ واحدٌ القِدَاحُ بكسر القاف وهو عيدان السهام قبل أن تُرَاشَ ويُرَكَّبَ فيها النَّصَالُ ، فإذا فُعلَ ذلك فهي سِهَامٌ . وكان أهل الجاهلية يَسْتَقْسِمُونَ بها مكتوبٌ عليها الأمر والنهى أى : إِفْعَلْ : لا تَفْعَلْ ، فما خَرَجَ مِنْهَا عَمِلُوا بِهِ . والاستقسام بها هو الضَّرْبُ بها لإخراج ما قَسَمَ الله لهم من أمر وغيره بِزَعِيمِهِمْ . قال الحافظ أَبُو الْعَبَّاسِ تَقِيُّ الدِّينِ الْحَرَاوِيُّ ^(٢) : « إِنْ الْقُرْعَةُ الَّتِي مَعَ الطَّرِيقَةِ ^(٣) الَّتِي فِيهَا أَب ج د مَن الْأَزْلَامِ ، وَنَقَلَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ النَّحَّاسِ . « سَاخَتْ » : بسين مهملة فألف فحاء معجمة أى غاصت . « ارْتَطَمَتْ بِهِ » : أى سَاخَتْ قَوَائِمُهَا فِي الْأَرْضِ ^(٤) . « عَثَانَ » : بضم العين المهملة والثاء المثناة المخففة شبه الدُّخَانَ ^(٥) : « أَنْ سَبَّطَ » : مرفوع ، و « أَنْ » قبله مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وتقديره : سبَّطَ . « فَلَمْ يَرَزْ أَتَى » : براء فزأى لم يُنْقِصَانِي مِمَّا مَعِيَ شَيْئًا . « أَخْفَ عَنَّا » : بفتح الهجزة ^(٦) : « قُدَيْدٌ » ^(٧) . بضم القاف وفتح الدال المهملة ثم مثناة تحتية ساكنة فдал مهملة أخرى ، موضع بين مكة والمدينة . « بِجَجَنَ » : بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون : التَّرسُ سُمِّيَ بِجَجَنًا لِأَنَّهُ يَوَارِي حَامِلَهُ أَيْ يَسْتَرُهُ .

(١) الخريطة وعاء من جلد أو نحوه يشد على ما فيه .

(٢) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله . ابن تيمية الحراني الحنبلي (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) وهو أشهر من أن يعرف به في هذه الحاشية .

(٣) لم يشر المؤلف إلى المرجع الذي نقل عنه من مؤلفات ابن تيمية وما أكثرها ، حتى يتيسر لنا مراجعة هذا الاقتباس

(٤) في القاموس المصنوع : رطمه من ياب نصر أوحله في الأمر وارطم عليه الأمر لم يقدر على الخروج منه .

(٥) في النهاية (ج ٣ ص ٦٩) : في حديث الهجرة وسراقة : وخرجت قوائم دابته ولها عثان أو دخان وجمعه عوائن على غير قياس . ومنه أن مسيلة لما أراد الإعراس بسجاح قال : عثنا لها أي بغروا البغور .

(٦) في النهاية (ج ٢ ص ٣٠٨ : ٣٠٩) . أخف عنا أي استر الخبر لمن سألنا عنا .

(٧) قديد موضع فيه ماء بالحجاز بين مكة والمدينة قاله اللطفي (ج ١ ص ١٤٤) . وفي معجم البكري (ج ٣ ص

١٠٥٤) سميت قديداً لتعدد السيول بها وفي التاج قال ابن سيده وقديد موضع وبضمهم لا يصرفه وذكر كل من ياقوت في معجم البلدان (ج ٧ ص ٢٨) وابن دريد في الاشتقاق (ص ٥١٩ و ٥٢٠) وجوها مختلفة للاشتقاقها .

الباب الخامس

فِي تَلْقَى أَهْلَ الْمَدِينَةِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَزُولِهِ بِقُبَاءَ
وَتَأْسِيسِ مَسْجِدِ قُبَاءَ

روى البخارى عن عائشة ، وابنُ سعد عن عبد الرحمن بن عوف بن ساعدة^(١) عن جماعة من الصحابة أن المسلمين بالمدينة لما سمعوا بِمَخْرَجِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وَتَوَكَّفُوا^(٢) قَدُومَهُ كانوا يخرجون إذا صَلُّوا الصُّبْحَ إلى [ظاهر^(٣)] الْحَرَّةِ ينتظرونه حتى تغلبهم الشمس على الظلال^(٤) ، ويؤذنبهم حَرُّ الظهيرة . فإذا لم يجدوا ظِلًّا ذَهَبُوا ، وذلك في أَيَّامِ حَارَّةٍ حتى كان اليوم الذى قَدِمَ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلوا البيوت فَأَتَوْهُ^(٥) رجل من اليهود على أَطْمٍ من آطامهم لِأَمْرٍ ينظر إليه ، فَبَصَّرَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ مُبَيِّضِينَ^(٦) ، يلوح^(٧) بهم السَّرابُ^(٨) ، فلم يَمْلِكِ اليهودى نَفْسَهُ فصرخ^(٩) بِأَعْلَى صَوْتِهِ : « يَا بَنَى قَبِيلَةٍ^(١٠) » ، وفى لفظٍ يا مَعْتَصِرَ الْعَرَبِ ، « هذا جَدُّكُمْ » ، وفى لفظٍ : هذا صاحبكم الذى تنتظرون ، « قد جاء » . فثار المسلمون إلى السلاح ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ وذلك يوم الاثنين لشهر ربيع الأول ، فخرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى ظِلِّ نَخْلَةٍ ومعه أبو بكر فى مثل سِنِّهِ .

(١) ولد عبد الرحمن قبل الهجرة وأبوه عوف بن ساعدة الأوسى شهد فيها قبل الفجاءة الثلاث .

(٢) تَوَكَّفُوا قَدُومَهُ استقبروه وانتظروه قاله الخفش .

(٣) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ١٠٩)

(٤) عند الخفش : الغراب جمع غراب يفتح الظاء للمجبة وكسر الراء وهو الجبل الصغير .

(٥) أول أى طلع

(٦) أى عليهم الثياب البيض التى كساها إياهم الزبير وطليحة .

(٧) فى مواهب السلاطين : يزول بهم أى يرغمهم ويظهرهم وقال ابن حجر : أى يزول بسبب عروضهم له .

(٨) السراب المرئى نصف النهار فى شدة الحر كأنه ماء قاله الزرقانى .

(٩) فى الأصول « قال » والأصوب صرخ كما فى سيرة ابن هشام .

(١٠) قبيلة أجددة الكبرى للأنصار والدة الأوس والخزرج وهى بنت كاهل بن عفرة ، عن فرج المواب (ج ١ ص ٢٥٠) .

وقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامِتًا ، فَطَقِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ مَنْ لَمْ يَرِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَصَابَتْ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بَرْدَانَهُ فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ عِنْدَ ذَلِكَ .

وفي رواية : « فَلَمَّا رَأَوْا أَبَا بَكْرٍ يَنْحَازُ لَهُ عَنِ الظِّلِّ عَرَفُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَدَلَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ عُلُوًّا ^(١) الْمَدِينَةِ بِقُبَاءَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَلَى كَثُومِ بْنِ الْهَيْثَمِ ^(٢) بِكَسْرِ الْهَاءِ وَسُكُونِ / الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ ، قِيلَ : وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكًا ، وَبِهِ جَزَمَ [مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ ^(٣)] بَيْنَ زَيْبَالَةَ ، وَقِيلَ : « إِنَّمَا نَزَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ ^(٤) » . قَالَ زَيْزَنُ ^(٥) : « وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ » وَقَالَ الْحَاكِمُ إِنَّهُ الْأَرْجَحُ ، [قَالَ] : « وَقَدْ قَالَه ابْنُ شَهَابٍ وَهُوَ أَعْرَفُ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِ » وَقَالَ الدِّمِطَاطِيُّ ^(٦) : « إِنَّهُ أَثْبَتٌ » . وَقَالَ بَعْضُهُمْ « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ عَلَى كَثُومِ بْنِ الْهَيْثَمِ وَكَانَ يَخْرُجُ لِلنَّاسِ مِنْ مَنْزِلِهِ فَيَجْلِسُ لِلنَّاسِ فِي بَيْتِ سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ لِأَنَّهُ كَانَ عَرَبِيًّا لَا أَهْلَ لَهُ

(١) فِي وَفَاءِ الْوَفَا السَّهَرْدِيُّ (ج ١ ص ١٧٥) عَلُوُّ الْمَدِينَةِ وَقِيَامُ مَعْدُودَةٍ مِنَ الْمَالِيَةِ وَكَأَنَّ حِكْمَتَهُ التَّفَاوُلُ لَهُ وَلَدِينَهُ بِالْعُلُوِّ . وَنَقَلَ ذَلِكَ الْبَهَارِيُّ بِكَرَى فِي تَارِيخِ الْخَمِيسِ (ج ١ ص ٣٣٦) .

(٢) كَتَبَ خَطًّا فِي أَسَدِ الْغَابَةِ (ج ٤ ص ٢٥١) : كَثُومُ بْنُ هَرَمٍ أَيْ هَرَمٌ بِالرَّاءِ وَوَرِدَ ذَوْنُ ضَبِطٍ كَلِمَةُ هَدَمَ فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ (طَبْعَةُ التَّجَارِيَةِ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةِ ١٩٣٧ م ج ٢ ص ١١٠) وَلَكِنْ ضَبِطَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْإِصَابَةِ (ج ٥ ص ٢١٩) فَقَالَ : « بِكَسْرِ الْهَاءِ وَسُكُونِ الدَّالِ كَمَا وَرَدَ فِي هَذَا الضَّبِطِ فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ (ج ٢ ص ٢٥٦) وَفِي جَوَامِعِ السَّيْرَةِ لِابْنِ حَزَمٍ (ص ٨٩ وَ ٩٣) . وَجَاءَ فِي الْإِسْتِثْقَاءِ لِابْنِ دُرَيْدٍ ص ٤٣٩ : وَهُمْ كَثُومُ بْنُ الْهَيْثَمِ وَهُوَ الَّذِي نَزَلَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ ثُمَّ تَحَوَّلَ بِهَذَا إِلَى بَيْتِ أَبِي أَيُّوبَ . وَالْهَدْمُ الْكَسَادُ الْخَلْقُ وَالْجَمْعُ أَهْدَامُ وَالْهَدْمُ أَيْضًا مَا يَسْقُطُ مِنْ حَائِطٍ إِذَا هَدَسَتْهُ وَالْمَصْدَرُ الْهَدْمُ وَمَا يَسْقُطُ مِنْهُ هَدْمٌ وَذَكَرَ الطَّبَرِيُّ وَابْنُ قَتَيْبَةَ أَنَّ كَثُومَ بْنَ الْهَيْثَمِ أَوَّلَ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالْمَدِينَةِ ثُمَّ مَاتَ بِهِدَهُ أَسَدُ بْنُ زُرَّارَةَ .

(٣) تَكَلَّمَ اسْمُهُ مِنْ شَرْحِ الْمَوَاهِبِ (ج ١ ص ٣٥٠) وَتَاجُ الْعُرُوسِ وَمِيزَانُ الْإِسْتِثْقَاءِ لِلنَّهْجِيِّ (ج ٣ ص ٥١٤) وَخُلَاصَةُ الْخَزَرَجِيِّ (ص ٢٨٣) وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ زَيْبَالَةَ الْخَزَرَجِيُّ الْمُنْفِيُّ رَوَى عَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ بَيْنَ أَسْمٍ وَمَالِكٍ وَابْنِ وَهْبٍ وَخُلَاقٍ وَرَوَى عَنْهُ أَبُو خَيْثَمَةَ وَالزُّبَيْرِيُّ بْنُ بَكَّارٍ وَجَاهَةُ كُلِّهِ أَبُودَاوُدَ وَقَالَ النَّسَائِيُّ مَتْرُوكٌ وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ .

(٤) هُوَ سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ النَّحَاطِ الْأَوْسِيُّ وَهُوَ عَقِبِي بِدَرِي تَقِيْبٍ كَانَ تَقِيْبًا لِبَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ قَتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ شَهِيدًا أَنْظَرَ أَسَدُ الْغَابَةِ (ج ٢ ص ٢٧٥ : ٢٧٦) .

(٥) هُوَ زَيْزَنُ بْنُ أَنَسِ السُّلَمِيِّ وَزَادَ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْإِصَابَةِ (ج ٢ ص ٢٠٦) ابْنَ عَامِرٍ وَقَالَ ابْنُ حَبَّانٍ وَابْنُ السَّكَنِ لَهُ صَحِيحَةٌ .

(٦) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ .

هنالك [وكان مَنَزَلَ العُزَاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين فمن هنالك يقال^(١)] : نزل على سعد بن خيثمة . ونزل أبو بكر على خُبَيْب بن إِسَاف^(٢) أحد بني الحارث بالسُّنَح - بسين مهملة مضمومة فنون ساكنة فحاء مهملة^(٣) . ويُقال على خارجة بن زيد [بن أبي زهير أخى بنى الحارث بن الخزرج^(٤)] .

وروى الزبير بن بَكَار^(٥) عن عبد الله بن حارثة^(٦) قال : « نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهذم ، فصاح كلثوم بغلام له فقال : يا نُجَيْح . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنْجَحْتَ^(٧) يا أبا بكر » وأقام على بن أبي طالب رضى الله عنه بمكة بعد مَخْرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً - قال بعضهم ثلاثة - حتى أدَّى للنَّاس ودائعهم التى كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وَخَلَفَهُ لِيَرْتَدَّهَا ، ثم خرج فَلَحِقَ برسول الله صلى الله عليه وسلم بِقُبَاء فنزل على كلثوم بن الهذم .

وقال عَلِيٌّ فيما رواه ابن إسحق وريزين : « كُنْتُ نَزَلْتُ بِقُبَاء^(٨) » وكانت امرأة مسلمة لا زوج لها ، فرأيت إنساناً يأتِيها من جوف الليل فَيَضْرِب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيهما شيئاً معه فتأخذها فاستترت شأنه ، فقلت لها : يا أمة الله ، مَنْ هذا الرجل الذى يَضْرِب

(١) زيادة من سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ١١٠) .

(٢) هو خبيب بن إِسَاف - وقيل إِسَاف - ابن عتبة بن عمرو بن خديج الخزرجي شهد بدرًا وما بعدها وتوفي في خلافة عمر ، وكان قد تأخر إسلامه إلى قبيل غزوة بدر وروى عنه أنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أناور رجل من قومي وقلنا إنا لنسعى أن يشهد قوتنا مشهداً لا نشهده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو أسلمتما ؟ قلنا لا . فقال إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين ، قال : فأسلمتما وشهدتما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر الإصابة (ج ٢ ص ١٠٣) وأسَدُ الغَابَةِ (ج ٢ ص ١٠٩ ، ١١٠) .

(٣) السُّنَح ضبطه البكري في نسخة (ج ٣ ص ٧٦٠) بضم أوله وثانيه وضبطه الأثيري في التاج بسكون النون وضما . وفي وفاة الوفا السهوي (ج ٢ ص ٣٢٥) : السُّنَح أُمُّ لُجَم وزيد ابني الحارث سميت الناحية به وكان بالسُّنَح منزل أبي بكر الصديق .

(٤) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ١١٠) .

(٥) هو أبو عبد الله الزبير بن بَكَار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن السَّوَام (١٧٢ - ٢٥٦ هـ) كان شاعراً أخبارياً علامة بالانتساب أورد ابن النديم في الفهرست (ص ١٦٠ : ١٦٢) ثباً سطوا بمؤلفاته مع ترجمته منها نسب قريش والموقعيات والأخبار وكتاب الأوس والخزرج وأخبار عدد كبير من الشراء . ترجم له ابن خلكان (ج ١ ص ١٨٩) .

(٦) هو عبد الله بن حارثة بن النعمان الأنصاري يند في المدينين ترجم له ابن الأثير في أسَدُ الغَابَةِ (ج ٣ ص ١٤٠) .

(٧) في النهاية (ج ٤ ص ١٢٦) : يقال نجح فلان وأنجح إذا أصاب طلبه ونجحت طلبته وأنجحت وأنجحها الله .

(٨) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ١١١) .

عليك بآبائك كُلُّ ليلة فَتَخْرُجِينَ إِلَيْهِ فَيُعْطِيكَ شَيْئًا لَا أَحَدٌ مِثْلُهَا ، وَأَنْتِ امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ لَا زَوْجَ لَكَ ؟ قَالَتْ : هَذَا سَهْلٌ بِنَ حُنَيْفٍ ، قَدْ عَرَفْتُ أُنَى امْرَأَةٍ لَا أَحَدٌ لِي ، فَإِذَا أَمْسَى عَدَا عَلَى أَوْثَانٍ قَوْمَهُ فَكَسَرَهَا ثُمَّ جَاءَنِي بِهَا . فَقَالَ : اخْطِطِي بِهَا ، فَكَانَ عَلَى يَأْتَرُ^(١) ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ سَهْلٍ بِنَ حُنَيْفٍ [حِينَ هَلَكَ عِنْدَهُ بِالْعِرَاقِ^(٢)] .

وكان لكلثوم بن الهدم مرثد ، والمرثد الموضع الذي يُبْسَطُ فِيهِ الثَّمَرُ لِيَجِفَّ ، فَخَاضَهُ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسَسَهُ وَبَنَاهُ مَسْجِدًا . وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عُرْوَةَ : « فَلَبِثْتُ فِي بَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ وَأُسِّسَ الْمَسْجِدَ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى » . وَفِي رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْهُ قَالَ : « الَّذِينَ بَنَى فِيهِمُ الْمَسْجِدَ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى » هُمْ بَنُو عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ وَكَذَا عِنْدَ ابْنِ عَائِدٍ [وَلَفْظُهُ : « وَمَكَثْتُ فِي بَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَاتَّخَذَ مَكَانَهُ مَسْجِدًا فَكَانَ يَصَلِّي فِيهِ ثُمَّ بَنَاهُ بَنُو عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ فَهُوَ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى^(٣) »] .

وروى يونس بن بكير في زيادات المغازي عن المسعودي عن الحكم بن عتيبة - بضم إلعين المهملة وفتح الفرقيّة وسكون التحتية وبالموحدة - قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم فنزل يقبّاه قال عمار بن ياسر : « ما لرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ مَكَانًا يَسْتَنْظِلُ بِهِ إِذَا اسْتَيْقِظَ وَيُصَلِّي فِيهِ » . فَجَمَعَ حِجَارَةً فَبَنَى مَسْجِدًا قَبَاهُ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ بَنَى مَسْجِدًا - رَوَى الْحَافِظُ وَالسَّيِّدُ^(٤) - يَعْنِي لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ ، وَهُوَ فِي التَّحْقِيقِ أَوَّلُ مَسْجِدٍ صَلَّى فِيهِ بِأَصْحَابِهِ جَمَاعَةً ظَاهِرًا ، وَإِنْ كَانَ قَدْ

(١) في المصباح : أثرت الحديث أثرا من باب قتل نفعه والأثر بفتحين اسم منه وحديث مأثور أي منقول . وفي التاج قال الزبيدي : في الحكم أثر الحديث عن القوم يأتروه أي من حد ضرب ويأتروه من حد نصر أنبأهم بما سبقوا فيه من الأثر وقيل حدث به عنهم في آثارهم .. وفي حديث علي في دعائه على الخوارج : ولا يبق منكم أثر أي خبر يروى الحديث . وفي قول أبي سفيان في حديث قيسر : لولا أن تأثروا على الكذب أي تروون وتكفون .

(٢) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ١١١) ونسب سهل بن حنيفهم كما ساقه ابن الأثير في أسد الغابة (ج ٢ ص ٣٦٤) وابن حزم في جوامع السيرة (ص ١٢٦) هو : سهل بن حنيف بن واهب بن السكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث ابن عمرو بن غنم أو غنم .. ابن الأوس . وحدث مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ، وحدث مع علي سفين ومات سهل بالكوفة سنة ٣٨ هـ .

(٣) إضافة من السهوي

(٤) يقصد المؤلف بالسيد : علي بن عبد الله بن أحمد بن علي بن نور الدين أبو الحسن السهوي : نزول الحرمين وصاحب كتاب وفاء الوفا ويهرف جده بالترتيب السهوي ترجم له البخاري في الفوائد الثلاث (ج ٥ ص ٢٤٥ : ٢٤٨) وقال : « ولا زالت كتيبه ترد علي بالسلام وطيب الكلام » فالسهوي توفي سنة ٩١١ هـ والسخوي توفي سنة ٩٠٢ هـ .

بُنِيَ غَيْرُهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ ، فَقَدْ رَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَقَدْ لَبِثْنَا بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَتَتَيْنِ نَعْمُرُ الْمَسَاجِدَ وَنَقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَلِذَا قِيلَ : كَانَ الْمُتَقَلِّمُونَ فِي الْهَجْرَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَنْصَارِ بِقُبَاءَ قَدْ بَنَوْا مَسْجِدًا يُصَلُّونَ فِيهِ ، يَعْنِي هَذَا الْمَسْجِدَ ، فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَوَرَدَ قُبَاءَ صَلَّى بِهِمْ فِيهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَلَمْ يُحَدِّثْ فِيهِ شَيْئًا أَيْ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ لِأَنَّ ابْنَ شَيْبَةَ^(١) - بِالْشَيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَالْمُوَحَّدَةِ الْمُشَدَّدَةِ الْمُتَوَحِّتَيْنِ - رَوَى ذَلِكَ ، ثُمَّ رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنَى مَسْجِدَ قُبَاءَ ، وَقَدَّمَ الْقِبْلَةَ إِلَى مَوْضِعِهَا الْيَوْمَ وَقَالَ / : ٤١٩ و « جَبْرِيلُ يَوْمَ فِي الْبَيْتِ^(٢) » .

وروى الطبراني عن جابر بن سُمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « لَمَّا سَأَلَ أَهْلُ قُبَاءَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبْنِيَ لَهُمْ مَسْجِدًا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لِيَقُمْ بَعْضُكُمْ فَيَرْكَبُ النَّاقَةَ ، [فَيَقَامُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَرَكِبَهَا فَحَرَّكَهَا فَلَمْ تَنْبِثْ فَرَجَعَ فَقَعَدَ فَقَامَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَرَكِبَهَا فَلَمْ تَنْبِثْ فَرَجَعَ فَقَعَدَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : « لِيَقُمْ بَعْضُكُمْ فَيَرْكَبُ النَّاقَةَ^(٣) »] ، فَقَامَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي عِزْزِ الرِّكَابِ وَثَبَتْ بِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَرْخِ زِمَامَهَا وَابْتَنُوا عَلَى مَدَارِهَا [فَلَمَّا مَأْمُورَةٌ^(٤)] . وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ رَجَالُهُ ثِقَاتٌ عَنْ الشُّمُوسِ بِفَتْحِ الشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ - بَنَتْ النِّعْمَانُ^(٥) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : « نَظَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ

(١) فِي الْأَصُولِ : ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَلَا يَتَّفِقُ هَذَا مَعَ الْقَبْضِ التَّالِي الَّذِي أوردَهُ الْمُؤَلِّفُ . فَلَمَقْصُودُ عَمْرِ بْنِ شَيْبَةَ أَبُو زَيْدِ الْبَغْدَادِيِّ الْحَافِظُ الْأَخْبَارِيُّ الثَّقِيُّ كَانَ شَيْبَةَ فِي الْأَخْبَارِ وَالْأَنْسَابِ وَالْقُرَاطَاتِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْفَتْحِ أوردَ بِنَ الْتَّحْقِيقِ فِي الْفَهْرَسْتِ ثَلَاثًا بِمُؤَلَّفَاتِهِ مِنْهَا مَا يَتَّحِقُ بِالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَالْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَأَشْهُارَ الْكُوفَةِ وَغَيْرَهَا (انظر ص ١٦٣ : ١٦٤) تَوَقَّعَ ٨٢٦٢ بِسَمْعٍ مِنْ رَأْيِ مَنْ تَمَيَّنَ سَنَةَ انْظُرَ تَرْجُمَتُهُ فِي ابْنِ خُلْكَانٍ (ج ١ ص ٣٧٨ : ٣٧٩) وَمَعْمُورُ الْأَدَبَاءِ لِيَالِقُوتِ (ج ١٦ ص ٩٠ ، ٩٢) وَغَايَةُ النَّهَايَةِ لِابْنِ الْجَزَرِيِّ (ج ١ ص ٥٩٢ : ٥٩٣) وَهَيْئَةُ الرِّجَالِ السُّيُوطِيِّ (ص ٣٦١) وَغُلُوبَاتُ الْهَبْ (ج ٢ ص ١٤٦) .

(٢) زَادَ السَّجُودِيُّ (ج ١ ص ١٧٩) الَّذِي لَقِيَ عَنْهُ الْمُؤَلِّفُ : وَقَدْ اِغْطَطَفَ فِي الْمَرَادِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « مَسْجِدَ أُسَسِ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ » (التَّوْبَةِ آيَةُ ١٠٨) فَالْمَجْهُورُ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ مَسْجِدَ قُبَاءَ وَلَا يَتَّحِقُ قَوْلُ الْمَصْطَفَى : « مَسْجِدُ الْمَدِينَةِ هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا » إِذْ كُلُّ شَيْءٍ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَى .

(٣) زِيَادَةُ مِنْ وَفَاءِ الْوَفَا (ج ١ ص ١٧٩) الَّذِي نَقَلَ عَنْهُ الْمُؤَلِّفُ .

(٤) كَانَتْ مِنَ الْمُبَاهِجَاتِ وَنَسَبَهَا ابْنُ الْأَثِيرِ فِي أَسَدِ الْغَابَةِ (ج ٥ ص ٤٨٨) : هُوَ : الشُّمُوسُ بَنَتْ النِّعْمَانُ ابْنُ حَامِرٍ بِنِ جَمِيعِ الْأَنْصَارِيَّةِ ، وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ إِنَّهَا خَفَرَتْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُسِسَ مَسْجِدُ قُبَاءَ .

قَدِمَ وَنَزَلَ وَأَسَّسَ هَذَا الْمَسْجِدَ : مَسْجِدَ قُبَاءَ ، فَرَأَيْتُهُ يَأْخُذُ الْحَجَرَ أَوِ الصَّخْرَةَ حَتَّى يَهْصِرَهُ^(١) الْحَجَرُ ، وَأَنْظُرَ إِلَى بَيَاضِ التُّرَابِ عَلَى بَطْنِهِ أَوْ سُرَّتِهِ فَيَأْتِي الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَيَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَأْسَ أَنْتَ وَأُمِّي اعْطِنِي أَكْفَنَكَ ، فَيَقُولُ : « لَا خُذْ مِثْلَهُ » ، حَتَّى أَسَّسَهُ ، وَيَقُولُ : « إِنْ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ يُؤَمُّ الْكَعْبَةَ » قَالَتْ : فَكَانَ يُقَالُ : إِنَّهُ أَقْوَمُ مَسْجِدٍ قَبْلَهُ^(٢) .

قال السيد^(٣) : « قَدْ صَحَّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْتَقْبِلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ حَتَّى نُسِخَ ذَلِكَ وَجَاءَ نَقِبَاؤُهُمْ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ فَأَخْبِرَهُمْ وَكَانَتْ وَجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ ، فَيُحْتَمَلُ أَنْ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يُؤَمُّ [بِهِ] الْبَيْتَ لِيُسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى جِهَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لِتَقَابُلِ الْجِهَتَيْنِ وَيُعْلِمَهُ بِمَا يَوُولُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ مِنْ اسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ . أَوْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مُخَيَّرًا فِي ابْتِدَاءِ الْهَجْرَةِ فِي التَّوَجُّهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ ، كَمَا قَالَ الرَّبِيعُ ، فَأَمَّ بِهِ جَبْرِيلُ الْبَيْتَ لِذَلِكَ ، وَاخْتِيَارُهُ الصَّلَاةَ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ أَوَّلًا لِاسْتِمَالَةِ الْيَهُودِ أَوْ أَنْ اسْتَقْبَالَ الْكَعْبَةَ كَانَ مَشْرُوعًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ ثُمَّ نُسِخَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ نُسِخَ بِالْكَعْبَةِ كَمَا قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَنَّ الْقِبْلَةَ نُسِخَتْ مَرَّتَيْنِ ، أَوْ أَنَّ ذَلِكَ تَبْأُسِيسَ آخَرَ غَيْرِ التَّأْسِيسِ الْأَوَّلِ . وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ رَوَايَةِ ابْنِ شُبَّةَ .

وَرَوَى ابْنُ شُبَّةَ أَيْضًا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ كَانَ يَقُولُ وَهُمْ يَبْنُونَ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ : « أَفْلَحَ مَنْ يَعْمُرُ الْمَسَاجِدَ » ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمَسَاجِدُ » ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : « وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَائِمًا وَقَاعِدًا » ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَقَاعِدًا » ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : « وَلَا يَبِيبُ اللَّيْلَ عَنْهُ رَاقِدًا » ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رَاقِدًا » .

تنبيهات

الأول : اِخْتِلَافُ فِي قَدْرِ إِقَامَتِهِ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، فَنَحْنُ الصَّحِيحُ عَنْ

(١) هَصَرَ فَلَانَ الثَّغِيْرَ هَصَرًا مِنْ بَابِ ضَرْبٍ وَهَصَرَ الْفَصْلَ صَطَفَهُ وَأَمَالَهُ فِي الْتِهَابَةِ (ج ٤ ص ٢٤٩) .
أَصْلُ الْهَصْرِ أَنْ تَأْخُذَ بِرَأْسِ الْعُرْدِ فَتَضْبِعَ إِلَيْكَ وَتَصَطِفَهُ . فِي حَدِيثِ بِنَاءِ مَسْجِدِ قُبَاءَ : فَهَصَرَ الْحَجَرَ إِلَى بَطْنِهِ أَضَافَهُ وَأَمَالَهُ
(٢) اسْتَشْكَلَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي أَسَدِ الْغَابَةِ مَا جَاءَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ : قَوْلُهُ يُؤَمُّ الْكَعْبَةَ فِيهِ نَظَرٌ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَامَ الْمَدِينَةَ وَأَسَّسَ مَسْجِدَ قُبَاءَ لَمْ تَكُنِ الْقِبْلَةُ إِلَى الْكَعْبَةِ [بِمَا كَانَتْ إِلَى الْبَيْتِ الْمَقْدِسِ] ثُمَّ حَوَّلَتْ إِلَى الْكَعْبَةِ بَعْدَ ذَلِكَ (أَسَدُ الْغَابَةِ ج ٥ ص ٤٨٨ : ٤٨٩) وَنَجَّدَ قِيَامَ أَوْرَدَهُ الْمُؤَلِّفُ نَقْلًا عَنِ السَّيْهَرِيِّ رَدًّا عَلَى ذَلِكَ .

(٣) النَّصُّ التَّالِي فِي وَفَاةِ الْوُفَا (ج ١ ص ١٨٠ : ١٨١)

[ابن شهاب عن عُرْوَةَ بن الزبير ^(١)] أنه صلى الله عليه وسلم لَبِثَ فِيهِمْ بضع عشرة ليلة . وفيه عن أَنَسٍ أنه أَقام فِيهِمْ أربع عشرة ليلة ، وقدمه في الإشارة ، وقيل خمس ليال قاله ابن إسحق . وقال ابن جَبَّان : أَقام بها الثلاثاء والأربعاء والخميس ، يعني وخرج يوم الجمعة فلم يَخْتَدَّ بيوم الخروج . وقال ابن عباس وابن عُقْبَةَ : ثلاث ليال ، فكأنهما لم يَخْتَدَّا بيومَي الخروج / ولا اللخول . وعن قَوْمٍ من بنى عمرو بن عوف أنه أَقام فِيهِمْ اثنين ٤١٩ ظه وعشرين يوماً .

الثاني : الْمُعْتَمَدُ أنه صلى الله عليه وسلم دخل قُبَاءَ يوم الاثنين كما في الصحيح ، قال ابن عُقْبَةَ لَهلال ربيع الأول أى أول يوم منه ، وفي رواية جرير بن حازم عن ابن إسحق قَدِمَهَا لِلْيَلَتَيْنِ خَلَّتَا من شهر ربيع الأول ، وفي رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحق : قَدِمَهَا لِلْيَلَتَيْنِ عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، وعند أبي سعيد في شرف المصطفى من طريق أبي بكر بن حزم قال : قَدِمَ المدينة ثلاث عشرة من ربيع الأول ، وهذا يُجْمَعُ بينه وبين الذى قبله بالحمل على الاختلاف في رؤية الهلال ^(٢) .

الثالث : قال الحافظ : الْأَكْثَرُ أنه قَدِمَ نهاراً ، ووقع في رواية مسلم ليلاً وَيُجْمَعُ بآن القدوم كان آخر الليل فدخل نهاراً .

الرابع : في بيان غريب ما سبق : «تَوَكَّفُوا» : انتظروا ^(٣) . «الظهيرة» : بفتح الظاء المعجمة وكسر الهاء بعدها مشناة تحية وهى نصف النهار . «أَوْفَى» : طلع إلى مكان عال ^(٤) .

(١) يوافق بالأصول بقدر نحو ست كلمات والتكلمة من صحيح البخارى كتاب المناقب باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة (ج ٥ ص ١٥٩) وإسناد هذا الحديث المطول (من ص ١٥٤ إلى ص ١٦٠) : حدثنا يحيى ابن بكير عن الهيثم بن جميل قال ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها قالت : ولكن قرب نهاية الحديث بنحو صيغة ونصف اقتصر في الإسناد على ابن شهاب وعروة .

(٢) في مواهب القسطلاني وشرح الزرقاني طائفة من الروايات عن هذه التجهيزات الزمنية انظر شرح المواهب ج ١ ص ٣٥١ ر ٣٥٢

(٣) في الصحاح التوقف التوقع يقال ما زلت أتوقفه حتى لقيه ، وهو من وكف المطر يوكت وكفا إذا وقع قاله في النهاية (ج ٤ ص ٢٢٨) ، وتوقف التبر إذا انتظر وكفه أى وقعه .

(٤) في النهاية (ج ٤ ص ٢٢٣) في حديث كعب بن مالك : أوفى على سطح أى أشرف واطلع .

«الأطْمُ» : بضم أوله وثانيه وهو الحِصْنُ ، ويقال بناء من حجارة كالقَصْرِ . «مُبَيِّضِينَ» : أى عليهم الثياب البيض التى كساهم إياها الزبير أو طلحة . «يزول بهم» : أى يرفعهم ويظهرهم . «السَّرابُ» : الذى يكون نصف النهار لاطئاً بالأرض كأنه ماء . «قَبِيلَةٌ» : بفتح القاف وسكون التحتية : الجَلَّةُ الكبرى للأَنْصار . «جَدُّكُمْ» : بفتح الجيم أى حَظُّكُمْ وصاحب دوائكم الذى تَتَوَقَّعُونَهُ . «طَفِقَ» : بكسر الفاء وفتحها أى جَعَلَ . «انحاز» ، بالحاء المهملة والزاي : مال «جَوْفُ اللَّيْلِ» : وَسَطُهُ . «اشْتَرَبْتُ شَأْنَهُ» : أى شَكَّكْتُ فِيهِ . «يَأْثُرُ ذَلِكَ» : أى يُحَدِّثُ بِهِ . «يَهْصِرُهُ» : يُمِيلُهُ . «يَوْمٌ» : بفتح المنة التحتية بعدها همزة مضمومة أى يقصد . «الغَرْزُ» : بغين معجمة مفتوحة فراء ساكنة فزاي : أى ركاب الإبل .

الباب السادس

في قدومه صَلَّى الله عليه وسلم باطِنَ المدينة وما آتَتْ إِلَيْهِ
وَفَرَحَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

روى الإمام أحمد والشيخان عن أبي بكر ، وسعيد بن منصور عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهم والبيهقي عن موسى بن عُمَيْيَةَ^(١) ، وابن إسحق عن عويم بن ساعدة ، ويحيى ابن الحسن عن عُمارة بن خزيمة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ ، وَكَانُوا أَخْوَالَهُ لِأَنَّ أُمَّ عَبْدِ الْمَطْلَبِ مِنْهُمْ كَمَا تَقَدَّمَ فِي بَابِ النَّسَبِ . فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِينَ السِّيُوفَ ، فَقَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَصْحَابِهِ : « ازْكَبُوا آمَنِينَ مُطَاعِينَ » . وَكَانَ الْيَوْمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَاحِلَتِهِ وَحَشِدَ الْمُسْلِمُونَ وَلَبَّسُوا السِّلَاحَ ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاقَتَهُ الْقَصْوَاءَ^(٢) وَالنَّاسَ مَعَهُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَخَلْفَهُ مِنْهُمْ الْمَاشِيُّ وَالرَّاكِبُ فَاجْتَمَعَتْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْرَجْتَ مَلَأًا لَنَا أَمْ تَرِيدُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِنَا ؟ قَالَ : « إِنِّي أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقَرْيَ فَخَلُّوْهَا - أَى نَاقَتِهِ - فَلِذَا مَأْمُورَةٌ » ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَبَاءَ يَرِيدُ الْمَدِينَةَ فَتَلَقَّاهُ النَّاسُ فَخَرَجُوا فِي الطَّرِيقِ وَعَلَى الْأَبَاغَرِ

(١) هو موسى بن عقبه بن أبي عياش مولى بني الزبير بن العوام من تلاميذ الزهري عن ألفوا في المغازي هو ومعمّر ابن راشد ومحمد بن إسحق والثلاثة من الموالى توجد قطعة من مغازيه نشرت في برلين سنة ١٩٠٤ م وعن كتابه مقتبسات في روايات الواقفي وطبقات ابن سعد والإصابة لابن حجر وتاريخ الخميس للديار بكري ، وكان يوثقه مالك بن أنس إذ قال عليكم بمغازي موسى بن عقبه فإنه ثقة ويستخرج من المقتبسات الكثيرة التي أوردها ابن سعد أن كتاب موسى كان يحتوي على قوائم بأسماء المهاجرين إلى الحبشة والمشاركين في بيعة العقبة وغزوة بدر وروى أن مالكا قال عن هذه القوائم : من كان في كتاب موسى قد شهد بدرًا فقد شهدها ومن لم يكن فيه فلم يشهدا . ترجم له الذهبي ترجمة موجزة وقال إنه توفي سنة ١٤١ هـ . انظر خلاصة الخزرجي ص ٣٣٦ والإعلان بالتوبيخ للمغازي الأولى ومؤلفوها لموروقس ترجمة نصار (القاهرة سنة ١٩٤٩ م ص ٦٩ : ٧٣) .

(٢) في الأصول القصوى : وفي النهاية (ج ٣ ص ٢٦٠) أنه خطب على ناقته القصواء والقصواء هي الناقة التي قطع طرف أذنّها . هذا وقد تمددت أسماء هذه النوق في الأحاديث فيها المضياء والخذاء والصلباء شرح معانيها ابن الأثير وجاء في السيرة الحلبية (ج ٢ ص ٥٧) أن تلك النوق لم يكن بها شيء من ذلك بل إنها القاب لثلاثة واحدة .

٤٢٠ و وصار الخدم والصبيان يقولون : «الله أكبر، جاعنا رسول الله جاء محمد» قال أنس / فيما رواه البيهقي : «إني لأسعى مع الغلمان إذ قالوا محمد جاء فننطلق فلا نرى شيئاً ، حتى أقبل وصاحبه أبو بكر فكنا في بعض جُدر المدينة وبعثنا رجلاً من أهل البادية ليؤذن بهما الأنصار فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار ، حتى انتهوا إليهما فقالت الأنصار : انطلقا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ . فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم [وصاحبه^(١)] بين أظهرهم ، فخرج أهل المدينة حتى أن العواتق لَقَوْنَ البيوت يَتَرَاَعَيْنَهُ يَقْلَنَ : أيهم هو ؟ أيهم هو ؟ فما رأينا منظرأً شبيهاً به يومئذ .

روى الإمام أحمد وأبو داود عن أنس رضى الله عنه أنه قال : «لما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لَعِبَتْ الحبشة بحراها فرحاً بقدومه» . وروى البيهقي ورزين عن عائشة رضى الله عنها قالت : «لما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يَقْلَنَ :

طَلَعَ الْبَلَدُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا اللَّهُ دَاعِ

زاد رزين :

«أَيُّهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمُطَاعِ

وروى البخارى عن البراء رضى الله عنه أنه قال : «مَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرَحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» . وروى ابن ماجه عن أنس رضى الله عنه أنه قال : «لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ» . وروى ابن أبي خيثمة رضى الله عنه قال : «شَهِدْتُ يَوْمَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَلَمْ أَرِ يَوْمًا أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَا أَضْوَأَ» .

فلم يَمَرَّ رسولُ الله ﷺ عليه وسلم بدار من دور الأنصار إلا قالوا : «هَلِّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى الْعِزِّ وَالْمَنْعَةِ وَالثَّرَةِ» . فيقول لم خيراً ويدعو أو يقول : «إِنِّهَا مَأْمُورَةٌ خَلُّوا سَبِيلَهَا» ، فَمَرَّ بِنَبِيِّ سَالِمٍ^[١] أَقَامَ إِلَيْهِ^[٢] عَتَبَانَ^[٣] - بكسر العين المهملة - ابن مالك ، وَنَوَقَلَ^[٤] بن عبد الله بن

(١) يابض بالأصول والتكلمة من البداية والنهاية لابن كثير (ج ٣ ص ١٩٧) .

مالك بن العجلان ، وهو آخِذٌ بِزِمَامِ راحلته ، فقال : « يا رسول الله أنزلنا فينا فإن فينا العَدَدَ والعشيرة والحَلَقَةَ ، ونحن أصحابُ [القضاء^(١)] والحداثق [والدُّرك^(٢)] ، يا رسول الله قد كان الرجل من العرب يدخل هذه البُحْرَةَ^(٣) خائفاً فيلجأ إلينا فنقول له : قَوْلُ^(٤) حيث شئت . فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَبَسَّمُ ويقول : « خَلُّوا سَبِيلَهَا فإنها مأمورة » ، فقام إليه عُبَادَةُ بن الصامت ، وعباس بن [عُبَادَةَ بن^(٥)] نَضْلَةَ بن مالك ابن^(٦) [العجلان ، فجعلوا يقولان : « يا رسول الله أنزلنا فينا » ، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : « بَارَكَ اللهُ عَلَيْكُمْ إِنَّهَا مأمورة » .

فلما أتى مسجد بنى سالم وهو المسجد الذى فى الوادى : وادى رانواناه^(٧) ، أدركه الجمعة هناك فَصَلَّاهَا فيه وكانت أول جُمُعَةٍ صَلَّاهَا فى المدينة ، وقيل إنه كان يُصَلِّي الجُمُعَةَ بمسجد قُبَاء ، وعند ابن سعد أنه صلى معه الجمعة مائة نفس^(٨) ، ثم أخذ رسول الله صلى

(١) يياض بالأصل والتكلمة من وفاء الوفا السهموى (ج ١ ص ١٨٣) . وفى الصحاح الدرك يسكن ويحرك التبعة * ، يقال : ما خلقتك من درك فعل خلاصه . وفى النهاية (ج ٢ ص ٢٠) : الدرك الهلق والوصول إلى الشيء أدركه إدراكا ودركا ، ومنه الحديث : لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته .

(٢) جاء فى الفائق فزغشرى (ج ١ ص ٦٤) : أن النبي صلى الله عليه وسلم شكاه عبد الله بن أبي بن سلول إلى سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله أخص عنه فوالى أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق ، ولقد اصطاح أهل البحرة حل أن يصبروه بالصباية فلما رد الله ذلك بالحق الذى أصطاك شرق بذلك أراد بالبحرة المدينة ، يقولون هذه بحرتنا أى أرضنا وبلدنا ، وأصل البحرة فجوة فى الأرض تنجر أى تنسبط وتلتص . هذا وقد رويت أيضا مصفرة : بحيرة .

(٣) فى الاشتقاق لابن حديد (ص ٤٥٦) : التوقلة التثقل فى الشيء والدخول فيه .

(٤) تكملة نسبه من أسد الغابة (ج ٣ ص ١٠٨ : ١٠٩) والإصابة (ج ٤ ص ٣٠) ، هذا وقد كان لعباس ابن عبادة الفضل فى شد البند لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة .

(٥) فى معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٢١٤) أن النبي صلى الله عليه وسلم أدركه الجمعة فى بنى سالم وأنه صلاها فى المسجد الذى فى بنى الوادى : وادى رانواناه ، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة . ثم قال ياقوت : وهذا لم أجده فى غير كتاب ابن إسحق الذى لحمة ابن هشام . . ورانواناه بوزن عاشوراء . هذا ولم يرد ذكر لرانواناه فى معجم البكرى ولا فى الفصل الثامن الذى عقده السهموى فى الجزء الثانى من كتابه وفاء الوفا (ص ٢٣٩ : ٢٩٤) عن بقاع المدينة وأراضها حيث رتب أسماءها ترتيباً أبجدياً ولكنه فى ص ٢١٤ من الجزء الثانى أورد ما قاله المطرى بأن رانواناه ينتهى إلى مسجد الجمعة بنى سالم ثم يصب فى بطحان أما ابن زبالة فروى أنه صلى الله عليه وسلم صلى الجمعة ببنى سالم فى ذى صلب لارانواناه وحاول السهموى التوفيق بين الرايين بقوله : هما وإن افرقا فى بعض الأماكن فينتهيان إلى مجتمع واحد ، ولذا قال ابن شبة : ثم يفترون بلى صلب فيسمى برانواناه لخروها عليه .

(٦) لفظ ابن سعد : « فلما أتى مسجد بنى سالم جمع من كان معه من المسلمين وهم مائة (الطبقات ج ١ ص ٢٢٢)

الله عليه وسلم عن يمين الطريق [حتى جاء بنو الحُبَلِ^(١)] ، فأراد أن ينزل على عبد الله ابن أبي [بن سلول^(٢)] ، وهو يومئذ سيد الخزرج في أنفُسها فقال : اذْهَبْ إِلَى الَّذِينَ دَعَوْتَ فَأَنْزِلْ عَلَيْهِمْ . فقال سعد بن عُبَادَةَ : « لَا تَجِدْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي نَفْسِكَ مِنْ قَوْلِهِ ، ٤٢٠ ظ. فَقَدْ / قَدِمْتَ عَلَيْنَا وَالْخَزْرَجُ تَرِيدُ أَنْ تُمَلِّكَهُ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرْقَ بِذَلِكَ وَلَكِنْ هَذِهِ دَارِي ، ذَكَرَهُ [مُوسَى بْنِ] عُقْبَةَ وَرَزِينَ . قَالَ السَّيِّدُ^(٣) : « الَّذِي فِي الصَّحِيحِ ذَكَرُ سَعْدِ [بْنِ عُبَادَةَ] لِلذَّكَاءِ فِي قِصَّةِ عِيَادَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ مِنْ مَرَضٍ بَعْدَ سُكُونِهِ بِالْمَدِينَةِ » . قُلْتُ وَيُحْتَمَلُ أَنْ سَعْدًا قَالَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَمَرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنَى سَاعِدَةَ فَقَالَ لَهُ : سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَالْمُنْثَرِ بْنِ عَمْرٍو ، وَأَبُو دُجَانَةَ : « هَلُمَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى الْعِزِّ وَالثَّرْوَةِ وَالْقُوَّةِ وَالْجَدِّ » ، وَسَعْدُ يَقُولُ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ مِنْ قَوِي رَجُلٌ أَكْثَرَ عِلْقًا^(٤) وَلَا فَمٌ بَقِيْرٌ مَنِيٍّ مَعَ الثَّرْوَةِ وَالْجَدِّ وَالْعَدَدِ فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَبَا ثَابِتٍ خَلِّ سَبِيلَهَا فَلَهَا مَأْمُورَةٌ » . فَمَضَى وَلِهَ تَرْضَاهُ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، وَيَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ ، فَقَالُوا : « يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَجَاوِزْنَا ، فَلَمَّا أَهْلُ عَدَدٍ وَثَرَةٌ وَحَلَقَةٌ » ، قَالَ : « بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ ، خَلُّوا سَبِيلَهَا فَلَهَا مَأْمُورَةٌ » ، وَاعْتَرَضَهُ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ ، وَفِرْوَةَ بْنُ عَمْرٍو ، مِنْ بَنِي بِيضَاءَ ، فَقَالَا : « يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلُمَّ إِلَى الْمَوَاسَةِ وَالْعِزِّ وَالثَّرْوَةِ وَالْعَدَدِ وَالْقُوَّةِ ، نَحْنُ أَهْلُ الدَّرَكِ يَا رَسُولَ اللَّهِ » ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَلَهَا مَأْمُورَةٌ » . وَفِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ قَالَ : « إِنِّي أَنْزَلَ عَلَى أَخْوَالِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَكْرِمَهُمْ بِذَلِكَ » . ثُمَّ مَرَّ بِبَنِي عَبْدِ بْنِ النَّجَّارِ وَهُمْ أَخْوَالُهُ فَقَامَ أَبُو سَلَيْطٍ

(١) زيادة من السهمودي (ج ١ ص ١٨٢) . وقد شرح المؤلف كلمة حبل فيما بعد عند إيزاده لبيان غريب ما سبق حل اختيار أنها وردت في صلب تصنيفه غير أن عدم ورودها يدل على أنه نسي إثباتها فيما ينقله عن غيره ويستبعد أن يكون النسخ لجميع النسخ الخطية من كتاب المؤلف قد أغفلوها . هذا والحبل لقب لقب به سالم بن قُثم لعظم بطنه ومن ولده بنو الحبل بطن من الأنصار والنسبة إلى حبل حبل وبضتين حبل وبضمة فتحة كجها أنظر القاموس المحيط .

(٢) في السهمودي (ج ١ ص ١٨٣) : فلما رآه ابن أبي وهو عند مزاحم أبي الأظم محبياً قال : « اذهب إلى الذين دعوك .. » وقد شرح المؤلف فيما بعد : مزاحم ومحبي بما يدل على أنه أغفل إثبات هذا النص في صلب كتابه سهواً . وفي معجم بقاء المدينة في وفاء الوفا (ج ٣ ص ٣٧٣) قال السهمودي : مزاحم بالضم وكسر الحاء المعجمة أظم كان بين ظهرانى بيوت بني الحبل ، وكان بزقاق ابن حنين سوق يقوم في الجاهلية وأول الإسلام يقال لمزاحم مزاحم كما سبق في سوق المدينة .

(٣) السيد أبي السهمودي والعبارة التي نقلها المؤلف عنه في ج ١ ص ١٨٤ من وفاء الوفا

(٤) الفلق بالفتح النحلة وبالكسر المرجون بما فيه الشارح ويجمع على فلاق قاله في النهاية (ج ٣ ص ٧٧) .

وصيرمة بن أبي آتس في قومهما فقالا : « يا رسول الله نحن أخوتك هلم إلى المدد والممنة والقوة مع القرابة ، لا تجاوزنا إلى غيرنا يا رسول الله ، ليس . أخذ من قومنا أولى بك منا لقربتنا بك » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلوا سبيلها فإنها مأمرة » .

فسار حتى إذا أتت دار بنى عدي بن النجار قامت إليه وجوههم ، ثم مضى حتى انتهى إلى باب المسجد ، فبركت [راحلته] على باب مسجده صلى الله عليه وسلم وذكر الأقفشيري في روضته عن ابن نافع صاحب مالك في أثناء كلام نقله عن مالك أن « ناقته صلى الله عليه وسلم لما أتت موضع مسجده بركت وهو عليها وأخذته الذي كان يأخذها عند الوحي » . ثم وثبت فسارت غير بعيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأضيء لها زمامها لا يثنيتها به ، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة ، فبركت فيه ثم تلحطت ^(١) وأرزمت ^(٢) ، ووضعت جرائنها . وجعل جبار بن صخر ينخسها رجاء أن تقوم فتنزل في دار بنى سلمة فلم تفعل ^(٣) . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال : « هنا المنزل إن شاء الله » (وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المُنزِلين ^(٤)) وجاء أبو أيوب فكلّمه في النزول عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أي بيوت أهلنا أقرب ؟ » فقال أبو أيوب : « أنا يانبي الله ، هذه دارى وهذا بابى وقد حططنا رَحْلَكَ فيها . قال : « فأنزلني فهِبْ لَنَا مَقِيلًا » ، فذهب فهِبًا لهما مَقِيلًا . وروى الطبراني عن عبد الله بن الزبير أنه كان هناك عريش يَرشُونَهُ وَيَعْمُرُونَهُ ويبتعدون فيه حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فأوى إلى الظِّل فنزل فيه فأتاه أبو أيوب فقال : يا رسول الله منزلى أقرب

(١) في ط وت وم تخلّفت وفي ص تجلّلت وهي تصحيف لتحلّلت بجاهين مهمّلتين وقد وردت في رواية ابن إسحق ويرى السبيل (٢ ص ١٢) أنها مقولوة من تحلّلت فيكون منها لصقت بموضعها وأقامت وذلك على المعنى الذى فسره به ابن تيمية . والمخللة منها الحركة في كل من الصحاح والقاموس لحمل القوم أى أنصهم أو أزالهم عن مواضعهم وهذا يتناقض مع استقرار الناقة في مكانها ولذلك فالأولى لإثبات كلمة خلج بتقديم اللام على الهاء لاتفاق منها مع سكون الناقة جاء في الفائق (٢ ص ٢٥٦) تلحط عند تحلّل أى إذا ثبت في مكانه ولم يرحل وفي النهاية (٤ ص ٥٢) تلحطت أى أقامت ولزمت مكانها .

(٢) أرزمت أى صوتت والإرزام الصوت لا يفتح به الفم قاله في النهاية والجراذ باطن عرق البعير .

(٣) قال السهري . (٢ ص ١٨٦) : لما وجد أبو أيوب جبار بن حضر أعا بن سلمة ينخس الناقة برجله قال أبو أيوب : يا جبار : عن منزلى تنخسها ؟ أما والله يمشى بالحق لولا الإسلام لضربت بك بالسيف .

(٤) سورة المؤمنين آية ٢٩

المنازل إليه فانتقل رَحْلَكَ . قال : « نعم » ، فذهب بِرَحْلِهِ إلى المنزل ، فَأَتَاهُ آخر فقال : يا رسول الله أَنْزِلْ عَلَيَّ ، فقال صلى الله عليه وسلم : « الْمَرْءُ مع رَحْلِهِ حيث كان » ؛ فَمَضَتْ مَثَلًا فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزل أبي أيوب وقرأ قراره واطمأننت داره ونزل معه زيد بن حارثة .

وذكر ابن سعد أن أسعد بن زُرَّارة أخذ بزمام النَّاقَةِ فكانت عنده . وعند عائذ وسعيد ابن منصور أن ناقته استناخت به أولاً فجاءه ناس فقالوا : المنزل يا رسول الله ، فقال : « دَقُّوْهَا » ، فانيعشت حتى استناخت عند موضع المنبر من المسجد ثم تلحلت فنزل عنها فَأَتَاهُ أَبُو أيوب فقال : منزلي أقرب المنازل فاذن لي أن أنقل رَحْلَكَ . قال : « نعم » ، فنقل رَحْلَهُ وَأَنَاخَ النَّاقَةَ في منزله .

وروى الحاكم وأبو سَعيد النيسابوري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل على أبي أيوب خرج جوارٍ من بني النَّجَّارِ يَضْرِبُ بالدُفوفِ وَيَقْلُنَ :

نحن جوارٍ من بني النَّجَّارِ يا حَبْلًا محمدٌ من جـار

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتُحِبُّنِي ؟ » قُلْنَ : نعم يا رسول الله . فقال : « وَأَنَا وَاللَّهِ أَجِبُكُمْ » ، قالها ثلاثاً . وذكر ابن إسحق في الْمُبْتَدَأِ وابن هِشَامِ في التَّيْجَانِ أن بيت أبي أيوب الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مَقْلِمَةُ المدينة بناه تُبَّعُ الْأَوَّلُ واسمه تُبَّان - بضم المُنَّةاء الفوقية وتخفيف المَوْحِدة - أسعد^(١) ، وكان معه أربعمائة حَبْرٍ ، فتعاقدوا على ألا يخرجوا منها . فسألم تُبَّعُ عن سير ذلك ، فقالوا : إنا نجد في كُتُبِنَا أن نَبِيَّاً اسمه محمد هذه دار هجرته ، فنحن نُقِيمُ لعلنا نلقاه . فَأَرَادَ تُبَّعُ الإِقَامَةَ معهم ، ثم بنى لكل واحد من أولئك داراً واشترى له جارية وزوجها منه وأعطاه مالاً جزيلاً وكتب كتاباً فيه إسلامه ومنه :

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدَ أَنَّهُ رَسُولُ مِّنَ اللَّهِ بِسَارَى النَّسَمِ

(١) في ط : تيان بن أسد وفي القاموس أسد تيان وقد ذكر السهيلي (ج ١ ص ٢٣) أن تيان أسد إسمان سجلا اسما واحداً وأن تيان من التبانة وهي الذكاء والفتنة وفي الصليح تين يتين (من باب فرج) تبناً بالتحريك صارفتنا فهو تين . ومنه تبن بالتشديد وفي اللسان (ج ١ ص ١٢٥) التبانة هي الفتنة والمراد التسق والإغماض في الجدل وأداء ذلك إلى التكلم بما ليس بحق .

فلو مُدَّ عُثْرِي إِلَى عُثْرِهِ لَكُنْتُ وزيراً له وابنَ عَمِّهِ
[وَجَاهَدْتُ بالسيف أعداءه وَفَرَجْتُ عَنْ صَدْرِهِ كُلَّ هَمٍّ^(١)]

وَحَتَمَهُ بِالذَّهَبِ وَدَفَعَهُ إِلَى كَبِيرِهِمْ وَسَأَلَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ أَدْرَكَهُ وَإِلَّا فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَوْ وَلَدَ وَلَدِهِ ، وَبَنَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَاراً يَنْزِلُهَا إِذَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَتَدَاوَلَ الدَّارَ الْمَلَكُ إِلَى أَنْ صَارَتْ لِأَبِي أَيُّوبَ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ ذَلِكَ الْعَالِمِ ، وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ نَصَرُوهُ [كُلُّهُمْ] مِنْ أَوْلَادِ أُولَئِكَ الْعُلَمَاءِ . وَيُقَالُ إِنَّ الْكِتَابَ الَّذِي فِيهِ الشُّعْرُ كَانَ عِنْدَ أَبِي أَيُّوبَ حَتَّى دَفَعَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ غَرِيبٌ^(٢) .
فَمَا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا فِي بَيْتِهِ .

وروى الترمذى وَصَحَّحَهُ ، وَيَحْيَى بْنُ الْحَسَنِ الْعُلَوِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ : « لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَمَلَ النَّاسُ [إِلَيْهِ] فَجِئْتُ لَأَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَلِمْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ يَتَكَلَّمُ بِهِ أَنْ قَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطِيعُوا الْعُلَمَاءَ [وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ^(٣)] ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ [بِسَلَامٍ^(٤)] » . وَرَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي نَزَلَ فِي السُّفْلِ وَأَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ فِي الْعُلُوِّ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، يَا أَبَا أَنْتَ وَأُمِّي ، إِنْ

(١) زيادة من السجلى (ج ١ ص ٢٤) وزاد في المعارف لابن تقيية (ص ٢٨) بيتاً رابعاً : وَأَنْزَمَ طَاعَةَ كُلِّ مَنْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ حَرْبٍ أَوْ سَلَمٍ .

(٢) الحديث القريب هو ما انفرد به راو عن صحيح حديثه كَانَ يَنْفَرِدُ رَجُلٌ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الزُّهْرِيِّ وَشَبَّهِهُ وَيَقْسِمُ إِلَى غَرِيبٍ مَثْنًا وَإِسْنَادًا وَإِلَى غَرِيبٍ إِسْنَادًا لَا مَثْنًا وَلَا يَوْجِدُ غَرِيبٍ مَثْنًا لَا إِسْنَادًا وَلَمَّا انْفَرَجَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَرَجَّعَ إِلَى إِسْنَادِهِ دُونَ مَتْنِهِ وَقَدْ ذَكَرَ السَّجَلِيُّ (ج ١ ص ٢٤) إِيمَانَ تَبَعٍ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَدْ رَوَى عَنْهُ : لَا تَسْبُو قَبِيحًا فَإِنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا وَبَلِغُظَ : لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ ، عَنْهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَرَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ وَهْبِ بْنِ مَنِبْهٍ قَالَ : نَبِيُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ سَبِّ أَسَدٍ وَهُوَ تَبَعٌ . غَيْرَ أَنَّ عَبْدَ الرَّزَّاقِ رَوَى حَدِيثًا آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْقُوعًا : لَا أَدْرِي أَتَبَعٌ لِمَنْ أَمْ لَا . وَهَذَا فِي نَظَرِ السَّجَلِيِّ (ج ١ ص ١٣٤) مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهُ قَبْلَ أَنْ يَمْلَأَ بِحَالِهِ . وَفِي الْمَعَارِفِ لِابْنِ تَقِيَّةٍ أَنَّ أَسَدَ أَبِي كَرْبٍ الْحَمِيرِيِّ آمَنَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَبْشُرَ بِسِجْمَاتِهِ سِتَّةً وَأَضَافَ (ص ٢٨) أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ كَسَا الْبَيْتَ الْأَنْطَاعَ وَالْبَرْدَ .

(٣) زيادة من صحيح الترمذى عن يحيى عن عبد الله بن سلام نقلًا عن السهمي (ج ١ ص ١٨٨) .

لَا تُكْرَهُ وَأَعْظَمُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَكَ وَتَكُونَ تَحْتِي ، فَاظْهَرِ أَنْتَ فَكُنْ فِي الْعِلْوِ ، وَتَنْزِلِ نَحْنُ
فَنَكُونُ فِي السُّفْلِ ، فَقَالَ : «إِنْ أَرَفَقَ بِنَا وَبِمَنْ يَشَانَا أَنْ نَكُونَ فِي سِفْلِ الْبَيْتِ» . قَالَ :
فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفْلِهِ وَكُنَّا فَوْقَهُ فِي الْمَسْكَنِ ، فَلَقَدْ انْكَسَرَ حُبٌّ^(١)
لَنَا فِيهِ مَاءٌ ، فَقَمَمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا مَالْنَا لِخَافَ غَيْرَهَا نُنَشَفُ بِهَا الْمَاءَ [تَخَوُّفًا]
أَنْ^(٢)] يَقْطُرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِيهِ . وَذَكَرَ أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ لَمْ
يَزَلْ يَتَضَرَّعُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعِلْوِ وَأَبُو
أَيُّوبَ فِي السُّفْلِ .

قَالَ أَبُو أَيُّوبَ : وَكُنَّا نَصْنَعُ لَهُ الْعِشَاءَ ثُمَّ نَبْعَثُ بِهِ إِلَيْهِ ، فَلِذَا رَدَّ عَلَيْنَا فَضَلَّهُ تَيَمَّمْتُ
أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِهِ فَأَكَلْنَا مِنْهُ نَبْتَعِي بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ ، حَتَّى بَعَثْنَا إِلَيْهِ لَيْلَةً بَعَثَانِهِ
وَقَدْ جَعَلْنَا لَهُ فِيهِ بَصَلًا أَوْ ثُومًا ، فَرَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ أَرِ لَيْدِيهِ فِيهِ أَثَرًا .
قَالَ : فَجِئْتُهُ فَرِعًا فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي رَدَدْتَ عِشَاءَكَ ، وَلَمْ أَرِ فِيهِ مَوْضِعَ
يَدِكَ وَكُنْتُ إِذَا رَدَدْتَهُ عَلَيْنَا تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِكَ نَبْتَعِي بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ . قَالَ :
«إِنِّي وَجَدْتُ فِيهِ رِيحَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَأَنَا رَجُلٌ أَتْلُجِي ، فَأَمَّا أَنْتُمْ فَكُلُوهُ» . قَالَ : فَأَكَلْنَاهُ
وَلَمْ نَضَعْ لَهُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بَعْدُ .

وَفِي كِتَابِ أَخْبَارِ الْمَدِينَةِ لِيُحْيَى بْنِ الْحَسَنِ^(٣) ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :

(١) الْحُبُّ بِفَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْيَاءِ الْمُوَحَّدَةِ الْمُشَدَّدَةِ هُوَ مَا يَجْعَلُ فِيهِ الْمَاءُ كَالْجُرَّةِ وَالْخَايَةِ وَالْجَمْعُ أَحْبَابٌ وَصَحْبَةٌ وَحِبَابٌ
وَالْحُبُّ قَارِئِي مَرْبُوبٍ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ أَسْلَمَهُ غَنَبٌ فَحَرَّبَ فَقَبِلُوا الْخَاءَ حَاءً وَحَفَفُوا التَّوْنَ فَقَالُوا حَبٌّ : انْظُرِ الْمَرْبُوبَ لِلْجَوَالِقِ
(ص ١٢٠) .

(٢) يَبَاحُ بِالْأَصُولِ وَالتَّكْلَفِ مِنْ أَبِي هِشَامٍ (ج ٢ ص ١١٦) .

(٣) فِي السُّمُودِيِّ (ج ١ ص ١٨٩) وَفِي كِتَابِ يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ بِنِ ثَابِتٍ ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَنَا مَنْ هُوَ يَحْيَى هَذَا ؟ وَفِي مِيزَانِ
الْإِعْتِدَالِ (ج ١ ص ٣٩٨) : يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَلُوفِيُّ أَتَمَّهُ النَّهْجِيُّ بِوَضْعِ الْأَحَادِيثِ وَقَالَ إِنَّهُ رَافِضِيٌّ مُتَأَخِّرٌ ، وَذَكَرَ السَّخَاوِيُّ فِي
الْإِعْلَانِ بِالتَّرِيخِ (ص ١٢٩ : ١٣٠) لَيْثًا بِأَسْمَاءِ مُؤَرِّخِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ مِنْهُمْ الشَّرِيفُ يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَلُوفِيُّ ،
وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُهُ الْمُؤَلِّفُ وَلَمْ يَذْكُرْ لَنَا السَّخَاوِيُّ شَيْئًا عَنْهُ سِوَى اسْمِهِ كَأَنَّ الْمُسْتَشْرِقَ فَرَانِزَ رُوزَنْتَالٍ فِي تَرْجُمَتِهِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ
لِكِتَابِ الْإِعْلَانِ الَّذِي ذِيلَ بِهِ كِتَابُهُ عِلْمُ التَّارِيخِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ (لَيْدَنُ سَنَةِ ١٩٥٢ م ص ٣٩٨) لَمْ يَذْكُرْ شَيْئًا عَنْهُ فِي تَمْلِيْقَاتِهِ
كَأَنَّ صَنِيعَ غَيْرِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقِفْ عَلَى خَبَرٍ لَهُ . وَمَا يَذْكُرُ فِي هَذَا الصِّدْقِ أَنَّ السَّخَاوِيَّ (الْمُتَوَفَّى سَنَةِ ٩٠٢ هـ) لَمَّا
ذَكَرَ السُّمُودِيَّ (الْمُتَوَفَّى سَنَةِ ٩١١ هـ) بَيْنَ مُؤَرِّخِي الْمَدِينَةِ قَالَ عَنْ كِتَابِهِ فِي الْإِعْلَانِ بِالتَّرِيخِ (ص ١٣٠) إِنَّهُ مَفْتَقَرٌ
إِلَى تَحْرِيرٍ وَنَظَرٌ . فَإِذَا صَحَّ أَنَّ كِتَابَ وَفَاءِ الْوَفَا الَّذِي صَنَفَ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الْتَّاسِعِ الْمَجْرِي فِي حَاجَةِ إِلَى التَّحْرِيزِ وَالنَّظَرِ
فَهُوَ بَلَا شَكٍّ أَكْثَرُ أَحْيَايَا لِنَا فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ الْمَجْرِي .

« لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب لم يدخل منزل رسول الله هدية وأوليه هدية دخلت بها عليه قصعة مشرودة خبز بر وسمن وكينا ، فأضعها بين يديه ، فقلت : يا رسول الله أرسلت بهذه القصعة أمي » ، فقال : « بآرك الله فيها » ، ودعا أصحابه فأكلوا فلم أرم^(١) الباب حتى جاءته قصعة سعد بن عبادة ، على رأس غلام مغطاة فأقف على باب أبي أيوب فأكشف غطاءها لأنظر فرايت ثريداً عليه عراقي^(٢) ، فتدخل بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال زيد : « فلقد كنّا في بني مالك بن النجار ما من ليلة إلا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم منا الثلاثة والأربعة يحملون الطعام ويتناوبون بينهم حتى تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم [من بيت أبي أيوب. وكان مقامه فيه سبعة أشهر]^(٣) وما كانت تخطئه جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة كل ليلة . وفيه أنه قيل لأبي أيوب : « أي الطعام كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكم عرفتم ذلك لمقامه عندهم ؟ » قالت : ما رأيته أمر بطعام فصنع له بعينه ، ولا رأيته أتى بطعام فعابته . وقد أخبرني أبو أيوب أنه تعشّى عنده ليلة من قصعة أرسل بها سعد بن عبادة طقيشل^(٤) . فقال أبو أيوب : فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهل تلك القدر ما لم أره ينهل غيرها ، فكنا نعملها له ، وكنا نعمل له الهريس وكانت تُعجبه . وكان يحضر جشاه خمسة إلى ستة عشر كما يكون الطعام في الكثرة والقلة » .

قال ابن إسحق : « وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة وأعطاهما بغيرين وخمسمائة درهم فقلما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودة [بنت زمة] زوجته وحمل زيد بن حارثة امرأته أم أيمن مع ابنتها أسامة بن زيد ، وخرج عبد الله بن أبي بكر يعيال أبي بكر فيهم عائشة وأختها أسماء زوج الزبير

(١) في النهاية (ج ٢ ص ١١٨ : ١١٩) قال للمبارس : لا ترم من منزلك غدا أنت وبنوك ، أي لا ترمج ، يقال رام يرم إذا برح وزال من مكانه وأكثر ما يستعمل في النقي .
(٢) المرق بالسكون المظم إذا أخذ منه مظم اللحم وجسمه عراق وهو جمع نادر يقال عرقت المظم وأعرقته وعرقت إذا أغلقت عنه اللحم بأستانك - قاله في النهاية (ج ٣ ص ٧٧) .
(٣) زيادة من طبقات ابن سعد (ج ١ ص ٢٢٤) والباية والنهاية (ج ٣ ص ٢٠٢) .
(٤) في القاموس المحيط الطقيشل بوزن صيد نوع من المرق .

وَأُمُّ رُومَانَ [أُمُّ عَائِشَةَ ^(١)] فَلَمَّا قَلَمُوا الْمَدِينَةَ أَنْزَلُوا فِي بَيْتِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ . وَذَكَرَ رُزَيْنُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَرْسَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَرْثَقَةَ مَعَ زَيْدٍ لِيَأْتِيَهُ بِأَهْلِهِ .

قال ابن إسحق : « وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبقَ بمكة منهم أحد إلا مفتون أو مجوس . ولما اطمأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم داره ، وأظهر الله بها دينه ، وسره بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته ، قال أبو قيس صيرته بن أبي أنس ، أخو بني عدي بن النجار ، يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام وما خصهم به من نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم :

يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مُوَاتِيًا ^(٢)	ثَوَى ^(٣) فِي قُرَيْشٍ يَضَعُ عَشْرَةَ حِجَّةٍ
فَلَمْ يَرِ مَنْ يُلَوِّى وَلَمْ يَرِ دَاعِيَا	وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَائِمِ نَفْسَهُ
فَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَبِيبَةٍ رَاضِيَا	قَلَمَا أَتَانَا أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ
وَسَكَانَ لَنَا ^(٤) عَوْنًا مِنَ اللَّهِ بَادِيَا	وَأَلْفَى صَدِيقًا وَاطْمَأَنَّ بِهِ النَّوَى ^(٥)
وَمَا قَالَ مُوسَى إِذْ أَجَابَ الْمُنَادِيَا	يَقْصُ لَنَا مَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ
قَرِيبًا وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ نَائِيَا ^(٦)	فَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا
وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَعَى وَالتَّاسِيَا ^(٧)	بَذَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ جِلٍّ ^(٨) مَالِنَا
وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَفْضَلُ هَادِيَا ^(٩)	وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ

و ٤٢٢

(١) في الأصول : « فهم عائشة وأختها أسماء وأمُّ رومان » وقد أخطأ المؤلف هنا لأن أم رومان لم تكن أما لأبي بكر فاسمها كانت أختاً لعائشة لأبيها وكانت أم رومان . وأم أسماء تسمى قيلة . وقيل قيلة بنت عبد العزيز بن أسد ابن جابر بن مالك فهي قرشية من بني عامر بن لؤى . وقد توفيت أم رومان في سنة ست من الهجرة وأورد ابن حجر في الإصابة (ج ٨ ص ٢٣٢ : ٢٣٤) بياناً مطولاً عن الخلاف في تاريخ وفاتها ، انظر ترجمة أسماء في أسد الغابة (ج ٥ ص ٢٩٣ : ٢٩٤) وفي الإصابة (ج ٧ ص ٧ : ٨) .

(٢) ثوى أقام .

(٣) مواتياً موافقاً .

(٤) الثوى اليد .

(٥) في رواية : وكان له عوناً ، والضمير في له يعود على الصديق .

(٦) في رواية : ياغي .

(٧) في رواية : من جل مالنا بالجم .

(٨) الوعى الحرب والتأسي التعاون وتقرأ أيضاً بتشديد السين .

(٩) عجز البيت في البداية لابن كثير (ج ٣ ص ٢٠٤) ٤ وأن كتاب الله أصبح هاديًا . هذا واختلاف الروايات

من ابن كثير والشرح من المشي (ج ١ ص ١٣٧ : ١٣٨) .

نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمْ
أَقُولُ إِذَا أَدْعُوكَ^(١) فِي كُلِّ بَيْعَةٍ^(٢)
أَقُولُ إِذَا جَاوَزْتَ أَرْضاً مَخُوفَةً
فَطَأَ مُعْرَضاً^(٣) إِنَّ الْحُتُوفَ كَثِيرَةٌ
فَوَاللَّهِ مَا يَنْبَرِي الْفَتَى كَيْفَ يَتَّقِي
وَلَا تَحْفِلُ النَّخْلُ الْمَيْمَةُ^(٤) رَبِّهَا
جَمِيعاً وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُصَافِيَا
تَبَارَكْتَ قَدْ أَكْثَرْتَ لَاسِيكَ دَاعِيَا
حَنَانِكَ^(٥) لَانْظُرْ عَلَى الْأَعَادِيَا
وإِنَّكَ لَا تُبْقِي لِنَفْسِكَ بَاقِيَا
إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهُ وَاقِيَا
إِذَا أَصْبَحْتَ رَبِّاً^(٦) وَأَصْبَحَ ثَاوِيَا^(٧)

تنبيه : في بيان غريب ما سبق

« حَشَدَ » المسلمون بالبدال المهملة : اجتمعوا^(٨) . « مُتَقَلِّدِينَ » السيوف : جعلوا
سيورَها في أعناقهم إلى جنبهم الأيسر ، عادة العرب الآن لا كفعل الأتراك وغيرهم
بجعلها في أوساطهم . « مَلَالاً » : سَامَةً . « الدَّارَ » : هنا القبيلة وكل قبيلة اجتمعت
في مَحَلَّة سُمِّيَتْ تلك المَحَلَّة داراً ، وَسُئِلَ ساكنوها بها مجازاً ، أَى أَهْلُ الدَّارِ .
« تَأْكُلُ الْقَرْىَ » : يَأْتِي بَيَانُهُ في بيان أسماء المدينة . « كَيْمَنَا » : بفتح الكاف

(١) في رواية : إذا صليت .

(٢) بيمعة أى مسجد قاله الخنفي .

(٣) حناتيك أى تحننا بيمعنا ونحن والحنن الرأفة والرحمة .

(٤) فطأ معرَضاً أى سمعنا عند الخنفي ولكن شرحها في الصباح أدق : يقال طأ معرَضاً حيث ثلثت أى ضع وجلبك
حيث ثلثت ولا تثنى شيئاً وقد أمكنك ذلك . وأورد الأزهري هذا الشرح في التاج وما ذكره من الشواهد يثبت على بن زيد
سره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرَضاً والسدير . هذا وقد ذكر ابن هشام (ج ٢ ص ١٣٤ و ١٣٥) أن البيت الذي
يبدأ صدره فطأ معرَضاً ، والبيت الذي يليه هــ لأفنون التناهي صريم بن مشر . وقد أوردها له ابن قتيبة مع بيتين آخرين
في الشعر والشعراء (طبعة ليدن بتحقيق دى غوى سنة ١٩٠٤ م ص ٢٤٩) غير أن الأزهري في التاج ذكر أن ابن دريد
أنشد لبيت البيت الذي أوله فطأ معرَضاً .

(٥) النخل الميمية كما يقول الخنفي هي الماطشة من ، الميمية وهو العلقش وأكثر ما يقال في اللبن في الصباح الميمية
شهوة اللبن وقد عام الرجل يميم ويعام عيمه فهو عجان وامرأة عيمي وعند ابن السكيت الميم إفراط الشهوة إلى اللبن كالفرم إلى
الحلم .

(٦) قال الخنفي : ربا : معناه سروية من الماء (بالسين) وهو غطأ والصواب مروية من الماء . ولذلك بهذه المناسبة
أن طبعة المستشرق برونله لشرح السيرة كُتِبَتْ (القاهرة سنة ١٩١١ م) مليئة بالأخطاء والتصحيحات وحيداً لو أعيد طبعه
حققاً .

(٧) في رواية ثاوياً من النوى والنوى عند الخنفي المهلاك ولم ترد بهذا المعنى في المعجمات قالنوى البند .

(٨) حشد يستعمل لازماً ومتعدياً فحشد القوم حشوداً من باب ضرب اجتمعوا وحشد القوم حشداً من باب نصر

جميعهم .

وكسر^(١) الميم بعدها نون مُشَدَّدة ، أَيْ اسْتَقَرَّتْ . «زُهَاء»^(٢) : بضم الزاى وبالمَدِّ أَيْ قَدَّرَ .
«الْعَوَاتِقُ» : جمع عاتق وهى الشابة أول ما تُدْرِك ، وقيل هى التى لم تَبْنِ^(٣) من والدتها ولم
تُزَوَّج وقد أَدْرَكَتْ وَشَبَّتْ «الولائد» : جَمْعٌ وليدة وهى الأنثى ، والوليد الطفل جَمْعُهُ
وَلِدَان . «الثَّيْنِيَّاتُ» : جَمْعُ ثَيْنِيَّةٍ وَثَيْنِيَّةُ الْوَدَاعِ بفتح الواو . قال السَّجْدُ اللُّغَوِيُّ^(٤) : «هى
ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة ، وقيل من يريد الشام [واختُلِفَ فى تسميتها
بذلك فقيل لأنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة ، وقيل لأن النبی صلى الله
عليه وسلم ودَّع بعض من خَلَفَهُ بالمدينة فى آخر خَرَجاته ، وقيل فى بعض سراياه المبعوثه
عنه ، وقيل الْوَدَاع اسم واد بمكة ، والصحيح أنه اسم جاهل قديم سُمِّيَ به لتوديع
الْمَسَافِرِينَ^(٥) ،] هكذا قال أَهْلُ السَّيَرِ [والتاريخ^(٦)] وأصحاب المسالك إنها من جهة مكة ،
وأهل المدينة [اليوم] يظنونها من جهة الشام ، وكأنهم اعتمدوا قول ابن قَيِّمَ الجوزية
فى هَدْيِهِ ، [فإنه قال^(٧)] : «من جهة الشام ثِنْيَاتُ الْوَدَاعِ ولا يطؤها القادم من مكة
[البنة^(٨)] » . ووجه الجمع أن كلتا الثَّيْنِيَّتَيْنِ تُسَمَّى بثنية الدواع . [انتهى كلام ،
المجد^(٩)] .

قُلْتُ : وقال ياقوت^(١٠) فى الْمُشْتَرِكِ : «ثنية الدواع مشهورة قُرب المدينة وَسُمِّيتَ بذلك
لأن الناس كانوا يودعون المسافرين إلى مكة عندها»^(١١) . فاقتضى كلامه أنه يطؤها قاصداً

(١) : فُتِّحَ الميم أيضا فى القاموس المحيط : كن له كنصر وسمع كوناً استخفى .

(٢) : زُهَاءُى المدوزان فراب يقال م زهأ ألف أى قدر ألف ويقال كم زهأ كم ؟ أى كم قدرهم . قاله فى الصباح .

(٣) : من بان بين بيتاً وبينتة والبن للقراق والوصل وهو من الأضداد ، قاله فى الصباح .

(٤) : هو محمد بن يعقوب بن همد بن إبراهيم . المجد الفيروزآبادى الشيرازى القوى صاحب القاموس المحيط وغيره من المؤلفات والصانيف ولد سنة ٧٢٩ هـ وتوفى سنة ٨١٧ هـ . انظر السخاوى فى الضوء اللامع (ج ١٠ ص ٧٩ : ٨٦ رقم ٢٧٤) وللفيروزآبادى عن المدينة النبوية كتاب أسماء : «الغمام المطاية فى معالم طابة» . ذكره السخاوى فى ثبت مؤلفاته فى ترجمته له (ص ٨٢) ، وذكره السخاوى مرة أخرى عند ذكره لمن كتبوا فى تاريخ المدينة وذلك فى كتابه الإعلان بالتاريخ لمن ذم التاريخ : ص ١٤٥ .

(٥) : زيادة من وفاء الوفا للمبهودى (ج ٢ ص ٢٧٧) الذى نقل عبارة المجد ونقلها من يده مؤلف هذا الكتاب .

(٦) : لياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ صاحب معجم البلدان ومعجم الأدباء كتاب اسمه المشترك وضماً وإلفترق

صفاً تناول فيه البلاد التى تتشابه فى أسمائها ولكن تختلف فى مواقعها طبعه وستفلك فى جوتنين سنة ١٨٤٦ م .

(٧) : أورد ياقوت فعوى هذه العبارة فى معجم البلدان (ج ٣ ص ٢٥) : إذ قال : ثنية الدواع مشرفة على المدينة

يطؤها من يريد مكة ، ثم أورد يمد ذلك أقوالاً مختلفة فى سبب تسميتها .

مكة ، وَتَبَعَهُ عَلَى ذَلِكَ فِي التَّقْرِيبِ وَبَقِيَهُمَا إِلَيْهِ الْقَاضِي ، وَأَيَّدَ السَّيِّدُ كَلَامَ صَاحِبِ الْهَدْيِ
فَقَالَ : الرِّوَايَاتُ مِثْلَظَاهِرَةٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الثَّنِيَّةَ هِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِذَلِكَ ، الْيَوْمَ : شَايئُ الْمَدِينَةِ بَيْنَ
مَسْجِدِ الرَّايَةِ الَّذِي عَلَى ذُبَابٍ^(١) وَمَشْهَدِ النَّفْسِ الزُّكِّيَّةِ ، يَمُرُّ فِيهَا الْمَارُّ بَيْنَ صَدِيقَيْنِ^(٢)
مُرتَفِعَيْنِ قُرْبَ سَلْعٍ^(٣) ، وَمَنْ تَأَمَّلَ كَلَامَ ابْنِ شُبَّةٍ فِي الْمَنَازِلِ [وغيرها]^(٤) لَمْ يَرْتَبِّ فِي ذَلِكَ ،
وَيُوضِّحُهُ مَا رَوَاهُ ابْنُ اسْحَقَ فِي غُرُوزِ الْغَابَةِ^(٥) قُلْتُ : وَسَيَأْتِي سِيَاقُهُ فِيهَا .

ثُمَّ قَالَ السَّيِّدُ^(٦) : « وَكَوْنُهَا شَائِئُ الْمَدِينَةِ لَا يَمْنَعُ كَوْنَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَنْشُدَتْ عِنْدَ الْهَجْرَةِ
لَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكِبَ نَاقَتَهُ وَأَرْخَى لَهَا زِمَامَهَا وَقَالَ : « دَعُوهَا فَلَهَا مَأْمُورَةٌ » ،
وَمَرَّ بِدُورِ الْأَنْصَارِ كَمَا سَبَقَ حَتَّى مَرَّ بِبَنِي سَاعِدَةَ ، وَدَارَهُمْ شَائِئُ الْمَدِينَةِ قُرْبَ ثُنْيَةِ الْوَدَاعِ ،
فَلَمْ يَدْخُلْ بَاطِنَ الْمَدِينَةِ إِلَّا مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ [حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ بِهَا^(٧)] . وَقَدْ عَرَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَجُوعِهِ مِنْ بَدْرٍ إِلَى ثُنْيَةِ الْوَدَاعِ ، كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ عُقْبَةَ : [أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَلَكَ حِينَ خَرَجَ إِلَى بَدْرٍ حَتَّى ثُقُبَ^(٨) بَنِي دِينَارٍ ، وَرَجَعَ حِينَ رَجَعَ مِنْ ثُنْيَةِ
الْوَدَاعِ^(٩)] . قُلْتُ : فَتَحَصَّلَ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّ ثُنْيَةَ الْوَدَاعِ لَيْسَتْ مِنْ جِهَةِ مَكَّةَ وَإِنَّمَا هِيَ

(١) فِي مَعْجَمِ بَقَاعِ الْمَدِينَةِ (ج ٢ ص ٣٠٨) مِنْ وَفَاءِ الْوفا : ذُبَابٌ كَفَرَابٍ وَكِتَابُ لُفْتَانٍ . قَالَ الْبُكْرِيُّ ذُبَابُ ذُبَابٍ
بِحَبَابَةِ الْمَدِينَةِ وَسَبْقَ فِي الْمَسَاجِدِ بَيَانُ أَنَّهُ الْجَبَلُ الَّذِي عَلَيْهِ مَسْجِدُ الرَّايَةِ ، وَتَقَدَّمَ فِي الْمُنْتَقَى مَا يَقْتَضِي أَنَّ اسْمَهُ ذُوبَابٌ أَيْضًا .
(٢) فِي التَّاجِ : الصَّدُّ الْفَتْحُ وَبِالضَّمِّ الْجَبَلُ وَالسَّيْنُ لَفْظٌ فِيهِ . قَالَ أَبُو عَمْرٍو : يُقَالُ لِكُلِّ جَبَلٍ صَدٌّ وَصَدٌّ - يَفْتَحُ الصَّادُ
وَضَمُّهَا - وَصَدٌّ وَصَدٌّ - يَفْتَحُ السَّيْنُ وَضَمُّهَا - وَالصَّدُّ وَالصَّدُّ نَاحِيَةُ الْوَادِي وَالشَّيْبُ وَهِيَ صَدَانٌ وَالْجَمْعُ أَصْدَادٌ وَصُدُودٌ ،
وَصَدًا - يَفْتَحُ الصَّادُ وَتَشْدِيدُ الدَّالِ - الْجَبَلُ نَاحِيَتُهُ فِي مَشْجَعِهِ .

(٣) فِي مَعْجَمِ الْبُكْرِيِّ (ج ٣ ص ٧٤٧) سَلْعٌ يَفْتَحُ أَوَّلُهُ وَإِسْكَانٌ ثَانِيٌّ بَعْدَهُ عَيْنٌ مِهْمَلَةٌ جَبَلٌ مُتَّصِلٌ بِالْمَدِينَةِ . وَفِي الْأَخْفَافِ
(ج ١٥ ص ١٣٨) أَنْشَدَتْ حَيَاةً جَارِيَةً يُزِيدُ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ شَدِيدَ الْكَلْفِ بِهَا وَنَشَأَتْ بِسَلْعٍ : لِمَرْكُ إِنِّي لِأَحِبُّهُ
سَلْعًا لِرُؤْيَاهَا وَمَنْ يَجْنُوبُ سَلْعَ . ثُمَّ تَنَفَّسَ الصَّمَدَاءُ فَقَالَ هَا : لَمْ تَنْفَسِينَ وَأَنَّهُ لَوْ أَرَدْتُمْ لِنَقْلَتُهُ إِلَيْكَ حَجْرًا حَجْرًا فَقَالَتْ :
وَمَا أَصْنَعُ بِهِ إِنَّمَا أَرَدْتُ مَا كُنِيهِ . هَذِهِ الرِّوَايَةُ نَسَبًا السُّهَوْدِيُّ (ج ٢ ص ٣٢٤) إِلَى الْأَصْمَعِيِّ .

(٤) زِيَادَةُ مِنَ السُّهَوْدِيِّ (ج ٢ ص ٢٧٦) .
(٥) فِي ابْنِ هِشَامٍ (ج ٣ ص ٢٢٢) : فِي غُرُوزِ ذِي قَرْدٍ كَانَ سَلْمَةُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْأَكْوَعِ الْأَسْلَمِيُّ أَوَّلَ مَنْ نَزَلَ
بِالْمَشْرِكَينِ غَدَاً يُرِيدُ الْغَابَةَ مَتَوَشِّعًا قَوْمَهُ وَنَبْلَهُ . . . حَتَّى إِذَا عَلَا ثُنْيَةَ الْوَدَاعِ نَظَرَ إِلَى بَعْضِ حَيَوتِهِمْ فَأَنْشَرَفَ فِي نَاحِيَةِ حَلِجٍ
ثُمَّ صَرَخَ : وَاصْبَاحَاهُ ثُمَّ خَرَجَ يَشْفِي فِي آثَارِ الْقَوْمِ .

(٦) لَفْظُ السُّهَوْدِيِّ (ج ٢ ص ٢٧٦) : وَلَوْلَ ذَلِكَ كَانَ فِي قُلُوبِهِ مِنْ غُرُوزِ تَبَوُّكَ قُلْتُ وَذَلِكَ لِأَنَّ ثُنْيَةَ الْوَدَاعِ
لَيْسَتْ مِنْ جِهَةِ طَرِيقِ مَكَّةَ عَلَى أَنَّ قَوْلِي أَنَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُ مِنْ كَوْنِهِ عِنْدَ الْهَجْرَةِ قَدَمٌ مِنْ قِبَالِهِ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكِبَ
نَاقَتَهُ .

(٧) زِيَادَةُ مِنَ السُّهَوْدِيِّ .

(٨) فِي مَعْجَمِ الْبِلَادَانِ لِأَيُّوْبَ (ج ٧ ص ٣٨٢) : مُتَقَبٌّ (بِدَلَا مِنْ ثَقَبٍ) اسْمُ الطَّرِيقِ الَّتِي بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ .

(٩) زِيَادَةُ مِنَ السُّهَوْدِيِّ (ج ٢ ص ٢٧٦) .

شافئ المدينة ، خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جِهَتِهَا فِي دُخُولِهِ بِاطْنِ الْمَدِينَةِ ، وَلَا حُجَّةَ لِمَنْ قَالَ إِنَّهَا مِنْ جِهَةِ مَكَّةَ إِلَّا مَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِ الْوَلَدِ : « طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ » . وَقَدْ عَلِمْتَ مَا فِيهِ .

وروى البخاري عن السائب بن يزيد قال : « أَذْكَرُ أَنِّي خَرَجْتُ مَعَ الصَّبِيَّانِ نَتَلَقَّى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ مُقَدِّمَهُ مِنْ تَبُوكَ » . قال / الحافظ في فتح الباري : « أَنْكَرُ الدَّائِدِي هَذَا ، وَتَبَعَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ وَقَالَ : ثَنِيَّةُ الْوَدَاعِ مِنْ جِهَةِ مَكَّةَ لَا مِنْ جِهَةِ تَبُوكَ بَلْ هِيَ فِي مُقَابِلِهَا كَالْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ ثَنِيَّةٌ أُخْرَى فِي تِلْكَ الْجِهَةِ » . قال ابن حجر : « وَلَا يَمْنَعُ كَوْنُهَا مِنْ جِهَةِ مَكَّةَ ^(١) أَنْ يَكُونَ الْخُرُوجُ إِلَى الشَّامِ مِنْ جِهَتِهَا . وَهَذَا أَوْضَحُ كَمَا فِي دُخُولِ مَكَّةَ مِنْ ثَنِيَّةٍ وَالْخُرُوجِ مِنْهَا مِنْ أُخْرَى ، وَيَنْتَهِي عَنْ كِلَيْهِمَا إِلَى طَرِيقِ وَاحِدَةٍ » . قُلْتُ : وَقَدْ رَاجَعْتُ الْهَذْلِيَّ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَرَأَيْتُهُ ذَكَرَ أَنَّ ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ شَافئُ الْمَدِينَةِ كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ صَاحِبُ الْقَامُوسِ وَالسَّيِّدُ لَا كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ وَلَمْ يَذْكُرْ فِي الْهَذْلِيِّ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمَجَرَّةِ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ ^(٢) .

(١) في الأصول : الحجاز . وذكر الحجاز لا يفيد في تحقيق موقع ثنيات الوداع بالمدينة لأن المدينة تمتد من الحجاز ولذلك أكرنا إثبات عبارة السهوي .

(٢) حاول كثير من كتاب السير تحقيق موقع ثنيات الوداع التي وردت في كتب الحديث والسيرة النبوية وكثر النقاش حولها ابتداء من عهد القاضي عياض المتوفى سنة ٥٤٤ هـ ومن أبرز من اشترك فيه ابن القيم وابن حجر ثم استأنف البحث فيه السهوي المتوفى سنة ٩١١ في كتابه وفاء الوفا والقسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣ هـ في المواهب اللدنية ومؤلف هذا الكتاب المتوفى سنة ٩٤٢ هـ والديار بكري المتوفى سنة ٩٨٢ هـ وعمل بن إبراهيم الحلبي صاحب السيرة الحلبية المتوفى سنة ١٠٤٤ هـ وأبشیر أحمد بن عبد الباقي الزرقاني المتوفى سنة ١١٢٢ هـ . وذلك في شرحه لمواهب القسطلاني وتفاوتت كتابات هؤلاء في عرضها وإيرادها الروايات المختلفة الخاصة بثنيات الوداع وتقدها والموضوع يتصل بما يسمى حديثاً بالجغرافية التاريخية وأقدر من كتب فيه هو من أتيح له فرصة الإقامة في المدينة والتجوال في ربوعها ويقاعها مثل السهوي . وقد أورد المؤلف جانباً مما كتبه في هذا الصدد غير أن أولي تلخيص له نجده فيما كتبه الديار بكري في تاريخ الخميس (ج ١ ص ٣٤٢) حيث قال : في خلاصة الوفا للسهوي : ثنية الوداع شام المدينة خلف سوقها القديمة بين مسجد الراية ومشهد النفس الزكية قرب سلع . وقيل عياض هي موضع بالمدينة بطريق مكة . وفي المواهب أنشأ هذا الشعر عند قدومه . روى البيهقي في دلائل النبوة وأبو الحسن ابن مقرئ في كتاب الثمائل له عن ابن عائشة وذكره الحب الطبري في الرياض النضرة . وصحبت ثنية الوداع لأن المسافرين من المدينة كان يشيخ إليها ويودع منها قديماً . وصحح القاضي عياض هذا واستدل عليه بقول نساء الأتصار حين قدم عليه السلام . طلع البدر علينا من ثنيات الوداع فدل على أنه اسم قديم . وفي صحيح البخاري وسنن أبي داود والترمذي عن السائب بن يزيد قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك خرج الناس يتلقونه من ثنية الوداع وهذا صريح بأنها من جهة الشام . وقال ابن القيم في الحلى النبوي : « هذا وهم من بعض الرواة فإن ثنية الوداع هي من جهة الشام لا يراها القادم من مكة ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام وإنما وقع ذلك عند قدومه من تبوك » . لكن قال زين الدين العراقي : يحصل أن تكون الثنية التي من كل جهة يصل إليها المشيعون يسمرها ثنية الوداع . ثم أصاب الديار بكري قاللاً : يشبه أن يكون هذا هو الحق ويؤيده جمع الثنيات إذ لو كان المراد بها الموضع الذي هو من جهة الشام لم يجمع ، ولا مانع من تعدد وقوع هذا الشعر -

«أضواء» : أنور . «المنعة» : بفتح النون يقال فلان في منعة أي في عز من قومه فلا يقدر عليه من يريده . «الثروة» : بفتح الثاء المثناة كثرة المال . «البهيضة» : يابى الكلام عليها في باب أسماء المدينة . «قَوَّلِلَ» : بقاف مفتوحة فواو ساكنة فقفاف مكسورة أي مِر حيث شئت فلنك آمن . «راتوناء» : [وهو وادٍ في المدينة صلى فيه النبي الجمعة^(١)] . «على فترة من الرسل» : أي على انقطاع بينهم ودروس أعلام دينهم . «ولو يشق تمرّة» : بكسر الشين المعجمة أي نصف تمرّة ، يريد لا يستقلون^(٢) من الصلّة شيئاً . «مزاجم» : [بضم الميم فزاي وكسر الحاء المهملة أطم كان بين ظهرائي بني الحُبلى^(٣)] . «بنو الحُبلى» : [الحُبلى لقب سالم بن عَثم بن عَوْف لُقّب به لعظم بطنه ومن وكلّيه بنو الحُبلى بطنٌ

= مرة عند قدومه من مكة ومرة عند قدومه من ثبوك فلا يثنى ما في صحيح البخاري وغيره . ولا ما قاله ابن القيم من جابر إنه كان لا يدخل أحد المدينة إلا من ثنية الوداع ، فإن لم يمش بها مات قبل أن يخرج فإذا وقف على الثنية قيل قد ودع نسيت ثنية الوداع حتى قدم عروة بن الورد (وهو شاعر جاهل أخباره في الأغاني ج ٣ ص ٨٣ : ٨٨ طبعة دار الكتب سنة ١٢٩٩ م) فلم يمش ثم دخل فقال : يا مشر يهود ما لكم ولتمشير ؟ قالوا : لا يدخلها أحد من غير أهلها فلم يمش بها إلا مات ولا يدخلها أحد من ثنية الوداع إلا قتله الحزالي ، فلما ترك عروة التمشير تركه الناس ودخلوا من كل ناحية كذا في وفاء الوفا . وجاء في التاج : وعشر الحار تمشيرا تابع للبيق عسرا . ووالى بين عشر ترجميات في نهيق فهو مشر ، ونهيقه يقال له التمشير . قال عروة بن الورد : وإني وإن عشرت من خشية الله نفاق حار إني بلرّوع ، وفي رواية لصدر هذا البيت : وإني إن عشرت في أرض مالك . ومعناه أنهم يزعمون أن الرجل إذا ورد أرض وباه وضع يده خلف أذنه فنهق عشر نهقات نهيق الحار ، ثم دخلها آمن من الوفاء .

(١) يبايض بالأسول والتكلة من معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٢١٤) أوردناها مختصرة . وذكر لياقوت في مادة رانوفاء أنه لم يجدها في غير كتاب ابن إسحق الذي تلخصه ابن هشام ، مع أنه وردت روايات كثيرة عن وادي رانوفاء ذكرها السهوي وفي وفاء الوفا (ج ٢ ص ٢١٢ : ٢٢٠) في الفصل الخامس الذي عقده بعنوان : بقية أودية المدينة ومجتمعا ومفاضا . فقال : ومن هذه الأودية وادي رانوفاء ويقال رانوف . قال ابن شبة وأما سيل رانوف فإنه يأتي من قبة جبل في بمان عبر ومن حرس شرق الحرة ثم يسب على قرين صريحه ثم سد حيداه بن عمرو وعروين عثان ثم يتفرق في الصنائص فيصب في أرض إسماعيل ومحمد ابني الوليد بالقصبة ثم يستلطن القصبة حتى يترسّ قباء يمينا .. وفي رواية لابن زبالة عن عبد الله بن السائب قال : رانوفاء تأتي من بين سد حيداه بن عمرو بن عثان وبين الحرة وتلقى هي وواد آخر عند الجبل الذي يقال له مقين أو مكن .. وعلى ذلك تحقيقات جغرافية لطيفة عن أودية المدينة وسواها ومفاضا ومنها وادي رانوفاء لا يتسع للمقام للذكرها .

(٢) في النهاية (ج ٢ ص ٢٣٠) : اتقوا النار ولو بشق تمرّة أي نصف تمرّة أي لا تستقلوا من الصلّة شيئا . واستقل الفجر وتقاله إذا رآه قليلا .

(٣) يبايض بالأصل بقدر عدة كلمات والتكلة من السهوي (ج ٢ ص ٣٧٣) وأشاف السهوي قائلا : وكان بزقاق ابن حنين سوق يقوم في الجاهلية وأول الإسلام يقال لموضعها مزارع كما سبق في سوق المدينة .

من الأنصار^(١) . «مُحْتَبِياً» : أى جمع ظهره وساقيه بثوب أو غيره ، وقد يَحْتَبِي بيده
والإسم الجَيَّوَة بالكسر^(٢) . «شَرِقَ لذلك» : بشين معجمة مفتوحة فراء ففاف ، أى ضاق
صَبْرُهُ كَمَنْ غَصَّ^(٣) . «تَجَلَّجَلَتْ بجيمين» : تَحَرَّكَت^(٤) . «الْأَقْشَهْرِي» : [هو أبو عبد
الله محمد بن أحمد بن أمين الأَقْشَهْرِي عمل كتاباً سماه الروضة فيه أسماء من دُفِنَ
بالبقيع^(٥)] . «أَرْزَمَتْ^(٦)» : برأه فزأى صَوَّتَتْ «الجِرَان» : بكسر الجيم : مُقَدِّمٌ عُنُقُ
إلبيح من ملبحة إلى مَنْحَرِهِ ، فإذا بَرَكَ البعير ومدَّ عُنُقَهُ على الأرض قيل ألقى جِرَانَهُ
بالأرض . «انجفل^(٧) الناس» : أسرعوا . «الحَبَّ^(٨)» : بضم الحاء المهمل : الخابية ويقال
لها الزير . «تَبَجَّجَتْ» : قصدت . «الْقَطِيفَةُ^(٩)» : دِثَارٌ له خَلْلٌ . طَقِيشَل : بفتح الطاء
المهمل وفتح الفاء وسكون المثناة التحتية وفتح الشين المعجمة وباء اللام : نوع من المَرَق .

(١) يهاض بالأصل بقدر عدة كلمات والتكلمة من القاموس المحيط وزاد الفيروز اهاى قالوا : « والتسبة إليها حبل
بالضم وبضمين وكهني . وفي الاشتقاق لابن دريد (ص ٤٥٨ : ٤٥٩) ومنهم بنو الحبل : سمى بذلك لعظم بطنه ومن
له الحبل عبد الله بن أبي بن سلول وأبو المناظير .

(٢) : في القاموس المحيط : الحبة بالفتح ويقع من احبى بالثوب اشتل أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها .
(٣) : من غص بالماء ينصب غصبا وغصصاً وقف في حلقه فلم يكده يسينه فهو غاص وغصان .

(٤) : لم نشر على تجلجلت بجيمين في كتب غريب الحديث . ولكنها وردت في النهاية (ج ٤ ص ٥٢) تلجلجت
بحاين مهملتين أى أقامت ولزمت مكانها ولم ترح وهو قد تجلجل . هذا وإذا كان المراد أن تكون الناقة قد تحركت
فيمكن أن يقال تلجلجت بحاين مهملتين مع تقديم الحاء على اللام . وذكر هذا المعنى أيضا الزعزعي في الفائق (ج ٢ ص ٤٥٦)
(٥) : يهاض بالأصول بقدر عدة كلمات والتكلمة من كتاب الإعلان بالتوبيخ للسفلى (ص ١٣٠) ويتنصب صاحب
الروضة إلى بلدة أقي شهر في شمال شرق الأناضول وتوفي الأَقْشَهْرِي سنة ٧٣١ هـ أو سنة ٧٣٢ هـ أو سنة ٧٣٩ هـ كما في الدرر
الكاتبية (ج ٣ ص ٣٠٩) ويقول فراتز روزنتال في كتابه علم التاريخ عند المسلمين (ص ١١٢) إن الأَقْشَهْرِي قام
بأبحاث أثرية في المدينة .

(٦) : في النهاية (ج ٢ ص ٧٩) : إن نائته تلجلجت وأرزمت أى صوته والإرزام الصوت لا يفتح به الهم .
وفي القاموس المحيط الرزمة حركة صوت العصى والناقة وذلك إذا رعت ولدها تخرجه من حلقها وأرزم الرعد اشد صوته
أب صوت غير شديد وأرزمت الناقة حنت على ولدها .

(٧) : في النهاية (ج ١ ص ١٦٨) : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس قبيله أى ذهبوا مرسعين
نحوه يقال جفل وأجفل وانجفل . هذا وجفل يجفل فجولا من باب ضرب مضى أو أسرع .

(٨) «الحَبَّ» : كما أشرنا إلى ذلك في حاشية سابقة - فارسي مررب غنپ ، وهو وعاء كالزير والجره والجمع أحباب
وحبة وحباب .

(٩) «الْقَطِيفَةُ» : كساء له خلل عن الهاية أو دثار ذو أهداب كأهداب الطنافس . وجمع قطيفة قطائف وقطف بضمين ،
والخلل هب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول .

«تَوَى» : أقام . «البُضْعُ»^(١) : بالكسر ويُفْتَح من الثلاث إلى التسع . «الحِجَّةُ» : بالكسر هنا : السنة . «مَوَاتِيَا»^(٢) : موافقاً . «أَلْفَى» : وَجَدَ^(٣) . «التَّوَى» : بلفظ تَوَى التَّنْزُّر : البُعْد . «بادياً» : ظاهراً . «ناتياً» : بعيداً . «من جُلِّ مَالِنَا»^(٤) : مُعْطِيهِ «الْوَعَى» : بفتح الواو والغين المعجمة : الحرب^(٥) . «التَّاسَى» : التعاون . «الْبَيْعَةُ» : الْمَسْجِدُ^(٦) . «حَنَاتِيكَ» : أى تَحَنُّناً بعد تَحَنُّنٍ والتَّحَنُّنُ الرَّأْفَةُ والرحمة . «فقطاً مُعْرِضاً» : بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر الراء والضاد المعجمة : أى مُتَّسِعاً^(٧) . «الْحَوَفُ» : جَمْعُ حَفٍّ وهو الموت ، والحروف هنا أسباب المَوْتِ وأنواعه . «ولا تَحْفِلُ» : بحاء مهملة ففاء أى لا تَبَالِي ، يُقَالُ حَفَلَتْ بِكَذَا باليت^(٨) به «النَّخْلُ» بالخاء . المعجمة اسم جنس جمعى واحده نَخْلَةٌ «المُعِيَةُ» بضم الميم وكسر العين المهملة وسكون التحتية : أى العاطشة من الْعِيَةِ بفتح العين المهملة

(١) في المصباح البضع في المدد بالكسر وبض العرب يفتح واستماله من الثلاثة إلى التسعة وعن ثعلب من الأربعة إلى التسعة يستوى فيه المذكر والمؤنث فيقال : يضع رجال ويضع نسوة . ويستعمل أيضاً من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر لكن تجتبت الهاء في يضع مع المذكر وتضاف مع المؤنث كالنصف ولا يستعمل فيها زاد عل الشرين وأجازه بعض المشرخين فيقول بضعة وعشرون رجلاً ويضع وعشرون امرأة . وفي اللسان الوسيط لا يستعمل مع المائة والألف

(٢) في النهاية (ج ١ ص ١٥) في الحديث : خير النساء المواتية لزوجها : المواتية حسن المطاوعة والموافقة وأصله الهنز فمخفف وكثر حتى صار يقال بالواو الخالصة . وفي المصباح وأتيه على الأمر مواتاة .

(٣) في النهاية (ج ٤ ص ٦٢) : لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته أى لا أجد ولا ألقى ، يقال أنفيت الشيء ألقته إلقاءً إذا وجدته وصادفته ولقته .

(٤) في رواية من حل مالنا .

(٥) في المصباح : الوعى ، مقصور : الجلبة والأصوات ومنه وعى الحرب وقال ابن جني : الوعى بالمهملة الصوت . والجلبة وبالمعجمة الحرب نفسها .

(٦) في التاج البيعة بالكسر متعبدة النصرارى وقيل كنيسة اليهود وأجمع بيع كمنب . وفي تفسير القرطبي للآية ٤٠ من سورة الحج (ج ١٢ ص ٧١) . البيع جمع بيعة وهى كنيسة النصرارى وقال الطبري قيل هى كنائس اليهود ، ثم أدخل من مجاهد ما لا يقتضى ذلك . هذا ويوضح مما سبق أن البيعة ليست للمسجد .

(٧) أوردنا في حاشية سابقة شرح الزبيدي في التاج : يقال طأ معرضاً حيث شئت أى ضغ رجلك حيث شئت ولا تنق شيئا .

(٨) من حفل الشيء والأمراً وبه يحفل ويحفل به سفلان من باب ضرب عنى وبال . وفي النهاية (ج ١ ص ٩٥) : وتبقى حاله لا يزالهم الله بالة أى لا يرضح لهم قدراً وأصل بالة بالية مثل عاقاه الله عافية فحذفوا الياء منها تخفيفاً . يقال ما باليته وما باليت به أى لم أكره به .

وهو العَطَشُ ، وأكثر ما يُقال في اللَّبَن . «رَبَّهَا» : صاحبها . «رَبًّا» :^(١) أى مرتوية من الماء «ثاويًا»^(٢) : بالثلاثة وآخره مُثَنَّة تحية ، ويُروى «ثاويًا»^(٣) بالثناة الفوقية من التَّوَى وهو الهلاك .

(١) من روى من الماء ونحوه يروى ديا بالفتح والكرم وكذلك روى ، شرب وشبع فهو ديان والمرأة ديا وزان غضبان وغضبى والجمع في المذكر والمؤنث رواء وزان كتاب . وروى البعير الماء يرويه من باب رمى حملة .
 (٢) ثاويًا أى مقبلاً من ثوى بالمكان وفيه يعوى ثواء وثويًا أقام واستقر .
 (٣) من توى المال يعوى توى ذهب قلم يرج ، وتوى الإنسان هلك فهو تو ، والتوى الهلاك .

جَمَاعُ أَبْوَابٍ بَعْضُ فَضَائِلِ الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ

الباب الأول

في يَتَهُ شَأْنَهَا

و ٤٢٣

عن عائشة رضي الله عنها^(١) / أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مكة بكد عظمه الله، وعظم حرمته، خلق مكة وحققها باللائكة قبل أن يخلق شيئا من الأرض بألف عام، ووصلها بالمدينة، ووصل المدينة ببیت المقدس، ثم خلق الأرض كلها بعد ألف عام خلقاً واحداً». وعن علي رضي الله عنه: قال: «كانت الأرض ماء فبعث الله ريحاً فمسحت الأرض مسحاً فظهرت على الأرض زينة فقسمها أربع قطع، خلق من قطعة مكة والثانية المدينة والثالثة بيت المقدس والرابعة الكوفة. رواهما الحافظ أبو بكر بن أحمد [بن محمد]^(٢) الواسطي [الخطيب]^(٣) في كتابه فضائل بيت المقدس بسند لا بأس به خلافاً لقول السيد إنهما وإيهان، فإن لم أجد في سندهما من تكلم فيه سوى ابن لهيعة وهو صلوق اختلط [بآخره]^(٤) [والتزمى يحسن له.

وروى الطبراني عن ذي مخبر، وهو بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الموحدة وقيل بتكلمها ميم، وهو ابن أخي النجاشي^(٥) رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله [عز وجل] أطلع إلى أهل المدينة وهي بطحاء قبل أن تعمّر، ليس فيها

(١) هذا الحديث من رواية ابن طيبة بسنده مرفوعاً.

(٢) زيادة من الإعلان بالتاريخ لسخاوي (ص ١٢٤) حيث ذكر من كتب في تاريخ بيت المقدس وفضائله ومنهم الواسطي الذي أطلع - فيما يبدو - مؤلف هذا الكتاب شمس الدين الشافعي على كتابه بما يدل على أن كتاب الواسطي كان لا يزال موجوداً في أوائل القرن العاشر الهجري. ولكننا لا نجد له ذكراً في الدراسات الحديثة عن الجغرافية التاريخية لفلسطين في المصور الواسطي وخاصة في كتاب فلسطين في عهد المسلمين للمستشرق جبي لوستراخ (أكسفورد سنة ١٨٩٠ م) الذي بناه على مؤلفات الكتاب والجغرافيين العرب حتى أوائل القرن العاشر الهجري.

(٣) زيادة من الإعلان بالتاريخ ص ١٢٤.

(٤) زيادة يقتضيها السياق مستمدة من ترجمته في تذكرة الحفاظ (ج ١ ص ٢١٩: ٢٢٠). وميزان الاعتدال (رقم ٤٥٣٠).

(٥) في أسد الغابة (ج ٢ ص ١٤٤): ذو غير ويقال ذو غير، وكان الأوزاعي لا يرى إلا غير بميمين وهو ابن النجاشي ملك الحبشة مملوك في أهل الشام وكان يقيم النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه أبو حنيفة المؤذن وجبير بن نفير والعباس بن عبد الرحمن وعمر بن عبد الله الحضرمي. وكان ذو غير فيمن قدم من الحبشة إلى النبي وكانوا اثنتين =

مَلَّةٌ وَلَا وَبَرَةٌ ، فقال : « يَا أَهْلَ يَثْرِبَ إِنِّي مُشْتَرِطٌ عَلَيْكُمْ ثَلَاثًا ، وَسَائِقٌ لِيَكُم مِّن كُلِّ الثَّمَرَاتِ : لَا تَعْصِي وَلَا تَعْلَى [وَلَا تَكْبِرِي] ^(١) » ، فَإِنْ فَعَلْتَ شَيْئًا مِّنْ ذَلِكَ تَرَكْتُكَ كَالْجُرُورِ لَا يَمْنَعُ مِنْ أَكْلِهِ » . وقيل : « أَوَّلُ مَنْ عَمَّرَ بِهَا الدُّورَ وَالْآطَامَ ، وَزَرَعَ وَغَرَسَ ، الْعَمَالِيقُ بَنُو عِمْلَاقِ بْنِ أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحَ ، وَأَخْلَدُوا مَا بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ وَعُمَانَ وَالْحِجَازَ إِلَى الشَّامِ وَمِصْرَ ، وَمِنْهُمْ الْجَبَابِرَةُ وَالْفَرَاغَةُ .

وقال أَبُو الْمُنْذِرِ الشُّرْقِيُّ بْنُ الْقَطَامِيِّ ^(٢) : سَمِعْتُ حَدِيثَ تَأْسِيسِ الْمَدِينَةِ مِنْ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْغَسِيلِ ، وَسَمِعْتُ أَيْضًا يَغْفُضُ ذَلِكَ مِنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، فَجَمَعْتُ حَدِيثَهُمَا لِكَثْرَةِ اتِّفَاقِهِ وَقِلَّةِ اخْتِلَافِهِ ، قَالَا : وَبَلَّغَنَا أَنَّهُ لَمَّا حَجَّ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ حَجَّ مَعَهُ أَنَّاسٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي أَنْصَرَفِهِمْ آتَوْا عَلَى الْمَدِينَةِ فَرَأَوْا مَوْضِعَهَا صِفَةً بَلَدٌ نَبِيٌّ يَجِدُونَ وَصْفَهُ فِي التَّوْرَةِ بِأَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، فَاشْتَبَهَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ عَلَى أَنْ يَتَخَلَّفُوا بِهِ ، فَتَنَزَّلُوا فِي مَوْضِعٍ مَوْقٍ

« وسبعين رجلا ولزم ذو غمر الذي يغلمه وعده بعضهم في مواليه . وفي الإصابة (ج ٢ ص ١٧٨) : ذو غمر الحبشي ابن أمي التجاشي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ثم نزل الشام وله أحاديث أخرج منها أحمد وأبو داود وابن ماجه هذا وقد عقد الشيخ أحمد الحنفى القناتى الأزهري في كتابه : « الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان » (بولاق سنة ١٢٢١ هـ) فصلا في تراجم الأحباش في الجاهلية والأحباش من الصحابة ترجم فيه لذي غمر (ص ١٣١ : ١٣٣) حيث نقل عن السيوطي في كتابه رفع شأن الحبشان : قال : ذو غمر هو يمين بينهما غناه معجزة وقيل بياه موحدة بعد الخاء ابن أمي التجاشي أحصاه ملائكة الحبشة قدم على النبي مع من قدم عليه من الحبشة صحبة جعفر بن أبي طالب ولزم النبي ملازمة كلية حتى جده بعض العلماء من مواليه لكثرة ملازمته خدمة النبي صلى الله عليه وسلم . ثم أورد السيوطي ما رواه ذو غمر من الأحاديث وقال بأنه نزل الشام ومات بها في حدود الستين بعد الهجرة . وفي البداية والنهاية لابن كثير (ج ٢ ص ٧٨) أن التجاشي أرسل ابن أخيه ذا غمر ليخدم النبي صلى الله عليه وسلم عوضاً عن عمه .

.. (١) زيادة من السهموي (ج ١ ص ٨٣) لتلك الثلاث التي اشترطت على أهل يثرب .
(٢) في الأصول : شرق بن قطامي دون أداة التعريف في الاسم ولكننا أثبتنا الاسم كما أورده المسعودي في مروج الذهب (ج ١ ص ٢١٣ بولاق سنة ١٢٨٣ هـ) وكتبته في القهرست لابن النديم (ص ١٣٢ : ١٣٣) أبو المنفى وليست أبا المنذر وقال ابن النديم إن اسمه الوليد بن الحصين وإنه أحد النسابين الرواة للأخبار والأنساب والنوادر وترجم له الخطيب في تاريخ بغداد (ج ٩ ص ٢٧٨ : ٢٧٩) وقال بأن الشرق كان علماً بالنسب وافر الأدب وأن أبا جعفر المنصور ألقبه ببغداد وعظم إليه المهدي ليأخذ من أدبه . والشرق لقب غلب عليه واسمه الوليد بن الحصين . والحصين والد الشرق هو المعروف بالقطامي . وقال إبراهيم الحري : شرق بن قطامي كوفي قد تكلم فيه وكان صاحب سحر ، هذا ولم يذكر الخطيب تاريخ مولده أو وفاته وذكره السخاوي في الإعلان بالتاريخ (ص ١٥٥) في عداد المؤرخين وفي السهموي وأحمد رزين من ابن المنذر الشرق (ج ١ ص ١١٠) ، والحطاب في تسمية الشرق ابن المنذر وتصويبها ليست بأبي المنذر فكيف كان ذكر ابن النديم : أبو المنفى .

بنى قَيْتَقَاعَ ، ثُمَّ تَأَلَّفَتْ إِلَيْهِمْ أَنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ فَرَجَعُوا إِلَى دِينِهِمْ ، فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ سَكَنَ مَوْضِعَ الْمَدِينَةِ . وَيُذَكَّرُ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْعَمَالِقَةِ سَكَنُوهُ قَبْلَهُمْ .

وروى أَبُو نُعَيْمٍ وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « بَلَغَنِي أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ ظَهْوٍ بِخَنْصَرٍ عَلَيْهِمْ لَوْفُ قَتِيلِهِمْ ^(١)] تَفَرَّقُوا ، وَكَانُوا يَجْلُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنُوعُونَ فِي كِتَابِهِمْ ، وَأَنَّهُ يَظْهَرُ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْقُرَى الْعَرَبِيَّةِ فِي قَرْيَةٍ ذَاتِ نَخْلٍ ، وَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ كَانُوا يَغْبِرُونَ كُلَّ قَرْيَةٍ مِنْ تِلْكَ الْقُرَى الْعَرَبِيَّةِ بَيْنَ الشَّامِ وَالْيَمَنِ ، يَجْلُونَ نَعْتَهَا نَعْتًا يَتَرَبَّ فَيَنْزِلُ بِهَا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يَلْقَوْا مُحَمَّدًا فَيَتَّبِعُونَهُ حَتَّى نَزَلَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي هَارُونَ مِنْ حِمْلِ التَّوْرَةِ إِلَى يَتَرَبَّ ، فَمَاتَ أُولَئِكَ الْآبَاءُ وَهُمْ يَزْمِنُونَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُحْثُونَ أَبْنَاءَهُمْ عَلَى اتِّبَاعِهِ ، فَأَدْرَكَهُ مِنْ أَبْنَائِهِمْ ، فَكَفَرُوا بِهِ وَهُمْ يَعْرِفُونَهُ لِحَسَنِهِمُ الْأَنْصَارِ حَيْثُ سَبَقُوهُمْ إِلَيْهِ .

وروى الزبير بن بكار عن عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التَّيْمِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَالَ : « كَانَ بِالْمَدِينَةِ فِي سَالِفِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمْ : صَعْلٌ وَفَالِجٌ ، فَغَزَاهُمْ دَاوُدُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَخَذَ مِنْهُمْ مِائَةَ أَلْفِ عَنَاءٍ ، قَالُوا : وَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الدُّودَ فِي أَعْنَاقِهِمْ فَهَلَكُوا . وَلَمْ تَزَلْ الْيَهُودُ ظَاهِرِينَ عَلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى كَانَ سَيْلُ الْعَرَمِ . قَالَ الْمُفَسِّرُونَ : كَانَتْ أَرْضُ سَبَا الْمَعْنِيَّةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبٌّ حَقُورٌ ^(٢) » أَخْصَبَ بِلَادَ اللَّهِ لَمْ تَكُنْ سَبْعَةً [وَقِيلَ ^(٣)] لَمْ يَكُنْ فِيهَا بَعُوضٌ وَلَا ذَبَابٌ وَلَا بَرِغوثٌ وَلَا عَقْرَبٌ . وَلَا حَيَّةٌ ، وَبِمَرِّ الْقَرِيبِ بَوَادِيهِمْ وَفِي ثِيَابِهِ الْقَمَلُ فَيَمُوتُ ، وَتَخْرُجُ الْمَرْأَةُ وَعَلَى رَأْسِهَا مِكْتَلُهَا فَتَعْمَلُ بِمِغْزَلِهَا وَتَسِيرُ بَيْنَ ذَلِكَ الشَّجَرِ فَيَمْتَلِئُ مَا يَتَسَاقَطُ مِنَ النَّعَمِ ، [وَكَانَ طَوْلُ بِلَدِهِمْ ^(٤)] أَكْثَرَ مِنْ شَهْرَيْنِ لِلرَّاكِبِ / الْمُجِدِّ وَكَذَلِكَ عَرَضُهَا ، وَأَهْلُهَا فِي غَايَةِ الْكَثَرَةِ مَعَ اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ وَالْقُوَّةِ . وَكَانُوا ٤٣ ظ كَمَا قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ خَبَرِهِمْ بِقَوْلِهِ : (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا

(١) زيادة من السهري (ج ١ ص ١١٢)

(٢) من الآية الخامسة عشرة من سورة سبأ .

(٣) زيادة من الكشف (ج ٢ ص ٢٠٣) .

(٤) زيادة من مروج الذهب للمسعودي .

قَرَى ظَاهِرَةً^(١) أَى يَرَى بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ لَتَقَارِبَا [فَكَانُوا آمَنِينَ فِي بِلَادِهِمْ]^(٢)، تَخْرُجُ الْمَرَأَةُ لِاتْتَزِدَ شَيْئاً نَبِيئاً فِي قَرِيَةٍ وَتَقِيلُ فِي أُخْرَى حَتَّى تَأْتِيَ الشَّامَ . فَبَطَرُوا النِّعْمَةَ (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا^(٣)) ، أَى بَعَاوَزَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشَّامِ يَرْكَبُونَ فِيهَا الرُّوَّاحِلَ ، فَعَجَّلَ اللَّهُ لَهُمُ الْإِجَابَةَ كَمَا قَالَ تَعَالَى : (فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَزْقٍ^(٤)) .

« وَكَانُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى مَاءٍ وَادِيهِمْ فَأَمَرَتْ بَلْقِيسُ بَوَادِيهِمْ فَسَدَّ بِالْعَرِمِ وَهُوَ الْمُسْنَاءُ^(٥) بِلُغَةِ حِمْيَرَ ، فَسَدَّتْ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ بِالصَّخْرِ وَالْقَارِ ، وَجَعَلَتْ لَهُ أَبْوَاباً ثَلَاثَةً بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، وَبَنَتْ مِنْ دُونِهِ بَرْكَةً ضَخْمَةً ، وَجَعَلَتْ فِيهَا اثْنَيْ عَشَرَ مَخْرَجاً عَلَى عِلَّةِ أَنْهَارٍ يَفْتَحُونَهَا إِذَا احتَاجُوا إِلَى الْمَاءِ ، وَإِذَا اسْتَقْنَوْا سَلُّوْهَا ، فَلِذَا جَاءَ مَاءُ الْمَطَرِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَاءُ أَوْدِيَةِ الْيَمَنِ فَاحْتَبَسَ السَّيْلُ مِنْ وَرَاءِ السَّدِّ ، فَأَمَرَتْ بِالْبَابِ الْأَعْلَى فَفُتِحَ فَجَرَى مَائِهِ فِي الْبَرْكَةِ ، فَكَانُوا يَسْتَقُونَ مِنَ الْبَابِ الْأَعْلَى ثُمَّ مِنَ الثَّانِي ثُمَّ مِنَ الثَّلَاثِ فَلَا يَنْفَدُ الْمَاءُ حَتَّى يَرْجِعَ الْمَاءُ مِنَ السَّنَةِ الْمُقْبِلَةِ ، فَكَانَ السَّيْلُ يَأْتِيهِمْ مِنْ مَسِيرَةِ عَشْرَةِ أَيَّامٍ حَتَّى يَسْتَقِرَّ فِي وَادِيهِمْ فَيَجْمَعُ الْمَاءُ مِنْ تِلْكَ السُّيُوفِ وَالْجِبَالِ فِي ذَلِكَ الْوَادِي . وَكَانَ السَّدُّ فَرْسَخاً فِي فَرْسَخٍ بَنَاهُ لَقْمَانُ الْإِكْبَرُ الْعَادِيُّ وَقِيلَ سَبَأُ بْنُ يَشْجُبَ ، وَمَاتَ قَبْلَ إِكْمَالِهِ فَأَكْمَلَهُ مَلُوكُ حِمْيَرَ .

« وَكَانَ أَوْلَادُ حِمْيَرَ بْنِ سَبَأٍ وَأَوْلَادُ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأٍ سَادَةُ الْيَمَنِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَكَانَ كَبِيرُهُمْ عَمْرُو مَزْيَقِيَاءَ^(٦) بْنِ عَامِرِ مَاءِ السَّمَاءِ ، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ عَمْرُو يُقَالُ لَهَا طَرِيفَةٌ ، مِنْ حِمْيَرَ وَكَانَتْ كَاهِنَةً ، فَوُلِدَتْ لَهُ ثَلَاثَةُ عَشَرَ وَلِداً : ثَلْعَبَةُ أَبُو الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجُ ، وَحَارِثَةُ وَالِدُ خَزَاعَةَ ، وَجَفْنَةُ وَالِدَةُ الْغَسَّانِ - وَقِيلَ فِيهِمْ غَيْرُ ذَلِكَ - وَوَلَدَتْ لَهُ وَدَاعَةُ وَأَبَا حَارِثَةَ وَالْحَارِثَ وَعَوْفَاً وَكَعْباً وَمَالِكاً وَعِمْرَاناً هَؤُلَاءِ أَعْقَبُوا [كُلُّهُمْ] وَالثَّلَاثَةُ الْبَاقُونَ لَمْ يُعْقِبُوا .

(١) سورة سبأ آية ١٨ .

(٢) زيادة من السهوي (ج ١ ص ١١٧) .

(٣) سورة سبأ آية ١٩ .

(٤) سورة سبأ آية ١٩ .

(٥) في المصباح : المسناة حائل بين في وجه الماء ويسمى السد .

(٦) سمى عمرو مزيقياً لأنه كان يمزق حته كل يوم حلة لئلا يليها أحد بعده ، قال ابن دريد في الاشتقاق ص ٢٥٠ .

وقيل لأبيه عامر ماء السماء لجموده وقيامه عند الجذب مقام النيث . انظر وفاء الوفا (ج ١ ص ١١٧) .

وكان لعمرو مزيقياء من القصور والأموال ما لم يكن لأحد فرأى أخوه عمران وكان كاهناً^(١) أن قومه سيحرقون وتخرّب بلادهم فذكره لعمرو . ثم أن طريفة الكاهنة سَجَعَتْ^(٢) له بما يدل على ذلك فقال : وما علامته^(٣) ؟ قالت : إذا رأيت جرذاً يكثر في السدّ الحضر ، ويقلب منه بيديه الصخر [فاعلم أن قد وقع الأمر^(٤)] .

« فلما غَضِبَ الله تعالى عليهم وأذن في هلاكهم دخل عمرو بن عامر فرأى جرذاً^(٥) تنقل أولادها من بطن الوادي إلى أعلى الجبل فقال : ما نكلت هذه أولادها من ههنا إلا وقد حصر أهل هذه البلاد عذاباً فخرقت ذلك الحرم فنقبت نقباً ، فسال المساء من ذلك النقب إلى جنبه فأمر بذلك النقب فسُدَّ ، فأصبح وقد انفجر بأعظم مما كان ، فأمر به أيضاً فسُدَّ ، ثم انفجر بأعظم مما كان فلم يترك فرجة بين حجرين إلا أمر بربط هرة عندها فما زاد الأمر إلا شدة ، وكان الجرذ يقلب [بيديه ورجليه^(٦)] الصخرة ما يقلبها خمسون رجلاً . فلما رأى ذلك دعا ابن أخيه فقال : إذا جلست الشية في نادی قوى فائتني فقل : علام تجلس على مالي ؟ فإني سأقول لك : ليس لك عندي مال ولا ترك أبوك شيئاً وإنك كاذب . فإن كذبتك فكلتني واردد عليّ مثل ما قلت لك ، فإذا فعلت ذلك فإني سأشتمك إذا أنت شتمتني وإن أنا لمطمئنك فالطمني . قال : ما كنت لأستقبلك بذلك يا عم . قال : بلى . فافعل فإني أريد بذلك صلاحك وأهل بيتك . فقال الفتي :

(١) بل كلمة كاهناً : ولم يُعَبِّ ، ويتلّص هذا ما أورده المؤلف من أن عمراناً كان من أقباط ، ونقل السهموي عن ياقوت أن عمرو بن عامر مات قبل سيل المرم وصارت الرقاسة إلى أخيه عمران بن عامر الكاهن وكان حافراً لا يولد له وأنه صاحب القصة مع طريفة الكاهنة .

(٢) من سميات طريفة الكاهنة : إن الذي رأيت في اللبم أذهب حتى النوم ، وأيت غيا أرفع وأبرق ، طويلا ثم أسمع ، فأوقع على شيء إلا احترق ، فابعد إلا الفرق ، وقالت أيضاً : والنور والظلماء والأرض والسماء ، إن الماء لغائر وإن الشجر لما لك . فقال لعمرو ومن أخبرك بذلك قالت : أخبرني المناجاة بسنين شائد ، يقطع فيها الولد الولد ، وسلخاة تحلف بالتراب حفاً وتقلد بالبول قلداً . قيل لها وما ترين ؟ قالت : داهية وكية وأمور جسيمة . ومن الطريف في هذه القصة التي أورد السهموي كثيراً من أخبارها أن عمرو مزيقياء كان يلتزم أيضاً السجع في مناقشته لطريفة الكاهنة .

(٣) فه رواية : وما علامة ما تذكرين ؟

(٤) بياض بالأصول والفتكة من السهموي (ج ١ ص ١١٨) .

(٥) في المصباح الجزء المذكور من القار وقال بعضهم هو التضمين من القرآن والجمع جرذان بالكسر مثل صرد وصردان .

(٦) زيادة من السهموي (ج ١ ص ١١٨) .

نعم ، حيث عرف عمرو . فجاء ، فقال ما أمره به حتى لَطَمَهُ فتناول الفتي ^(١) عَمَهُ فَلَطَمَهُ . فقال / الشيخ : «يا معشر بني فلان أَلَطَمُ فيكم ؟ لاسَكَنْتُ في بَلَدٍ لَطَمِي فيه فلان أَيْدِئاً ، من يبتاع مني ^(٢) ؟ » فلما عرف القوم منه الجِدَّ أَعْطَوْهُ ، فنظر إلى أَفْضَلِهِمْ عَطِيَّةً فَأَوْجَبَ لَهُ الْبَيْعَ ، فدعا بالمال ، فَفَقَدَهُ ، وَتَحَمَّلَ هو وبنوه من ليلته ، وفي رواية : أَنِ الثَّمَنَ لَمَّا صار في يده قال : أَيْ قَوْمَ إِنِ الْعَذَابَ قَدْ أَظْلَكُكُمْ ، وزوالَ أَمْرِكُمْ قَدْ دَنَا فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ مَنَزِلًا ^(٣) جَدِيداً وَجَمَلًا شَدِيداً وسفراً بعيداً فَلْيَلْحَقْ بِعُمَانَ ، ومن أَرَادَ مِنْكُمْ الْخَمَرَ وَالْخَمِيرَ [والديباجَ والحريز ، والأَمَرَ والتأْمِيرَ ^(٤)] فَلْيَلْحَقْ بِبُصْرَى [وسدير ^(٥)] ومن أَرَادَ مِنْكُمْ الرَّاسِخَاتِ فِي الْوَحْلِ الْمُطْعِمَاتِ فِي الْمَحَلِّ ، الْمُقِيَّاتِ فِي الضُّعْلِ فَلْيَلْحَقْ بِبِثْرِبِ ذَاتِ النَّخْلِ ، فخرج أَهْلُ عُمَانَ إِلَى عُمَانَ ، وخرجت عَسَانُ إِلَى بُصْرَى ، وخرجت الأَوْسُ والخَزْرَجُ وبنو كعب بن عمرو إِلَى بِثْرِبِ ، فلما كانوا ببطن مَرَّ قال بنو كعب : هَذَا سَكَّانٌ صَالِحٌ لَا نَبِيَّ بِهِ بَدَلًا ، فَلَذَاكَ سَمَوْا خَزَاعَةَ ^(٦) لَأَنَّهُمْ انْخَرَعُوا عَنْ أَصْحَابِهِمْ ، وَأَقْبَلَتْ الأَوْسُ والخَزْرَجُ حَتَّى نَزَلُوا بِبِثْرِبِ .

(١) ذكر ابن هشام (ج ١ ص ٩ : ١٠) الذي أورد هذه القصة مختصرة أن ما حدث كان بين عمرو بن عامر وأصغر أَيْدِيَهُ . فقد جاء فيسأ : فكاد عمرو قومه فأمر أصغر ولده إذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به . فقال عمرو : لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدي ، وعرض أمواله فقال أشرف من أشرف أين : اغضبوا غضبة عمرو . فاستأثروا منه أمواله .

(٢) العبارة التي نقلها السهوي (ج ١ ص ١١٩) في هذا الصدد عن زرير في تاريخه أقوى من تلك التي أوردتها المؤلفات . فقد جاء فيسأ : فصاح عمرو واذلاه ، اليوم ذهب فخر عمرو وعجده ، فحلف ليقطنه ، فلم يزالوا به حتى تركه وقال : والله لا أقيم ببلد صبح في هذا فيه أَيْدِئاً ولأبين أموال كلها وأرسل عنكم . (٣) في الأصل : داراً وأقبتنا منزلاً ليستقيم المسح .

(٤) في الأصل : الخمر والخمير والمصير . وإضافة المصير هنا لا معنى لها وأقبتنا رواية السهوي . (٥) أسباب السهوي ، بعد كلمة سير ، وهما من أرض الشام . هذا وفيما نقله زرير يد أوفى ما أوردته المؤلفات فيد روى أن عمرو بن عامر قال لم عند خروجهم سأصفت لكم البلاد فقال : من كان منكم ذا هم بعيد وجبل شديد ومراد بجبله فيلحق بقصر عمان المشيئة فسكنها أزد عمان ومن كان منكم ذا هم غير بعيد وجبل غير شديد ومراد غير حديد فيلحق بالمشيئة من بكرود وهي أرض همدان فكان الذي سكنوه وذاعة بن عمرو بن عامر فانتسبوا في همدان ومن كان منكم ذا هم مدن وجبل معي فيلحق بالنبي من شئ زهو بالسراة فسكنه أزد شئومة ومن كان يريد الثياب الرقاق والخيل السباق والكنوز من الأرزاق فيلحق بالمرأق فكان الذين لحقوا بالمرأق جديعة الأبرش ومن كان يريد الخمر والخمير . . . إلى آخره .

(٦) قال ابن دريد : اشتقاق خزاعة من قولهم المنزع القوم عن القوم إذا انقطعوا عنهم وفارقوهم ، وذلك أنهم اغتزو على جملة الأسد أيام سيل اليرم ، لما أن صاروا إلى الحجاز فافترقوا بالحجاز فصار قوم إلى عمان وآخرون إلى الشام قال حسان : فلما قطعنا بطن مر تنزعنا خزاعة منا في جموع كراكر ، انظر الاشتقاق (ص ٤٦٨) .

« ولما أراد الله ما أراد من تفريق من بقى وخراب بلادهم أقبلت فارة حمراء إلى هرة من تلك الهرة فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة ، فدخلت [الفارة] في الفرجة التي كانت عندها فتغلغل بالسد فحشرت فيه حتى وهنته للسيل وهم لا يدرون ، فلما جاء السيل وجد خلافا فدخل فيه حتى قلّع السد وفاض من الماء على الأموال فاحتملها ، فلم يبق منها إلا ما ذكر الله تعالى . »

« ولما قَلِمَتِ الأوس والخزرج المدينة تَفَرَّقُوا في عالياتها وسافلتها ومنهم من نزل مع بني إسرائيل في قراهم ومنهم من نزل وحده لامع بني إسرائيل ولا مع العرب الذين تَلَفُّوا^(١) إلى بني إسرائيل ، وكانت الثروة في بني إسرائيل ، ولم قُربى عَمَرُوا بها الآطام . فمكنت الأوس والخزرج ما شاء الله ، ثم سألوا اليهود في أن يَعْقِدُوا بينهم جواراً وحلفاً يَأْمَنُ به بعضهم من بعض ، ويمتنعون به مِنْ سِوَاهُمْ ، فتحالفوا وتعاقدوا [واشتركوا وتعاملوا]^(٢) فلم يزلوا على ذلك زماناً طويلاً ، وأمرت^(٣) الأوس والخزرج ، وصار لهم مَالٌ وَعَدَدٌ ، فخافت قُرَيْظَةُ والنضير أن يَقْلِبُوهم على دُورِهِم [وأموالهم]^(٤) ، فتنمرَّوا لهم حتى قطعوا الحِلْفَ [الذي كان بينهم]^(٥) فأقامت الأوس والخزرج [في منازلهم]^(٦) خائفين أن يُجْلِبِيَهُم يهود ، حتى نَجِمَ منهم مالك بن العجلان ، أخو بني سالم بن عوف بن الخزرج وسوءه البغيان الأوس والخزرج . »

« وكان ملك اليهود الفِطْيُون^(٧) شَرَطَ ألا تُهْلَى عروس^(٨) إلى زوجها حتى تَدْخُلَ عليه ، فلما سَكَنَ الأوس والخزرج المدينة أراد أن يسير فيهم بتلك السيرة ، فتزوجت أخت مالك بن العجلان رجلاً من بني سالم ، فأرسل الفِطْيُون رسولا في ذلك ، وكان مالك

(١) في الأصول : بالغوا ، وهي تصحيف .

(٢) زيادة من السهوي (ج ١ ص ١٢٥) .

(٣) في ط : وأمرت وقت وم : أُنْصُرَتْ ، وفي طيبة القاهرة سنة ١٣٢٦ م وفاة الوفا : وأمرت بتفخيذ الميم ، وتعتقد أن الصواب : وأمرت ، فأمر الشيء يأمر أمراً وإمارة من باب فرح : كثر وتعاظم أمره يقال قل بنو فلان بهذا أمراً أي به أن كانوا كثيرى العدد .

(٤) جاء في الاشتقاق (ص ٤٣٦) : الفِطْيُون الملك وهذا اسم عبراني وكان الفِطْيُون مملوك يتراب بقتله رجل من الأنصار قبل أن يسموا بهذا الاسم في الجاهلية الأولى .

(٥) في الأصول : ألا تمثل المرأة على زوجها وأبنتا رواية رزين عن الشرق بن السطامي التي أوردتها السهوي (ج ١ ص ١٢٦ : ١٢٧) .

غائباً ، فخرجت أختُه في طلبه ، فَمَرَّتْ به في قَوْمٍ ، فنادته ، فقال : لقد جِئْتُ بِسَبَّةٍ ، تُناديني ولا تَسْتَجِي . فقالت : إن الذي يُرَادُ بي أكبر ، فأخبرته . فقال لها : أكْفِيكَ ذلك . فقالت : وكيف ؟ فقال : أَتَزْنِي بِزَيِّ النِّسَاءِ وأدخل مَعْلِكُ عليه بالسيف ، فأقتله . ففعل . ثم خرج حتى قَلِمَ الشام على أَبِي جُبَيْلَةَ ^(١) ، وكان نزها حين نزلوا هم بالمدينة فَجَبَّشَ جيشاً عظيماً وأقبل مَكَّانَهُ يريد اليمَنَ ، واختفى معهم مالك بن العجلان ، فجاء فنزل بِذِي حُرُصٍ ^(٢) ، وأرسل إلى أهل المدينة من الأوس والخزرج [فَأَتَوْا إِلَيْهِ ^(٣)] فوصلهم ثم أرسل إلى بني إسرائيل وقال : من أراد الحَيَاءَ ^(٤) [من] ^(٥) الملك فليخرج إليه [وإنما فعل ذلك] ^(٦) مخافة أن يتحصنوا [في الحصون] ^(٧) فلا يَقْدِرَ عليهم فخرج إليه أشرفهم ، فَأَمَرَ لهم بِنِعَاطٍ حتى اجتمعوا فقتلهم فصار الأوس والخزرج أعزَّ أهل المدينة .

تنبيه : في بيان غريب ما سبق .

« حَقَّهَا » : أحلق بها . « الزَّيْدَةُ » . بفتحين : الرُّغْوَةُ . « البَطْلَحَاءُ » :

الأرض المتسعة . « مَدْرَةٌ » : جَمْعُهَا مَدَرٌ ، مثل قَصَبَةٍ وقصب قال الأزهري : المَدَرُ ^(٨)

قِطْعُ الطَّيْنِ . « اليَكْتَلُ » : بكسر الميم وسكون الكاف وفتح المثناة الفوقية : الزَّئْبِيلُ .

« سَبَلٌ » : بضاد فَمَتَيْنِ مهملتين فلام . « فالج » : بالجمع « السَّنَاءَةُ » ؛ [حائط يبنى في

وجه الماء ويسمى السَّبَلُ] ^(٩) « العَرِمُ » : جمع عَرِمَةٍ ^(١٠) « السُّكْرُ » ^(١١) : بفتح السين المهملة

(١) في الأصول : أبو جيلة والتصويب من الاشتقاق (ص ٤٦١) حيث قال ابن دريد : بنو زريق بطن من بطون الخُزُرِجِ كان منهم أبو جيلة الملك الفسافي الذي جاء به مالك بن العجلان فقتل اليهود بالمدينة . كما ورد أبو جيلة بهذا الضبط في نسخة البكري في السهوي .

(٢) في ت و م حوض . وفي معجم البكري (٢٠ ص ٢٤٩) حرض يضم أوله وثانيه وشاد معجمة واد يدفع في رجفان ورجفان ينفع في الصفراء وهو وادي يليل . وبذى حرض نزل أبو جيلة الفسافي لما استنصره الحيان : الأوس والخزرج على اليهود قال الأمام طيباً ولا يقرب امرأة حتى ينصر لهم . فلما نزل هذا الموضع بعث إلى يهود لثاق ففعلوا بأبايرم .

(٣) في الأصول الحياه بالياه وكذلك في السهوي ولا يستقيم بها المعنى وأرجح أنه الحياه بالياه الموحدة أي المطاء .

(٤) زيادة من السهوي .

(٥) يقصد بالمر في قصة مكِّي المدينة سكان البيوت المبنية أي أهل القرى والحضر ويقابلهم أهل الوب أي أهل البادية لأنهم يخبثون بيوتهم من الوب . (٦) يبايض بالأصول بمقدار عدة كلمات والتكلمة من المصباح .

(٧) وزان كلم جمع كلبة . وفي صحيح البخاري في كتاب التفسير (ج ٦ ص ٢١٨) : ألعم السد ماء أحمر أرسله الله في السد لشفقه وهدمه وحفر الوادي . ولم يكن الماء الأحمر من السد ولكن كان عذاباً أرسله الله عليهم من حيث شاء ، والعرم المسنة يلجأ أهل اليمن بقيل العرم الوادي . وحكى السهيلي في الروض (ج ١ ص ١٥) أن المراد بالعرم المياه وقيل الوادي وقيل الجرد وقيل الماء الغزير فيكون من باب إضافة الاسم إلى صفته مثل مسجد الجامع . وأورد القزطوني (ج ٤ ص ٢٨٥ : ٢٨٦) مابوي في تفسير سيل العرم وكذلك ابن كثير في تفسيره (ج ٣ ص ٥٢٢ : ٥٢٣) .

(٨) في التاموس المحيط السكر بالفتح سد الحجر وبالكسر الاسم منه .

ومسكون الكاف : أى السدّ الذى يحبس الماء ، قال ابن الأعرابي : السيل الذى لا يُطاق
وقيل العِرم الوادى وأصله من العرامة وهى الشدّة والقوة^(١) . « الضَّحَل » : بالضاد المعجمة
والحاء المهملة الساكنة : القليل من الماء وقيل الماء القريب : « القِطْيُون » : [بكسر الفاء
وإسكان الطاء المهملة ثم مشناة تحتية مفتوحة وواو ساكنة فتون . والقطييون هو الذى تَمَلَّكَ
بیشرب^(٢)]

(١) العبارة التى تبدأ بلفظ : وقيل العرم . حتى كلمة القوة « كان أولى بالمؤلف أن يضمها عند شرحه لكلمة العرم
السابقة .
(٢) يياض بالأصل بمقدار عدة كلمات والتكلمة عن طريق ضبط كلمة قطييون وشرحها كما وردت فى الاشتقاق (ص ٣٦) .

الباب الثاني

في أسماء المدينة مُرتَّبة على حروف المُعْجَم

الأول فالأول مستقصاة لأن كثرة الأسماء تدل على شَرَف المُسَمَّى ، فما ذكره ، الزُّرْكَشِيُّ في الإعلام^(١) . وصاحب القاموس في غيره^(٢) ، والسيد في تاريخه^(٣) بلغ بها خمسة وتسعين اسماً وهي :

١ - « أَثْرِب » : بالفتح وإسكان المثلثة وكسر الراء فموحدة ، لُغَةً في يَثْرِب ، اسم من سكنها أولاً ، سُمِّيَتْ به أَرْضُ المدينة كلها عند أبي عُبَيْدَةَ أو هي فقط عند ابن عباس

(١) لى كتاب إعلام الساجد بأحكام المساجد لـ محمد بن عبد الله الزركشي الذي حققه فضيلة الشيخ أبو الوفا معطل المرافى ونشر بالقاهرة سنة ١٣٨٥ هـ . وخصائص المسجد النبوي وفضائل المدينة هي في هذا الكتاب من ص ٢٣٢ إلى ص ٢٧٣ .

(٢) صاحب القاموس أخط هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم ، المجد أبو الطاهر الفيروزابادي الشيرازي القوي المتوفى سنة ٨١٧ هـ وهو صاحب التصانيف الكثيرة في اللغة وغيرها وفي مقدمتها القاموس . تول قضاء اليمن في الفترة الأخيرة من حياته ، ترجم له السخاوي في الضوء اللايع (ج ١٠ ص ٧٩ : ٨٦) وذكر ثبوتاً حافظاً بمؤلفاته همتا منها فيما يتعلق بتاريخ المدينة الكتاب الذي أسماه : المنائم المطاوعة في معالم طابة ولمله عقد فيه فصلاً عن أسماء المدينة كما يقول مؤلف هذا الكتاب شمس الدين الشافى وربما كان ذلك فيما تناوله الفيروزابادي في كتاب آخر ذكره السخاوي (ص ٨٢) . عنوانه : الروض المملوف قبا له اسمان إلى ألوف .

(٣) هو وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى السيد نور الدين أبي الحسن حل بن القاضي عبد الله بن أحمد بن علي السهموي نسبة إلى سهمود بلدة بصعيد مصر (انظر الجديدة لعل مبارك ج ١٢ ص ٥١ و ٥٢ والقاموس الجغرافي لـ محمد رمزي ج ٤ ق ٢ ص ١٩٧) وينسب السهموي إلى أسرة من الأشراف أُنِجَتْ بعداً من العلماء ترجم السخاوي لأبيه (الضوء اللايع) ج ٥ ص ٥٦) كما ترجم له (ج ٥ ص ٢٤٥ : ٢٤٨) وقال ابن الهادي في شذرات الذهب (ج ٨ ص ٥٠ : ٥١) : نزيل المدينة المنورة وعالمها ومفتيها ومدرسها ومقرعها ولد سنة ٨٤٤ بسهمود وتوفي بالمدينة سنة ٩١١ هـ وهذا ويعد كتابه وفاء الوفا الذي يقع في أكثر من ألف صحيفة أوفى كتاب في تاريخ المدينة المنورة ، رجع إلى مخطوطته الرحالة بوركهات في أوائل القرن الماضي (انظر رحلاته في بلاد العرب ، لندن سنة ١٨٢٩ م) وقد استعمل السهموي كتابه الضخم بذكر أسماء هذه البلدة الشريفة (ج ١ ص ٧ : ١٩) قال فيه : « أعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ولم أجد أكثر من أسماء هذه البلدة الشريفة . وقد استقصيتها بحسب القدرة حتى أتت زدت على شيخ مشايخنا المجد الشيرازي (الفيروزابادي) القوي . وهو أعظم الناس في هذا الباب نحو ثلاثين اسماً غرقت على ذلك صورة تبييضها وأنا أوردتها مرتبة على حروف المعجم » . لذا وقد نقل الشافى عن السهموي هذه الأسماء مترجماً بجانب الاختصار ، وقد وضعنا بجانب كل اسم رقفاً مسلسلاً لتسهيل المراجعة .

أو ناحية منها . وعلى الثالث فإطلاقه على المدينة مع ذلك صحيح ثابت إما وضعا لها أو من إطلاق اسم البعض على الكل أو المشتهر من باب عكسه ، وورد النهي عن تسميتها بذلك كما سيأتي .

- ٢- «أَرْضُ اللَّهِ» : لقوله تعالى (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا^(١)) قال جماعة المراد المدينة ، وفي هذه الإضافة من مزيد التعظيم مالا يَمُضَى . ٣- «أَرْضُ الْهِجْرَةِ» : لحديث فيه [المدينة قُبَّةُ الْإِسْلَامِ^(٢)] . ٤- «أَكَاةُ الْبِلْدَانِ» : لتسلطها على جميع الأمصار وارتفاعها على سائر بلدان الأقطار وافتتاحها منها على أيدي أهلها فغنموها وأكلوها^(٣) . ٥- «أَكَاةُ الْقُرَى» : لحديث : «أُمِرْتُ بِقَرِيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى^(٤)» . ٦- «الْإِيمَانُ» : لقوله تعالى في الأنصار . (وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ^(٥)) . قال عثمان بن عبد الرحمن وعبد الله بن جعفر : «سَمِيَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَدِينَةَ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ» ، رواه محمد بن الحسن المخزومي عنهما . وابن شبة عن الثاني . وقال البيضاوي : «سَمِيَ اللَّهُ الْمَدِينَةَ بِالْإِيمَانِ لِأَنَّهَا مظهره ومصيره» . وعن أنس بن مالك [أَنْ مَلَكَ^(٦)] الإِيمان قال : «أَنَا أَسْكُنُ الْمَدِينَةَ» ، فقال [مَلَكُ^(٧)] الْحَيَاءِ : «وَأَنَا مَعَكَ» ، رواه الدينوري في [كتابهِ^(٨)] الْمُجَالَسَةِ^(٩) . ٧- «الْبَارَةُ» : بتشديد الراء . ٨- «الْبَرَّةُ» : بالتشديد أيضا لكثرة برها لأهلها خصوصاً ولجميع العالم عموماً ، لأنها منبع الفيض والبركات^(١٠) . ٩- «الْبَحْرَةُ» : بالفتح وسكون المهملة . -

(١) من الآية ٩٧ من سورة النساء . وقال السهوي إن هذا للتأويل ذكره مقاتل والطبري فيما يتعلق بهذه الآية ، هذا ولم نشر على ما يماثله في كل من الكشاف (ج ١ ص ١٨٧ : ١٨٨) وتفسير القرطبي (ج ٥ ص ٢٤٦) وتفسير ابن كثير (ج ١ ص ٥٤٢) .

(٢) زيادة من السهوي (ج ١ ص ٨) .

(٣) أثبت المؤلف شرح ، أكالة البلدان في شرح أكالة القرى .

(٤) الحديث أخرجه البخاري (ج ٣ ص ٥٠) وسلم في باب المدينة تنى شراها وقال الزركشي في إعلام البايه (ص ٢٥٥) : وفي معنى تأكل القرى ثلاثة أقوال : ١- أنها مركز الجيوش الإسلامية . ٢- أن أكلها وميرتها من القرى المفتوحة . ٣- أنها تفرغ القرى بوجوب الهجرة إليها .

(٥) من الآية التاسعة من سورة الحشر .

(٦) زيادة من السهوي .

(٧) ذكر السهوي الحديث : إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تآرز الحية إلى جحرها . وأضاب بأن الآية أجملت على أن الإيمان والحياة ببلد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٨) وفي رواية : إذ هي منبع الأسرار وإشراق الأنوار وبها العيشة الحنية والبركات النبوية .

١٠- «البَحِيرَة»: تصغير. ما قبله . ١١- «البَحِيرَة»: بالفتح والكسر: نقل [الزركشي^(١)]
 الثلاثة في الإعلام عن منتخب كُرَاع ، ونقل غَيْرُهُ الْأَوَّلِينَ عن معجم ياقوت^(٢)، والاستبحار
 السعة لأنها يمتنع من الأرض ولقول سعد [بن عُبَادَة]: ولقد اصطلح أهل هذه البَحِيرَة -
 بالتصغير - [على أن يعصبوه بالعصاة فلما رَدَّ الله ذلك بالحق الذي أعطاك شَرَقَ بذلك]^(٣) ،
 ويقال «البحر» أيضاً بغير تاء ، ساكن الحاء وأصله القُرَى وكل قرية بَحْرَة^(٤) . -
 ١٢- «الْبَلَّاط»: بفتح الموحدة ، نُقِلَ عن [كتاب: لَيْسَ^(٥)] لابن خالويه وهو لُغَة
 الحجارة المفروشة [التي تُفَرَّش على الأرض ، والأرض المفروشة بها ، والمستوية للمساء
 فكأنها]^(٦) [سُمِّيَتْ به لكثرة فيها أو لاشتغالها على موضع تُعرَف به. ١٣- «الْبَلَد»: قال
 تعالى: (لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ^(٧)): قيل المدينة وقيل مكة وَرَجَّحه القاضي^(٨) ، لكن السورة
 مكية والبلد لغة صَبْرُ القُرَى . قال الواسطي فيما نقله عن القاضي: «أَيَّ يَحْلِف [لك]

(١) في إعلام الساجد ص ٢٣٥ وفي الفائق لم يخشى (ج ١ ص ٦٤) البحيرة بفتح الباء وإسكان الحاء المهملة المدينة
 يقولون هذه بحرتنا أي أرضنا وبلدنا ، وأصل البحيرة فجوة من الأرض تبهر أي تنبت وتنتج . وضبطها البكري في
 معجمه بضم الباء (ج ١ ص ٢٢٩) وروى عن أبي إسحق الحرب أنه قال: البحيرة بضم الباء دون الواو وأعظم من التلة
 وقيل كان بمكة يهودى يقال إنه يوسف فلما ولد النبي صلى الله عليه وسلم قال: ولد نبي هذه الأمة في بركاتكم اليوم . وفي
 التاج: البحيرة بفتح الباء مدينة النبي كالبهيرة مصغراً والبحيرة كسفينة والأسماء الثلاثة من كراع ونقلها السيد السهوى في
 التاريخ . وقال ابن الأثير في النهاية (ج ١ ص ٦٢): البحيرة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو تصغير البحيرة
 وقد جاء في رواية مكباً والعرب تسمى المدن والقرى البحار .

(٢) في معجم البلدان (ج ٢ ص ٧٢): حيث ذكر ياقوت أن البحيرة والبحيرة من أسماء مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) زيادة من الفائق (ج ١ ص ٦٤) لمعرفة الحديث الذي وردت فيه كلمة البحيرة والتفسير في يعصبوه يعود إلى
 هذه. ابن أبي بن سلول الذي أوشك أهل المدينة أن يملكو عليهم قبيل الهيرة .

(٤) سبقت العبارة التي تبدأ بكلمة: يقال - وكلها ما نقله المؤلف عن السهوى - كلمات أخرى هي: وقال
 عياض في المشارق البحيرة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى البحيرة والبحيرة بضم الباء مصغراً وبفتحها على غير التصغير
 وفي الرواية هنا .

(٥) زيادة من السهوى وعنوان الكتاب: ليس في كلام العرب . وهو لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه
 النحوى القنوى ، توفي مجلب سنة ٣٧٠ هـ صاحب سيف الدولة وأدب بعض أولاده وأورد النقفطى في إنباء الرواة (ج ١
 ص ٣٢٤: ٣٢٧) ثباتاً بمؤلفاته في ترجمته له . كما ترجم له الكثيرون كابن خلكان وياقوت والتاج السبكي والسيوطي
 (٦) زيادة من السهوى .

(٧) الآية الأولى من سورة البلد .

(٨) أى رجح القاضي عياض القول بأن المقصود من البلد في الآية الأولى من سورة البلد هو المدينة .

رَبُّكَ هَذَا الْبَلَدَ الَّذِي شَرَفْتَهُ بِمَكَانِكَ فِيهِ حَيًّا وَبِيرَكَكَ مَيْتًا^(١) ، يعنى المدينة . ١٤ - «بلد رسول الله» صلى الله عليه وسلم : روى البزار عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لإن الشياطين قد يئسَتْ ، أن تُعَبَّدَ في بلدى» / ، هذا ٤٢٥ و يعنى المدينة وجزيرة العرب ، «ولكن [فى] التحريش بينهم^(٢)» . ١٥ - «بيت رسول الله» صلى الله عليه وسلم : قال تعالى (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ^(٣)) : أى من المدينة لاختصاصها به اختصاص البيت بساكنه ، أو المراد : بَيْتُهُ بها . ١٦ - «تَنْلُدُ» : بمناء فوقية فنون وإهمال الدالّين ، كَجَفَر . ١٧ - «تَنْلَرُ» : يراء بذلك الدال الأخيرة مما قبله كما سبأنى فى «يَنْلَرُ» بالتحية . ١٨ - «الجابرة» : ذُكِرَ فى حديث للمدينة عَشْرَةُ أَسْمَاء ، سميت به لأنها تَجْبِرُ الكسير وتُغْنِي الفقير وتَجْبُرُ على الإذعان لمطالعة بركاتها [وشهود آياتها ولأنها^(٤)] جبرت البلاد على الإسلام . ١٩ - «جَبَار» كحَدَّام رواه ابنُ شُبَّة^(٥) بدل الجابرة فى حديثه المذكور . ٢٠ - «الْجَبَّارَةُ» : نُقِلَ عن التوراة^(٦) . ٢١ - «جزيرة العرب» : لقول بعضهم إنها المرادة من الحديث : «أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ» ، وفى حديث ابن عباس^(٧) : «وخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة فالتفت إليها وقال : «لإن الله برأ هذه الجزيرة من الشرك» ، رواه أبو يعلى والبزار والطبرانى . ٢٢ - «الْجُنَّةُ الْحَصِينَةُ^(٨)» :

-
- (١) جاء فى تفسير القرطبي (ج ٢٠ ص ٦٠) : البلد هى مكة أجمعوا عليه أى أقسم بالبلد الحرم الذى أنت فيه لكرامتك على وجهى لك ، ثم أورد القرطبي ما قاله الواسطي ثم قال والأول أصح لأن السورة نزلت بمكة بالتفاهق .
- (٢) لفظ الحديث كما فى النهاية (ج ١ ص ٢١٧) : « إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم » . أى فى حملهم على الفتن والحروب .
- (٣) من الآية الخامسة من سورة الأنفال .
- (٤) زيادة من السهوى (ج ١ ص ١٠) .
- (٥) فى الأصول : ابن أبي شيبة .
- (٦) ذكر السهوى أن هذا الاسم نقله صاحب كتاب أخبار النواحي عن الجابرة والمجورة عن التوراة .
- (٧) فى الأصول : العباس والتسويب من السهوى .
- (٨) أضفنا كلمة الحصينة نقلا عن الحديث التالى .

بضم الجيم وهى الوقاية ، أخذنا من قوله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أُحُد : «أنا فى جُنة حصينة» - يعنى المدينة - [«دعوهم يدهلون نقاتلهم»^(١)] . ٢٣-«الحبيبة» : لوجه صلى الله عليه وسلم لها ودعائه لها^(٢) . ٢٤-«الحَرَم» : بالفتح [بمعنى الحرام لتحريمها ، وفى الحديث^(٣)] : «المدينة حَرَم» ، وفى رواية أنها : «حَرَمٌ آمِن» . ٢٥-«حرم رسول الله» : صلى الله عليه وسلم لأنه الذى حَرَّمها ، وفى الحديث : «من أخاف أهلَ حَرَمِ أخافه الله» ، وفى حديث آخر : «حَرَمٌ لإبراهيم مكة وحَرَمِ المدينة» ، رواه الطبرانى ٢٦-«حَسَنَة» : [بلفظ مقابل السيئة] ، وقال تعالى : (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً^(٤)) أى مَبَاعَةً حسنة وهى : المدينة^(٥) ، وقيل هو اسمها لاشتغالها على الحسن الجسدى والمعنوى ، نقله الامام فخرالدين الرازى . ٢٧-«الخَيْرَة» : بالتشديد . ٢٨-«الخَيْرَة» بالتخفيف تقول امرأة خَيْرَة وخَيْرَة بمعنى كثيرة الخير ، وإذا أردت التفضيل قلت : [فلان] خَيْرُ الناس ، وفى الحديث : «والمدينة خَيْرٌ لهم لو كانوا يعلمون» . ٢٩-«الدَّار» : لقوله تعالى : (وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ^(٦)) على ما سبق فى الإيمان سميت به لِإِثْمِهَا والاستقرار بها وجموعها البناء والعُرْصَة . ٣٠-«دار الأبرار» ٣١-«دار المختار» : لأنها دار [المصطفى] المختار والمهاجرين والأَنْصار ، ولأنها تَنْفِي شَرَارَها ، ومن أقام بها منهم فليست فى الحقيقة له بدار ، وربما نُقِلَ منها بعد الإقْبَار . ٣٢-«دار الإيمان» : روى الطبرانى بِسَنَدٍ لا بِأَسْ به عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المدينة قُبَّةُ الإسلام ودار الإيمان وأَرْضُ الهجرة» ومبوء الحلال والحرام» ، وروى الشيخان عن أبى هريرة ، والبزار عن عمر أن رسول الله

(١) تكله الحديث ، كما أن الإمام أحمد روى رجال الصحيح حديث : رأيت كأتى فى دوح حصينة ورأيت بقرأ تنمر ، فأولت الدوح الحصينة المدينة . وأما فى السهووى . وهذا هو المذكور فى كتب السير .

(٢) كما روى فى دعائه لها بقوله : اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد .

(٣) أخرجه مسلم . (٤) من الآية ٤١ من سورة النحل .

(٥) أورد القرطبي (ج ١٠ ص ١٠٧) فى تفسير كلمة حسنة ستة أقوال ١- نزول المدينة قاله ابن عباس والحسن

والشعبي وقتادة . ٢- الرزق الحسن قاله مجاهد . ٣- التصريح علوهم قاله الضحاك . ٤- لأنه لسان صدق حكاه ابن جرير .

٥- ما استولوا عليه من فروع البلاد وصار لهم فيها من الولايات . ٦- ما بقى لهم فى الدنيا من الثناء وما صار فيها لأولادهم

من العرف ، وكل ذلك اجتمع لم يقبل الله وحده . (٦) من الآية التاسعة من سورة الحشر .

صلى الله عليه وسلم قال ٠ « إن الإيمان لَيَأْرُزُ ^(١) إلى المدينة كما تَأْرُزُ الحِجَةُ إلى جُحْرَها » ، [تَأْرُزُ] بفتح أوله وسكون الهجزة وكسر الراء - وقد تُقَصِّمُ - بعدها زاي ، أى أنها كما تخرج في طلب ما تعيش به فإذا راعها شيء رجعت إلى جحرها كذلك الإيمان انتشر في المدينة ، فكل مؤمن ، له من نفسه شائق إلى المدينة لمحبتة في النبي صلى الله عليه وسلم .

٣٣- « دار السنة » . ٣٤- « دار السلامة » . ٣٥- « دار الفتح » : ففي الصحيح قول عبد الرحمن ابن عوف لعمر رضى الله عنهما : « حتى تقدم المدينة فلإنها دار الهجرة والسنة » - وفي رواية الكشميهني أحد رواة البخارى - « والسلامة ، وقد فُتِحَتْ منها مكة وسائر الأمصار وإليها هجرة المختار ومنها انتشرت السنة في الأقطار . ٣٦- « الدرع الحصينة » : لحديث أحمد برجال الصحيح : « رأيتُ كَأَيُّ في دِرْعِ حصينة ، فأولتُ الدرع الحصينة المدينة » .

٣٧- « ذات الحَجَرِ » : بضم الحاء المهملة وفتح الجيم لاشتغالها عليها . ٣٨- « ذات الجرار » : بكسر الحاء وراعين مهملات ، جمع حَرَّةٌ بفتح الحاء وهى الحِجَارَةُ السود لكثرتها بها .

٣٩- « ذات النخل » : لوصفها بذلك / ولَمَّا قبله في خَيْرِ خُفَايِرِ ^(٢) مع رُكْبِهِ ^(٣) ، وفي سَجْعِ عَمْرَانَ بن عامر : فليلحق بيثرب ذات النخل ، وفي الحديث : « أُرِيتُ دَارَ هَجْرِي ذات نَخلٍ وَحَرَّةً » . ٤٠ - « السِّلَقَة » : ذكره أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الأقبشيري في أسانيها المنقولة عن الثوراة ، وهو محتمل ، [والسِّلَقَة] بفتح اللام وكسرها إذ السِّلَقُ بالتحريك القاع الصفصف والسلاق ^(٤) البليغ ، وربما قيل للمرأة المليطة سِلَقَةً بالكسر ، فَوَسَلَتْ البَيْضَ سِلْقاً أغلخته بالنار . فسميت المدينة به لانتساعها وتباعد جبالها أو لتسلطها

(١) من أرز يأرز أرزا وأروزا تقبض وتجمع ، وهو من باب ضرب وأرّز إلى المكان لما يوت الحديث الشريف . وفي الفائق (ج١ ص ٢٢) : تأرز الحية إلى جحرها أى تنضوي إليه وتنضم . والحديث أخرجه البخارى في صحيحه (ج ٣ ص ٥٧) عن أبي هريرة .

(٢) هو خنافر بن التوأم الكاهن الغبيري سأله حصار بمد أن ظهر الإسلام : من أين أبني هذا الدين ؟ قال من ذات الإحسين ، والنفر الإيماني ، أهل الماء والطين . قلت : أوضح . قال : الحق يثرب ذات النخل ، والحرة ذات النخل (التل للكان التليظ من الحرة) فهناك أهل الطول والفضل والمواساة والبدل . ولما من الله عليه بالهدى بمد الفتاة أنشد أبياتا مطلعها ألم تر أن الله عاد بفضلنا فنأخذ من لنع الزخيف خناقرا ، وغتمها بقوله : عليكم سواء القصد لا قل حدكم فقد أصبح الإسلام لكفر قاهرا . الخبر بطوله أورده الفائق في أسانيه (ج ١ ص ١٣٤ : ١٣٦) مع شرح ما ورد فيه من الغريب .

(٣) روى ورقي بفتح الراء وكسرها هو ما يترأى للإنسان من الجن .

(٤) السلق الواسع من الطرق والقلاع المطمن من الأرض للمستوى لا نبات فيه والجمع أطلاق وسلطان بكسر السين وضمتها - عن المعجم الوسيط .

على البلاد فَنَحًا أو لِلْأَوَائِهَا وَشِدَّةَ حَرِّهَا وما كان بها من الحُمَّى . ٤١ - « الشَّافِيَة » : لحديث ، « تُرَابُهَا شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ » ، وَلَمَّا صَحَّ فِي غِبَارِهَا . وذكر ابن مُسْلَى ^(١) : الاستشفاء [من الحُمَّى] بكتابة أسمائها وتعليقها على المحموم ، وسيأتي أنها تَنْفِي الذنوب فتشفي من دائها . ٤٢ - « طَابَة » : كَشَامَة ، روى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنْ اللَّهُ تَعَالَى سَمَّى الْمَدِينَةَ طَابَة » ^(٢) . ٤٣ - « طَيْبَة » : [يسكون المنة التحتية] كَهَيْبَة وَعَيْبَة . ٤٤ - « طَيْبَة » : بتشديد المنة التحتية . ٤٥ - « طَائِب » : ككاتب ، وهذه الأربعة مع اسمها الْمُطَيَّبَة أخوات لفظاً وَمَعْنَى ، مخلفات صِيغَة وَمَعْنَى . وفى الحديث : « لِلْمَدِينَةِ عَشْرُ أَسْمَاءَ هِيَ الْمَدِينَةُ وَطَيْبَة وَطَابَة » ، وعن وَهْب بن مُثَنَّب : « إِنْ أَسَمَهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ - بِغْنَى التَّوْرَةِ - طَيْبَة وَطَابَة » . ونقل عن التوراة أيضاً تسميتها بِالطَّيْبَةِ وكذلك الْمُطَيَّبَة . وتسميتها بهذه الأسماء إما من الطَّيِّب بتشديد المنة وهو الطاهر لطهارتها من [أدناس] الشُّرْكَ ، أو لحلول الطَّيِّب بها صلى الله عليه وسلم ، أو لكونها [كالسكر] تنفي خَبَثَهَا ^(٣) . وَيَنْصَحُ طَيْبُهَا . قال الإشبيلي : « لِتُرْبَةِ الْمَدِينَةِ نَفْحَةٌ لَيْسَ [طَيْبُهَا] كَمَا عُهِدَ مِنَ الطَّيِّبِ بَلْ هُوَ أَعْجَبُ مِنَ الْأَعْجَابِ » . قال بعض أهل العلم : « وَفِي طَيْبِ تُرَابِهَا وَهَوَائِهَا دَلِيلٌ شَاهِدٌ عَلَى صِحَّةِ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ ، لِأَنَّ مِنْ أَقَامَ بِهَا يَجِدُ مِنْ تُرْبَتِهَا وَحِيطَاتِهَا رَائِحَةً طَيِّبَةً لَا تَكَادُ تَوْجِدُ فِي غَيْرِهَا » . ٤٦ - « طَيَابَا » : ذكره ياقوت ^(٤) وهو بكسر المهملة يعنى القطعة المستطيلة من الأرض أو بفتح المعجمة [طَبَابَا] من طَبَّ ، وَطَبَّظَ إِذَا حُمَّ لَهَا كَانَ بِهَا مِنَ الْحُمَّى ^(٥) . ٤٧ - « الْعَاصِمَة » : لعصمتها للمهاجرين من المشركين ولأنها النَّزْعُ الحصينة ، أو هى بمعنى المعصومة فلا يدخلها الدُّجَالُ ولا الطاعون ومن أرادها يسوء أذابه الله . ٤٨ - « الْعَلَرَاءُ » : بالمهملة فالمعجمة ، نُقِلَ عن التوراة لصعوبتها

(١) فى الأصول : ابن سنى وصوابه ابن سنى وهو الحافظ أبو بكر محمد بن يوسف الأزدى الفراءى الأندلسى الملبس كان حافظاً علامة ذا رحلة واسعة ودراية ، جاور بمكة حيث شاع عنه فيها التشيع فقتل غيلة سنة ٦٦٣ هـ انظر شذرات الذهب (ج ٥ ص ٣١٣) -

(٢) وفى رواية : إِنْ اللَّهُ أَمَرَنِي أَنْ أَسْمِيَ الْمَدِينَةَ طَابَة .

(٣) الخبث يفتحين ما ينفى الكبر من الحديد ونحوه منه إجهاته وطرقه ، والخبث أيضاً النجس ، وفى الحديث : إِذَا بَلَغَ الْمَاءُ قَلْتَيْنِ لَمْ يَجِبْ غُشَا .

(٤) لم نمر في معجم البلدان في مواد اللاء والظاء على هذا الاسم .

(٥) فى التاج : طَبَّظَ الرَّجُلُ بِالْبَنَاءِ الْمَفْعُولُ أَيْ حُمَّ .

وامتناعها على الأعداء حتى تسلمها مالكتها الحقيقي [سيد الأنام ^(١)] صلى الله عليه وسلم .

٤٩ - « القراء » : بإهمال أوله وثانيه ، قال أئمة اللغة القراء العنراء كُتِبَتْ شُبُهَتْ

بالتاكة العراء التي لا سَنَام لها أو صَغُرَ سَنَامُهَا كَصَغُرَ نَهْدُ العنراء فيجوز أن تكون تسمية

المدينة بذلك لعدم ارتفاع أبنيتها في السماء . ٥٠ - « العروض » : بعين مهملة فراء فواو

فضاد معجمة كصبور [وقيل هو اسم لها ولما حوّلها ^(٢)] لانخفاض مواضع منها ومسائل

أودية فيها ، أو لأنها من نجد على خط مستقيم طولاً ، وللمدينة معترضة عنها ناحية .

٥١ - « القراء » : بالفتن المعجمة تَأْنِثُ الْأَعْرَ ذِي الْفَرَّةِ وَالْبَيَاضِ فِي مُقَدِّمِ الْوَجْهِ وَالْفَرَّةِ

أَيْضاً خِيَارُ كُلِّ شَيْءٍ وَغُرَّةُ الْإِنْسَانِ وَجْهُهُ وَالْأَعْرُ الْأَبْيَضُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالَّذِي أَخَذَتْ

اللاحية جميع وجهه إلا القليل ، والرجل الكريم ، واليوم الشَّيْدُ الْحَرَّ . وَالْقَرَاءُ تَبَتْ طَبِيبُ

الرائحة ، والسيدة الكبيرة . فسميت المدينة بذلك لأنها ^(٣) سادت على القرى ، وطاب ريحها

في الورى ، وَأَكْرَمَ أَهْلُهَا وَكَثُرَ غَرْمُهَا وَابْيَضَ نَوْرُهَا وَسَطَعَ ضِيَاؤُهَا ^(٤) . ٥٢ - « غَلَبَة » : مُحَرَّكَةٌ

بمعنى الْغَلَبَ لظهورها على البلاد ، وكانت في الجاهلية تُدْعَى « غَلَبَة » : نزلت يهود بها على

العمالق فغلبتهم عليها ، ونزلت الأوس والخزرج على يهود فغلبهم عليها ، ونزل المهاجرون ٥٢٦ و

على الأوس والخزرج فغلبهم عليها ، ونزل الأعاجم على المهاجرين فغلبهم عليها .

٥٣ - « الفاضحة » : بالفاء وضاد معجمة وحاء مهملة ، نُقِلَ عَنْ كُرَاعٍ إِذْ لَا يُضَيَّرُ بِهَا أَحَدٌ عَقِيدَةً

فاسدة أو يُبْطِنُ أَمْرًا لِإِظْهَارِهِ عَلَيْهِ وَافْتَضَّحَ بِهِ ، وَهُوَ مَعْنَى كَوْنِهَا تَنَقَّى خَبْثِهَا . ٥٤ - « القاصمة » :

بقاف وضاد مهملة ، نُقِلَ عَنِ التَّوْرَةِ لِقَضْيِهَا كُلَّ جَبَّارٍ عَنَّاها وَكَسَرَ كُلَّ مُتَمَرِّدٍ أَتَاها ،

وَمَنْ أَرَادَهَا بِسَوْءٍ أَذَابَهُ اللَّهُ . ٥٥ - « قُبَّةُ الْإِسْلَامِ » : لِحَدِيثِ : « الْمَدِينَةُ قُبَّةُ الْإِسْلَامِ » ^(٥) .

٥٦ - « قرية الأنصار » : وتقدّم الكلام على الأنصار . ٥٧ - « قرية رسول الله » صلى الله

عليه وسلم ، لِحَدِيثِ الطَّبْرَانِيِّ بِرِجَالِ ثِقَاتٍ : « ثُمَّ يَسِيرُ بِغِي الدَّجَالِ - حَتَّى يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ

(١) زيادة من السهوى (ج ١ ص ١٢) .

(٢) زيادة من السهوى .

(٣) لفظ السهوى : لثرف سالها ووضوح مكارمها واشتهارها وسطوح نورها ورياض نورها وطيب رائحتها وكثرة نخلها وسيادتها على القرى وكرم أهلها ورفقة محلها .

(٤) في الأصول : وسطع نورها . وسبق ورود كلمة نورها في الفاصلة السابقة فتلاها لتكرار أثبتنا لفظا آخر وهو الضياء بما لا يمس المعنى الذي قصده المؤلف .

ولا يُؤَدَّن له فيها فيقول : هذه قرية ذاك الرجل » ، [يَتَعَيَّ النبي صلى الله عليه وسلم] .

٥٨ - « قلب الإيمان » : أورده ابن الجوزى فى حديث : « المدينة قُبَّةُ الإسلام » .

٥٩ - « الْمُؤْمِنَةُ » : لتصديقها بالله تعالى حقيقةً لِيَخْلُقَ قابلية ذلك فيها كما فى تسييح الحصى ، أو مجازاً لاتصاف أهلها بالإيمان وانتشاره منها واشتغالها على أوصاف المؤمن أو لإدخالها أهلها فى الأمن من الأعداء والطاعون والدُّجَال . وقد روى فى حديث : « والذى نفسى بيده إن تربتها لمؤمنة » ، وروى فى آخر ، « إنها لمكتوبة فى التوراة مؤمنة » .

٦٠ - « المباركة » : لأن الله تعالى بارك فيها بدعائه صلى الله عليه وسلم وحلوله بها^(١) .

٦١ - مبوأ الحلال والحرام : رواه الطبرانى فى حديث : « المدينة قُبَّةُ الإسلام » ، والتَّبَوُّءُ التَّمَكُّنُ والاستقرار ، سُمِّيَتْ به لأنها محلٌّ تمكن هذين الحكمين واستقرارهما^(٢) . ٦٢ - « مُبَيَّنَّ الحلال والحرام » : رواه ابن الجوزى وغيره بدل الذى قبله فى الحديث المتقدم لأنها محل بيانها . ٦٣ - « الْمَحْبُورَةُ » : ذُكِرَ فى الحديث : « للمدينة عشرة أسماء » ، ونُقِلَ عن الكتب المتقدمة ، سُمِّيَتْ به لِجَبْرِهَا بخلاصة الوجود حياً ومَبْتَأً لِحُكِّهِ على سكانها ، بعد نقل جماها وتكرر دعائه لها^(٣) . ٦٤ - « الْمُحِبَّةُ » : بضم الميم وبالحاء المهملة وتشديد الموحدة ، نُقِلَ عن الكتب المتقدمة . ٦٥ - « الْمُحِبَّةُ » : بزيادة مُوحدة على ما قبله . ٦٦ - « المحبوبة » : نُقِلَ عن الكتب المتقدمة ايضاً ، وهذه ثلاثة مع ما تقدم من اسمها المحبوبة من مادة وحبة صلى الله عليه وسلم لها ودعاؤه به معلوم ، وحُبُّه تابع لحُبِّ رُبِّه^(٤) . ٦٧ - « الْمَحْبُورَةُ » : من الحَبْر وهو السرور أو من الحَبْرَةِ^(٥) بمعنى النعمة

(١) وذلك لأحاديث صحيحة منها : « اللهم اجعل بالمدينة ضيقاً ما جعلت بمكة من البركة . أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الحج عن أنس (٣ ص ٥٥) .

(٢) قال السهوى (١ ص ١٥) . وفى بعض النسخ : موى الحلال والحرام .

(٣) لفظ السهوى فى هذا المعنى أبلغ إذ قال : لأن الله تعالى جبرها بسكنى نبيه وصفيه حياً وضمها لأعضائه الشريفة ميتاً بعد نقل جماها وتطيين مئذنها والحل على سكانها وتزل البركات بعدها وصاعها ففى هذا السر الشريف مسروقة وهذه المنح العظيمة بمجربة تسحب ذيل الفخار على سائر الأقطار .

(٤) مراد السهوى (١ ص ١٥) : وجاء ما يقتضى أنها أحب البقاع إلى الله ويؤيده أنه تعالى اختارها لحبيه صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً . ففى محبوبة إلى الله ورسوله وسائر المؤمنين ولهذا ترتاج النفوس لذكرها وتبتم القلوب للشهود سرا .

(٥) فى القابوس المحيط : الحبرة بإسكان الياء وتضعها النعمة .

أو المبالغة فيما وُصفَ بجميل ، والمِجْبَار من الأرض السريعة الثِّبَات الكثيرة الخيرات .
 ٦٨ - « الْمُحَرَّمَةُ » : لتحريمها . ٦٩ - « المحروسة » : لحديث : « [المدينة] مشتبكة
 بالملائكة على كل نقب منها. مَلَكٌ يحرسها » ، رواه الجندى . ٧٠ - « الْمُحْفُوفَةُ » : لأنها
 حُفَّت بالبركات وملائكة السموات ، وفي خبر : « تَأْتِي مكة والمدينة محفوفتان بالملائكة »^(١) .
 ٧١ - « الْمُحْفُوفَةُ » : لحفظها من الطاعون والدَّجَال وغيرهما ، وفي خبر :
 « الْقُرَى المحفوفة أربع » ، وذكر المدينة منها . ٧٢ - « الْمُخْتَارَةُ » : « لِأَنَّ اللَّهَ
 تَعَالَى اخْتَارَهَا لِلْمُخْتَارِ مِنْ خَلْقِهِ [في حياته ومماته] »^(٢) . ٧٣ - « مُنْخَلٌ صِدْقٌ » : قال الله
 تَعَالَى : (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
 سُلْطَانًا نَصِيرًا^(٣)) فَمُنْخَلٌ صِدْقٌ المدينة كما تقدم^(٤) . ٧٤ - « المدينة » : لتكرره في القرآن
 ونُقِلَ عن الثوراة ، والمدينة من مَدَدَ بالمكان أقام به ، أو من دَانَ إذا أطاع ،
 إِذْ يُطَاعُ السلطان بالمدينة لِسُكْنَاهَا^(٥) ، وهي أبيات^(٦) كثيرة تُجَاوِزُ حَدَّ الْقُرَى ولم تُبْلَغْ
 حَدَّ الْأَمْصَارِ ، وقيل : يُقَالُ لكل مصر ، وتُطْلَقُ على أماكن كثيرة ، ومع ذلك فهو عِلْمٌ
 للمدينة النبوية ، بحيث إذا أُطْلِقَ لا يتبادر [الفهم] إلى غيرها ، ولا يُسْتَعْمَلُ / فيها ٤٢٦ ط
 إِلَّا الْمَعْرِفَةُ ، أما التَّجَرُّة فاسم لكل مدينة ، ونسبوا لكل مَدِينَةٍ ، وللمدينة النبوية مَدِينَتِي
 لِلْفَرَقِ . ٧٥ - « مدينة رسول الله » : صلى الله عليه وسلم ، لقوله في حديث الطبراني : « مَنْ
 أَخَذَتْ في مَدِينَتِي هذه حَدًّا أو آوَى مُحَدِّثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل
 الله منه صَرْفًا ولا عَدْلًا^(٧) » ، فأضافها إليه لِسُكْنَاهَا بها ، وله ولخلفائه دانت الأمم .

(١) وروى أيضاً : « المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نقب منها ملك لا يدخلها الدجال ولا الطاعون » .

(٢) زيادة من السهوي (ج ١ ص ١٦) .

(٣) آية ٨٠ من سورة الإسراء .

(٤) زوى عن زيد بن أسلم ويقل عليه ما رواه الترمذي وصححه في سبب نزول هذه الآية . مدخل صدق المدينة ،

وخرج صدق مكة وسلطان نصير الأمان .

(٥) في الصحاح مدن بالمكان أقام به ، وفي المصباح : المدينة المصر الجامع ووزنها فعيلة لأنها من مدن وقيل مفعلة بفتح
 الميم لأنها من دان والجمع مدن ومدائن بالهمز على القول بأصالة الميم ووزنها فعائل وبغير همز على القول بزيادة الميم ووزنها
 مفاعل لأن الياء أصلاً في الحركة فترد إليها ونظيرها في الاختلاف معاش .

(٦) البيت وهو المنزل يجمع على بيوت وأبيات .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٣ ص ٥ مع اختلاف في اللفظ .

٧٦ - « المَرْحُومَةُ » : نُقِلَ عن التوراة ، سُمِّيَتْ به لِأَنَّهَا دار المبعوث رَحْمَةً [للعالمين] وبها تَنْزِلُ الرِّحَامَات . ٧٧ - « المرزوقة » : لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَزَقَهَا أَفْضَلَ الْخَلْقِ فَسَمَّيْنَاهَا ^(١) ، أَوِ الْمَرْزُوقَ أَهْلَهَا ، [ففى الحديث] : « لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْهَا إِلَّا أَبْلَغَهَا اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ » . ٧٨ - « مَسْجِدُ الْأَقْصَى » : نقله ابن الملقن فى الإشارات عن صاحب المطالع . ٧٩ - « الْمِسْكِينَةُ » : نُقِلَ عن التوراة ، وَذُكِرَ فى حديث : « للمدينة عشرة أسماء » ، وروى الزبير بن بكار عن كعب الأحبار قال : « نجد فى كتاب الله تعالى الذى أنزل على موسى أَنَّ اللَّهَ قَالَ للمدينة : « يَا طَيْبَةُ يَا طَابَةَ يَا مَسْكِينَةَ لِاتَّقِبِلِي الْكَنُوزَ أَرْفَعُ أَجَاجِيرَكَ عَلَى أَجَاجِيرِ الْقُرَى » ، وَالْأَجَاجِيرُ ^(٢) السُّطُوح ، وَالْمَسْكِينَةُ الْخَضُوع ، وَالْخَشُوعُ خَلَقَهُ اللَّهُ فِيهَا ، أَوْ هِيَ مَسْكَنُ الْخَاشِعِينَ وَالْخَاضِعِينَ ^(٣) ٨٠ - « الْمُسْلِمَةُ » : كَالْمُؤْمِنَةِ لَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا الْإِنْقِيَادَ وَالْإِنْقِطَاعَ لَهُ أَوِ لَانْقِيَادِ أَهْلِهَا وَفَتْحِ بِلَدِهِم بِالْقُرْآن . ٨١ - « مُضْجِعُ رَسُولِ اللَّهِ » : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فى الحديث : « الْمَدِينَةُ مَهَاجِرَى وَمُضْجِعَى فى الْأَرْض » . ٨٢ - « الْمُطِيبَةُ » : بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَفَتْحِ ثَانِيَةِ تَقْدُمِ فى طَيْبَةٍ . ٨٣ - « الْمُقَدَّسَةُ » : لِتَنَزُّهِهَا عَنِ الشُّرْكِ وَكَوْنِهَا تَنْبِيءُ الذُّنُوبِ . ٨٤ - « الْمَقَرَّةُ » : بِالْقَافِ كَالْمَقَرِّ مِنَ الْقَرَارِ ، نقله السيد من بعض كتب اللغة ، وفى دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا قَوْلُهُ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا بِهَا قَرَارًا وَرِزْقًا حَسَنًا » . ٨٥ - « الْمَكَّانُ » : قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي الْحَرْثِ فى حِصَارِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « وَأَنْصَارُنَا بِالْمَكَّيْنِ قَلِيلٌ ^(٤) » . وَقَالَ نَصْرُ بْنُ حَجَّاجٍ : يَنْبَغُ نَفْيُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ :

فَأَصْبَحْتُ مُنْفِيًّا عَلَى غَيْرِ رِيَّةٍ وَقَدْ كَانَ لِي بِالْمَكَّيْنِ مَقَامٌ ^(٥)

قال السيد : « والظاهر أَنَّ الْمُرَادَ الْمَدِينَةَ لِأَنَّ قِصَّةَ عُمَانَ وَنَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ كَانَتَا بِهَا وَأُطْلِقَ ذَلِكَ عَلَيْهَا لِانْتِقَالِ أَهْلِ مَكَّةَ أَوْ غَالِبِهِمْ إِلَيْهَا وَانْضِمَامِهِمْ إِلَى أَهْلِهَا » . أَوْ أَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ التَّغْلِبِ وَالْمُرَادُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ . ٨٦ - « الْمَكِينَةُ » : لِتَمَكُّنِهَا فى الْمَكَانَةِ وَالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى . ٨٧ - « مَهَاجِرُ رَسُولِ اللَّهِ » : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَوْلِهِ : « الْمَدِينَةُ مَهَاجِرَى » . ٨٨ - « الْمَوْفِيَّةُ » :

(١) قال السهوى : أَوِ الْمَرْزُوقَ أَهْلَهَا أَرْزَأْنَا حَسْبَهُ وَمَعْنَوِيَّةٌ ، وَمِنْ فَوَقِهِمْ وَتَحْتَ أَرْجُلِهِمْ .

(٢) ذكره ابن زَيْلَةَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ كَعْبٍ أَنْظَرَ إِعْلَامَ الْمَسْجِدِ مِنْ ٢٢٣ .

(٣) فى السهوى (ج ١ ص ١٧) .

(٤) صدره : أَرَى الْأَمْرَ لَا يَزْدَادُ إِلَّا تَقَافًا .

(٥) وقيل : حَقَّقَتْ لِي الْغَنَى الَّتَى لَيْسَ بِمَدَّةٍ مَقَامٌ فَلَالِ يَالْتِى كَلَامٍ

بتشديد الفاء وتخفيفها لتوفيتها الزاقلين حساً ومعنى وأهلها الموفون بما عاهدوا الله عليه .

٨٩- « النّاجية » : بالجيم لنجاتها من العتاة والطاعون والدّجال أو لإسراعها في الخيرات فحازت أشرف المخلوقات ولا ارتفاع شأنها . ٩٠- « نَبْلَاءَ » : نُقِلَ من كراع ، قال السيد : وأظنه بفتح النون وسكون الموحدة مأخوذ من النُّبْل بالضم والسكون وهو الفضل والتّجاجة . ٩١- « النُّخر » : بفتح النون وسكون الحاء المهملة ، سميت به إما لشدة حرّها كما يقال نَحَرَ الظهيرة وإما لإطلاق النُّخر على الأصيل وهما أساس بلاد الإسلام . ٩٢- « الهنّراء » : ذكره ابن النّجار بدل العنّراء نقلاً عن التوراة ، رُوي بالدال المعجمة وذلك لشدة حرّها ، يقال يوم هاذر شديد الحرّ ، أو لكثرة مياهها وأصوات سوانيتها ، ويقال هَلَر في كلامه إذا أكثر ، ويحتمل أن يكون بالمهملة من هَلَر الحمام إذا صَوَّت ، والماء انصَب وانهمر والعشب طال ، وأرض هائرة كثيرة النبات . ٩٣- « يَثْرِب » : لغة في أَثْرِب وقد تقدم الكلام عليه فيه ، وسأقي أحاديث النهي عن تسميتها بذلك . ٩٤- « يَنْدَد » : بدالين مهملتين ذكره كراع وهو إما من النَّد وهو الطّيب المعروف أو النَّد التَّلّ المُرتفع أو من النّاد وهو الرّزق . ٩٥- « يَنْدَر » : كَحَيْدَر براء بدل الدال الثانية مما قبله ، كذا في حديث : « للمدينة عشرة أسماء » في بعض الكتب ، وفي بعضها الآخر بمثناة فوقية ودالين [تَنْدَد] ، وفي بعضها كذلك بفوقية ودال وراء [تَنْدَر^(١)] ، وصَوَّب المجد اللغوي « يَنْدَد » / فقط ٤٢٧ . بالتحنية ودالين ، وفيه نظر . والحديث رواه ابن زبّالة إلا أنه سردها تسعة ، ورواه ابن شبة وسردها ثمانية فحذف منه الدار ، ثم رُوي من [طريقه أيضاً عن عبد الله^(٢)] بن جعفر [بن أبي طالب^(٣)] تسميتها بالدار والإيمان ثم قال : « [وجاء في الحديث الأول] ثمانية أسماء وجاء في هذا الحديث اسمان^(٤) » [فالله أعلم أمّا تمام العشرة أم لا . ورواه ابن زبّالة كذلك إلا أنه سرد تسعة فزاد اسم « الدار » وأسقط العاشر ، ونقل ابن زبّالة أن عبد العزيز بن محمد الداروردي قال : بلغني أنّ للمدينة في التوراة أربعين اسماً ، انتهى ما ذكره السيد رحمه الله مع زيادات فيه .

(١) زاد السهوي (ج ١ ص ١٩) : فحرم من مجموع ذلك أربعة أمم اثنان بالفتحة الصحيحة (يتند ويندر)

واثنان بالفوقية (تتند وتندر) .

(٢) زيادة من السهوي .

وروى الزبير بن بَكَار عن القاسم بن محمد قال : بلغني أن للمدينة أربعين اسماً .
وروى أيضاً عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للمدينة عشرة
أسماء هي : المدينة وطيبة وطابة ومسكينة وجابرة ومجبورة وَيَتَدَّ وَيَثْرِب والدار » .
وروى أيضاً عن إبراهيم بن الحسن قال : « للمدينة في التوراة أحد عشر اسماً : المدينة وطيبة
وطابة والمسكينة والجابرة والمجبورة والمرحومة والعذراء والمحبوبة والقاصمة .

الباب الثالث

في النهي عن تسميتها يشرب

روى الإمام أحمد ومالك والشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُمِرْتُ بِقِرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى يَقُولُونَ يَشْرَبُ وَهِيَ الْمَدِينَةُ ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَلِيدِ^(١) . وروى الإمام أحمد وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند جيد عن البراء بن عازب رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَمَى الْمَدِينَةَ يَشْرَبُ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ : هِيَ طَابَةُ هِيَ طَابَةُ هِيَ طَابَةُ » . وروى ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَدْعُوهَا يَشْرَبُ فَلَهَا طَيْبَةٌ » ، يعنى المدينة ، « وَمَنْ قَالَ يَشْرَبُ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، هِيَ طَيْبَةٌ هِيَ طَيْبَةٌ هِيَ طَيْبَةٌ » . وقال الإمام عيسى بن دينار أحد أئمة المالكية : « مَنْ سَمَى الْمَدِينَةَ يَشْرَبُ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ ، وَبِذَلِكَ جَزِمَ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ كَمَالُ الدَّمِيرِيُّ^(٢) فِي مَظْمُونِهِ فِي كِتَابِ الْحَجِّ حَيْثُ قَالَ : وَمَنْ دَعَاَهَا يَشْرَبُ يَسْتَغْفِرُ فَقَوْلُهُ خَطِيئَةٌ لِيُنْتَظَرُ »

وسبب الكراهة إما لتكون ذلك مأخوذاً من الشُّرب بالتحريك وهو الفساد ، أو من التشريب وهو المُواخَذَةُ بِالذَّنْبِ . وكان صلى الله عليه وسلم يحب الاسم الحسن ، ولهذا أسماها طابة وطيبة كما تقدم . وأما تسميتها في القرآن يشرب فذلك حِكَايَةٌ عَنْ قَوْلِ الْمُنَافِقِينَ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَذَهَبَ وَهَلَ إِلَى الْيَامَةِ أَوْ هَجَرَ فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَشْرَبُ » ، وقوله في حديث آخر : « لَا أَرَاهَا إِلَّا يَشْرَبُ » ، فذلك قبل النهي عن تسميتها بذلك .

(١) أخرجه البخارى في صحيحه في كتاب الحج عن أبي هريرة (ج ٣ ص ٥٠) .

(٢) هو محمد بن موسى بن عيسى الكلال التميمي (٧٤٢ هـ - ٨٠٨ هـ) لازم بهاء الدين السبكي وتخرج به وبالأسنوى وابن عقيل شارح الألفية وبرع في التفسير والحديث والفقه وأصوله والحريية والأدب وكتب على ابن ماجه شرحاً في نحو خمس مجلدات وسماه الديباجة ومات قبل تحريره وشرح المنهاج وسماه النجم الوهاج وأشهر مؤلفاته حياة الحيوان الكبرى الذى يشتمل على استطرادات فى الأدب والتاريخ وكان للصيرى حظ وافر من العبادة وحديث بالقاهرة وبمكة وقال القرطبي فى عقود: سمعته سنين وحضرت مجلس وعظه مراراً لإصجابى به وذكره ابن سيرين فى إنباه القمى ، انظر ترجمته فى الضوء اللامع (ج ١٠ ص ٥٩ : ٦٢ رقم ٢٠٤) والخطط الجديدة للى مبارك (ج ١١ ص ٥٩) ومادة ديمري فى الموسوعة الإسلامية الجديدة (المجلد الثانى ص ١٠٨ ليلة سنة ١٩٦١ م) .

الباب الرابع

في مَحَبَّتِهِ صلى الله عليه وسلم لها ودُعَائِهِ لها ولأهلها

ورفع الوباء عنها بدعائه صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قَدِمَ من سفر فنظر إلى جِبلِ المدينة ، وفي لفظ : دَوَّحَاتِها ، وفي لفظ درجاتها طَرَحَ رداءه عن منكبيه وقال : « هذه أرواح طَيِّبَةٌ » ، وأَوْضَعَ رِاحِلَتَهُ ، وإن كان على دابة حَرَّكَهَا من حُبِّهِ ^(١) ، وفي لفظ : « تَبَاشَرُوا بِالْمَدِينَةِ » وقال : « اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حَسَنًا » . رواه الشيخان والمحاملي ٤٢٧ ظ
ومحمد بن الحَسَنِ المخزومي . وروى الإمام أحمد والشيخان وابن إسحق واللفظ له عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « لما قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قَدِمَهَا وهي أَوْبَا أرض الله من الحُمَى ، وكان وادياً يَجْرِي نَجْلًا ^(٢) - يعني ماءً آجَنًا - فَأَصَابَ أَصْحَابَهُ مِنْهَا بِلَاءٌ وَسَقَمٌ ، وَصَرَفَ اللَّهُ ذَلِكَ عَنْ نَبِيِّهِ » . قالت : « فكان أبو بكرٌ وعامر بن فُهَيْرَةَ وبلالٌ مَوْلِيَا أَبِي بَكْرٍ في بيت واحد ، فَأَصَابَتْهُمُ الحُمَى ، فاستأذَنْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في عِيَادَتِهِمْ ، فَأَذِنَ ، فدخلتُ إِلَيْهِمْ أَعُوذُهُمْ ، وذلك قبل أن يُضْرَبَ عَلَيْنَا الحِجَابُ ، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوَغَلِ ، فدنوتُ من أبي بكر فقلت : يا أَبَتُ كيف تَجِدُكَ ؟ فقال :

كُلُّ امرئٍ مُصَبِّحٌ في أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ آدِي من شِرَاكِ نَعْلِهِ

قالت : فقلتُ والله ما يَذِرُنِي أبى ما يقول ، ثم دنوتُ من عامر بن فُهَيْرَةَ فقلت : كيف تَجِدُكَ يا عامر ؟ فقال :

(١) الحديث أخرجه البخاري عن أنس مع اختلاف في اللفظ (ج ٣ ص ٥٥) .

(٢) في ص وت وم : وكان لُحْنٌ يَمْلَأُ نَجْلًا وهو خطأ وتصحيح وصوابه : وكان بطحان يجرى نَجْلًا وبطحان واد بالمدينة كما في حديث أبي موسى : يقع بطحان ضيطة البكري في مسجده (ج ١ ص ٢٥٨) يفتح الباء الموحدة وكسر اللام المهملة . ولكننا آتينا عبارة النهاية (ج ٤ ص ١٢٩) : وكان وادياً يجرى نَجْلًا وكذلك اللسان وجاء في شرحه في كل منهما : أرادت أنه كان نِزًا وهو الماء القليل تنسج وادي بالمدينة ويجمع على أنجال ، ومنه حديث الحارث بن كلفة قال لعمرو : البلاد الوبيطة ذات الأنجال واليموض أي التزوز والبق ويقال استنجل الموضع أي كثر به التجل وهو الماء يظهر من الأرض .

لقد وَجَدْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ (١) إِنَّ الْجَبَانَ حَفُّهُ مِنْ فُسُوقِهِ

كُلُّ امْرِئٍ مُجَاهِدٌ يَطُوقُهُ [كَالثَّوْرِ يَحْبِي جِلْدَهُ بِرَوْقِهِ (٢)]

قالت : فقلتُ : والله ما يَدْرِي عَامِرٌ ما يقول . قالت : وكان بلال إذا أطلع عنه الحُمَّى

اضطجع بِغِنَاءِ الْبَيْتِ ثم يرفع عقيرته ويقول :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتُنْ لَيْلَةً بِسَوَادٍ وَخَوَلِي إِذْ خَيْرٌ وَجَلِيلٌ

وَهَلْ أَرَدَنْ يَوْمًا مِثَاهُ مِجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْلُغُونَ لِي شَأْمَةً وَطَفِيلٌ

قالت : فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما سَمِعْتُهُ مِنْهُمْ . قلتُ : لِمَ

لَيْهَلُونَ وما يَعْقِلُونَ مِنْ شِدَّةِ الْحُمَّى ، فنظر إلى السماء وقال : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ

كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ (٣) » - وفي لفظ للجندى ووزين « وَأَشَدَّ » ، بالواو بدلاً من « أَوْ » -

« وَصَحَّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدَّهَا » ، ثم انقل وباعها إلى مهيعة (٤) - وهى الْجُحْفَةُ ،

وإنه لَيَبْقَى شَرْبُ الْمَاءِ مِنْ عَيْنِهَا الَّتِي يُقَالُ لَهَا عَيْنُ حُمٍّ .

وروى البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه ومحمد بن الحسن المخزومى عن ابن

عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : رَأَيْتُ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ

الرَّأْسِ ، خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى نَزَلَتْ مَهْيَعَةً ، فَأَوَّلَتْهَا أَنْ وَبَاءَ الْمَدِينَةَ نُفْلٍ إِلَى مَهْيَعَةٍ .

ووروى الزبير بن بَكَّارٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ مُرْسَلًا قَالَ : « أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ يَوْمًا ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ قَدِيمٌ مِنْ نَاحِيَةِ طَرِيقِ مَكَّةَ ، فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَقِيتَ أَحَدًا ؟ قَالَ :

لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا امْرَأَةً سَوْدَاءَ عَرِيَانَةَ ثَائِرَةَ الشَّعْرِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« تِلْكَ الْحُمَّى وَلَنْ تَعُودَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا » . وَرَوَى أَيْضًا عَنْ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ

ابْنِ الْحَارِثِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَعَكَ أَصْحَابُهُ ،

وَقَدِمَ رَجُلٌ فَتَزَوَّجَ امْرَأَةً كَانَتْ مَهَاجِرَةً ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْبَنْبَرِ

فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » - ثلاثاً - « فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ / إِلَى اللَّهِ ۚ ۲۸

(١) فى رواية : قد فقت طم الموت قبل ذوقه .

(٢) زيادة من السهوى (ج ١ ص ٣٩) ويروقه أى يقرنه .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه (ج ٥ ص ١٦٨) وكذلك (ج ٣ ص ٥٩)

(٤) أخرجه البخارى (ج ٥ ص ١٦٨) بلفظ : وأنقل جامها فاجعلها بالجففة .

ورسوله فهجرتُهُ إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يطلبها أو امرأة يخطبها
فإنما هجرته إلى ما هاجر إليه ^(١) ، ثم رفع يديه وقال : « اللهم انقل عنا الوباء » - ثلاثاً -
فلما أصبح قال : أتيتُ الليلة بالحُمى فإذا عجوزٌ سوداء مُلَبَّبةٌ في يَدَيَّ الذي جاء بها فقال :
هذه الحُمى فما ترى فيها ؟ فقلت : « اجعلوها بِحُمٍ » . وروى البيهقي عن هشام بن عروة
قال : كان وباء المدينة معروفاً في الجاهلية ، وكان إذا كان الوادي وبئساً فأشرف عليه
إنسان فقيل له : انتهى نهيق الحِمَار ، فإذا فعل ذلك لم يضره ، قال الشاعر ^(٢) :

لَعَمْرِي لئن عَشَرْتُ من حَشِيَةِ الرَّدَى نَهَيْقَ الحِمَارِ لَأَنْتَى لَجَزُوعٌ

قال هشام : وكان المولود إذا وُلِدَ بالجُحْفَةِ لم يَبْلُغْ الحُمُّ حتى تصرعه الحُمى . وقال
ابن إسحق : وذكر ابن شهاب الزهري عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قَدِمَ المدينة هو وأصحابه أصابتهم حُمى المدينة حتى جهلوا مَرَضاً ، وصَرَفَ الله ذلك
عن نبيه صلى الله عليه وسلم حتى ما كانوا يُصَلُّونَ إلّا وهم قعود ، قال : فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم يُصَلُّونَ كذلك فقال لهم : « اعلموا أن صلاة القاعد على النصف
من صلاة القائم ^(٣) » ، فتَجَسَّمُ المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماساً للفضل .
وَمَنْ أَنَسَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَيَّ
مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ ^(٤) » ، رواه الشيخان . وعن عبد الله بن زيد رضى الله عنه أن
رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن إبراهيم حَرَّمَ مكة وإني حَرَّمْتُ المدينة ودَعَوْتُ
هنا في مُدَّهَا وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة » ، - حديث مُتَّفَقٌ عليه - وعن عبد الله بن
الفضل بن العباس رضى الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أدعوك
لأهل المدينة بمكة » ، قال عبد الله : إنا لنتعرف ذلك ، إنا لَنُجْزِي المُدَّ عندنا والصباغ
يَمُتَلِي ما يُجْزِي بِمَكَّةَ ، رواه البخاري في تاريخه . وروى الزبير بن بكار عن إسماعيل بن
النعمان قال : « دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لِنَعْمٍ كانت تَرَعَى بالمدينة فقال :

(١) حديث الأعمال بالنيات أخرجه البخاري في كتاب الإيمان (ج ٢ ص ٢٧) عن عمر .

(٢) هو عروة بن الورد المبيى وشرحنا التمشير في حاشية سابقة .

(٣) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب صلاة القاعد (ج ٢ ص ١١٠ : ١١١) بلفظ آخر عن عمران بن حصين .

(٤) صحيح البخاري (ج ٣ ص ٥٥) .

« اللهم اجعل نصف أكراسها مثل ميلها بغيرها من البلاد ^(١) » .

وعن عليّ بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم إن إبراهيم عبّدك وخطبك دعا لأهل مكة بالبركة وأنا محمد عبّدك ورسولك وأنا أدعو لأهل المدينة أن تُبارك لهم في صاعهم ومُدّهم مثلما باركت لأهل مكة واجعل مع البركة بَرَكَتَيْن ^(٢) » ، رواه الترمذی وصَحَّحَهُ والطبرانی برجال الصحيح .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاعوا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا أخذهُ رسول الله - زاد الطبرانی : وضعه على عينيه - قال : « اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ، وبارك لنا في مُدنا ، اللهم إن إبراهيم عبّدك وخطبك وتبيّك وإنه دعاك لمكة ، وإنى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه » . قال : ثم يدعو أصغر وليد فيعطيه ذلك الثمر . رواه مسلم ^(٣) والترمذی والطبرانی .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : اقتضى هذا الحديث تكرير الدعاء بتكرير ظهور الثمرة والإتيان بأولها .

الثاني : تكرير دعائه صلى الله عليه وسلم / بتحييته المدينة ، والظاهر أن الإجابة حصلت ٤٢٨
بالأول والتكرير لطلب المزيد . الثالث : الوَبَاءُ عموم الأمراض ، وهو أَعَمُّ من الطاعون ، ولا يُعَارِضُ قنومهم المدينة - وهى وبئة - نهيه صلى الله عليه وسلم عن القدوم على الطاعون ، لأن ذلك كان قبل النهي ، أو أن النهي يَحْتَضِرُ بالطاعون ونحوه من الموت السريع ، لا المرض ولو عمَّ . الرابع : هذه البركة المذكورة في الحديث في أمر الدين والدنيا ، لأنها النِّمَاءُ والزيادة ، فالبركة حاصلة لها في نفس الكَيْل ، بحيث يكفى المُدَّ بها مَنْ لا يكفيه المعجزات إذ لا يُقَدَّرُ عليه جميع الأطباء ، قال النووي : وهذا عَلَمٌ من أعلام نُبُوِّهِ صلى الله عليه وسلم

(١) هكذا في الأصول ولم تنبه إلى نص الحديث والمراد منه .

(٢) أخرجه يلفظ آخر مسلم في صحيحه بشرح النووي (٩ ص ١٢٤ : ١٣٥) عن عبد الله بن يزيد بن عامر .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي (٩ ص ١٤٥ : ١٤٦) .

عليه وسلم ، فإن الجُحَّةَ [من] ^(١) يومئذ وبَيْتُهُ ولا يشرب أحدٌ من مائها إلا حُمَ ، وقال الخطَّابي : كان أهل الجُحَّةِ إذ ذاك يهوداً .

السادس : في بيان غريب ما سبق : « الجُّلُّر » : جمع جِدَار ككِتَاب وَكُتِبَ ، والجِدَارُ الحائط . « اللُّوْحَات » : بالدال والحاء المهملتين جمع ذُوْحَة مثل ثَمَرَة وَثَمَرَات ، واللُّوْحَة الشجرة العظيمة . « اللَّرَجَات » : جمع ذَرَجَة وهى هنا الطَّرُق . « الأرواح » : جمع رِيح بمعنى رائحة وهى عَرَضٌ يُدْرِك بحاسة الشَّم . « أَوْضَعَ رَاحِلَتَهُ » : أَوْضَعَ بالضاد المعجمة والعين المهملة ، أى حَتَمَهَا على السرعة . « القَرَار » : بالقاف : المُسْتَقِرُّ من الأرض . « بَطْحَان » : بضم المُوحَّدة فسكون الطاء المهملة وقيل بفتح أوله وكسر ثانيه ^(٢) : واد من أودية المدينة . رَوَى ابْنُ شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرْفُوعاً أَنَّ بَطْحَانَ عَلَى تَرَعَةٍ مِنْ [تُرَع] الْجَنَّةِ . « نَجَلًا » : بفتح النون وسكون الجيم أى أَنَّ وادِهَا كَانَ نَزْلاً . قال : النَّجْلُ الماء حين يَسِيل ، وَفَسَّرَهُ الْبَخَارِيُّ ماءً آجِناً . قال القاضي : « وَهُوَ خَطَأً » ، وقال الحافظ : « وليس كما قال . فإن عائشة قالت ذلك في مقام التعليل لكون المدينة كانت وبَيْتَهُ ، ولا شك أَنَّ النَّجْلَ إِذَا فَسَّرَ بِكَوْنِهِ الماء الحاصل من النَّزْرِ ، فهو بصدد أَنَّ يَتَغَيَّرَ ، وَإِذَا تَغَيَّرَ كَانَ اسْتِعْمَالُهُ مِمَّا يُخْلِفُ الْوَبَاءَ فِي الْعَادَةِ » . « وَخَلَك » : الْوَعْلُكَ بفتح الواو وسكون العين المهملة الحُمَى . « كَيْفَ تَجِدُكَ » : أى تَجِدُ نَفْسَكَ أَوْ جَسَدَكَ « مُصْبِح » : بِمِيمٍ مضمومة وصاد مهملة فمُوحَّدة ، وزن مُحَمَّد ، أى مصاب بالموت صباحاً ، وقيل المراد يُقَالُ صَبَحَكَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ ، وَقَدْ يَفْجَأُهُ الْمَوْتُ فِي بَقِيَةِ النَّهَارِ وَهُوَ مُقِيمٌ بِأَهْلِهِ ، وَيُرَوَّى بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَهُوَ أَيْضاً مَكَانٌ بِمَكَّةَ ^(٣) . « شِرَاكَ النَّعْلِ » : بكسر الشين المعجمة وتخفيف الراء : السير الذى يكون في وجه النَّعْلِ ، والمعنى أَنَّ الْمَوْتَ أَقْرَبَ إِلَى الشَّخْصِ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ بِرَجْلِهِ . « بِطَوِّفِهِ » : الطَّوْقُ هنا الطاقة والعُدَّة . « الرُّوقُ » ^(٤) بالراء والقاف الْقَرْن . « عَقِيرَتُهُ »

(١) إضافة يقتضيا السياق .

(٢) البكرى في معجمه (ج ١ ص ٢٥٨) لا يرى إلا وجهها واحداً في ضبط كلمة بطحان فهو يقول بطحان بفتح أوله وكسر ثانيه وبالحاء المهملة حل وزن فلان لا يجوز غيره . وقال ابن مقبل يرقى عيان بن عيان : عفا بطحان من قریش فيثرب فلقى الرجال من منى فالحجسب .

(٣) لم نثر حل مصيغ بالخاء المعجمة في أخبار مكة للأزرق ولا في معجم البكرى ولا في معجم البلدان لياقوت .

(٤) هذه الكلمة وردت في حيز بيت لم يذكره المؤلف وقد أثبتناه فيما سبق ، وهذا يدل على أَنَّ الْمُؤَلِّفَ يَشْرَحُ أَمْثَالاً يُعَيِّنُ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَوْرَدَهَا فِي صِلْبِ كِتَابِهِ

أى صوته ، قال الأصمعي أن رَجُلًا عَقِرَتْ رِجْلُهُ فَرَفَعَهَا عَلَى الْأُخْرَى وَجَعَلَ يَصِيحُ فَصَارَ كُلُّ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ يُقَالُ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ وَإِنْ لَمْ يَرْفَعْ رِجْلَهُ ^(١) ، قال ثعلب : وهذا من الأُمَيَّاءِ الَّتِي اسْتَعْمِلَتْ عَلَى غَيْرِ أَصْلِهَا . « بَوَادٍ » : أى بَوَادَى مَكَّةَ ^(٢) . « الْإِذْخِر » : بِكسر الهمزة والخاء المعجمة بينهما ذال معجمة : نَبْتُ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ . « جَلِيل » : بِالْجِيمِ وَاللَّامِ : وَالثَّمَامُ ^(٣) بضم الثاء المثناة : نَبْتُ ضَعِيفٍ لَهُ خَوْصٌ أَوْ مَا يَشْبِهُهُ . « مَجَنَّةٌ » : بِكسر الميم وفتحها سوقٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ « يَبْدُونُ » : أى يَظْهَرُونَ « شَامَةٌ » : بِالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ « وَطْفِيلٌ » بطاء مهملة مفتوحة وفاء مكسورة فمشناة تحتية : جَبَلَان . قال البكري ^(٤) : جَبَلَانُ مُشْرِفَانِ عَلَى مَجَنَّةٍ عَلَى بَرِيدٍ مِنْ مَكَّةَ . « يَهْلُونُ » : بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ : يَخْلُطُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ بِمَا لَا يَنْبَغِي . « مَهْيَعَةٌ » : بِفَتْحِ الْمِيمِ وَسُكُونِ الْهَاءِ / وَفَتْحِ الْمُثَنَاءِ التَّحْتِيَةِ وَالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ ^(٥) . « الْجُحْفَةُ » : ٤٢٩
بجيم مضمومة فحاء مهملة ساكنة ففاء مفتوحة قرية جامعة لأن السيول اجتمعتها ^(٦) .
« ثَائِرَةُ الرَّأْسِ » : بِالثَّلَاثَةِ : مُنْتَشِرَةٌ شَعْرُ الرَّأْسِ . « مُلَبَّيَّةٌ » : بضم الميم وفتح اللام والموحدة الأولى المشددة وتخفيف الثانية ، يُقَالُ لَبَّيْتُهُ بِالتَّشْدِيدِ إِذَا جَمَعْتَ ثِيَابَهُ عِنْدَ نَحْرِهِ ثُمَّ جَرَرْتَهُ . « نَحَمٌ » : بِخَاءٍ مَعْجَمَةٍ مَضْمُومَةٍ فَمِيمٌ مُشَدَّدَةٌ : غَدِيرٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْجُحْفَةِ يَسْرُهُ عَنِ الطَّرِيقِ ^(٧) . « جُهْدَا » : بِالضَّمِّ مَبْنِيٌّ [لِلْمَفْعُولِ] أى حَصَلَ لِمِ الْجَهْدِ وَهُوَ بِالْفَتْحِ الْمَشَقَّةُ فَتَجَشَّمُ الْمُسْلِمُونَ الْقِيَامَ أى تَكَلَّفُوهُ . « التَّاسُ الْفَضْلُ » : أى طَلَبُهُ . « الْأَكْرَاشُ » : جَمْعُ كَرَّشٍ بِكسر الكاف يَذْكُرُ وَيُؤَنِّثُ وَهُوَ لَدَى الْخُفِّ وَالظَّلْفِ كَالْمَعْدَةِ لِلْإِنْسَانِ .

(١) زَادَ فِي الْهَيْأَةِ : وَالْمَقِيرَةُ فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ .

(٢) وَوَرَدَتْ أَيْضًا فِي ابْنِ حِشَامٍ بِنْفٍ وَكَذَلِكَ فِي مَعْجَمِ الْبَلَدَانِ وَقَالَ يَأْقُوتُ هُوَ وَادٍ بِمَكَّةَ . وَفِي مَعْجَمِ الْبَكْرِى مَوْضِعٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ .

(٣) الثَّمَامُ نَبْتُ ضَعِيفٍ قَصِيرٍ لَا يَطُولُ . قَالَهُ فِي الْهَيْأَةِ .

(٤) هَذَا فِي مَعْجَمِ الْبَكْرِى ج ٣ ص ٨٩٢ .

(٥) الْجُحْفَةُ سَمَاءُهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَهْيَعَةٌ إِذْ قَالَ : « اللَّهُمَّ انْقُلْ رِبَاءَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَهْيَعَةٍ » رَوَاهُ هِشَامُ بْنُ هُرَيْرَةَ عَنْ أَبِيهِ مِنْ عَائِشَةَ عَنْهُ . وَالْجُحْفَةُ هِيَ فِي الطَّرِيقِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ . وَفِي السَّحَابِ : الْمَهْيَعَةُ هِيَ الْجُحْفَةُ وَهِيَ مَقَاتُ أَهْلِ الشَّامِ .

(٦) فِي الْأَصُولِ : اجْتَمَعَتْهَا ، وَجَعَلَ الشَّيْءُ يَجْتَمِعُ جَمْعًا مِنْ بَابِ فَتَحَ قَشْرَهُ . وَفِي الْمَصْبَاحِ : اجْتَمَعَ السَّبِيلُ بِالشَّيْءِ اجْتِمَاعًا ذَهَبَ بِهِ ، وَهَذَا يُتَذَكَّرُ بِالْأَبَاءِ . وَفِي مَعْجَمِ الْبَكْرِى اجْتَمَعَتْهَا وَحَدَّدَ الْفَيَّوْمُ مَوْضِعَ الْجُحْفَةِ يَقُولُهُ : هِيَ مَوْزَلٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ قَرِيبٌ مِنْ رَابِعِ بَيْنِ بَدْرٍ وَخَلِيسٍ .

(٧) زَادَ الْبَكْرِى يَقُولُهُ : وَهَذَا الْغَدِيرُ تَصَبُّ فِيهِ عَيْنٌ وَسُحُولُهُ شَجَرٌ كَثِيرٌ مُلْتَفٍ ، وَهِيَ الْفَيْضَةُ الَّتِي تَسْمَى عَيْنَ غَمٍّ وَبَيْنَ الْغَدِيرِ وَالْبَيْنِ مَسْجِدُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الباب الخامس

في عصمتها من الدجال والطاعون

ببركته صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على أنقاب المدينة ملائكة يحرسونها ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال ، رواه الشيخان ^(١) . وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ، ليس من نقب من أنقابها إلا عليه ملائكة صافين يحرسونها . فينزل السبخة ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ^(٢) فيخرج إليه كل كافر ومنافق » ، [حديث] متفق عليه . وعن أبي بكر رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال ، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان » ، رواه البخارى .

وعن تميم الدارى رضى الله عنه في حديثه الطويل في رؤية الدجال في اليقظة أن الدجال قال : يوشك أن يؤذن لى في الخروج فأخرج فأسير في الأرض ، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة ، هما مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ ، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلنى ملكٌ بيده السيف صلّتا ^(٣) ، يصدنى عنها ، وأن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخبرته في المنبر : « هذه طيبة ، هذه طيبة » ، رواه مسلم . وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله »

(١) صحيح البخارى (ج ٣ ص ٥٢) وصحيح مسلم بشرح النووي (ج ٩ ص ١٥٣)

(٢) قال النبي في عدة القارى (ج ١٠ ص ٥٤٤) أى يحصل بها زلزلة بعد أخرى ثم في الرجفة الثالثة يخرج منها من ليس غلصا في إيمانه ويقيم بها المؤمن الغلص فلا يسلط عليه الدجال .

(٣) في النهاية (ج ٢ ص ٢٧١) فاستقر السيف وهو في يده صلّتا أى مجردا يقال أصلت السيف إذا جرده من غمده ، وضربه بالسيف صلّتا وصلّتا بفتح الصاد وضما .

تعالى » ، قوله إن شاء الله تعالى للتبرك وللجزم به في بقية الأحاديث . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : « يأتي اللجّال وهو مُحَرَّمٌ عليه أن يدخل أنقاب المدينة ، هينزل بغضن السباخ التي تلى المدينة ، فيخرج إليه يومئذ رجلٌ هو خير الناس أو من خير الناس فيقول : أشهد أنك اللجّال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه ، فيقول اللجّال : أرايتم إن قتلتم هذا ثم أحييته هل تشكّون في الأمر ؟ فيقولون : لا ، فيقتله ثم يحييه ، فيقول : والله ما كنتُ فيك أشد بصيرة مني اليوم ، فيريد اللجّال أن يقتله فلا يُسلط عليه » ، رواه البخاري ^(١) .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : صَحَّ في أحاديث كثيرة / أن الطاعون شهادة . قيل : وإذا كان كذلك ٤٢٩ ظ فكيف قُرِنَ باللجّال ، وكيف مُلِحَت المدينة الشريفة بأنّه لا يدخلها ؟ والجواب أنه كونه شهادةً ورحمةً ليس المراد بوصف ذلك ذاته ، وإنما المراد أن ذلك يترتب عليه وينشأ عنه ، وأنه سببه ، فإذا تَقَرَّرَ ذلك واستُحْضِرَ ما ورد في الأحاديث من أن طعن الجن ^(٢) ظهر به مدح المدينة بأنّه لا يدخلها إشارة إلى أن كُفَّار الجنّ وشياطينهم ممنوعون من دخول المدينة الشريفة ، ومن اتفق دخوله إليها منهم لا يتمكن من آحاد أهلها بالطعن حمايةً من الله تعالى لهم منهم . فإن قيل : طعن الجنّ لا يختص بوقوعه من كُفَّارهم في مؤمنى الإنس ، بل يقع من مؤمنى الجنّ في كُفَّار الإنس ، فإذا سلم منع الجنّ الكُفَّار من المدينة لم يُمنع من آمن منهم من دخولها . فالجواب : إن دخول كُفَّار الإنس المدينة غير مُباح ، فإنه إذ لم يسكن المدينة إلا من أظهر الإسلام ، جرّت عليه أحكام المسلمين ، وصار من لم يكن خالص الإسلام تبعاً للخالص ، فحصل الأمن من دخول الجنّ إليهم ، فلهذا لا يدخلها الطاعون أصلاً . قال الحافظ في بَكل الطاعون في أخبار المدينة : وهذا الجواب أحسن من جواب القرطبي في المُعْتَمَد حيث قال : « المعنى لا يدخلها من الطاعون »

(١) صحيح البخاري (٣ من ٥٣ : ٥٤) كتاب الحج عن أبي سعيد الخدري :

(٢) جاء في السهوي (١ ج ٢ ص ٤٦) : والحق أن المراد بالطاعون في هذه الأحاديث (هو) الذي ينشأ من

طعن الجن فيجج به الدم في البدن فيقتل ، فهذا لم يدخل المدينة قط .

مثل الذى فى غيرها كطاعون عَمَاس^(١) والجارف . وهو جواب صالح على تقدير التَّنَزُّلِ أَنْ لو وقع شَيْءٌ من ذلك بها . وقال غيره : سبب الرحمة لم ينحصر فى الطاعون وقد قال صلى الله عليه وسلم : « غير أَنْ عافيتك أوسع لى » ، فإن ذلك من خصائص المدينة الشريفة ، ولوازم دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لها بالصحة . وأجاب المنبجى بأجوبة منها أنها صغيرة ، فلو وقع بها الطاعون أفنى أهلها ، ومنها أنه عَوْضُهم عن الطاعون بالْحُمَّى لِأَنَّ الطاعون يأتى بعد مدة والحُمَّى تتكرر فى كل مدة فتعادلا . قال الحافظ : « ويظهر لى جواب أخص من هذه الأجوبة بعد استحضار حديث أبى عسيب^(٢) أَنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتانى جبريل بالحُمَّى والطاعون فأمسكت الحُمَّى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام » ، الحديث ، وهو أَنَّ الحكمة فى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة كان فى قلة من أصحابه عَدَدًا ومَدَدًا من زَادٍ وَغَيْرِهِ ، وكانت المدينة وبيئتها كما سبق ، فناسب الحال الدعاء بتصحيح المدينة لتصح أجساد المقيمين بها لِيَقْوُوا على جهاد الكفار ، وَخَيْرُ النبي صلى الله عليه وسلم فى أَمْرَيْنِ ، يحصل لمن أصاب كلاً منهما عظيم الثواب ، وهما الحُمَّى والطاعون ، فاختار الحُمَّى بالمدينة لِأَنَّ أمرها أخف من أمر الطاعون لسرعة الموت به غالباً .

فلما أُذِنَ له فى القتال كانت قضية استمرار الحُمَّى ضعف الأجساد التى تحتاج إلى القوة فى الجهاد ، فلما حينئذ ينقل الحمى إلى الجُفَّةِ فَأُجِيبَ دعاؤه ، وصارت المدينة من أَصَحِّ بلاد الله ، فإذا شاء الله موت أَحَدٍ منهم ، حصل له التى كانت من الطاعون بالقتل فى سبيل الله الذى هو أعلى درجة ، ومن فاته ذلك منهم مات بالحُمَّى التى هى حظ المؤمن من النار ، كُلُّ يَوْمٍ منها يُكْفَرُ سَنَةٌ .

(١) عماس كما ضبطه ابن الأثير فى الكامل (ج ٢ ص ٢٣٧ بولاق سنة ١٢٩٠ هـ) بفتح العين المهملة والميم والواو ويعد الألف سين مهملة . وهكذا ضبطه البكرى فى محبته وقال : عماس (ج ٣ ص ٩٧١)
 (٢) قرية من قرى الشام بين الرملة وبيت المقدس وهى التى ينسب إليها الطاعون لأنه منها بدأ واستدرك عليه الزبيدى فى التاج أنه يسكون الميم . وقيل إنما سمي طاعون عماس . لأنه عم وآس أى جبل يقضى الناس أسوة بيمس . وفى المعارف لابن قتيبة أن الطاعون اجاروف حدث فى سنة ٦٩ هـ فى العراق فى زمن ابن الزبير وحل البصرة يومئذ عبيد الله بن عبد الله بن مسمر (ص ٢٩٩) .
 (٢) هو أبو عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر أسد الغابة (ج ٥ ص ٢٥٤) .

واستمر ذلك بالمدينة بَعْدَهُ صلى الله عليه وسلم تحقيقاً لإجابة دُعائه صلى الله عليه وسلم. نَعَمْ شاركتها في ذلك مكة المُشْرِقة فلم يدخلها الطاعون فيما مضى من الزمان كما يرويه ابن قتيبة في المعارف^(١)، ونقله جماعة من العلماء عنه وأقروه إلى زمان الإمام النووى رحمه الله. ذكر ذلك في كتاب الأذكار وغيره، لكن قد قيل إنه دَخَلَهَا بعد ذلك في الطاعون العام / الذى وقع في سنة تسع وسبعين وسبعمائة^(٢)، صَرَّح بذلك غَيْرُ واحد من أهل ذلك و٤٣٠ الزمان. الثانى: مَنَعَ الطاعون عن المدينة معجزة عظيمة لأن الأطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا أن يدفعوا الطاعون عن بلد من البلاد بل عن قرية من القرى^(٣) وقد امتنع الطاعون، عن المدينة بدعائه صلى الله عليه وسلم هذه المدة الطويلة. الثالث: ظاهر الأحاديث أن اللُّجَّال يدخل جميع البلاد، وبذلك قال الجمهور، وشَدَّ ابن حَزْم فقال: «المراد أن يدخله بَغْتَةً [هو] وجنوده». وكأنَّه استبعد إمكان دخول الدجال جميع البلاد لِقِصَر مُدَّتِهِ، وَغَفَلَ عَمَّا ثَبِتَ في صحيح مسلم أن بعض أيامه يكون قَدَرُ السَّنة. الرابع: في بيان غريب ما سبق: «الأنقاب»: بالْقَاف جمع نَقَب^(٤) بفتح النون والقاف بعدها موحدة، والنَّقَاب بالكسر جمع نَقَب بالسكون وهما بمعنى والمراد الطريق في الجبل وغيره «السَّبْخَةُ»: بفتح السين المهمله والباء الموحدة والهاء المعجمة موضع بالمدينة بين موضع الخندق وبين جبل سَلْع^(٥). «ترجف المدينة»: أى يحصل بها زلزلة بعد أخرى ثم ثالثة

(١) أورد ابن قتيبة في كتابه المعارف (ص ٢٥٩ : ٢٦٠) قُبلة عن الطوائف وأوقاتها منها عواس في خلافة عمر والجارف سنة ٦٩ هـ وثالث في عهد عبد الملك وغيرها. ثم أضاف: ولم يقع بالمدينة ولا مكة طاعون قط. وفي الكامل لابن الأثير (ج ٢ ص ٢٣٦ : ٢٣٧) والرياض النضرة للمسب الطبرى (ج ٢ ص ٣١٤ : ٣١٥) خبر مطول عن طاعون عواس.

(٢) لم يرد ذكر لهذا الطاعون في كل من التجوم الزاهرة وشلوات الذهب. والسلوك للمقرئى.

(٣) اقتبس المؤلف هذا من وفاء الوفا السهووى مع الاختصار وتامه يتضمن أن الطاعون مع ذلك يقع بالمجاز ويدخل قرية ينبع وجدة والفرع والصفراء والخيف وغير ذلك من الأماكن القريبة من المدينة ومع ذلك لا يدخل المدينة كما شاهدنا ذلك في طاعون أواخر سنة ٨٨١ هـ مع أوائل التى بعدها. ثم أضاف السهووى: وبالجمله فالمدنية محفولة منه أتم الحفظ فله الحمد والملة (ج ١ ص ٤٧).

(٤) ضبط ابن الأثير في النهاية (ج ٤ ص ١٦٨) كلمة نقب بفتح النون وقال بأنه الطريق بين جبلين ويجمع على أنقاب ونقاب جمع قلة لنقب.

(٥) السبخة بالتحريك ويسكن: أرض ذات ملح ونز جمعها سبخ وفي معجم البكرى (ج ٣ ص ٧١٧) السبخة بفتح أوله وثانيه وبانحاء المعجمة موضع بالمدينة بين الخندق وبين سلع، وبلغ بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده عين مهمله جبل متصل بالمدينة. (ج ٣ ص ٧٤٧).

حتى يخرج منها من ليس مخلصاً في إيمانه ، ويبقى بها الدين الخالص فلا يُسلَّط عليها
 اللُّجَّال ، ولا يُعَارِض هذا ما في حديث أبي بكر : « لا يدخل المدينة رُعب اللُّجَّال » لأنَّ
 المراد بالرُّعب ما يحدث من الفزع من ذِكْرِهِ ، والخوف من عُتُوِّهِ ، لا الرُّجْفَةُ التي تقع
 بالزلزلة لإخراج مَنْ ليس بِمُخْلِصٍ . « صَلَّاتُ » : أى مُجَرِّداً من غَمَلِهِ . « الْمِخْصَرَةُ » :
 بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الصاد المهملة ، وهى العصا أو نحوها ، يأخذها
 الرجل بيده . « يُوشِكُ » : أى يَقْرُبُ .

الباب السادس

في الحث على الإقامة والموت بها والصبر على آوائها ونفيها
الخبث والذنوب واتخاذ الأصول بها والنهي عن هدم بنيانها

عن الصميتة - بصاد مهمل فميم مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة
فهاء تأنيث - اللثيمة^(١) رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
«من استطاع منكم ألا يموت إلا بالمدينة فليمت بها ، فإن من يموت بها يشفع أو يشهد له » .
رواه ابن حبان والبيهقي .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من استطاع
أن يموت بالمدينة فليمت بها فلا يشفع لمن يموت بها » . رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه
ابن حبان . وعن سفيان بن أبي زهير^(٢) رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : «يُفْتَحُ الْيَمَنُ فيخرج قومٌ من المدينة بأهلهم ومن أطاعهم يبسون^(٣) ،
والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ، ويُفْتَحُ الْعِرَاقُ ، فيخرج قومٌ بأهلهم ومن أطاعهم
والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون » . رواه الشيخان^(٤) .

(١) الصميتة اللثيمة من بى لث بن بكر بن عبد مناة كانت في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت في
حجر عائشة ويقول ابن حجر في الإصابة (ج ٨ ص ١٣٠) : لا منافاة بين الروایتين . هذا وقد ورد اسمها محرفا في طيبة
الإصابة ، القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ إذ ورد : « الصميتة بالتصغير الجدية ويقال البدائية . وأورد ابن الأثير في أمد القامة
(ج ٥ ص ٤٢٤) طرقت إسناده حديثها .

(٢) هو سفيان بن أبي زهير الأزدي الشنوي من أزد شنوءة ، وهناك اختلاف في نسبة ذكره ابن الأثير في أمد القامة
القائمة (ج ٢ ص ٣١٩) وأورد الحديث بلفظ يفتح الشام بدلا من اليمن .

(٣) لفظ الحديث في النهاية : يخرج قوم من المدينة إلى العراق والشام يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .
وشرح ابن الأثير كلمة يبسون بقوله : يقال بست الناقة وأبستها إذا سقطها وزجرتها وقلت لها يس يس بكسر الياء
وتخفيفها . وقال السهوي في غريبها وشرحها : يبسون يفتح المثناة التحتية أوله ، وضمت الياء الموحدة وكسرها . ويقال
أيضا يضم المثناة وكسر الموحدة : يسوقون بها بهم سوقا شديدا ، وقيل ليس سرعة الذهاب (وفاء الوفا ج ١ ص ٢٩) .

(٤) صحيح البخاري كتاب الحج باب من رغب عن المدينة (ج ٣ ص ٥١ : ٥٢) وصحيح مسلم بشرح التبروي
(ج ٩ ص ١٥٨) .

وروى الإمام أحمد والبخاري برجال الصحيح عن جابر بن عبد الله ، ومسلم عن أبي هريرة ، والطبراني برجال ثقات عن أبي أيوب وزيد بن ثابت ، والطبراني برجال ثقات عن أبي أسيد الساعدي^(١) رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سيأتي على الناس زمان يُفْتَح فيه فتحات الأرض فيخرج إليها دجال - وفي لفظ : فيخرج الناس إلى الأرياف يلتصمون الرِّخاء ، فيجدون رخاء ، وفي لفظ : مَطْعَمًا وَمَلَبَسًا ومركبًا ، فيقال لهم : هلم إلينا فإنكم بأرض حجاز جنوبية والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وفي لفظ فيكتبون / إلى أهلهم هلموا إلينا ، فإنكم بأرض حجاز جنوبية ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وفي لفظ : فيمرون على إخوان لهم حُجَّابًا أو عُمَارًا ، فيقولون : ما يقيمكم في لأواء العيش وشدة الجوع ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذاهبٌ وقاعد ، حتى قالها مراراً ، والمدينة خير لهم ، لا يثبت فيها أحد فيثبت للأوائها وشدتها حتى يموت إلا كُنْتُ له يوم القيامة شهيداً أو شفيعاً ، والذي نفسي بيده لا يخرج أحدٌ رغبةً عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه ، ألا إن المدينة كالكبير تُخْرِجُ الخبيث ، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكبير خبث الحديد^(٢) .

وعن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يصبر على لأواء المدينة وشِدَّتْهَا أحدٌ من أمتي إلا كُنْتُ له شفيعاً يوم القيامة » ، رواه مسلم . وعن عمر رضى الله عنه أنه قال : اللهم ارزقني قتالاً في سبيلك واجعل موتى في بلد رسولك ، رواه البخاري^(٣) .

وعن يحيى بن سعيد مرسلًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما على الأرض بقعة أحبَّ إليَّ أن يكون قبري بها منها » ، ثلاث مرات ، يعنى المدينة ، رواه الإمام مالك

(١) أبو أسيد الساعدي اسمه مالك بن ربيعة وسيلته نسيه كما في أسد الغابة (ج ٤ ص ٢٧٩) : مالك بن ربيعة بن البدن بن عامر بن عوف بن خازنة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، مشهور بكنيته شهد بدرًا وأحداً والمشاهد كلها وحمل قبل أن يقتل عثمان روى عنه من الصحابة أنس بن مالك وسهل بن سعد . واختلف في تاريخ وفاته فقيل سنة ٣٠ هـ وقيل سنة ٦٠ هـ وهو الآخر من مات من البدرين على قول من قال إنه مات سنة ستين وهو قول المدائني وقول ابن سعد ، انظر ترجمته أيضا في نكت المبيان للصفدي (ص ٢٣٣) وقال ابن حبان في الإصابة (ج ٦ ص ٢٣) أسيد في كنيته بصيغة التصغير . وحكى البغوي فيه خلافا في تضع الحزبة ولكن يحيى بن معين يرى أن الاسم أصوب .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (بشرح التنوير ج ٩ ص ١٥١ : ١٥٦) عدة أحاديث بروايات وأسانيده مختلفة في باب الترغيب في سكنى المدينة .

(٣) صحيح البخاري (ج ٣ ص ٥٦ : ٥٧) .

في الموطأ . وعن أبي سعيد^(١) مولى المهري - بالراء - أنه جاء إلى أبي سعيد الخدري ليالي الحرّة فاستشاره في الجلاء عن المدينة وشكا إليه أَسْتَارَهَا وكثرة عياله ، وأخبره ألا صَبِرَ له على جَهْد المدينة ولأوائها . فقال له : وَيَحْتَكَ لا آمُرُكَ بِذلك ، الزم المدينة فلما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يَصْبِرُ أَحَدٌ على لأوائها فيموت إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة إذا كان مسلماً . وفي حديث أخرجه مسلم^(٢) : « لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء » . وعن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من صَبِرَ على لأوائها وبشلتها كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة » . رواه مسلم . وعن أبي هريرة بنحوه رواه الترمذى .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان له بالمدينة أصل فليتمسك به ، ومن لم يكن له بها أصل فليجعل له بها أصلاً ، فليأتين على الناس زمان يكون الذى ليس له بها أصل كالمخارج منها المجتاز إلى غيرها » ، وفي رواية : « فليجعل له بها أصلاً ولو قصرة^(٣) » ، رواه الطبراني وابن شبة بسند لا بأس به . وروى ابن شبة عن الزهري مؤسلاً : « لا تتخذوا الأموال بمكة . واتخذوها بدار هجرتكم » ، فإن المرء مع ماله . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ بِقرية ناكل القرى يقولون يشرب . وهى المدينة تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد^(٤) » .

(١) فى خلاصة الخزرجى : روى أبو سعيد مولى المهري عن أبي ذر وروى عنه ابنه سعد ويحيى بن أبي كثير (ص ٢٨٠) :

(٢) صحيح مسلم (يشرح النووي ج ٩ ص ١٥٧) عن أبي هريرة .
(٣) ورد هذا الحديث مختصراً في النهاية (ج ٣ ص ٢٥٦) : من كان له بالمدينة أصل فليتمسك به ومن لم يكن فليجعل له بها أصلاً ولو قصرة . وقال ابن الأثير في شرح القصرة إنها - بالفتح والتجريد - أصل الشجرة وجميعها قصر . أراد فليجعل له بها ولو نخلة واحدة . والقصرة أيضاً المبنى وأصل الرقبة . وفي الفائق للزمخشري (ج ٢ ص ٢٥٣) : وقصر قوله تعالى : « بشر كالقصر » - فيمن خرك - بأنه جمع قصرة وهم أصل الشجرة ويستغلظها بأعناق النخل وأعناق الإبل .

(٤) صحيح البخارى كتاب الحج باب فضل المدينة وأنها تنفى شرار الناس (ج ٣ ص ٥٠) .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن أعرابياً بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصاب الأعرابيَّ وعكَّ فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ألقني بيعتي . فأبى . ثم جاءه فقال : ألقني بيعتي . فأبى . فخرج الأعرابي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما المدينة كالكير تنقى خبثها وتنصع طيبها » رواه الشيخان . وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما طيبة - يعنى المدينة - وإنما تنقى الخبث كما ينقى الكير نجبت الفضة » ، رواه مسلم^(١) . والمراد هنا الإقالة من الإسلام وقيل من الهجرة [كأنه كان قد بايع على هجرة الإقامة^(٢)] . وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن آطام المدينة أن تهتم . وروى البزار بسند حسن عن عمر رضى الله عنه قال : غلا السعر بالمدينة فاشتد الجهد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اصبروا وأبشروا فإنى قد باركت على صاعكم ومُدَّكم ، وكلوا ولا تتفرقوا فإن طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الخمسة والستة ، وإن البركة فى الجماعة ، فمن صبر على لأوائها وشلتها كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة ، ومن خرج رغبة عنها أبدل الله به من هو خير منه فيها ، ومن أرادها بسوء أذابه الله كما يلذوب الملح فى الماء » . وروى البخارى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما أى المدينة طيبة تنقى الذنوب كما ينقى الكير نجبت الفضة » .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال القاضى رحمه الله : « سئلت قديماً عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « كتب شهيداً أو شفيعاً ، ولم يخص ساكن المدينة بالشفاعه هنا مع عموم شفاعته وأدخله إياها . لأمره ؟ وأجيب بأن «أو» ليست هنا للشك ، خلافاً لمن ذهب إليه ، إذ قد رواه جابر ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد ، وسعد بن أبى وقاص ، وابن عمر ، وضميعة بن عبيد ، وأمهم بنت عُميس رضى الله عنهم . هذا اللفظ ، ويبعد اتفاق الكل واتفاق رواياتهم على الشك ، ووقوعه بصيغة واحدة ، بل الظاهر أنه صلى الله عليه وسلم قال كذلك

(١) صحيح مسلم (شرح النووي ج ١ ص ١٥٥) .

(٢) يبايع بالأسود والبيضة من اليهودى . ج ٢ ص ٢٩ .

هكذا ، فلما أن يكون هو أعلم بهذه الجملة هكذا ، وإما أن تكون «أو» للتقسيم ، ويكون النبي صلى الله عليه وسلم شفيعاً لبعض أهل المدينة وشهيداً لبعضهم [الآخر] ، إما شهيداً للطائعتين وشفيعاً للعاصيين ، أو شهيداً لمن مات في حياته ، وشفيعاً لمن مات بعده ، أو غير ذلك مما أعلم به ، وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة لكافة المؤمنين ، وعلى الشهادة لكافة الأمة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم في شهادة أحد : «أنا شهيد على هؤلاء» ، فيكون في تخصيصهم زيادة منزلة ، وقد تكون «أو» بمعنى الواو ، فيكون لأهل المدينة شهيداً وشفيعاً بالشفاعة العامة ، وإن جعلنا «أو» للشك ، كما ذهب إليه بعضهم ، فإن كانت اللفظة الصحيحة فلا إشكال ، إذ هي زائدة على الشفاعة المُنْبَغِثَة ، وإن كانت الصحيحة شفيعاً فاختصاص أهل المدينة بهذا مع ما جاء في عمومها وإدخاله لجميع الأمة . أن هذه شفاعة أخرى غير العامة التي هي لإخراج أمته من النار [وإخراج ^(١)] بعضهم منها بشفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، وتكون هذه الشفاعة لأهل المدينة زيادة في الدرجات ، أو تخفيف الحساب بما شاء الله من إكرامهم يوم القيامة بأنواع من الكرامة .

الثاني : قوله صلى الله عليه وسلم : «تَنْفَى النَّاسَ» ، وفي لفظ «الرجال» ، قال القاضي : «كان هذا يختص بزمنه لأنه لم يكن يضير حتى الهجرة والمقام معه بها إلا من ثبت إيمانه» ، وقال النووي : «ليس هذا بظاهر/ لأن عند مسلم لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها» ٤٣١ ظ كما ينفي الكبير حيث الحديد ، وهذا والله أعلم زمن الدجال . قال الحافظ : «ويحتمل أن يكون المراد كلاً من الزمانين ، وكان الأمر في حياته صلى الله عليه وسلم السبب المذكور ، وبؤيئيه قصة الأعرابي الذي استقاله فإنه صلى الله عليه وسلم ذكر هذا الحديث معللاً به خروج الأعرابي وبؤيئه الإقالة من البيعة ، ثم يكون ذلك أيضاً آخر الزمان ، عندما ينزل الدجال فترجف الأرض بأهلها فلا يبقى منافق ولا كافر إلا أخرج إليه» . وقال السيد ^(٢) : «وقد أبعد الله عنها أرباب الحديث الكامل وهم الجفّار ، وأما غيرهم

(١) ينفي بالأصل نحو كلمة والكله يقتضيها السياق .

(٢) ما نقله المؤلف فيما يلي عن السهوي يقع في ص ٢٩ ، ٣٠ من الجزء الأول بين وفاء الوفا المطبوعة في القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ ولكن توجد اختلافات في اللفظ وتقدم وتأخير وإغفال لبعض عبارات التي أوردها السهوي وأغفلها المؤلف ولكن المعنى في مجموعه واحد أو متقارب وقد حافظنا على النص الذي نقله المؤلف وأوردنا بين أقواس ما يحسن إثباته لاستقامة المعنى عما أغفله المؤلف .

فقد يكون إبعاده إن مات بها بنقل الملائكة له كما أشار إليه الأقفهري أو المراد إبعاد أهل الخبث الكامل فقط وهم أهل الشقاء والكفر لا أهل السعادة والإسلام لأن القسم الأول ليس قابلاً للشفاعة ولا للمغفرة^(١) ، أو المراد ، فيها عدا قصة الأعرابي والدجال أنها تخلص النفوس من شرها وظلمات ذنوبها ، بما فيها من الأواء والمشقات ومضاعفة المثوبات [وتوالى الرحمت ، وقد قال تعالى^(٢) : (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ)^(٣) ، ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَخْفَى حَالُ مَنْ انطوى فيها على خبث بل تظهر طويته كما هو مُشَاهَدٌ بِهَا ، (ولم أرَ إِلَى الْآنَ مَنْ نَصَّ عَلَى هَذَا الْإِحْتِمَالِ وَهُوَ فِي حِفْظِي قَدِيمًا)^(٤)] ويؤيده ما في غزوة أحد في الصحيح من أنه صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى أحد رَجَعَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ أَيْ وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ » (الحديث) ، والذي ظهر لى [من مجموع الأحاديث واستقراء أحوال هذه البلدة الشريفة^(٥)] أنها تنفى حَبِثَهَا بِالْعَالَى الْأَرْبَعَةِ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « لو كانوا يعلمون » أى يفضلها من الصلاة في المسجد النبوى أو ثواب الإقامة فيها وغير ذلك . ويحتمل أن « لو » بمعنى « لَيْتَ » ولا يحتاج إلى تقدير ، وعلى الوجهين ففيه تجهيل لمن فارقتها وأَثَرٌ غَيْرُهَا . قالوا : والمراد به الخارجون من المدينة رَغْبَةً عَنْهَا كَارِهِينَ لَهَا . وأما من خَرَجَ لِحَاجَةٍ أَوْ تِجَارَةٍ أَوْ نِجَادٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِدَاخِلٍ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ .

قال الطيب : « الذى يقتضيه هذا المَقَامُ أَنْ يَنْزِلَ أُولَئِكَ الَّذِينَ « لَا يَعْلَمُونَ » مَنْزِلَةَ الْأَلَاَمِ لِنَتْنَى عَنْهُمْ الْمَعْرِفَةَ بِالْكَلْبَةِ ، وَلَوْ ذَهَبُوا مَعَ ذَلِكَ التَّمَنَّى لَكَانَ أَبْلَغُ لِأَنَّ التَّمَنَّى طَلِبٌ مَا لَا يُمْكِنُ حَصُولُهُ ، أَيْ لَيْتَهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ تَغْلِيظًا وَتَشْدِيدًا » . قال البيضاوى : المعنى أنه يفتح اليمن ، فيُعْجِبُ قَوْمًا بِلَادُهَا ، وَحَبِشَ أَهْلَهَا ، فيحملهم ذلك على المهجرة إليها بأنفسهم وأهلهم حتى يخرجوا من المدينة ، والحال أن الإقامة في المدينة خير لهم لأنها حَرَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجِوَارُهُ وَمِهْبَطُ الْوَحْيِ وَمَنْزِلُ الْبَرَكَاتِ لو كانوا يعلمون ما في الإقامة بها من القوائد الأخروية التى يُسْتَحَقَّرُ دُونُهَا ما يجلبوته من الحظوظ الدنائة

(١) زيادة من السهزى .

(٢) من الآية الرابعة عشرة بعد المائة من سورة هود .

العاجلة بسبب الإقامة في غيرها . وَقَوَاه الطيبي لتذكير قومه ووصفهم بِكَوْنِهِمْ يَبْسُون ، ثم توكيده بقوله : لو كانوا يعلمون ، لأنه يشعر بأنهم ممن رَكَن إلى الحظوظ البهيمية والحطام الفاني ، وأَعْرَض عن الإقامة في جِوَار النبي صلى الله عليه وسلم ، ولذلك كَرَّر قوماً وَصَفَهُمْ في كل مرتبة بقوله يَبْسُون [بسبب اتخاذهم^(١) لتلك الهيئة القبيحة .

الثالث : في بيان غريب ما سبق : «يَبْسُون» : بمثابة تحتية فموحدة مضمومة وتُكْسَر ، قال أبو عبيدة : معناه يسوقون دوابهم والبس سوق الإبل يقول يس يس عند السوق وإرادة السرعة . «الأرياف» : جمع ريف بكسر الراء ، موضع الخضب - بكسر الخاء المعجمة - والسعة في الطعام . «اللاواء» : بالفتح والمد [الشدة وضيق المعيشة^(٢)] . «تَنفِي

و٤٣٧

الخبث» : أى بإظهاره وإخراجه / «الكير»^(٣) : بكسر الكاف وسكون التحتية وهو المعروف بين الناس أنه الزُّق الذي يُنْفَخ فيه ، لكن أكثر أهل اللغة على أن المراد بالكير كانون الحداد والصائغ ، وقيل الكير هو الزُّق والكانون هو الكور . «خبث الحديد» : بضم الخاء المعجمة والموحدة فمثلة^(٤) : وَسَخَهُ الذي تُخْرِجه النار ، والمراد هنا لا يُتْرَك فيها مَنْ في قلبه دَغَل [وَعِشْ ونفاق^(٥)] يُمَيِّزُهُ^(٦) عن القلوب الصادقة ويُخْرِجه [منها] كما يميز الحداد ردىء الحديد من جيده ، ويُنسَب التمييز للكير لكونه السبب الأكيد في اشتعال النار التي يقع التمييز بها . «تَنْصَع» : بمثابة فوقية فنون ساكنة فصاد فعين مهملتين من النصوع وهو الخلوص ، والمعنى أنها إذا نَفَت الخَبَث تَمَيَّز الطَّيِّبُ ، واستقر بها طيبها . رواه الأكثر بالنصب على المفعولية [أى تَنْصَعُ طيبها وذكر^(٧)] بعض رواة الصحيح تَنْصَعُ طيبها على الفاعلية «الآطام» : بالمَدَّ جمع أَطَم بضمطين وهى الحصون التي تُبْنَى بالحجارة ، وقيل هو كل بيت مربع مُسَطَّح .

(١) يياض بالأصل ينحو كلمتين والإضافة ما يقتضيهما السياق .

(٢) يياض بالأصل ينحو ثلاث كلمات والتكلمة من النهاية .

(٣) في التاج : الكير بالكسر زق ينفخ فيه الحداد أو جلد غليظ ذو حافات وأما المبنى من الطين فكور بالضم . وقد عكس ذلك ابن الأثير في النهاية ولكنه استدرج بقوله : وقيل الزق الذي ينفخ به النار والمبنى الكور .

(٤) وردت في النهاية والتاج بفتح الحاء المعجمة والياء المحركة في سقاية هذا الحديث .

(٥) يياض في الأصل ينحو كلمتين والتكلمة ما يقتضيهما السياق .

(٦) في المصباح البسيط في مادة ماز يميز مبالغة وذلك يكون في المشتبهات نحو يميز الله الحديث من الغليظ وفي الخطيبات نحو وامتازوا اليوم أيها المحرمين .

(٧) يياض بالأصل ينحو ثلاث كلمات واستغنى في التكملة بالنهاية .

الباب السابع

في وعيد من أخذت بها، حدثاً أو أوى مُحدثاً
أو أرادها وأهلها بسوء أو أخافهم والوصية بهم

روى الطبراني برجال الصحيح عن أبي أمامة^(١)، وعن علي رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَخَذَتْ فِي مَدِينَتِي هَذِهِ حَدَثًا أَوْ أَوَى مُحْدِثًا فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا». وعن السائب بن خنبل^(٢) أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ظُلْمًا أَخَافَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»، رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ. وعن أبي سعيد رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَرَادَهَا - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يُلَوِّبُ الْبَلْعُ فِي الْإِنْسَاءِ»، رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالشَّيْخَانِ.

وعن معقل بن يسار^(٣) رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْمَدِينَةُ مَهَاجِرِي وَفِيهَا مَضْجَعِي وَمِنْهَا مَبْعِي، حَقِيقٌ عَلَى أُمَّتِي حِفْظُ جِيرَانِي مَا اجْتَنَبُوا الْكِبَائِرَ، وَمَنْ حَفِظَهُمْ كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا وَشَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْهُمْ سُمِّيَ مِنْ

(١) يشترك في هذه الكنية خمسة من الصحابة كما في أسد الغابة لابن الأثير. فملكته في الرواية منهم هو أبو أمامة الباهلي توفي سنة ٨١ هـ، أو سنة ٨٦ هـ ولله هو الراوي لهذا الحديث.

(٢) يوجد اثنان بهذا الاسم وهما: السائب بن خالد الجهني أبو سهيلة، والسائب بن خالد بن سويد بن ثعلبة. وحدثني من أخبار أهل المدينة وزاد بهاء بن يسار عن الأول مرفوعاً كما استندت رواية الحديث نفسه إلى الثاني، وذكر ابن الأثير هذا في ترجمة كل منهما (أسد الغابة ج ٢ ص ٢٥١ و ٢٥٢). وذكر ابن حجر في الإصابة (ج ٣ ص ٥٩) أن الثاني روى حديثاً في فضل المدينة عن أبيه وهو السائب بن خالد بن سويد.

(٣) هو معقل بن يسار بن عبد الله بن معمر (أو معمر) بن حرقان، المازني يكنى أبا غيد. الله وقيل أبو يسار، وأمين على، وصحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد يمة الرضوان وذوقه أنه قال: بايئناه على ألا نفر. سكن البصرة وإليه ينسب نهر معقل الذي بالبصرة وتوفي بها في آخر خلافة معاوية وقيل أيام يزيد بن معاوية: انظر أسد الغابة ج ٤ ص ٣٩٨ : ٣٩٩.

طينة الخَبَال ، قيل لَمَعْلٍ : وما طينة الخَبَال ؟ قال : عُصَاة أهل النار^(١) ، رواه أبو عمرو بن السَّمَك ، وابن الجَوْزِي في «مثير الغرام السَّانِ»^(٢) .

وروى الجَنْدِيُّ^(٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أَيُّمَا جَبَّارٍ أَرَادَ الْمَدِينَةَ بِسُوءِ أَذَابِهِ اللَّهُ كَمَا يَنْوِبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ» . وروى الْبَزَّازُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اللَّهُمَّ اكْضَمْهُمْ مِنْ دَعْمَتِهِمْ بِبَاسٍ - يَغْنَى الْمَدِينَةَ - وَلَا يَرِيدُهَا أَحَدٌ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَنْوِبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ» . وروى مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَخْزُومِيُّ^(٤) عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ مُرْسَلًا^(٥) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «اللَّهُمَّ مِنْ أَرَادَنِي وَأَهْلَ بَلَدِي بِسُوءٍ فَجَعَلْ بَهْلَاكِهِ» . وروى الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِرِجَالٍ صَحِيحٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ / قَالَ : «مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَخَافَهُ اللَّهُ» ، رواه ابْنُ حِبَّانَ . وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «اللَّهُمَّ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَأَخَافَهُمْ فَأَخِضْهُ ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا» ، رواه الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ .

(١) أورد ابن الأثير في النهاية (ج ١ ص ٢٨٠) هذا الترح ثم أضاف : والخبال في الأصل الفساد ويكون في الأفعال والأبدان والمقول .

(٢) العنوان الكامل لهذا الكتاب وهو من مؤلفات أبي الفرج بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، «مثير الغرام الساكنين في فضائل البقاع والأماكن» وأخطأ جرجي زيدان في ذكر عنوانه إذ أورده : مثير النظم الساكنين وذلك في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية (ج ٣ ص ٩٣ طبع سنة ١٩٣١ م) ولم يصحح هذا الخطأ في الطبعة المحققة التي قام بها لجوق صيف لكتاب زيدان (ج ٣ ص ١٠١) . انظر فهرست الزيات ، دمشق ص ٨٢ نقلا عن مادة ابن الجوزي في دائرة المعارف الإسلامية .

(٣) في الأصوله : وروى الجندى عن ، ثم يياض بنحو عدة كلمات ، ولم يوفق في العثور على إسناد الحديث .
(٤) في م : وم : محمد بن الحسين المخزومي والتصويب من ميزان الاعتدال (ج ٣ ص ٥١٤ رقم ٧٣٨٠) ولعله كاملا : محمد بن الحسن بن زبالة المخزومي المدني ، وقد كذبه أبو داود وقال النسائي والأزدي متروك وقال يحيى بن معين ليس بثقة وقال الدارقطني منكر الحديث ، روى عن أسامة بن زيد بن أسلم ومالك وابن وهب وخلائق وروى عنه أبو غيثشة والزبير بن يكار ، انظر أيضا خلاصة الخزرجي ص ٢٨٣ .

(٥) الحديث المرسَل في مصطلح الحديث هو ما سقط منه الصحابي سواء أكان الراوي المرسل تابعيا كبيرا أم صغيرا وحوضيف عند الشافعي فلا يحتاج به ، صحيح عند أبي حنيفة ومالك فيحتاج به عندهما إذ لا يشترط في الصحيح عندهما أن يكون متصل الإسناد . وقال ابن الصلاح : وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه هو الذي استقر عليه آراء جماعة حفاظ الحديث وتقاد الأثر وتداولوه ، في تصانيفهم ، انظر الباحث الحديث إلى معرفة علوم الحديث لابن كثير . ص ٤٠ : ٣٧

وفي المذرك^(١) للقاضي قال محمد بن مسلمة: سمعت مالكا يقول: دخلت على المهدي فقال: أوصيني، فقلت: أوصيك بتقوى الله وحذره والعطف على أهل بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرائه، فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المدينة مهاجرة ومنها مبعثي وبها قبوري وأهلها جيرانى، وحقيق على أمتى حفظ جيرانى، فمن حفظهم في كنت له شفيعا. أوشهداً يوم القيامة»، ومن لم يحفظ وصيتي في جيرانى سقاه الله من طينة الخبال».

وقال مُصَنَّب^(٢): «لما قدم المهدي المدينة استقبله مالك وغيره من أشرافها على أميال، فلما بصر بمالك انحرق المهدي إليه فعانقه [وسلم عليه]^(٣). وسأريته خالفت إلى مالك فقال: يا أمير المؤمنين إنك تدخل الآن المدينة، فتمو بقوم عن يمينك ويسارك، وهم أولاد المهاجرين والأنصار، فسلم عليهم، فإن ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة، ولا خير من المدينة قال: ومن أين قلت ذلك يا أبا عبد الله؟ فقال: لأنه لا يعرف قبر نبي اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد صلى الله عليه وسلم، ومن كان قبر محمد صلى الله عليه وسلم عندهم فينبغي أن يعرف فضلهم على غيرهم. ففعل المهدي ما أمره به، وفيه إشارة إلى التفضيل بمجاورة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»، ولم يخص جارا دون جوار».

ومن تأمل هذا الفضل لم يرتب في تفضيل سكنتي المدينة على مكة، مع التسليم بمزيد المضاعفة لمكة، [إذ جهة الفضل غير منحصرة في ذلك]^(٤). فلتلك لها مزيد العبد، وهذه تضاعف البركة. والمكد لتلك جوار بيت الله، وهذه جوار حبيب الله وأكرم الخلق على الله.

(١) الثوثان الكامل لهذا الكتاب هو ترتيب المذرك وتزييب المسالك لمرقة أعلام مذنب مالك، ومؤلفه القاضي عياض لرحم ابن فرعون لاهى الدياج (ص ١٦٨ : ١٧٢) ولد بسنة ٤٩٦ هـ وتوفى بمراكش سنة ٥٤٤ هـ.

(٢) رواية مصنف منقولة عن مذاكر القاضي عياض كما نص على ذلك للجهودي.

(٣) زيادة من السهوي ج ١ ص ٣٩.

(٤) زيادة من السهوي (ج ١ ص ٣٩).

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قوله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْدَلَ اللَّهُ فِيهَا مِنْهُ خَيْرٌ مِنْهُ » . قال القاضي : اختلفوا فيه فقيل هو مُخْتَصَّ بِمِلَّةِ حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقال آخرون : هو عامٌ أبداً ، وهذا أصح . وقال المحب الطبري : إنه الأظهر لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر : « سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُفْتَحُ فِيهِ فَتَحَاتِ الْأَرْضُ فَيُخْرِجُ النَّاسَ إِلَى الْأَرْيَافِ يَلْتَمِسُونَ الرِّخَاءَ » . إلى آخر ما تقدّم .

الثاني : قوله صلى الله عليه وسلم : « وَلَا يَرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بَسْوَءًا ^(١) إِلَّا أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ » . إلى آخر الحديث ، قال القاضي عياض : قوله « فِي النَّارِ » يدفع إشكال الأحاديث التي لم تُذَكَّرْ فيها هذه الزيادة ، ويبين أن هنا حُكْمَهُ فِي الْآخِرَةِ . وقال : قد يكون المراد به أن من أرادها في حياته صلى الله عليه وسلم ، كُفِيَ الْمُسْلِمُونَ شَرَّهُ وَاضْمَحَلَّ كَيْدُهُ كما يضمحل الرصاص في النار ، قال : « وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مَنْ كَادَهَا اغْتِيالًا وَطَلِبًا لِفَرِيضَتِهَا فَلَا يَتِمُّ لَهُ أَمْرٌ بِخِلَافٍ مِنْ آتَى ذَلِكَ جَهَارًا » . قال : « وَقَدْ يَكُونُ فِي اللَّفْظِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ أَى أَذَابَهُ اللَّهُ كَنُوبِ الرِّصَاصِ فِي النَّارِ وَيَكُونُ ذَلِكَ لِمَنْ أَرَادَهَا فِي الدُّنْيَا فَلَا يُمْنِلُهُ اللَّهُ وَلَا يُمَكِّنُهُ لَهْ سُلْطَانًا ، بَلْ يَهْلِكُهُ عَنْ قُرْبٍ ، كَمَا انْقَضَى شَأْنُ مَنْ حَارَبَهَا أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةٍ مِثْلَ مُسْلِمِ بْنِ عُقَبَةَ فَأُهْلِكَ فِي مَنْصَرَفِهِ عَنْهَا ، ثُمَّ هَلَكَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الَّذِي أَرْسَلَهُ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ [وغيرهما ممن صنع صنيعهما] ^(٢) » .

الثالث : في بيان غريب ماسبق : « الْحَدَثُ » بالتحريك الأمر / الحادث المُتَكَرِّرُ الَّذِي ^{٤٣٣} لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ فِي السُّنَّةِ . « الْمُحْدِثُ » : بكسر الدال اسم فاعل : أَيْ مَنْ نَصَرَ جَانِبًا وَأَوَّاهَ وَأَجَارَهُ مِنْ خَصْمِهِ وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يَقْتَصِرَ مِنْهُ ، وَبِفَتْحِهَا الْأَمْرُ الْمُتَبَدِّلُ نَفْسَهُ ، وَيَكُونُ مَعْنَى الْإِيْوَاءِ الرُّضَا ، فَإِنَّهُ إِذَا رَضِيَ بِهِ وَأَقْرَبَ فَاعِلُهُ مِنْ غَيْرِ لِنِكَارِ فَقْدِ آوَاهُ . والمراد ببلعنة الملائكة والناس المبالغة في الإبعاد من رحمة الله تعالى ، والمراد باللعن هنا العذاب الذي

(١) يبايض بالأصل والتكلمة من نص الحديث

(٢) زيادة من السهوى (ج ١ ص ٣٠) وأضاف السهوى : وهذا الاحتمال الأخير هو الأرجح وليس في الحديث ما يقتضى أنه لا يتم له ما أراد منهم بل لابد بهلاكه . ولم يزل شأن المدينة على هذا حتى في زماننا هذا لما تظاهرت طائفة النياضي بإعادة السوء بالمدينة الشريفة لأمر اقتضى خروجهم منها حتى أهلك الله تعالى عائلتهم مع كثيرهم في مدة يسيرة .

يستحقه على ذنبه في أول الأمر ، وليس هو كَلَعَن الكافر . « الصَّرف والعدل » : بفتح أولهما : اختلف في تفسيرهما فَيَعُدُّ الجمهور الصَّرف الفريضة ، والعدل النافلة . وعن الأصمعي الصَّرف التوبة ، والعدل القدية ، وقيل غير ذلك^(١) . « انماع^(٢) » : ذاب [وسال]^(٣) .

(١) في النهاية (ج ٢ ص ٢٥٩) : الصرف التوبة . وقيل النافلة ، والعدل : القدية وقيل الفريضة وذعب إلى هذا المعنى الفيروز آبادي في القاموس المحيط ولكنه أضاف بأنها تعني العكس فقال : الصرف هو النافلة ، والعدل الفريضة أو بالعكس أو هو الوزن ، والعدل الكيل أو هو الاكتساب ، ومنه قوله تعالى : « فا تستطيعون صرفاً ولا نصراً » (الفرقان آية ١٩) أي ما يستطيعون أن يصرفوا عن أنفسهم المذاب ومن الدهر حدثانه ونوائبه . ولكن الزعزعي كان أكثر تحديدا في شرح هذين اللفظين في اللغات (ج ٢ ص ١٩) : الصرف التوبة لأنه صرف النفس إلى البر عن الفجور ، والعدل القدية من المادلة ، (حيث) سوى في استيجاب اللعن بين الجاني فيها جناية موجبة للعند ، وبين من آوى الجاني ولم يمثله حتى يخرج فيقام عليه الحد . ولكن الزعزعي عند تفسيره للآية السابقة في الكشف (ج ٢ ص ٩٣) أضاف إلى معنى كلمة صرف : الحيلة من قولهم إنه ليصرف أي يحال أو فا يستطيع أكتسب أن يصرفوا عنكم المذاب أو أن يحالوا لكم .

(٢) وردت كلمة « انماع » في حديث لم يذكره المؤلف وهو : لا يريد بها (أي المدينة) أحد بكيد إلا انماع كما يناع الملح في الماء . وهذا دليل آخر على أن المؤلف يشرح ألفاظاً لم يسبق له إيرادها في صلب كتابه .

(٣) يابض بالأصل وفي النهاية (ج ٤ ص ١١٨) شرح ابن الأثير انماع بقوله أي يلوب ويحمر ، من ماع الشيء يجمع وانماع إذا ذاب وسال .

الباب الثامن

في تفضيلها على البلاد لحلوله صلى الله عليه وسلم فيها

نقل أبو الوليد الباجي^(١) والقاضي عياض وغيرهما الإجماع على تفضيل ماضم الأعضاء الشريفة حتى على الكعبة كما قاله أبو اليمن بن عساكر في تحفته ، وجزم بذلك أبو محمد عبد الله بن أبي عمر الإسكندر^(٢) . بموحدة مكسورة وقيل بفتحها وسين مهملة ساكنة فكاف مفتوحة وكسرها فراء ، - رحمه الله .

جَزَمَ الْجَمِيعُ بَأَنَّ خَيْرَ الْأَرْضِ مَا قَدْ حَاطَ ذَاتَ الْمُصْطَفَى وَحَوَاهَا^(٣)
وَنَعَمَ لَقَدْ صَدَّقُوا بِسَاكِنِهَا عَلَتْ كَالنَّفْسِ حِينَ زَكَتْ زَكَا مَلَوَاهَا

بل نقل القاضي تاج الدين السبكي^(٤) عن ابن عقيل^(٥) الحنبلي أنها أفضل من العرش ،

(١) هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الأندلسي الباجي ولد سنة ٤٠٣ هـ بمدينة بطليوس وتوفي بالمرية سنة ٤٧٤ هـ رحل إلى المشرق حيث أقام نحو ثلاثة عشر عاماً سمع فيها عن كثير من علماء العراق والشام والحرمين ومصر وعاد إلى الأندلس حيث ولي القضاء وأخذ عنه في الأندلس كثيرون منهم أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب ، وجرى بينه وبين أبي محمد بن حزم الظاهري مجالس ومناظرات ، وللباجي تأليف كثيرة أهمها شروحه على الموطأ للدولة وكتاب التمهيد والتجريح فيمن روى عنه البخاري في الصحيح وغيرها وقد أورد ثناها ابن فرحون في النبهان المذهب حيث ترجم له ترجمة مطولة (ص ١٢٠ : ١٢٢) وله ترجمة مختصرة في ابن خلكان (ج ١ ص ٢١٥) وفي شذرات الذهب (ج ٣ ص ٣٤٤ : ٣٤٥) .

(٢) نسبة إلى بلدة بسكرة التي تقع حالياً في جمهورية الجزائر على خط عرض ٣٥ شمال خط الاستواء وشرق خط طول ٥ شرق جرينيتش ، وذكرها ياقوت في معجم البلدان وقال إنها بلدة بالمغرب من نواحي الزاب بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان .

(٣) هذان البيتان من قصيدة طويلة تقع في ٤٧ بيتاً ختم بها السهوي (ج ٢ ص ٤٥٤ : ٤٥٦) كتابه وفاء الوفاء ومطلعا : دار الحبيب أحسن أن تهاوا وتجن من طرب إلى ذكراها .

(٤) هو تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي خلف أباه على القضاء وللأب وللابن مؤلفات كثيرة في الفقه والأصول وغيرها ، توفي الأب سنة ٧٥٦ هـ وتوفي ابنه سنة ٨٧١ هـ .

(٥) هو أبو الوفاء بن عقيل بن محمد بن عقيل شيخ الحنابلة وصاحب التصانيف ومؤلف كتاب الفنون الذي يزيد على أربعمائة مجلد ، قال عنه الذهبي في تاريخه لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب ، وفي هذا الكتاب فوائد كثيرة جليلة في الوعظ والتفسير والفقه والأصول والنحو والفتاوى والتاريخ وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له وخفاياه ونتائج ذكره فيها فيه . ولد سنة ٤٣١ هـ وتوفي سنة ٥١٣ هـ ترجم له ابن الجوزي في المنتظم (ج ٩ ص ٢١٢ : ٢١٥) ولكن ابن رجب الحنبلي أورد له ترجمة مستفيضة في كتابه الليل على طبقات الحنابلة (ج ١ ص ١٧٤ : ١٩٩ دمشق سنة ١٩٥١) م .

وجزم بذلك أبو عبد الله محمد بن رزين البحري الشافعي أحد السادة العلماء الأولياء فقال
في قصيدته في الوفا النبوية :

ولاشكَّ أنَّ القَبْرَ أَشْرَفُ مَوْضِعٍ من الأرض والسَّبعِ السَّمَوَاتِ طُرَّةٌ
وأشْرَفُ من عَرْشِ الْمَلِكِ وَلَيْسَ في مَقَالٍ خِلَافٌ عند أَهْلِ الْحَقِيقَةِ .

وَصَرَّحَ التاج الفاكهي ^(١) بتفضيلها على السموات ، قال : بل الظاهر الْمُتَعَيَّن تفضيل
جميع الأرض على السماء لحلوله صلى الله عليه وسلم بها ، وحكاية الشيخ تاج الدين إمام
الفاضلية عن الأكثرين لِخُلُقِ الأنبياء منها ودفنهم بها . وقال النووي : « المختار الذي عليه
الجمهور أن السموات أفضل من الأرض ، أي ماعدا ما ضم الأعضاء الشريفة . وأجمعوا
بعد على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد ، واختلفوا فيها ، فذهب عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وبعض الصحابة وأكثر المدنيين ^(٢) ، كما قال القاضي إلى تفضيل المدينة ،
وهو مذهب الإمام مالك ، وإحدى الروايتين عن الإمام أحمد ، والخلاف في غير الكعبة
الشريفة فهي أفضل من بقية المدينة اتفاقاً . وإيراد حجج الفريقين مما يطول به الكتاب .

وبدل لما ذكر من أن النفس تُخَلَقُ من تربة الدفن مارواه الحاكم وصححه عن أبي
سعيد رضي الله عنه قال : مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بِقَبْرِ ، / فقال : « قَبْرٌ مِنْ هَذَا ؟ »
فقالوا : قَبْرُ فُلَانِ الْحَبَشِيِّ يارسول الله . فقال : « لا إله إلا الله سيقَ من أرضه ومبادئه
إلى التُّربة التي منها خُلِقَ » .

وتقدم في أول باب من هذا الكتاب أثر كعب : « أن النبي صلى الله عليه وسلم خُلِقَ
من التُّبْضَةِ التي أُخْلِدتْ من قبره الشريف ^(٣) » . وروى إيزيد الجبري قال : سمعت

(١) في الأصول الفاكهاني وأثبتنا اسمه كما ورد في السهوي ولفظ الفاكهي كما في وفاء الوفا . (ج ١ ص ٢٠) :
قال : قالوا لا خلاف أن البقعة التي ضمت الأعضاء الشريفة أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة .
(٢) المراد أهل المدينة النبوية فالنسبة إليها ملقأ أما النسبة إلى غيرها من المدن فبيني .
(٣) لفظ الحديث الذي رواه كعب الأحبار ويسمى أثراً : « لما أراد الله عز وجل أن يخلق محمداً صلى الله عليه وسلم
أمر جبريل فأتاه بالقبضة البيضاء التي هي موضع قبره صلى الله عليه وسلم فصنعت بهاء التسميم ثم ضمت في أنهار الجنة وطينت
بها في السموات والأرض صرفت الملائكة محمداً وفضله قبل أن تعرف آدم عليه السلام » - السهوي ج ١ ص ٢٢ .

ابن سيرين يقول ^(١) : « لو حَلَفْتُ لَحَلَفْتُ صَادِقاً بَاراً غَيْرَ شَاكٍّ وَلَا مُسْتَشْنٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا خَلَقَ نَبِيَّهٖ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَبَا بَكْرٍ وَلَا عُمَرَ إِلَّا مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ رَدَّهْمَ إِلَى تِلْكَ الطِّينَةِ » .

وروى الإمام أحمد والترمذى وحسنه ، والطبرانى والحاكم عن مطر بن عكاس ^(٢) - بضم العين المهملة وتخفيف الكاف وكسر الميم فسين مهمله - والترمذى وصححه عن أبي عزة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا قَضَى اللَّهُ لَعِبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً » . قال الحكيم الترمذى : « إِنَّمَا صَارَ أَجَلُهُ هُنَاكَ لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ تِلْكَ الْبَقْعَةِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى » ^(٣) » قال : فَإِنَّمَا يُعَادُ [الْمَرْءُ مِنْ] ^(٤) حَيْثُ بَدَأَ مِنْهُ » .

وروى ابن الجوزى فى الوفا ^(٥) عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « لَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ » فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « إِنَّهُ لَيْسَ [فِي الْأَرْضِ] ^(٦) » [بَقْعَةٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ بَقْعَةٍ قُبِضَ فِيهَا [نَفْسٌ] ^(٧) » [نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » . وروى أبو يعلى ^(٨) عن أبي بكر رضى الله عنه أنه قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَا يُقْبَضُ النَّبِيُّ إِلَّا فِي أَحَبِّ الْأَمْكَنةِ إِلَيْهِ » ^(٩) » .

(١) يبايخ بالأصول بمقدار نحو سبع كلمات والتكلمة من السهووى ج ١ ص ٢٣ .
(٢) هو مطر بن عكاس السلى من بنى سليم بن منصور يمد فى الكوفيين ، انظر أسد الغابة (ج ٤ ص ٣٧١) وخلاصة الخرزى (ص ٣٣٣) وفى الإصابة (ج ٦ ص ١٠٣) : قال ابن حبان له حصة وقال الطبرانى اختطف فى صحبته وقال عبان الدارى - سألت يحيى بن معين عن مطر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لا أعلمه وما يروى عنه إلا هذا الحديث . . وأخرجه عبد الله بن أحمد فى زيادات المستد والترمذى قال حسن غريب ولا يعرف لطرف غير هذا الحديث وصححه الحاكم . وفى أصل كلمة عكاس قال ابن دريد فى الاشتقاق (ص ٥٥٨) ليل « عكاس إذا تراكبت ظلمته . وفى التاج كل شيء تراكب وتراكم وكثر حتى يظلم من كثرتة فهو عكاس .

(٣) آية ٥٥ من سورة طه .

(٤) يبايخ بالأصول بنحو كلمتين والتكلمة من السهووى .

(٥) عنوانه كاملاً : « الوفا فى فضائل المصطفى » منه مخطوطة فى ليدن وأخرى فى المكتبة التيمورية .

(٦) زيادة من السهووى (ج ١ ص ٢٣) .

(٧) هو أبو يعلى المرصلى حافظ توفى سنة ٣٠٧ هـ ترجم له الذهبى فى تذكرة الحفاظ (ج ٢ ص ٢٤٨ : ٢٤٩) .

(٨) فى رواية لهذا الحديث أخرجهما محمد بن يحيى الترمذى فى الثبائلى المصدبة (على هامش جاشية إبراهيم البيهجووى ص ٢٣٢ : ٢٣٣ بولاق سنة ١٢٩٠ هـ) : عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلَفوا فى دفنه فقال أبو بكر : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ما نسيته قال : « ما قبض الله نبياً إلا فى الموضع الذى يحب أن يدفن فيه » ، أحفظه فى موضع فراشه .

قال السيد^(١) : « وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ أَحَبُّهَا إِلَى رَبِّهِ لِأَنَّ حُبَّهُ تَابِعَ لِحُبِّ رَبِّهِ . وَمَا كَانَ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ كَيْفَ لَا يَكُونُ أَفْضَلَ ؟ قَالَ : وَلِهَذَا سَلَكَتْ هَذَا الْمَسْلَكُ فِي تَفْضِيلِ الْمَدِينَةِ فَقَدْ صَحَّ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ ، أَيْ « بَلْ أَشَدَّ » أَوْ « وَأَشَدَّ » ، كَمَا رَوَى بِهِ . وَأُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ حَتَّى كَانَ يُحَرِّكُ دَابَّتَهُ إِذَا رَأَاهَا مِنْ حُبِّهَا » .

تنبيه : قال سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام : « معنى التفضيل بين مكة والمدينة أَنَّ ثَوَابَ الْعَمَلِ فِي إِحْدَاهُمَا أَكْثَرُ مِنْ ثَوَابِ الْعَمَلِ فِي الْأُخْرَى ، فَيُشْكِلُ قَوْلُ الْقَاضِي : « أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّ مَوْضِعَ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ أَفْضَلُ » ، إِذْ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ فِيهِ . وَأَجَابَ غَيْرُهُ بِأَنَّ التَّفْضِيلَ فِي ذَلِكَ لِلْمُجَاوِرَةِ وَلِذَا حُرِّمَ عَلَى الْمُحَدِّثِ مَسَّ جِلْدِ الْمَصْحَفِ لِكَثْرَةِ الثَّوَابِ وَإِلَّا فَلَا يَكُونُ جِلْدُ الْمَصْحَفِ بِلَ وَالْمَصْحَفِ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ لِيَتَعَلَّبَ الْعَمَلُ فِيهِ . وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ تَقِيُّ الدِّينِ السَّبْكِ : قَدْ يَكُونُ التَّفْضِيلُ بِكَثْرَةِ الثَّوَابِ وَقَدْ يَكُونُ لِأَمْرِ آخَرَ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَمَلًا ، فَإِنَّ الْقَبْرَ الشَّرِيفَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ وَالْمَلَائِكَةِ وَلَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْمَحَبَةِ وَلِسَاكِنِهِ مَا تَقْصُرُ الْعُقُولُ عَنْ إِدْرَاكِهِ [وَلَيْسَ ذَلِكَ لِمَكَانٍ غَيْرِهِ^(٢)] فَكَيْفَ لَا يَكُونُ أَفْضَلَ الْأَمَاكِنِ ؟ [وَلَيْسَ مَحَلَّ عَمَلٍ لَنَا فَهَلْهَا مَعْنَى غَيْرِ تَضْعِيفِ الْأَعْمَالِ فِيهِ^(٣)] ، وَأَيْضًا فَبَاعْتِبَارِ مَا قِيلَ : إِنْ كُلُّ أَحَدٍ يُذَنِّقُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ ، [وَأَيْضًا فَقَدْ تَكُونُ الْأَعْمَالُ مُضَاعَفَةً فِيهَا بِاعْتِبَارِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى وَأَنَّ أَعْمَالَهُ مُضَاعَفَةٌ^(٤)] أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ [فَلَا يَخْتَصُّ التَّضْعِيفُ بِأَعْمَالِنَا نَحْنُ^(٥)] .

قال السيد : « [وَهَذَا مِنَ النَّفَاسَةِ بِمَا كَانَ عَلَى أَيْ أَقُولُ^(٦)] الرَّحْمَاتِ [وَالْبَرَكَاتِ] النَّازِلَةِ بِذَلِكَ الْمَحَلِّ بِعَمِّ فَيُضَاهِي الْأُمَّةَ وَهِيَ غَيْرُ مَتَنَاهِيَةٍ لِلدَّوَامِ تَرْقِيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [وَمَاتِنَالِهِ الْأُمَّةُ بِسَبَبِ نَبِيِّهَا هُوَ الْغَايَةُ فِي الْفَضْلِ وَلِذَا كَانَتْ خَيْرُ أُمَّةٍ بِسَبَبِ كَوْنِ نَبِيِّهَا خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ ،

(١) هذا النص في وفاة الوفاء (ج ١ ص ٢٣) .

(٢) زيادة من السهوى (ج ١ ص ٢١) .

(٣) ساقطة من الأصول والتكلمة من السهوى .

(٤) بداية كلام السهوى الذي أغفل المؤلف نقله .

فكيف لا يكون القبر الشريف أفضل البقاع مع كونه^(١) [متبع فيض الخيرات ،] ألا ترى أن الكعبة على رأي من^(٢) [منع الصلاة فيها ليست محل عملنا أفيقول عاقل بتفضيل المسجد حولها عليها لأنه محل العمل مع أن الكعبة هي السبب في إنالة تلك الخيرات ؟ ...^(٣) وسيلاتي أن المجيء المذكور في قوله تعالى « وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ^(٤) » الآية ، حاصِلُ المجيء إلى قبره الشريف ، وكذا زيارته صلى الله عليه وسلم وسؤال الشفاعة منه والتوسُّل به إلى الله والمجاورة عنده من أفضل القربات ، وعنده تُجَاب الدعوات أيضاً ، فكيف لا تكون أفضل وهو السبب في هذه / الخيرات ؟ وأيضاً فهو روضة من رياض الجنة و ٤٣٤ و بل أفضل رياضها ، وفي الحديث : « لقاب قوس أحدكم [في الجنة] خير من الدنيا وما فيها^(٥) » .

(١) تكله ضرورية من السهمدي لفهم ما جاء بهما .

(٢) يياض بالأصل يقدر حقة كلمات .

(٣) هنا أقفل المؤلف لإيراد أربعة سطور من كلام السهمدي وهي أيضاً من المسج التي ساقها في تفصيل المدينة وجاء فيها : « وأيضاً فاهتمامه صلى الله عليه وسلم بأمر أمته معلوم ، وإقبال الله عليه دائم وهو هذا المحل الشريف ، فكثير شفاعته فيه لأمرته وإيماده لإيماهم ، وقد ورد في حديث : وفاتي خير لكم ، بيان ذلك بأن أعمالكم تعرض على فإن رأيت غيراً حمدت الله وإن رأيت غير ذلك استغفرت لكم ؛ وفي رواية استوجبت الله فديوبكم وله شواهد تقويه وسياق .

(٤) من الآية ٦٤ من سورة التلا .

(٥) زاد السهمدي (ج ١ ص ٢٢) به ذلك : وقد قال الحكم الترمذي في نوادره سمعت الزبير بن بكار يقول : صنف بعض أهل المدينة في المدينة كتاباً وصنف بعض أهل مكة في مكة كتاباً فلم يزل كل واحد منهما يذكر بفته بفضيلة يريد كل واحد منهما أن يبرز على صاحبه حتى برز للذي على المكي في خلقه واحدة صبر عنها المكي وهي أن كل نفس إنما خلقت من التربة التي تدفن فيها بعد الموت وأن نفس الرسول إنما خلقت من تربة المدينة فينبغ تلك التربة لها فضيلة بارزة على سائر الأرض .

الباب التاسع

في تحريمها

عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إني حرمت المدينة ما بين لابتيها لا يقطع عضاؤها ولا يقتل صيدها » ، رواه مسلم ^(١) . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إني حرمت ما بين لابتي المدينة ، وفي رواية ما بين مأزميها ، ألا يهرأق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح ولا يخبط فيها شجر إلا ليلف » وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة : « لا يفتل خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل ^(٢) لقطتها إلا لمن أشادها ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال ولا يصلح أن يقطع منها شجر إلا أن يلف رجل بغيره » رواه الإمام أحمد وأبو داود . وعن علي رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المدينة حرام ما بين عير إلى ثور ^(٣) » ، رواه الخمسة . وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع له أجذ فقال : « هذا جبل يحبنا ونحبه ، اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرّم ما بين لابتيها » ، يعني المدينة ، رواه الشيخان .

تبيهاات

الأول : قوله صلى الله عليه وسلم : « إني حرمت المدينة » ، حجة في أنها حرم ، وبه قال الجمهور ، ونقله عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من عشرة من الصحابة خلافاً لمن قال بخلاف ذلك . وذكر دليل ورودها مما يطول به الباب . الثاني : في بيان غريب ما سبق : « لابق المدينة » : تثنية لآبة وهي الحرة : أرض ذات حجارة سود ، وللمدينة لابتان شرقية وغربية وهي بينهما ، ويقال : لابة ولوبة ونوبة بالنون ثلاث لغات ، وجمع

(١) في رواية : لا يصاد صيدها .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٩ ص ١٣٧) .

(٣) في الأصول : تلقت والتصوب من النهاية (ج ٢ ص ٦٢) حيث شرح ابن الأثير الحكم الفقهي للقطعة في مكة

كما ورد في الحديث : لا تحل لقطتها إلا للثمد والفرقة بين لقطة الحرم ولقطة سائر البلدان .

(٤) في صحيح مسلم (بشرح النووي ٩ ص ١٤٢ : ١٤٣) .

الآية في القلة لأبات وفي الكثرة لأب ولوب : «الغضاه» : بالقصر وكسر العين المهملة وتخفيف الضاد المعجمة : كُلُّ شَجَرٍ فِيهِ شَوْكٌ، وَاحِدَتُهَا^(١) غَضَاهٌ وَعَصِيْبُهُ . «المأزمان»^(٢) : بهزة بعد الميم وبكسر الزاي تثنية مأزِم : الطريق بين جبَلَيْن ، أَيْ حَرَمٌ مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ الْمَدِينَةِ . «يَهْرَاقُ»^(٣) : يُصَبُّ «يُعْبَطُ» : يُضْرَبُ^(٤) . «الْعَلْفُ»^(٥) : بسكون اللام مصدر عَلَفْتُ وَأَمَّا الْعَلْفُ بِالْفَتْحِ فَهُوَ اسْمٌ لِلْحَشِيشِ وَالتَّبْنِ وَنَحْوَهُمَا . «يُخْتَلَى» : يُجَزَّ وَيُقَطَّعُ «الْخَلَا» : بالقصر الرُّطْبُ مِنَ الْحَشِيشِ^(٦) الْوَاحِدَةُ خَلَاةٌ «لَا يَنْقَرُ» : بِمَثْنَاءٍ تَحْتِيَّةٍ فَنُونٌ ففَاءُ أَيْ لَا يُزَجَّرُ وَيُتَنَعُّ مِنَ الرُّغَى . «أَشَادُ»^(٧) : يَشِينُ مَعْجَمَةً وَدَالَ مَهْمَلَةً أَيْ أَشَاعَهَا وَالْإِشَادَةُ رَفْعُ الصَّوْتِ وَالْمُرَادُ بِهِ تَعْرِيفُ اللَّقْطَةِ . «وَأَشَادُهَا»^(٨) . «غَيْرُ» : بَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْمَثْنَاءِ التَّحْتِيَّةِ وَبِالرَّاءِ : الْحِمَارُ ، وَيُقَالُ غَيْرٌ جَبَلٌ يُسَمَّى بِاسْمِهِ ، وَبَيْنَ الْأَوَّلِ بِالْوَارِدِ وَالثَّانِي بِالصَّادِرِ . «ثَوْرٌ» : بِالْمَثْنَةِ مُرَادَفٌ فَحُلُ الْبَقَرِ ، جَبَلٌ صَغِيرٌ خَلْفَ أَحَدٍ ، قَالَ الْمَطَرِيُّ بَعْدَ أَنْ رَدَّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ كَوْنَ ثَوْرٍ بِالْمَدِينَةِ وَقَالَ إِنَّهُ خَلْفَ أَحَدٍ مِنْ شِبَالِيهِ مُثَوَّرٌ صَغِيرٌ يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ خَلْفٌ عَنْ سَكْفٍ . وَقَالَ الْقُطُبِيُّ الْحَلْبِيُّ : «حَكَى لَنَا شَيْخُنَا الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ السَّلَامِ بْنُ مَرْزُوقِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ خَرَجَ رَسُولًا إِلَى الْعِرَاقِ / فَلَمَّا رَجَعَ ٤٣٤ ظ

-
- (١) في النهاية (ج ٣ ص ١٠٥) الغضاه شجر أم غيلان وكل شجر عظيم له شوك الواحدة حفرة وأصلها مضمة وقيل وأحدته مضاهة وحضبت المضاه إذا قطعت .
(٢) المأزِم المضيق في الجبال حيث يلتقي بعضها ببعض ويتسع ما وراءه ، والميم زائدة ، وكأنه من الأزِم القوة والشدة ، قاله ابن الأثير في النهاية (ج ٤ ص ٧٤) .
(٣) الهاء في هراق بدل من هزة أراق يقال أراق الماء يريقه وهراقه هريقه ، بفتح الهاء هراقه ويقال فيه أهرقت الماء أهرقه إهرقاء فيجمع بين البذل والميل كما جاء في النهاية (ج ٤ ص ٢٤٧) .
(٤) في الأصول : يسقط وليس هذا معنى يخط في حديث تحريم مكة والمدينة : نهي أن يخط شجرها ، والخط ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها ، وأسم الورق الساقط يخط بالتحريك فل يمين مفعول وهو من علف الإبل .
(٥) من علف الحيوان يلفه طفلاً (طفله العلف) ، وهو من باب ضرب ، واللف محرك هو ما تأكله الماشية وجميعه حلاف مثل جبل وجمال .
(٦) جاء في النهاية (ج ١ ص ٣١٩) في حديث تحريم مكة : لا يخل خلاها ، الخلا مقصور هو النبات الرطب الرقيق ما دام رطباً ، واختلاؤه قطعه ، وأخلت الأرض كثر خلاها فإذا يس خلاها فهو حشيش .
(٧) وردت هذه الكلمة أيضاً في الحديث : من أشاد على مسلم عوده يشينه بها بغير حق شانه الله بها يوم القيامة ، وشرحها ابن الأثير بقوله : يقال أشاده وأشاد به إذا أشاعه ورفع ذكره من أشدت الليبان فهو مشاد وشيده إذا طولته فاستدير لرفع صوته كما يكرهه صاحبك .
(٨) من أشد الفصال عرفها ودل عليها .

إلى المدينة كان معه دليل أى من عرب المدينة ، فكان يذكر له الأماكن والجبال . قال : « فلما وصلنا إلى أحد إذا بِقَرْيَةٍ جَبَلٌ صغير ، فسألته عنه فقال : هذا يُسَمَّى ثَوْرًا ، فَعَلِمْتُ صِحَّةَ الرواية » . وقال المحب الطُّبْرِي : « أَخْبَرَنِي الثَّقَةُ الْعَالِمُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ السَّلَامِ الْبَصْرِيُّ أَنَّ حِلَاءَ أَحَدٍ ، عَنْ يَسَارِهِ ، جَانِحًا إِلَى وَرَائِهِ جَبَلًا صَغِيرًا يُقَالُ لَهُ ثَوْرٌ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ تَكَرَّرَ عَنْهُ سَوَالُهُ لَطَوَائِفَ مِنَ الْأَعْرَابِ الْعَارِفِينَ بِتِلْكَ الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْجِبَالِ ، فَكُلُّهُ أَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ الْجَبَلَ اسْمُهُ ثَوْرٌ ، وَتَوَارَدُوا عَلَى ذَلِكَ » ، : « فَعَلِمْنَا أَنَّ ذِكْرَ ثَوْرٍ فِي الْحَدِيثِ صَحِيحٌ وَأَنَّ عِلْمَ أَكْبَارِ الْعُلَمَاءِ بِهِ [هُوَ] لَعَدَمُ شَهْرَتِهِ وَعَدَمُ بَحْثِهِمْ عَنْهُ » ، قال : « وَهَذِهِ فَائِدَةٌ جَلِيلَةٌ » .

الباب العاشر

في ذكر بعض خصائصها^(١)

وهي تزيد على المائة [فقد] امتازت بتحرّيمها على لسان أشرف الأنبياء بدعوته صلى الله عليه وسلم . وكون المُتَعَرِّض لصيدها وشجرها يُسَلَّب بقتيل الكفار ، وهو أبلغ في الزجر مما في مكة ، وعلى القول بعلمه هو أدلّ على عظيم حرمتها حيث لم يُشرع له جزاء . ويجوز نقل ترابها للتداوى ، واشتغالها على أشرف البقاع وهو محل القبر الشريف ، ودفن أفضل الخلق بها وأفضل هذه الأمة وكذا أكثر الصحابة والسلف الذين هم خير القرون ، وخلقيهم من تربتها . ويحث أشراف هذه الأمة يوم القيامة منها على ما نقله [عبّاس^(٢)] في المدارك عن الإمام مالك ، قال : « وهو لا يقول من عند نفسه » .

وكونها محفوفة بالشهداء كما قاله الإمام مالك أيضاً ، وبها أفضل الشهداء الذين بذلوا أنفسهم في ذات الله بين يدَي نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فكان شهيداً عليهم ، واختيار الله تعالى إياها لأفضل خلقه وأحبهم إليه ، واختيار أهلها للنصرة والإيواء ، وافتتاحها بالقرآن وسائر البلاد بالسيف والسنان ، وافتتاح سائر بلاد الاسلام منها ، وجعلها مظهر الدين ، ووجوب الهجرة إليها قبل فتح مكة والسكنى بها لنصرته صلى الله عليه وسلم ومواساته بالأنفس على ما قاله القاضي عياض أنه مُتَّفَقٌ عليه ، قال : « ومن هاجر قبل الفتح فالجمهور على منعه من الإقامة [بحكمة^(٣)] بعد الفتح ، ورخص له ثلاثة أيام بعد قضاء نسكِهِ ، والحث على سكنتى المدينة وعلى اتخاذ الأصل بها وعلى الموت بها ، والوعد على ذلك بالشفاعة أو الشهادة أوهما ، واستحباب الدعاء بالموت بها ، وتَحْرِيزُهُ صلى الله

(١) ذكر السهوي هذه الخصائص في وفاء الوفاء (ج ١ ص ٥٢ : ٩٢) مرتبة ترتيباً عديداً ووصل بها إلى تسع وتسعين وفي حاشية لنشر طبعة القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ قال بأنه دخل تحت الخصيصة السادسة والخمسين خصيستان فيكون مجموع الخصائص مائة . وعقد الزركشي في كتابه إعلام الساجد فصلاً تحت عنوان : ذكر جملة من الخصائص والأحكام والفضائل ، أي المتعلقة بالمدينة النبوية (من ص ٢٤٢ : ٢٧٣) . أورد منها أربعين بسط القول فيها ولم يبرز كما صنع السهوي ومؤلف هذا الكتاب .

(٢) إضافة يقتضها السياق

عليه وسلم على الموت بها وشفاعته أو شهادته لمن صبر على لأوامها وشِدَّتْها ، وطلبه لزيادة البركة بها على مكة ودعاؤه بحبها ، وطرح الرداء عن منكبيه إذا قاربها ، وتسميته لها طَبِيبَةً « وغيرها مما سبق . « وطبيب ربحها ، وللعطر بها رائحة لا توجد في غيرها » قاله ياقوت .

وطبيب العيش بها وكثرة أسمائها ، وكتابتها في التوراة مؤمنة وتسميتها فيها بالمحبة والمرحومة وإضافتها إلى الله تعالى في قوله تعالى « أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا » (١) ، وإلى النبي بلفظ البيت في قوله تعالى : « كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ » (٢) وإقسام الله تعالى في قوله تعالى : « لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ » (٣) ، والبداءة بها في قوله تعالى : « وَقُلْ رَبِّ / أَذْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ » (٤) ، مع أن المخرج مُقَدَّم على المدخل . ودعاؤه صلى الله عليه وسلم لها خصوصاً بالبركة ، ولثامها ومكيالها وأسواقها وأهلها .

ولقوله إنها تنفي الذنوب وتنفي خبيثها ، وأنه لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها خيراً منه ومن أرادها وأهلها بسوء أذابه الله ، الحديث ، فَوَثَّبَ الوعيد فيها على الإرادة ، كما قال تعالى في حَرَم مكة . « وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْإِثْمِ يَظْهَرْ لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ » (٥) والوعيد الشديد لمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً . والحدث يشمل الصغيرة فهي بها كبيرة ، أى يَعْظُم جزاؤها لدلائنها على جرأة مرتكبها بِحَرَم سَيِّد المرسلين وحضرته الشريفة . والوعيد الشديد لمن ظلم أهلها أو أخافهم ، ووعيد من لم يُكْرَم أهلها وأن إكرامهم وتعظيمهم حق على الأمة ، وأنه صلى الله عليه وسلم شفيع أو شهيد لمن حَقَّظهم فيه ، وقوله : « مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَقَدْ أَخَافَ مَا بَيْنَ جَنْبَيَّ » .

واختصاصها بِمَلَك الإيمان والحياة ، ويكون الإيمان يَأْرُزُ إليها ، واشتياكها بالملائكة وحراستهم لها ، وإنها دار الإسلام أبداً لحديث : « إِنْ الشَّيَاطِينَ قَدْ أَيْسَتْ أَنْ تُعْبَدَ

(١) سورة النساء من الآية ٩٧ .

(٢) سورة الأنفال من الآية الخامسة .

(٣) الآية الأولى من سورة البلد .

(٤) سورة الإسراء من الآية الثمانين .

(٥) سورة الحج من الآية ٢٥ .

يُكَلِّدِي هذا ، ، وأنها « آخر قُرَى الإسلام خراباً » ، رواه الترمذى ، وحسنه ، وبأى بسطه في المعجزات إن شاء الله تعالى ، وعصمتها ، من الدَّجَال وخروج الرجل الذى هو خير الناس أو من خير الناس منها لِلدَّجَال أَيَكْذِبُهُ ، ونقل وبائها وحُمَاهَا والامتنشاف بترابها ويتمرها كما سيأتى فى الخصائص .

وقوله فى حديث للطبرانى : « وَحَقُّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَأْتِيَهَا » ، وسماعه صلى الله عليه وسلم لمن صَلَّى عليه بها عند قبره الشريف ، ووجوب شفاعته لمن زاره بها ، وغير ذلك مما سيأتى فى باب فضل زيارته . وَكَوْنُهَا أَوَّلَ مَسْجِدٍ اتَّخَذَهُ بِهَا لِعَامَةِ الْمُسْلِمِينَ فى هذه الأُمَّة ، وتأسيس مسجدها على يده صلى الله عليه وسلم ، وعمل فيه بنفسه ، ومعه خَيْرُ الأُمَّة ، وَأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْزَلَ فى شأنه (لَمَسْجِدٍ أُسَسَّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ^(١)) وَكَوْنَهُ آخِرَ مَسَاجِدِ الْأَنْبِيَاءِ ، والمساجد التى تُشَدُّ إِلَيْهَا الرُّحَالُ ، وَكَوْنَهُ أَحَقُّ الْمَسَاجِدِ أَنْ يُزَارَ [وما يُلْخَرْ لَزائره من الثواب] ^(٢) الْمُضَاعَفُ كما سيأتى وَأَنَّ مَنْ صَلَّى فِيهِ أَرْبَعِينَ صَلَاةً كَسِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ الْعَذَابِ ، وَأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ النِّفَاقِ ، وَأَنَّ مَنْ خَرَجَ عَلَى طَهْرٍ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ حَبِيبَةٍ ، وماثبت من أَنَّ لِإِتْيَانِ مَسْجِدِ قُبَاءٍ وَالصَّلَاةِ فِيهِ تَعْدِيلَ عُمْرَةٍ وَغَيْرَ ذَلِكَ مَا ثَبِتَ فِي فَضْلِهَا .

وَأَنَّ بَيْنَ بَيْتِهِ وَقَبْرِهِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، مع ذهاب بعضهم إلى أَنَّ ذَلِكَ يَعْمُ مَسْجِدَهُ صلى الله عليه وسلم ، وَأَنَّهُ الْمَسْجِدُ الَّذِى لَا تُعْرَفُ بُقْعَةٌ فى الْأَرْضِ مِنَ الْجَنَّةِ غَيْرُهُ ، وَأَنَّهُ عَلَى حَوْضِهِ صلى الله عليه وسلم ، وما جاء فى أَنَّ « مَا بَيْنَ مَنِيرِهِ الشَّرِيفِ وَالْمُصَلَّى رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ » ^(٣) وَسَيَأْتِى مَا يَقْتَضِى أَنَّ الْمَرَادَ مُصَلَّى الْعِيدِ وَهُوَ جَانِبُ كَبِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْبَلَدَةِ .

وقوله فى أَحَدٍ : [هَذَا جَبَلٌ] ^(٤) يُحْيِيْنَا وَنُحْيِيْهِ ، وَأَنَّهُ عَلَى ثُرْعَةٍ مِنْ ثُرَعِ الْجَنَّةِ . وفى

(١) من الآية ١٠٨ من سورة التوبة .

(٢) يباح بالأصول بغير عدة كلمات والتكلمة بما يقتضيه السياق .

(٣) أخرجه مسلم عن عبد الله بن زيد المازنى وعن أبي هريرة . ولفظه عن المازنى : ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة وزاد أبو هريرة : ومنبري على حوضي (صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ١٦١ : ١٦٢) .

(٤) عن أنس : إن أحدا جبيل يحينا ونحيه (صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ١٦٢) .

وادی بَطْحَانَ أَنَّهُ عَلَى تَرَعَةٍ مِنْ تَرَعِ الْجَنَّةِ^(١). وَوَضَعَهُ لَوَادِيهَا الْعَقِيقُ بِالْوَادِي الْمُبَارَكِ، وَأَنَّهُ يُجَبِّنَا وَنُحْيِيهِ^(٢). وَقَوْلُهُ فِي شِمَارِهَا : « إِنْ الْعَجْوَةَ مِنَ الْجَنَّةِ » . وَسَيَأْتِي فِي بَشْرِ غَرَسٍ^(٣) أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى أَنَّهُ أَصْبَحَ عَلَى يَثْرٍ مِنْ آبَارِ الْجَنَّةِ فَأَصْبَحَ عَلَيْهَا^(٤) . وَرَوِيَا الْأَنْبِيَاءَ حَقًّا .

وَإِخْتِصَاصُ مَسْجِدِهَا بِمَزِيدِ الْأَدَبِ . وَيُكْتَبُ لِمَنْ صَلَّى بِمَسْجِدِهَا صَلَاةٌ بِرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ ٤٣٥ ظ وَبِرَاءَةٌ مِنَ الْعَذَابِ / وَأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ النِّفَاقِ ، رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ بِرِجَالٍ ثِقَاتٍ . وَخَفَضَ الصَّوْتُ فِي تَأْكِيدِ التَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ بِهِ . [وَالْحَدِيثُ] : أَنَّهُ « لَا يَسْمَعُ النَّدَاءَ فِي مَسْجِدِي ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا لِحَاجَةٍ ثُمَّ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ إِلَّا مُتَأَنِّقٌ » وَإِخْتِصَاصُهُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ بِمَنْعِ أَكْلِ الثَّوَمِ مِنْ دُخُولِهِ لِإِخْتِصَاصِهِ بِمَلَائِكَةِ الْوَسْخِ وَالْوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِمَنْ حَلَفَ يَمِينًا فَاجْرَأَ عِنْدَ مُنْبَرِهَا وَمُضَاعَفَةُ سَائِرِ الْأَعْمَالِ بِهَا كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ . وَأَنَّ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ بِهَا كَأَنَّ جُمُعَةً فِيهَا سَوَاهَا إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ . وَأَنَّ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ بِهَا كَصِيَامِ أَلْفِ شَهْرٍ فِي غَيْرِهَا ، كَمَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ بِلَالِ بْنِ الْخَلَرِثِ ، وَابْنِ الْجَوْزِيِّ عَنْ ابْنِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وَكَوْنُ أَهْلِهَا أَوَّلَ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِخْتِصَاصُهُمْ بِمَزِيدِ الشَّفَاعَةِ وَالْإِكْرَامِ . وَجَاءَ بَعَثُ الْمَيِّتِ بِهَا مِنَ الْأَمْنَيْنِ ، وَأَنَّهُ يُبْعَثُ مِنْ بَقِيعِهَا سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَتُؤَكَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِمَقْبِرَةِ بَقِيعِهَا كُلَّمَا امْتَلَأَتْ أَخْلَعُوا بِأَطْرَافِهَا فَكَفَشُوهَا بِالْجَنَّةِ . وَبَعَثَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا وَبَعَثَ أَهْلَهَا مِنْ قُبُورِهِمْ

(١) رَوَى ابْنُ شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنْ بَطِحَانَ عَلَى تَرَعَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ .

(٢) عَنْ أَنَسٍ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى وَادِي الْعَقِيقِ فَقَالَ : « يَا أَنَسُ خُذْ هَذِهِ الْمَطْهَرَةَ امْلَأْهَا مِنْ هَذَا الْوَادِي فَإِنَّهُ يَجِبُنَا وَنَحْبُهُ » ، فَأَخَذَهَا فَلَمَّهَا .

(٣) ضَبْطَةُ السَّهْمُودِيِّ (ج ٢ ص ١٤٥) بِقَوْلِهِ لَتَيْنِ الْمَجْمُوعَةِ قَاتِلًا بِأَنَّهُ هُوَ الدَّائِرُ عَلَى أَلْسِنَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ (أَيْ فِي زَمَنِهِ) وَضَبْطَةُ الْفَيْرُوزِ أَيْدِي يَفْتَحُ لِلتَّيْنِ وَسُكُونُ الرَّاءِ .

(٤) عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَمْعٍ مَرْسَلًا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ أَنِّي أَصْبَحْتُ عَلَى يَثْرٍ مِنَ الْجَنَّةِ فَأَصْبَحَ عَلَى يَثْرٍ غَرَسٍ فَوَضَعَهَا فِيهَا وَبَزَقَ فِيهَا وَأَهْدَى لَهَا عَصَا فَنَبَتَ فِيهَا وَغُسِلَ مِنْهَا حِينَ تَوَفَّيْتُ . وَعن ابْنِ عَمْرٍو قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَائِدٌ عَلَى شَفِيرِ غَرَسٍ : « رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ كَأَنِّي جَالِسٌ عَلَى عَيْنٍ مِنْ حُيُوتِ الْجَنَّةِ يَفْنَى يَثْرُ غَرَسٍ .

قبل سائر الناس واستحباب الدعاء بها في الأماكن التي دعا بها صلى الله عليه وسلم وسبقنا بيانها إن شاء الله تعالى ويقال إنه يُستجاب بها عند الأسطوانة المخلقة ، وعند المنبر وفي زاوية دار عقيل بالبقيع بمسجد الفتح ^(١) .

[واختصاصها] بكثرة المساجد والمشاهد بها ، واستحباب من عاب تربتها ، وأقضى ^(٢) الإمام مالك ^(٣) أنه من قال تربتها رديئة أن يضرب ثلاثون درة ، وأمر بحبسه وكان له قدر ، وقال : ما أحوجه إلى ضرب عنقه ، تربته دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة .

واستحباب الدخول لها من طريق والرجوع من أخرى ، والاغتسال للدخولها ، واختصاص أهلها بأبعد المواقيت ، وذهب بعض السلف إلى تفضيل البداءة بها قبل مكة ، وأن نقرأ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يبدؤون بالمدينة إذا حَجُّوا ويقولون نبدأ من حيث أحرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن علقمة ، والأسود ، وعمر بن ميمون أنهم بدأوا بالمدينة . وعن العبدى من المالكية أن المثنى لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الكعبة . وسبقنا أن من نكّر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لزمه الوفاء قولاً واحداً . وفي وجوب الوفاء في زيارة [قبر] غيره وجهان [قاله ابن كجب ^(٤)] وأقره عليه الرافعي والنووي وغيرهما [^(٥)] والاكتفاء بزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن نكّر إتيان مسجد المدينة كما قال الشيخ أبو علي تفريعاً على القول بلزوم إتيانه كما قاله [الشافعي] ^(٦) والبويطي ، على أنه لا بد من [ضم ^(٧)] قرينة إلى الإتيان كما هو الأصح [تفريعاً على اللزوم] وبالله

(١) زاد السهوي : ومسجد الفتح بعد صلاة الظهر يوم الأربعاء ، واستجابة الدعاء بمسجد الإجابة ومسجد السقيا وبالمصل عند القدوم وعند بركة السوق في يوم العيد وعند أحجار الزيت وبالسوق لما سبق عند ذكر هذه الأماكن من ورود ذلك عنه صلى الله عليه وسلم بها .

(٢) في السهوي (ج ١ ص ٥٧) استحقاق من عاب تربتها للتعزير .

(٣) هو القاضي أبو القاسم يوسف بن أحمد بن كجب أحد أركان المذهب الشافعي كان يضرب به المثل في حفظ المذهب وأزعم الناس إليه من الاتفاق بحيث يفصله بينهم على الشيخ أبي حامد الإفرائي ، وقال له فقيه : يا أستاذ، الاسم لأبي حامد والممل لك . قال : ذلك دفعته ببغداد وحظي الدينور . قتله البيارون بها سنة ٤٠٥ هـ . انظر طبقات الشافعية نتائج السبكي (ج ٤ ص ٢٩) وتاج المروعي مادة كجب .

(٤) زيادة من السهوي (ج ١ ص ٦١) .

الشيخ أبو علي بأن زيارته صلى الله عليه وسلم من أعظم القربات ، وتوقف في ذلك الإمام من جهة أنها لا تتعلق بالمسجد وتعظيمه ، قال : وقياسه أنه لو تصدق في المسجد أو صام يوماً كفاه ، وفيه نظر ، على أن الصحيح ما نص عليه في المختصر من ^(١) عدم لزوم الإتيان ^(٢) .

وجاء في سؤرها أن الجالب إليه كالمجاهد في سبيل الله ، وأن المَحْشَر كالمُجِدَّ في كتاب الله تعالى . واختصت بظهور نار الحجاز المُنْتَر ^(٣) بها من أرضها ومن انطفائها عند حرَمها كما سيأتي في العجرات ، لما تضمنته حديث الحاكم وغيره . [وفي حديث النسائي والبخاري والبيهقي ، لما تضمنته حديث الحاكم وغيره .] وفي حديث الأئمة فلا يجلبون عالماً أعلم من عالم المدينة . وكان سفيان بن عيينة يقول : نرى هذا العالم مالك ابن أنس . وقيل غير ذلك . وما نُقِلَ عن مالك من أن إجماع أهلها يُقدَّم على خبر الواحد ، لسكنتهم مهبط الوحي ومعرفتهم بالناسخ والمنسوخ .

واختصاص أهلها في قيام رمضان بست وثلاثين ركعة على المشهور عند الشافعية . قال الإمام الشافعي : رأيت أهل المدينة يقومون بتسع وثلاثين ركعة منها ثلاث للوتر . ونقل الروياني / وغيره عن الشافعي أن سببه إرادة أهل المدينة مساواة أهل مكة فيما كانوا يأتون به . من الطواف وركعتين بين الترويحات فجعلوا مكان كل أسبوع ^(٤) تروية . قال الإمام الشافعي : لا يجوز لغير أهل المدينة أن يباروا أهل مكة ولا ينافسوهم لأن الله فضّلهم على سائر العباد .

٤٣٦ و

(١) ساقطة بن الأصول والتكلمة من السهودي ج ١ ص ٦١ .

(٢) زاد السهودي : وإن كان الزوم أرجح دليلاً ، ورجح الرافعي تقريباً على الزوم فهم صلاة أو احتكاف وكذا إذا نذر إتيان المسجد الأقصى فإن نفس المرور لما لم يكن في نفسه مزية انصرف النذر إلى ما يقصد به من التقرب . يبرجح ما قاله الشيخ أبو علي لأن إتيان مسجد المدينة يقصد الصلاة والاحتكاف والزيارة بخلاف غيره .

(٣) إلى التي أخبر بها صلى الله عليه وسلم للإنداء .

(٤) زيادة من السهودي . ج ١ ص ٦٠ .

(٥) أسبوع هنا كافي القاموس : طاف بالبيت سبباً وأسبوعاً وسبوعاً . وشرح الزركشي في إعلام المساجد ص ٢٦٠ ما كان يصنعه أهل مكة وهو أنهم كانوا إذا صلوا تروية طافوا سبباً إلا التروية الخامسة فإنهم يوترون بعدها ولا يطوفون فتحصل لهم خمس ترويحات وأربع طوافات . فلما لم يمكن أهل المدينة مساواتهم في أمر الطواف الأربع وقد ساوهم في الترويحات الخمس جعلوا مكان كل أربع طوافات أربع ترويحات زوائده فصارت تسع ترويحات فتكون ستاً وثلاثين ركعة لتكون مساوية لصلاة أهل مكة وطوافهم ، ثم أورد الزركشي بعد ذلك قولين آخرين في سبب هذه الزيادة .

وشاركتها مكة في تحريم قطع الرطب من شجرها وحشيشها وصيدها واصطياده وتنفيذه ،
وحمل السلاح للقتال بها ، ولا تجل لُقَطَتُهَا إلا لمن أشاد بها ، ونقل ترابها ونحوه منها
أو إليها ، ونبش الكافر إذا دُفِن بها . وأن كلاً من مسجد الرسول والمسجد الحرام يقوم
مقام المسجد الأقصى لمن نذر الصلاة أو الاعتكاف فيه ، ولو نذرهما بمسجد المدينة لم
يُجْزِهِ الأقصى وأجزاء المسجد الحرام بناء على زيادة المضاعفة ، وإذا نذر المشي إلى بيت
المقدس يُخَيَّرُ بين المشي إليه أو إلى أحدهما ، والذي رَجَّحُوهُ ما اقتضاه كلام البغوي
من عدم لزوم المشي في غير المسجد الحرام .

وإذا نذر تطيب مسجد المدينة والأقصى ففيه تردد لإمام الحرمين ، واقتضى كلام الغزالي
اختصاصه بالمسجدين لأننا إن نظرنا إلى التعظيم ألحقناهما بالكعبة أو إلى امتياز الكعبة
بالفضل فلا . قال السيد^(١) : فينبغي الجَزْمُ في نذر تطيب القبر الشريف على ما كنه
أفضل الصلاة والسلام . ورحم الله الإمام مالك أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر
الأندلسي المالكي^(٢) الأعمى حيث قال :

هنا وكم يا أهل طيبة قد خفي فبالقرب من خير الورى خرتم السبا
فلا يتحرك ساكن [ثوى بربوعها]^(٣) إلى سواها وإن جار الزمان ولو شفا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما وصلتم فلم يقلد ولو ملك الخلق

(١) لفظ السهوي (ج ١ ص ٦٠) : وحيث كان الملاحظ ما ذكر فينبغي ألا يتوقف فيها لوزن تطيب القبر الشريف .

(٢) ليس في اسمه ملك كما جاء في ترجمته في كل من نكت الهميان وشرحات الذهب فاسمه هو : أبو عبد الله محمد
ابن أحمد بن علي بن جابر المواري المري (أي نسبة إلى بلدة المري بالأندلس) عرف بابن جابر ، قدم دمشق وسمع بها على
أشياخ عصره وتوجه من دمشق إلى حلب في أشريات سنة ٧٤٣ هـ . قال الصفي (نكت الهميان ص ٢٤٥) : اجتمعت
به مرات وسأله عن مولده فقال : سنة ٦٩٨ هـ بالمري قرأ القرآن والنحو على أبي الحسن علي بن محمد بن أبي العيش وألفقه
لمالك بن محمد بن سعيد الرندي وسمع صحيح البخاري من محمد الزواوي وقال الصفي إنه ينظم الشعر جيداً وأنشدني منه
كثيراً وهو الآن حتى يريزق بناحية البيرة . ولقد كتب الصفي هذا قبل سنة ٧٦٤ هـ التي توفي فيها أما ابن جابر فقد توفي
سنة ٧٨٠ هـ كما جاء في شرقات الذهب (ج ٦ ص ٢٦٨) وقال ابن الساد في ترجمته . كان ابن جابر رفيقاً لأبي جعفر
الرعي وهما المشهوران بالأعمى والبصير كان ابن جابر هذا يولف وينظم ، والرعي يكتب وأورد ابن فضل الله العمري
شيئاً من شعر ابن جابر في كتابه مسالك الأبيصار وكان حريصاً على لقائه فلم يفتق العمري ذلك إذ توفي سنة ٧٤٨ هـ ومن مؤلفات
ابن جابر شرح الألفية لابن مالك حتى فيه يلحظ الأبيات وله نظم لفصيح ثملب ونظم لكفاية المتحفظ لابن الأجداني
وشرح على ألفية ابن معلى . هذا ولم يترجم له القري فيمن رحلوا إلى المشرق من الأندلسيين .

(٣) يفاض بالأصول وما أتهنته عبارة لتلكلة صدر البيت .

فَبَشِّرَاكُمْ نَلْتَمِ عَنَابَ رَبِّكُمْ
تَرَوْنَ رَسُولَ اللَّهِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
مَعِيَ جِئْتُمْ لَا يُغْلَقُ الْبَابُ ثَوْنَكُمْ
فَيَسْمَعُ شِكَاكُمْ وَيَكْشِفُ ضُرَّكُمْ
بِطَبِيبَةٍ مِثْوَاكُمْ وَأَكْرَمُ مُرْسَلٍ
وَكَمْ نِعْمَةٍ لِّلَّهِ فِيهَا عَلَيْكُمْ
أَمِنتُمْ مِّنَ الدَّجَالِ فِيهَا فَحَوَّلَهَا
كَذَلِكَ مِنَ الطَّاعُونَ أَنْتُمْ بِمَأْمُونٍ
فَلَا تَنْظُرُوا إِلَّا لِيُوجِبَ حَبِيبُكُمْ
حَيَاةً وَمَوْتًا تَحْتَ رَحْمَتِهِ أَنْتُمْ
فِي رَاجِلٍ عَنْهَا لِلنَّبَا تَزِيدُهَا
أَنْخَرُجُ عَنْ حَوْزِ النَّبِيِّ وَحِرْزِهِ
لَكِنَّ سِرَّتَ مَنْ فِيضَ الْمَكَارِمِ عِنْدَهُ^(١)
هُوَ الرِّزْقُ مَقْسُومٌ فَلَيْسَ بِزَائِدٍ
لِّكُمْ قَلِيلٌ قَدْ وَسَّعَ اللَّهُ رِزْقِيهِ
فَعِشْ فِي حِمَى خَيْرِ الْأَنْامِ وَمَتَّ بِه
إِذَا قَمْتُ فِيمَا بَيْنَ قَبْرِ وَمَنْبَرٍ
لَقَدْ أَسْعَدَ الرَّحْمَنُ جَارَ مُحَمَّدٍ

ظ ٤٣٦

فَهَا أَنْتُمْ فِي بَحْرِ عِنَابِهِ عَرَفَى
وَمَنْ يَرَهُ فَهُوَ السَّيِّدُ بِهِ حَقًّا
وَبَابُ ذِي الْإِحْسَانِ لَا يَقْبَلُ الْغَلَا
وَلَا يَمْنَعُ الْإِحْسَانَ ضَرًّا وَلَا رِقَابًا
يَلَاظِمُكُمْ فَالْذُّهُرُ يَحْزِي لَكُمْ وَقَفَا
فَشْكُرَا وَنِعْمَ اللَّهُ بِالشُّكْرِ تُسْتَبْقَى
مَلَائِكَةُ يَحْمُونَ مِنْ ثَوْنِهَا الطَّرْفَا
فَوْجُهُ التَّلَايَا لَا يَزَالُ لَكُمْ طَلَقْنَا
وَلِإِنْ حَادَتْ الدُّنْيَا وَبَرَّتْ فَلَافَقَا
وَحْشَرًا فَيَسِّرُ الْبَاجِ فَوْقَكُمْ مُلْقَى
أَتَطْلُبُ مَا يَغْنَى وَتَتْرُكُ مَا يَنْبَغِي ؟
إِلَى غَيْرِهِ تَسْفِيهِ غَيْرُهُ قَدْ جَفَا
فَبَاكُرُكُمْ مِنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مَا تَلْقَى /
وَلَوْ سِرَّتْ حَقِّي أَكِدْتُ تَخْتَرِقُ الْأَفْقَا
وَمُرْتَحِلٌ قَدْ ضَاقَ بَيْنَ الْوَرَى رِزْقًا
إِذَا كُنْتُ فِي الدَّارَيْنِ تَطْلُبُ أَنْ تَرَقَى
بِطَبِيبَةٍ فَاعْرِفْ أَيْنَ خَيْرُكَ الْارْقَى
وَمَنْ حَالٌ فِي تَرْحَالِهِ فَهُوَ الْأَشَقَى

وَمَنْ أَكْبَرُ مَا نَظُمَ فِي ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ قَصِيدَةُ الْإِمَامِ الرَّزَّاقِ الْعَارِفِ بِاللَّهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ الْعَلَّامَةُ بُلْدُ الَّذِينَ قَرَحُونَ^(٢) أَخَذَ أَصْحَابُ نَاطِقِيهَا إِنْ

(١) فِي الْأَصُولِ : لَكِنَّ سِرَّتَ مَنْ كَرَّمَ أَمَانَهُ
(٢) فِي نَحْوِ : أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ السَّكْرِيُّ ، وَالتَّبَاةُ الْأَخِيرَةُ غَلَا وَهِيَ مَقْبُولَةٌ ضَبْطًا فِي الْأَوَّلِ
الْبَابُ الثَّامِنُ ص ٧٨ مِنْ خَلَاةِ الْمَخْطُوطَةِ : السَّكْرِيُّ ، وَالْإِسْمُ كَمَا أوردَهُ السَّهْوِيُّ أَتَّفَاهُو : أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي خَمْرٍ
وَلَمْ يَكُنِ السَّكْرِيُّ - لِيَا تَرْجِيحَ - مَالِكِي الْمَلْطِ لِأَنَّهُ مِنْ بِلَدَةِ بَسْكَرَةَ شَرْقِ الْجَزَائِرِ فِي الْقَرِيبِ الْعَرَبِيِّ قَدْ حَاوَلْنَا ضَبْطَ اسْمِهِ
فِي كُتُبِ سَلْبَاتِ الْمَلَائِكَةِ مِثْلَ الْبَيَاضِ لِأَبْنِ فَرَحُونَ وَتَمِلُ الْأَبْجَاهُ لِلْمِصْبَاحِ وَشَجَرَةُ النُّورِ الْفَرَكِيَّةُ تَخْلُوفُ وَوَلَكُنَّا لَمْ نَوْفِقْ
فِي الشُّرُوحِ عَلَيْهِ .

(٣) مِنْ اسْمِهِ ابْنُ فَرَحُونَ الثَّانِي : صَاحِبُ الْبَيَاضِ الْمَلْطِ وَاسْمُهُ إِبرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْوَلَفِاءِ إِبرَاهِيمُ بْنُ فَرَحُونَ الْبَلْبَنِي

بعض الصالحين رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، قال البلر : « وأشك هل كان الشيخ أو غيره ؟ » وأنشد هذه القصيدة ، فلما بلغ آخرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رَضِينَاهَا رَضِينَاهَا . وخمسمائة الإمام أبو عبد الله التونسي رحمه الله . وقد رأيت لإيراد ذلك هنا (١) :

أَعْلَامٌ طَيِّبَةٌ لَانَهُمْ بَسُواهَا فَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ثَوَاهَا (٢)
وَأَعْمُرُ فَوَادَكَ دَائِمًا بِهَوَاهَا دَارُ الْحَبِيبِ أَحَقُّ أَنْ تَهْوَاهَا
وَتَجُنُّ مِنْ طَرَبٍ إِلَى ذِكْرَاهَا

لَا تُخْلِ خَدَّ ثُرَاهَا مِنْ قُبْلَةٍ وَيَكُلُّ عَامٍ قُمْ إِلَيْهِ بِرَحْلَةٍ (٣)
لَا تَقْنَعَنَّ مِنَ الْمَرَارِ بِمَرَّةٍ وَعَلَى الْجُحُونِ مَيِّ هَمَمْتُ بِزُورَةٍ
يَا بَيْنَ الْكِرَامِ عَلَيْكَ أَنْ تَفْشَاهَا

اقطع زمانك إن سعدت ببلدة جوت الرسول فتلك أطيب ثوبه
جأوده تأمن أن تصاب بشدة فلأنت أنت إذا حلتك بطيبة
وظللت ترتع في ظلال وياها

هي جنتي مما أخاف وحتي ويحيا من فيها تخلص مهجتي
ولذا نظرت لها فذلك بغيتي معني الجبال متى الخواطر والتي
سكنت عقول العاشقين خلها

تلك المنازل لا نعيم كثرها تلك المياه لنا الشفاء يشربها
يا طيب نفحتها وحسن مهبطها لا تحسب المسك الذي كثرها
هيهات أين المسك من رباها

= أبي الحسن علي بن محمد أبو القاسم فرحون بن محمد بن فرحون البصري توفي سنة ٧٩٩ هـ ، انظر ثلاث : الذهب ج ٦ ص ٣٥٧ . وأين فرحون الآخر هو عبد الله بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون البصري المتوفى سنة ٧٦٩ هـ وليس في اسميهما پدر الدين .

(١) أورد السهوي القصيدة بطولها دون تخميس في خامسة كتابه ج ٢ ص ٤٥٤ : ٤٥٦ .

(٢) في القاموس : ثوى المكان وبه يشوى فواء وثوياً - بالقسم - أطال الأقامة به أو نزل .

(٣) عجز البيت في الأصل . وبكل عام كن لهذا رحلة . وفي البيت على هذه الصورة : إني قد ، فضلا من ، رايك التميز عند القول : كن لهذا رحلة . ولذلك غيرناه ، وبكل عام قم إليه برحلة ، المسافة على طلائع القنينة : ٦٠ : ٦١ .

لَيْمَ لَا تَطِيبُ ثَنَا وَنَكْرُمُ مَنَبَا والمصطفى حَيَّا حَوْنَهُ وَمِنَّا
فَنَسِيهَا يَحْكِي الْعَبِيرَ إِذَا أَتَى طَابَتْ فَإِنْ تَنَغَّرَ التَّطِيبَ يَا فَتَى
فَأَدِمَ عَلَى السَّاعَاتِ لَتَمَّ قَرَاهَا .

لَوْ لَمْ تَكُنْ أَزْكَى الْبِلَادِ وَأَطَهَرَا ما اختارها لرسوله لَمَّا سَرَى
فبطيها أَيْقَنَ وَخُلَّ مِنْ افْتَرَى وابْشُرْ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ مُقَرَّرَا
أَنْ الْإِلَهَ بِطَابَةِ سَمَاءَا /

و ٤٣٧

دَارُ الْحَبِيبِ لَنَا فَلَذَ بِرَحِيْبِهَا فَالْنَفْسُ مُوَلَّعَةٌ بِسَدَارِ حَبِيبِهَا
اللَّهُ شَرَفَهَا بِهِ لِنَصِيْبِهَا واختصها بالطيبين لِطِيبِهَا
واختارها ودَعَا إِلَى سُكْنَاهَا

مَدَّتْ بِهَا رُحْمَى الْإِلَهِ ظِلَالَهَا مِنْ أَجْلِ مَنْ مَنَعَ النُّفُوسَ ضَلَالَهَا
جَلَّ فِي الْيَلَادِ فَلَنْ نَصِيبَ مِثَالَهَا لَا كَالْمَدِينَةِ مَنَزُولٌ وَكَفَى لَهَا
شَرْقًا حُلُولُ مُحَمَّدٍ يَفْنَاهَا

مَنْ لِي بَلَاءَ أَلْقَى الْحَبِيبَ وَأَظْفَرَا وَأَشْمَ مِنْ مِثْوَاهُ مِسْكَاً أَذْفَرَا
وَأَرَى الَّتِي شَفِغَتْ بِهَا مُهْجُ الْوَرَى خُصَّتْ^(١) بِهَجْرَةِ خَيْرٍ مِنْ وَطَى الثَّرَى
وَأَجْلَهُمْ قَدَرًا فَكَيْفَ تَرَاهَا^(٢) ؟

كَلَّفَنِي بِهَا طَبْعٌ بَغِيرُ تَكْلُفٍ صَفَتِ الْقُلُوبُ لَهَا لِأَجْلِ مَنْ اضْطَرَّنِي
وَجَلَّالَ تِلْكَ الْأَرْضِ مَا هُوَ بِالْخَفِيِّ كُلُّ الْبِلَادِ إِذَا ذَهَبَتْ كَأَخُوفٍ
فِي اسْمِ الْمَدِينَةِ لِاخْلَا مَعْنَاهَا

هِيَ لِلْقُلُوبِ الصَّافِيَاتِ حَبِيبَةٌ وَلَا أَهْلِيهَا وَالنَّازِلِينَ رَحِيمَةٌ
فَأَقَتْ جَمِيعَ الْأَرْضِ فِيهَا غَرِيبَةٌ حَاشَا مُسَمًّى الْقُلُوبِ فِيهَا قَرِيبَةٌ
مِنْهَا وَمَكَّةُ إِنَّهَا إِيَّاهَا

(١) رواية السهري : حطيت .

(٢) من الجائز أن تقرأ تَرَاهَا ، بِالتاء المثلثة .

فَلْيَجْعَلْ مَرَارَكَ لِلثَّلَاثِ وَظَيْفَةً. وَأَمِنْ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ خَيْفَةً
فَكِلَاهُمَا تَدْعُ الْقُلُوبَ نَظِيفَةً لَا قَرَقٍ ٥) إِلَّا أَنْ تُمْ لَطِيفَةً
مَهْمَا بَدَتْ يَجْلُو الظَّلَامَ سَنَاهَا

فَافْهَمْ وَأَرْجُو أَنْ تُفِيَقَ وَتَفْهَمَا أَمَرَ الَّذِي هُوَ قَدْ سَا فَوْقَ السَّمَاءِ
إِنْ الْفَضِيلَةَ حَيْثُ أَصْبَحَ مِنْهُمَا جَزَمَ الْجَمِيعُ بِأَنْ خَيْرَ الْأَرْضِ مَا
قَدْ حَاطَ ذَاتَ الْمُصْطَفَى وَحَوَاهَا

فَمِنْ الْعَجَائِبِ مُهَجِّبِي عَنْهَا سَلَتْ وَهِيَ الَّتِي بِضَرْبِ أَحْمَدَ فَضَلَتْ
مِثْلَ الْعُقُودِ بِقَدْرِ جَوْهَرِهَا عَلَتْ وَنَعَمْ لَقَدْ صَدَّقُوا بِسَائِكِنِهَا عَلَتْ
كَالْتَفَنِ حِينَ زَكَتْ زَكَا مَاوَاهَا

إِنِّي أَقُولُ فَلَا تَكُنْ ذَا غَيْبَةٍ قِفْ عِنْدَ حُجْرَتِهِ بِمَوْقِفِ هَيْبَةٍ
فَاسْأَلْ فَإِنَّكَ لَنْ تَرَى ذَا خَيْبَةٍ وَيَهْلِيهِ ظَهَرَتْ مَرِيَّةٌ طَيِّبَةٍ
فَلَقَدْتَ وَكُلَّ الْفَضْلِ فِي مَعْنَاهَا

مِنْهَا بَدَا لِلْخَلْقِ وَاضِحُ سُنَّةٍ فَعَلَى الْبِلَادِ مَا عَظِيمَةٌ مِنْسَةِ
وَلَهَا خَصَائِصُ فَضْلِهَا ذُو مُكْنَةِ حَتَّى لَقَدْ خُصَّتْ بِرَوْضَةِ جَنَّةٍ
اللَّهُ شَرَّفَهَا بِهَا وَحَبَّاهَا

ط ٤٣٧

هِيَ خَيْرُ خَافِيَةٍ لِقَلْبٍ مُبْصِرٍ فَاغْسِلْ مِنَ الْأَهْوَاءِ قَلْبَكَ وَأَنْظُرْ
وَابْطِطْ هُنَاكَ الْخَدَّ مِنْكَ وَعَقْرِ مَا بَيْنَ قَبْرِ النَّبِيِّ وَمِنْبَرِ
حَيَا الْإِلَهِ رَسُولُهُ وَسَقَاهَا

مَحْرُوسَةٌ مِنْ كُلِّ رَجَزٍ طَارِقٍ وَدُخُولِ دَجَالٍ وَطَعْنِ لَاحِقٍ
فَالْمَرءُ فِيهَا ذُو فَوَادٍ وَآلِيٍّ هَلَى مَحَاسِنُهَا فَهَلْ مِنْ عَاشِقٍ
كَلِيفٍ شَجِيعٍ بِأَخْسَلِ بَنَوَاهَا

رَبِّي. أَدْنِي. فِي. جَمَاعَةِ صَوْنِهَا وَمَنْ هَمَّتْ بِقِيَّةٍ عَنْ عَيْنِهَا
فَاجْعَلْ مَتَى قَبْلَ سَاعَةِ كَوْنِهَا إِلَى لَأَرْهَبُ مِنْ تَوَقُّعِ بَيْنِهَا
فَيَظَلَّ قَلْبِي مُوجِعًا أَوْاهَا.

يَا خَيْرَ مَسْئُولٍ وَأَكْرَمَ مَنْ دُعِيَ لَا تَقْصِرْ عَنْهَا رِخْلَتِي وَتَسْؤِدْ دُعِي
فَمَنْ الدَّخَارُ فِرَاقُ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَلَقَلَّمَا أَبْصَرْتُ حَسَالَ مُودَعٍ
إِلَّا رَنْتُ نَفْسِي لَهُ وَشَجَاهَا

لَا تَجْعَلُوا عَنْهَا الرَّجِيلَ صِنَاعَةً إِنْ أَرَى ذَلِكَ الرَّجِيلَ إِضَاعَةً
وَإِذَا أَقَمْتُمْ كَانَ ذَلِكَ طَاعَةً فَلَكُمْ أَرَأَيْكُمْ قَافِلِينَ جَمَاعَةً
فِي إِفْرِ أُخْرَى طَالِبِينَ ثَوَاهَا^(١)

فِيمَ التَّرَحُّلِ فِي الْمَدِينَةِ صَوْنَكُمْ^(٢) وَبِجَاهِ خَيْرِ الْخَلْقِ يَحْصُلُ عَوْنَكُمْ
فَالْخَيْرُ مَكْنُكُمُ هُنَاكَ وَكُونُكُمْ قَسَمًا لَقَدْ أَذَكِي فَوَادِي بَيْنَكُمْ
جَزَعًا وَفَجْرَ مُقَلَّتِي مِيَاهَا^(٣)

صَبَّغْتُمْ وَاللَّهُ كُلَّ جَمِيلَةٍ عُوْثُوا فَمَا خَيْرَاتُهَا بِقَلِيلَةٍ
مَالِدًا إِذَا لَمْ يَقْبَلُوا مِنْ جَمِيلَةٍ إِنْ كَانَ يُؤْجِزُكُمْ طِلَابُ قَضِيلَةٍ
فَالْخَيْرُ أَجْمَعُهُ لَدِي مَثَوَاهَا^(٤)

أَوْ كَانَ يَدْعُوكُمْ إِلَى أَنْ تَوَضَّلُوا لِمَنْ جَاءَ يُنَالُ فَجَاءَهُ أَحْمَدُ أَكْمَلُ
أَوْ نَالِكُمْ ظِمًا فَهَذَا الْمَنْهَلُ أَوْ خِفْتُمْ ضَرْبًا بِهِمَا فَبَاسُوا
بِرِّكَاتٍ يُلْتَقِيهَا فَمَا أَرْكَاهَا

فَإِذَا امْرُؤٌ لَمْ يَرْتَحِلْ مِنْ بَيْتِهِ فِيهَا وَعَاشَ بِهَا بِإَيْسَرٍ بُلْغَةِ
فَاقْتَرِ هُنَاكَ وَلَوْ بِأَدْنَى لَقَمَةٍ أَفْ لَنْ يَبْنِي الْكَثِيرُ لَشَهْوَةٍ^(٥)
لِرَفَاهَةٍ لَمْ يَلْزَمْ مَا عَصَاهَا

(١) في السهوي : هواها . (٢) في م صونكم باللام والهاء ما في ت .

(٣) لعلها من ميه السيف أي وضعه في الشمس حتى ذهب ماؤه .

(٤) رواية السهوي : فالخير كل الخير في ثواها .

(٥) رواية السهوي : إلا إذا يبني الكثير لشهوة .

لَا تَرْحَلَنَّ لِشَهْوَةٍ وَتَلْذُذْ وَانْظُرْ إِلَى ذَلِكَ الْحِمَى وَتَلْذُذْ
وَمَا يَقِيمُ النَّفْسَ (١) فَاقْتَنَعْ وَاعْتَدِ فَالْعَيْشُ مَا يَكْفِي وَكَيْسَ هُوَ الَّذِي
يُطْفِئُ النَّفْسَ وَلَا خَيْسَ مَنَاهَا /

و٤٣٨

لِلَّهِ مَنْ لَمْ يَكْثُرْ بِمَجْبَاعَةٍ فِيهَا وَعَاشَ بِهَا مُسْلِمًا طِمَاعَةٍ
وَرَأَى الْمَقَامَ ههنا سِنِينَ كَسَاعَةٍ يَا رَبِّ أَسْأَلُ مِنْكَ فَضْلَ قَنَاعَةٍ
بِيسِيرِهَا وَتَخَصُّصِهَا (٢)

هِيَ نِعْمَةٌ فَافْضِ عَلَى نَعِيمِهَا وَتَوَلَّ زَائِرَهَا وَأَرْضَ مَقِيمِهَا
وَأَنَا السَّعِيدُ إِذَا رُزِقْتُ قُلُوبَهَا وَرِضَاكَ عَنِّي دَائِمًا وَلِزُومَهَا
حَتَّى تُؤَاتِيَنِي مُهْجَى أَخْرَافِهَا

سَهَّلْتَ يَا رَبِّي عَلَى وَضُوءِهَا وَخَفَّفْتَ (٣) نَفْعِي أَنْ تَنَالَ دَعْوَهَا
وَالنَّفْسُ تَسْأَلُ يَا كَرِيمَ قَبُولَهَا فَأَنَا الَّذِي أُعْطِيتُ نَفْسِي سُؤْلَهَا
وَقَبِلْتَ دَعْوَتَهَا فَيَا بُشْرَا

إِنْ كُنْتُ ذَا صِدْقٍ وَصَاحِبَ هِمَّةٍ فَاخْلُصْ جَمَاهُ فَلَيْسَ ضَالَعٌ خَلِيقَةٍ
وَأَقِمْ فَلَيْتَكَ لَا تَنْزَالُ بَيْنَهُمَا بِجِوَارِ أَوْقَى الْعَالَمِينَ بِلَمْبَةٍ
وَأَعَزُّ مَنْ بِالْقُرْبِ مِنْهُ يُبَاهِي

مَعَ كُلِّ رَكْبٍ أَمْ طَيِّبَةٍ فَانْفُذِ وَيَمْلِكُ كَفٌّ إِنْ تَلَسَّرَ فَاغْتَدِ
وَيَكُلُّ عَامٍ غَى زِيَارَتِهِ خُصْلِ مَنْ جَاءَ بِالْآيَاتِ وَالنُّورِ الدِّعِ
ذَاوَى الْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى فَشَقَا

وَلَهُ مِنَ الْإِسْرَاءِ أَشْرَفُ رُتْبَةٍ وَهُوَ الشَّفِيعُ لَنَا الْكَرِيمُ الْمُتَبَدِّلُ
وَهُوَ الْمُكْرَمُ بِاخْتِصَاصِ الرُّؤْيَى أَوَّلِ الْأَنْامِ بِخَطَةِ الشَّرَفِ الْعَلِيِّ
تُدْعَى الْوَصِيلَةُ خَيْرًا مِنْ يُعْطَاهَا

(١) في الأصول : وبماذا تقم فائقه واغفل

(٢) رواية السهوي : ونحيا

(٣) في الأصول : ورضيت ، وبها يتكرر الوزن إلا إذا جفنا ولو الجلب وضمنا الفل أي : رضيت نفسي

أن تنال دعوتها

كُلُّ الْمَكَارِمِ هُنَّ طَيِّبٌ بِسُرُودِهِ ولقد أضاء الكَوْنُ عند وروده
وَالْبَحْرُ يَقْصُرُ عَنْ مَوَاهِبِ جُودِهِ لإنسان عَيْنِ الكَوْنِ سِرٌّ وَجُودِهِ
ياسين إكسیر الحیاة طاهرا

كَانَتْ حَمَامُ الْغَارِ بَقِصَ حُمَاتِهِ وَالذُّبُّ فِي الْبَيْدَاءِ يَغْضُ دُعَاتِهِ
مَاذَا أَعَدَّدَ مِنْ جَلَالَةِ ذَاتِهِ حَسْبِيَ فَلَسْتُ أَفِي بَعْضِ صِفَاتِهِ
ولو أَنَّ لِي عَدَدَ الْحَصَى أَفْسَوَاهَا

حُكْمُ الشَّفَاعَةِ فِي يَدَيْهِ وَأَمْرُهَا وَغَزَالَةُ نَادَتِهِ أَذْهَبَ ضَرْهَا
وَالرُّوحُ حِينَ أَنْتَهُ شَرَفٌ قَدَرَهَا كَثُرَتْ مُحَاسِنُهُ فَأَعْجَزَ حَصْرَهَا
فَغَدَتْ وَمَا نَلَقَى لَهَا أَشْبَاهَا

الله أَرْسَلَهُ بِكُلِّ هِدَايَةٍ وَحَبَاهُ فِي الدَّارَيْنِ كُلِّ عِنَايَةٍ
فَلَقَدْ حَوَى فِي الْمَجْدِ أَبَعَدَ غَايَةٍ إِنْ أَهْتَدَيْتَ مِنَ الْكِتَابِ بِآيَةٍ
فَعَلِمْتُ أَنَّ عِلَّاهُ لَيْسَ يُضَاهِي

ظ ٤٣٨

فَشَهِدْتُ أَنَّ اللَّهَ خَصَّ مُحَمَّدًا فَعَدَا بِأَمْلَاقِ السَّمَاءِ مُؤَيَّدًا
وَعَلَى لِسَانِ الْأَنْبِيَاءِ مُنْجِدًا وَرَأَيْتُ فَضْلَ الْعَالَمِينَ مُحَدَّدًا
وَفَضَائِلُ الْمُخَارِ لَا تَنْتَاهِي

أَمَّا حُجَّتُهُ تَبَقَى عَلَى مَرِّ الزَّمَنِ كَمْ آيَةٍ فِينَا لَهُ مَذْحُ حَسَنِ
أَعْيَبَتْ مَدَائِحُهُ الْحَسَنُ ذَوِي اللَّسَنِ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى تَقْصِي مَذْحِ مَنْ
قال الإلهُ لَهُ وَحَسْبُكَ جَاهَا

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ مَخْصُ وَكُرْمًا وَيَقُولُ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ لَقْدَ سَمًا
وَكُفَاهُ مَا قَدْ قَالَهُ رَبُّ السَّمَاءِ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا
فِيهَا يَقُولُ يُبَايِعُونَ اللَّهَ

شَهِدْتُ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِفَضْلِهِ فَلَأَجَلِ خَتَمِهِمْ أَتَوْا مِنْ قَبْلِهِ
وَلَهُ لِرِوَاةِ الْحَدِيدِ خَصٌّ بِحَمْلِهِ هَذَا الْفَخَارُ فَهَلْ سَمِعْتَ بِمِثْلِهِ
واهاً لِنِشَاتِهِ الْكَرِيمَةِ وَاهَا

يا أمة المهادي ومن كَثَّلَ كُفْرَهُمْ فَجَلَّالُ أَحْمَدُ شَهِيدٌ بِكُمُ الْكُفْرِ
هو سَيِّئُكُمْ هو ذُخْرُكُمْ لِكُمْ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا فَيَذِلُّكُمْ
تُهْدِي النُّفُوسَ لِرُشْدِهَا وَغِنَاهَا

ما في عِبَادِ اللَّهِ مِثْلُ مُحَمَّدٍ فَمَقَامُهُ الْمَحْمُودُ يُعْرِفُ فِي غَدٍ
وَلِيَحْوِضِهِ الْمَوْرُودُ أَكْرَمُ مَسْرُودٍ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ غَيْرَ مُقِيدٍ
وعليه من بر كاته أَنَاهَا

إِن الصَّلَاةَ عَلَيْهِ تُنَجِّنَا غَدًا فَإِذَا هُمُ ذَكَرُوا لَدَيْكَ مُحَمَّدًا
غِظَ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ أَكْبَادَ الْعِدَا وَعَلَى الْأَكَابِرِ آلِهِ سَرِجَ الْهُدَى
أَكْرَمُ بِعِزِّهِ وَمَنْ وَالَاهَا

أَعَزُّ بِسَالِ مُحَمَّدٍ فَلَدَيْهِمْ يُعْطَى الْمَنَى فَالْجُودُ إِلَيْكَ يَدَبُهُمْ
وَالِيهِ صَرَفُ ثَنَائِنَا وَإِلَيْهِمْ وَكَلِمَةُ السَّلَامِ عَلَيْهِ ثُمَّ عَلَيْهِمْ
وعلى عَصَابَتِهِ الَّتِي ذَكَاهَا

كانوا إِذَا التَّمَسَّ السَّمَاحُ سَحَابُهُ وَلَقَدْ آتَوْا^(١) عِنْدَ الْحَوَائِجِ بَابُهُ
مَلَكُوا مِنَ الْمَجْدِ الْأَيْبِلِ لُبَابُهُ أَغْنَى الْكِرَامَ أُولَى الثَّنَى أَصْحَابَتُهُمْ
فِتْنَةُ الثَّقَى وَمَنِ اهْتَدَى بِهَدَاهَا

مَدْحِي لِأَحْمَدَ لَا حِجَى كَمَلَاذِهِ فَإِنِ ارْتَضَاهُ وَجَادَ لَهُ يَنْفَادِهِ
فَلَنِعْمَ مَا أَنَا عَائِدٌ بِمَعَاذِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ وَمَا لَهُ
نَجَزَتْ وَظَنِّي أَنَّهُ بِرِضَاهَا

زاد مُحَمَّسُهَا الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ، عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِمَنِّهِ وَلُطْفِهِ وَكَرَمِهِ

آمين :

مُنِحَتْ قَصِيدُ الْبِسْكَرَى قُبُولًا وَسُئِلْتُ فِي تَخْيِيسِهَا لِنَطْلُوبًا
فَارْزَدْتُ فِي بَابِ الثَّوَابِ دُخُولًا وَأَطْلُتُ فِي تَسْجِيعِ الْكَلَامِ ذُبُولًا
قِيلَ الرِّيَاضُ نَمَتْ فَرَزَادَ شَدَاهَا

(١) في الأصول : غلوا .

عَفُوَ الْإِلَهِ لَهُ . وَلِي وَلَسْنَا بِقِرَا
وَجِبَاهُ أَجْرُ الْمُخْلِصِينَ . لَنَا الْقَوَى
وَأَعْبَدُ فِي دَارِ النِّعَمِ لَنَا الْقَرَى
فَقَبْلَى قَصِيدَتِي سَنَا صَدَقِ يُسْرَى
وَكَفَّتُهُ رُؤْيَا فِي الْمَنَامِ رَأَاهَا

قَالَ الرَّسُولُ لَهُ رَضِيتُ قِيَالَهَا
فَإِنْ لَرَدَحَيْتُ بَأَنَّهُ أَنَالَ مِثَالَهَا
بُشْرَى بِنَيْتِي الْجَمِيلَةِ نَالَهَا
فَهِيَ السَّعَادَةُ قَدْ مُنِحَتْ نَوَالَهَا
وَهَنَّاكَ تَطْفُرُ مُهَجَّتِي بِمَنَاهَا

يَا رَبِّ بِلَالِ الْمُخْذَلِرِ يَسَّرْ أَمْسَرَنَا
وَلِجَزَائِ عَطَايَانَا وَاجْعَلْ سَتْرَنَا
وَاعْفِرْ خَطَايَانَا وَأَذْهِبْ ضُرْرَتَنَا
وَاجْعَلْ بِطَيْبَةٍ فِي جَمَنَاهُ مَقَرَّنَا
وَأَجِبْ سُؤَالَ نَفْسِي دَعَاهَا

يَا رَبِّ حَصِّلْ عَلَيَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
وَالْأَلَّ وَالصَّحْبَ الْكَرَامَ الْمُحْتَدِ
الْقَاتِلِينَ الرَّائِضِينَ السُّجْدِ
بِحِمَاةِ دِينِكَ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ
وَالْمَالِ حُبًّا لِلرَّسُولِ وَجَاهَا

تنبيه : ذكرنا في المعجزات وفي الخصائص أشياء تتعلق بالمدينة الشريفة الكريمة إن شاء
الله تعالى :

جُمَاعُ أَبْوَابِ بَعْضِ حَوَادِثِ مِنَ السَّنَةِ الْأُولَى
وَالثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ

الباب الأول

٤٣٩ ط

في صلاته صلى الله عليه وسلم الجمعة بيني شالم بن عوف

وهي أول جمعة صلاها وأول خطبة خطبها كما جزم به [أبو سلمة بن عبد الرحمن^(١)] والعيون [نقل عن^(٢)] ابن إسحق ، والبيهقي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : « كان أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أنه قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « [أما بعد]^(٣) : أيها الناس فقدوا لأنفسكم [تعلن^(٤)] والله [ليضعن^(٥)] » أحذركم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له دينه ، وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولي قبلك وأنت تك مالاً وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك ؟ فليظرن ميمناً وشمالاً فلا يري شيئاً ، ثم لينظرن قدامه فلا يري غير جهنم ، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق من تمره فليعمل ، ومن لم يجد فيكلمه طيبة ، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، والسلام [عليكم] وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته » .

ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فقال : « إن إليكم من الله أجملة وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهذه الله فلا فضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى ، قد أفلح من زينته الله في قلبه ، وأدخله في الإسلام بعد الكفر ، وأجابه على ما نواه من أحاديث الناس ، إنه أحسن الحديث وأبلغه ، أجابوا من أحبه^(٦) الله ، أجابوا الله من كل

(١) يبايع بالأصول والتكلمة من ابن هشام (ج ٢ ص ١١٨) .

(٢) يبايع بالأصول .

(٣) زيادة من ابن هشام والإنتاح المقرضي (ج ١ ص ٤٦) .

(٤) يبايع بالأصول والتكلمة من ابن هشام والإنتاح .

(٥) في ابن هشام : أجابوا ما أحب الله .

قلوبكم ولا تملؤا كلام الله وذكره ، ولا تقس عنه قلوبكم ، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى قد سماه الله خيرته من الأعمال ومصفاه من العباد والصالح من الحديث ، ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتقوه حتى تقاته واضدقوا الله صالح ما تقولون بأقوالكم ، وتخابروا بروح الله بينكم ، إن الله يغضب أن ينكث عهده . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وروي ابن جرير^(١) عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أنه بلغه [عن] خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عوف : « الحمد لله أحمدته واستعنته ، واستغفرت وأسئلته ، وأومئ به ولا أكفره ، وأعادى من يكفره ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ، والنور والموعظة ، على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، [وانقطاع من الزمان] ، وذنو من الساعة ، وقرب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشده ، ومن يعصهما فقد غوي وفرط وضل ضلالاً بعيداً . أوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحصه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله عز وجل ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ولا أقبل من ذلك ذكراً ، وإن تقوى الله لن عمل به على وجل ومخافة [من ربه] ، تكون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ، ومن يصلح [الذي] بينه وبين الله تعالى من [أمره في] السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره ومؤخره ، والحين يفتقر المراء إلى ما قدم . وما كان مما سوى ذلك يؤه لو أن يئنه وبينه أمداً بعيداً . أوصيكمكم الله نفسه والله رهوف بالعباد » هو الذي صدق قوله ، وأنجز وعده لا تخلف لذلك ، فإنه يقول عز وجل : « مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ فَاعْبُدُوا اللَّهَ فِي عَاجِلِ أَمْرِكُمْ » [وآجله في السر والعلانية فإنه] « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَمَنْ يَرْزُقْ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ وَلَا يَعْزِزُ اللَّهُ الْفَاسِقِينَ »

- (١) إسناده كما أورده ابن جرير الطبري في تاريخه (ج ٢ ص ٢٥٥) : حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال حدثني سعيد بن عبد الرحمن الجمحي .
 (٢) زيادة من تاريخ الطبري الذي نقل عنه المؤلف .
 (٣) من الآية الثلاثين من سورة آل عمران .
 (٤) من الآية التاسعة والعشرين من سورة ق .
 (٥) الأسطر الواقعة بين معقنين سابقة من ت وم والتكلمة بين تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٥٤ ومعه القزطبي ج ١ ص ٩٨ و ٩٩ .

وقوله : « قد سَمَّاهُ الله خَيْرَتَهُ من الأعمال » ، يعنى الذِّكْر وتلاوة القرآن [لقبوله
 سبحانه : « ويختار » فقد اختاره من الأعمال ^(١)] . وقوله : « والمُصْطَفَى من عِبَادِهِ » :
 أى وَسَّي المصطفى من عباده بقوله تعالى : « اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ »
 ويجوز أن يكون معنى المصطفى من عباده أى العَمَل الذى اصطفاه منهم واختاره من أعمالهم ،
 فلا يكون « من » على هذا للتبعض ، إنما تكون لابتداء الغاية ، لأنه عمل استخرجه منهم
 بعرفته لإيائهم ، والتأويل الأول أقرب مأخذاً . والله أعلم بما أراد رسوله ^(٢) .

وقوله فى أول الخطبة : « إن الحمد لله أَحْمَدُهُ » ، هكذا برفع الدال [من قوله : الحمدُ
 لله] ^(٣) وَجَدْتُهُ مُقْبِداً مُصَحَّحاً عليه ، وإعزابه ليس على الخكاية ، ولكن على إضمار الأمر ،
 كأنه قال : « إن الأمر الذى أذكره » ، وحذَفَ المساء العائلة على الأمر كى لا يُقدِّم شيئاً
 فى اللفظ من الأسماء على قوله : « الحمد لله » . وليس تقديم « إن » فى اللفظ من باب تقديم
 الأسماء لأنها حرفٌ مُؤَكِّدٌ لِمَا بَعْدَهُ مع ما فى اللفظ من التَّحَرُّى للفظ القرآن والتَّيَمُّن به
 [والله أعلم ^(٤)] .

الثانى : استُعْلِفَ فى تسمية اليوم بذلك ، مع أنه كان اتفاقاً ^(٥) يُسَمَّى فى الجاهلية :
 « النَّوْجِيَّة » ، ويقتض المعنى المهملة وَجَمَّ الرام وبالمؤجدة - قلت : قال أبو جعفر النحاس فى كتابه :
 « صناعة الكتابة » : لا يعرفه أهل اللغة إلا بالآلف واللام [إلا] ^(٦) شاذاً ، ومعناه اليوم
 « النَّوْجِيَّة » من أعْرَبَ إذا بَيَّن . فقليل سَمَّى بذلك لأن الخلاق جمعت ^(٧) فيه ، ذكره
 أبو عبيدة الليثى فى المبتدا عن ابن عباس ، وإسناده ضعيف . وقيل لأن خلق آدم
 يومئذ .

(١) زيادة من السهل .

(٢) من الآية ٧٤ من سورة الحج .

(٣) هذه الفقرة منقولة أيضاً عن البهيل ج ٢ ص ١٥ .

(٤) زيادة من السهل .

(٥) فى الأصول : « مع أنه لا اتفاق » كان « والتصويب من تاج العروس مادة حرب .

(٦) زيادة من تاج العروس فى شرحه لكلمة عروبة .

(٧) فى أصول : « مع أنه لا اتفاق » كان « والتصويب من تاج العروس مادة حرب .

• وروى الإمام أحمد والنسائي وابن خزيمة وابن حاتم عن سلمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتَدْرِي مَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ ؟ » قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالُوا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . قَالَ فِي الثَّلَاثَةِ : « هُوَ الْيَوْمَ الَّذِي جُمِعَ فِيهِ أَبُوكُمْ آدَمُ » . الْحَدِيثُ ، وَلَهُ شَاهِدٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِإِسْنَادٍ قَوِيٍّ ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ مَرْفُوعاً بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ . قَالَ الْحَافِظُ / : « وَهَذَا أَصَحُّ . وَيَلِيهِ مَا رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ ^(١) » بِسَنَدٍ صَحِيحٍ إِلَيْهِ ، فِي قِصَّةِ تَجْمِيعِ الْأَنْصَارِ ، مَعَ أَسَدِ بْنِ زُرَّارَةَ . وَكَانُوا يَسْمُونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمَ الْعَرُوبَةِ ، صَلَّى بِهِمْ [فِيهِ] وَذَكَرَهُمْ فَسَمَوْهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ . « وَقِيلَ «سُمِّيَ بِذَلِكَ لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ لِلصَّلَاةِ فِيهِ» . وَبِهَذَا جَزَمَ ابْنُ حَزْمٍ فَقَالَ : لِيُكُنَّ اسْمُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ اسْمُ الْقَبِيلَةِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يُسَمَّى الْعَرُوبَةُ . وَفِيهِ نَظَرٌ ، فَقَدْ قَالَ أَهْلُ اللَّفْظِ ^(٢) : إِنَّ الْعَرُوبَةَ اسْمٌ قَدِيمٌ كَانَ لِلجَاهِلِيَّةِ ، وَقَالُوا : الْجُمُعَةُ هِيَ يَوْمُ الْعَرُوبَةِ . وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ غَيَّرُوا الْأَجَامَ السَّبْعَةَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ : أَوَّلُ وَأَهْوَنُ وَجَبَّارٌ وَمُؤَنِّسٌ وَعَرُوبَةٌ وَشِيَارٌ ^(٣)

(١) أورد السبيل (ج ١ ص ٢٧٠) هذا الحديث بإسناده فقال : ذكر الكشي وهو عبد بن حميد قال حدثنا عبد الرزاق عن مسر عن أيوب عن ابن سيرين قال : جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل أن نزل الجمعة . وهم الذين سمو الجمعة . قال الأنصار : إن اليهود يومًا يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك ، فجلسوا فلتعمل يومًا يجتمع فيه ولد كبر الله ولصل وتذكر ، أو كما قالوا . فقالوا يوم السبت اليهود ويوم الأحد النصارى ، فاجتمعوا يوم العروبة وكانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة ، فاجتمعوا إلى أسد بن زبارة فصلب بهم يومئذ وكثيرين وذكرهم فسماه يوم الجمعة حين اجتمعوا . فليحلم أسد شاة ففعلوا وتمشوا منها فلقبهم فأقر الله عز وجل : « إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ » (سورة الجمعة آية ٩) ، وفي رواية القرطبي لهذا الحديث ذكر تمامه : فهذا أول جمعة في الإسلام (تفسير القرطبي ج ١٨ ص ٩٨) ..

(٢) قال الزبيدي في التاج : وفي حديث الجمعة كانت تسمى عروبة وهو اسم قديم لها ، وكأنه ليس بعربي ، يقال يوم عروبة ويوم العروبة والأفصح ألا يدخلها الألف واللام . وعن بعض أئمة اللغة أن أُل في العروبة لازمة قال ابن النحاس لا يبرهن أهل اللغة إلا بالألف واللام إلا شاذًا . قال سناء المين المصنف من أعرب إذا بين ولم يزل يوم الجمعة معطفا عند أهل كل لغة . وقيل العروبة اسم يوم الجمعة في الجاهلية اتفاقًا واختلف في أن كتب بن لؤي سماه الجمعة لاجتماع الناس إليه فيه ، وبه جزم الفراء وتعلب وبغيرها وصح . أو إنما سمى به الإسلام وصححه ابن حزم . وقيل أول من سماه الجمعة أهل المدينة لصلاتهم الجمعة قبل قدمه صلى الله عليه وسلم مع أسد بن زبارة . . وليس السبيل في الروض الأثافي : أن كتب بن لؤي جد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أول من سماه الجمعة فكانت تسمى الجمعة إليه في هذا اليوم فيعطونهم ويذكرهم بمحمد النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمون أنه من ولده ويأمرهم بالإنابة والإيمان به . ويظهر في هذا أيمانها :
يا ليتني شاهد فيجاءه جيوته إذا قرئ في الحلق عدلانا

(٣) أورد الثعلبفي في صبح الأعشى (ج ٢ ص ٣٦١ : ٣٦٥) ثلاث روايات في أسماء أيام الأسبوع عند العرب فنقص هنا كل ذكر اثنين منها : الأول ما نقلت به العرب المستعربة ، والأصل في ذلك ما روى عن ابن عباس أنه قال : إن الله عز وجل خلق يومًا واحدًا فسماه الأحد ثم خلق ثانيًا فسماه الاثنين .. إلى يوم الخميس ، ولا ذكر في هذه الرواية ..

وقال الجوهري : وكانت العرب تسمى يوم الاثنين «أَهَوَنَ» في أسماهم القديمة . فهذا يُشعرُ بأن لها أسماء وهي هذه المتعارفة إلى آخرها الآن . وقيل إن أول من سَمَّى العَرُوبَةَ «الجمعة» كعب بن لؤي ، فيحتاج من قال إنهم غيروها إلى الجمعة ، فابْتَقَوْها على تسمية العَرُوبَةَ إلى نقل خاص .

الثالث : تَقَدَّمَ أَنَّ صلاة الجمعة صَلَّتها الصحابة بالمدينة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، فقليل ذلك بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم لِمَا رواه الدارقطني عن ابن عباس ، قال : أَذِنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجمعة قبل أن يهاجر ، ولم يستطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بمكة ولا [بيدي^(١)] لهم ، فكتب إلى مُصْعَب بن عُمَيْر رضى الله عنه :

« جمعة والسبت ، وقد ذكرهما الله تعالى في كتابه الميز قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة » . وقال جل و عز : « إذ أتتهم حجتهم يوم سبتهم شرعا » (الأعراف آية ١٦٣) .. والجمعة وسمنها الجمع واختلف في سبب تسميته بذلك فقال النحاس لاجتماع الخلق فيه . وهذا ظاهر في أن الاسم كان بها قديما . وقيل لاجتماع الناس للصلاة فيه . ثم اختلف فقيل سميت بذلك في الجاهلية ، واحتج له بما حكاه أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل» أن أول من سمى الجمعة جمعة كعب بن لؤي جد النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه جمع قريشا وخطبهم ، فسميت جمعة ، وكانوا لا يعرفون قبل ذلك إلا العروبة . وقيل إنما سميت بذلك في الإسلام ، وذلك أن الأنصار قالوا : إن اليهود يوما يجتمعون فيه بعد كل ستة أيام وأنصارى ذلك الخ فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله تعالى سورة الجمعة ، على أن السبيل قد قال في الروض الأثني : إن يوم الجمعة كان يسمى بهذا الاسم قبل أن يصل الأنصار الجمعة . أما الرواية الثانية فيها ما يروى عن العرب الغازية وغزائهم كانوا يسمون الأحد : أول ، لأنه أول أعداد الأيام ، ويسمون الاثنين : أهون ، أخذاً من أهون والهوون ، وأوهد أهوناً أخذاً من الزهدة وهي المكان المنخفض من الأرض لانخفاضه عن اليوم الأول في العدد . ويسمون الثلاثاء : جباراً ، لأنه يوم الجبار . لأنه جبر به العدد . ويسمون الأربعاء : دياراً - يضم الداء المهمل - لأنه دبر ما جبر به العدد بمعنى أنه جاء دبراً ، ويسمون الخميس : مؤنس لأنه يؤنس به لبركه . قال النحاس : ولم يزل ذلك أيضاً في الإسلام . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتبركه به ولا يسافر إلا فيه وقال : اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسا . ويسمون الجمعة : العروبة . وفي لغة شاذة : عروبة يبرك ألف ولا لام مع عدم الصرف ، وسمناء اليوم البين أخذاً من قولهم : أعرب إذا أبان ، والمراد أنه بين العظيمة والشرف إذ لم يزل عظيماً عند أهل كل ملة ، وجاء الإسلام فزاده تعظيماً . وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة : فيه خلق آدم وفيه دخل الجنة وفيه أخرج منها . ويسمون السبت شيباراً - يلحق السنين المعجمة وكسرهما مع الياء المثناة التحتية - أخذاً من شربت الشيء إذا استخرجته وأظهرته من مكانه ، ولما معنى أنه استخرج من الأيام التي وقع فيها الخلق على مذهب من يرى أنه آخر أيام الأسبوع ، وأن ابتداء الخلق الأحد والتهاء الجمعة ، ولما معنى أنه ظهر أول أيام الجمعة على مذهب من يرى أنه أول الجمعة وكان ابتداء الخلق فيه ، وإلى هذه الأسماء يشير الأنافة بقوله :

أَوَّلُ أَنْ أَعِيشَ وَأَنْ يَوْنِي لَأَوَّلَ أَوْ لَأَوْنٍ أَوْ جُبَارٍ

أو التالي : دُبَارٌ - فَإِنَّ أَفَنَةً - فَمَوْنِسٍ أَوْ عَرُوبَةٍ أَوْ شِبَارٍ (١)

« أما بعد فانظر اليوم الذي تَجَهَّر فيه اليهود بالزبور لَسَبْتِهِمْ ، فاجمعوا نساءكم وأبناءكم ، فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة^(١) فَتَقَرَّبُوا إلى الله تعالى بركعتين . قاله : قَاوُلٌ من جَمْعٍ مُصْعَبٍ بن عُمَيْرٍ حَتَّى قَدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فَجَمَعَ عند الزوال من الظهر ، وأظهر ذلك . وفي سنده أحمد بن محمد بن غالب الباهلي^(٢) ، وهو متهم بالوضع . قال في الزهر : « والمعروف في هذا المتن الإرسال ، رَوَيْنَاهُ في كتاب الأوائل لأبي عروبة الحرَّاني قال : « حَدَّثَنَا هاشم بن القاسم حدثنا ابن وهب حدثنا ابن جُرَيْج عن سليمان بن موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى مصعب به » . وقيل باجتهاد الصحابة ، روى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال : جَمَعَ أَهْلُ المدينة قبل أن يَقْدِمَهَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقبل أن تنزل الجمعة ، فقالت الأنصار : إن لليهود يوماً يُجْمَعُونَ^(٣) فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى مثل ذلك فَهَلُمُّوا فلنجعل يوماً تُجْمَعُ فيه فنذكر الله ونصل ونشكر . فجعلوه يوم العروبة ، واجتمعوا إلى أسعد بن زُرَّارة ، فصلَّى بهم يومئذ ، وأنزل الله تعالى بعد ذلك : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ^(٤) » قال الحافظ : وهذا وإن كان مُرْسَلًا فله

(١) نرى المؤلف أن يذكر ما قيل في ضبط كلمة الجمعة . وقد وردت بضم الميم في الآية التاسعة من سورة الجمعة ، وقال القرطبي في تفسيره (ج ١٨ ص ٩٧) : قرأ عبد الله بن الزبير والأعمش وغيرهما الجمعة بإسكان الميم حل التخفيف وهما لثان وجميعهما جمع وجمعات . قال القراء : يقال الجمعة يسكون الميم والجمعة بضم الميم والجمعة بفتح الميم فيكون صفة اليوم لأي يجتمع الناس كما يقال ضحكة لذي يضحك . وقال ابن عباس نزل القرآن بالتثنية والتثنية فاقربوها جمعة يعني بضم الميم . وقال القراء وأبو عبيد : والتخفيف أقيس وأحسن نحو غرفة وغرفة وطرفة وطرفة وحجرة وحجر . وفتح الميم لغة بن عقييل . وقيل إنها لغة التي نزل الله صلى الله عليه وسلم . وعن سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنما سميت جمعة لأن الله جمع فيها خلق آدم . وقيل لأن الله تعالى فرغ فيها من خلق كل شيء فاجتمعت فيها المخلوقات . وقيل لتجتمع الجماعات فيها . وقيل : لاجتماع الناس فيها للصلاة .

(٢) هو أحمد بن محمد بن غالب الباهلي ودمي غلام خليل . روى عن إسماعيل بن أبي أرويس وشيبان وقررة بن حبيب ورويت عنه طائفة . كان من كبار الزهاد في بغداد ولكنه كان شبيها بوضع الأحاديث . قال البهارني لعلام خليل : ما هذه الرقائق التي تحدث بها ؟ قال : وضعتها لتركب بها قلوب العامة . وقال الدارقطني متروكة وقال ابن الجار قال : ما أظهر أبو داود السجستاني تكذيب أحد إلا في رجلين الكندي وغلان خليل . هذا وقد تولى الباهلي في سنة ٢٧٥ هـ النظر ترجمته في تاريخ بغداد للطبيب (ج ٥ ص ٧٨ : ٨٠ رقم ٢٤٦٥) وميزان الاحتفال للذهبي (ج ١ ص ١٤١ : ١٤٢ رقم ٥٥٧) (٣) في ت و يجمعون ، وفي السجيل يجمعون ، ويتجمع ، وفي النهاية (ج ١ ص ١٧٧) : جمعت بالتشديد أي صليت . ومنه حديث ماذا أنه وجد أحد مكة يجمعون في الحجير أي يصلون صلاة الجمعة .

(٤) سورة الجمعة ٩

شاهد بإسناد حسن ، رواه أبو داود وابن ماجه ، وصححه ابن خزيمة وغير واحد من حديث كعب بن مالك قال : « كان أول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أسعد بن زُرارة » ، الحديث وقد تقدم ، فمرسل ابن سيرين يدل على أن أولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة باجتهاد ، ولا يمنع ذلك أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم عليه بالوحي وهو بمكة ، فلم يتمكن من إقامتها كما في حديث ابن عباس والمرسل بعده ، ولذلك جمع بهم أول ما قدم المدينة كما حكاه ابن إسحق وغيره ، وعلى هذا فقد حصلت الهداية للجمعة بخبر نبي البيان والتوفيق . وقيل : الحكمة في اختيارهم الجمعة وقبوع ٤٤١ وخلق آدم فيه / ، والإنسان إنما خلق للعبادة ، فناسب أن يشتغل بالعبادة فيه ، وكان الله تعالى أكمل فيه الموجودات وأوجد فيه الإنسان الذي ينتفع بها ، فناسب أن يشكر الله على ذلك بالعبادة فيه ، ولهذا تيمت تأتى في الخصائص إن شاء الله تعالى .

الباب الثاني

في بناء مسجده الأعظم وبعض ما وقع في ذلك من الآيات

تَقَدَّمَ أَنْ نَاقَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرَكْتَ عِنْدَ بَابِ مَسْجِدِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَذَا الْمَنْزِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » ، ثُمَّ أَخْلَا فِي النَّزُولِ ، فَقَالَ : « رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ^(١) » . وَكَانَ مَرْبِدًا لِيَتَّيَمِينَ هُمَا : سَهْلٌ وَسُهَيْلٌ ، قَالَ يَحْيَى ابْنُ الْحَسَنِ ، وَالْبِلَادِرِيُّ وَغَيْرُهُمَا : « ابْنُ رَافِعِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ عَائِثِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنَمِ ابْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ ، وَبِذَلِكَ صَرَّحَ ابْنُ حَزْمٍ ، وَأَبُو عَمْرٍو وَرَجَّحَهُ ، وَكَانَا فِي حِجْرِ أَسْعَدِ ابْنِ زُرَّارَةَ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عِنْدَ أَكْثَرِ رَوَاتِهِ . وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْسِلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ بِسَبَبِ مَوْضِعِ الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : « يَا بَنِي النَّجَّارِ ، ثَابِتُونِي بِحَاطَتِكُمْ هَذَا » . فَقَالُوا : « وَاللَّهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا مِنْ اللَّهِ » وَفِي رِوَايَةٍ : فَدَعَا بِالْغُلَامَيْنِ وَسَاوَمَهُمَا بِالْمَرْبِدِ لِيَتَخِلَّهُ مَسْجِدًا . فَقَالَا : بَلْ نَهَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا . وَكَانَ أَسْعَدُ بَنَى الْمَرْبِدَ مَسْجِدًا قَبْلَ أَنْ يَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَرَوَى يَحْيَى بْنُ الْحَسَنِ عَنِ النَّوَّارِ بِنْتُ مَالِكٍ ^(٢) أُمُّ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّهَا رَأَتْ أَسْعَدَ ابْنَ زُرَّارَةَ قَبْلَ أَنْ يَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُصَلِّيُ بِالنَّاسِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَيَجْمَعُهُمْ فِي مَسْجِدٍ بَنَاهُ فِي مَرْبِدِ سَهْلٍ وَسُهَيْلٍ ، ابْنُ رَافِعِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ عَائِثٍ قَالَتْ : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا قَدِمَ صَلَّى بِهِمْ فِي ذَلِكَ الْمَسْجِدِ ، وَبَنَاهُ فَهُوَ مَسْجِدُهُ » ، وَذَكَرَ الْبِلَادِرِيُّ نَحْوَهُ .

وَرَوَى الشَّيْخَانُ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ الْمَسْجِدُ جِدَارًا لَيْسَ لَهُ

(١) سورة المؤمنین آية ٢٩ .

(٢) ترجم لها ابن الأثیر في أسد الغابة ج ٥ ص ٥٥٧ والإصابة ج ٨ ص ٢٠٠ .

سَقَف ، وَقَبِلْتُهُ إِلَى الْقُدْس ، فَأَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالنَّخْلِ بِالزَّرْقَدِ أَنْ يُقَطَّعَ ، وَكَانَ فِيهِ قَبُورُ جَاهِلِيَّةٍ ، فَأَمْرُهَا فَنُشِئَتْ وَأَمْرُ بِالْعِظَامِ أَنْ تُغَيَّبَ ، وَكَانَ فِي الْبَرِيدِ مَاءٌ فَسَيَّرَهُ حَتَّى ذَهَبَ ، وَكَانَ فِيهِ خَرِبٌ ^(١) فَأَمْرُهَا فَسُوِّتْ ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةً لَهُ ، أَيْ جُعِلَتْ سَوَارِي لَهُ فِي جِهَةِ الْقِبْلَةِ فَسُقِفَ عَلَيْهَا وَجُعِلُوا أَعْضَادِيهِ حِجَارَةً .

وروى ابن عائذ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَّى فِيهِ وَهُوَ عَرِيشٌ اثْنِي عَشَرَ يَوْمًا ثُمَّ سُقِفَ ، وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَخْزُومِيُّ ، وَيَحْيَى بْنُ الْحَسَنِ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ : « لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَبْنِيَ الْمَسْجِدَ قَالَ : « ابْنُوا لِي عَرِيشًا كَعَرِيشِ مُوسَى ثُمَامَاتٍ ^(٢) وَخَشَبَاتٍ وَظُلَّةَ وَكُظُلَّةَ مُوسَى وَالْأَمْرُ أَهْجَلُ مِنْ ذَلِكَ » . قِيلَ وَمَا ظُلَّةَ مُوسَى ؟ قَالَ : « كَانَ إِذَا قَامَ أَصَابَ رَأْسَهُ السَّقْفُ . وَعَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الصَّحَابَةِ فِي بِنَاءِ الْمَسْجِدِ ، بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ ، كَمَا فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ طَفِقَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّيْنُ تَرْغِيبًا لَهُمْ فِي الْعَمَلِ وَيَقُولُ :

اللَّهُمَّ إِنْ الْأَجَرَ أَجَرُ الْآخِرَةِ فَارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ ^(٣) / ٤٤١ ظ

وَيَذَكِّرُ أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ ، وَعَنْ الزُّهْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ فَارْحَمْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ . وَكَانَ لَا يَقِيمُ الْبَيْتَ .

وروى مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَخْزُومِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : « بَنَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسْجِدَهُ فَقَرَّبَ اللَّيْنُ وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ » .

(١) أورد الزرقاني في شرحه على المواهب (ج ١ ص ٣٦٥) ما قيل في ضبط كلمة حرب : ففي سنن أبي داود هي بفتح الحاء المعجمة وكسر الراء فوحدة جمع خربة مثل كلمة وكلم ، وحكى الخطابي كسر أوله وفتح ثانيه جمع خربة ككتب وجنة . وجوز الخطابي أنها حرب بضم المهملة وسكون الراء ووحدة وهي الخروق المستديرة في الأرض ، أو حارب بمهملتين أي مرتفع من الأرض أو جرف يكسر الجبل وفتح الراء وهو ما تجرفه السيول وتأكله الأرض . قال وهذا لا يلقى بقوله : فسويت لأنه إنما يسوى المكان الملهوب أو التي جرفته الأرض أما الخراب فيبقى ويعمر دون أن يصلح ويسوى . وردده ابن حجر فقال : ما المانع من تسوية الخراب بأن يزال ما بقى فيه وتسوى أرضه ولا يبنى الاضافات إلى هذه الاحتمالات مع توجيه الرواية الصحيحة .

(٢) في الأصول : لثامات ، وصوابها ثمامات جمع ثمام واحدة ثمامة وهو ثوب ضئيف .

(٣) رواية ابن إسحق : لا جيش إلا جيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

(ابن هشام ج ٢ ص ١١٤) .

وسلم فوضع رداءه ، فلما رأى ذلك المهاجرون الأولون والأنصار ألقوا أرديتهم وأكسيتهم وجعلوا يرتجزون ويعملون ويقولون :

لَيْتَ قَعَدْنَا وَالنَّبِيَّ يَعْمَلُ ذَاكَ إِذَا لِلْعَمَلِ الْمُضِلُّ

وروى البيهقي عن الحسن قال : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد أعانه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى أغبر صدره . وكان عثمان بن مظعون^(١) رجلاً منتظماً^(٢) وكان يحول اللبنة فيجأى بها ثوبه ، فإذا وضعها نقص كفه ونظر إلى ثوبه ، فإن أصابه شيء من التراب نفذه ، فنظر إليه علي بن أبي طالب رضى الله عنه فأنشد يقول :

لَا يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُرُ الْمَسَاجِدَ يَذَابُ فِيهَا قَائِمًا وَقَاعِدًا

ومن يرى عن القبار حائداً

فسمعا عمار بن ياسر ، فجعل يرتجز بها وهو لا يدرى من يعنى بها . فمر عثمان فقال : يا ابن سمية ، ما أعرفنى بمن تعرض . ومعه جريدة^(٣) ، فقال : لتكفن أو لأعترضن بها وجهك . فسمعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فغضب ثم قال : « إن عمار بن ياسر جلد ما بين عيني وأنفى فإذا بلغ ذلك من المراء فقد أبلغ » ووضع يده بين عيني . فكف الناس عن عمار ، ثم قالوا لعمار : إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد غضب فيك ، ونخاف أن ينزل فينا قرآن . فقال : أنا أرضيه كما غضب . فقال : يا رسول الله مالى ولأصحابك ؟ قال : « مالك ولم ؟ » قال : يريدون قتلى ، يحملون لبنة لبنة ويحملون على لبنتين لبنتين . فأخذ بيده وطاف به في المسجد ، وجعل يمسح وقرته^(٤) بيديه من

(١) انظر في ترجمته أسد الغابة (ج ٣ ص ٣٨٥ : ٣٨٧) هذا ولم يسم أين إسحق صاحب هذه القصة ونسبها الديار بكرى (تاريخ الخبيس ج ١ ص ٣٤٥) . والسهوي في وفاء الوفا (ج ١ ص ٢٣٥) إلى عثمان بن عفان .

(٢) التطلع كما في النهاية (ج ١ ص ١٥٣) هو كل تمنى قولاً وفعلًا . وفي التاج : تنطق الصانع في عمله تحقق فيه . وقال الزرقاني في شرحه على المواهب (ج ١ ص ٣٦٨) : إنها من تنطق إذا تغالى وتأنق . ولكنها وردت في رواية أخرى في الديار بكرى والسهوي . وكان رجلاً نظيفاً متأنقاً وثابهما رفاة زافع في كتابه : نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز (القاهرة سنة ١٢٩١ هـ ص ١٢٧) ، وشرح منتظماً بقوله : أي مترفها . والرواية الأخيرة أوفق في نظرنا لأن في نسبة التطلع إلى صحابي جليل سواء أكان عثمان بن مظعون أم عثمان بن عفان مما يسر شرف صحبه النبي صلى الله عليه وسلم . ويؤيد هذا ما ورد في الحديث : هلك المنتظمون .

(٣) في ت وم : حديدة وأثبتنا جريدة كما وردت في الديار بكرى والسهوي ، وفي السيرة لابن هشام : عصا .

(٤) الوفرة : شعر الرأس إذا وصل إلى شمة الأذن ، قاله في النهاية (ج ٤ ص ٢٢٣) .

الشراب ويقول : « يَا بَنَ سُمَيَّة ، ليسوا بالذين يقتلونك ، تقتلك الفئة الباغية ، تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار » ، ويقول عَمَّار : أعوذ بالله من الفتن .

وروى عبد الرزاق بسند على شرط الشيخين عن أم سلمة ، والبخاري والبيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يبنون المسجد ، جعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل كل رجل منهم لَبِنَةً لَبِنَةً ، وعَمَّار يحمل لَبِنَتَيْنِ : لَبِنَةً عنه وَلَبِنَةً عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره وقال : « يَا بَنَ سُمَيَّة للناس أجر ولك أجران ، وآخرُ زَاكِ شَرِبَتْ من لَبَن ، وتقتلك الفئة الباغية ، تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار » ، وعَمَّار يقول : « أعوذ بالله من الفتن » .

وروى أبو يعلى برجال الصحيح إلا أن التابعي لم يسمع عن عائشة رضي الله عنها قالت : « لَمَّا أُسِّس رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه ، وجاء أبو بكر بحجر فوضعه ، وجاء عمر بحجر فوضعه ، وجاء عثمان بحجر فوضعه ، قالت : فسئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك فقال : « هذا أمرُ الخلافة من بعلي » .

وروى البيهقي / بسند قوى جَيِّد عن سَفِينَةَ^(١) رضي الله عنه نَحْوَهُ ، وفيه قال : « هَؤُلَاءِ وَلَاةُ الْأَمْرِ من بعدي » . وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنهم كانوا يَحْمِلُونَ اللَّبْنَ إلى بناء المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « فاستقبلت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو عَارِضٌ لَبِنَةً على بطنه فظَنَنْتُ أَنَّهَا شَقَّتْ عليه ، فقلت : « يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْوِيلُهَا » . فقال : « خُذْ غَيْرَهَا ، لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ » . وهذا كان

٣٤٤٢/

(١) سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل مولى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كان أسلمه من فارس فاشترته وأهضته واشترطت عليه أن يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ، واختلف في اسمه قيل كان اسمه مهران وقيل طهمان وقيل عيس ، وعبد له ابن حجر في الإصابة (ج ٣ ص ١٠٩) واحدا وعشرين اسما ، وكنيته أبو عبد الرحمن وقيل أبو البختري . والأول أكثر . روى عنه حشرج بن نباته ، وسعيد بن جهمان . وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة لأنه كان معه في سفر ، فكلما أُمِيَ بعض القوم أتى عليه سيفه وترسه ورجعه حتى حمل شيئا كثيرا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنت سفينة فبق عليه . وكان إذا قيل له : ما اسمك ؟ يقول : ما أنا بمخبرك ، سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة فلا أريد غيره . وعن سعيد بن جهمان قال حدثني سفينة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الخلافة في أمي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك » . انظر أسد الغابة (ج ٢ ص ٣٢٤) .

في بنائه المَرَّة الثانية، لأنَّ أبا هريرة لم يُسلم في الأولى . وروى يحيى بن الحَسن عن أسامة ابن زيد رضى الله عنهما عن أبيه ، قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه حجر ، فلقبه أسيد بن حُصير ، فقال : يا رسول الله أعطني . فقال : « اذهب فاحتمِلْ غَيْرَه فَإِنَّكَ لست بأفقر إلى الله مني » .

وروى الامام أحمد ويحيى بن الحسن عن طلق بن علي^(١) رضى الله عنه قال : أتيتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يبني المسجد ، والمسلمون يعملون فيه معه ، وكتبُ صاحبُ علاج وخلط طين ، فأخذتُ الوِسْحَةَ أَخْلَطُ الطين والنبي - صلى الله عليه وسلم - ينظر إلى ويقول : « إن هذا الحنفي لصاحب طين » . وكان يقول : « قَرَّبُوا اليَماميَّ من الطين فإنه أحسنكم [له] مسكاً وأشدُّكم منكِياً » .

وروى يحيى بن الحسن من طريق عبد العزيز بن عمر ، عن يزيد بن السائب ، عن خارجة ابن زيد بن ثابت رضى الله عنه ، قال : « بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مسجده سبعين في ستين ذراعاً أو يزيد ، وَلَبِنَ لَبِنَةً من بقيق الخبيجة^(٢) وجعله جداراً وجعل سواريه خشباً شَقَّةً شَقَّةً ، وجعل وَسَطَه رَجَبَةً ، وبني بيتين لزوجتيه . . . »

وروى يحيى أيضاً عن جعفر / بن محمد عن أبيه قال : كان بناء مسجد رسول الله - صلى ١٠١٠
الله عليه وسلم - بالسميط لبنة على لبنة ، ثم بالسعيد لبنة ونصف أخرى ، ثم كَثُرَ الناس فقالوا : « يا رسول الله لو زيد فيه » ففعل ، فبني بالدَّكْر والأُنثى وهى لَبِنَتَانِ مختلفتان ،

(١) في رواية ابن سعد : جاء رجل يحسن صجين الطين وكان من حضر موت ، ورواية يحيى من طريق ابن زبالة عن الزهري أنه من أهل الإمامة من بنى حنيفة . وفي أسد الغابة أن طلق بن علي بن طلق بن عمرو الرضى الحنفى كان من أوفد الذين قدموا حل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا . (ج ٣ ص ٦٣) .

(٢) ذكر السهوى في وفاء الوفا (ج ٢ ص ٢٦٤) بقيق الخبيجة . وضبطها قائلا : بفتح الخاء المسجدة ثم باء موحدة وفتح الخاء والياء ثم هاء . قال الخلد (الفيروزابادى) : كذا ذكره أبو داود في سننه . والخبيجة شجر عرف به هذا الموضع . قال السبيل : وهو غريب وسائر الرواية ذكروه بميمين انتهى . وليس في السنن ضبط بل ذكره قبل الخلائف بباب قصة المقداد حين وجد به الدنانير ، ولم يذكر ضبطاً ، فقلل المراد به أن الرواية فيها بهذا الضبط ، لكن ضبطه ابن الأثير في نهايته (وذلك في ج ١ ص ٧٩) حيث قال : بقيق الخبيجة بفتح الخاءين وسكون الياء الأول موضع بواحي المدينة بخامن معصيتين بينهما موحدة . وفي القاموس بقيق الخبيجة (بميمين) بالمدينة أو هو بخاء أوله (أى الخبيجة) والخبيجة شجر من السبل ويحى البقيع به لأنه كان منبتها . وفي التاج : ذكره صاحب المراد بالخبيجة وأشار إلى الخلاف . وقد أثبتنا ضبط صاحب النهاية .

وكانوا رفعوا أساسه قريباً من ثلاثة أذرع بالحجارة ، وجعلوا طولهُ مما يلي القبلة إلى مؤخّره مائة ذراع ، وكذا في العرض ، وكان مُربعاً . [وفي رواية جعفر ^(١)] : ولم يُسطّح فشكروا الحرّ ، فجعلوا خشبة وسواريه جلوعاً وظلّوه بالجريد ثم بالخصف ^(٢) ، فلما وكف ^(٣) عليهم طيئروه بالطين ، وجعلوا وسطه رَحبة ^(٤) ، وكان جِدَارُهُ قبل أن يُستفّ قامةً وشيئاً .

وروى يحيى عن [أسامة بن] زيد بن حارثة عن أبيه رضى الله عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جعل قبْلته إلى بيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب في مؤخره : باب أبي بكر وهو في جهة القبلة اليوم ، وباب عائكة الذى يُدعى باب عائكة ويقال له باب الرحمة ، والباب الذى كان يدخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو باب آل عثمان اليوم ، وهذان البابان لم يُغيّرا بعد أن صُرِفَت القبلة ، ولما صُرِفَت القبلة سُدَّ النبي صلى الله عليه وسلم الباب الذى كان خلّفه ، وفتح هذا الباب ، وحذاه هذا الباب [أى] ^(٥) ومحاذيه هذا الباب الذى سُدَّ .

وروى ابن زبالة عن جعفر بن محمد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بنى مسجده مرتين : بناء حين قَدِمَ أقل من مائة في مائة ، فلما فتح الله عليه خيبر بنّاه وزاد عليه مثله في الدور . وروى الزبير بن بكار عن أنس رضى الله عنه أنه قال : بنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسجده أول ما بنّاه بالجريد ، ولما بنّاه باللّين بعد الهجرة بأربع سنين .

وروى الطبراني عن أبي المايح أنه قال : « قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لصاحب البقعة التى زيدت في مسجد المدينة ، وكان صاحبها من الأنصار ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لَكَ بها بَيْتٌ في الجَنَّةِ » . قال : فجاء عثمان ، فقال له : لَكَ بها عشرة آلاف » .

(١) زيادة من السهوى (ج ١ ص ٢٣٩) .

(٢) فى ت وم بالغس والتصويب من السهوى . وفى النهاية الخصف حركة جمع خصفه وهى الالة التى يكتز فيها القمز وكأها فعل بمعنى مفعول ، والخصف يسكون الصاد المهملة وهو ضم الشيء إلى الشيء لأنه شيء منسوج من الخوص (ج ١ ص ٢٩٧) .

(٣) فى الصحيح : وكف البيت وكفا وكفاً أى قطر .

(٤) فى الصحيح : رحبة المسجد الساحة المنبسطة ، قيل يسكون الحاء والجيم رحاب مثل كلبة وكلاب وقيل : بالفتح وهو أكثر ، والجيم رخب ورحبات مثل قبة وقصب وقصبات .

(٥) يياض بالأصل والتكلمة من السهوى (ج ١ ص ٢٤٠) .

دِرْهَم ، فاشترأها منه ، ثم جاء عثمان إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله اشتر مني البُعْعة التي اشتريتها من الأنصاري ، فاشترأها منه ببیت في الجنة . فقال عثمان : إني اشتريتها بعشرة آلاف درهم ، فوضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لَبَنَةً ، ثم دعا أبا بكر فوضع لَبَنَةً ، ثم دعا عمر فوضع لَبَنَةً ، ثم دعا عثمان فوضع لَبَنَةً ، ثم قال للناس : « ضموا » ، فوضعوا .

وروى الإمام أحمد والترمذي وحسنه في حديث قصة إشراف عثمان يوم الدار ، عن ثمامة ابن حَزَن^(١) القَشِيرِي ، والإمام أحمد والدارقطني عن الأحنف^(٢) بن قيس ، أن عثمان رضي الله عنه ، أشرف على الناس فقال : « أَهْهًا / على ؟ » قالوا : نعم . قال : « أَهْهًا طلحة ؟ » ١٠١١ ت قالوا : نعم . قال : « أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، أتعلمون أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « مَنْ يبتاع بُعْعة بني فلان فليزيد بها في المسجد بخَيْرٍ منها في الجنة ؟ » وفي رواية : « غفر الله له . » فاشتريتها من صُلْب مائة بعشرين ألفاً فأُتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلتُ قد ابتعتها . فقال : « اجعلها في مسجدنا ولك أَجْرُها » . قالوا : « اللهم نعم » .

وروى الزبير بن بَكَّار عن نافع بن جبیر ، وداود بن قيس ، وابن شهاب وإسماعيل ابن عبد الله الأزدي عن رجل من الأنصار ، والطبراني يَسْتَدِرُّ رجاله ثقات ، عن الشُّمُوس بنت النعمان رضي الله عنها ، ويحيى بن الحسن عن الخليل بن عبد الله الأمدى عن رجل من الأنصار ، عن ابن عجلان والغرافي - بالعين المعجمة والفاء في ذيله - عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن ابن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقام رهطاً على زوايا المسجد لِيُعَدِّلَ القِبْلَةَ ، فأتاه جبريل ، فقال : « يا رسول الله صُغِ القِبْلَةُ وأنت تنظر إلى الكعبة » ، ثم قال بيده [هكذا] فأنماط^(٣) كُلِّ جَبَلٍ بينه وبينها فوضع تربيع المسجد ، وهو ينظر إلى الكعبة لا يحول دون نظره شيء . فلما فرغ قال جبريل بيده فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها وصارت قِبْلَتُهُ إلى الميزاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما وضعت قِبْلَةَ مسجدى هذا حتى رُفِعَتْ لِي الكعبة فوضعتها أمامها »

(١) في الأصل ثمامة بن حزم والتصويب من خلاصة الخزرجي ص ٩٠ : وهو ثمامة بن حزن آخره نون - التشبيري البصري مخضرم . روى عن عمر وعثمان وعائشة وروى عنه القاسم بن الفضل وداود بن أبي هند ، وثقه يحيى بن معين .
(٢) في الأصل الأحنف وهو تحريف (٣) وردت في السهوي فأحاط وفي شرح المراهب فأنماط

وقال الإمام مالك رحمه الله كما في العُتْبِيَّة^(١) : « سَمِعْتُ أَن جَبْرِيلَ هُوَ الَّذِي أَقَامَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قِبْلَةَ مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ ». وروى البخاري وأبو داود عن نافع ، وأبو داود من طريق ابن عطية ، كلاهما عن ابن عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَتْ مَوَارِيهِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ جَنْوَعِ النَّخْلِ وَأَعْلَاهُ مُظَلَّلٌ بِجَرِيدِ النَّخْلِ ، ثُمَّ أَنَهَا نَخَرَتْ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ فَبْنَاهُ بِجَنْوَعِ النَّخْلِ وَبِجَرِيدِ النَّخْلِ ، وَلَمْ يَزِدْ فِيهِ ، وَزَادَ فِيهِ عُمرَ ، وَبَنَاهُ عَلَى بَنَائِهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّيْنِ وَالْجَرِيدِ وَأَعَادَ عَمَدَهُ خَشْبًا ، ثُمَّ أَنَهَا نَخَرَتْ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ ، فَزَادَ فِيهِ زِيَادَةٌ كَبِيرَةٌ ، وَبَنَى جِدَارَهُ بِالْحِجَارَةِ الْمَنْقُوشَةِ وَالْقَصَّةِ^(٢) ، وَجَعَلَ عَمَدَهُ مِنْ حِجَارَةٍ مَنْقُوشَةٍ وَسَقَفَهُ بِالسَّاجِ . زَادَ فِي الْعِيُونَ : وَنَقَلَ إِلَيْهِ الْحَضْبَاءُ مِنَ الْعَقِيقِ .

وأول من اتخذ فيه المقصورة مروان بن الحَكَمَ بِنَاهَا بِحِجَارَةٍ مَنْقُوشَةٍ [وَجَعَلَ لَهَا كُبُورًا]^(٣) ، ثُمَّ لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ [شَيْئًا] إِلَى أَنَّ وَلِيَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بَعْدَ أَبِيهِ ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ غَامِلَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ بِأَمْرِهِ يَهْدِمُ الْمَسْجِدَ وَبَنَائِهِ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمَالٍ وَفُسْتَيْسَاءَ وَرِخَامَ وَثَمَانِينَ صَانِعًا مِنَ الرُّومِ وَالْقَبِيطِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَمِصْرَ ، فَبْنَاهُ وَزَادَ فِيهِ ، وَوَلِيَ الْقِيَامَ بِأَمْرِهِ وَالنَّفَقَةَ عَلَيْهِ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ^(٤) وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَيُقَالُ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ .

(١) العُتْبِيَّةُ كِتَابٌ فِي مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ ، مَصْنُوعُهُ الْعَتَبِيُّ وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي هَتَبَةَ . يُنْسَبُ إِلَى جَدِّهِ وَلَيْسَ لَاحِظٌ فِي أَبِي سَفْيَانَ . وَهُوَ قَرِيبٌ إِلَى أَنْدَلُسٍ مِنْ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ مَعَ الْأَنْدَلُسِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى وَسَعِيدِ بْنِ حَسَّانٍ وَغَيْرِهِمَا وَرَحَلَ فَأُخِذَ بِالْقُرْبَانِ عَنْ يَمِينٍ وَمِصْرَ عَنْ أَصْبَغِ بْنِ الْفَرَجِ . وَكَانَ حَافِظًا لِلْمَسَائِلِ جَامِعًا لَهَا عِلْمًا بِالنُّوَازِلِ وَهُوَ الَّذِي جُمِعَ الْمُسْتَخْرَجَةُ الَّتِي كَثُرَ فِيهَا مِنَ الرِّوَايَاتِ الْمَطْرُوحَةِ وَالْمَسَائِلِ الْغَرِيبَةِ الْفَائِذَةِ تَوَفًى سَنَةَ ٢٥٥ هـ وَتُقَالُ سَنَةُ ٢٥٤ هـ تَرْسُمُ لَهُ ابْنُ الْقُرْبُحِيِّ فِي تَارِيخِ السُّلَامَةِ وَالرَّوَاةُ بِالْأَنْدَلُسِ (ج ٢ ص ٨ و ٩ رَقْم ١١٠٤) وَابْنُ فَرَحُونَ فِي الدِّيْبَاجِ (ص ٢٣٨ : ٢٣٩) وَابْنُ الْهَادِ فِي التَّحْلِيقاتِ (ج ٢ ص ٢٩) .

(٢) مَصْحُفَةٌ فِي الْأَصْلِ : الْقَصَّةُ وَصَوَابُهَا الْقَصَّةُ يَفْتَحُ الْقَافَ . وَفِي النَّجَاحِ الْقَصَّةُ : الْحِجَارَةُ مِنَ الْجَصِّ وَيَكْسَرُ مِنْ ابْنِ دُرَيْدٍ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ السَّيْرَانِيُّ يَكْسَرُ الْقَافَ وَغَيْرَهُ يَقُولُ يَفْتَحُهَا . وَفِي النَّهْيَةِ (ج ٣ ص ٢٥٨) تَقْصِصُ الْقَبِيرُ هُوَ يَنْقُذُهَا بِالْقَصَّةِ وَهِيَ الْجَصُّ .

(٣) زِيَادَةُ مِنَ السُّهَوْدِيِّ (ج ١ ص ٣٦٢) .

(٤) قَالَ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ (ج ٨ ص ٨٨) قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ التَّيْمَانَ الْتَفَارِيُّ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ قَالَ : لَمَّا جَاءَ كِتَابُ الْوَلِيدِ مِنْ مُشَقِّ يَهْدِمُ الْمَسْجِدَ تَجَرَّدَ عَرَيْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ . قَالَ صَالِحٌ : فَاسْتَبَعَلْنِي عَلَى هَدْمِهِ وَبَنَائِهِ فَهَلَمْنَا بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَبَدَأْنَا يَهْدِمُ بِيوتَ أَزْوَاجِ الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْنَا الْفَعْلَةُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا الْوَلِيدُ . وَهِيَ مَعَارِضَةٌ لِهَذَا السَّمَلِ أَوْرَدَ أَخْبَارُهُ السُّهَوْدِيُّ فِي الْفُضْلِ السَّادِسِ عَشَرَ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ كِتَابِهِ (ص ٣٦٣ : ٣٧٢) .

ولم يُحَدِّث فيه أَحَدٌ من الخلفاء شيئاً حتى اسْتُخْلِفَ المهدي . قال محمد بن عُمر :
بَعَثَ المهدي عبد الملك^(١) بن شبيب النُسائي ورجلاً^(٢) من وَلَدِ عمر بن عبد العزيز إلى المدينة
لبناء مسجدها والزيادة فيه ، وعليها يومئذ جعفر بن سليمان بن علي ، فمكثا^(٣) في عمله
سنة ، وزاد في مُوَحَّره مائة ذراع فصار طوله ثلاثمائة ذراع وعَرْضُهُ مائتي ذراع . وقال علي
ابن محمد المدائني^(٤) : «وَلَّى المهدي جعفر بن سليمان^(٥) مكة والمدينة واليامة فزاد في مكة
ومسجد المدينة ، وقَسَّم بناء مسجد المدينة في سنة اثنتين وستين ومائة . وكان المهدي أتى
إلى المدينة في سنة ستين ومائة قبل الحج فأمر بقلع المقصورة وتسويتها مع المسجد ،
ويقال إن المأمون عمره أيضاً وزاد فيه . والله أعلم^(٦) .

ثم لم يزد فيه شيئاً أَحَدٌ من الخلفاء بعد المأمون ، ولم يُعْمَرُوا إلا مواضع يسيرة ،
إلى أن حصل الحريق [في المسجد النبوي] في أول شهر^(٧) رمضان سنة أربع وخمسين
وسبعمائة أول الليل للدخول أبي بكر بن أُوحد القُرَاشي^(٨) الحاصل الذي في الزاوية الغربية

(١) في الأصل عبد الله والتصويب من السهوي (ج ١ ص ٣٨٠) .

(٢) اسمه عبد الله بن حاصم بن عمر بن عبد العزيز .

(٣) توفي عبد الله بن حاصم وول المهدي مكانه عبد الله بن موسى الحمصي .

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني مولد شمس بن عبد مناف ولد سنة ١٣٥ هـ وتوفي
سنة ٢٢٥ هـ من أعلام الأخباريين تستغرق عناوين مؤلفاته في الفهرست لابن النديم ست صفحات (من ص ١٤٧ إلى ص ١٥٢)
وتتناول أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأخبار قریش والخلفاء والأحداث والفتوح والغرب والشعراء وغيرها ، لم يصلنا
منها سوى ما نقله المؤرخون فيما بعد عنها .

(٥) هو جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس .

(٦) لفظ السهوي (ج ١ ص ٢٨٢) : وقيل إن المأمون زاد فيه وأتقن بنيانه أيضاً في سنة ٢٠٢ هـ قال السجيل
وهو على حاله ، ورزين ينكر ذلك ، ويمكن الجمع بأنه جده ولم يزد . هذا وينس ابن قتيبة في كتابه المعارف (ص ٢٤٥)
على أنه قرأ على موضع زيادة المأمون ما يلي : أمر عبد الله عبد الله (الأول نكرة والثانية معرفة لأن المأمون اسمه عبد الله
المأمون) بهارة مسجد رسول الله سنة ٢٠٢ هـ طلب ثواب الله وطلب جزاء الله وطلب كرامة الله فإن الله عنه ثواب الدنيا
والآخرة وكان الله سبحانه بغيراً . أمر عبد الله عبد الله بقرى الله ومرضاته وبصلة الرحم والعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى
الله عليه وسلم وتعظيم ما صغر الجاهلية من حقوق الله وإسعاد ما أماتوا من العدل ، وتصغير ما عظفوا من العوان والجور وأن
يطاع الله ويطاع من أطاع الله ويحصى من حصى الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله ، والتسوية بينهم في هيبهم ووضع الأفاضل
مواضعها .

(٧) في السهوي (ج ١ ص ٤٢٧) ليلة الجمعة وفي الدليل على الروضتين لأبي شامة (ص ١٩٤) أن الحريق ابتدأ
من زاوية المسجد الغربية من الشمال .

(٨) اسمه في شذرات الذهب (ج ٥ ص ٢٦٣) أبو بكر الرازي ، وذكر السهوي بأنه أحد القوام بالمسجد الشريف .

لاستخراج قناديل لمناظر المسجد ، وترك الضوء الذي كان في يده على قفص من أقفاص القناديل وفيه مشاق فاشتعلت النار فيه وأعجزه إطفائها وَعَلِقَتْ بِبُسْطٍ وَغِيَرِهَا مَا فِي الْحَاصِلِ وَتَزَايِدِ الْإِلْتِهَابِ حَتَّى اتَّصَلَتْ بِالسَّقْفِ بِسُرْعَةٍ [ثُمَّ ذَبَّتْ فِي السَّقُوفِ^(١)] أَخَذَتْ قِبْلَةً فَأَعَجَلَتْ النَّاسَ عَنْ إِطْفَائِهَا بَعْدَ أَنْ نَزَلَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ وَاجْتَمَعَ مَعَهُ غَالِبُ أَهْلِهَا ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى قَطْعِهَا ، وَمَا كَانَ إِلَّا أَقْلٌ مِنَ الْقَلِيلِ حَتَّى اسْتَوْلَى الْحَرِيقُ عَلَى جَمِيعِ^(٢) سَقْفِ الْمَسْجِدِ [الشَّيْفِ] وَمَا احْتَوَى مِنَ الْبَنِيَنِ النَّبَوِيِّ وَالْأَبْوَابِ وَالْخَزَائِنِ وَالْمَقَاصِيرِ وَالصَّنَادِقِ وَلَمْ تَبْقَ خَشَبَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَكَذَا الْكُتُبُ ، وَكُسُوَةُ الْحِجَرَةِ الشَّرِيفَةِ . قَالَ الْقُطُبُ الْقِسْطَلَانِي : وَكَانَ عَلَيْهَا حِينَئِذٍ إِحْدَى عَشْرَةَ سِتَارَةً^(٣) ، وَأَزَالَتْ النَّارُ تِلْكَ الزُّخَارِفَ الَّتِي لَا تُرْضَى ، وَشَوَّهَتْ مِنْ هَذِهِ النَّارِ صِفَةَ الْقَهْرِ وَالْعِظَمَةِ الْإِلَهِيَّةِ مُسْتَوَلِيَةً عَلَى الشَّرِيفِ وَالْمَشْرُوفِ . وَكَانَ هَذَا الْحَرِيقُ عَقِبَ ظَهْوَرِ نَارِ الْحِجَازِ الْمُتَدْرِكِ^(٤) بِهَا مِنْ أَرْضِ الْمَدِينَةِ ، وَحِمَايَةِ أَهْلِهَا مِنْهَا . لَمَّا التَّجَارَا إِلَى مَسْجِدِهَا ، فَانْطَفَأَتْ عِنْدَ وَصُولِهَا لِحَرِّهَا . قُلْتُ : وَسَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ فِي الْمَعْجَزَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَبِمَا خَطَرَ بِبَالِ الْعَوَامِ أَنْ حَبَسَهَا عَنْهُمْ بِبَرَكَةِ الْجَوَارِ مُوجِبٌ لِحَبْسِهَا عَنْهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، فَانْقَضَى الْحَالُ الْبَيَانُ بِلِسَانِ الْحَالِ الَّذِي هُوَ أَفْصَحُ مِنْ لِسَانِ الْقَالَ . وَالنَّارُ مَطْهُرَةٌ لِأَدْنَسِ اللَّغُوبِ / وَقَدْ كَانَ [ذَلِكَ] لَاسْتِيلَاءِ الرُّوَاقِصِ حِينَئِذٍ [عَلَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَالْمَدِينَةِ] ١٠٩٢ هـ

(١) زيادة من التذييل على الروضتين لأبي شامة .

(٢) هذا ما نقله المؤلف من كتاب : « عروة الوثيق في آثار الحريق » لقسطلاني ولفظه كما أورده السهوي : وَطَفَّ جَمِيعُ مَا أَحْوَى عَلَيْهِ الْمَسْجِدُ الشَّرِيفُ . . . وَكَانَ عَلَيْهَا إِحْدَى عَشْرَةَ سِتَارَةً .

(٣) قال السهوي بعد ذلك : ثُمَّ ذَكَرَ الْقُطُبُ الْقِسْطَلَانِي سَكَاً لِلْكَافِ وَأَسْرَاراً لَكُونَ تِلْكَ الزُّخَارِفَ لَمْ تَرَفَعْ صَلَافُهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ لَمَّا لَاحَظَتْ الْمَسَاجِدَ الْفَالَاةَ بَيْنَ الْعِظَمِ - وَلَا يَحْوِلُ فِي ذَلِكَ أَنْ تَنْزِلَ فَرَقَ قَدَرُهَا عَلَى الْإِلَهِ أَنْ يَحْطَى أَنْ صِفَةَ قَهْرِ تَعَالَى وَعِظَمِهِ مُسْتَوَلِيَةً عَلَى الْجَمِيعِ . فَوَقَعَ الْحَرِيقُ فِي الْكِبَرَةِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ قَدِماً ثُمَّ وَقَعَ بِهَذَا الْمَسْجِدِ فِي هَذَا الْوَسْطَانِ .

(٤) يشير المؤلف هنا إلى ما وقع من الزلازل والطفح البركاني في سنة ٦٥٤ هـ ببلاد الحجاز وقد ساق عبرها عدد كبير من المؤرخين منهم أبو شامة في التذييل على الروضتين (ص ١٩٢ : ١٩٣) وابن عَرَبٍ يَرَى فِي النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ (ج ٧ ص ٦٦ : ٦٩) وَالْمَقْرِئِي فِي الْمِلُوكِ (ج ١ ق ٢ ص ٣٩٨ : ٣٩٩) وَابْنُ الْبَنَادِ فِي شُرَاهِ الْغَيْبِ (ج ٥ ص ٢٦٣) .

وكان القاضي والخطيب منهم ، وأساعوا الأدب كما بسط ذلك ابن جبير في رحلته ^(١) ،
ولذا وَجَدَ عَقِبَ الحريق على جدران المسجد :

لَمْ يَخْتَرِقْ حَرَمُ النَّبِيِّ لِرَيْبَةٍ يُخْشَى عَلَيْهِ وَمَا بِهِ مِنْ عَارٍ
لَكِنَّا أَبْدَى الرُّوَافِضَ لَأَمْسَتْ تِلْكَ الرُّسُومَ فَطَهَّرَتْ بِالنَّارِ ^(٢)
وَوَجَدَ أَيْضاً :

قُلْ لِلرُّوَافِضِ بِالْمَدِينَةِ مَا بَيْكُم لِقِيَادِكُمْ لِلنِّمِّ كُلِّ سَيِّئِهِ
مَا أَضْحَحَ الْجَرَمُ الشَّرِيفُ مُحَرَّقاً إِلَّا لَسِيْنِكُمْ الصَّحَابَةَ فِيهِ

ولم يَسْلَمْ من الحريق سوى القبة التي أحلها الناصر للدين الله ليحفظ ذخائر الحرم .
قال المؤرخون : وبقيت سواى المسجد قائمة كأنها جنوع النخل إذا هبَّت الرياح تمايل ،
وزاب الرصاص من بعض الأساطين فسقطت ووقع السقف الذى كان على أعلى الحجرة
الشريفة على سقف بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوقها جميعاً فى الحجرة الشريفة
وعلى القبور المقدسة .

وفى صبيحة الجمعة عزلوا موضعاً للصلاة وكتبوا بذلك للخليفة المستنصر بالله [ابن
أحمد عبد الله ^(٣)] بن المستنصر بالله [فى شهر رمضان ^(٤)] ، فوصلت الآلات صُنْجَة
الصَّنَاع مع ركب العراق فى الموسم وابتدئوا بالعمارة أول سنة خمس وخمسين وسبائة ،
وقصدوا إزالة ما وقع من السقوف على القبور الشريفة ، فلم يجسروا على ذلك . واتفق
رأى [صاحب المدينة يومئذ وهو ^(٥)] الأمير منيف بن شيهه [بن هاشم بن قاسم بن

(١) أشار إلى ذلك ابن جبير فى رحلته (ص ١٨٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٠٨ م) بقوله : وفى يوم الجمعة المذكور
وهو السابع من محرم شاهدنا من أنوار البهجة أمراً ينادى له الإسلام : يا الله ! يا المسلمين ! وذلك أن الخطيب وصل بخطبة
فصعد منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو على ما يذكر على منبر غير مرضى ، وهذا وقد قام ابن جبير (٥٣٩ هـ - ٩١٤ هـ)
بملاوت وحلات من الأندلس إلى المغرب ورجع فى كل واحدة منها وقد بدأها فى سنة ٥٧٨ هـ . انظر ترجمته فى الإحاطة فى
أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب (القاهرة سنة ١٣١٩ هـ ٢٠٠ ص ١٦٨ : ١٧٤) .

(٢) روى هذان البيتان فى الليل على الروضتين (ص ١٩٤) والنجوم الزاهرة (ج ٧ ص ٣٦) :

لم يَخْتَرِقْ حَرَمُ النَّبِيِّ لِحَادِثٍ يَخْشَى عَلَيْهِ وَلَا دَعَاءَ الْعَارِ

لَكِنَّا أَبْدَى الرُّوَافِضَ لَأَمْسَتْ ذَاكَ الْجَنَابَ فَطَهَّرَهُ النَّارِ

(٣) زيادة من السهوي (١٣ ص ٤٢٩ : ٤٣٠) .

مهية الحسين^(١)] مع رأى أكابر الحرّم الشريف أن يطألع الإمام المستعصم بالله بذلك فيفعل ما يصل إليه أمره . فأرسلوا بذلك . فلم يصل جوابه لاشتغاله وأهل دولته بإزعاج التتار لهم واستيلائهم على أعمال بغداد في تلك السنة . فتركوا الرّم على حاله ولم ينزل أحد هناك . زاد المجد اللغوى : ولم يَجْزُرْ أحد على التّعريض لهذه العظيمة^(٢) التي دون مرامها نزول الأقدام ولا يتأق من كل أحد بادية بدنيّ الدخول . [فيه] والإقدام . ووصلت^(٣) الآلات من صاحب اليمن [يومئذ وهو الملك] المُظَفَّر شمس الدين يوسف بن المنصور عُمَر بن رسول^(٤) . ثم عُزِل صاحب مصر ، وتولى مكانه مملوك أبيه المظفر سيف الدين

(١) زيادة من السهموي غير أن أمير المدينة ابتداء من حوالي سنة ٦٣٥ هـ كان جواز بن أبي فليتة كا في الترجمة العربية لمجمع الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي للمستشرق زاباور (القاهرة سنة ١٩٥١ م ج ١ ص ١٧٧) . وتناول ابن السامعي الخوفي سنة ٦٧٤ هـ في نهاية كتابه : مختصر تاريخ الخلفاء (بولاق سنة ١٣٠٩ هـ ص ١٢٩ وما بعدها) يبيّن الملك والإمارات من الإسلام الآن . وقال في ص ١٣٠ : ومنهم أمير المدينة المنورة وهي (أي الإمارة) في بني حسين وهي الآن في بني جهماز بن شحبه . ولم يتيسر لنا الرجوع إلى مخطوطات المطرّي وابن النجار وغيرها في تاريخ المدينة لتحقيق اسمه . (٢) ذكر هذا الحريق عبد الرزاق بن أحمد الفوطي البغدادي (٦٤٢ هـ - ٧٢٣ هـ) في الجزء الأول من كتابه : أنوار الذهب . وللإيجاب النافعة في المائة السابعة (بغداد سنة ١٣٤٥ هـ ص ٣١٦) فقال : وفي شيمان (سنة ٦٥٤ هـ) وقع حريق بمسجد النبي صل الله عليه وسلم وحجرته بالمدينة أيضاً واحترق المنبر الذي كان من عهد وسقف حجرته وسبب ذلك أن القيم أشعل المصابيح فوقت منه شرارة نار على ثوبه فاحترق ، ثم تعدت النار إلى قعصن من أفاضل القنطديل فالتهمت الحماقة التي فيه ، فارتفع القيم وشده ، وبهذه إلهيق فيه زيت فضبه على النار فلما أنه ما فازدادت النار تهاهاً . فلما بلغ الخليفة المستعصم ذلك أرسل قاضي القضاة سراج الدين التبركلي وعدة من العلول وأصحابهم مالا لئلا ما احترق ، فساروا إلى هناك وجرعوا ما غرّب وأعادوه إلى أحسن ما كان وملكت بغداد وهم هناك . وقيل إن القاضي توفى ببقية السنة ودفن بالبقيع . وأشار إلى كل من النار والحريق التاج السبكي في طبقات الشافعية (ج ٥ ص ١١٢ : ١١٣) حيث قال : كان لظهور النار بالمدينة النبوية دوى عظيم ثم زلزلة عظيمة وظهرت تلك النار في الحرة يصيرها أهل المدينة وسالت الجبال نيراناً واستمرت فوق أشهر . وهي ما أخبر بها المصطفى صلوات الله عليه حيث يقول : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى » . وقد حكى غير واحد من كان ببصرى في الليل أنه رأى أعناق الإبل في ضوءها . وقال السبكي عن حريق المسجد النبوي الشريف إنه وقع في مستهل رمضان وكان ابتداءً من زاوية الغربية فأحترق سقفه كلها وذاب رسابها ووقعت بعض أساطينه واحترق سقف الحجرة النبوية . وفي البداية والنهاية لابن كثير (ج ١٣ ص ١٩٢) ما ذكره ابن السامعي من هذه النار ومقاله شيخ حرم المدينة بأنها آية عظيمة وإشارة حميدة دالة على اقتراب الساعة . ثم أورد ابن كثير في ص ١٩٣ ما قاله أبو شامة من حريق المسجد النبوي الذي عده سداداً ما عقبه من الأحداث مشيراً بذلك إلى سقوط بغداد في أيدي التتار سنة ٦٥٦ هـ . انظر أيضاً تاريخ عمر بن العربي (ج ٢ ص ١٩٥) وتاريخ الخلفاء لسيرطي (القاهرة سنة ١٣٥١ هـ ص ٣٠٩) .

(٣) هذه حارة المطرّي التي نقلها الخولف وقبلها : وصلت الآلات من مصر وكان القوي عليها جهنم الملك المنصور نور الدين علي بن الملك المعز جل الدين أيك الصالح (من سنة ٦٥٥ هـ إلى سنة ٦٥٧ هـ) .

(٤) أشار إلى هذا علي بن الحسن الخزرجي في كتابه المقيد القلوية في تاريخ الدولة الرسولية (ج ١ ص ١٢٨ - القاهرة سنة ١٩١١ م) وذلك بقوله : وهذه السنة (أي سنة ٦٥٦ هـ) تولى السلطان أمر الحرم الشريف وأقام منارته وعضمة جهارملك عهده .

قُطِرَ الْمُعَزَّى واسمه الحقيقي محمود بن مملود ، وأمّه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه ، وأبوه ابن عمّه ، أمير عند غلبة التتار ، فبيعَ بدمشق ، ثم [انتقل بالبيع إلى] مصر ، وتسلّك في ثامن عشر^(١) ذى القعدة من سنة سبع [وخمسين وسبائة] . وفي شهر رمضان من سنة ثمان أَعَزَّ اللهُ تعالى الإسلام على يده بوقعة عين جالوت . ثم قُتِلَ بعد الواقعة بشهر وهو داخل إلى القاهرة .

وكان العمل بالمسجد الشريف في تلك السنة من باب السّلام إلى باب الرحمة [المعروف قديماً بباب عاتكة] ومن باب جبريل إلى باب النساء . وتولى مصر آخر تلك السنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس / الصالحى البندقدارى ، فحصل منه اهتمام بأمر المسجد فَجُهِزَ ١٠١٤ت الأخشاب والحديد والرصاص ، ومن الصُّنَاع ثلاثة وخمسين صناعاً ، وما يُحَوَّنُهُمْ ، وأنفق عليهم قبل سفرهم وأرسل معهم الأمير جمال الدين مُحْسِن الصالحى وغيره ، ثم صار يُبَدِّلُهُمْ بما يحتاجون إليه من الآلات والنفقات . فعُيِّلَ في أيامه باقى سقف المسجد كما كان قبل الحريق سقفاً فوق سقف إلا السقف الشمالى فإنه جعل سقفاً واحداً .

ولم يزل المسجد على ذلك حتى جُدِّدَ السَّقْفُ الشرقى والسَّقْفُ الغربى اللذان عن يمين صحن المسجد وشماله وذلك في سنتي خمس وست وسبعمائة في أوائل دولة الملك الناصر محمد ابن قلاوون الصالحى ، فَجُعِلَا سَقْفاً واحداً شبه^(٢) السقف الشمالى [أى سقف الدكاك^(٣)] . ثم في سنة تسع وعشرين وسبعمائة أمر الملك الناصر محمد المذكور بزيادة رواقين [في المُسَقَّف القِبْلَى^(٤)] متصلين بمُوَخَّرِهِ فاتسع مُسَقَّفُهُ بهما وَعَمَّ نَفْعُهُمَا . ثم حصل في هذين الرواقين خَلَلٌ فَجُدِّدَهُمَا الملك الأشرف برسبائى سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة من مال جوالى قبرص . وجُدِّدَ الأشرف أيضاً شيئاً من السقف الشامى [بما يلى المنارة السنجارية^(٥)] .

ثم حصل خَلَلٌ في سقف الروضة الشريفة وغيرها من سقف المسجد في دولة الظاهر

(١) جاء في ج ١ ص ٩٦ من بدائع الزهور لابن لياس (هولاء سنة ١٣١١ هـ) أن قطر لسلطن في يوم السبت ساقط مطر في القعدة الحرام سنة ٨٦٥ هـ .

(٢) في الأصل : لجة .

(٣) زيادة من السهيدى (ج ١ ص ٤٢٣) .

(٤) يهاض بالأصل والتكلة من السهيدى .

(٥) زيادة من السهيدى .

جقمق ، فجدد ذلك في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة . ثم جدد السلطان الملك الأشرف قايتباي كثيراً من سقف المسجد ، ثم احترق المسجد النبوي ثانياً في الثالث الأخير من ليلة الثالث^(١) والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة ، وذلك أن رئيس المؤذنين [وصلة المؤذنين] شمس الدين محمد بن الخطيب قام يهتف حينئذ بالنارة الشرقية^(٢) الثانية المعروفة بالرئيسية ، وصعد المؤذنون بقية المنائر وقد تراكم الغيث وحصل رعد قاصف ، فسقطت صاعقة أصاب بعضها هلال المنارة المذكورة فسقط شرق المسجد لهب كالنار وأنشق رأس المئذنة ، وتوفي الرئيس لحينه صعباً . وأصاب ما نزل من الصاعقة سقف المسجد الأعلى [بين المنارة الرئيسة وقبة الحجرة النبوية فلقبه ثقباً كالترس] فقلقت النار فيه وفي السقف الأسفل ، ففتحت أبواب المنجد ونودي بأن الحريق في المسجد .

فاجتمع أمير المدينة قسطل بن زهير الجمازي^(٣) وأهلها بالمسجد الشريف ، وصعد أهل النجدة منهم بالمياه لإطفاء النار وقد التهب سريعاً في السقفين ، وأخذت في جهة الشمال والغرب ، فعجزوا عن إطفائها وكادت أن تتركهم فهربوا . وسقط بعضهم فهلك ، ونجا بعضهم مع من حالت النار بينه وبين الأبواب إلى صحن المسجد . وجملة من مات بسبب ذلك بضع عشرة نفساً . وعظمت النار جداً حتى صارت كبحر لجي من نار ، ولها زفير وشهيق وألسن تصعد في الجو ، وصارت ترى بشر كالفقر / وتسقط بالبيوت والمجاويز ومع ذلك فلا تؤثر فيها . وحمل بعض خزائن الكتب والريعات والمصاحف وغير ما ياحرقوا وبخارجها ، وذلك كله في نحو عشرة أجراء [فأصابها الشر فاحرقها] . وأخبر أمير المدينة قسطل الجمازي أن شخصاً من العرب الضادقين رأى [في المنام] قبل ذلك ليلة أن السماء فيها جراداً كثيراً ثم أعقبته نار عظيمة ، فأخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - النار وقال : « أمسكها عن أمتي » .

(٢) في المخطوط (ج ١ ص ٤٥٥) : أول الثلث الأخير من ليلة الثالث عشر من شهر رمضان . وفي هذا الزمان لاين لماس (ج ٢ ص ٢٠٩) ما يؤيد التاريخ الذي ذكره السهوي .

(٢) في الأصل : الشريعة والتصويب من السهوي .

(٣) ذكر السهوي أن اسمه هو السيد الشريف زين الدين فيصل الجمازي ، وحقق اسمه مترجم معجم الأنساب المستشرق زاباور بأنه قسطل على صورة التصغير (ج ١ ص ١٧٨) ذلك بخلاف من تحقيق فسقط ذلك لكتاب السهوي . وقد ألقا الاسم كما أورده المؤلف شمس الدين الشامي .

قال السيد : وأخبرني جماعة أنهم شاهدوا أشكال طيور بيض تحوم حول النار كالذي يَكْفُها عن بيوت الجيران^(١) ، مع هرب كثير منهم لما رأوا تساقط الشرر . وخرج بعضهم من باب المدينة لعِظَم ما شاهدوه من الهول وظنوا أنهم قد أحيط بهم ، ثم خمدت النار ثلثي يوم وأرسلوا للسلطان قايتباي يُعلمونه بذلك فاهتم بذلك رحمه الله تعالى الذي أهله لهذا الأمر وعمر المسجد الشريف والحجرة الشريفة العمارة المُحكَّمة الموجودة في زماننا^(٢) .

تَبَيَّهَات

الأول : اختُلِفَ في اسم أبي اليتيميين اللذين كان المسجد لهما فقال [موسى ابن عقبة : هما ابنا رافع بن عمرو بن أبي عمرو^(٣)] ، وقال الزهري وابن اسحق هما ابنا عمرو . قال في البعيون إنه الأشهر . وحاول السهيلي التوفيق بين القولين فقال : « هما ابنا رافع بن عمرو^(٤) » ، فعل هذا نسباً إلى جدِّهما . قال الحافظ : « والأرجح هو قول الزهري وابن إسحق » .
الثاني : ذكر ابن إسحق أنهما كانا في حجر مُعَاذ بن عَفْرَاء ، وقال أبو ذر الهُرَيْرِيُّ

(١) ذكر ابن إياس في كتابه بدائع الزهور (ج ٢ ص ٢٠٩) غير هذا الحريق في أحداث سنة ٨٨٦ هـ وأضاف أن أهل المدينة طابوا عدة أطياف بيض بأعناق طوال طالفة حول المسجد تمنع النار أن تحرق البيوت التي حول المسجد ، وأن المسجد جميعه قد احترق حتى صار كالتنور فلما سمع السلطان (قايتباي) ذلك بكى ، وبكى من كان حوله وتصب الناس لهذه الواقعة كيف جرت في هذا المكان الشريف .
(٢) ذكر ذلك ابن إياس بقوله : « ثم أن السلطان شرع في تجديد المسجد الشريف فعين أنطونيا فليس الذين عهد بن الزمن بأن يتوجه إلى المدينة وأرسل معه عدة من البنائين والتجارين والمدرخين وغير ذلك وأمر بهدم القبة الشريفة وإعادة بنائها وتجديدها وتجديد غيرها من الحديد المحرم - وكانت قبل ذلك من الخشب - وتغيير المنبر والمآذن التي كانت بالحرم ، ثم توجه ابن الزمن إلى هناك وشرع في البناء حتى انتهى من العمل في أواخر سنة ٨٨٧ هـ ، فبناه غاية في الحسن من أجل الأبنية وأعظمها ، حتى قيل إن السلطان صرف هل يناله غمراً من مائة ألف دينار وجدد مظهره وتناهى في زعفرته إلى الغاية » .
هذا ويبدو أن جانباً من الأقل من هذه التجديدات ظل باقياً إلى ما بعد منتصف القرن الماضي (الميلادي) فقد ذكر الرحالة السويسري بوركهارت الذي حج في سنة ١٨١٥ م متحلاً اسم الشيخ إبراهيم المهدي وزار المدينة أنه لا يعتقد إذا كان للمسجد التبري قد أصابه تغيير مادي منذ عهد السهيلي وبعد الحريق الذي وقع سنة ٨٨٦ هـ . انظر كتابه : رحلات في بلاد العرب (لندن سنة ١٨٢٩ م ص ٢٣٠) . وذكر ريتشارد بيرتون في رحلته إلى الحجاز التي بدأها في عرند سنة ١٨٥٢ م أن المسجد السادس كما هو قائم الآن تقريباً شهد السلطان قايتباي في سنة ٨٨٨ هـ ، انظر الفصل ١٧ الذي مقدمه من تاريخ المسجد النبوي في كتابه : حجة إلى المدينة ومسكة (لندن سنة ١٨٥٥ م) وقد رجنا إلى طبعة لندن سنة ١٩٢٤ م ١٩٨٨ (ص ٣٢٨) .
(٣) في الأصل : « فقال جميع ما سبق » والتصويب من السهيلي (ج ٢ ص ١٢) الذي قال لسب سبيل وسهيلي هكذا : « هما ابنا رافع بن عمرو بن أبي عمرو بن حيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وأضاف أن سهيلاً شهد بديراً والمجاهد كلها ومات في خلافة عمر ، وأن سهيلاً شهد بديراً وشهد غيرها ومات قبل أخيه سهيل .
(٤) أورد ابن الأثير في أسد الغابة (ج ٢ ص ٣٦٥ وما بعدها) سيرة أبي عمر لنسبها إذ قال : سهيل بن رافع بن عمرو بن خالد بن ثعلبة . . . والاختلاف في عمرو وعالدة .

أحد رواة الصحيح : أسعد [بن زرارة] بإثبات الألف [في أسعد] . قال الحافظ والنسب : « وهو الوجه » . وقال ابن زبالة ويحيى لهما كانا في حجر أبي أيوب . وقد يُجمع باشتراك مَنْ ذُكر في كونهما في حُجُورهم ، وبانتقال ذلك بعد أسعد بن زرارة إلى مَنْ ذُكر واحداً بعد واحد ، سيما وقد روى محمد بن الحسن المخزومي عن ابن [أبي] [فَدَيْك^(١)] قال : « سَمِعْتُ بعض أهل العلم يقولون إن أسعد توفي قبل أن يبنى رسول الله المسجد ، فباعه رسول الله من سهل وسهيل » .

الثالث : في الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرسل إلى مَلَأْ بنِ النُّجَّار بسبب موضع المسجد ، فقال : « يا بني النُّجَّار ثَامِنُونِي بِحَانِطِكُمْ هَذَا » ، فقالوا : « والله لا نطلب ثمنه إلا من الله » . وفي رواية : « فدعا بِالْغُلَامَيْنِ فساومهما بِالْبَرِيدِ يَتَخَذَهُ مَسْجِداً » . ووقع في رواية ابن عُيَيْنَةَ : « فَكَلَّمَهُمَا ، أَيْ الَّذِي كَانَا فِي حِجْرِهِ ، أَنْ يَبْتَاعَهُ مِنْهُمَا » ، فقال : « مَا تَصْنَعُ بِهِ ؟ » فلم يَجِدْ بُدًّا مِنْ أَنْ يَصْدَقَهُمَا ، فَأَخْبَرَهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَهُ ، فَقَالَا : « نَحْنُ نَعْطِيهِ » ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَنَاهُ . أَخْرَجَهُ الْجَنَدِيُّ^(٢) .

وَذَكَرَ ابْنُ زُبَالَةَ ، وَيَحْيَى ، أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَرْضِيهِمَا : وَذَكَرَ ابْنُ عُسَيْبَةَ أَنَّ أَسْعَدَ حَوَّضَهُمَا مِنْهُمَا ، وَنَحْنُ نَقُولُ : / قَالَ : وَقِيلَ لِبْتَاعِهِ مِنْهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَطَرِيقُ الْجَمْعِ بَيْنَ ذَلِكَ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْحَافِظُ أَنَّهُمْ لَمْ يَقَالُوا : « لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا مِنْ اللَّهِ » . سَأَلَ عَمْرٌو يَخْتَصُّ بِمَلِكِهِ عَنْهُمْ : فَعَيَّنُوا الْغُلَامَيْنِ ، فَايْتَاَهُ مِنْهُمَا أَوْ مِنْ وَلِيِّهِمَا . إِنْ كَانَا غَيْرَ بِالْيَقِينِ^(٣) ، وَحِينَئِذٍ فَيَحْتَمَلُ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا : « لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا مِنْ

(١) في الأصل : ابن قريش بالراء والتصويب من التدهي في تذكرة الحفاظ (ج ١ ، ص ٣١٦) واسمه هو : محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فهدك فهدك الله تعالى الذي يحدث الحديث . قال البخاري توفي سنة ٢٠٠ هـ روى عن ابن أبي ذئب والفسحاك ابن جهم وابن الفضل وخلق ، وروى عنه محمد بن حديد وأحمد بن الأزهر وسليمان بن شبيب . قال الباقون ليس به بأس ، انظر أيضاً جيلاسة الخزرجي ص ٢٧٩ .

(٢) روى البهلاء في فتح البلدان (ص ١٢٠ طبع القاهرة سنة ١٩٨١ م) . ثم روى أنه صلى الله عليه وسلم ، جعل في مسجد أسعد بن زرارة ثم إنه سأل أسعد أن يهبه أرضاً بمصلة بذلك المسجد وكانت في يده ألبقعين في حجره فقال لهما سهل وسهيل ابنا رافع بن أبي عمرو بن مالك بن ثعلبة بن فُهم ، ففرض عليه أن يأخذوا ويرفع منه البقعين ففما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وابتاعها منه بمشرة دنائير أدها من مال أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٣) زاد الزركاني في شرحه على المولاهب (ج ١ ص ٣٦٤) : « وَلَا يَتْلُوهُ وَصْفُهُمَا بِالْيَقِينِ لَأَنَّهُمَا بَاهْتَارَا مَا كَانَ ، أَوْ كَانَا يَتْلُوهُمَا وَفِي الْمَسَامَةِ وَهَلَا يَتْلُوهُمَا » .

[الله ^(١)] تَحَمَّلُوا عَنْهُ لِلْعُلَامَيْنِ بِالْثَمَنِ . فَقَدْ نَقَلَ ابْنُ عُثْبَةَ أَنَّ أَسَدَ بْنَ زُرَّارَةَ عَوَّضَ الْعُلَامَيْنِ عَنْهُ نَخْلًا لَهُ فِي بِيَاضَةٍ . وَتَقَدَّمَ أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ قَالَ : أَنَا أَرْضِيهِمَا ، فَأَرْضَاهُمَا ، وَكَذَلِكَ مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ ، فَيَكُونُ بَعْدَ الشَّرَاءِ . وَيُحْتَمَلُ ^(٢) أَنَّ كُلاًّ مِنْ أَسَدَ ، وَأَبِي أَيُّوبَ وَابْنَ عَفْرَاءَ أَرْضَى الْيَتِيمَيْنِ بِشَيْءٍ فَنُسِبَ ذَلِكَ لِكُلِّ مَنِهْم .

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْيَتِيمَيْنِ امْتَنَعَا مِنْ قَبُولِ عَوَّضَ ، فَيُحْتَمَلُ ذَلِكَ عَلَى بَدءِ الْأَمْرِ ، وَلَكِنْ قَالَ الْوَاقِدِيُّ : إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَرَاهُ مِنْ بَنِي عَفْرَاءَ بِعَشْرَةِ دنانيرَ ذَهَباً دَفَعَهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَلَعَلَّهُ رَغِبَ فِي الْخَيْرِ ، فَلَدَعَ الْعَشْرَةَ مَعَ أَوْلَئِكَ ، أَوْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ أَوَّلًا بَعْضَ الْمَرْبُودِ فِي بِنَائِهِ الْأَوَّلِ سَنَةَ قَلْبِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ بَعْضًا آخَرَ لَمَّا سَبَقَ أَنَّهُ بَنَاهُ مَرَّتَيْنِ وَزَادَ فِيهِ فَكَانَ الثَّمَنُ مِنْ مَالِ أَبِي بَكْرٍ فِي إِحْدَاهُمَا وَمِنْ الْآخَرِينَ فِي الْآخَرَى ^(٣) .

الرَّابِعُ : ذَكَرَ السَّيِّدُ ^(٤) أَنَّ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَمْرَاؤُ : « تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ » . كَانَ فِي الْبِنَاءِ الثَّانِي لِأَنَّ الْبَيْهَقِيَّ رَوَى فِي الدَّلَائِلِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ يَقُولُ لِأَبِيهِ عَمْرُو : « قَدْ قَتَلْنَا هَذَا الرَّجُلَ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ مَا قَالَ » . قَالَ : « أَيُّ رَجُلٍ ؟ » قَالَ : « عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ، أَمَّا تَذْكُرُ يَوْمَ بَنَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ ، وَكُنَّا نَحْمِلُ لَبَنَةً لَبَنَةً ، وَجَمَّارَ يَحْمِلُ لَبَنَتَيْنِ لَبَنَتَيْنِ ، ؟ فَمَرَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [فَقَالَ : ^(٥)] تَحْمِلُ لَبَنَتَيْنِ

(١) زيادة يقتضيهما السياق ومثبت في روايات هذا الخبر .

(٢) ابتداء من كلمة ويحتمل حتى كلمة والأخرى هو ما أورده الزرقاني في شرحه على المواهب ناقلًا إياه عن مؤلف

هذا الكتاب شمس الدين الشافعي مع التصريح بنسجه إليه .

(٣) ثم أضاف الزرقاني : « وذكر البلاذري أن العشرة التي دفعها من مال أبي بكر كانت ثمن أرض متصلة بالمسجد

للهل وسهيل ومرض عليه أسد أن يأخذها ويقرم عنه لها ثمنًا فأبى . وجمع البرهان : بأنها قضيتان وأرضان كانتا

اليَتِيمَيْنِ فَأَقْرَى كُلَّ وَاحِدَةٍ بِعَقْرَةٍ ، إِحْدَاهُمَا الْمَسْجِدَ وَالْآخَرَى زِيَادَةً فِيهِ ، وَاحِدٌ مِنْهُمَا مَالُ أَبِي بَكْرٍ . وَالْوَاحِدَةُ مَقْدَهُ عَلَيْهِ

أَسَدُ بْنُ زُرَّارَةَ وَالْآخَرَى مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ . أَمَّا مَا ذَكَرَ مِنْ شَرَاءِ أَبِي يُوبَ مِنْهُمَا فَيَحْتَمِلُ عَلَى الْمَجَازِ حُلَّ (اعتبار) أَنَّهُ كَانَ

مُتَكَلِّبًا بَيْنَهُمَا أَوْ قَدْ مَعَهَا بِطَرِيقِ الْوَكَاةِ أَوْ الْوَسِيَّةِ ، أَوْ أَنَّهُمَا أَرْضٌ ثَالِثَةٌ ، وَفِيهِ بَدءٌ » .

(٤) النص الثالث في ص ٢٣٦ من الجزء الأول من وفاء الوفا للسيد السهوي .

(٥) في الأصل : « فلا تخبر رواية الصحيح » وأثبتنا بدلا من هذه العبارة ما جاء في النص الذي نقله المؤلف عن السهوي

(ج ١ ص ٢٣٦) . وفي رواية أخرى للهِدِيثِ مِنْ عِنْدِ عُبَيْدِ بْنِ أَبِي عُبَيْسٍ : فَيَسِيلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَضَّى الرَّابِ

عَنْهُ وَيَقُولُ « وَيَحْ عَمَّارَ تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ يَنْهَوْنَهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَنْهَوْنَهُ إِلَى النَّارِ » ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَلَمْ يَذْكُرْ وَأَقْتَضَتْ الْفَتْةُ

الْبَاغِيَّةُ وَأَخْرَجَهَا أَبُو بَكْرِ الْبَرْقَانِيُّ وَالْإِسْمَاعِيلِيُّ (تيسير الوصول ج ٣ ص ٨٧) .

لبنتين وأنت تُرَخَّصُ^(١) ؟ أما إنك ستقتلك الفئة الباغية ، وأنت من أهل الجنة .
فدخل عمرو بن العاص على معاوية : فقال : « قتلنا هذا الرجل ، وقد قال فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما قال : » فقال معاوية : « اسكت فوالله ما تزال تَدْحَضُ^(٢) في بَوْلِكَ ،
أَنَحْنُ قَتَلْنَاهُ ؟ إنما قتله عليٌّ وأصحابه جاءوا به حتى أَلْقَوْهُ بيننا . قال السهمودي : [
« وهو يقتضى أن هذا القول لعمار كان في البناء الثاني للمسجد ، لأنَّ إسلام عمرو بن
العاص كان في السنة الخامسة للهجرة . »

الخامس : في بيان غريب ما سبق : « العَرِيدُ » - بكسر الميم - : الموضع الذي يُجْعَلُ
فيه التَّنَمُّرُ . « المَلَأَ » - بفتح الميم واللام - : أشرف الناس ورؤسائهم ومُقدِّمُوهم الذين
يُزَجَّعُ إلى قولهم . « النَّجَارُ » : بالنون والجم . « ثَامِنُونِي »^(٣) : أى بايعوني وقاولوني . « الحائط »
هنا : البستان ، وتقدَّم أنه كان مَرِيئاً فلعله كان أولاً حائطاً ثم خَرِبَ فصار مَرِيئاً ، ويؤيده
قوله : لِيُتَّخَذَ مَسْجِداً . « النَّوَارُ »^(٤) : بفتح النون وتشديد الواو بعد الألف راء . « عَايَدَ » :
بالمثناة التحتية والذال المعجمة : « الْجِدَارُ » ككِتَاب : الحائط . « الْغَرَقْدُ » : بالغين المعجمة
والراء والقاف والذال المهملة : ضَرْبٌ من شَجَرِ الْعِصَاهِ ، واجده غَرَقْدَةُ . « خَرِبَ » بكسر الخاء / المعجمة
١٠١٧ وفتح الراء وبالموحدة [. جَمَعَ خَرِبَةً وهى الموضع الخراب^(٥)] ، وفى لفظ بالحاء المهملة
وَيَكُونُ الرِّاء والمثلثة : [خَرِبٌ] . « الْعَرِيضُ » : السَّقْفُ وما يُسْتَقَلُّ به ، وهو المراد هنا .
« ثَمَامَاتُ » : جمع ثَمَامٍ بضم المثلثة : نَبْتُ ضَعِيفٍ له خوص أو شبيه بالخوص ، وربما حُثِيَ

(١) من دَخَسَ بالبناء المجهول : دَخَسَ المصوم دَخْسا عرق حتى كأنه غسل جسده .

(٢) في النهاية (ج ٢ ص ١٥) في حديث معاوية قال لابن عمر : لا تزال تأتينا بجنة تدحس بها في بولك . أى
تُرَقِّقُ ، ويرى بالصاد المهملة أى تبتس بها برجلك .

(٣) في حديث بناء المسجد في النهاية (ج ١ ص ١٣٥) : ثَامِنُونِي بماتكم ، أى قوروا مني ثمته ويوموني بالثمن .
يقال ثَامِنَت الرجل في البيع أثامته قالوا له في ثمته وسامته على يمينه واشترائه .

(٤) لم نشر على هذه الكلمة في المعجمات بتشديد الواو إلا إذا كانت بضم النون ، فالنوار هو الزهر واحدة نواره .
أما النوار بفتح النون والواو مع علم تشديد الواو فهو المرأة الثفورية من الرية ، وكاسم علم هى هذا الضبط . والمؤلف يشير
إلى النوار بنت مارك بن صرمة من بني عدي بن النجار وهى أم زيد بن ثابت الأنصاري الفقيه الفرضي كاتب رسول الله صلى
الله عليه وسلم . روت عنها أم سعد بنت أسد بن زبارة (أسد النابة ج ٥ ص ٥٥٧) .

(٥) زيادة من معجمات اللغة لتوضيح مراد المؤلف .

به أو سُدَّ : به (١) [حِصَاص (١) . البيوت [الواحِدَةُ ثَمَامَةٌ (٢)] . « الصَّادَتَان » : ثَمَامَةٌ
عِصَادَةٌ . بكسر العين المهملة والضاد المعجمة وبعد الألف دال مهملة - : جانب الباب (٣) .
« طَفِقَ » : جعل (٤) « الحِمَالُ (٥) » : بكسر الحاء المهملة من الحَمَل ، والذي يُحْمَلُ من خَيْرٍ :
[الثَّمَرُ . أى أن (٦)] هذا فى الآخرة أَفْضَلُ من ذاك وَأَحْمَدُ عَاقِبَةً ، كأنه جمع جَمَلٍ أو حَمَلٍ
ويجوز أن يكون مصدر حَمَلَ أو حَامَلَ . « خَيْرٌ » : بآلى الكلام عليها فى غزوها .
« أَرَدَيْتُهُمْ » : جمع رداء . « مُتَنَطِّعًا » - بيم مضمومة فمثمناة فوقية فنون مفتوحتين فطاء
مهملة مكسورة فبعين مهملة : ثَمَنٌ تَنْطَعُ إِذَا تَعَمَّقُ وَتَغَالَى وَتَدَأَى . « الْوَفْرَةُ » : بواو مفتوحة
ففاء فزاء : الشَّعْرُ الْمُتَجَمِّعُ عَلَى الرَّأْسِ ، أَوْ مَا مَالَ عَلَى الْأَذُنَيْنِ مِنْهُ أَوْ مَا جَاوَزَ شَحْمَةَ
الْأَذُنَيْنِ ثُمَّ الْجُمَّة ثُمَّ اللَّيْمَةُ (٧) . « وَنَحَ » : كلمة تَرَحَّمُ وَتَوَجُّعٌ ، يقال لمن وقع فى هَلَكَةٍ
لَا يَسْتَحْضِرُهَا ، وَقَدْ يُقَالُ بِمَعْنَى الْمَذْحِ وَالْتَعَجُّبِ ، وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْمَصْدَرِ (٨) . « الْحَبِيبَةُ » :
بجاءين مهملتين بعد كل مؤنثة [وهى] فى الْأَصْلِ جَرَى الْمَاءِ قَلِيلًا قَلِيلًا كَالْحَبِيبِ
[وَالْحَبِيبَةُ] الضعف وَسَوَّى الْإِبِلَ وَمِنَ النَّارِ اتَّقَادُهَا وَالْبَطِيخُ الشَّامِى الَّذِى يُسَمَّى أَهْلُ
الْعِرَاقِ الرَّقْمَى وَالْفَرَسُ تُسَمَّى الْهِنْدَى . « بِالسَّيِّطِ » أى عَلَى لَبَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَالسَّيِّطُ مَنْ

(١) الحِصَاصُ جمع غصص . وفى النهاية (ج ١ ص ٢٩٧) الحِصَصُ يَثُ يَثُلُ مِنَ الْخَبْثِ وَالْقَبْصِ وَجَمْعُهُ حِصَاصٌ
وَأَحْصَاصٌ مِمَّنْ يَهْلِكُ فِيهِ مِنَ الْحِصَاصِ وَهِيَ الْفَرْجُ وَالْأَنْتَابُ .

(٢) زيادة من الصحاح الذى نقل عنه المؤلف ، وثماتات لقي زادها المؤلف هى جمع الجمع .

(٣) فى التاج ، عِصَادَاتُ الْبَابِ : هُمَا الْخَشَبَانِ الْمُنْصَوِّتَانِ مِنْ عَيْنِ الدَّاعِلِ مِنْهُ وَهُمَا .

(٤) طلق بمعنى أمدد فى الفعل وجعل يفعل وهى من أفعال المقاربة ، قاله فى النهاية .

(٥) فى حديث بناء مسجد المدينة بيت من الشعر لم يذكره المؤلف وهو :

هذا الجمال لا سجال خبير هذا أبر ربنا وأظهر

وهذا البيت لمجد الله بن ربيعة . وفى الموهب قال ابن شهاب الزهري : ولم يبلغنا أنه صل الله عليه وسلم يفتل بشعر تام .

غير هذا ، وقيل إن الممتنع عليه إنشاء الشعر لا إنشاءه . وانظر أيضاً فى هذا الصدد السيرة الحلبية (ج ٢ ص ٩٨) وشرح الموهب

(ج ١ ص ٢٦٧) .

(٦) زيادة من النهاية (ج ١ ص ٢٦٥) لقي نقل عنها المؤلف .

(٧) فى فقه اللغة للعمادى (ص ٩٣) الوفرة ما بلغ شحمة الأذن من الشعر ، والفة : ما أُمُّ بالمتك من وجهه لحم

وكلام ، والجملة ما غطى الرأس من الشعر وجمعه جمم وجمام .

(٨) أنشأ ابن الأثير الذى نقل عنه المؤلف : وقد ترفع وتضاف ولا تضاف : يقال ويح زيد وريحاً له وريح له .

وفى التاج قال أكثر أهل اللغة إن ويلا يقال لمن وقع فى هلكة أو بلية لا يترحم عليه وويح يقال لكل من وقع فى بلية يترحم

ويهدى له بالخلص بها . ورفع على الابتداء ونصبه بإضمار فعل . وزاد الزنجشى فى الفائق (ج ٣ ص ١٨٧) كأنه

يقول - فى حديث عمار - ترحم ابن ممية إلى أترعته ترحمًا . وفى القاموس أصل ويح ويى وصلت بجاء مرة فليل ويح ويلا .

مرة فليل ويلا ويلاء مرة فليل ويى ويى مرة فليل ويى ويى فىها عدا يلى بمعنى الترحم .

التَّغْلُ : الطَّاقُ الواحد [لا رقعة فيها^(١)] . « السَّوَارَى » : جمع سارية وهي الاسطوانة . « السَّعْد »
 [ثَلُثُ اللَّبَنَةِ وَالسَّعِيدُ كَزُبَيْرٍ رُبُعُهَا]^(٢) . « وَكَفَّ » : سال ماؤه^(٣) . « الْخَصْفُ »
 بخاء معجمة فصاد مهملة مفتوحتين : المنسوج من الخوص^(٤) . « الشَّمْسُوس » - بفتح
 الشين المعجمة وضم الميم وبالواو والسين : [بنت النُّعْمَان بن عامر بن مجمع^(٥)] من
 الأنصار . « الرَّحْبَةُ » - بالراء والحاء المهملة والموحدة المفتوحات ، قال في الصحاح : رَحْبَةُ
 المسجد بالتحريك ساحته والجمع رَحَبٌ وَرَحَبَاتٌ وَرَحَابٌ . « الزَّوَايا » جمع زاوية : الناحية .
 « انْحَاطَ » : بالنون والميم والطاء المهملة بعد الألف : أى تَنَحَّى . « نَحَرَتْ » - بالنون المفتوحة
 والحاء المعجمة المكسورة والراء : بَيَسَتْ وَتَفَتَّتَتْ . « الْمُنْقُوشَةُ » - بيم مفتوحة فنون ففاف
 فواو فشين معجمة : الْمُلَوَّنَةُ بِلَوْنَيْنِ أَوْ أَلْوَانٍ . « السَّاج » - بسين مهملة وجم مُخَفَّفَةٌ :
 نوع من الشجر . « الْقَصَّة » - بفتح القاف وتشديد الصاد المهملة المفتوحة فتاء
 تأنيث : [الحجارَةُ من الجِصِّ^(٦)] . « التَّسْفِيسَاء » قال في النور : / بضم الفاء
 الأولى وفتح السين المهملة فتححية ساكنة ففاء مكسورة ثم بين مهملة أخرى ممدودة ،

١٠١٨ ت

- (١) السيط هو الآجر القائم بعضه فوق بعض وكالسيط كزير ، ونمل سمط وسميط وأسماط لا رقعة فيها ليست
 بمخصصة ، عن القاموس والتاج والصحاح .
 (٢) يياض بالأصل والتكلة من القاموس المحيط .
 (٣) وكف البيت والدم إذا تقاطر . يكف وكفاً وكففاً وكفاناً أى سال وقطر قليلاً قليلاً .
 (٤) الخصف بالتحريك جمع خصفة وهي شم الشيء إلى الشيء لأنه منسوج من الخوص ، قاله في النهاية . (ج ١ ص
 ٢٩٧) .

(٥) زيادة من أصل الغاية (ج ٥ ص ٤٨٨) لأن الشمس هذه هي التي يفصلها المؤلف حيث سبق له أن ذكرها
 وأغفل إثبات اسمها هنا كاملاً . وقد روى سويد بن عامر ، وعتبة بن ربيعة عنها أنها قالت : نظرت إلى النبي صلى الله عليه
 وسلم حين قدم وزل وأسس هذا المسجد مسجد قباء فرأيت بأحد الحجر ، أو الصخرة حتى يصره الحجر وأنظر إلى يياض التراب
 عل بطه حتى أسمه ويقول : إن جبريل يؤم الكعبة . وكان يقال أقوم مسجد قبله مسجد قباء . أخرجه الثلاثة واستشكل
 ابن الأثير هذا الحديث قائلاً : قولها يؤم الكعبة فيه نظر فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسس مسجد قباء لم
 تكن القبلة إلى الكعبة إنما كانت إلى بيت المقدس ثم حولت إلى الكعبة بعد ذلك .

(٦) زيادة من القاموس لتوضيح مراد المؤلف وكذلك من التاج وهي يفتح القاف ويكسر ها ، وفي التاج الجص بالفتح
 ويكسر ، وكسر الجيم أفصح ، هو ما يبنى به . ونقل في اللسان عن ابن دريد الكسر فقط وفي المغرب للجواليقي : لا تجمع
 الصاد والجيم في كلمة عربية وأنها قارية معربة (ص ١١ و ٩٥) .

هكذا سُمِعَ الناس ينطقون به وكذا رأيتُه مُحَرَّرًا بخط كمال الدين بن العديم^(١) في تاريخه في غير موضع ، وكذا رأيتُه مضبوطاً بالقلم في مطالع ابن فرغود^(٢) ، وهو فصوص صغار من ألوان الزجاج تُلصَق بالحائط وتُطَلَّى بماء الذهب ، وهي كثيرة بجامع دمشق وبيت المقدس [وهي غاية^(٣) في الحُسن والبهجة] .

(١) هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة كمال الدين العقيلي الحلبي المعروف بابن العديم ولد سنة ٥٨٦ هـ وتوفي سنة ٦٦٠ هـ وقيل سنة ٦٦٦ هـ وتاريخه الذي يشير إليه المؤلف هو بنية الطلب في تاريخ حلب أو مختصره الذي أسماه مؤلفه : زبدة الطلب من تاريخ حلب . وكان يفتوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ماصراً له وترجم له ترجمة مطولة في معجم الأديباء (ج ١٦ ص ٥ : ٥٧) صفوها بإشارات إلى سير الأعلام من بيت أبي جرادة الذي ينتمي إليه ابن العديم . وقد ترجم له أيضاً ابن شاكر وأبو الفداء وابن الوردي وصاحب النجوم الزاهرة وحسن الحاضرة وشذرات الذهب .

(٢) لم نوفق في ضبط اسمه في المؤلفات الخاصة بتاريخ الفنون الإسلامية .

(٣) يياض بالأصل بنحو كلمة أو كلمتين أكلناها بما يقتضيه السياق .

الباب الثالث

في بَنائه صلى الله عليه وسلم حُجْرَ نِسائه رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ

قال في الروض : « كانت بيوته صلى الله عليه وسلم تسعة : بعضها من جريد مُطَيَّنٍ بالطين وسَقَفُها من جريد ، وبعضها من حجارة مَرَصُومَةٍ بعضها فوق بعض ، وسَقَفُها من جريد أيضاً ^(١) . قال الحافظ الذهبي في « بُلْبُلُ الرّوض » : « لم يبلغنا أَنه صلى الله عليه وسلم بُنِيَ له تسعة أبيات حتى بنى المسجد ولا أَحَبَّهُ فَعَلَ ذلك ، إنما كان يريد بيتاً واحداً لسَوْدَةَ أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عنها . ولم يَخْجُجْ إلى بيت آخر حتى بُنِيَ لعائشة رَضِيَ اللهُ عنها في شَوال سنة اثنتين ، وكان صلى الله عليه وسلم بناها في أوقات مخلفة » . انتهى .

وتقدم في الباب الثاني أَنه صلى الله عليه وسلم بنى لِزَوْجَتَيْهِ : سَوْدَةَ وعائشة رَضِيَ اللهُ عنهما ، على نَعْتِ بناء المسجد ، لِأَنَّ عائشة كانت زَوْجَتَهُ حينئذ ، وإن تَأَخَّرَ الدخول بها ، ثم بنى بِقِيَّةِ الحُجَرِ عند الحاجة إليها .

قال محمد بن عُمَرُ الأَسْلَمِي : « كانت لحارثة بن النعمان ^(٢) رَضِيَ اللهُ عنه منازل قُرْبَ المسجد وَحَوْلَهُ ، وكلما أَحْدَثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَهْلاً نَزَلَ له حارثة من منزل ، أَى مَحَلِّ شُجْرَةٍ حتى صارت منازلها كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وَأَزْوَاجِهِ » . قال محمد بن عُمَرُ : « حَدَّثَنَا عبد الله بن يزيد الهُدَلِيُّ قال : رَأَيْتُ بيوت أَرْوَلَجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حين هَدَمَهَا عمر بن عبد العزيز بِأَمْرِ الوليد بن عبد الملك ، كانت بيوتاً من اللَّيْنِ ، ولها حُجْرٌ من جريد مَطْرُورَةٍ ^(٣) بِالطِّينِ ، عَدَدَتْ تسعة أبيات بِحُجْرِها ، وهي ما بين بيت عائشة إلى الباب الذي يلي باب النبي صلى الله عليه وسلم إلى منزل

(١) الرّوض الإثف ج ٢ ص ١٣ .

(٢) هو كما في أسد الغابة (ج ١ ص ٣٥٨ : ٣٥٩) حارثة بن النعمان بن نفع بن زيد بن عبيد بن ثعلبة بن غنم ابن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي ، شهد بدراً وأحداً والحنين والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من فضلاء الصحابة .

(٣) في الهابة (ج ٢ ص ٢٤) في حديث طلاء : إذا طررت مسجدك يمد فيه روث فلا تصل فيه حتى تسله السماء . أي إذا طرقت وزيتك ، من قوم رجل طرر أي جمل الرجل .

أسماء بنت حَسَن [اليوم] ^(١) . قال : ورأيتُ بيتَ أم سلمة [زوج النبي صلى الله عليه وسلم] ^(٢)
وحجرتها من اللَّيْن ، فسألت ابن ابنها فقال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثومةَ
الجندل بنتُ أم سلمة حجرتها بِلَيْن . فلما قَلِم النبي صلى الله عليه وسلم / نَظَرَ إلى اللَّيْن ١٠١٩
ودَخَلَ عليها أول نساته فقال : « ما هذا البناء ؟ » فقالت : « أردتُ يا رسول الله أن أكُفَّ
أَبْصَارَ الناس » . فقال : « يا أم سلمة إن شَرَّ ما ذهب فيه مالُ المسلم البنيان » .

قال محمد بن عُمَر : فَحَدَّثْتُ بهذا الحديثُ مُعَاذُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ فقال : « سَمِعْتُ
عَطَاءَ الْخُرَّاسَانِي فِي مَجْلِسٍ فِيهِ عِمْرَانُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ ^(٣) يَقُولُ وَهُوَ فِيَا بَيْنَ الْقَبْرِ
الشَّرِيفِ وَالنَّبْرِ الْمُتَيْفِ : أَذْرَكْتُ حُجَرَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [مِنْ جَرِيدٍ
عَلَى أَبْوَابِهَا الْمَسُوحِ مِنْ شَعَرِ أَسُود ، فَحَضَرَتْ كِتَابُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يُمْرَأُ ، بِأَمْرِنَا
يَهْدِمُ حُجَرَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٤)] ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ بِأَكْبَارًا
مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ . [قَالَ عَطَاءُ :] « فَسَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيْبِ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ : « وَاللَّهِ لَوِ دِدْتُ
أَنَّهُمْ تَرَكَوْهَا عَلَى حَالِهَا ، يَنْشَأُ نَأْشِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَيَقْدُمُ الْقَادِمُ مِنَ الْأَفَاقِ فَيَرَى مَا أَكْتَنَى
بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَيَاتِهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مَا يَزِيدُ النَّاسَ فِي التَّفَاخُرِ وَالتَّكَاثُرِ
قَالَ مُعَاذُ : « فَلَمَّا فَرَّغَ عَطَاءُ الْخُرَّاسَانِي مِنْ حَلِيلَتِهِ قَالَ عِمْرَانُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ : كَانَ فِيهَا
أَرْبَعَةُ آيَاتٍ بِلَيْن ، هَا حُجَرٌ مِنْ جَرِيدٍ ، وَكَانَتْ خَمْسَةُ آيَاتٍ مِنْ جَرِيدٍ مُطَيَّنَةٍ لَا حُجَرَ
لَهَا ، عَلَى أَبْوَابِهَا مَسُوحُ الشَّعْرِ ، ذَرَعَتْ السَّائِرُ فَوَجَدْتُهُ ثَلَاثَةَ أَذْرَعٍ فِي ذِرَاعٍ وَعَظْمُ الذِّرَاعِ
أَوْ أَدْنَى مِنَ الْعَظْمِ . فَأَمَّا مَا ذَكَرَ مِنَ الْبُكَاءِ يَوْمَئِذٍ فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْمَسْجِدِ وَفِيهِ نَقَرٌ مِنْ
أَهْنَاءِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ [بْنِ جَوْفٍ] ؟ ،
وَأَبُو أُمَامَةَ بْنُ سَهْلٍ بْنُ حَنِيفٍ ، وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ ثَابِتٍ ، وَإِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ حَتَّى يَخْضَلُوا
لِحَاظَهُمْ مِنَ الدَّمْعِ . وَقَالَ يَوْمَئِذٍ أَبُو أُمَامَةَ : « لَيْتَهَا تَرَكْتُ فَلَمْ تَهْدَمْ حَتَّى يَقْضِيَنَّ النَّاسُ

(١) زيادة من السهوي (ج ١ ص ٣٢٦) . هذا وفي الأصل ساق المؤلف نسب أسماء على أنها بنت جهم بن عبد الله
ابن عباس وانصر السهوي على القول بأنها بنت حسن ولم تذكر فيها لدينا من المراجع على ساقه هذا النسب .

(٢) زيادة من السهوي .

(٣) في الأصل ابن أبي أنس . والتصويب من خلاصة الخوارزمي (ص ٢٥٠) : وهو عمران بن أبي أنس القرشي
العمري المصري ، روى عن أبي هريرة وسهل بن سعد ، وروى عنه يزيد بن أبي حبيب البصري وابن أبي عمير واليثم . وفيهم
أبو حاتم . وقال ابن يونس توفي بالمدينة سنة ١١٧ هـ . (٤) زيادة من السهوي .

عن البناء ^(١) وَرَوَاهُ مَارِضِيُّ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومفاتيح خزائن الدنيا بيده »
وروى ابن سعد ، والبخارى فى الأدب ، وابن أبى الدنيا ، والبيهقى فى الشعب عن الحسن
البصرى قال : « كنت وأنا مُراهقُ أدخلُ بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فى خلافة
عثمان فأتناول سقفاها بيدي ^(٢) » وروى البخارى فى الأدب ، وابن أبى الدنيا ، والبيهقى
عن داود بن قيس قال : « رأيت الحجر من جريد النخل تُعْشَى من خارج بمسوح من الشعر ،
وأظن عَرَضَ البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحواً من سِتِّ أو سَبْعِ أذرع ، وأخِزُّ
البيت من الداخل عَشْرَ أذرع ، وأظنُّ سُمِّكُهُ بين الثَّمانِ والسَّبعِ » .

وروى محمد بن الحسن المخزومى عن محمد بن هلال قال : « أَدْرَكْتُ بيوت أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت من جريد مستورة بمسوح الشعر ، مستطيرة فى القِبلة
١٠٢٠م وفى المشرق وفى الشام ، ليس فى غربى / المسجد منها شئ ، وكان باب عائشة يُواجه الشام
وكان بمصرع واحد من عرعر أو ساج » . وروى ابن مندة عن بشر بن صبحار العبدي ^(٣)
قال : « كنتُ أدخلُ بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فأنال سقفاها » . وروى ابن
سعد عن عمرو بن دينار ، وعُبَيْدِ اللَّهِ بن أبى مرثد قالا : « لم يكن على عهد النبي صلى
الله عليه وسلم على بيته من حائط ، فكان أول من بنى عليه جداراً غمر بن الخطاب رضى
الله عنه » . قال عبيد الله « كان جداره قصيراً ثم بناه عبد الله بن الزبير » .

نَبِيَّهَا

الأول : روى البخارى فى تاريخه وفى الأدب عن أنس رضى الله عنه ،
والبيهقى فى المدخل عن المغيرة بن شعبه قال : « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه

... (١) فى رواية : حتى يقتص الناس من النبأ .
(٢) زاد فى رواية المنبر : وكان لكل بيت حجرة وكانت حجرة من أكسية من غشب عرعر . هذا ودخول الحسن
البصرى تلك البيوت فى خلافة عثمان ذلك لأنه ولد لستين بقتاً من خلافة عمر بن الخطاب ، وكان ابناً لمولاة أم سلمة زوج
النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة تخرجه للصحابة يباركون عليه وأخرجته إلى عمر بن الخطاب فدعا له بقوله :
الهم فقهه فى الدين وحبيه إلى الناس . وكان والده من جملة النبي الذى سباه خالد فى خلافة الصديق من الفرس . والأحاديث التى
رواها الحسن البصرى من عمل أعرجها جماعة من الحفاظ كالترمذى والنسائى والحاكم والدارقطنى وأبو نعيم وهى ما بين الحسن والضحيح
(٣) فى أسد الغابة (ج ١ ص ١٨٦) أن عبدان بن محمد ذكره فى الصحابة وقال بإسناده عن سلم بن قتيبة عن بشر بن
صباح قال رأيت ملحفة النبي موزمة وأدركت مربوط حماره وكنت أدخلُ بيوتها فأنال سقفاها ، أخرجه أبو موسى . ويرى ابن
الأثير أنه من أنواع التابيين ذلك لأن « رويته للملحفة لاتصيره صحابياً إذ لو كان كل من رأى من آثار النبي صلى الله عليه وسلم
شيئاً كان صحابياً لكان أكثر الناس صحابة . وسلم بن قتيبة من المتأخرين لا يقضى له إدراك التابيين فكيف بالصحابة ؟ »

وسلم يقرعون بابَه بالأظافر تأديبا وإجلالا ، وقيل إن بابَه لم يكن له حَلَق يُطَرَّق بها .
قال السهيلي : الأول أولى .

الثاني : في غريب ما سبق : « الرِّصَم » - بفتح الراء والضاد المعجمة وتُسَكَّن - : حجارة
مجمعة بعضها فوق بعض ، الواحدة رَصْمَةٌ . « بَنَى » . بفلاحة دَخَلَ عليها ، وقال ابن السكيت
زُفْتُ إليه ، وأصله أن الرجل إذا تزوج بنى للعروس بيتا وجهزه بما يحتاج إليه ، أو بُنِيَ
له تكريما ، ثم كثر حتى كُفِيَ به عن الجماع . « الْحَجَر » : عُرف البيوت . « الْمُسُوح » :
جمع مِسْح وهو البَلَّاس ^(١) . « مستطيرة » في القليلة أى مُنْتَشِرَةٌ . « المِصْرَاع » من الباب :
الشر ، وهما مِصْرَاعَان . « العَرَّعَر » بفتح العينين وبالرأعين المهمتين - قال في الصحاح :
شجر السَّو (٢) . « السَّاج » بالسین المهملة والجم : ضَرْبٌ من الخشب ، عظيمٌ من الشَّجَر ، يُجَلَّب
من الهند ، وجمُّها ساجات ^(٣) . قال الزمخشري : الساج خَشَب أسود رزين يُجَلَّب من الهند
ولا تكاد الأرض تُبْلِيه ، والجمع سيجان مثل نار ونيران . « مطرورة » بالطين - بالطاء
المهملة المُشَالَة - أى مُطَيَّنَة به . « ثَوْمَة الجَنْدَل » ثَوْمَة - بضم الدال المهملة ، والجَنْدَل
بالجم والنون والدال المهملة [حِصْن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طَبْيء على سبع
مراحل من دمشق] ^(٤) . « الْأَفْق » بِضَمَّتَيْن : الناحية . « يَنْشَأ » : يحدث وَيَتَجَدَّد . « أَشْخَل »
لِحَيْثِهِ ، بفتح الشاء وضاد معجمتين : بَلَّها . « مَرَاهِق » : مقارب الاحتلام . « أَنَاب » أدرك وأبْلَغ ^(٥)
« الْمُتَعَشَّى » : الْمُعْطَى المستور .

- (١) المسح بكسر الميم وسكون السين المهملة فحاء مهملة وجمعه مسح وهو البلاس بفتح الباء الموحدة كسحاب وهو
ثوب من الشعر غليظ وجمعه بلاس بضمين وبالله بلاس كشناد . قال الرازي لامرأته .
إن لا يكن شيعتك ذا فراس لهو عظيم الكيس والبلاس
قال أبو عبيدة : هو ما دخل في كلام العرب من كلام فارس . انظر المغرب لبراليق (ص ٤٦ و ٥١) وتعليقات محققه
المرحوم الشيخ أحمد شاكر ، وكذلك التاج في مادتي م س ح ، وب ل س .
(٢) في التاج المرع كجعفر شجر السرو فارسية (ومع ذلك لم أعر عليها في المغرب لبراليق ولا في كتاب الألفاظ
الفارسية المبررة لإدريش الكلداني) وقيل هو الساسم أو الشيزي أو شجر عظيم جبل لا يزال أخضر يسبه الفرس السرو
وقال أبو سنيطة (الديلمية) : للعرعر ثمر أشال النبق . يحلو فيؤكل ، واحدة عرعره ربه من الرجل .
(٣) في التاج : الساج شجر عظيم جدا ويذهب طولاً وعرضاً وله ورق يغطي به الرجل والورقة منه تكن من الخمر
وله رائحة طيبة مع رقة ولعومة . وفي المصباح : الساج ضرب عظيم من الفجر ، الواحدة ساجة وجمعها ساجات .
(٤) زيادة من معجم البلدان لياقوت (ص ٤٣ من ١٠٦٩ - ١٠٩٠) قال الفخر أيضاً معجم البكري (ج ٢ ص ٥٦٤ :
٥٦٥) . وفي فهرس البلدان للبلاذري (ص ٦٨ : ٧٠) قال القزويني : كان الذي صل الله عليه وسلم غرا دولة الجندل
في سنة ٨٥٠ م يلق كيدا ، ووجه خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك الكندي بدوية الجندل في شوال سنة ٨٥٠ م . وفيه
إسلام خالد بنشرين شهرا . ثم غزاها خالد مرة أخرى في خلافة أبي بكر عندما ارتد أكيدر .
(٥) أناب يتنص إلى مغفولين : أناب فلانا الشيء أي أعطاه إياه ، وأدرك الشيء خلقه وبلغه وناله ، أي أنه يهين المغفول
واحد ، ولذلك فإنه لا يلقى مني أناب .

الباب الرابع

في بدء الأذان وبعض ما وقع فيه من الآيات

روى الشيخان والترمذي والنسائي عن ابن عمر ، وابن إسحق ، وإسحق بن راهويه ، وأبو داود بسند صحيح صحيح النوى عن محمد بن عبد الله / بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، عن أبيه ، وأبو داود بسند صحيح عن ابن عمر عن أنس بن مالك عن عمومة له من الأنصار رضي الله عنهم ، وإسحق بن راهويه عن الشعبي مرسلاً بسند حسن ، وحيد الرزاق وأبو داود عن عبيد بن عمير أحد كبار التابعين ، وابن أبي شيبه ، وأبو داود ، وابن خزيمة ، وأبو الشيخ ، والدارقطني ، والبيهقي ، والطحاوي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : « جئنا أصحابنا - ولفظ ابن أبي شيبه وابن خزيمة والطحاوي والبيهقي : حديثنا ، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين قدم المدينة إنما كان يجمع للصلاة حين موافقتها بغير دعوة ، فلما كثر الناس اهتم النبي صلى الله عليه وسلم كيف يجمع الناس للصلاة ؟ فاستشار الناس ، فقيل له : انصب رأية عند حضور الصلاة إذا رأوها أعلم بعضهم بعضاً ، وذكر له القنع^(١) يعني شبور^(٢) اليهود ، وفي لفظ : البوق ، وفي لفظ : القرن الذي يذعون به لصلاتهم ، فلم يعجبه ذلك وقال : « هو من أمر اليهود » ، فذكر له الشاقوس فقال : « هو من أمر النصارى » ، فقالوا : لو رفعنا ناراً ، فقال : « ذلك للمجوس » .

(١) في النهاية (ج ٣ ص ٢٨١) في حديث الأذان أنه أهم لصلاة كيف يجمع لها الناس فذكر له القنع - بضم القاف - وهو القرن فبين مهمة - فلم يعجبه ذلك - فسر القنع في الحديث ، أنه الشبور وهو البوق . وهذه اللفظة - وهي القنع اختلفت في ضبطها ، فرويت بالياء والراء والثاء والنون ، وأشهرها وأكثرها النون . قال الخطابي : سألت عنها غير واحد من أهل اللغة فلم ينفروا في حل شيء واحد . فإن كانت الرواية بالنون صحيحة فلا أراه سى إلا إلتفات الصوت به وهو رفعة ، يقال أرفع الرجل صوته ورأه إذا رفعه . ومن يراه أن يرفع في البرق يرفع رأسه وصوته . قال الخطابي : لأن أطرافه ألفت إلى داخله أي ضلكت ، وقال الخطابي : وأما القنع بالياء المفعولة فلا أحسن سى به إلا لأنه يقع لم صاحبه أي يستره أو من تحت الجوارب والجوارب إذا لبت أطرافه إلى داخل . قال الحروي : القنع بالياء هو البوق . وأنكره الأزهري وأبيل بالملفة ولم يسع من غير أبي عمر الزاهد ويجوز أن يكون من وقع في الأرض فهو إذا ذهب فسمى به للهاب الصوت به . قال الخطابي وقد روى القنع بالياء وهو حود يكون في الخشب ، الواحدة قنعة . قال ومدار هذا الحرف حل هشيم وكان كثير اللحم والتعريف حل جلالة محله في الحديث .

(٢) الشبور هو البوق ويرى ابن الأثير في النهاية (ج ٢ ص ٢٠٢) أن اللفظة عبرانية .

وفي حديث عُمَرُ عند الشيخَيْن وغيرهما : فقال عُمَرُ : « أَوَّلًا تَبْعُثُونَ رَجُلًا يَنَادِي بِالصَّلَاةِ ^(١) ؟ » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَا بِلَالُ قُمْ فَتَنَادِ بِالصَّلَاةِ » .
 فبأنصرف عبد الله بن زَيْد ، وهو مُهْتَمٌّ لَهُمْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَأَرَى الْأَذَانَ في منامه . قال : طاف بي وأنا نائم ^(٢) رجل عليه ثَوْبَانِ أَخْضَرَانِ يَحْمِلُ نَاقُوسًا في يده ، فقلت له : يا عبد الله أَتَبِيعُ هَذَا النَاقُوسَ ؟ قال : وما تصنع به ؟ قال : قلت : نَدْعُو به إِلَى الصَّلَاةِ . قال : أَفَلَا أَذْكَكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ؟ قلتُ : بَلَى . فقال : تقول : « اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ » وفي لفظ الشعبي : إِيَّتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قُمْرَةٌ أَنْ يَقُولَ : - اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ - أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رسولُ اللَّهِ ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللَّهِ ، حَيٌّ عَلَى الصَّلَاةِ ، حَيٌّ عَلَى الصَّلَاةِ ، حَيٌّ عَلَى الْفَلَاحِ ، حَيٌّ عَلَى الْفَلَاحِ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » . وفي رواية لِسُجْعَانَ بْنِ رَاهَوِيَةَ : فقام على جِلْمٍ ^(٣) حائط ، وفي رواية : فقام على المسجد فاذن - قال : ثم استأخَّرَ عَنِّي غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ قَالَ : تقول إذا أقيمت الصلاة : اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللَّهِ ، حَيٌّ عَلَى الصَّلَاةِ ، حَيٌّ عَلَى الْفَلَاحِ / قد ١٠٢٢
 قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » . وفي رواية : « فَاذَّنْ ثُمَّ قَدَّمَ قَمَلَةً ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ مِثْلَهَا إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُ : قد قامت الصلاة ، فلما أصبحت أَتَيْتُ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَخَبَّرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ ، وَلَوْلَا أَنَّ يَقُولُ النَّاسُ ، لَقُلْتُ إِلَى كُنْتُ يَقْطَانًا غَيْرِ نَائِمٍ » .

وفي حديث ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابنِ فُاجِةٍ أَنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ زَيْدٍ أَتَى رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِيَلَا . وفي حديثه أيضًا عند ابنِ سَعْدٍ « أَنَّ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ شَيْعًا يَجْمَعُ بِهِ النَّاسَ لِلصَّلَاةِ فَذَكَرَ عِنْدَهُ الْبُوقَ وَأَهْلَهُ فَكْرَهُ ، وَذَكَرَ النَاقُوسَ ، ١٢٠٠
 وَأَهْلَهُ فَكْرَهُ ، حَتَّى أَرَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يَقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ زَيْدٍ الْأَذَانَ ، وَأُورِيَهُ عَمَرُ

(١) هذه رواية مسلم (ج ٤ ص ٧٦ بفتح النوى) وفي البخاري (ج ١ ص ٢٤٩) بزيادة للفظ «سكرو» وهي رواية الكشيحي.

(٢) في ابن هشام (ج ٢ ص ١٢٨) طاف في هذه الليلة طائف.

(٣) جلم حائط أى بقية حائط أو قطعة من حائط ، قاله في الهياة (ج ١ ص ١٥٢) .

ابن الخطاب تلك الليلة^(١) فَمَا^(٢) عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : إِذَا أَصْبَحْتُ [أَخْبَرْتُ]^(٣) رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَّا الْأَنْصَارِيُّ فَطَرَقَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلًا فَاتَّخَبَرَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَهَا لِرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » . وَفِي رِوَايَةٍ : « لَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، فَقُمْتُ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقَى عَلَيَّ مَا رَأَيْتُ » . وَفِي رِوَايَةٍ « فَمَرُّ بِلَالًا فَلَبِثُوا أَنْ دَنَى مِنْكَ صَوْتًا » فَقُمْتُ مَعَ بِلَالٍ فَجَعَلْتُ أَلْقِيهِ عَلَيْهِ وَيُؤَذِّنُ بِهِ . فَسَمِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَخَرَجَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ [وَهُوَ^(٤)] يَقُولُ : « وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ الَّذِي رَأَى » .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي عُمَيْرٍ بْنِ أَنَسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَأَاهُ فَكَتَمَهُ عَشْرِينَ يَوْمًا . وَفِي حَدِيثِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ : « فَبَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَرِيدُ أَنْ يَشْتَرِيَ خَشَبَتَيْنِ لِلنَّاقُوسِ إِذْ رَأَى فِي الْمَنَامِ : « لَا تَجْعَلُوا النَّاقُوسَ بِلَ أَدْنَا » ، فَلَهَبَ عُمَرُ لِيُخْبِرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي رَأَى ، وَقَدْ جَاءَ الْوَحْيُ فَمَا رَاعَ عُمَرُ إِلَّا بِلَالَ يُؤَذِّنُ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعُمَرُ : « مَا مَنَعَكَ أَنْ تَخْبِرَنِي ؟ » فَقَالَ : سَبَقَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ فَامْتَحَنِيْتُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَلِلَّهِ الْحَمْدُ لِذَلِكَ كُتِبَتْ » . قَالَ الزُّهْرِيُّ ، وَنَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ ، وَابْنُ الْمُسَيَّبِ : وَبَقِيَ يَنَادِي فِي النَّاسِ : « الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ » . لِلأَمْرِ بِحَدَثٍ فَيَحْضُرُونَ لَهُ يُخْبِرُونَ بِهِ^(٥) وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلَاةٍ . وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ عَنْ شَيْخِهِ أَبِي عُبَيْدٍ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، بْنُ مَيْمُونٍ الْمَدَنِيُّ^(٦) قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ الْحَكَمِيُّ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَيْدٍ قَالَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا

أَحْسَدُ اللَّهُ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ حَمْدًا عَلَى الْأَذَانِ كَثِيرًا
إِذْ أَتَانِي بِهِ الْبَشِيرُ مِنَ اللَّهِ سَهْ فَأَكْرِمُ بِهِ لَدَيَّ بِشِيرًا
فِي لَيْسَالِي وَآلِي يَوْمَ ثَلَاثٍ كُلَّمَا جَسَدًا زَادَنِي تَمَوُّيْرًا /

٩٠٢٣

(١) ملاحظة من ذلك والتكلفة من طبقات ابن سعد (٢٣ ص ١٢ و ١٣) التي نقل فيها المثلث .

(٢) في الأصل ، فأمر والنصب من ابن سعد .

(٣) زيادة من النهاية والنهية (٣٧ ص ٢٢٢) .

(٤) زاد في الأصل بعد « فيحضرُونَ لَهُ يُخْبِرُونَ بِهِ » : الصلاة جامعة ، وهذا تكرار لما سبق .

(٥) روى عن الدراوردي وروى عنه البخاري وابن ماجة . قال ابن حبان في الثقات : ربما أخطأ ، قاله في خلاصة

الخرجي (ص ٢٨٩) .

قال الحافظ ابن كثير: ^(١) « وهذا الشَّعر غريب ، وهو يقتضى أنه رأى ذلك ثلاث ليالٍ حتى أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم » . قلتُ : سَنَدُهُ منقطع وأبو بكر الحكيم مجهول . وروى البيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « كان رجل من اليهود تاجراً إذا سمع المنادى ينادى بالأذان قال : « أحرق الله الكاذب » . فبينما هو كذلك إذ دخلت جارية بشعلة من نار فطارت شرارة منها في البيت فأحرقت . وروى ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ عن السُّدى قال : « كان رجل من النصارى إذا سمع المنادى ينادى : أشهد أن محمداً رسول الله قال : أحرق الله الكاذب : فدخلت خادمة ذات ليلة من الليالى ينام وهو نائم وأهله نيام فأحرقت البيت واحترق هو وأهله » .

وروى مسلم عن سهيل بن أبي صالح قال : أرسلنى أبى إلى بنى حارثة ومعى غلام لنا [أو صاحب لنا] ^(٢) فناداه مُنادٍ من جائط باسمه ، فأشرف [الذى معى] ^(٣) على الحائط ، فلم يَر شيئاً ، فذكرت ذلك لأبى ، فقال [لو شعرتُ أنك تلقى هذا لم أرسلك ولكن] ^(٤) إذا سمعت صوتاً فنادِ بالصلاة ، فإِنِّي سَمِعْتُ أبا هريرة يُحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الشيطان إذا نوى بالصلاة وكَلَّ وله جُصاص ^(٥) » . وروى البيهقي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « إذا تَوَلَّيتُ لأحدكم الغيلان فليؤذَن فإن ذلك لا يضره » . وروى البيهقي عن الحسن أن عمر بعث رجلاً إلى سعد ابن أبي وقاص ، فلما كان ببعض الطريق عَرَضَتْ له الغول ، فلتجبر سَجْداً فقال : « إنا كنَّا نؤمِّر إذا تَوَلَّيتُ لنا القول أن ننادى بالأذان » . فلما رَجَعَ إلى عمر عَرَضَ له أن يسير معه ، فنابدى بالأذان ، فلهب عنه ، فإذا سكَّت عَرَضَ له ، فإذا أذَّن ذهب عنه .

(١) هذا في البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٢ .

(٢) زيادة من صحيح مسلم (ج ٤ ص ٩٠ و ٩١ شرح النووي) .

(٣) سابقة من الأصل والتكلم من صحيح مسلم الذى نقل عنه المؤلف .

(٤) وروى النسائي أنه قال : عليك بالدخلة فإن الأرض تطوى بالغيل فإذا تَوَلَّيتُ لكم الغيلان فبادروا بالأذان . وقال النووي : ولذلك ينبغي أن يؤذَن أذان الصلاة إذا مرض للإنسان شيطان . والحصاص كافي في النهاية (ج ١ ص ٢٢٤) شبه العنبر وحده ، وقيل هو أن يصح بذنه ويصر بأذنه ويمدو وقيل هو الضراط . وفي رواية أخرى فليدب أودعاً التورى في شرحه على صحيح مسلم (ج ٤ ص ٩١) : إذا نوى الصلاة أدب الشيطان أنه يضرب حتى لا يستطاع التأذين فإذا قضى التأذين أقبل حتى إذا نوى الصلاة أدب حتى إذا قضى التشويب أقبل حتى يخطر بين المزمع ونفسه فيقول له أذكر : هكذا وذكر : هكذا . لما لم يكن يذكر من قبل حتى يظال الرجل ما يلقى كم صل .

تنبيهات : الأول : الأذان لغة : الإعلام ، قال الله تعالى : (وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)^(١) واشتقاقه من الأذن يَفْتَحِينَ وهو الاستماع^(٢) ، وشرعاً : الإعلام بوقت الصلاة المفروضة بألفاظ مخصوصة .

الثاني : في بعض أسرار الأذان وبدائعه ، قال القاضي : « الأذان كلمة جامعة لعقيدة الإيمان مشتملة على نوعيه من العقلية والسمعية ، فأولُهُ إثبات الذات ، وما يستحقه من الكمال والتنزيه عن أضدادها ، وذلك بقوله : « الله أكبر » ، وهذه اللفظة مع اختصارها دالة على ما ذكرناه ، ثم صرَّح بإثبات الوجدانية ونفى ضدها من الشركة المستحيلة في حقه سبحانه وتعالى ، وهذه عمدة الإيمان والتوحيد المُقَدِّمة على كل وظائف الدين ثم صرَّح بإثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وهي قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوجدانية ، وموضعها بعد التوحيد لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع ، وتلك المقدمات من باب الواجبات . وبعد هذه القواعد كملت^(٣) العقائد العقلية فيما يجب ويستحيل ويجوز في حقه سبحانه وتعالى . ثم دعاهم إلى ما دعاهم الله إليه من العبادات ، فدعاهم إلى الصلاة ، وعقبها بعد إثبات النبوة لأن معرفة وجوبها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لا من جهة العقل . ثم دعا إلى الفلاح ، وهو الفوز بالبقاء في النعيم المُقيم ، وفيه إشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء ، وهي آخر تراجم عقائد الإسلام . ثم كرَّر ذلك بإقامة الصلاة للإعلام بالشروع فيها ، وهو مُتَضَمِّنٌ لتأكيد الإيمان ، وتكرار ذكره^(٤) عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان ، وليدخل المُصَلِّي فيها على بَيِّنَةٍ من أمره وَبَصِيرَةٍ بإيمانه ، ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعظمة حق من يعبده وجزيل

(١) من الآية الثالثة من سورة التوبة .

(٢) قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات (ج ١ ص ٦ قسم اللغات) : « الأذان الإعلام وأذان الصلاة معروف ويقال فيه الأذان والأذن والإيدان وقال الأزهري الأذان اسم من قولك أذنت فلاناً بكذا أوردته إينافاً أي أعلمته إعلاماً ، إعلام الصلاة ، ويقال أذن المؤمن تَأْذِيناً وأذاناً أي أعلم الناس بوقت الصلاة فوضع الاسم موضع المصدر ، قال : وأصل هذا من الأذن كأنه يلقى في أذان الناس بصوته ما إذا سمعوا علموا أنهم قد نذروا إلى الصلاة . وقوله صل الله عليه وسلم « ما أذن الله تعالى لشيء كإذنه لشيء » فقوله أذن يكسر الذال وقوله كإذنه يفتح الذال معناه ما استمع والله تعالى لا يشغله سمع عن سمع .

(٣) في الأصل « كانت » والتصويب من شرح النووي عن مسلم (ج ٤ ص ٨٩) وقد أورد النووي هذه الفقرة بطولها من كلام القاضي عياض في الأذان .

(٤) في الأصل : وتكرار ذلك وأثبتنا نقل النووي .

ثوابه . انتهى كلام القاضي قال النووي : « وهو من النفائس الجليلة [وبالله التوفيق ^(١)] »
قلتُ : قد أَلَّفَ الإمام الحافظُ برهان الدين البقاعي ^(٢) رحمه الله جزءاً لطيفاً في
أسرار الأذان سَمَّاهُ . « الإيدان بفتح أسرار التشهد والأذان » . وأنا مُورِدُ هنا ما ذكره
في الأذان لِيُسْتَفَادَ فَإِنَّهُ نَفِيسٌ جَلِلاً .

قال رحمه الله بعد أن أورد أحاديث بعض الأذان والتشهد : « مقصوده - أي الأذان -
الإعلام بأوقات الصلاة تنبيهاً على أن الدين قد ظَهَرَ ، وانتشر عِلْمُ لوائه في الخافقين
واشتهر ، وسار في الآفاق على الرسوم قَبَهرٌ ، وأَذَلُّ الجابرة وقَهَرٌ [و] . أَعْلَمُ أَنَّهُ لَمَّا
كان الدين المحمدي دين الإسلام الذي لا يَقْبَلُ اللهُ من أَحَدٍ ديناً غَيْرَهُ ، قد عَلَا على
كل دين ، فَظَهَرَ كُلُّ مُخَالِفٍ ، وخففت رايته بعد أن كانت خَفِيَّةً ، وانتشرت أعلام
أَلَوِيَّتِهِ بعد أن كانت مَلُوءَةً ، وَبِئْتَاةُ أَهْلِ الْأَبَاطِيلِ مَطْوِيَّةٌ . وقد كان الشُّرْكُ منذ أزمان
في غاية الظهور ، والباطل هو المعمول به والمشهور ، فَتَنَاسَبَ أَنْ يُصْرَحَ بِأَذَانِهِ ، وَيُشَدَّى
به على غاية إعلانه ، ولما كانوا يشركون به سبحانه ، وَيَتَعَبَّدُونَ بسواه ،
كان نَسَبُ الْأُمُورِ الْبِدَائِيَةِ بالتنبية على تَفَرُّدِهِ / بِالْكَبِيرِيَّاتِ ، وَتَوَحُّدِهِ بِالْعَلَاءِ ، فقال ١٠٢٥
بادئاً بالاسم الأعظم ، الدَّالُّ على اللَّذَاتِ ، الْمُسْتَجْمَعُ لجميع الكِمالات : « اللهُ ، أَيْ الْمَلِكُ
الذي لا كُفْهَ له ولا سَمِيَّ ، ولا فَيْدٌ ولا نظير ، وَأَتَى بِالخَبَرِ نَكْبَةً لِيَدُلَّ عَلَى إِسْنَادِهِ
إِلَيْهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَأَنَّهُ لَا خَفَاءَ فِي انْفِرَادِهِ بِذَلِكَ ، فقال : « أَكْبَرُ » ، ولم يَذْكُرْ
مُتَعَلِّقاً ، ذَهَاباً بالتعميم إلى أعلى الغايات وأَنْهَى النِّهَايَاتِ ولَمَّا كَانَ قد طَالَ ما قَرَّرَ الشُّرْكُ
في الْأَذْهَانِ ، وَصَالَ بِهِ أَهْلُ الطُّغْيَانِ ، اقتضى الحالُ تَأْكِيدَ ذَلِكَ ، وَلِأَجْلِ هَذَا ثُنِيَ التَّكْبِيرُ
في الْإِقَامَةِ مع أَنَّهَا قَرَأَتْ .

(١) زيادة ما يقوله النووي عن حيائس .

(٢) هو برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البرباط البقاعي الشافعي المحدث المفسر المؤرخ ولد سنة ٨٠٩ هـ وتوفي
سنة ٨٨٥ هـ أخذ عن أساطين عَصِي كَابِنِ الْجَزْزِيِّ وَأَبِي نَاصِرِ الدِّينِ وَأَبِي حَجَرٍ وَبَرِجٍ وَتَمِيزَ وَانْتَفَذَ حَقَّ عَلَى شَيْوَعِهِ وَصَنَفَ
تصانيف عديدة منها : المناسبات القرآنية ، وعنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقربان ، وتبتيه الذي يتفكير عمر بن الفارض
وإبراهيم بن عيسى وتناولته الألسن بسبب هذا التأليف وكثر الرد عليه فمن رد عليه السيوطي بكتابه : تنبيه النبي بيرة ابن عربي ،
انظر شذرات الذهب (ج ٧ ص ٣٣٩ : ٣٤٠) وقد ترجم له السخاوي في الضوء اللامع (ج ١ ص ١٠١ : ١١١)
ترجمة وصمه فيها بكل قبس وقد جِسمت أحاجي الشراء فيه في مجلد ومنها :

لك الحمد الجزيل بلا امتنان وفضل بالسلام بلا نزاع
ظهر قلبنا من كل ظل وجنتنا الخيث من البقاع

هذا وقد سبق السخاوي الطن في معاصريه .

« ولما كان المراد [من] جميع كلمات الأذان مُجرَّد الإعلام بالوقت وبهذه المقاصد المراد بها تَسْمُح ما عداه ، قال مُؤَكِّدٌ من غير عَطْف لشيء من الجُمل : « الله أكبر » . ولما كان الحال من جميع الأكوان شديداً لاقتضاء ، لم يُذكر التأكيد لتطاول أزمان الشُّرك قال مُلَكِّدٌ لأسماع الموجودات ، ومُزَوِّياً لِعَطَاش أكباد الكائنات : « الله أكبر » . ولما تمَّ تقرير ذلك في الأذهان ، وعُلِمَ علماً تاماً أن التوحيد قد علَا ، وفُهِرَ جميع الأديان ، ارتقب كلُّ سامعٍ ما يُقال بعده ، فقال مبتدئاً دَوْرًا جديداً من هذا الإعلام ^(١) لمزيد التقرير عند جميع الأنام : « الله أكبر » .

« فلما عُلِمَ أن ذلك إلى غير نهاية ، ولأحد تَقَفَ عنده كُلُّ غاية ، قال مُتَرَجِّماً لما أُتِّجِمَ ، مُكَمِّناً لكل سامعٍ ما وَجَبَ عليه من الجواب ، مُسَيِّراً ^(٢) بذلك بِقَصِّ الأسرار ، إضاحاً بما كان من خال هذا الدِّين في أول الأمر ، بُرْهَاناً على حُسْنِ هذا التأكيد : « أَشْهَدُ » أي أَعْلَمُ عِلْماً قَطْعِيّاً أُنِي في مُريدٍ بَصَرِي كالناظر إلى مَصْصُونٍ هو في غاية الجَلَاء : « أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » . ولما كان المَقَامُ كما قَصَى شديداً لاقتضاء للتأكيد قال ثانياً : « أَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .

« فلما أَخَذَ المَقَامَ حَقْلَهُ من التأكيد ، ولم يَخْتَجِ إلى مُزيد ، فَعَلَّقَى ذلك بِالقَبُولِ العَبِيدِ ، فَبَيَّنَتْ رسالةُ الذي أُنِي بهذا الدِّين ، وجَاهَدَ به الجاحدين ، حتى قَهَرَهُمْ وَخَدَهُ صَاحِبِيهِ أَجْمَعِينَ ، قال على طريق النتائج المُسَلِّمة : « أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا » - ذاكراً شُهْرَ أَمَانَتِهِ وَأَطْيَبِهَا - « رَسُولُ اللَّهِ » ، مُخَصِّصاً وَصَفَ الرِّسَالَةِ الذي هو بين الحقِّ والخلق ، لأنَّ المَقَامَ دَاعٍ إِلَيْهِ ، وَمَقْصُورٌ عَلَيْهِ ، ثم أَتْبَعَ ذلك ما اقتضاه الحال من تأكيدِهِ في تَعْظِيمِهِ وَتَمْجِيدِهِ فقال : « أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ » . فلما أَخَذَ المَقَامَ حَقْلَهُ من التأكيد للإعلام ، بما كان فيه للإسلام من الشِّدَائِدِ وَالْآلَامِ ، أَتْبَعَهُ ما اقتضاه الحال : « مَنْ رَفَعَ الصُّوْتُ بِهذا المقال مُشِيرًا / مع ذلك إلى أَنَّ باطِنَ الدِّينِ وَظَاهِرُهُ سواء ، ليس فيه حَقِيقَةُ تَخَالُفٍ شَرِيعَةٍ ، وَخَاصَةً أَنْ ^(٣) المَتَشَرِّعُ بِهِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ

١٠٢٦

(١) في الأصل : هذه الأعلام .

(٢) أسر إليه حديثاً أو مثله وأعلمه وهو المُقْبِضُ وليس أسره بمعنى كتبه .

(٣) في الأصل : وخاصاً على .

الشَّرع ، ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ سَوَاءٌ ، لَا نِفَاقَ فِيهِ بَوَجهٍ أَصْلًا ، فقال : « أَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .

« فلما استقرَّ في الأَذهان سِرُّ هذا الإعلان ، أَتْبَعَهُ ما اقتضى الحال من الشهادة للآلِ بهذا الدِّينِ من صِدْقِ المَقَالِ ، في دَعْوَى الإِرسالِ ، فقال : « أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ » ، ثُمَّ أَكَّدَهُ كما مضى فقال : « أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ » . ولما ثَبَّتَ ذلك ، وَأَنْجَلَتْ دِياجِيرَ تلكَ الأمورِ الحَوَالِكِ ، فَتَيَسَّرَ السُّلُوكُ لِكُلِّ سَالِكٍ ، في أَشْرَفِ المَسالكِ ، قال ذاكِرًا لما أَثَرَتِ الرِّسالةُ من الخِلاصِ من أَشْرَاكِ الضَّلالةِ ، والرَّدِّ على طُرُقِها المَيَّالَةِ ، وَأَوْدِيَتْهَا المُتَبَالَةَ : « حَيَّ عَلَيَّ » - أَيْ هَلِّمُوا أَقْبِلُوا جَهَارًا غَيْرَ خَائِفِينَ مِنْ أَحَدٍ - إلى « الصَّلَاةِ » ، بِإِدْئَامِها هُوَ نِهائِيَةُ الدِّينِ ، الجَامِعُ لَشَمْلِهِ ، المُبَيِّنُ لِأَهْلِهِ .

« ولما كَانَ النَّاظرُ لذلكِ الحالِ ، يَسْتَدْعِي عَجَبًا مِنْ الوُصولِ إلى هَذَا المَسْأَلِ ، قال مُؤَكِّدًا : « حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ » . فلما تَقَرَّرَ ذلكَ كان كَأَنَّهُ قيل : هل مِنْ عَمَلٍ غَيْرِها ؟ فقال : « حَيَّ عَلَى الفَلاحِ » ، فَكانَ ذلكَ ، مع أَنَّهُ دَعاءٌ إلى كُلِّ عَمَلٍ يوجبُ الفُوزَ والظَّفِرَ بِكُلِّ مُرَادٍ مُؤَكَّدًا لِلدَّعاءِ إلى الصَّلَاةِ على أَبْلَغِ وَجْهِه .

« وَلَا شَكَّ أَنَّهُ أَحْسَنُ ما وَرَدَ في بَعْضِ الآثارِ الموقوفةِ في المَوْطَأِ ، روايةُ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ ، وَجاءَ مع عَبْدِ الرِّزَّاقِ عَنِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَصَرَّحَ الحُفَّاظُ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [قَوْلُهُ : « حَيَّ عَلَى خَيْرِ العَمَلِ » ، لِأَنَّهُ مَعَ كَوْنِهِ لَمْ يَشِبْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١)] فَقَدْ صارَ شِعَارَ الرِّوافِضِ لَا يَشْمَلُ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَكانَ الوِلْدُ في الصَّحِيحِ أَبْلَغَ مِنْ وَجْهَيْنِ : مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ شامِلٌ لِكُلِّ [خَيْرٍ] ، وَمِنْ جِهَةٍ التَّعْيِينِ عَنِ ذَلِكَ بِاللَّازِمِ الَّذِي هُوَ الغَايَةُ المُرْتَبِيةُ عَلَى العَمَلِ تَحْيِيئًا فِيهِ ، وَتَشْوِيقًا إِلَيْهِ ، مع أَنَّهُ كانَ يَقولُهُ بَعْدَ : « حَيَّ عَلَى الفَلاحِ » .

« وَلَمَّا كانَ تَطاولَ الصُّلُوةُ بِالْإِذْلالِ وَالقَهْرِ ، مُوجِبًا لاسْتِعْدادِ الإِقْبالِ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الشَّرعِ عَلَى سَبِيلِ القَهْرِ ، أَكَّدَ هَذَا الكَلَامَ الدَّاعِيَ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ ، هَذَا وَلِلإِشَارَةِ ،

(١) : زِيادَةُ مِنْ مَوْضِعِ التَّقاضِ أَنْ إِسْطِاقَةَ لِنِهاةٍ « حَيَّ عَلَى خَيْرِ العَمَلِ » فِي أَذَانِ الصَّلَاةِ مُطْلَقًا أَنَّها سَبْقُها ، لَا يَشْمَلُ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ . وَتاريخُ الْأَذَانِ فِي مِصرَ . وَمَا اسْتَحْدِثَ الشُّيْعَةُ فِيهِ فَصَلَةُ الْقُرْئَانِ فِي خُطْبِهِ (ج ٢ ص ٤٤٤) .
(٤٩) مِنْ طَبْعَةِ المَلِكِيِّ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةِ ١٣٢٦ هـ .

إلى أنه ليُحْسِنَهُ جَدِيرٌ » بالتأكيد ، وأَهْلٌ لَّأن يُعْرِفَ بِمقدار لجلالة آثاره ، فقال : « حَى عَلَى الفلاح » ، وفيه إشارة إلى أن الأمر خطير ، والطريق صَعْبٌ ، فلا بُدَّ من التَّأَهُّبِ له بأعظم الرِّاد ، لتحصل الراحة في المآل والمَمَاد :

« ولما كان المَدْعُو قد يكون نائماً ، وكان النوم قد يكون خيراً ، إما بأن يكون القَصْدُ به رَاحَةُ البَدَنِ لِلتَّقْوَى على الطاعة ، أو/ أن يكون للتَخَلُّى عن المعصية ، وكان ١٠٢٧ أكثر ما يكون ذلك في آخر الليل ، كان التثويب^(١) خاصاً بأذان الصبح ، فقال فيه : « الصلاة » - التي هي أعظم الفلاح ، ومن أعظم مقاصد هذا الأذان الإعلامُ بوقتها والدُّعَاءُ إليها - « خَيْرٌ من النوم » . ولما كان مَنْ يَغْلِبُهُ النوم مُحْتَاجاً إلى الإزعاج ، أكَّد ذلك بالتكرير ، فقال : « الصلاة خير من النوم » . ولما كان للصبح أذانان كان التثويب ربما كان في الأول ، فكان دُعَاءُ إلى قيام الليل الذى شُرِعَ له ذلك الأذان ، كما بيَّن سِرَّهُ في بعض الروايات في قوله : « لِيَرْجِعَ قَائِمُكُمْ وَيُنَبِّئَ نَائِمُكُمْ » . وربما كان في الثاني ، فكان دُعَاءُ إلى قَرَضِ الصبح ، وهو بالأول أنسب ، لَأَن القَرَضَ له حَاشٌ يَحْتُ عليه ، وداعٍ مُلِحٌ يدعو إليه ، وهو الوجوب الذى مَنْ أَخْلَ به عُوقِبَ ، وَمَنْ جاوز حَدَّهُ لِيَمَّ وَعُتِبَ .

« ولما تَمَّ الدِّينُ بِجُمْلَتِهِ . وَكَمُلَ أَصْلًا وَفِرْعًا ، قولاً وَنِيَّةً وَعَمَلًا ، بِرُمْتِهِ ، عُلِّلَ الدُّعَاءُ إليه مُرَغَّبًا مُرْهَبًا ، بقوله ، مُذَكِّرًا بما بَدَأَ الأَمْرَ به ، لاستحضار عظمته التى أظهر بها الدِّينَ ، وَأَذَلَّ بها المعتدين ، بعد أن كانوا على ثقة من أنه لا غالب لهم ، « الله أكبر » ، ثم أكَّد بِمَسِيسِ الحاجة إلى ذلك في الترغيب والترهيب ، فقال : « الله أكبر » . فلما تَمَّ الأَمْرُ ، وَجَلَّ التَّشْوِيقُ والزَّجْرُ ، لم تَدْعُ حَاجَةً إلى تَرْبِيعِ التكبير هنا كما كان في الأول ،

(١) جاء في النهاية (ج ١ ص ١٢٧) : « إذا ثوب بالصلاة فائتوها وعليكم السكينة » . والتثويب: ههنا إقامة الصلاة والأسل في التثويب أن يحمر الرجل مسترخياً ، فيلوح بوجهه ليرى ويشعر ، فمضى الدعاء تنوياً لذلك . وكل داع مغوب وقيل إنما سمى تنوياً من ثوب يغوب إذا رجع ، فهو رجوع إلى الأمر بالمبادرة إلى الصلاة وأن المؤذن إذا قال حى على الصلاة فقد دعاهم إليها ، وإذا قال بسلامها الصلاة خير من النوم فقد رجع إلى كلام مناه المبادرة إليها . ومنه حديث بلال : قال : أمدف رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أثوب في شيء من الصلاة إلا في صلاة الفجر وهو قوله : « الصلاة خير من النوم » ، مرتين . وأورد اللزيسى في التاج كلام ابن الأثير وأصاف : والتثويب الصلاة بعد الفريضة . ويقال تثوب إذا تطوع أى تنقل بعد المكتوبة ولا يكون التثويب إلا بعد ما وهو المود للصلاة بعد الصلاة .

فَحَسَمَ بما بدأ به من التوحيد إعلاماً بأنّه لا يُقبل شيء من الدين إلا به مُقَارِنًا له من ابتدائه إلى انتهائه ، فقال : « لا إله إلا الله » .

« ولما كان [قد] وصل إلى حَدِّ لا مَزِيد عليه ، لم يَحْتَجْجْ إلى تأكيد ، حتى ولا بلفظ الشهادة إعلاماً بأنّه ليس وراء هذا إلا السيف لو تَوَقَّفَ عنه ، أو ما عَانَدَ فيه . ولما كان من أَجَلِّ ما يُرَادُ بِالْأَذَانِ - كما مضى - الإعلام بظهور الإسلام على جميع الأديان ، وأنه قد أُورِثَ عَوْدُهُ ، وزكا وجودُهُ ، وثَبَتَ عَمُودُهُ ، وَعَزَّ أَنْصَارُهُ وجنودُهُ ، جاء على سبيل التعميد ، والتقرير والتأكيد ، من غير عاطف ولا لافِتٍ عن هذا المُرَادِ ولا صَارِفٍ تنبيهاً على أن كُلَّ جُمْلَةٍ منه رُكْنٌ برأسه ، مُسْتَقِيلٌ بذلك بنفسه ، مُعَرَّبٌ عما هو المُرَادُ من الإظهار بالتَّعْدَادِ .

« هذا ما شرحه الله تعالى لعباده من الأَذَانِ في حال النوم واليقظة ، في الليل والنهار ، على وفاء لامزيد عليه ، كما صَرَّحَ به في قوله - صلى الله عليه وسلم - : « اللهم رَبِّ هذه الدعوة التامة ، فمن زاد حرفاً فما فوقه فقد أساء / وَتَعَدَّى وَظَلَمَ » . ومن الواضح البَيِّن ١٠٢٨ أن المعنى في إجابة السامع لألفاظه بها الإيذان باعتقاده ، والإذعان لمُرادِهِ ، وأنه تخصيص الجواب في الدعاء إلى الصلاة والْفَلَاحِ ، بالحقولة ، والمراد بها سؤال المعونة على تلك الأفعال الكرام بالتَّبَرُّؤِ^(١) من القدرة على شيء بغير تقدير الله ، رَدًّا للأمر إلى أهله ، وأخذًا له من مَعْلَنِيهِ وأَصْلِهِ ، والإقامة فرادى ، لأنه لما ثَبَتَ بالأَذَانِ أمرُ الوجدانية والرسالة ، وعَلِمَ المَدْعُو ما نُسِبَ إليه ، صار الأمرُ غَنِيًّا عن التأكيد ، فلم يَحْتَجْجْ إلى غير الإعلام بالقيام إلى ماقد دُعِيَ إليه ، وأُعْلِمَ بوقته ، وأكد التكبير بما ذكر في الأَذَانِ نَوْعَ تأكيد لما تَقَدَّمَ من مزيد الاهتمام والإقامة لإسراع مَنْ عنده بَعْضُ غَفْلَةٍ أو تَوَانٍ . انتهى .

الثالث : اختُصِفَ في السنة التي فيها شُرِعَ [الأَذَانِ] . قال الحافظ : « والراجح أنه في السنة الأولى ، وقيل بل في الثانية » .

الرابع : قول ابن عُمَرَ : فقال عُمَرُ : « أو لاتبعثون رجلاً منكم يُنادي بالصلاة » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بلال قُمْ فنادِ بالصلاة » . قال

(١) في الأصل : تبرأ .

النووي^(١) : هذا الدعاء دُعَاء إلى الصلاة غير الأذان وكان قد شُرِع قبل الأذان . قال الحافظ : والظاهر أن إشارة عُمَرُ بِرَسُول رجل ينادى بالصلاة كان عَقِيب المشاورة فيما يفعلونه ، وأن رؤيا عبد الله ابن زيد كانت بعد ذلك . وكان اللفظ الذي يُنادى به بلال [هو] « الصلاة جامعة » ، كما رواه ابن سعد ، ومعهيد بن منصور عن سعيد بن المسيَّب مُرسلاً . وقد وقع للقاضي أبي بكر العربي هنا كلامٌ غير مُحَرَّر طَعَنَ فيه في صحة حديث ابن عُمَرُ الثابت في الصحيح . وقد بسط الحافظ الكلام على رَدِّه .

الخامس : روى الطبراني أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه رأى الأذان ، وسَنَدُهُ واه ، ووقع^(٢) في الوسيط . للغزالي أنه رآه بضعة عشر رجلاً . وعبارة الجيلي في شرح التنبيه : أربعة عشر رجلاً وأنكره ابن الصلاح^(٣) [فقال لم أجد هذا بعد إمعان البحث^(٤)] ثم النووي [في تنقيحه فقال : هذا ليس بثابت ولا معروف وإنما الثابت خروج عُمَرُ يجرُّ رداءه^(٥)] ، ونقل مغطاي^(٥) عن بعض كتب الفقهاء أنه رآه سبعة عشر رجلاً من الأنصار . قال الحافظ : « الحق أنه لا يثبت شيء من ذلك إلا لعبد الله بن زيد ، وقصة عُمَرُ جماعة في بعض الطرق » .

وروى الحافظ ابن أبي أسامة عن كثير بن مرة^(٦) أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) قال النووي في شرحه لهذا الحديث الذي أخرجه مسلم (ج ٤ ص ٧٦) : قال القاضي عياض : ظاهره إنه إعلام ليس بعمل سبعة الأذان الشرعي بل إخبار بحضور وقبلاء وهذا الذي قاله محمل أو مثنين فقد صح في حديث عبد الله بن زيد في سنن أبي داود والترمذي وغيرهما أنه رأى الأذان في المنام فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عمر فقال : يا رسول الله والذي يمضك بألقى لقد رأيت مثل الذي رأى . فهذا ظاهره أنه كان في مجلس آخر .

(٢) هو الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن ، تولى التدوين بن الصلاح (٥٧٧ - ٦٤٣ هـ) من أئمة التفسير والفقه والحديث وأسماء الأئمة له كتاب الفتاوى وطول الحديث وأدب الفقه والمستحق وغيرها وكان شيعياً لابن خلكان الذي ترجم له في وفاته (ج ١ ص ٣١٢ : ٣١٣) كما ترجم له ابن الهيثم في شذرات الذهب (ج ٥ ص ٢٢١ : ٢٢٢) .

(٣) زهادة من شرح الزواج على المواهب (١ ص ٣٧٧) .

(٤) هو مغطاي بن قليج بن عبد الله علاء الدين البكجزي (٦٨٩ - ٧٦٢ هـ) تولى مشيخة الحديث بالقاهرة بالبيروية والفرغشتية والناصرية . له الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم وشرح البخاري وإكمال تهذيب الكمال والمؤتلف والمختلف وشرح قطب من سنن ابن ماجه . ترجم له ابن طولوني في تاج التراجم (ص ٧٧ بتدات سنة ١٩٦٢ م) والسيزمي في حسن الحضارة (ج ٥ ص ٦٨) وابن الهيثم في شذرات الذهب (ج ٥ ص ١٩٧) .

(٥) هو كثير بن مرة الحضرمي الحمصي أبو القاسم الزهراوى ، تابعي ، أذكره شيعين يدرى ، روى عن معاذ وأبي الدرداء وصيابة ابن أنس وصالح بن سليمان بن عثمان ومكحول وسليم بن عامر وعبد الرحمن بن جبير وزياد بن أبي جبيب وقفة النبل وقال النصاب : لا بأس به . قال أبو مسهر مات في خلافة عبد الملك ، انظر تذكرة الحافظ (ج ١ ص ٤٩) وخلاصة الخزرجي ص ٢٧٢ .

قال أول : من أذن بالصلاة جبريل في السماء فسمعه عمر وبلال ، فسبى عمر بلالا ، فأنهى
 ات النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء بلال ، فقال : « سبكت يا عمر » . وسنده/واه جداً ،
 في سنده سعيد بن سنان^(١) ، قال الذهبي في المغني : « متروك متهم » .

السادس : وردت أحاديث تدل على أن الأذان شرع بمكة قبل الهجرة ، منها للطبراني
 عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : « لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم
 أوحى الله تعالى إليه : بالأذان ، فنزل به ، فعلمه بلالا ، وفي سنده ، طلحة بن زيد الرقي^(٢)
 هالك . قال الحافظ أبو الفرج بن رجب : (٣) هذا حديث موضوع بهذا الإسناد بغير شك ،
 قلت : وبغيره أيضاً . ولابن شاهين^(٤) عن علي بن أبي طالب : « عليم رسول الله - صلى
 الله عليه وسلم - الأذان ليلة أسرى به وفرضت عليه الصلاة »^(٥) ، وفي سنده حصين بن
 محارق^(٦) ، وهو وضع . وللدارقني في الأفراد ، وعن أنس رضي الله عنه « أن جبريل
 أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالأذان حين فرضت الصلاة » ، وسنده ضعيف .
 ولابن مرقويه من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « لما أسرى بي أذن جبريل ،

(١) هو أبو سنان سعيد بن سنان الكوفي زيل يرى روى عن طلاس والضمك وروى عنه الثوري وابن
 المبارك وأبو نعيم وسمع عنه أبو داود الطيالسي فزه حديثه . قال أحمد : ليس بالقوي ، وثقه الدارقني ويحيى بن معين وأبو
 حاتم وقال التيالسي ليس به بأس ، توفي قبل سنة ١٦٠ هـ . انظر ميزان الاعتدال (ج ٢ ص ١٤٢ رقم ٢٢٠٧) وخلاصة
 الخوارزمي (ص ١١٨) .

(٢) في الأصل طلحة بن زيد . والتضويب من الذهبي والخوارزمي ، وهو طلحة بن زيد الرقي وقيل الكوفي وقيل الشامي
 زيل واسط ، روى عن ثور بن زيد الكلابي وهشام بن حروة وإبراهيم بن أبي حبة والأوزاعي وروى عنه شيخان بن فروخ
 وجاعة . قال البخاري منكر الحديث وقال النسائي متروك وقال ابن حبان منكر الحديث جداً لا يكمل الاحتجاج به ، وقال

أحمد فعلى بن المنين يضع . انظر ميزان الاعتدال (ج ٢ ص ٣٣٨ : ٣٣٩ رقم ٤٠٠٠) وخلاصة الخوارزمي (ص ١٥٢) .

(٣) هو الحافظ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب البغدادى المشفى الجليل للثوري
 سنة ٧٩٥ هـ له مصنفات عديدة منها شرح الترمذي والأربعين النووية والبخاري حتى كتاب الجنائز ، وكتاب الطائف في
 الوضوء والفتاوى . في طبقات الحنابلة الذي جمعه ذيلاً على طبقات أبي يعلى الفراء . ترجم له ابن حجر في الدرر الكامنة
 (ج ٢ ص ٢٢١) وابن فهد في نطفة الأحاط (ص ١٨٠ : ١٨٥) . والسيوطي في ذيل طبقات الحافظ (ص ٣٦٧ :
 ٣٦٨) وابن الهادي في شذرات الذهب (ج ٣ ص ٣٣٩ : ٣٤٠) .

(٤) هو عمر بن أحمد بن عثمان أبو جعفر الزايط المعروف بابن شاهين (٢٩٧ هـ - ٣٨٥ هـ) له مصنفات في التفسير
 والتأويل والتاريخ . ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد (ج ١١ ص ٢٦٥ : ٢٦٧ رقم ٦٠٢٨) .

(٥) أي روي به . البزار في مسنده . عن محمد بن عثمان بن غلدة عن زياد بن المنذر عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن
 جده علي بن أبي طالب . كما في التلخيص وشرحها (ج ١ ص ٣٧٧ : ٣٧٨) .

(٦) هو حصين بن محارق بن زرقاء أبو جندة ، روى عن الأعمش قال الدارقني : يضع الحديث ، ونقل ابن الجوزي
 أن ابن حبان قال : لا يجوز الاحتجاج به ، قاله الذهبي في ميزان الاعتدال (ج ١ ص ٥٤٤ رقم ٢٠٩٧) .

فَطَلَّتْ الْمَلَائِكَةُ أَنَّهُ يُصَلِّي بِهِمْ ، فَقَدَّعْنِي فَصَلَّيْتُ ، ، وفي سننه من لا يُعْرِفُ . وقال الذهبي في مختصر الإمام ، أصل الإلام ^(١) لابن دقيق العيد : « هذا حديث منكر بل موضوع » . وللبرار وغيره من حديث قال : « لما أراد الله عز وجل أن يعلم رسوله الأذان أتاه جبريل بذابئة يقال لها البراق فركبها [حتى أتى الحجاب الذي يلي الرحمن ، فبينما هو كذلك إذ خرج مَلَكٌ من الحجاب ، فقال : يا جبريل من هذا ؟ قال : والذي بَعَثَكَ بالحق إني لأقرب الخلق مكاناً وأن هذا المَلَكُ ما رأيته منذ خُلِقْتُ قبل ساعى هذه فقال المَلَكُ : الله أكبر ، الله أكبر ، فقيل من وراء الحجاب : صدق عبدي ، أنا أكبر ، أنا أكبر ^(٢)] » فذكر بقية الأذان ، وفي آخره : « ثم أخذ المَلَكُ بيده قائم أهل السماء .. » وفي إسناده زياد ابن المنذر ^(٣) وهو متروك أيضاً . وقال ابن معين : علو الله كذاب . وقال الذهبي : « هذا

(١) هكذا في الأصل ، وعنوان كتاب ابن دقيق العيد هو : الإلام الجامع لأحاديث الأحكام ، وهو الذي قال فيه الإدفعي في الطالع السعيد : لو كنت بسخته في الوجود ، لأغنت عن كل مصنف في ذلك موجود ، وقال صاحب الشذرات : « كتاب الإلام في الحديث وشرحه وصماه الإمام . وابن دقيق العيد هو تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري المنقولي المصري (٨٦٢٥ - ٨٧٠٢) تفقه على والده بقوس وكان مالكي المذهب ثم تفقه على الشيخ عز الدين بن عبد السلام الشافعي فحقق المذهبين وأتى فيهما وسمع الحديث قول القضاء بمصر ، ودرس الحديث في الكامية ، ومن مصنفاته هذا كتاب الإلام : الإلتزام في أصول الدين ، وشرح مختصر ابن الحاجب وشرح عدة الأحكام وغيرها ، وقال ابن عبد السلام : تفقه بدار مصر . برجلين في طريقها : ابن منير بالإسكندرية وابن دقيق العيد بقوس . وقال الذهبي في صحيحه : « هو قاضي القضاء بالديار المصرية وشيخها وعالمها الإمام العلامة الحافظ القنوة الورع شيخ المصر كان علامة في المذهبين المالكي والشافعي عارفاً بالحديث وفنونه سارت بمصنفاته الإكبان . وقال التاج السبكي : لم ندرك أحداً من مشايخنا يختلف في أن ابن دقيق العيد هو العالم المنيحون على رأس الصماعة .

هذا وقد أورد له السبكي في طبقات الشافعية (ج ٦ ص ٢ : ٢٢) ترجمة مطولة وكذلك الإدفعي في الطالع السعيد (ص ٣٧٧ : ٣٣٨ طبعة القاهرة سنة ١٩١٤ م) وأورد كل منهما خطية كتاب الإلام بطولها كما أورد له أشاراً من نظمه ومع ذلك فإنهما لم يزدانا شيئاً كامل لمصنفاته . وابن دقيق العيد تراجم مختصرة في فوات الوفيات (ج ٢ ص ٤٨٤ : ٤٩٢ القاهرة سنة ١٩٥١ م) والبداية والنهاية (ج ١٤ ص ٢٧) وشذرات الذهب (ج ٦ ص ٥ : ٦) وفي النجوم الزاهرة (ج ٨ ص ٢٠٦ : ٢٠٧) قال ابن قنري بردي في ترجمته المختصرة له إنه استوفاهما في كتابه المجلد الصافي . وفي الجزء المخطوط الذي لم ينشر بعد . (٢) تكله جزء من الحديث نقلنا عن المؤلف الدنية .

(٣) هو أبو الجارود زياد بن المنذر الهمداني الكوفي الأعمى سرحوب الخراساني البهدي توفي سنة ١٥٠ هـ . قال ابن نمير كذاب ، وقال النسائي وغيره متروك . وقال ابن حبان : كان واقفياً يضع الحديث في الفضائل والمناقب ، وإليه ينسب الجارودية ، انظر ميزان الاعتدال (ج ٢ ص ٩٣ : ٩٤ وقم ٢٩٦٥) وأشار إليه ابن التميمي في الفهرست في كلامه عن الزيدية (ص ٢٥٤) وكُتبت عنه كتبه : الفرق مثل التوحيث في فرق الشيعة (ص ٢١ طبعة التعجب سنة ١٩٣٦ م) والأشعري في مقالات الإسلاميين (ج ١ ص ٧٣ طبعة استنبول سنة ١٩٢٨ م والفرق بين الفرق للبندادي (ص ٢٢ : ٢٣ طبعة بالقاهرة سنة ١٩٤٨ م) والشهرستاني في الملل والنحل ق ١ ص ٣٢٣ تحقيق بدران القاهرة سنة ١٩٥١ م) وأشار إليه الحريري في الخط (ج ٤ ص ١٧٥) .

من وَضَعِهِ . وقال ابن كثير : « هذا الحديث الذى زعم السهيلي أنه صحيح هو منكر ، تَفَرَّدَ به زياد بن المنذر الذى تُنسَبُ إليه الفرقة الجارودية من الرافضة وهو من المتهمين ، ولو كان النبي - صلى الله عليه وسلم - سَمِعَهُ ليلة الإسراء لأمر به بعد الهجرة . - ولابن شاهين من طريق زياد المذكور ، قال : « قلت لابن الحنفية : كنا نتحدث أن الأذان كان رؤيا ، فقال : هذا والله الباطل ، لكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما عُرِجَ به بُعِثَ إليه مَلَكٌ عَلَّمَهُ الأَذَانَ » . قال [الحافظ ابن حجر ^(١)] : « هذا باطل ويمكن على تقدير صحته أن يُحْمَلَ على تعدد الإسراء ، فيكون ذلك وقع بالمدينة ، وأما قول القرطبي لا يلزم / من ١٠٣٠ ت كونه سَمِعَهُ ليلة الإسراء أن يكون مشروعا في حقه ، ففيه نَظَرٌ لقوله في أوله : « لما أراد الله أن يُعَلِّمَ رسوله الأذان » ، وكلنا قول المحب الطبري ، يُحْمَلُ الأَذَانَ ليلة الإسراء على المعنى اللغوي وهو الإعلام ، [وهذا] فيه نَظَرٌ أيضاً لتصريحه بكيفيته المشروعة فيه » .

ولابن شاهين من طريق زياد أيضاً عن الباقر عن أبيه عن أبي رافع عن علي رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا علي إن الله عَلَّمَنِي الصلاة والأذان ، أتاني جبريل بالبراق » ، . وزياد [رَأَوِيهِ] كَذَّابٌ . ولأبي الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « نزل الأذان على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع فَرَضِ الصلاة » ، وفي سنده عبد العزيز بن مروان ^(٢) ، وهو تالف . قال الحافظ : « والحق أنه لا يَصِحُّ شيء من هذه الأحاديث ، وقد جزم ابن المنذر « أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يُصَلِّي بغير أذان » ، منذ فُرِضَت الصلاة بمكة إلى أن هاجر إلى المدينة وإلى أن وقع التشاور في ذلك على ما جاء في حديث عبد الله بن عمر ثم في حديث عبد الله بن زيد » - انتهى كلام ابن المنذر . وقد حاول السهيلي الجمع بينهما فتكلف وتَعَسَّفَ والأخذ بما صَحَّ أوْثَرُ ، فقال باتياً على صحته الحكم في مجيء الأذان على لسان الصباحي في المنام فَقَصَّه فوافق ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - سَمِعَهُ فقَالَ : « إنها لرؤيا حق » ، وعُلِمَ حينئذ أن مراد الله بما أُرِيَهُ في السماء أن يكون

(١) زيادة من شرح المواهب (ج ١ ص ٣٧٨) .

(٢) عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي أبو الأصم الأمير ، والله الخليفة عمر بن عبد العزيز ، روى عنه أبي هريرة وروى عنه ابنه وحمل بن ديار وثقه ابن سعد والنسائي توفي سنة ٨٦ هـ . انظر ميزان الاعتدال (ج ٢ ص ١٣٥ رقم ٥٢٢٨) وخلاصة الخزرجي (ص ٢٠٤) .

مُتَّعِي^(١) الأرض ، وَقَوَّى ذلك عنده موافقته [رؤيا] عُمَر [للاتصاري] لِأَن السكينة تنطق على لسان عمر .. انتهى .

وَيُؤَخِّرُ منه عدم الاكتفاء برؤيا عبد الله بن زيد حتى أضيف إليه عُمَر للتقوية التي ذكرها . ولكن قد يقال : فلم اقتصر على عُمَر ؟ فيمكن أن يجاب ليصير في معنى الشهادة : وقد جاء في رواية ضعيفة مَبْنِيَةٌ ما ظاهره أن بلالاً أيضاً رأى ، لكنها مَوْوَلَةٌ ، فإن لفظها : « سَبَقَكَ بِهَا عُمَر » ، يحمل المراد بالسبق على مباشرة التأذين برؤيا عبد الله بن زيد .

السابع : قال السهيلي^(٢) : « اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الأذان على لسان غير النبي - صلى الله عليه وسلم - من المؤمنين لما فيه من التنويه من الله تعالى بعبد والرفع لذكره ، فلأن يكون ذلك على لسان غيره أئوّه به وأفخم شأنه ، وهذا معنى بيّن ، فإن الله تعالى يقول : (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ^(٣)) ، فَمِنْ رَفَعِ ذِكْرِهِ أَنْ أَشَارَ بِهِ عَلَى لسان غيره » . انتهى كلام السهيلي - وهذا حسن بديع .

الغامض : من أغرب ما وقع في بدء / الأذان ما رواه أبو الشيخ من طريق عبد العزيز ابن مروان - وهو تالف - عن عبد الله بن الزبير قال : « أُحِدَ الأذان من أذان إبراهيم عليه السلام (وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَقِّ^(٤)) الآية ، قال : « فَأَذَّنَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - ، وما رواه أبو نعيم يستند فيه مجاهيل عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما : « أن جبريل نادى بالأذان لآدم عليه السلام حين أهيّط من الجنة » .

الغامض : يذكر بعضهم مناسبة اختصاص بلال بالأذان دون غيره ؛ كونه لما عُذِّبَ ليبرأ من الإسلام كان يقول : أَحَدٌ أَحَدٌ ، فعجوزي بولاية الأذان المشتمل على التوحيد من عبيد الله إلى إنتهائه .

العاشر : استشكل إثبات حكم الأذان برؤيا عبد الله بن زيد ، ورؤيا غير الأنبياء لا يفتنى عليها حكم شرعي . وأجيب باحتمال مقارنة الوحي لذلك بأن - صلى الله عليه وسلم -

(١) في الأصل : منه . والتصويب من السياق ومن السهيل (ج ٢ ص ٢٠) .

(٢) ما نقله المؤلف عن السهيل هنا تلخيص المعنى الذي أراد السهيل وليس بلفظه .

(٣) الآية الرابعة من سورة الشرح .

(٤) سورة الحج آية ٢٧ .

أمر بمقتضاها لينظر أيقُرَّ على ذلك أم لا ، ولا سيما لما رأى نَظْمَهَا يُبْعِدُ دخول الوسواس فيه ، ويؤيد الأول حديث عُبيد بن عُمَيْر ، أحد كبار التابعين : « أن عُمَرَ لما رأى (١) الأذان جاء ليخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - فوجد الوَحْيَ قد ورد بذلك فما راعه إلا أذان بلال » . فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : « سَبَقَكَ بِذَلِكَ الْوَحْيُ » . وهذا أَصَحُّ كما حكاه الداودي (٢) عن ابن إسحق « أن جبريل أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - بالأذان قبل أن يخبره عبد الله بن زيد بثانية أيام » .

الحادى عشر : قيل إن الحكمة في تثنية الأذان وإفراد الإقامة أن الأذان إعلام للغائبين مُتَكَرِّرٌ ليكون أوصل إليهم ، بخلاف الإقامة فلإنها للحاضرين ، ومن ثمَّ اسْتَحْبَبَ أن يكون الأذان في مكان عالٍ بخلاف الإقامة ، وأن يكون الصوت في الأذان أرفع منه في الإقامة .

الثانى عشر : في بيان غريب ما سبق : « بَدَأَ » الأذان ، بفتح الموحدة وسكون الدال [المهمله] وبالحمزة ، أى ابتدأه . « الْحِينَ » : الزمان قَلَّ أو كَثُرَ (٣) . « يَتَجَيَّشُونَ » الصلاة أى يطلبون حينها . « الْمَوَاقِيتُ » جمع مِقات وهو الوقت المضروب للفعل . « الدَّعْوَةُ » : بالفتح الأذان . « الْقُنْعُ » : بضم القاف وسكون ألنون هو البوق - بضم الموحدة - شئ مجوف يُنْفَخُ فيه . « الشُّبُورُ » : بشين معجمة مفتوحة فموجدة مضمومة

(١) الأصوب : أن عمر لما رأى الأذان .

(٢) قال ابن فرحون في الديباج الملعب (ص ٣٥) هو أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأمدى من أئمة المالكية بالمغرب كان فقيهاً متقناً له حظ من اللسان والحديث والنظر ، انتقل من طرابلس إلى تلمسان ، له كتاب التائى في فروع الموطأ والرواى في الفقه والتصحيح في شرح البخارى والإيضاح في الرد على القدرية وغير ذلك . لم يفتق فى أكثر علمه على إمام مشهور وإنما وصل بإدراكه ، وقد أخذ عنه أبو عبد الملك اللبون وأبو بكر بن محمد بن أبي زيد ، توفى بطلسمان سنة ٤٠٢ هـ وقبره عند باب العقبة . وفي شرح الزرقانى على المواهب (ج ١ ص ٣٧٨) أنه توفى سنة ٤٣٠ هـ . وذكر مخلوق الذى نقل ما جاء في الديباج أنه توفى سنة ٤٤٠ هـ . انظر شجرة النور الزكية (ج ١ ص ١١٠ : ١١١ رقم ٢٩٣) .

(٣) الحين بكسر الهمزة هو كما في القاموس المحيط وقت مهم يصلح لجميع الأزمان طال أو قصر - أما الحين فيفتح الحاء وإسكان المشاة الصحية فهو الملاك - وفي تفسير القرطابى (ج ١ ص ٢٢٢) : قال الفراء : الحين حينان : حين لا يوقف على حده ، والحين الذى ذكر الله جل ثناؤه : « تَوَقَّى أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذَنُ وَهِنًا » ، سة أشهر ، قال ابن العربي (وهو القاضى أبو بكر بن العربي صاحب أحكام القرآن وليس بحى الدين بن عربى) : الحين المجهول لا يضلن به حكم (شرعى) والحين (الوقت) المعلوم وهو الذى تتعلق به الأحكام (الشرعية) وتربط به التكليف . وأكثر (الوقت) المعلوم منه وماك يرى في الأحكام والأيمان أهم الأسماء والأزمنة . والشافى يرى الأقل وأبو حنيفة توسط فقال سنة أشهر . والمؤيد على المبنى بعد معرفة مقتضى اللفظ لغة .

مُشَدَّدَةٌ وهو البوق. « النَّاقُوسُ » : آلة من النحاس يُضْرَبُ فَيُصَوِّتُ « حَيَّ » على الصلاة : أَقْبِلُوا . « الفلاح » : أى الفوز ، أى هَلُمُّوا إلى طريق النجاة والفوز . « أُنْدَى » صوتاً ١٠٣٢ منك ، أى أَمَدٌ وأبعد / وأرفع غاية ، وقيل أَحْسَنَ وأَعْلَبَ . « أَلْقِدَ » عليه أى عَلَّمَهُ إياه . فما « رَاعَ » عَمَرَ أى ما شعر عَمَرَ أى ما أَخْلَمَهُ ^(١) « لَكِنِّي » : بفتح اللام وتشديد التحتية أى عندى ، وإلى بذلك تابع ^(٢) « التوقير » : التعظيم . « الْحُصَاصُ » بحاء مضمومة فصادين مهملتين : الضراط ، وقيل شدة العَدُو ، ويفعل ذلك الشيطان لئلا يسمع الأذان [فَيُضْطَرُّ ^(٣)] إلى الشهادة يوم القيامة . « الغيلان » : واحدها غول ، والغيلان جنس من الجن كانت العرب تَزَعُمُ أنها تتراعى للناس فى الفلاة فتَتَمَثَّلُ فى صُورٍ شَتَّى فَتَقُولُهُمْ أى تُضِلُّهُمْ عن الطريق وتُهْلِكُهُمْ ، فنفاه صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا غُول [ولا صَفَرٌ ^(٤)] ، [وقيل قوله : لا غُول ^(٥)] ، ليس نَفْيًا [لَعَيْنِ الغول ^(٦)] ووجوده وإنما فيه إبطال زَعْمِ العرب فى تَلَوُّنِهِ بالصور المختلفة واغتياله ، فيكون المعنى بقوله : لا غُول أنها لا تستطيع أن تُضِلَّ أحداً ^(٧) . ومنه الحديث : « إِذَا تَقَوَّلْتَ ^(٨) الغيلان فبادروا بالأذان » ، أى ادفعوا شَرَّهَا بذكر [الله] ^(٩) ، وهذا يَدُلُّ على أنه لم يَرِدْ يَنْفِيهَا عَدَمًا .

(١) فى الأصل : « أى ما أشعر » والتصويب من شرح الزرقانى على المواهب (ج ١ ص ٢٧٨) إذ نقل عبارة المؤلف ونسبها إليه قائلا : قاله الشافى ، ثم أضاف : فحقيقة الروع هنا متفية واستعمل فى لازمه لأن من فرغ من الشيء استشعر وجوده ولكن قد لا يحصل من الشعور العلم فتدرج فى البيان ففسره لفة ثم مراداً . هذا والروع الذى ذكره الزرقانى هو بفتح الراء بمعنى الفزع أما الروع بالضم فهو القلب والعقل كما فى الصالح وكليات أبى البقاء (ص ١٩٧) وفى القاموس المحيط : راع لازم متعد ، راع يروع روعاً يروع الأبر فلائحاً أفزعه . وفى النهاية (ج ٢ ص ١١١) : « ونه حديث ابن عباس فلم يرضى إلا زجل أخذ يمتكئ لى لم أشعر ، وإن لم يكن من لفظه كأنه فاجأه بفتة من غير موعد ولا معرفة فراحه ذلك وأفزعه . هذا ومن معانى راع الإيجاب : راع الشيء فلائحاً أصبه .

.. (٢) « إلى بذلك تابع » ، هكذا فى الأصل .

(٣) يياض فى الأصل بنحو كلمة أو أكثر والتكلمة مستمدة من شرح النووي على صحيح مسلم (ج ٤ ص ٩٢) حيث جاء فيه : قال العلماء : وإنما أدر الشيطان عند الأذان لئلا يسمعه فيضطر إلى أن يشهد له بذلك يوم القيامة لقول النبي صل الله عليه وسلم : « لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة » . قال القاضى عياض : وقيل إنما يشهد له المؤمنون من الجن والإنس ، فأما الكفار فلا شهادة له . قال : ولا يقبل هذا من قتاله لما جاء فى الآثار من خلافه . قال : وقيل إن هذا فيمن يضع منه الشهادة من يسمع .. إلخ .

(٤) زيادة من النهاية (ج ٣ ص ١٧٦) .

(٥) زاد ابن الأثير فى النهاية : ويشهد له الحديث الآخر : لا غول ولكن السمال والمعنى سمرة الجن أى ولكن فى الجن سمرة لم تلبس وتحيل .

(٦) المتقول هو التلون .

(٧) ليست فى الأصل والتكلمة من النهاية .

الباب الخامس

في مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين أصحابه رضى الله عنهم

قال أبو عمر ، وأقره في العيون ، والفتح ، ونقله في كتاب الصيام عن أصحاب المغازي : « كانت المؤاخاة مَرَّتَيْنِ : الأولى : بين المهاجرين بعضهم بعضاً قبل الهجرة على الحق والمواساة فلأخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أبي بكر وعمر ، وبين حمزة وزيد بن حارثة . وروى أبو يعلى برجال الصحيح عن عبد الرحمن بن صالح الأسدي وهو ثقة عن زيد بن حارثة أنه قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم - آخى بيني وبين حمزة بن عبد المطلب ، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين الزبير بن العوام وابن مسعود ، وبين عبيدة بن الحارث [بن المطلب بن عبدمناف] وبلال ، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص ، وبين عبيدة وسالم مولى أبي حليفة ، وبين سعد بن أبي زيد [بن عمرو بن نفيل] وطلحة بن عبيد الله ، وبين علي بن أبي طالب ونفسي ، صلى الله عليه وسلم . وروى الحاكم والخليفي عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « آخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه ، فلأخى بين أبي بكر وعمر ، وفلاناً ، حتى بقى على رضى الله عنه ثلثم عينا ، فقال : يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « أما ترضى أن أكون أخاك ؟ » قال : بلى يا رسول الله رضييت . قال : « فأنت أخي / في الدنيا والآخرة » .

١٠٣٣

الثانية : قال أنس بن مالك رضى الله عنه : « حالف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين المهاجرين والأنصار في دارنا » رواه الإمام أحمد والشيخان وأبو داود . وروى للإمام أحمد ، وأبو داود الطيالسي ، والبخاري ، وأبو داود [السجستاني] وأبو الشيخ ، والطبراني عن ابن عباس مُحَقَّصَرًا ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه من طريق عنه مُطَوَّلًا ، وابن سعد والحاكم وصححه عن الزبير بن العوام ، وابن سعد عن الزهري ، وإبراهيم التيمي ، وضمرة ابن سعيد ، قالوا : لما قَدِم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة آخى بين المهاجرين

والأنصار ، آخى بينهم على الحق والمواصلة ، ويتوارثون بعد الممات دون ذوى الأرحام . قال ابن عباس رضى الله عنهما : « فآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حمزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة ، وبين أبى بكر الصديق وخارجة بن زيد بن الحارث^(١) » ، وبين عمر ابن الخطاب وعثمان بن مالك ، وبين الزبير بن العوام وسكمة بن سلامة بن وقش - ويقال بينه وبين عبد الله بن مسعود ، وبين طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك ، وبين عبد الرحمن ابن عوف وسعد بن الربيع ، وقال لسائر أصحابه : « تَوَاحُّوا . وهذا أخى » - يعنى على ابن أبى طالب .

قام المسلمون على ذلك حتى نزلت سورة الأنفال ، وكان مما شدَّ الله عقده نبيه قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَالَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوا تُكَنُّ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ » وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ^(٢) .

فأحكم الله بهذه الآيات العقد الذى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، يتوارث الذين آخروا دون من كان مقيماً بمكة من ذوى الأرحام والقرابات . فمكث الناس على ذلك العقد ما شاء الله . فلما كان بعد بدر أنزل الله تعالى الآية الأخرى فنسخ ما كان قبلها ، فقال تعالى : « وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا / وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(٣) » وانقطعت المواخاة فى الميراث ووجع كل إنسان إلى نفسه وذريته فَوُورَ حَيِّهِ .

وروى الخرائطى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « قال المهاجرون : يا رسول الله

(١) فى الأصل طلحة بن عبيد الله . والتصويب من سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ١٢٤) . ويتولع السيرة لابن حزم (ص ٩٦) .

(٢) الآيات ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ من سورة الأنفال .

(٣) سورة الأنفال آية ٧٥ .

الزبير السابق أنه وَاخِي بين سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة ، وبين سعيد بن زيد
١٠٣٥ وأبي بن كعب ، وبين عبد الرحمن بن عوف / وسعد بن الربيع .

وروى البخارى فى أوائل [كتاب] البيوع بسند وعلقه فى باب كيف آخى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ، والإمام أحمد والشيخان عن أنس رضى الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وَاخَى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، فعرض
سعد على عبد الرحمن أن ينصفه أهله وماله . قال سعد : أنا أكثر أهل المدينة مالا
فأقيم لك نصف مالى وانظر أئ زوجتي هويت ، نزلت لك عنها ، فإذا حلت تزوجتها .
فقال عبد الرحمن : بارك الله عز وجل لك فى أهلك ومالك فدلونى على السوق ^(١) ، فاسترى
وباع ، وسألت الحديث فى المعجزات إن شاء الله تعالى . [وَوَاخَى] بين أبي عبيدة بن الجراح
وأبي ظلمة [زيد بن سهل الأنصارى النجارى] ^(٢) ، فهذا أصح مما ذكره ابن إسحق
وأبو عمر إلا أن يكون أخى بين أبي عبيدة وسعد بن معاذ . وذكر سئد أنه وَاخَى بين
سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة [بن خالد بن عدي الأوسى] ^(٣) وبين سعد بن زيد
وأبي بن كعب ، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب ، وبين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان ،
وقيل بين عمار وثابت بن قيس [بن الشماس] ^(٤) لأن حذيفة إنما أسلم زمان أحد ، وبين أبي
حذيفة بن عتبة [بن ربيعة] ^(٥) وعباد - بموحدة ودال مهملة - ابن بشر - بكسر الموحدة
وبالشين المعجمة - [ابن وقش] ^(٦) ، وبين أبي ذر الفقارى والمنذر بن عمر [المعنىق
ليكنون] ^(٧) .

والأكثر ذلك محمد بن عمر الأسلمى لأن أبا ذر إنما قديم المدينة [بعد بدر وأحد] ^(٨) ،
وحدثنا طائفة - بالتصغير - ابن عمير والمنذر بن عمرو ، وسألت الجواب عن ذلك فى ثالث
التبليغات إن شاء الله تعالى . [وَوَاخَى] بين عبد الله بن مسعود وسهل بن حنيف ، وبين

(١) صحيح البخارى كتاب البيوع (ج ٣ ص ١١٢ و ١١٣) .

(٢) زيادة من أسد الغابة (ج ٥ ص ٢٣٤) .

(٣) زيادة من أسد الغابة (ج ٥ ص ٢٣٠) .

(٤) زيادة من أسد الغابة (ج ٥ ص ١٢٥ و ١٢٦) .

(٥) بيان الأصل بنحو كل حين والجملة من الإصابة (ج ٧ ص ١٢) .

سَلْمَانَ [الفارسي^(١)] وأبي الدرداء [عُوثَيْر بن ثعلبة^(٢)] كما في صحيح البخاري عن أبي جُحَيْفَةَ [وهب بن عبد الله^(٣)] رضى الله عنه ، وأنكر ذلك محمد بن عُمر لأن سَلْمَانَ لَمْ يَأْمَلْ بعد وقعة أُحُد ، وأول مشاهدته الخندق ، وأبى الجواب عن ذلك .

[وَوَاحِي] بين بلال [بن رباح مولى أبي بكر^(٤)] وأبي رُوَيْحَةَ - بضم الراء وفتح الواو وبعدها تحية ساكنة فحاء مهملة - واسمه عبد الله بن عبد الرحمن الخُثْعِيُّ ، وبين حاطب بن أَبِي بَلْتَعَةَ - بموحدة فلام ساكنة ففوقية فعين مهملة - وعُوَيْمٌ - بلفظ تصغير عام - ابن ساعدة ، وبين عبد الله بن جَحْشٍ وعاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح - بفتح الهزرة وسكون القاف فلام فحاء مهملة ، وبين عُبَيْدَةَ بن الحارث [ابن المطلب ابن عبد مناف^(٥)] وعُمَيْر بن الحُكَّام - بضم الحاء المهملة - ، وبين الطفيل بن الحارث أخى عُبَيْدَةَ ، وسُفْيَان بن نَشْر - بفتح النون وسكون المهملة - كما ضبطه الأمير ، وقيل ١٠٣٦ بالتصغير^(٦) - ابن زيد [بن الحارث الخزرجي^(٧)] ، وبين الحصين بن الحارث أُنْجَى عُبَيْدَةَ وعبد الله بن جُبَيْر - بلفظ تصغير جبر - [ابن النعمان الأوسي^(٨)] ، وبين عُمَان ابن مظعون - بالظاء المعجمة المُشَالَةَ - [ابن حبيب بن وهب القرشي الجُمَحِيُّ^(٩)] [والعباس ابن [عُبَادَةَ بن [بُضْلَةَ - بالنون والضاد المعجمة ، وذكر مُتَيْدٌ بِكَلْبِ الْعَبَّاسِ أَيْدٍ لِلْهَيْمِ ابن التَّيْهَانِ - بفتح الفوقية وكسر التتحية المُشَدَّدَةَ ، وبين عُتْبَةَ بن غَزْوَانَ - بِغَيْنٍ مفتوحة فزاي ساكنة معجمتين - وَمُعَاذُ بن مَاعِصٍ - بعين فصاد مهملتين ويقال فيه نَاعِصٌ - [ابن قيس بن خُلَّةٍ بن عامر بن زُرَيْقٍ^(١٠)] ، وبين صَفْوَانَ [بن وهب بن زَيْتَعَةَ

(١) - زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ١٢٥ و ١٢٦) .

(٢) - زيادة من أسد الغابة (ج ٥ ص ١٥٧) .

(٣) - زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ١٣٦ وكتب السيرة .

(٤) في الأصل : أبي عبيدة والصواب وسياقة النسب من أسد الغابة (ج ٣ ص ٣٠٦) وانظر أيضاً ترجمة الجُمَحِيِّ :

الطفيل والحصين وورد ذكر الثلاثة في الإصابة وجوامع السيرة .

(٥) قال فيه محمد بن حبيب بشر بالباء الموحدة والثين المعجمة وعن ابن اسحق أيضاً بشر بزيادة ياء تحميلة فتلطبان

وقال ابن ماكولا : الصواب : تسر .

(٦) - زيادة من أسد الغابة (ج ٢ ص ٢٢٢) .

(٧) - زيادة من أسد الغابة (ج ٣ ص ١٣٠) .

(٨) - زيادة من جوامع السيرة ج ٧ ص ٤٧ وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٨٥ .

(٩) - زيادة من جوامع السيرة ص ١٤٠ ومن أسد الغابة (ج ٤ ص ٢٨٧) ولكن في ناعص وناعص فيه الأخيرة بصيغة

بالضاد المعجمة .

القرشي القهري وهو المعروف^(١) بـ [ابن بيضاء ورافع بن المُعَلَّى - بلفظ اسم المفعول من المَلُو بالعين المهملة -] ابن لَوْذَانَ بن حارثة^(٢) ، وبين المقداد بن عمرو وعبد الله ابن رَوَاحَة ، وبين ذِي الشَّعَالَيْنِ [ابن عبد عَمْرُو بن نضلة بن عُبَيْشَانَ^(٣)] ويزيد بن الحارث^(٤) وبين أَبِي سَلَمَةَ بن عبد الأسد - بالمهمله - وسَعْدُ بن خَيْثَمَةَ - بخاء معجمة فتحنية فتشاه مثله ، وبين عامر^(٥) بن أَبِي وَقَّاصٍ وَخُبَيْبٍ - بخاء معجمة مضمومة فموحدة مفتوحة - ابن عَدِيٍّ^(٦) ، وبين عبد الله بن مظعون وقُطَيْبَةَ - بلفظ تَأْنِيث قُطَيْبٍ - ابن عامر ، وبين شَمَّاسٍ - بشين معجمة مفتوحة فميم مُشَدَّدَةٌ فَأَلَفَ فسين مهملة - ابن عُمَانَ وَحَنْظَلَةَ بن أَبِي عامر^(٧) ، وبين الْأَرْقَمِ بن أَبِي الْأَرْقَمِ وَطَلْحَةَ بن زيد الْأَنْصَارِي ، وبين زيد بن الحَخَّابِ وَهَمَّان بن عَدِيٍّ ، وبين عَمْرُو بن مُرَاقَةَ وسَعْدُ بن زيد الْأَشْهَلِي ، وبين عِلْقَاقٍ - بيمين مهملة وبعد الألف قافه - ابن الْبُكَيْرِ - بموحدة تصغير بُكْرٍ - ومُبَشَّرُ بن عبد المَنَّانِ ، وبين عبد الله بن مَخْرَمَةَ وَفَرْوَةَ بن عَمْرُو الْبِيضَاءِ ، وبين خُنَيْسٍ - بخاء

(١) زيادة من آمد النابة (ج ٢ ص ٢٧) ويضاء أمه اسمها دود . وقيل آخر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين واقع بن السيلان .

(٢) زيادة من جوامع السيرة ص ٩٤٠ ، وقيل اسمه الحارث بن الملح أبو سحيد الأنصاري . انظر آمد النابة ج ١ ص ٣٤٨ .

(٣) ذو الشَّعَالَيْنِ واسمه حمير وسيلالة نسبه أوردناه كل من ابن حزم في جوامع السيرة (ص ١١٨) وابن الأثير في آمد النابة (ج ١ ص ١٤٤) ، ويحالة اختلاف بينه وبين عَزَازِي حليف لبني قحمة ، وهو غير ذي اليدين فلهذا يسمى الخرياق وهو من بني سلم . وكان ذو الشَّعَالَيْنِ أصغر ، شهد بدرًا وقتل جسا .

(٤) هو يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك . الخزرجي وهو المعروف بابن قحمة وهو أم أخيه عبيد الله بن قحمة (شبهت في القاموس المحيط على وزن فغل) ونس ابن الأثير في آمد النابة (ج ٥ ص ١٥٧) حل ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى بين يزيد بن الحارث وذو الشَّعَالَيْنِ وأضاف أنه شهد بدرًا وقتل بها ولا عقب له .

(٥) في الأصل عمر والتصويب من الرياض النضرة (ج ٢ ص ٢٩٣) وأسد النابة (ج ٣ ص ٩٧) وهو أبو سعد ابن أبي وقيل في آمد النابة .

(٦) هو حبيب بن علي بن مالك بن عامر أحد بني جهمي الأوس ، شهد بدرًا وأمر في بحث الرجيع وحلب بالفتح بمكة وهو القائل إذا قُوتِ لَيْسَابٌ :

ولست أياك حين أقبل مسلماً حل أي جنب كان في الله مصرحاً .

من أبيات ، وهو أول من من الركنين عند القتال . انظر جوامع السيرة ص ٩٧٦ : ١٧٨ وأسد النابة ج ٤ ص ١١٣ : ١١٤ . (٧) هو حنظلة بن أبي عامر عبد عمرو بن صديق بن مالك الأوسي . وكان أبوه أبو عامر قد تهرّب في الجاهلية وتسلّك

ولما جاء الإسلام فر إلى مكة ثم قلع مع قريش يوم أحد مغاربة وملائكة كانوا أسنة ٩ هـ أما ابنه حنظلة فكان من سادات المسلمين واهتم به يوم أحد فجاءه ففلسه الملائكة . ولذلك سمي حنظلة غسيل الملائكة . انظر ابن هشام وجوامع السيرة (ج ٥ ص ١٥٩ : ١٦١) وأسد النابة (ج ٢ ص ٩٧ : ٩٨) .

معجمة مضمومة ونون مفتوحة فتحية ساكنة فسين مهمل - ابن خُذَافَة ، والمُنْثَرِب بن محمد
ابن عُبَيْد بن أَحْيَنَة - بمهملتين - تصغير أحة^(١) ، وبين أبي سَيْرَة - بسين مهمل مفتوحة
فموحلة ساكنة - ابن أبي رُهم - وهو بضمّ الراء وسكون اللام ، وعُبَادَة بن الخُشَيْخَاش -
بخاين الأولى مفتوحة وشينين الأولى ساكنة مُعْجَنَات ، كما ذكره الأمير ، وبين مُسَطَّح -
بميم مكسورة فسين مهمل فطاء مفتوحة وحاء مهملتين - ابن أَثَّاثَة - بالضم ومثلثتين مُخَفَّفَة -
وزيد بن الزين - ضبطه الدارقطني والأمير بضم الميم وفتح الزاي وآخره نون مُصَغَّر ،
وشَدَّد أبو عَمْرٍو يَحْطُّه التحية - والله أعلم ، وبين أبي مَرْثَد - بفتح الميم وسكون الراء فثاء
مثلثة - القنوي - بالعين للمعجمة المفتوحة والنون - وعُبَادَة بن الصلَمَت ، وبين عَكَّاشَة
بعين مهمل مضمومة فكاف وتشليدا أفصح من تخفيفها - ابن مِخَصَّن - بكسر الميم ، -
والمُجَلَّل - بضم الميم وفتح الجيم وتشليد الذال المعجمة المفتوحة ثم راء - ابن زِيَاد - بكسر
الذال المعجمة / وتخفيف التحية في آخره ذال مهمل ، وقيل لأنه يفتح أوله وتشليد ١٠٣٧
ثانيه - ، وبين عامر بن قَهْمَرَة - بالتصغير - والحرث بن الصَّمَة - بكسر الصاد للمهمل
وتشليد الليم ، - وبين مِهْجَج - بكسر الميم وسكون الميم وفتح الجيم - مؤنّى عَمْرٍو ؛
وسُرَاقَة بن عَمْرٍو بن عطية .

تَنْبِيْهَات

الأول : قال في الروض^(٢) : « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
أصحابه حين نزلوا المدينة لتذهب عنهم وَخْشَة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة
ويشد أزر بعضهم ببعض ، فلما عَزَّ الإسلام واجتمع الشُّبُل وذهبت الوخْشَة [أنزل الله
سبحانه : « وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ »^(٣)] « أعنى في الميراث^(٤) » ،
ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة يعنى في التوادد وشمول الدعوة .

الثاني : اختلف في ابتدائها ف قيل بعد الهجرة بخمسة ، أشهر ، وقيل بتسعة ، وقيل وهو
بني المسجد ، وقيل قبل بنائه ، وقيل بستة ، وقيل بثلاثة أشهر وقيل بلير ، وتقدم عن

(١) في الاشتقاق لابن دريد (ص ٧٨) : أحيحة تصغير أحة والأحة هو ما يجد الإنسان في قلبه من حرارة غيظ
وحزن . وفي القاموس والنتاج : الأحاح بالضم الطش والظط وحرارة أحم أو حرارته . وقال الفراء في صدره أحاح وأحيحة من
الضغن والظبط والحقد . (٢) الروض الألف (ج ٢ ص ١٨) .
(٣) من الآية ٧٥ من سورة الأنفال . (٤) زيادة من السبيل الذي نقل عنه المؤلف ، وفي الأصل : أبطال المورث .

أنس بن مالك. أن ذلك كان في داره ، وذكر أبو سعد النيسابوري في الشرف أن ذلك كان في المسجد . قاله أعلم .

الثالث : أنكر الواقدي مواخاة سلمان لأبي الدرداء لأن سلمان إنما أسلم بعد وقعة أحد ، وأول مشاهدته الخندق . وأجاب الحافظ بأن التاريخ المذكور [هو] للأخوة الثانية وهو ابتداء الأخوة ، واستمر صلى الله عليه وسلم يُجَدِّدها بحسب من يدخل في الإسلام ويحضر إلى المدينة ، وليس باللازم أن تكون المواخاة وقعت وقعة واحدة حتى يرد هذا التعقيب . وبما أجاب به الحافظ يجاب به عن مواخاة أبي ذرٍّ والمنذر بن عمرو ، وعن مواخاة خُذَيْفَةَ وَعَمَّارٍ ، وعن مواخاة جعفر ومُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، ويقال بأن مُعَاذَ أُرْصِدَ لمواخاة جعفر حتى يَقْلَمَ . الرابع : نقل محمد بن عُفَيْرٍ ، عن الزُّهْرِيِّ أنه أنكر كُلَّ مواخاة وقعت بعد بدر ، ويقولون : قَطَعَتْ يَدُ الْمَوَارِيثِ . قال الحافظ رحمه الله تعالى : وهذا لا يدفع المواخاة من أصلها ، وإنما يدفع المواخاة المخصوصة التي كانت عُقِدَتْ بينهم ليتوارثوا بها .

الخامس : أنكر الحافظ أبو العباس بن تيمية المواخاة بين المهاجرين وخصوصاً مواخاة النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه : قال لأن المواخاة شرعت لإرفاق بعضهم بعضاً ولتتألف قلوب بعضهم على بعض ، فلا معنى لمواخاته لأحد ولا لمواخاة مهاجري لمهاجري . قال الحافظ : وهذا ردٌّ للتصديق بالقياس وإغفالٌ عن /حكمة المواخاة لأن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوة ، فوَاخَى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى ويستعين الأعلى بالأدنى ، وهذا تظهر [حكمة^(١)] مواخاته صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه . لأنه هو الذي كان يقوم بعلي من عهد الصبا قبل البعثة واستمر ، وكذلك مواخاة حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة لأن زيداً مولاهم ، فقد ثبتت إخوانتهما وهما من المهاجرين ، وفي الصحيح في عمرة القضاء أن زيداً قال : «إن ابنة حمزة ابنة أخي» . وأخرج الحاكم وابن عبد البر بسند حسن عن أبي الشعثاء^(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما

(١) زيادة مع شرح المصالح (ج ١ ص ٢٧٢) .

(٢) هو أبو الشعثاء جابر بن زيد البصري أحد الأعلام وصاحب ابن عباس روى عنه قتادة وأيوب وعمر بن قتيبة وطائفة ، قال أحمد والبغاري توفى سنة ٩٣ هـ وقال الواقدي وابن سعد مات سنة ١٠٣ هـ ، وهناك من رأى غير له نفس الكنية وهو سليم بن أسود بن حنظلة الحارثي أبو الشعثاء الكوفي روى عن عمر وابن مسعود وحذيفة وأبي ذر توفى سنة ٨٢ هـ . انظر في ترجمة الأول الذي يقصده المؤلف ذكره الحافظ (ج ١ ص ٦٧ : ٦٨) وفي ترجمة الثاني خلاصة الجوزجني (ص ١٢٧) .

قال : أَخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَهُمَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَخْرَجَهُ الضَّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ . فِي الْمَخْتَارَةِ ، وَأَبْنُ تَيْمِيَّةٍ يُصَرِّحُ بِأَنَّ أَحَادِيثَ الْمَخْتَارَةِ أَصَحُّ وَأَقْوَى مِنْ أَحَادِيثِ الْمُشْتَرَكِ ، قُلْتُ : يَا أَيْ الْكَلَامِ مَبْسُوطًا عَلَى أَخُوهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَرْجُمَةٍ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ عِنْدَ ذِكْرِ تَرَاجُمِ الْعَشْرَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى :

السادس : رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتَّبَسَّاطِيُّ وَأَبْنُ حِبَّانَ عَنْ شُعْبَةَ بْنِ التَّوَّامِ - يَفْتَحُ الْقَوِيَّةَ وَالْهَمْزَةَ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ » ، زَادَ شُعْبَةُ بْنُ التَّوَّامِ : « وَلَكِنْ تَمَسَّكُوا بِحِلْفِ الْجَاهِلِيَّةِ » . انْتَهَى . « وَأَيُّمَا - وَفِي لَفْظٍ : كُلٌّ - حِلْفٌ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا حِدَةً وَشِدَّةً ، وَمَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي حُمْرُ التَّعَمُّ وَأَنِّي نَقَضْتُ الْحِلْفَ الَّذِي كَانَ فِي دَارِ النَّدْوَةِ » .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي الْكَفَالَةِ وَفِي الْإِعْتِمَادِ ، وَمُسْلِمٌ فِي الْفَضَائِلِ ، وَأَبُو دَاوُدَ فِي الْفَرَأْنِشِ عَنْ عَاصِمِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَحْوَلِ قَالَ : « قُلْتُ لِأَنْسَ بْنِ مَالِكٍ : أَتَلْعَنُكَ أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ ؟ قَالَ : قَدْ حَالَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ فِي دَارِي^(١) » . قَالَ الطَّبْرَانِيُّ : مَا اسْتَدَلَّ بِهِ أَنْسٌ عَلَى إِبْثَاتِ الْحِلْفِ لَا يَنَاقِي الْأَحَادِيثَ السَّابِقَةَ فِي نَفْيِهِ ، فَإِنَّ الْإِخَاءَ الْمَذْكُورَ كَانَ فِي أَوَّلِ الْهِجْرَةِ ، وَكَانُوا يَتَوَارَثُونَ بِهِ ، ثُمَّ تُسَيِّخُ مِنْ ذَلِكَ الْمِيرَاثِ ، وَبَقِيَ مَا لَمْ يُبْطِلْهُ الْقُرْآنُ وَهُوَ التَّعَاوُنُ عَلَى الْحَقِّ وَالنَّصْرِ وَالْأَخْذُ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « إِلَّا النَّصْرُ وَالنَّصِيحَةُ » ، وَيُوصَى بِهِ فَقَدْ ذَهَبَ الْمِيرَاثُ^(٢) .

(١) وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِلَفْظٍ : فِي دَارِنَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا . وَرَوَى أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِيِّ رَفَعَهُ : « أَوْفُوا بِحِلْفِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا شِدَّةً وَلَا تَحْدِثُوا حِلْفًا فِي الْإِسْلَامِ » .

(٢) لَخَّصَ التَّيَابُيْرِيُّ فِي تَارِيخِ الْغُبَيْرِ (ج ١ ص ٢٥٣) مَوْضُوعَ الْمَوَاضِعِ بِقَوْلِهِ : نَقَلَ ابْنُ حَجَرٍ فِي شَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ ابْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ أَنَّ الْمَوَاضِعَ كَانَتْ مَرَّتَيْنِ : الْأَوَّلَى قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِمَكَّةَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ خَاصَّةً . وَرَوَى الْجَاكَمُ التِّيَّاسِيُّ حَدِيثًا يَدُلُّ عَلَى مَا قَالَهُ ابْنُ حَجَرٍ وَهُوَ حَدِيثُ أَبِي عَمْرٍو قَالَ : أَخَى النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَبَيْنَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، وَبَيْنَ عُمَانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَفِي رَوَايَةٍ بَيْنَ حِمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ . فَقَالَ عَلَى : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَيْتَ بَيْنَ أَهْمَاكِ فَنَ أَيْسَى ؟ قَالَ : أَنَا أَعُوذُكَ . وَفِي رَوَايَةٍ : أَتَيْتُ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ . وَالثَّانِيَةُ الْمَوَاضِعُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَكَانَتْ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، وَبَعْدَ بَدْرٍ أَرْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى لُكُلُ الْوُجُوهِ الْأَرْحَامِ بِبَعْضِهِمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ » . فَلَنَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَانْقَطَعَتْ الْمَوَاضِعُ فِي الْمِيرَاثِ وَرَجَعَ كُلُّ إِنْسَانٍ إِلَى نَسَبِهِ وَوَرَثَتِهِ ذَوْرَ رَحْمَتِهِ .

وقال الخطابي : قال ابن عيينة : حالف بينهم أى آخى بينهم ، يريد أن معنى الحلف
 ١٠٣٩ ات فى الجاهلية معنى الحلف فى الإسلام جارٍ على / أحكام الدين وحدوده ، وحلف الجاهلية
 جارٍ على ما كانوا يتواضعونه بينهم ، قَبِطَلَّ منه ما خَالَفَ حُكْمَ الإسلام وبَقِيَ ما عدا ذلك
 على حاله .

والحلف ببكسر الحاء المهملة وسكون اللام بعدها فاء ، قال فى النهاية^(١) : أصله المعاقدة
 والمعاقد على التعاضد والتساعد والاتفاق ، فما كان منه فى الجاهلية على الفتن والقتال
 بين القبائل والغارات ، فذلك الملبى ورد النهى عنه [فى الإسلام] بقوله صلى الله عليه
 وسلم : « لا حلف فى الإسلام » . وما كان منه فى الجاهلية على نصر المظلوم وصلة الأرحام
 كحلف المطيبين وما جرى مجراه فذلك الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم : « فوأيما حلف
 كان فى الجاهلية لم يَزِدْهُ الإسلام إلا شِئَةً » ، يُريد من المعاقدة على الخير ونصرة الحق
 [وبذلك يجتمع الحديثان وهذا هو الحلف الذى يقتضيه الإسلام والممنوع منه ما خالف
 حُكْمَ الإسلام^(٢)] والله سبحانه وتعالى أعلم .

جوهرة الذهب
 (١) ج ١ ص ٤٤٩ .

مبس (٧ :) انتهاء من التوبة إلى بل فيها الموائمة . وروى أضاف ابن الأثير قائلا : وقيل إنها لغة كانت قبل الفتح
 . لا حلف فى الإسلام (أى فتح مكة) ، فكأن ناسخاً .

الباب السادس

في قصة تحويل القبلة

روى ابن إسحق^(١) وابن سعد^(٢) ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، والسنن^(٣) ، وأبو داود في ناسخه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والدارقطني ، والبيهقي عن البراء بن عازب ، وابن إسحق وابن أبي شيبة ، وأبو داود والنحاس في ناسخهما ، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وأبو داود في ناسخه عن أبي الغالية مرسلاً ، ويحيى بن الحسن العلوي في أخبار المدينة عن رافع بن خديج رضي الله عنه ، والإمام مالك ، وعبد بن حميد والشيخان ، وأبو داود في ناسخه ، والنسائي ، ويحيى ابن الحسن ، عن عثمان بن محمد بن الأحنس ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر عن قتادة ، والزبير بن بكار عن عثمان بن عبد الرحمن ، وابن سعد عن محمد بن عبد الله بن جحش ، وابن جرير عن مجاهد ، يزيد بعضهم على بعض : « أن أول ما فُتِحَ من القرآن القبلة ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس ، والكعبة بين يديه » . وقال ابن جرير : « كما عند ابن جرير : « صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ ثُمَّ صُفِّرَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَهُوَ بِمَكَّةَ فَصَلَّى ثَلَاثَ حِجَجٍ ثُمَّ هَاجَرَ » . ولما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود أمره الله سبحانه وتعالى أن يستقبل صغرة بيت المقدس ، فعرّض اليهود بذلك ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس . وكان يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ ، لِأَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا : « وَخَالَفْنَا مُحَمَّدًا وَتَتَّبِعَ ١٠٤٠ قِبْلَتَنَا » .

(١) في ابن هشام ج ٢ ص ١٧٦ و ١٧٧ .

(٢) في الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٩ .

(٣) أحاديث تحويل القبلة أخرجهما السنن : البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي ، كما أخرجهما مالك والشافعي والتهامي . هذا برقم أخرجهما البخاري في صحيحه في كل من كتاب الصلاة (ج ١ ص ١٧٣ : ١٧٧) وفي كتاب التفسير (ج ٦ ص ٤٩ : ٥١) ، وفي صحيح مسلم (ج ٥ ص ٩ : ١١ يشرح النووي) .

وقال صلى الله عليه وسلم لجبريل : «وَدِدْتُ أَنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ صَرَفَنِي عَنْ قَبِيلَةِ يَهُودَ إِلَى غَيْرِهَا» ، فقال جبريل عليه السلام : «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِثْلُكَ لَا أَتَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً إِلَّا مَا أَمَرْتُ بِهِ ، فَادْعُ اللَّهَ تَعَالَى . فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى وَيُكْثِرُ النَّظَرَ إِلَى السَّمَاءِ يَنْتَظِرُ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِراً أُمَّ بَشَرَ بِنَ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ ، فِي بَنِي سَلِمْةَ - بِكَسْرِ اللَّامِ - فَصَنَعَتْ لَهُ طَعَاماً ، وَحَانَتْ صَلَاةَ الظُّهْرِ ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ فِي مَسْجِدٍ هُنَاكَ الظُّهْرَ ، فَلَمَّا صَلَّى رَكَعَتَيْنِ نَزَلَ جِبْرِيلُ فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ صَلَّى إِلَى الْبَيْتِ ، وَصَلَّى جِبْرِيلُ إِلَى الْبَيْتِ فَاسْتَدَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْكَعْبَةِ ، وَاسْتَقْبَلَ الْمِزَابَ . فَتَحَوَّلَ النِّسَاءُ مَكَانَ الرِّجَالِ وَالرِّجَالُ مَكَانَ النِّسَاءِ ، فَهِيَ الْقِبْلَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (فَلَنَوَلِّيَنَّكَ قَبِيلَةً تَرْضَاهَا^(١)) فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَسْجِدَ مَسْجِدَ الْقِبْلَتَيْنِ . وَكَانَ الظُّهْرُ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعاً : اثْنَتَانِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَاثْنَتَانِ إِلَى الْكَعْبَةِ ، فَخَرَجَ عِبَادُ بَنِي إِسْرَءِيلَ^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ بَنِي حَارِثَةَ - بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالثَاءِ الْمَثَلَةِ - وَهُمْ رَاكِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ ، فَقَالَ : «أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ الْبَيْتِ» . فَاسْتَدَارُوا .

وَقَالَ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ : «وَأَنَا آتٍ وَنَحْنُ نَصِلُ فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَقَالَ : إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَرَ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ ، فَأَدَارُنَا إِمَامَنَا إِلَى الْكَعْبَةِ وَدُرْنَا مَعَهُ» . قَالَ ابْنُ عُثَيْمٍ : وَبَيْنَمَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ - قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ الْمَقْدِسِيُّ : هُوَ عِمَادُ بْنُ بَشَرَ أَيْضاً - فَقَالَ : «إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ قُرْآنٌ ، وَفَدَّ أَمْرٌ أَنْ يَسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا^(٣)» . وَكَانَتْ وَجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ^(٤) .

ت ٣٠٦ . وَبَنِي كَالْتِمِ الْيَهُودَ قَدْ أَجَبَهُمْ إِذْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ .

(١) مِنَ الْآيَةِ ١٤٤ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

(٢) تَرْجَمَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي أَسَدِ الْغَابَةِ (ج ٣ ص ٩٩ وَ ١٠٠) لِاثْنَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ : عِمَادُ بْنُ بَشَرَ بْنِ قَبِيلَةِ يَهُودَ الَّذِي وَرَدَ اسْمُهُ فِي حَدِيثِ نَوِيلَةَ بِنْتُ أَسْلَمَ ، وَالْأَخَرُ عِمَادُ بْنُ بَشَرَ بْنِ قَبِيلَةِ الْوَقْشِ وَالْأَوَّلُ - بَنِي حَارِثَةَ وَالثَّانِي بَنِي جَدِّ الْأَشْهَلِ وَكُلَاهُمَا مِنَ الْأَنْصَارِ وَيُنَسَّبُ إِلَهُ كُلِّ مَنَابِ حَدِيثِ تَغْيِيرِ الْقِبْلَةِ وَإِلْبَاقِهِ إِلَى قَوْلِهِمَا .
 رَأَى (ج ٢ ص ١٦٠) فَاسْتَقْبِلُوهَا بِكَسْرِ الْبَاءِ وَضَعَهَا وَالْكَسْرُ أَسْعَى وَالشَّهْرُ وَهُوَ الَّذِي يَقْتَضِيهِ تَمَامُ الْكَلَامِ يَحْدَهُ ، قَوْلُهُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى صَحِيحِ سَلَمَ (ج ٩ ص ١٦٠) .

وأهل الكتاب فلما وثى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك . وقال المنافقون : «خُرَّ محمد إلى أرضه» . وقال المشركون : «أراد محمد أن يجعلنا قبيلة له ووسيلة» ، وعرف أن ديننا أهدي من دينه ، ويوشك أن يكون على ديننا» .

وقال اليهود للمؤمنين : ما صرفكم عن قبيلة موسى ويعقوب وقبيلة الأنبياء ؟ والله إن أنتم إلا قوم تفتنون . وقال المؤمنون : لقد ذهب منا قوم ماتوا وما ندرى أكنّا نحن / ١٠٤١ وهم على قبيلة أو لا . وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعه بن قيس ، وكردم^(١) بن عمرو ، وكعب بن الأشرف ، ورافع بن أبي رافع ، والحجاج بن عمرو تخيف كعب بن الأشرف ، والربيع وكنانة ابنا [الربيع بن] أبي الحقيق - بلفظ تصغير حق - فقالوا : يا محمد ما ولأك عن قبيلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على طيلة إبراهيم وفينه ؟ إرجع إلى قبيلتك التي كنت عليها تتبعك ونصدقك . وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه ، فأمر الله عز وجل : (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ) - الجهال واليهود والمشركون [المنافقون]^(٢) (مَا وَلَاهُمْ) - أي صرفهم - (عَنْ قَبِيلِهِمْ) - التي كانوا على استقبالها في الصلاة وهي بيت المقدس والإتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الأخبار بالقبيل - (الْمَنِيُّ كَقَوْلِهِمْ كَلْبُهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) - أي الجهات كلها ، فيأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء لا اعتراض عليه - (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) - هدايته - (إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)^(٣) - دين الإسلام ، تأتي ومنهم أنتم ، ذلك على هذا (وَكَذَلِكَ) أي كما هديناكم إليه (جَعَلْنَاكُمْ) يا أمة محمد (أُمَّةً وَسَطًا) خياراً عدولاً (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) يوم القيامة أن كنتم ببلغتهم (وَيَكُونَ الرُّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) أنه بلغكم (وَمَا جَعَلْنَا) صيرنا (الْقَبِيلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا) أولاً وهي جهة بيت المقدس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي لَهَا تَأْلُفًا لليهود فصلً إلى بيتها ستة أو سبعة عشر شهراً ثم حوّل (إِلَّا لِنُظَلِّمَ) علم ظهور (مَنْ يَتَّبِعِ الرُّسُولَ) فيصدقَه (مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً) أي يرجع إلى الكفر شكاً

(١) في الأصل قردم بالفتح وكذلك في سورة ابن هشام . (ج ٢ ص ١٧٦ طبعة التجازية) والتصويب من الاشتقاق (ص ٢٨١) والكردمة على يفرح فيه نقل ويطه .
(٢) زيادة من تفسير القرطبي (ج ٢ ص ١٤٨) .
(٣) سورة البقرة آية ١٤٣ .

في الدين. وظناً أن النبي في حيرة من أمره ، وقد ارتدَّ لذلك جماعة (وإن) مُخَفَّفَةٌ من
 المُتَقَبِّلَةِ لِوَاسِعَتِهَا مُخْطُوفٌ ، أي وُزِنَتْ^(١) (كَانَتْ) التَّوَلِيَّةُ إِلَيْهَا - (لَكِبِيرَةٍ) شَاقَّةٌ عَلَى النَّاسِ
 (إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) مِنْهُمْ (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ) أَي صَلَاتَكُمْ إِلَى بَيْتِ
 الْمَقْدِسِ بَلْ يَثْبِيحُكُمْ عَلَيْهَا لِأَن سَبَبَ نَزُولِهَا السَّوَالُ عَمَّنْ مَاتَ قَبْلَ التَّحْوِيلِ (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ)
 الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِيمٌ^(٢)) في عدم إضاعة أعمالهم ، والرَّافَةُ شِدَّةُ الرَّحْمَةِ وَقَدْ أَمَّا الْأَبْلَغُ

لِلْفَاصِلَةِ :

(قَدْ) لِلتَّحْقِيقِ (نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ) أَي تَصَرُّفَ وَجْهِكَ فِي جِهَةِ السَّمَاءِ
 تَطَلُّعاً إِلَى الْوَحْيِ ، وَتَشْرِقاً لِأَمْرِ بِمُسْتَقْبَالِ الْكَعْبَةِ وَكَانَ يَوَدُّ ذَلِكَ لِأَنَّهُ قِيلَ لِإِبْرَاهِيمَ وَلَئِنْ
 أَذَى إِلَيَّ إِسْلَامُ الْعَرَبِ (فَلَنَوَلِّيَنَّكَ) نَحْوَلْتُكَ (قِيلَ تَرْضَاهَا) تُحِبُّهَا (قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ
 الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) اسْتَقْبَلْ فِي الصَّلَاةِ نَاحِيَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَيِ الْكَعْبَةِ (وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ)
 عِظَمُوا لِلْأَمَةِ (فَقُولُوا حُرَّوْهُمْ) فِي الصَّلَاةِ (شَطْرَهُ) (وَأَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ
 أَنَّهُ) أَيِ التَّوَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ (الْحَقُّ) الْثَلَاثُ (مِنْ رَبِّهِمْ) لِمَا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ نَعْتِ النَّبِيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَنَّهُ يَتَّحَوَّلُ إِلَيْهَا (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ^(٣)) . [قِيلَتْ] بِالنَّاءِ أَيِ
 أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أُمَّتِهِ أَمْرُهُ ، وَبِالنَّاءِ أَيِ الْيَهُودِ مِنْ إِنْكَارِ الْقِيَلَةِ .

١٠٤٢

(وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ لَا يَشْعُرُونَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ عَلَى صِدْقِكَ فِي أَمْرِ الْقِيَلَةِ
 (وَلَوْ أَنَّ) أَيِ لَمْ يَشْعُرُوا (فَلَنَجْعَلَكَ) عِنْدَهُ (وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ فِيمَنْهُمْ) قَطَعَ لَطَمَعِهِ فِي إِسْلَامِهِمْ
 وَطَعْنَهُمْ فِي عَزِيمَتِهَا (وَمَا يَغْنَصُكُمْ يَتَابِعُ قِيلَةَ بَعْضُ) أَيِ الْيَهُودِ قَبْلَةَ النَّصَارَى وَبِالْعَكْسِ
 (فَلَنَجْعَلَكَ) أَمْرُهُمْ (الَّذِي) يَدْعُونَكَ إِلَيْهَا (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) الْوَحْيِ (لَأَنَّكَ
 إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ^(٤)) أَيِ إِنْ أَتَيْتَهُمْ قَرْضاً .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : تصوير ما ذكر من تحويل الرجال مكان النساء وتحويل النساء مكان الرجال لله الإِمام يتحول من مكانه في مُقَدِّمِ الْمَسْجِدِ إِلَى مُؤَخَّرِهِ ، لِأَن مِنْ اسْتَقْبَالِ

(١) ذهب الفراء إلى أن وَاوَهُ وَاللَّامُ مَعْنَى مَا وَلا ، وَالْبَعْرِيَّةُ يَقُولُونَ هِيَ إِنْ كَتَبْتَ غَفَّتْ . وَقَالَ الْأَخْفَشُ
 أَيِ وَإِنْ كَانَتْ التَّوَلِيَّةُ لَكِبِيرَةٍ (تفسير القرطبي ج ٢ ص ١٥٧) .

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣ . (٣) سورة البقرة آية ١٤٤ . (٤) سورة البقرة آية ١٤٥ .

الكعبة بالمدينة فقد استدبر بيت المقدس ، وهو لو دار كما هو مكانه لم يكن رطقتا سكاكاً .
يَسَعُ الصَّبُوفُ ، فلما تَحَوَّلَ الإمامُ تَحَوَّلَتِ الرجالُ حتى صَادُوا خَلْفَهُ وَتَحَوَّلَتِ النساءُ حتى
صِرْنَ خَلْفَ الرجالِ . وهذا يستلحق عَمَلًا كثيرًا في الصلاة . وَحُكْمُهُ أَنْ ذَلِكَ وَقَعَ قَبْلَ
تَحْرِيمِ الْعَمَلِ الْكَثِيرِ ، كما كانَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ ، وَحُكْمُهُ أَنْ يَكُونَ اخْتِصَارُ الْعَمَلِ
الْمَذْكُورِ لِأَجْلِ الْمَصْلُحَةِ الْمَذْكُورَةِ ، أَوْ لِمَ يَتَوَالَى الْخَطَأُ عِنْدَ التَّحْوِيلِ بَلَى وَهِيَ مُتَّفِقَةٌ .

الثاني : اِخْتِلَافٌ فِي تَارِيخِ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ ، فَقَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ كَمَا عِنْدَ الْبَخَارِيِّ (١) :
كَانَ عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةِ عَشَرَ شَهْرًا . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَمَا عِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ (٢) ،
وَأَبِي دَاوُدَ فِي نَاصِخِهِ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا . وَكَذَا قَالَ عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ (٣) كَمَا عِنْدَ الْبُزَارِيِّ وَالطَّبْرَانِيِّ .
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا كَمَا عِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبِي دَاوُدَ فِي نَاصِخِهِ ، وَالطَّبْرَانِيُّ وَالزَّهْرِيُّ كَمَا
عِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ كَمَا عِنْدَ الْإِمَامِ مَالِكٍ وَأَبِي دَاوُدَ فِيهِ ، وَابْنُ خُرَيْزٍ وَهَنَادَةُ
كَمَا عِنْدَ عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ عَشَرَ شَهْرًا . وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ
كَمَا عِنْدَ الْبُزَارِيِّ وَابْنِ خُرَيْزٍ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا . قَالَ الْحَافِظُ : « فَيُطْرَقُ الْجَمْعُ فِيهِ وَوَاوِيَّةُ
سِتَّةِ عَشَرَ وَسَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا » ، وَرَوَايَةُ الْمُثَنَّى فِي ذَلِكَ : أَنَّ مِنْ جَزَمَ سَبْعَةَ عَشَرَ لِقَاءَ مُلْكٍ شَهْرَ
الْقُدُومِ وَشَهْرَ التَّحْوِيلِ شَهْرًا وَالَّتِي (٤) الْأَيَّامُ الْوَاتِلَةُ نَا وَمِنْ الْجُزْمِ بِسَبْعَةِ شَهْرٍ تَحْتَمِلُهَا لِقَاءُ
وَمِنْ ذَلِكَ تَوَهَّدَ فِي ذَلِكَ ، وَفَلِذَاكَ أَنَّ الْقُدُومَ كَانَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ بِجَلَا تَخْلَافَ وَكَانَ التَّحْوِيلُ ١٠٤٣

بَعْدَ الْوُزَالِ فِي نِصْفِ شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَلَى الْمَطْلُوعِ فِي يَوْمِ ثَمَنِيَةِ رَجَبٍ مِنْهُ .
وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ : « سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا » وَثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ مَبْنِيٍّ عَلَى أَنَّ الْقُدُومَ كَانَ فِي ثَلَاثِ رَجَبِ الْأَوَّلِ ، وَأَسَانِيدُ رَوَايَةِ ثَلَاثَةِ عَشَرَ وَثَمَانِيَةِ
عَشَرَ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَغُشَّةُ أَقْهَرُ ، وَوَاوِيَّةُ شَهْرَيْنِ ، وَرَوَايَةُ سَنَتَيْنِ عَلَى الْأَسَانِيدِ طَائِفَةٌ .

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ١٧٧ ولفظه : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ تَحْوِيلِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي شَهْرِ
رَجَبٍ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا » .

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ١٧٦ .

(٣) في الأصل : عمرو بن عبيد بن الصديق بن الخزرجي (ج ١ ص ٤٤) وشرح المواهب (ج ١ ص ١٩١) ،
والراوي هو عمرو بن عوف الأنصاري حليف بني عامر بن لؤي صحابي يدرى روى عنه للمسود بن حمزة شيخنا وإمامنا .

(٤) في الأصل : « إل » والصواب من شرح المواهب (ج ١ ص ١٠٠) .

والاعتماد على [الثلاثة] (١) . [الأول] .

الثالث : اختُلف في أي شهر كان [التحويل القبلية] . فقال محمد بن حبيب (٢) : في نصف شعبان ، وهو الذي ذكره النووي في الروضة وأقره ، مع كونه رَجُح في شرحه على صحيح مسلم رواية سنة عشر شهراً لكونها مجزوماً بها عند مسلم (٣) . ولا يستقيم (٤) أن يكون ذلك في شعبان إلا بإلغاء شهرى القلوم والتحويل . ونجزم [موسى] بن عقيبته بأن التحويل كان في جمادى الآخرة (٥) .

الرابع : اختُلف في أي صلاة كان التحويل ، ففي الصحيح (٦) عن البراء بن عازب أن أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي صلاة العصر ، والأكثر على أنها صلاة الظهر . قال الحافظ : والتحقيق أن أول صلاة صلاها في بني سلمة . - بكسر اللام - الظهر ، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر ، وأما الصحيح فهو لأهل قباء .

الخامس : اختُلف في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس وهو بمكة ، فمهرى ابن ماجه عن طريق أبي بكر بن حياش عن البراء أنه قال : «صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثَمَانَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَصُرِفَتِ الْقِبْلَةُ إِلَى الْكَعْبَةِ بَعْدَ دُخُولِ الْمُنِيَّةِ بِشَهْرَيْنِ» . وظاهره أنه كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس مخفياً . وحكى النووي (٧) أن جعل الكعبة مخفية ظهره أو أنه جعلها بينه وبين بيت المقدس ، وعلى الأول فيمكن أن يجعل الميزاب خلفه . وعلى الثاني . كان يصلي بين الركنين الجائزين .

٢٤٠/٢

(١) إضافة من فترح المواهب (ج ١ ص ٤٠٠) .

(٢) غير (٣) هو أبو جعفر محمد بن حبيب بن أبية مولى بني العباس توفي سنة ٢٤٥ هـ وكان من علماء بغداد بالأنساب والأخبار والحدود . ولد في مدينة البصرة . له كتاب الفهرست (ص ١٩٥) ثبتا مطولا بمؤلفاته أكبرها كتاب القبائل والأيام الكبير ويقع في نحو أربعين جزءاً في كل جزء مائتا ورقة ، ومنها كتاب خلف القبائل ومؤلفها نشره وستفيلد في سنة ١٨٥٠ م وكتاب الخبر بالحالة المهمة والمؤيدة المشددة وهي مصنف في الفهرست بالغناء المعجمة وقد طبع في حيدرآباد سنة ١٣٦١ هـ ويشتمل على خلاصات تاريخية من السيرة والخلفاء ، وهو الذي يشير إليه المؤلف .

(٣) لم يزم النووي بذلك في شرحه على صحيح مسلم وإنما اكتفى بما أخرجه مسلم في صحيحه من رواية البراء بن عازب التي نص فيها على سنة عشر شهراً (ج ٥ ص ٩ : ١١) .

(٤) هذا كلام الحافظ ابن حجر .

(٥) أنافس الزركاني في شرحه على المواهب (ج ٢ ص ٢٩٩ : ٤٠٦) في تمحيص الروايات الخاصة بالتحديد الزمني لتحويل القبلة .

(٦) ينسب للمؤلف صحيح البخاري والمغني في ج ١ ص ١٧٧ .

وزعم ناس أنه لم يزل يستقبل الكعبة بمكة ، فلما قديم المدينة استقبل بيت المقدس ، ثم نسخ . قال الحافظ : « وهذا ضعيف ويلزم منه دعوى النسخ مرتين ، والأول أصح لأنه يجمع بين القولين . وقد صححه الحاكم وغيره . وحمل أبو عمر هذا القول على الثاني ويؤيده [في] حمله على ظاهره إمامة جبريل ، في بعض طرقه أن ذلك كان عند البيت . وروى ابن جرير وغيره بسند جيد قوي عن ابن عباس قال : « لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس » إلى آخره / ، وظاهره ١٠٤٤ أن استقبال بيت المقدس إنما وقع بعد الهجرة إلى المدينة ، لكن روى الإمام أحمد من وجه آخر عن ابن عباس قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس والكتابة بين يديه » . ورواه ابن سعد^(١) أيضاً وسنده جيد قوي والجمع بينهما يمكن بأن يكون أمر لما هاجر أن يستمر على الصلاة إلى بيت المقدس .

وقوله في حديث ابن عباس الأول : « أمره الله » يراد قول من قال : « إنه صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس باجتهاد » ، كما رواه ابن جرير عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف . وعن أبي العالية أنه صلى إلى بيت المقدس يتألف [بذلك] أهل الكتاب ، وهذا لا ينبغي إلا بتوقيف .

٥٣٠٤

السادس : الذين ماتوا قبل فرض الصلاة وقبل تحويل القبلة من المسلمين عشر أنفس : بمكة من قريش^(٢) [١] عبد الله بن شهاب [٢] والطلب بن أزهر ، الزهريان ، [٣] والسكران ابن عمرو العامري . ويأرض الحيشة منهم : [٤] خطاب بن الحارث الجمحي - خطاب بالحاء المهملة - [٥] وعمرو بن أمية الأسدي ، [٦] وعبد الله بن الحارث السهمي^(٣) .

(١) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦ وإسناده كما أورده ابن سعد : أخبرنا محمد بن عمر عن إبراهيم بن إسماعيل عن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس .

(٢) أورده الزرقاني في شرحه حل المواهب (ج ١ ص ٤٠٤) أسما هؤلاء المشركين وقد وضعنا لهم أرقاماً وراجعنا أسماهم في معجمات الصحابة .

(٣) يشترك في هذا الاسم أربعة عشر رجلاً ترجم لهم ابن الأثير في أسد القابة وليس فهم من هو من بني سهم سوي عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي وكان من مهاجرة الحبيشة ولكنه لم يمت بها بل استشهد يوم الخائف وقيل استشهد يوم إمامة (أسد القابة ج ٢ ص ١٣٩) هذا ولم يصر في تراجم السهميين الذين ذكر ابن إسحق أسماهم بن من هاجروا إلى الحبيشة (ابن هشام ج ١ ص ٣٥٠ : ٣٥١) أحد من مات بالحبيشة منهم .

[٧] وعزوة بن عبد العزى ، [٨] وعبد بن نضلة - بالنون والضاد المججمة - العلويان - ومن الأنصار بالمدينة : [٩] البراء بن معرور - بمهمات - ، [١٠] وأسعد بن زُرارة - فهؤلاء العشرة متفق عليهم ، ومات في المدة أيضا إياس بن مُعَاد الأشجلى لكنه مختلف في إسلامه .

السابع : وقع في رواية زهير بن معاوية في حديث البراء بن عازب رضى الله عنه في صحيح البخارى وغيره : أنه مات على القبلة - أى قبلة بيت المقدس من قبل أن تُحوّل [قِيلَ اليَتِّ (١)] - رجالٌ قُتِلُوا [فلم نَدِرْ ما نقول فيهم (٢)] . قال الحافظ : « ذَكَرُ الْقَتْلِ لَمْ يَرَهُ إِلَّا فِي رِوَايَةِ الزَّهْرِيِّ وَبَاقِي الرِّوَايَاتِ إِنَّمَا فِيهَا ذِكْرُ الْمَوْتِ فَقَطْ ، وَلَمْ أَجِدْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَخْبَارِ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قُتِلَ قَبْلَ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ ، لَكِنْ لَا يَلِزَمُ مِنْ عَدَمِ الذِّكْرِ عَدَمُ الْوُقُوعِ ، فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ مَحْفُوظَةً فَتَحْتَمِلُ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَشْتَبِهْ قُتْلُ فِي تِلْكَ الْمَدَّةِ فِي غَيْرِ الْجِهَادِ وَلَمْ يُضْبَطْ لِقَلَّةِ الْإِعْتِنَاءِ بِالتَّارِيخِ إِذْ ذَاكَ » . قال : « ثُمَّ وَجَدْتُ فِي التَّارِيخِ ذِكْرَ رَجُلٍ اخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِهِ وَهُوَ سُؤَيْدُ بْنُ الصَّامِتِ (٣) » ، فذكر ما تقدم في بدء إسلام الأنصار . ثم قال الحافظ : « فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُرَادُ » قال : وذكر لي بعض الفضلاء أنه يجوز أن يراد من قُتِلَ بمكة من المُتَضَمِّعِينَ كَأَبُو عَمَّارٍ فَلَقْتُ بِحِجَاجٍ إِلَى ثَبُوتِ أَنَّ / قَتْلَهُمَا بَعْدَ الْإِسْرَاءِ

البيان : في بيان حَرْبِهِ مَاسْبِقُ : « حَبِجْ » ، بكسر الحاء المهملة وفتح الجيم الأولى وحشر الثانية [أَيْ اسْتَبَقَ] قِيلَ : « ثَبِتَ » - بكسر القاف وفتح التوحدة - أى جَهَنَّهُ . « مَعْرُورٌ (٤) » بِحَبِجٍ مَهْلِكَةٍ وَخَالَاتُ الْقِبْلَةِ ضَا وَكُتُّهَا .

- (١) زيادة من تفسير القرطبي (ج ٢ ص ١٤٨) .
(٢) زيادة من شرح المواب. وأصناف الزرقاني (ج ١ ص ٤٠٥) : « ثُمَّ تَدْرِي نَقُولُ قَتْلَهُ قَاتِلُ اللَّهِ : وَمَا كَانَ اللَّهُ يَرْجُو إِسْلَامَهُ » .
(٣) هو سُؤَيْدُ بْنُ الصَّامِتِ بْنِ خَالِدِ الْأَنْصَارِيِّ الْأَوْسِيِّ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ قَدِمَ مَكَّةَ حَاجًّا أَوْ مُحَضَّرًا فَصَبَّأَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِهَانًا إِلَى اللَّهِ بِزَيْلٍ إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ لِسُؤَيْدٍ لِمَ لَمْ تَكُنْ مَعَهُ الْقِيَامَةَ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا الَّذِي سَبَكَ ؟ قَالَ جَلَّةُ لَعْنَتِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْرَضَ عَنِّي فَغَضِبْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ حَسَنٌ وَالَّذِي مَعِيَ أَفْضَلُ مِنْهُ : « قَرَأَنَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ وَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَبْدُ ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فَلَمْ يَلِكْ أَنْ قَتَلَهُ الْخَزَرَجُ فَكَانَ رِجَالٌ مِنْ قَوْمِهِ يَقُولُونَ إِنَّا لَنَرَاهُ مَاتَ سَبِيلًا (أَبَدَ الْعَابَةِ ج ٢ ص ٢٧٨) » .
(٤) مناجاة النوى كذا ذكره ابن دويد في الإشتقاق (ص ٤٦٤) : « بِعَرُوبٍ مَفْعُولٌ مِنْ قَوْلِهِ عَرِهَ بِشَرِّ جَعْرٍ إِذَا لَعَنَهُ بِهِ وَقَلَّ مِنْهُ النَّاسُ أَوْ يَلْتَابُوهُ » .

جُمَاعُ أَبْوَابِ بَعْضِ أُمُورِ دَارَتِ
بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ
وَنُزُولِ صَدْرٍ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْقُرْآنِ فِي ذَلِكَ

الباب الأول

في أخذ الله سبحانه وتعالى العهد عليهم في كتبهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، إذا جاءهم ، واعتراف جماعة منهم بنبؤته ، ثم كثر كثير منهم بنياً وعناداً

فذكرت أحاديث كثيرة في أول الكتاب وأذكر ما لم أذكر هناك . قال الله سبحانه وتعالى « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإني أوفى بالعهد »^(١) روى ابن إسحق وابن جرير وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وابن المنذر عن ابن مسعود رضي الله عنه في الآية ، قال الله تعالى للأخبار من يهود : « اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم » أي من بلائي عنكم وعند آبائكم لما كان نجاهم به من فرعون وقومه : « وأوفوا بعهدي » الذي أخذت في أعناقكم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم إذا جاءكم « أوف بعهدكم »^(٢) يقول : أرض عنكم وأدخلكم الجنة . وروى ابن جرير عن أبي العالية في الآية قال : يقول : « يا معشر أهل الكتاب ، آمنوا بما أنزلت على محمد مصدقاً لما معكم لأنهم يجدونه عندهم مكتوباً في التوراة والإنجيل ، ولا تكونوا أول كافرين ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم . وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « ولا تلبسوا الحق بالباطل »^(٣) أي لا تخلطوا الصدق بالكذب « وتكفوا الحق وأنتم تعلمون »^(٤) أي لا تكفوا الحق وأنتم قد علمتم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله . وروى عبد بن حميد عن قتادة قال : « لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام وأنتم تعلمون

(١) سورة البقرة آية ٤٠ .

(٢) أوف بمعهدكم أي يرضع ما كان عليكم من الآصار والأغلال التي كانت في أعناقكم بلنؤيك التي كانت من أحداكم وقال أبوالمعالية : عهدك إلى عباده دين الإسلام وأن يتبعوه (تفسير ابن كثير ١ ص ٨٣) .

(٣) من الآية ٤٢ من سورة البقرة .

(٤) من الآية ٤٢ من سورة البقرة .

أن دين الله الإسلام ، وأن اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله تعالى : « وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » ، أنه رسول الله « يَجْلُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لِمِ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمِ الْخَبَائِثَ ^(١) » وروى ابن جرير عن السدي في قوله « وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ » قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم . وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : . وَصَفَ اللَّهُ مُحَمَّدًا فِي التَّوْرَةِ ، أَكْحَلُ الْعَيْنِ ، رَيْعَةٌ ، جَعَدَ الشَّعْرَ ، حَسَنَ الْوَجْهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَدَهُ أَحْبَارُ يَهُودَ ، فَغَيَّرُوا صِفَتَهُ فِي كِتَابِهِمْ وَقَالُوا : لَا نَجِدُ نَعْتَهُ عِنْدَنَا ، وَقَالُوا : نَجِدُ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ طَوِيلًا أَزْرَقَ سِنَطَ الشَّعْرِ ، وَقَالُوا لِلسُّفْلَةِ : « لَيْسَ هَذَا نَعْتُ النَّبِيِّ الَّذِي يُحَرِّمُ كَذَا وَكَذَا » كَمَا كَتَبُوهُ ، وَغَيَّرُوا نَعْتَهُ هَذَا كَمَا وَصَفَ ، فَلَبَسُوا بِذَلِكَ عَلَى النَّاسِ . وَإِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ لِأَنَّ الْأَحْبَارَ كَانَتْ لَهُمْ مَأْكَلَةٌ يُطْعِمُهُمْ بِهَا السُّفْلَةُ لَقِيَامِهِمْ عَلَى التَّوْرَةِ ، فَخَافُوا أَنْ يُؤْمِنَ السُّفْلَةُ فَتَقْطَعَ تِلْكَ الْمَأْكَلَةَ .

وروى البيهقي عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة رضي الله عنهم قالوا : « كَانَتْ الْعَرَبُ تَعْرِى الْيَهُودَ فَيُؤْذِنُهُمْ ، وَكَانُوا يَجْلِسُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَةِ فَيَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَبْعَثَهُ فَيُقَاتِلُونَ مَعَهُ الْعَرَبَ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ كَفَرُوا بِهِ حِينَ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ » . وروى ابن إسحق وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وأبو نعيم عنه من طُرُقٍ ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وأبو نعيم عن قتادة : أن يهود أهل المدينة قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا إِذَا قَاتَلُوا مِنْ يَلِيهِمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ مِنْ أَسَدٍ وَغَطَفَانَ وَجُهَيْنَةَ وَعُلْرَةَ يَسْتَفْتِحُونَ يَذْهَبُونَ إِلَى اللَّهِ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَقُولُونَ : « اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَنْصِرُ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ لَا نَصْرَتَنَا عَلَيْهِمْ » ، فَيَنْصَرُّونَ . وَكَانُوا يَقُولُونَ : « اللَّهُمَّ ابْعَثْ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي نَجِدُهُ فِي التَّوْرَةِ الَّذِي وَعَدْتَنَا أَنَّكَ بَاعِثُهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ » . فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا ، كَفَرُوا بِهِ حَسَدًا لِلْعَرَبِ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ،

ويُشِرُّ مِنَ الْبِرَاءِ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ^(١) : « يَا مَعْشَرَ يَهُودِ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْلِمُوا ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ وَنَحْنُ أَهْلُ شِرْكٍ وَتَجْهَرُونَ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ وَتَصِفُونَهُ [لَنَا] بِصِفَتِهِ .

وروى ابن جرير ، وابن المنذر عن ابن جُرَيْجٍ عَنْ بَعْضِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، قَالَ : « وَاللَّهِ لَنَحْنُ أَخْرَفُ بِرَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ الصِّفَةِ وَالنُّعْتِ الَّذِي نَجِدُهُ

فِي كِتَابِنَا ، أَمَا أَبْنَاؤُنَا فَلَا نَسَرُّ مَا أَحَدَّثَ النِّسَاءُ » / وروى ابن إسحق ، والبيهقي ، ١٤٧ وأبو نُعَيْمٍ عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَّيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : « لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ أَبِي وَعْصَى أَبِي يَاسِرٍ أَحَبَّ إِلَيْهِمَا مِنِّي ، لَمْ أَقْهَمَا قَطُّ مَعَ وَلَدٍ لَهَا إِلَّا أَخَذَنِي دُونَهُ . فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قُبَاءَ قَرِيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ غَدَا إِلَيْهِ أَبِي ، حُيَّيُّ ابْنُ أَخْطَبَ وَعْصَى أَبُو يَاسِرٍ بَنَ أَخْطَبَ مُخْلِصِينَ ، فَوَاللَّهِ مَا جَاءَنَا إِلَّا مَعَ مَغِيبِ الشَّمْسِ ، فَجَاءَنَا بِأَمْرِ أَبِي كَبْشَةَ [كَالْتَيْنِ كَسَلَتَيْنِ^(٢)] سَاقِطَيْنِ عِشْيَانِ الْهُوْنِيِّ . فَهَشِشْتُ إِلَيْهِمَا كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ ، فَوَاللَّهِ مَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، فَسَمِعْتُ عَمِّي أَبَا يَاسِرٍ وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي حُيَّيٍّ بَنَ أَخْطَبَ : أَهْوَ هُوَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَتَعْرِفُهُ بِنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَاللَّهِ . قَالَ : فَمَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ ؟ قَالَ : عِدَاوَتُهُ وَاللَّهِ مَا بَقِيَتْ » .

وذكر ابن عُقْبَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ : « إِنْ أَبَا يَاسِرٍ بَنَ أَخْطَبَ حِينَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ذَهَبَ إِلَيْهِ فَسَمِعَ مِنْهُ وَحَادَثَهُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا قَوْمَ أَطِيعُونِي فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَاءَكُمْ بِالَّذِي تَنْتَظِرُونَهُ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تُخَالَفُوهُ . فَاذْهَبُوا إِلَى أَخِي حُيَّيٍّ بَنَ أَخْطَبَ هُوَ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ سَيِّدُ يَهُودٍ ، وَهُمَا مِنْ بَنِي النَّضِيرِ ، فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَمِعَ مِنْهُ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، وَكَانَ فِيهِمْ مَطَاعًا . فَقَالَ : أَتَيْتُ مَنْ عِنْدَ رَجُلٍ وَاللَّهِ لَا أَزَالُ لَهُ عَلُوًّا . فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ أَبُو يَاسِرٍ : يَا ابْنَ [أُمِّ] أَطِيعْنِي فِي هَذَا الْأَمْرِ وَأَعِصْنِي فِي مَا شِئْتُ بَعْدَ لَأْمِهِ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَطِيعُكَ . فَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ ، وَتَبِعَهُ قَوْمُهُ عَلَى رَأْيِهِ » .

وروى عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد المستند عن جابر بن سمرّة رضى الله عنه ،

(١) في الأصل : داود بن سلمة وليس في أصل النسخة ولا في الإصاحبة من يسمى بهذا الاسم ، والتصويب من ابن هشام .

٢٠ ص ١٧٣ .

(٢) زيادة من ابن هشام ٢ ص ١٤٠ .

أنه قد جاء جَرَمَقَانِي^(١) إلى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال : أَيْنَ صَاحِبُكُمْ هذا الذى يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، لئن سَأَلْتُهُ لَأَعْلِمَنَّ نَبِيٌّ هو أو غير نبي . ثم قال الجَرَمَقَانِي : « هذا والله الذى جاء به موسى » ، الجَرَمَقَانِي بجيم مفتوحة فراء ساكنة فميم مفتوحة ففاف فالف فنون ، منسوب إلى الجرامة . قال فى الصحاح : قَوْمٌ بِالْمَوْصِلِ أَصْلُهُمُ مِنَ الْعَجَمِ ، وقال غيره : وجرامة الشام أُنْبَاطُهَا .

وروى البيهقي عن ابن عباس رضى الله عنهما أن حَبْرًا من أحبار اليهود دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فواقفه يقرأ سورة يوسف فقال : « يا محمد مَنْ عَلَّمَكَهَا ؟ » قال : « الله عز وجل عَلَّمَنِيهَا » ، فَعَجِبَ الْحَبْرُ لِمَا سَمِعَ / منه . فرجع إلى اليهود فقال : « إن محمداً ليقرأ القرآن ، كما أنزل في التوراة » . فانطلق جماعة منهم حتى دخلوا عليه ففرفروه بالصفة ، ونظروا إلى خَاتَمِ النبوة بين كَتِفَيْهِ ، فجعلوا يستمعون إلى قراءته لسورة يوسف ، فتعجبوا منه وأسلموا عند ذلك .

وذكر محمد بن عمر الأسلمي أن النعمان السبيعي^(٢) وكان من أحبار يهود اليمن فلما سمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم أقدم عليه فسأله عن أشياء ، ثم قال له : « إن أبى كان يَحْنُمُ على سيفٍ ويقول : « لا تَقْرَأْهُ على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب ، فإذا سَمِعْتَ بِهِ فافتحه » . قال النعمان : « فلما سمعتُ به فتحتُ السِّفْرَ فإذا فيه صِفَتُكَ كما أَرَاكَ الساعة ، وإذا فيه مَاتِحِلٌ ومَاتِحَرَمٌ ، وإذا فيه أنك آخر الأنبياء ، وأَمَتُكَ آخر الأمم ، واسمُكَ أحمد ، وأَمَتُكَ قُرْبَانُهُمْ دِمَاؤُهُمْ ، وَأَنَاجِلُهُمْ صُدُورُهُمْ ، لَا يَحْضُرُونَ قِتَالًا إِلَّا وَجِبْرِيلُ مَعَهُمْ ، وَيَتَحَنَّنُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ كَتَحَنَّنَ الطَّيْرُ عَلَى أَقْرَابِهِ » ، ثم قال لى : إذا سَمِعْتَ بِهِ فَاخْرُجْ إِلَيْهِ وَصِدْقُهُ » . وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُحِبُّ أَنْ يُسْمَعَ

(١) جرمقاني ضبطت في القاموس المحيط واللسان : بضم كل من الجيم والميم ، كما وردت أيضاً بهذا الضبط في الحرب الجرماني (ص ٩٤) . وهو مخالف لضبط المؤلف .

(٢) النعمان السبيعي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما عاد إلى قومه قتل الأسود العنسي الذي تبنّى في حركة الردة ، نقل هذا ابن الأثير في أسد الغابة (٥ ص ٢٥) عن كتاب الردة للواقدي .

أَصْحَابِهِ حَدِيثَهُ . فَاتَّاهَ يَوْمًا فَقَالَ : « يَا نُعْمَانُ حَدِّثْنَا » ، فَأَبْتَدَأَ الْحَدِيثَ مِنْ أَوَّلِهِ ،
فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَبْتَغِي ، ثُمَّ قَالَ : « أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ » . وَيُقَالُ إِنَّ
النُّعْمَانَ هَذَا هُوَ الَّذِي قَتَلَهُ الْأَسْوَدَ الْعَنَبِيُّ الْكَذَّابَ وَقَطَّعَهُ عَضْوًا عَضْوًا ، وَالنُّعْمَانُ يَقُولُ :
« أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ » ، وَأَنْتَ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
ثُمَّ حَرَّقَهُ بِالنَّارِ ، وَالْآثَارُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ لَا تُحْصَى .

الباب الثاني

في إسلام عبد الله بن سلام بن الحارث أبي يوسف^(١)

وهو من ذرية سيدنا يوسف الصديق عليه السلام حليف القواقل من الخزر ج ، الإسرائيلى ثم الأنصارى رضى الله عنه . كان اسمه الحَصِين فَغَيَّرَهُ النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان عالم أهل الكتاب ، وكان إسلامه في اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أبي أيوب أول أقدم ، كما في رواية عبد العزيز بن صهيب عند البيهقي . وروى ابن إسحق عن رجل من آل عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال : « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بقباء في بنى عمرو بن عوف . فأقبل رجل حتى أخبر بقدمه .. » الحديث . ١٠٤٩ وفيه : « فخرجت إلى رسول الله / صلى الله عليه وسلم - فأسلمت ورجعت إلى أهل بيتي . قال الحافظ عماد الدين بن كثير^(٢) : « فَلَمَّا رآه أول ما رآه بقباء واجتمع به بعد ما صار إلى دار بنى النجار والله أعلم » .

وروى البخارى والبيهقي عن أنس ، وابن إسحق عن رجل من آل عبد الله بن سلام ، والإمام أحمد ، ويعقوب بن سفيان عن عبد الله بن سلام ، والبيهقي عن موسى بن عُبَيْة وعن ابن شهاب ، قال : لما سَمِعْتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم - وعرفت صفته واسمه وهيبته [وزمانه] الذى كنا نَتَوَكَّفُ له^(٣) ، فكنت مُسِرًّا بذلك صامتاً عليه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم - المدينة ، فلما قدم نزل بقباء في بنى عمرو بن عوف ، فأقبل

(١) قصة إسلامه في سيرة ابن هشام (٢- ص ١٣٨ و ١٣٩) وشرح السبيل (٢- ص ٢٥ و ٢٦) والبداية والنهاية (٣- ص ٢١٠ : ٢١٢) وأخرج البخارى في صحيحه (٥- ص ١١٩ : ١٢٠) ثلاثة أحاديث في مناقبه ، وترجم له ابن الأثير في أسد الغابة (٣- ص ١٧٦ : ١٧٧) وابن حجر في الإصابة (٤- ص ٨٠ : ٨١ رقم ٤٧١٦) وقد نافع عن عثمان يوم الدار وتوفي بالمدينة سنة ٤٣ هـ .
(٢) في البداية والنهاية (٣- ص ٢١٠) .
(٣) في الأصل تنوع والتصويب من ابن هشام وابن كثير ، وتوكت الخبر انتظر وكفه له وقومه . قاله في النهاية (٤- ص ٢٢٨) .

رجل حتى أخبره بقدومه ، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها ، وعمتي خالدة بنت الحارث فتحنى جالسة . فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم - كبرت : فقالت عمي حين سمعت تكبيري : « لو كنت سمعت موسى بن عمران ما زدت » . قلت لها : « أي عمّة وهو ، الله أخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ، بُعث بما بُعث به » . فقالت له : « يا ابن أخي ، أهو النبي الذي كنتنا نُخبر أنه يُبعث مع نفس^(١) الساعة ؟ » قلت لها : « نعم » . قالت : « فذاك إذا » . قال : « فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما تبَيَّنَتْ وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب ، فكان أول شيء سمعته يقول : « افشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » . [وعند البيهقي عن أنس قال : سمع عبد الله بن سلام بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم - فأتى النبي^(٢)] فقال : « إني سائلك^(٣) من خلال لا يعلمهن إلا نبي : ما أول أشراط الساعة ، وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما جال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه ؟ وما هذا السواد الذي في القمر ؟ قال : وأخبرني بهن جبريل أنفاً . قال : « جبريل » ؟ قال : « نعم » . قال « عدو اليهود من الملائكة » . « ثم قرأ^(٤) : (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ^(٥)) » قال : « أما أول أشراط الساعة : فنارٌ تخرج على الناس من المشرق [تسوقهم^(٦)] إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة : فزيادة كبد حوت ، وأما الولد : فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد ، وأما السواد الذي في القمر : فلهما كانا شمسيتين . قال الله تعالى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ^(٧)) فالسواد الذي رأيت هو المَحْوُ » . فقال : « أشهد ألا إله إلا الله وأَنَّك رسول الله » . ثم رجع إلى أهل بيته فأمرهم فأسلموا وكنم لإسلامه . ثم خرج إلى رسول الله صلى الله عليه / عليه وسلم لحقاًل : « يارسول ١٠٥٠

(١) في النهاية (٤ ص ١٦٤) : بعث في نفس الساعة أي بعث وقد خان قيامها . وقرب إلا أن الله أمرها عليلاً

فيحى في ذلك النفس ، فأطلق النفس على القرب .

(٢) زيادة من البداية والنهاية (٣ ص ٢١١) .

(٣) في الأصل : إني سائلك عن ثلاث وق لفظ خلل ، وحديثا أربع وليست بثلاث .

(٤) زيادة من البداية والنهاية (٣ ص ٢١١) .

(٥) من الآية ٩٧ من سورة البقرة .

(٦) من الآية الثانية عشرة من سورة الأنعام .

الله، إن اليهود قد علمت أني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، وأنهم قوم بُهت، وأنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسلم عني يَهْتَوِي، وقالوا في ما ليس في، فأحب أن تَدْخِلَنِي بعض بيوتك، فأدخله رسول الله بعض بيوته، وأرسل إلى اليهود فدخلوا عليه فقال: «يا معشر يهود يا ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله قد جئتكم بالحق فاسلموا». فقالوا: ما نعلمه. فقال: «أي رجل فيكم الحُصَيْن ابن سَلَام؟» قالوا: «خَيْرُنَا وابنُ خَيْرِنَا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا». فقال: «أرأيتم إن أسلم» قالوا: «أعاذ الله من ذلك». فقال: «يا ابن سَلَام اخرج إليهم» فخرج عبد الله فقال: «أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله حقاً، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة: اسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله وأووين به وأصدقُه وأعزُّه. قالوا: «كَلَبْتَ أَنْتَ شَرَّنَا وابنُ شَرَّنَا»، وانتقصوه. قال: «هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله، أَلَمْ أَخْبِرْكَ أَنَّهُمْ قَوْمٌ بُهت، أَهْلٌ غَلَرٍ وَكَلِبٍ وفجور؟» قال: «وأظهرتُ إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث وحسن إسلامها».

[بيان غريب ما سبق^(١)]

«نفس الساعة» بفتح النون والفاء، أي بُعِثَتْ وقد حان وقت قيامها وقرب، إلا أن الله أخرها قليلاً، فَبَعَثْنِي في ذلك النَّفْس، فأطلق النَّفْس على القُرْب. وقيل معناه: أنه جعل للساعة نَفْساً كَنَفْس الإنسان، أراد: أني بُعِثْتُ في وقت قريب مِنْهَا أَحْسُ فيه بِنَفْسِي كما يُحْسُ بِنَفْس الإنسان إذا قُرِبَ [المزمع] منه. يعني بُعِثْتُ في وقت بانته أشراطها فيه. وظهرت علاماتُها^(٢). «نزع» إلى أبيه في الشَّبه أي ذَهَبَ. «بُهت»: جَمَعَ بِهِوت من بُهْتَانِ المبالغة في البُهْت. مثل صَبُورٍ وَصَبِيرٍ، ثم سُكِّنَ تخفيفاً بوالْبُهْتِ الكذب [والافتراء^(٣)].

(١) زيادة عن الأصل جرياً على عادة المؤلف في شرح غريب ما يذكره.

(٢) هذا الشرح نقله المؤلف عن النهاية (٤ ص ١٦٤) وقد أوردنا جانباً منه في حاشية سابقة. وأضاف ابن الأثير: ويروي في نسق الساعة، وعنه (٤ ص ١٤١) أن التسم أول هبوب الريح الضميمة أي بهت في أول أشراط الساعة وضمعت مجيئها، وقيل هو جمع نسة أي بهت في ذوى أرواح خلقهم الله تعالى قبل اقتراب الساعة كأنه قال في آخر النشوء من آدم...

(٣) زيادة من النهاية غير أن كلمة بهت لا تعني فصح الكذب أو الافتراء بل الباطل الذي يتحير من بطلانه كما نص على ذلك الفيرزباني في القاموس، وابن الأثير في النهاية. كاتبة أيضاً الحيرة والانقطاع.

الباب الثالث

في مواعده صلى الله عليه وسلم اليهود ، وكتبه بينه وبينهم كتاباً بذلك ، ونصّبهم
المدواة له ولأصحابه حسداً وعدواناً ، ونقصهم للعهد

قال ابن إسحق^(١) : « وكتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتاباً بين المهاجرين
والأنصار وأدّخ فيه يهود وعاهدتهم وأقرهم على دينهم وأمواهم واشترط / عليهم وشرطهم » . ١٠٥١
أى لما امتنعوا من اتباعه ، وذلك قبل الإذن بالقتال وأخذ الجزية ممن أبى الإسلام ،
وذكر ابن إسحق نسخة الكتاب وهو نحو ورقتين^(٢) بغير إسناد ، ورواه أبو عبيد^(٣)
في كتاب الأموال^(٤) بسند جيد عن الزهري ، ولعلّ أذكره في أبواب مكاتباته - صلى الله
عليه وسلم - .

(١) سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ١١٩) .

(٢) من ص ١١٩ إلى ص ١٢٣ من الجزء الثاني من سيرة ابن هشام .

(٣) هو أبو عبيد القاسم بن سلام القنوي الفقيه الأديب . أورد ابن النديم في الفهرست (ص ١٠٦) ثبناً بمؤلفاته . وحيداً
لونشر غريب المصنف وغريب الحديث . توفي بمكة سنة ٢٢٣ هـ أو ٢٢٤ هـ في خلافة المصنم . ترجم له ابن خلكان (ج ١
ص ٤١٨ : ٤١٩) . والقفا في إنباء الرواة (ج ٣ ص ١٢ : ٢٣) كما ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد (ج ١٢
ص ٤٠٣ : ٤١٦ رقم ٦٨٦٨) والتاج السبكي في طبقات الشافعية (ج ١ ص ٢٧٠ : ٢٧٤) .

(٤) في النسخة المطبوعة من كتاب الأموال التي نشرها المرحوم الشيخ محمد حامد الفتى في القاهرة ١٣٥٣ هـ يستغرق
نص هذا الكتاب بين المهاجرين والأنصار واليهود الصفحات من ص ٢٠٢ إلى ٢٠٦ وقد راجعناه على ما أوردته محمد بن
إسحق في سيرة ابن هشام وأبى كثير في البداية والنهاية (٣ ص ٢٢٤ : ٢٢٦) وحقق النص بالرجوع إلى مصادر
مختلفة عند حميد الله الحيدر إبانى في كتابه : مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة (القاهرة سنة ١٩٤١ م
ص ١ : ٧) وقد رقم ما جاء فيه إلى مواد بلغت عدتها ٤٧ مادة وتوجد بعض الاختلافات والزوائد بين هذه النصوص
فصلنا عن أخطاء غير قليلة فيما جاء في البداية والنهاية طبعة القاهرة سنة ١٩٣١ م .

ونورد في هذه الحاشية نص هذه الوثيقة الهامة التي هي أولى وثائق التاريخ الإسلامي كما أوردناها باستنادها أبو عبيد القاسم
ابن سلام الذي اعتمد عليه حميد الله إلى حد كبير في تحقيق نصها كما يتضح من الحواشي التي ذيل بها النص .

قال أبو عبيد : حدثني يحيى بن عبد الله بن بكير ، وعبد الله بن صالح قالوا : حدثنا الليث بن سعد قال : حدثني عقيل
ابن خالد عن ابن شهاب (الزهري) أنه قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب بهذا الكتاب :

« هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم ، فليق بهم ، فلي =

وروى ابن عائذ عن عروة بن الزبير : أن أول من أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من اليهود أبوباسر بن أخوخبي بن أخطوب ، فسمع منه ، فلما رجع قال لقومه :

« معهم وجاهد معهم : إنهم أمة واحدة دون الناس : المهاجرون من قريش على رباعتهم يتناقلون بينهم معاقلمهم الأول وهم يقدون عائتهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين والمسلمين ، وينوعون على رباعتهم يتناقلون معاقلمهم الأول وكل طائفة منهم تلقى عائتها بالمعروف والقسط بين المؤمنين - ثم ذكر هذا الشرط لكل يطن من بطون الأنصار وأهل كل دار وهم : بنو الحارث بن الخزرج ، وبنو ساعدة ، وبنو جشم ، وبنو النجار ، وبنو عمرو بن عوف ، وبنو النبيت ، وبنو الأوس إلى أن قال : - وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً (أى مثقلاً بالدين) منهم أن يمتنعوا بالمعروف في فداء أو عقل ، وإن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من يفتى وأبنتى منهم دسيمة [أى عطية] ظلم أو إثم أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه حسيمة ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنة في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن . والمؤمنون بعضهم موالى بعض دون الناس . وأنه من تبنا من اليهود فإن له المعروف والأموه غير مظلومين ولا متناصر عليهم . وأن سلم المؤمنين واحد ولا ينال مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم ، وأن كل غازية غزت يعقب بعضهم بعضاً ، وأن المؤمنين يرون [أى يكف] بعضهم عن بعض بما نال دماهم في سبيل الله [هذه المسألة في ابن هشام : وليست في كتاب الأموال] ، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وأنه لا يجير مشرك ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن ، وأنه من احتبط مؤمناً قتلاً [عن بيته] فإنه قود به إلا أن يرضى وله المقتول بالمقتل . وأن المؤمنين عليه كلفة [ولا يحمل لهم إلا قيام عليه] ، وأنه لا يحمل لمؤمن أثر بما في هذه الصحيفة أو آمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو يؤذيه ، فمن نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه إلى يوم القيامة لا يقبل منه صرف ولا عدل ، وأنكم ما اخطأتم فيه من شيء فإن حكمة إلى الله والرسول ، وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يهود بني عوف ومواليهم وأنفسهم أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم والمؤمنين دينهم إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يورث إلا نفسه وأهل بيته وإن لليهود بني النجار مثل ما لليهود بني عوف - وكذلك لليهود كل من بني الحارث وبني جشم وبني ساعدة والأوس - وأنه لا يخرج أحد منهم إلا بإذن محمد [وأنه لا ينسحب على ثأر جرح وإنه من فكك فينفسه فكك وأهل بيته إلا من ظلم وإن الله على أبر هذا وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم] وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة [وإن بينهم التنصع والتصحبة والبر حوزة الإيم وأنه لم يأت أمرى بخليفه] وإن النصر للمظلوم وإن المدينة جوفها حرم لأهل هذه الصحيفة [وإن الجار كالنفس غير حضار ولا أثم وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها] وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث [أو اشتجار] غفاته فبطله فإني يزده إلى الله وإلى محمد رسول الله [وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وإن الله على أتق ما في هذه الصحيفة وأبره] وإن بينهم النصر على من دهم يغرب وإنهم إذا دعوا اليهود إلى صلح حليف لم فإنهم يصلحونه وإن دعيت إلى مثل ذلك فإن لم يجل للمؤمنين إلا من حارب في الدين وعلى كل أناس حصتهم من الثقة وإن يهود الأوس ومواليهم وأنفسهم [صل مثل جازيل هذه الصحيفة] مع البر الحسن [عند حميد الله : مع البر الحنف] من أهل هذه الصحيفة ، وإن بني الشطيعة يطن من صفين وإن البر جود الإيم فلا يكسب كاسب إلا على نفسه وإن الله على أصب ما في هذه الصحيفة وأبره [وأنه لا يحول هذا الكتاب جود ظالم ولا أثم وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن [بالمدية] إلا من ظلم وأثم وإن أولاهم بهذه الصحيفة البر الحميم .] عند حميد الله بدلا من الجملة الأخيرة : وأن الله جار لمن ير واتى ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . »

قال أبو عبيد : قوله بنو فلان على رباعتهم : الرباعية هي الماقل وقد يقال فلان على رباعة قومه إذا كان المثلث لا مؤمنين في قوله على الأبراء فيما بينهم . وقوله : إن المؤمنين لا يتركون مفرحاً في فداء أو عقل ، المفرح : المثقل بالدين . يقول : فطلم أن يمتنعوا وإن كان أسيراً منك من إسماره وإن كان جنى جنابة خطأ عقلاً عنه . وقوله : ولا يجير مشركاً مالا لقريش . يعني لليهود بالدين . وكان وأدهم يقول غلب من موادعتهم أن يجيروا أموال أعدائهم ولا يتنصروهم عليه . وقوله : من اجتبط مؤمناً قتلا فهو قود . الاعتباط : أن يقتله بغير ما حرم الله . وأصل الاعتباط في الإبل أن تنجر بلا داء يكون بها . وقوله : لا أن يزني من أولاه المقتول بالمقتل فتد . جعل النبي صلى الله عليه وسلم الخيار في القود أو الدية إلى أولياء القتيل . وهذا مثل حديثه الآخر : =

« أطيعوني فإن هذا هو النبي الذي كنّا ننتظره » وعصاه أخوه ، وكان مطاعاً فيهم ، فاستحوذ عليهم الشيطان فطاعوه .

وروى أبو سعيد النيسابورى في الشرف عن سعيد بن جبير قال : « جاء ميمون بن يامين ، وكان رأس يهود ، إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « يا رسول الله ابعث إليهم واجعلني حكماً بينهم فإنهم يرجعون لي » فأدخله داخلاً ، ثم أرسل إليهم ، فأتوه ، فخطبوه ، فقال : « اختاروا رجلاً يكون حكماً بيني وبينكم » . قالوا : « قد رخصينا ميمون ابن يامين » . فلما خرج إليهم قال : « أشهد أنه رسول الله » . فأبوا أن يُصدقوه . وروى الإمام أحمد والشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : « قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لو آمن بي عشرة من أحبار يهود لآمن بي كل يهودى على وجه الأرض » .

وزوى ابن أبي حاتم وأبو سعيد النيسابورى وزاد في آخره قال : « وقال كعب : اثني

« ومن قتل له قتيل فهو بأحد النزين إن شاء قتل وإن شاء أخذ الدية » . وهذا يرد قول من يقول : ليس لقول في الصمد أن يأخذ الدية إلا يطيب نفس من القاتل ومصالحة منه له عليها . وقوله : ولا يحمل المؤمن أن ينصر محمداً . أو يؤويه : الحديث : كل من أتى حداً من حدود الله فليس لأحد منه من إقامة الحد عليه . وهذا شيء يقوله الآخر : « من حالت شفاعة دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره » . وقوله : لا يقتل منه صرف ولا عدل : الصرف التوبة والعدل القدية . قال أبو سعيد : وهذا أصب إلى من قولين يقول الصرف الترضية والعدل التناقلة لقول الله تبارك وتعالى : « ولا يؤخذ منها عدل » فكل شيء يرضى به غيره فهو عدل . وقوله : وإن اليهود ينتفزون مع المؤمنين ماداموا عمارين ، فهذه التفتة في الحرب خاصة فقد شرط عليهم المماثلة على علوه وتزوي أنه إنما كان يسهم لليهود إذا غزوا مع المسلمين بهذا الشرط . الذي شرطه عليهم من التفتة . ولولا هذا لم يكن لهم في خناتم المسلمين سهم . وقال أبو عبيد : وقوله : وإن يهود بني عوف أمة من المؤمنين ، إنما أراد نصرهم المؤمنين ومماوتهم لإيادهم على عودهم بالتفتة التي شرطها عليهم : فأما الذين قليسوا منه في شيء ألا تراه قد بين ذلك فقال : لليهود دينهم وللمسلمين دينهم . وقوله : ولا يوقعن إلا نفسه أي لا يملك غيرها . يقال : قد وقع الرجل وقعاً إذ وقع في أمر يملكه ، وقد أوتته غيره .

[قال أبو عبيد] : وإنما كان هذا الكتاب - قتيلاً نرى - حدثان مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قبل أن يظهر الإسلام ويقوى وقيل أن يؤمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب . وكانوا ثلاث فرق : بنو قيسية وكانوا حلفاء عبد الله بن أبي [بن سلول] . فأجلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة . ثم بنو النضير ثم بنو قريظة . فكان من أجله أولئك وقته هؤلاء ما قد ذكرناه في كتابنا هذا . (انتهى ما ذكره أبو عبيد في شرح كتاب المواعدة) .

هذا وما أوردناه بين معقنين هو من رواية ابن إسحق إلا إذا ذكرنا أنه من تحقيق حميد الله للنس . وقد ذكر ابن كثير في ختام ما نقله من ابن إسحق أن أبا عبيد القاسم بن سلام تكلم عليه في كتاب التريب وفيه بما يطول . ولعله يقصد كتاب غريب الحديث . هذا وقد ترجم بعض المستشرقين نص كتاب المواعدة في مؤلفاتهم ولكنهم أخطأوا في ترجمة كلمة حرمة التي وردت في النص : لانتجار حرمة بنو إذر أهلها أو ولها . كما صنع موير في حياة محمد (أدنبرة سنة ١٩٢٤ م ص ١٨٤) وقلاه مونتجومرى واط في كتابه محمد في المدينة (أكسفورد سنة ١٩٥٦ م ص ٢٢٤) إذ ترجمهما : أثني أو امرأة مع أن حرمة هنا هو كما فسرها ابن الأثير في النهاية (ج ١ ص ٢٢٠) . ما لا يحمل انتهاكه .

عشره ، وتصديق ذلك في [سورة المائدة] : (وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا^(١)) قال الحافظ : فعلى هذا فالثراد عشرة مختصة ، وإلا فقد آمن به صلى الله عليه وسلم أكثر من عشرة ، وقيل المعنى : «لو آمن في الزمان الماضي كالزمن الذي قبل قدوم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة أو حال قدومه .» قال الحافظ : «والذي يظهر أنهم [وهم] الذين كانوا حينئذ رؤساء في يهود ، ومن عداهم كان تبعاً لهم ، فلم يُسلم منهم إلا الأقل كعبيد الله بن سلام ، وكان من المشهورين بالرياسة في يهود [بنى قينقاع] عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم . ومن بنى النضير : أبو ياسر - بتحتية وسين فراء مهملتين - ابن أخطَب - بخاء منجمة فطاء مهملة فموحدة - وأخوه حَيَّ ابن أخطَب ، وكعب بن الأشرف وأبو رافع ١٠٥٢ ت سلام بن الربيع بن أبي الحقيق^(٢) - بقافين مُصَغَّر . ومن بنى قَيْنُقَاع : سعد بن حُنَيْف^(٣) ، وفُتْحَاص - بفاء مكسورة فنون ساكنة فحاء مهملة فآلف فصاد مهملة - ورفاعة بن زيد [ابن التابوت]^(٤) . ومن بنى قُرَيْظَةَ : الزبير - بفتح الزاى - ابن بَاطَى^(٥) [بن وَهَب] ، وكعب بن أَسَد^(٦) [وهو صاحب عقد بنى قريظة الذي نقض عام الأحزاب]^(٧) وشمویل ابن زيد ، فهؤلاء لم يثبت أحد منهم ، وكان كل منهم رئيساً في اليهود ، لو أسلم لتبعه جماعة ، فيحتمل أن يكونوا المراد . وروى أبو نُعَيْم في الدلائل من وجه آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : «لو آمن بنى الزبير بن بَاطَى وذووه من رؤساء لأسلموا كلهم .» وأغرب السهيلي فقال : لم يُسلم من أحوار اليهود إلا اثنان : عبد الله بن سلام ، وعبد الله ابن صورى . قال الحافظ : كذا قال ، ولم أر لعبد الله بن صورى إسلاماً من طريق صحيحة ، فلما نسبة السهيلي في موضع آخر لتفسير النقاش .

(١) من الآية ١٢ من سورة المائدة .
(٢) في الأصل رافع ابن أبي الحقيق . وفي ابن هشام (ج ٢ ص ١٣٦) ذكر ابن إسحق من بنى النضير اليهود الذين كانوا يعتقدون على النبي : فكان بن الربيع بن أبي الحقيق وأخاه سلام . قال ابن إسحق وهو أبو رافع الأعور الذي قتله أصحاب رسول الله ﷺ ، وهذا الأخير هو الذي يقصده المؤلف .
(٣) في الأصل : عبد الله بن حنيف وليس بين بنى قينقاع سوى : سعد بن حنيف وعبد الله بن صيف من تقارب أحوالهم ما ذكره المؤلف .
(٤) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ١٣٧) .
(٥) في الأصل باطا وكيتابا بإيالة كما في القاموس المحيط .
(٦) في الأصل كعب بن أسد والتصويب من ابن هشام .
(٧) زيادة من ابن هشام .

قال ابن إسحق: «وَنَصَبَتْ بَعْدَ ذَلِكَ أَحْبَارُ يَهُودَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْعِدَاوَةَ بَغْيًا وَحَسَدًا وَضِغْنًا لِمَا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْعَرَبَ مِنْ اصْطِفَاءِ رَسُولِهِ مِنْهُمْ . وَكَانَتْ أَحْبَارُ يَهُودَ ، هُمُ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَتَعَنَّتُونَهُ وَيَأْتُونَهُ بِاللَّبْسِ لِيَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَكَانَ الْقُرْآنُ يَنْزِلُ فِيهِمْ وَفِيَا يَسْأَلُونَ عَنْهُ ، إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْمَسَائِلِ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْأَلُونَ عَنْهَا » .

وذكر ابن إسحق وغيره أسماء اليهود ، ولا حاجة بي هنا إلى ذكرهم ، بل من جاء ذكره في كتابي تكلمت عليه ، وكانوا ثلاث قبائل : قَيْنُقَاع - بفتح القاف وتثنية التون وبالعين المهملة ، ويجوز صَرْفُهُ على إرادة الْحَيِّ وَتَرْكُ صَرْفِهِ على إرادة الْقَبِيلَةِ أَوْ الطَّائِفَةِ - وَهُمُ الْوَسْطُ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ . وَإِذَا قُلْتُ : بَنُو قَيْنُقَاعِ فَالْوَجْهُ الصَّرْفُ ، وَقُرَيْظَةُ - يَقَافُ مَضْمُومَةٌ فَظَاءٌ مَعْجَمَةٌ مِثَالُهُ ، وَهُوَ أَخُو النَّضِيرِ وَالْوَسْطُ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ ، وَالنَّضِيرُ - بِضَادٍ مَعْجَمَةٌ سَاقِطَةٌ وَزَنْ كَرِيم . وَحَارِبَتُهُ الثَّلَاثَةُ ، وَنَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، فَمَنْ عَلَى بَنِي قَيْنُقَاعِ ، وَأَجَلَى بَنِي النَّضِيرِ ، وَقَتْلُ بَنِي قُرَيْظَةَ ؛ وَسَبَى ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَنَزَلَتْ سُورَةُ الْحَشْرِ فِي بَنِي النَّضِيرِ ، وَسُورَةُ الْأَحْزَابِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَسَبَّأِي بَيَانُ ذَلِكَ مُفَصَّلًا فِي الْمَغَازِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الباب الرابع

في سؤال اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح

١٠٥٣

روى الإمام أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « كنتُ أمشي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حَرِّ المدينة - وفي لفظ حرث الأنصار وفي لفظ في نخل - وهو مُتَوَكِّئٌ على عسيب - وفي لفظ ومعه جريدة - إذ مرَّ اليهود - وفي لفظ إذ مرَّ بنقير من اليهود - فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم لا تسألوه ، لا يُسمعكم ما تكرهون - وفي لفظ لا يستقبلكم بشيء تكرهونه - فقال بعضهم لبعض : لنسألنَّه ، فقام إليه رجل - وفي لفظ : فقبلوا إليه . فقالوا : « يا محمد » - وفي لفظ « يا أبا القاسم ما الروح ؟ » - وفي لفظ : « فأخبرنا عن الروح ، كيف تُملأ الروح الذي في الجسد ؟ وإنما الروح من الله عزَّ وجلَّ » فسكت - وفي لفظ : فما زال مُتَكَيِّئًا على العسيب ، فعلمت أنه يُوحى إليه ، فتأخرت (١) فلما نزل الوحي قال : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (٢) . وفي رواية عند ابن جرير بسند رجاله ثقات عن مغيرة (٣) عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه : فقالوا : « هكذا نجده في كتابنا . فقال بعضهم لبعض : « قد قلنا لكم لا تسألوه » .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : ذلك حديث ابن مسعود على أن نزول هذه الآية كان بالمدينة . وروى الإمام أحمد والترمذي وصحَّحه ، والنسائي وابن حبان عن ابن عباس قال : قالت قريش لليهود : اعطونا شيئاً نسال عنه هذا الرجل . فقالوا : سلوه عن الروح . فنزلت :

(١) في رواية : فقامت مقامى .

(٢) سورة الإسراء آية ٨٥ .

(٣) إسناد الحديث عن الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود .

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) . قالوا :
 «أوتينا علماً كثيراً . أوتينا التوراة ، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً» . فنزل
 الله عز وجل (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ
 رَبِّي وَلَوْ جِثْتَا بِحْثِلِيهِ مَدَدًا)^(١) . سند رجاله رجال صحيح مسلم ، ورواه ابن إسحق من وجه
 آخر نحوه ، وسبق في باب امتحان البشر كين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأشياء لا يعرفها
 إلا نبي :

وزوى ابن إسحق وابن جرير عن عطاء بن يسار قال : نزلت بمكة : (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ
 الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) ، فلما هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة أتاه أحبار يهود
 فقالوا : يا محمد ، بلغنا أنك تقول : (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) أَفَعَيْنَا أَمْ
 أَخْنِيتَ قَوْمَكَ ؟ قال : « لا بل عَيْنْتُكُمْ » . فقالوا : « إنك تتلو / أُنَّا أوتينا التوراة وفيها ١٠٥٤
 نَبِيَّانَ كُلُّ شَيْءٍ » . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « هي في علم الله قليل
 وقد آتاكم الله ما إن عِلِمْتُمْ به انتفعتم » ، وأنزل الله عز وجل : (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ
 شَجَرَةٍ أَقْلَامٍ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ،
 مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْظُمُكُمْ إِلَّا كَفْئِيسٌ وَاحِدٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)^(٢) . ودل حديث ابن مسعود ،
 وأثر عطاء أن الآية نزلت بمكة ، وجمع بينهما وبين حديث ابن مسعود رضي الله عنه
 بتعدد النزول ، ويَحْتَمِلُ سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك إن ساء ذلك ،
 وإلا فما في الصحيح أصح . وقال الشيخ رحمه الله تعالى في الإتيان^(٣) : « إذا استوى
 الإتيانان في الصحة فبرجح أحدهما بكون [راويه^(٤)] حاضر القصة أو نحو ذلك من وجوه
 الترجيحات » ، ثم ذكر [مثلاً له^(٥)] حديث ابن مسعود وخليث ابن عباس المذكورين .

(١) سورة الكهف آية ١٠٩ .

(٢) سورة لقمان آية ٢٧ و ٢٨ .

(٣) (١ - ص ٣٢ : ٣٣) .

(٤) زيادة من الإتيان .

ثم قال : « فهذا - أي حديث ابن عباس - يقتضى أن الآية نزلت بمكة ، والحديث الأول خلافه . وقد رجع أن ما رواه البخارى ^(١) أصح من غيره ، ويأن ابن مسعود كان حاضر القصة .

الثانى : قال أبو نعيم : « قيل من علامات نبوة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فى الكعب المنزلة أنه إذا سُئِلَ عن الروح ، فَوُضَّ العلم بحقيقتها إلى منشئها وبارئها ، وأمسك عما خاضت فيه الفلاسفة وأهل المنطق القائلون بالحدس والتخمين ، فامتنع اليهود بالسؤال عنها ليقيموا منه على نعته المثبت عندهم فى كتابهم ، فوافق كتابه ما ثبت فى كتبهم »

الثالث : قال ابن التين : « اختلف فى الروح المشغول عنها فى هذا الخبر على أقوال : الأول : روح الإنسان ، الثانى : روح الحيوان ، الثالث : جبريل ، الرابع : عيسى . الخامس : القرآن . السادس : الوحي . السابع : ملك يقوم وحده صفاء يوم القيامة . الثامن : ملك له سبعون ألف وجه ^(٢) . لكل وجه منها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة ^(٣) . يسبح الله تعالى [بملك اللغات كلها] ويخلق الله سبحانه وتعالى من كل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة ، وقيل ملك رجلاه فى الأرض السفلى ورأسه عند قائمة العرش . التاسع : خلق كخلق بنى آدم يأكلون ويشربون ، لا ينزل ملك من السماء إلا نزل معه ملك منهم . وقيل هو صنف من الملائكة يأكلون ويشربون » . قال الحافظ : « وهذا إنما يجمع من كلام أهل التفسير فى معنى لفظ « الروح » الوارد فى القرآن لا بخصوص هذه الآية ، فمن الذى

١٠٥٥ فى القرآن : [١٦] « نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ » ^(٤) ، [٧] « وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَاكَ إِلَيْنَا رُوحًا مِنْ

(١) الحديث فى صحيح البخارى كتاب التفسير (٦٣ ص ١٦٢) وإسناده : حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبو جندب الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود . ويفهم منه أن سؤال اليهود عن الروح وقع فى المدينة . وفى بيان المكنى والمدنى فى الإيهان قال السيوطى (١٣ ص ١٥) . استثنى من سورة الإسراء الملكية ويسألونك عن الروح » لما أخرج البخارى عن ابن مسعود ، أنها نزلت بالمدينة فى جواب سؤال اليهود عن الروح .

(٢) فى الأصل ١١٠٠٠ والتصويب من الحديث الذى أخرجه ابن جرير عن علقمة بن أبى طالب (تفسير ابن كثير ٣ ص ٦١) .

(٣) فى الأصل ألف ألف لغة والتصويب من تفسير ابن كثير . وفى تفسير القرطبي (١٠ ص ٢٢٤) رواية عطاه عن ابن عباس : الروح ملك له أسد عشر ألف جناح وألف وجه يسبح الله إلى يوم القيامة .

(٤) سورة الشعراء آية ١٩٣ .

لَا يُرَى^(١) ، [٣] (يُثْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ^(٢)) ، [٤] (وَأَيْلَهُمْ يَرْجِعُ مِنْهُ^(٣)) ، [٥] (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا^(٤)) ، [٦] (يُنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ^(٥)) ؟
فالأول : جبريل ، والثاني القرآن ، والثالث الرُّوحى ، والرابع القوة ، والخامس والسادس
مُحْتَمِلٌ لجبريل أو غيره ، ووقع إطلاق الروح على عيسى .

وروى إسحق بن راهويه بسند صحيح عن ابن عباس قال : « الروح من الله ، وخلق من خلق الله ، وصور كبنى آدم ، لا ينزل ملك إلا معه أحد من الروح » . وقال الخطابي :
« حكوا في المراد بالروح في الآية أقوالاً ، وقال الأكثرون : سألوه عن الروح التي تكون بها
الهيئة في الجسد . وقال أهل النظر : « سألوه عن مسلك الروح وامتزاجها بالجسد ،
وهذا هو الذي استأثر الله بعلمه . وقال القرطبي : « الراجح أنهم سألوه عن روح الإنسان ،
لأن اليهود لا تعترف بأن عيسى روح الله ، ولا نجهل أن جبريل ملك وأن الملائكة أرواح » .
وقال الإمام فخر الدين^(٦) : « المختار أنهم سألوه عن الروح الذي هو سبب الحياة ، وأن
الجواب وقع على أحسن الوجوه ، وبيانه : أن السؤال عن الروح يحتمل [أن يكون] عن
ماهيتها ، وهل هي متحيزة أم لا ، وهل هي حالة في متحيز أم لا ، وهل هي قديمة أو حادثة ،
وهل تبقى بعد انفصالها من الجسد أو تفتى ، وما حقيقة تعليقها وتثنيها وغير ذلك
من تعلقاتها ؟ » قال : « وليس في السؤال ما يخص أحد هذه المعاني إلا أن الأظهر أنهم
سألوه عن الماهية ، وهل الروح قديمة أو حادثة ؟ والجواب يدل على أنها تبقى موجود بغير
للطباع والأخلاق وتركيبها ، فهي جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث ، وهو قوله
تعالى : « كن فكان » . قال : هي موجودة مخلدة بنامر الله عز وجل ، وتكوينه ، ولها تأثير
في إقادة الحياة للجسد ، ولا يلزم من عدم العلم بكيفيةها الخصوصية نفيها .

(١) سورة الشورى آية ٥٣ .

(٢) سورة غافر آية ١٥ .

(٣) غفرة المجادلة آية ٢٢ .

(٤) سورة النبا آية ٣٨ .

(٥) سورة النمل آية ٢ .

(٦) يقصد المؤلف الإمام فخر الدين الرازى المعروف بابن الخطيب (٥٤٤ هـ - ٦٠٦ هـ) .

الرابع : تَنْطَعُ قوم « فتباينت أقوالهم في الروح » ، فقيل هي النَّفْسُ الداخل الخارج ، وقيل الحياة ، وقيل جسم لطيف يحل في جميع البدن ، وقيل هي الدم ، وقيل هي عَرَضٌ ، حتى قيل : إن الأقوال بلغت المائة ، ونقل ابن مندة عن بعض المتكلمين أن لكل نبي خمس أرواح ، وأن لكل مؤمن ثلاثاً ، ولكل حيٍّ واحدة .

الخامس : قال القاضي أبو بكر بن العربي : « اختلفوا في الروح والنفس ، فقيل ١٠٥٦ متغايران وهو الحق ، وقيل هما شيء / واحد ، وقد يُعَبَّرُ بالروح عن النفس وبالعكس ، كما يُعَبَّرُ عن الروح وعن النفس بالقلب وبالعكس ، وقد يُعَبَّرُ عن الروح بالحياة حتى يتعدى ذلك إلى غير العقلاء بل إلى الجهال مجازاً^(١) .

قال تلميذه السهيلي : يعنى على مغايرة الروح والنفس قوله [تعالى] : (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَبَخِثُ فَيْدٍ مِنْ رُوحِي^(٢)) ، وقوله تعالى : (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلِمُ مَا فِي نَفْسِكَ^(٣)) ، فإنه لا يصح جعل أحدهما موضع الآخر ، ولولا التغاير لساغ ذلك .

السادس : في قوله تعالى : (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) ، قال الإمام فخر الدين الرازي : « يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْأَمْرِ هُنَا الْفِعْلُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ^(٤)) أَيْ فِعْلُهُ ، فَيَكُونُ الْجَوَابُ : الرُّوحُ مِنْ فِعْلِ رَبِّي » ، إن كان السؤال : هل هي قديمة أو جاذئة ؟ فيكون الجواب : أنها حادثة . إلى أن قال : « ولهذا سكبت السلف عن البحث في هذه الأشياء والتعمق فيها » . وقال الإسماعيلي : « يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ جَوَاباً وَأَنَّ الرُّوحَ مِنْ جَمَلَةِ أَمْرِ اللَّهِ وَأَنَّ يَكُونَ الْمُرَادُ : المختص بالله عز وجل بعلمه ولا سؤال لأحد عنه » .

(١) لفظ ابن العربي في تفسيره أحكام القرآن (ج ٢ ص ٤٥ طبعة القاهرة سنة ١٣٣١ هـ) . بعد أن أورد حديث ابن مسعود وابن وهب : « ومعنى هذا أن الأنبياء لا يتكلمون مع الخلق في المشابهات ولا يفيضون معهم في المشكلات وإنما يأخرون في البين من الأمور المغفولات ، والروح خلق من خلق الله تعالى فيعمله الله في الأجسام فأخياها به وطعها وأقدها وبني عليها الصفات الشريفة والأخلاق الكريمة وقابلها بأعدادها لتقصان الأدبية فإذا أراد العبد إنكارها لم يقدر لظهور آثارها وإذا أراد معرفتها وبني بين جنبيه لم يستطع لأنه قصر عنها وقصر به دونها . وقال أكثر العلماء إنه سبحانه ركب ذلك فيعبئة كما قال : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » . ليرى أن الباري لا يقدر على جملة لظهور آياته في أنفاله . ويوضح من هذا أن ما نقله المؤلف عن ابن العربي يخالف لما ذكره ابن العربي في أحكام القرآن ولكن هناك تفسير آخر مطول لابن العربي اسمه أنوار القلج ، يقع في ثمانين ألف ورقة ، ذكر ابن فرحون أن تأليفه استغرق عشرين سنة ، فقل نقل الثاني من هذا الكتاب .

(٢) سورة الحجر آية ٢٩ .

(٣) سورة المسالة آية ١١٦ .

(٤) سورة هود آية ٩٧ .

وقال السهيلي بعد أن حكى ما المراد بالروح في الآية : « وقالت طائفة : الروح الذي سألت عنه اليهود هو روح الإنسان . ثم اختلف أصحاب هذا القول ، فمنهم من قال : لم يُجِبْهُم رسول الله صلى الله عليه وسلم على سؤالهم ، لأنهم سأَلُوهُ تَعَنُّتًا واستهزاء ، فقال الله عز وجل : (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) ، ولم يَأْمُرْهُ أَنْ يُبَيِّنَهُ لَهُمْ . وقالت طائفة : بل أجبرهم وأجابهم بما سأَلُوهُ ، لأنه قال لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم : (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) ، وأمرُ الرَّبِّ هو الشرع والكتاب الذي جاء به ، فمن دخل في الشرع وَفَّقَهُ في الكتاب والسنة عرف الروح ، فكان معنى الكلام ادخلوا في الدين تعرفوا ما سأَلْتُمْ عنه ، فإنه من أمر ربِّي أي من الأمر الذي جِئْتُ بِهِ مُبَلِّغًا عن الرَّبِّ ، وذلك أن الروح لا سبيل إلى معرفتها من جهة الطبيعة ، ولا من جهة الفلسفة . ولا من جهة الرأي والمعرفة ، وإنما تُعرَفُ من جهة الشرع . فإذا نظرت إلى ما في الكتاب والسنة من ذِكْرِها نحو قوله تعالى : (ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِي) (١) أي من روح الحياة ، والحياة من صفات الله سبحانه وتعالى ، وإلى ما أنبأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنَّ الأرواح جنودٌ مُجَلَّدَةٌ ، وأنها تتعارف وتتشام في الهواء ، وأنها تُقبَضُ من الأجساد / بعد الموت ، وأنها تُسأل في القبر فتفهم السؤال وتسمع وترى ، وتبسم وتُعَلِّبُ ، وتُكَلِّدُ وتتألم ، وهذه كلها من صفات الأجسام ، فإنك تعرف أنها أجسام بهذه الدلائل ، لكنها ليست كالأجسام في كثافتها وثقلها وإظلامها ، إذ الأجسام خُلِقَتْ من طين وحمًا مسنون^(٢) ، فهو أصلها ، والأرواح خُلِقَتْ من ماء كما قال الله سبحانه وتعالى ، ويكون النَّفْخُ المتقدم المضاف إلى المَلَكِ ، والملائكة خُلِقَتْ من النور كما جاء في الصحيح . وإن كان قد أضاف النَّفْخَ إلى نفسه سبحانه وتعالى وكذلك أضاف قبض الأرواح إلى نفسه فقال : (اللَّهُ يَتَوَكَّلُ الْإِنْسَانُ حِينَ مَوْتِهَا) (٣) ، وأضاف ذلك إلى المَلَكِ أيضًا فقال : (قُلْ

(١) سورة السجدة آية ٩ .

(٢) من الآية السادسة والعشرين من سورة الحجر وشرح القرطبي (في ج ١٠ ص ٢٤ من تفسيره) الآية ٢٩ من نفس السورة : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحي » بقوله أي سويت خلقه وصورته ، والنَّفْخُ بإجراهِ الرِّيحِ في الشيء ، والروح جسم لطيف أجرى الله المادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم وحقيقته إضافة خلق إلى خالق فالروح خلق من خلقه ، أضافه إلى نفسه تشريفًا وتكريمًا كقوله : ارضى وحماني وبيني وثاقه الله وشهر الله ، وعطه : « وروح بيته » (سورة النساء آية ١٧١) . هذا وقد أورد القرطبي في تفسير الآية الأخيرة ثمانية أجوبة (ج ٢ ص ٢٢٠ و ٢٢٣) .

(٣) سورة الزمر آية ٤٢ .

يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ^(١) ، والفعل مضارع مضاف إلى المَلَكِ مَجَازًا وإلى الرَّبِّ حقيقةً .

فَالرُّوحُ إِذَا جَسَمَ وَلَكِنَّهُ مِنْ جِنْسِ الرِّيحِ ، ولذلك سُمِّيَ رُوحًا مِنْ لَفْظِ الرِّيحِ ، وَنَفْخَةُ الْمَلَكِ فِي مَعْنَى الرِّيحِ ، غَيْرَ أَنَّهُ هُتِمَ أَوَّلُهُ لِأَنَّهُ نَوَازِلٌ ، وَالرِّيحُ هَوَاءٌ مُتَحَرِّكٌ . وَإِذَا كَانَ الشَّرْعُ قَدْ عَرَفْنَا مِنْ مَعَانِي الرُّوحِ وَصِفَاتِهَا هَذَا الْقَدْرَ ، فَقَدْ عَرَفَ مِنْ جِهَةِ أَمْرِهَا كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : (وَمَا أَوْثَقْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا^(٢)) ، وَقَوْلُهُ : (مِنْ أَمْرِ دَبِّي^(٣)) ، أَيْضًا ، وَلَمْ يَقُلْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، وَلَا مِنْ أَمْرِ رَبِّكُمْ ، يَدُلُّ عَلَى بَخْصِصٍ ، وَعَلَى مَا قَدَّمْنَا مِنْ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ إِلَّا مَنْ أَخَذَ مَعْنَاهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَوْلِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَقِينِ الصَّادِقِ وَالْفَقْهِ فِي الدِّينِ ، فَإِنْ كَانَ لَمْ يَخْبِرِ الْيَهُودَ خَيْرِينَ سَأَلُوا عَنْهَا ، فَقَدْ أَحَاطَ عَلَى مَوْضِعِ الْعِلْمِ بِهَا .

السَّابِعُ : قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ : لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْأَمْرِ هُنَا الطَّلَبُ اتِّفَاعًا ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ الْمَيَامُورُ ، وَالْأَمْرُ يُطْلَقُ عَلَى الْمَيَامُورِ ، كَالْخَلْقِ عَلَى الْمَخْلُوقِ ، وَمَتَنُهُ (لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ^(٤)) الْآيَةُ .

الثَّامِنُ : قَالَ ابْنُ تَطَّالٍ : « مَعْرِفَةُ حَقِيقَةِ الرُّوحِ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعِلْمِهِ بِتَدْلِيلِ هَذَا الْخَبَرِ » ، قَالَ : « وَالْحِكْمَةُ فِي إِهْمَامِهِ اخْتِبَارَ الْخَلْقِ لِيُعَرِّفَهُمْ عَجْزَهُمْ عَنْ عِلْمٍ مَالَا يَدْرِكُونَهُ حَتَّى يَضْطَرُّهُمْ إِلَى رَدِّ الْعِلْمِ إِلَيْهِ » . وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : « الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ إِظْهَارُ عَجْزِ الْمَرْءِ ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ حَقِيقَةَ نَفْسِهِ مَعَ الْقَطْعِ بِوُجُودِهِ كَانَ عَجْزُهُ عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ الْحَقِّ مِنْ بَابِ الْوُكُوفِ » .

التَّاسِعُ : ثَبَتَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ لَا يُفَسِّرُ الرُّوحَ أَيْ لَا يَمَيِّنُ الْمُرَادَ بِهَا فِي الْآيَةِ . وَمِنْ رَأْيِ الْإِمَّاكِ عَنِ الْكَلَامِ فِي الرُّوحِ أَسْتَاذُ الطَّائِفَةِ أَبُو الْقَاسِمِ الْجَنْدُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، كَمَا فِي عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ^(٥) عَنْهُ بَعْدَ أَنْ نَقَلَ كَلَامَ النَّاسِ فِي الرُّوحِ ، وَكَانَ الْوُكُوفُ الْإِمَّاكُ عَنِ ذَلِكَ ، وَالتَّادُّبُ بِأَدَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) سُورَةُ الْحَجَّةِ آيَةُ ١١

(٢) مِنَ الْآيَةِ الْوَاحِدَةِ سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

(٣) سُورَةُ هُودٍ آيَةُ ١٠١

(٤) صَاحِبُ كِتَابِ عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ غَوْثُ شَهَابِ الدِّينِ أَبُو حَفْصٍ الشَّهْرُورِيُّ (٥٣٩-٦٢٢ هـ)

انظر ابن خُلَكَانَ (١٦ ص ٣٨٠ : ٢٨١)

وسلم . ثم نقل عن الجُنَيْد أنه قال : « [الروح شَيْءٌ] ^(١) استأثر الله عز وجل يعلمه ، ولم يُطْلِعْ عليه أحداً من خَلْقِهِ فلا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود . »
وعلى ذلك جرى ابن عطية وجمع من أهل التفسير ، وأجاب من خَاصَّ في ذلك بأن اليهود سألوا عنها سؤال تَعْجِيز وتغليظ لكونه يُطْلَقُ على أشياء ، فأنصروا بأنه بآى شَيْءٍ أجاب ؟ قالوا : ليس هذا المراد ، فَرَدَّ اللهُ كَيْتَهُمْ وأجابهم جواباً مُجْمَلاً مطابقاً لسؤالهم المُجْمَل .

وقال في العوارف : « ويجوز أن يكون كلامهم في ذلك بمثابة التَّأْوِيل لكلام الله تعالى والآيات المُنزَلة حيث حُرِّم تفسيره وجُوزَ تَأْوِيلُهُ ^(٢) ، إذ لا يسوغ التفسير إلا لتأويلاً ، وأما التَّأْوِيل فتبتمد العقول إليه بالباع الطويل وهو ذَكَرَ ما تتحمل الآية (من المعنى) من غير القطع بأنه المراد . وإذا كان الأمر كذلك فللعقول فيه وَجْهٌ ومَجْمَلٌ ^(٣) . قال : وظاهر الآية المنع من القول فيها ، فحتم الآية بقوله : (وَمَا أَوْتَيْنَاهُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) أى اجعلوا حكم الروح من الكثير الذى لم تؤتوه فلا تسألوا عنه فإنه من الأسرار .

العاشر : نقل ابن منده في كتاب الروح له عن الإمام الحافظ المطلع على اختلاف الأحكام من عهد الصحابة إلى عهد فقهاء الأمصار محمد بن نصر المَرْوَزِيَّ أنه نقل الإجماع على أن الروح مخلوقة ، وإنما نُقِلَ القول بخلقها عن بعض غلاة الرافضة والمتصوفة .

الحادى عشر : اختلف هل تفسى عند فناء العالم قبل البعث أو تستمر باقية ؟ على قولين أَرْجَحُهُمَا [الثانى] عند الجمهور .

الثانى عشر : ذكر بعض المفسرين أن الحكمة في سؤال اليهود عن الروح أن عندهم في التوراة أن روح بنى آدم لا يعلمها إلا الله عز وجل ، فقالوا : نسأله فإن فسرها فهو نبي ، وهو معنى قولهم : لا يجىء بشىء تكرهونه .

(١) زيادة من كتاب الصهرزى الذى نقل عنه المؤلف .
(٢) في الأصل : « ويجوز أن يكون معنى خاص فيها سبيل التأويل لا التفسير » ونظراً لاجتماع هذه العبارة

أثبتنا لفظ الصهرزى الذى نقل عنه المؤلف .

(٣) في الأصل : « فمن لم يكون القول فيه » والعبارة هنا متعرجة . وأثبتنا ما جاء في عوارف الجاريد .

الثالث عشر : جنح ابن القيم في كتاب الروح إلى ترجيح أن المراد بالروح المشنول عنها في الآية ما وقع في قوله تعالى (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا)^(١) ، وأما أرواح بني آدم فلم يقع تسميتها في القرآن إلا نفساً . قال الحافظ : « كذا قال ولا دلالة في ذلك لما رجَّحه ، بل الراجح الأول » ، فقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه القصة أنهم قالوا : أخبرنا عن الروح ، وكيف يعلَّب الروح الذي في الجسد ؟ إلى آخر [ما قالوا وقد] تقدَّم بهامه .

الرابع عشر : قال بعضهم : ليس في الآية دلالة على أن الله سبحانه وتعالى لم يُطْلِع ١٠٥٩ ات النبي عليه حقيقة الروح ، بل يُحْتَمَلُ أن يكون أطلعه ، ولم يأمره أن يُطْلِعْهم ، وقد قال في غلَم الساعة نحو هذا : كما ميَّلتُ مبسوطاً في الخصائص إن شاء الله تعالى .

الخامس عشر : وقع في الصحيح في العلم^(٢) والاعتصام^(٣) والنوحيد ، وكذا جند مسلم^(٤) : « إِذْ مَرَّ بِنَقِيرٍ ، عِنْدَ ابْنِ حَجَرٍ مِنْ وَجْهِ آخِرٍ : إِذْ مَرَرْنَا عَلَى يَهُودَ ، وَوَقَعَ فِي التَّفْسِيرِ : إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ ، بِالرَّفْعِ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ ، وَيَحْتَمَلُ هَذَا الْإِخْتِلَافُ عَلَى أَنَّ الْفَرِيقَيْنِ تَلَاقَوْا فَيُضَدُّ أَنْ كَلَامَ مَرٍّ بِالْآخِرِ .

السادس عشر : في بيان غريب ما سبق : « حَرْبٌ » : بفتح الحاء المهملة وسكون الراء بعدها مثناة ، ووقع عند البخاري في كتاب العلم^(٥) : « حَرْبٌ [بخاء معجمة مفتوحة فاء] مَكْتُورَةٌ » : يَتَوَكَّنُ : « عَيْبٌ » : بعين فسین مهملتين وآخره موحدة

(١) سورة النبأ آية ٣٨ .

(٢) صحيح البخاري (ج ١ ص ٧١ : ٧٢) .

(٣) صحيح البخاري ج ٩ ص ١٧٢ .

(٤) صحيح مسلم شرح النووي (ج ١٧ ص ١٣٩ : ١٣٨) وأباه فيه : غير أن في حديث وكيع يومئذ أوتيت من العلم إلا قليلاً ، وفي الحديث عيسى ابن يونس : « وما أوتيت » من رواية ابن خشرم .

(٥) صحيح البخاري ج ١ ص ٧١ وأباه فيه : في حرب المدينة وحرب جميع غزوة والحرية موضع الجواب : « ولكن النووي في شرحه على صحيح مسلم يقول (ج ١٥ ص ١٣٧) : « الحرب جميع غزوات » .

بوزن عظيم وهو جريدة [النخل^(١)] التي لا خوص عليها^(٢) . قال ابن فارس : العسيان من النخل كالقضبان من غيرها « يَهُود » : هذا اللفظ معرفة تدخله الألف واللام نارة ونارة يَنْجَرْدُ ، وحلفوا منه ياء النسبة تَفْرِقُهُ بينه وبين مقرده ، كما قالوا : زَنْج وَزَنْجِي .

(١) زيادة من النهاية .

(٢) في القاموس والتاج : العسيب جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها ، وجمعه أسيب ونسب يَنْجَمَتِينَ وصوب وعسيان وعسيان بالضم والكسر . وفي التهذيب العسيب جريدة النخل إذا غشيته خوصه لا بالجنج : فوق الكبري الذي لم يثبت عليه الخوص من السف ، وما ثبت عليه الخوص فهو السف .

الباب الخامس

في تحييرهم في مدة مكث هذه الأمة لما سَمِعُوا الحروف الْمُقْطَعَةَ في أوائل السور

قال ابن إسحق - فيما ذكر لي عن عبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله بن رثاب - ^(١) « إن أبا ياسر بن أَخْطَبَ مَوْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو يتلو فاتحة البقرة (اَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ^(٢)) ، فَاتَى أَخَاهُ حَبِيبَ بْنَ أَخْطَبَ فِي رَجَالٍ مِنْ يَهُودٍ ، فَقَالَ : تَعَلَّمُوا ، وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مُحَمَّدًا يَتْلُو فِيهَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ : (اَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ) فَقَالُوا : أَنْتَ سَمِعْتَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَمَشَى حَبِيبُ بْنُ أَخْطَبَ فِي أَوَّلِكَ النَّفَرِ مِنْ يَهُودٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا لَهُ : « يَا مُحَمَّدُ ، أَلَمْ يَذْكُرْ لَنَا أَنْكَ تَتْلُو فِيهَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ (اَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ) ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَلَى » . قَالُوا : « أَجَاءَكَ بِهَا جَبْرِيلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . قَالُوا : « لَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ قَبْلَكَ أَنْبِيَاءَ أَنْبِيَاءَ مَا نَعْلَمُهُ بَيْنَ لَيْنَيْهِ مِنْهُمْ [مَا] مُدَّةٌ مُلْكِهِ وَمَا أَجَلُ ^(٣) أُمَّتِهِ غَيْرُكَ » . فَقَامَ ^(٤) حَبِيبُ بْنُ أَخْطَبَ ، وَأَقْبَلَ عَلَى مَنْ مَعَهُ فَقَالَ لَهُمْ : « الْآلِيفُ وَاحِدَةٌ وَاللَّامُ ثَلَاثُونَ وَالْمِيمُ أَرْبَعُونَ فَهَذِهِ لِإِحْدَى وَسَبْعُونَ سَنَةً ، أَفْتَلْخُلُونِ فِي دِينِ [نَبِيِّ ^(٥)] إِنَّمَا مُدَّةٌ مُلْكِهِ وَأَجَلُ أُمَّتِهِ لِإِحْدَى وَسَبْعُونَ سَنَةً ؟ » ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « [يَا مُحَمَّدُ] ^(٦) هَلْ مَعَ هَذَا غَيْرُهُ ؟ » قَالَ : « نَعَمْ » ^{١٠٦٠} ت

(١) في الأصل رباب وكذلك في أسد الغابة (ج ١ ص ٢٥٦) وفي تفسير ابن كثير (ج ١ ص ٣٨) وهو تصحيف ورواه رثاب كما في القاموس والتاج حيث جاء فيهما : رثاب بن النعمان بن سنان وهو جد جابر بن عبد الله الخزرجي السلمي الصحابي . وقد ورد مصحفاً في جوامع السيرة (ص ٧٠) وفي الإصابة (ج ١ ص ٢٢٢ رقم ١٠٢١) وجاء في الاشتقاق لابن دريد (ص ١١٩) رثاب مهور من قولهم رأيت الشيء أراهه رأياً إذا أصلحه .
(٢) الآية الأولى والثانية من سورة البقرة .

(٣) في الأصل : وأكل أمته ، وكذلك في ابن هشام (ج ٢ ص ١٧١ طبعة التجاوية بالقاهرة سنة ١٩٣٧ م) والبيان فيته ، كما أنها وردت : أجل أمته في تفسير ابن كثير (ج ١ ص ٣٨) .

(٤) يذهب الأصل فيقال : ..

(٥) زيادة سن ابن كثير : ..

(٦) زيادة من ابن هشام .

قال : ماذا ؟ قال (التمس)^(١) قال : « هذا أثقل وأطول : الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه إحدى وستون ومائة سنة ، هل مع هذا يا محمد غيره ؟ » قال : « نعم » . [قال : وما ذلك ؟] قال : [التمر^(٢)] قال : « هذه أثقل وأطول : الألف واحدة واللام ثلاثون والزاء مائتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومائتا [سنة] فهل مع هذا غيره يا محمد ؟ » قال : « نعم » [التمر^(٣)] قال : « ههنا الله أثقل وأطول : الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والزاء مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة » . ثم قال : « لقد [لبس] علينا أمرُك يا محمد حتى ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً » . ثم قاموا عنه ، فقال : أبو ياسر لأخيه ولبن معه من الأحبار : « ما يئزركم^(٤) لعلَّه قد جُمع هذا كله لمحمد : إحدى وسبعون [وإحدى وستون ومائة]^(٥) ، وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبع مائة وأربع وثلاثون »^(٦) . فقالوا : لقد تشابه علينا أمرُك . فیزعمون أن هذه الآيات نزلت فيهم : (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)^(٧)

[قال ابن إسحق^(٨)] : « وقد سمعتُ مَنْ لا أتتهم من أهل العلم [يذكر]^(٩) أن هؤلاء الآيات أنزلت في أهل نَجْرَانَ حين قِيموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسألوه عن عيسى بن مريم . وقد حدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أنه سمع أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن في نفر من يهود ولم يُفسر ذلك لي ، فإله أعلم أي ذلك كان^(١٠) » .

(١) الآية الأولى من سورة الأعراف .

(٢) زيادة من ابن كثير .

(٣) من الآية الأولى من سورة يوسف .

(٤) من الآية الأولى من سورة الرعد .

(٥) في الأصل : ما يدريك .

(٦) سابقة من الأصل والتكلم من ابن هشام وابن كثير .

(٧) في الأصل سبعة وأربع وستون وحاصل الجمع يوضح الخطأ .

(٨) سورة آل عمران آية ٧ .

(٩) زيادة من ابن هشام .

(١٠) علق ابن كثير في تفسيره (ج ١ ص ٣٨ و ٣٩) على هذا الخبر بقوله : فهذا الحديث مدارة على محمد بن السائب الكلبي وهو من لا يبيح بما انفرد به ، ثم كان مقتضى هذا المسلك إن كان صحيحاً أن يجب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وإن حسبت مع التكرار فألم وأظلم . و الله أعلم .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : روى البخارى فى تاريخه وابن جرير من طريق ابن إسحق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله فذكر الحديث السابق ، فَبَانَ سَنَدُ ابْنِ إِسْحَاقَ بِذَلِكَ . ورواه يونس بن بكير عن ابن إسحق عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، عن أبي سعيد . ورواه ابن المنذر من وجه آخر عن ابن جرير مُفَصَّلًا .

الثانى : قال السهيلي^(١) : « وهذا القول من أخبار يهود ، وما تَأَوَّلُوهُ مِنْ مَعَانِي هَذِهِ الْحُرُوفِ مُحْتَمَلٌ حَتَّى الْآنَ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَعْضِ مَا دَكَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْحُرُوفُ الْمُقْطَعَةُ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكْتُبْهُمْ فَمَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ وَلَا صَلَّيْهُمْ . وقال فى حديث آخر : « لَا تُصَلِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَلِّبُوهُمْ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ » . وإذا كَانَ فِي حَدِّ الْأَحْوَاجِ وَجَبَ أَى يُفْخِصَ عَنْهُ فِي الشَّرِيعَةِ ، هَلْ يُشِيرُ إِلَى كِتَابٍ أَوْ سَنَةِ ؟ فَوَجَدْنَا فِي التَّنْزِيلِ (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعْلُونَ^(٢)) . وَوَجَدْنَا فِي حَدِيثِ زَمَلِ الْخَزَاعِي حِينَ قُصَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُؤْيَا قَالَ فِيهَا : « رَأَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى مِثَرٍ لَهُ سَبْعَ دَرَجَاتٍ ، وَإِلَى جَنْبِكَ نَاقَةٌ عَجَفَاءُ كَأَنَّكَ تَبْعُهَا » . فَقَسَّرَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاقَةَ بِقِيَامِ السَّاعَةِ الَّتِي أُنْذِرُ بِهَا ، وَقَالَ فِي الْمِثَرِ وَدَرَجَاتِهِ : « الدُّنْيَا ١٠٦٦ سَبْعَةَ آلَافِ سَنَةٍ / يُعْثَرُ فِي آخِرِهَا أَلْفًا » ، وَالحديث وإن كَانَ ضَعِيفَ الْإِسْنَادِ فَقَدْ رُوِيَ مُوقُوفًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ طَرَفٍ صَحَّاحٍ أَنَّهُ قَالَ : « الدُّنْيَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ كُلُّ يَوْمٍ مِنْهَا أَلْفٌ سَنَةٌ » ، وَبُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْهَا ، وَقَدْ مَضَتْ [مِنْهُ]^(٣) سَنُونَ أَوْ قَالَ مَثُونَ : [قَالَ السَّهِيلِيُّ^(٤)] : وَلَكِنْ إِذَا قُلْنَا : إِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُعْثَرُ فِي الْأَلْفِ الْأَخِيرَةِ بَعْدَ مَا مَضَتْ مِنْهُ سَنُونَ ، وَنَظَرْنَا بَعْدَ إِلَى الْحُرُوفِ الْمُقْطَعَةِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ وَجَدْنَاهَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ حَرْفًا يَجْمَعُهَا قَوْلُكَ : « أَلَمْ يَسْطَعِ نَصَّ حَقِّ كُرْهِ » ، ثُمَّ نَأْخُذُ بِالْعَدَدِ عَلَى حِسَابِ أَبِي جَادٍ ، فَتَجِدُ «ق» مِائَةً وَ«ر» مِائَتَيْنِ وَ«س» ثَلَاثِينَ فَهَذِهِ سِتِّينَ وَ«ع» سِتِّينَ ، وَ«ص» سِتِّينَ ، فَهَذِهِ سَبْعُمِائَةٍ وَثَلَاثُونَ ، وَ«ن» خَمْسِينَ وَ«ك» عَشْرِينَ ، فَهَذِهِ ثَمَانِمِائَةٍ وَ«م» أَرْبَعِينَ وَ«ل» ثَلَاثِينَ ، فَهَذِهِ ثَمَانِمِائَةٍ وَسَبْعُونَ ، وَ«ي» عَشْرَةٌ وَ«ط» تِسْعَةٌ وَ«ا» وَاحِدٌ ، فَهَذِهِ ثَمَانِمِائَةٍ وَتِسْعُونَ ،

(١) (الرُّوضُ الْأَخْضَرُ ج ٣ ص ٣٩٦) . (٢) سُورَةُ الْحَجِّ آيَةُ ٤٧ . (٣) زِيَادَةٌ مِنَ السَّبِيلِ . (٤) فِي الْأَصْلِ : ثُمَّ قَالَ ، وَهَذَا مَا يَرِجُوهُ الْقَائِلُونَ أَنَّ الْقَائِلَ هُوَ لِرَوَى الْحَدِيثِ السَّابِقِ .

و«ح» ثمانية و«هـ» خمسة ، فهذه تسعمائة وثلاثة . ولم يُسمَّ الله عز وجل في أوائل السور إلا هذه الحروف ، فليس يُبعد أن يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدھا الإشارة إلى هذا العدد من السنين لِمَا قلناه في حديث الألف السابع الذي بُعث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . غير أن الحساب يُحتمل أن يكون من مبعثه أو من وفاته أو من هجرته ، وكلُّ قريبٍ بعضه من بعض ، فقد جاءت أشراط (١) الساعة ولكن لا تأتيكم إلا بُعْثَةٌ . وقد رُوِيَ أن المتوكل العباسي سأَلَ جعفر بن عبد الواحد القاضي ، وهو عمامي أيضاً ، عَمَّا بَقِيَ من الدنيا فحَدَّثَهُ بِحَدِيثٍ رَفَعَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ أَحْسَنْتَ أُمِّي فَبَقَاؤُهُ يَوْمَ مَنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ وَذَلِكَ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَإِنْ أَسَاءْتَ فَنِصْفُ يَوْمٍ » ، ففِي هَذَا الْحَدِيثِ تَجَمُّعٌ لِلْحَدِيثِ الْمُبْتَدَأِ بِهِ ، إِذْ قَدْ انْقَضَتِ الْخَمْسَمِائَةُ وَالْأَلْفَةُ بِأَقْيَمِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ (٢) . هَذَا آخِرُ كَلَامِ السَّهْلِيِّ ، وَفِيهِ مَنَاقِشَاتُ مِنَ الزَّهَرِ وَالْفَتْحِ مَعَ زِيَادَتِهَا مِنْ غَيْرِهَا .

الأوَّلُ : قوله : وجلسنا في حديث زمل الخزاعي إلخ صوابه : ابن زمل ، وسمَّاه بعضهم : عبد الله ، وبعضهم : الضحاك ، وبعضهم : عبد الرحمن ، وصَوَّبَ الحافظ في الإصابة (٣) الأوَّلَ ، وقوله الخزاعي صوابه الجهني كما ذكره في الزهر . الثانية : قوله : وإن كان إسناد هذا الحديث ضعيفاً . إلخ ، اقتصر على ضَعْفِهِ ، قَالَ [ابن حجر] في الفتح : لإسناده ضعيف جداً ، وقال في الإصابة : « تفرد برواية [حديثه] سليمان بن عطاء القرشي الحراني عن رسول (٤) : ابن عبد الله الجهني » . انتهى . قُلْتُ : وسليمان بن عطاء (٥) . قَالَ اللَّحْظِيُّ :

(١) في الأصل قد جاء أشراطها .

(٢) يقع هذا النص الذي نقله المؤلف عن السجل في ٢ ص ٣٧ من الرسوم الأتية .

(٣) في الإصابة (ج ٤ ص ٧٣ : ٧٤) وفي القاموس المحيط : عبد الله بن زمل بكسر الزاي وإسكان الميم ، جهني تميمي مجهول غير ثقة . وقول الصغاني : صحابي ، غلط . وقال ابن حجر في الإصابة : عبد الله بن زمل الجهني ذكره ابن السكيت وقال : روى حديث « الدنيا سبعة آلاف سنة » بإسناد مجهول وليس بمعروف في الصحابة ، ثم ساق الحديث برفق لإسناده ضعيف . قاله : وروى عنه هذا الإسناد أسود بن مكير . ويقال اسمه الضحاك ويقال عبد الرحمن والصواب الأول والضحاك بـ هـ لظ : فإن الضحاك بن زمل (هو رجل) آخر من أتباع التابعين .

(٤) في الأصل سلمة . وأثبتنا ما ذكره ابن حجر في نهاية ترجمته لعبد الله بن زمل ، إِذْ قَالَ : تفرد برواية ضعيفة سليمان بن عطاء عن سلم بن عبد الله الجهني ، غير أن اللَّحْظِيَّ في ميزان الاعتدال ذكره باسم سلمة الجهني .

(٥) في ميزان الاعتدال (ج ٢ ص ٢١٤ : ٢١٦) قال اللَّحْظِيُّ : سليمان بن عطاء الخزازي روى عن سلمة الجهني . وقال أبو حاتم : ليس بالقوي وأثبتناه ابن حبان وغيره . وقال البخاري : في حديثه بعض المناكير . وعند ابن حبان عن سليمان بن عطاء عن سلمة الجهني عن أبي مشجعة عن ابن زمل (ضبطها محقق ميزان الاعتدال بفتح الزاي) قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميه الرقياً فقص ابن زمل ما رآه وعبره رسول الله بأن اللوحات السبع : الدنيا سبعة آلاف سنة . »

١٠٦٢ ات « هالك أنهم بالوضع ». وقال الحافظ في التقریب : « منكر الحديث » / وأورده ابن الجوزي في الأحاديث الواهية ، ووصف بعض رجاله بوضع الحديث . وقال ابن الأثير : « ألفاظه مصنوعة ملفقة » .

وروى ابن عدی عن أنس مرفوعاً : « عُمر الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة » . وفي سننه العلاء ابن زیدل^(١) وهو المتهم به . ورواه ابن عساكر من طريق أبي علي الحسين ابن داود البلخي ، قال الخطيب : « ليس بثقة » ، حديثه موضوع^(٢) . وقال الحاكم : « روى عن جماعة لا يَحْتَمِلُ سِنُّهُ السماعَ منهم » ، وله عندهم المعاجيب يُستَدَلُّ بها على حاله^(٣) . وفي سننه أيضاً أبو هاشم الأيلي . ورواه الحاكم ، والترمذي الحكيم في نوادره^(٤) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي سننه صالح بن محمد ، عن يعلى بن هلال ، عن كيث بن مجاهد .

الثالثة : قوله : « فقد روى موقوفاً عن ابن عباس من طريق صحاح » ، قلت : لم أقف له إلا من طريق واحد غير صحيح ، رواه ابن جرير^(٥) في مقدمة تاريخه ، ومنه أخذ السهيلي من طريق يحيى بن يعقوب وهو أبو طالب القاص^(٦) الأنصاري ، قال البخاري : « منكر الحديث » ، وقال أبو حاتم : « معمله الصدق » . وذكره ابن حبان في الثقات وقال :

(١) في الأصل العلاء بن زَيْدَل والتصويب من ميزان الاعتدال (ج ٣ ص ٩٩) وهو : العلاء بن زيدل الشقي بصرى روى عن أنس بن مالك ، يكنى أبا محمد ، تالف .

(٢) الاسم الكامل لكتاب الحكيم الترمذي هو : نوادر الأصول في معرفة أخبار الأئمة طبع في استنبول سنة ١٢٩٤ هـ وعليه شرح بقلم مصطفى بن إسماعيل المنشي عنوانه : مرآة الوصول إلى نوادر الأصول .

(٣) أورد ابن جرير البصري في تاريخه (ج ١ ص ٦) روايات مختلفة عن عمر الدنيا منها ما روى عن كعب بن جعفر بن أسيد وغير هذا وأخرج عن أبي ثعلبة الخشني أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن يسجد الله هذه الأنة من يومئذ يوم » ، أي نصف اليوم ، الذي مقداره ألف سنة . ثم أضاف ابن جرير : « إن أول القولين الذين ذكرت في مبلغ هذه سنة جميع الزمان الذين أسلموا من ابن عباس والأعرس منها عن كعب بالصواب وأشهدهما بما دلت عليه الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قول ابن عباس الذي روينا عنه أنه قال : الدنيا أجنة من جميع الأجنة سبعة آلاف سنة وإذا كلين ذلك كله . وكان الخبر من رسول الله صحيحاً أنه أخبر عن الباقي من ذلك في حياته أنه نصف يوم . وذلك خصيصة عام كان معلوماً أن الماضي من الدنيا إلى وقت قول النبي عليه السلام ما روينا عن أبي ثعلبة الخشني عنه وكان قدر سنة الألف سنة وخمسة سنة أو نحواً من ذلك . والله أعلم .

(٤) جاء في ميزان الاعتدال (ج ٤ ص ٤١٥) : يحيى بن يعقوب أبو طالب القاص ، روى عن إبراهيم التيمي . قال أبو حاتم عليه المنقذ وقال البخاري منكر الحديث . كوفي روى عن عبد الأمل عن إبراهيم التيمي وهو خال أبي يوسف القاص ، روى عنه أبو حنيفة .

يُخْطِئُ. الرابعة : ما ذكره في عدد الحروف مبنى على طريقة المغاربة : السين بثلاثمائة ، والصاد بستين ، وعند المشاركة : السين ستون والصاد تسعون . فيكون المقدار عندهم ستائة وثلاثة وتسعون ، وقد مَضَتْ وزيادتها عليها فإنه في سنة خمس وثلاثين وتسعمائة^(١) فالجملة على ذلك من هذه الحثيثة باطلة .

الخامسة : ثَبَتَ عن ابن عباس الرَّجَز عن عدد أبي جاد ، والإشارة إلى أن ذلك من جملة السُّحَر . قال الحافظ : « وليس يبعد فإنه لا أَصْلَ له في الشريعة » . السادسة : قال القاضي أبو بكر بن العربي شيخ السَّهْلِي في قوله صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ » ، وأشار بالسَّابَةِ وَالْوُسْطَى ، قيل الْوُسْطَى تَزِيدُ عَلَى السَّابَةِ بِنِصْفِ شَيْءٍ إِصْبَعٍ^(٢) ، وكذلك الباقي من البُعْثَةِ إلى قيام الساعة » . قال : « وهاتان بعيدتان ، ولا يُعْلَمُ مقدار الدنيا ، فكيف يَتَحَصَّلُ لَنَا نِصْفُ شَيْءٍ أَمَدٌ مَجْهُولٌ ؟ فالضوابط الإعراض عن ذلك » . وقال القاضي في الإكمال : « حاول بعضهم في تأويله أن نسبة ما بين الإصبعين كنسبة ما بقي من الدنيا إلى ما مضى ، وأن جملتها سبعة آلاف سنة ، واستند إلى أخبار لا تَصِحُّ ، وذكر ما أخرجه أبو داود في تَأْخُرِ هذه الأمة نصف يوم وفُسْرَه بِخَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ، فَيُؤْخَذُ مِنْ ذَلِكَ نِصْفُ شَيْءٍ ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِمَّا يَلِي السَّابَةِ ، وَالْوُسْطَى فِي الطُّولِ » . قال : « وقد ظهر / عدم صحة ذلك ١٠٦٣ لوقوع خلافه ومجاوزة هذا المقدار ولو كان ذلك ثابتاً لم يقع خلافه » . انتهى .

وقد انضاف إلى ذلك منذ عهد القاضي^(٣) إلى هذا الخين نحو الأربعمائة سنة . وقال ابن العربي أيضاً في فوائد رحلته : « ومن الباطل علم الحروف الْمُقْطَعَةِ في أوائل السُّور ، وقد تَحَصَّلَ لِي فِيهَا عَشْرُونَ قَوْلًا وَأَزِيدُ ، وَلَا أَعْرِفُ أَحَدًا يَحْكُمُ عَلَيْهَا بِعِلْمٍ وَلَا يَصِلُ فِيهَا إِلَى

(١) هذا يدل على أن المؤلف كتب هذا سنة ٩٣٥ هـ أي قبل وفاته بسبع سنوات .
(٢) في الأصل : نصف سبعمائة والزائدة من السَّهْلِي (ج ٢ ص ٢٧) وقد أَضَافَ السَّهْلِي قَائِلًا : كما أن نصف يوم من سبعة نصف سبع . وقد مَضَتْ الأربعمائة من وفاته (أي وفاة الطبري سنة ٣١٠ هـ) إلى اليوم نِصْفُ عِلْمٍ ، وليس في قوله : أن ينبغي أنه أن يُؤْخَرُ هذه الأمة نصف يوم ما يَتَنَبَّأُ بِالزِّيَادَةِ عَلَى النِّصْفِ ، وَلَا فِي قَوْلِهِ : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ » مَا يَقْطَعُ بِهِ عَلَى صِحَّةِ تَأْوِيلِهِ . وقد قيل في تأويله غير هذا وهو : أن ليس بينه وبين الساعة شيء غيره ولا شرع غير شرعه ، مع التقريب لحيثها كما قال سبحانه : « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ » (الآية الأولى من سورة القمر) « أَلَيْسَ أَمْرًا فَلاَ تَحْصِلُوهُ » (الآية الأولى من سورة النحل) .
(٣) القاضي أبو بكر بن الطبري توفي سنة ٥٤٢ هـ وإلى وقت كتابة المؤلف لكتابه أي قبل وفاته سنة ٩٤٢ هـ . يحسن به أن يقول إلى ما يقرب من الأربعمائة سنة .

فهم » إلى آخر ما ذكره . وقد ذكرته مع فوائد أخرى في الكلام على هذه الحروف في كتابي : « القول الجامع الوجيز للخادم للقرآن العزيز » . لا توجد مجموعة في غيره .

السابعة : قال الحافظ : « وأما عدد الحروف فلانما جاء عن بعض اليهود ، وعلى تقليد أن يكون ما ذكر في عدد الحروف فليُحْمَلْ على جميع الحروف الواردة ولا يحذف المكرر فإنه ما من حرف إلا وله سرٌّ يَخْصُهُ ، أو يُقْتَصَرُ على حذف المكرر من أسماء السور ولو تكررت الحروف فيها ، فإن السور التي ابتدئت بذلك تسع وعشرون سورة ، وعدد حروف الجميع ثمان وستون حرفاً ^(١) وهي : الهمزة ستة ، وحَمْ : سبعة ^(٢) ، والراء خمسة ، وطَمْ : ثنتان والباء وكهيمص وطه وطقس ويس وصق ون . فإذا حُفِظَ ما كرر من السور وهي خمس من الهمزة وست ^(٣) من حم ، وأربع من الراء واحدة من طسم ، بقي أربع عشرة سورة ^(٤) عدد حروفها ثمان وثلاثون حرفاً . فإذا حسبنا عددها بالجمل المقري بلغت الأربعين وستائة وأربعة وعشرين ، وأما بالجمل المشرق فتبلغ ألفاً وسبعمائة وأربعة وخمسين . قال الحافظ : « ولم أذكر ليعتمد عليه وإنما ليتبين أن الذي جرح إليه السهيل لا ينبغي الاعتماد عليه لشدة التخالف فيه » .

الثامنة : في جامع معتر عن مجاهد وعكرمة في قوله تعالى : (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ^(٥)) لا يلدئكم مفعي ولا كم بقي إلا الله عز وجل .

التاسعة : ما نقله عن جعفر بن عبد الواحد ^(٥) ، فهو شيء موضوع لا أصل له ، ولا يُعرف إلا من جهته ، وهو مشهور بوضع الحديث عند الأئمة ، مع أنه لم يسبق له سنده بذلك ، والعجب من السهيل كيف سكت عليه مع علمه بحاله .

- (١) جملة الحروف الموجودة في أوائل السور هي ٧٥ وليست ٦٨ حرفاً .
 (٢) في الأصل ستة وصولها سبعة بالحوازم هي غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجنات والإسحاف .
 (٣) نسي المؤلف أن يذكر الهمزة في أول سورة الرعد . والجملة في نظرنا بعد حذف المكرر هي اثنان وثلاثون حرفاً وليست ٣٨ .
 (٤) سورة النازع آية .

(٥) هو جعفر بن عبد الواحد الهاشمي القاضى توفى سنة ٢٥٧ هـ . قال الداغيني : يضع الحديث وقال أبو نوحه : روى أحاديث لا أصل لها ، وقال ابن عدي : يهريق الحديث ويأني بالمناكير عن الثقات . قال الخطيب : هزله المجتهد من القضاء ونفاه إلى البصرة لأمر بلغه عنه (ميزان الاحتيال ج ١ ص ٤١٢ : ٤١٣ رقم ١٥١١) .

الباب السادس

في سبب نزول سورة الإخلاص

روى أبو الشيخ في العظمة عن أنس بن مالك ، وابن أبي حاتم ، وابن عدى ، والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس والطبراني في السنة عن الضحاك ، وابن جرير ، وابن المنذر عن قتادة ، أن رَهْطاً من اليهود منهم / كعب بن الأشرف وخيَّ بن أخطب ، جاءوا ١٠٦٤ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : « يا محمد ، هذا الله خلقَ الخلقَ فمن خلقَ الله ؟ » فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتفخ لونه ، ثم سلوهم غضباً ليريه ، فجاء جبريل فسكته وقال : « خفف عليك يا محمد » ، وجاءه من الله عز وجل بجواب ما سأله [عنه] فأنزل الله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ^(١)) ، أصل أحد هنا واحد ، لأنه بمعنى الواحد ، فليست الواو همزة ، وهو دال على جميع صفات الجلال ، كما دلَّ الله على جميع صفات الكمال ، إذ الواحد الحقيقي ما يكون مُنَزَّه الذات عن اتحاد التركيب والتعدد ، وما يستلزمه أحدهما كالجسمية والتحيُّز (الله الصمد) : المقصود في الحوائج على الدوام ، أو هو الذي قد انتبه في سؤده ، فيصمد الناس إليه في حوائجهم ، وللخالق يفتقرون إلى رحمته ، أو هو من لا جوف له ، أو هو الكامل في جميع صفاته ، أو الذي لا يطعم ولا يخرج منه شيء ،

(١) جاء في أسباب النزول لأحمد (ص ٣٤٥ : ٣٤٦ طبعة القاهرة سنة ١٣١٥ هـ) قال قتادة والضحاك ومقاتل : جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : صف لنا ربك فإنه الله ، أنزل نوحه في القوارة ، فأخبرنا من أي شيء هو ومن أي جنس هو ؟ أذهب هو أم نحاس أم فضة وهل يأكل ويشرب ، وعن ورث الدنيا ومن يورثها ؟ فأزله الله بملكه تعالى هذه السورة . وعن أبي العالية عن أبي بن كعب أن المكثرين قلوا : لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنسب لنا ربك ، فأنزل الله تعالى هذه السورة . هذا وقد أورد ابن كثير في تفسيره (٣ ج ١ ص ٥٦٥ : ٥٧٨ هـ) يختلف ما رووه في سبب نزولها وتفضلها . وأورد لهذا ابن تيمية كتاباً في ١٥٥٠ صحيفة عنوانه : تفسير سورة الإخلاص (الطبعة سنة ١٢٧٣ هـ) أغضب فيه في تناوله كل ما يتعلق بها . كما صنف كتاباً آخر في فضائل أعماله : وجوب أهل العلم والإيمان بتسليم ما أخبر به رسول الرحمن من أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن . (الطبعة سنة ١٣٢٥ هـ) وهو فيه على سبيل عمل قليل في فضائله مع أن كلام الله واحد بالنسبة إليه عز وجل .

أو الباقى بعد فناء خَلْقِهِ ، والله تعالى هو الموصوف بهذا على الإطلاق ، فإنه مُسْتَعْنٍ عن غيره مطلقاً ، وكل ما عداه يحتاج إليه في جميع جهاته ، وتعريفه بصمديته بخلاف أحديته . وتكرر الاسم الكريم للإشعار بأنه من لم يتصف به لم يستحق الألوهية ، وإخلاء الجملة من العاطف ؛ لأنها كالنتيجة للأولى أو الدليل عليها .

(لم يَلِدْ) : المفعول محذوف أى لم يلد أحداً ، والأصل يُولِدُ ، حُلِفَتِ الواو لوقوعها بين ياء مفتوحة ولام مكسورة فصار مثل « يَعِد » . (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) : النائب عن الفاعل محذوف أى لم يَلِدْهُ أحد ، وثبتت الواو في يُولِدُ لأنها لم تقع بين ياء مفتوحة وكسرة . ولما كان الربُّ سبحانه وتعالى واجب الوجود لذاته قديماً ، موجوداً قبل وجود الأشياء ، وكان كل مولود مُخَذَّلاً انتفت عنه الوالدية ، ولما كان لا يشبهه أحدٌ من خَلْقِهِ ولا يجانسه حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد ، انتفت عنه الوالدية ، ومن هذا قوله تعالى : (أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً ^(١)) ، (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) : أى لم يكن له أحدٌ يكافئه أى بمائله من صاحبة وغيرها « وله » متعلق بـ « كُفُوًا » وقُدِّم عليه لأنه مَحْطُ القصد ، وأَجْرُ « أحد » وهو اسم « يَكُنْ » عن خبرها رابعة للفاصلة ^(٢) . ولاشغال هذه السورة منع قصرها على جميع المعارف الإلهية والردّة على من ألحد فيها ، جاء في الحديث أنها تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن فإن مقاصده محصورة في بيان الأحكام والتقصص ، ومن عدلها ١٠٦٥٠ اعتبر المقصود باللات ^(٣) . / قال ابن إسحق : « فلما تلاها عليهم ، قالوا : « قَصِّفْ لَنَا يَا مُحَمَّدُ رَبَّكَ كَيْفَ خَلَقَهُ » ، كَيْفَ دَرَعَهُ ^(٤) ، كَيْفَ عَصَبُهُ ؟ » فَقَصَّبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ مِنْ غَضَبِهِ الْأَوَّلِ ، وساورهم غَضَباً لِرَبِّهِ . فتأناه جبريل ، فقال له مثل مقالته وجاءه

(١) سورة الأنعام آية ١٠١ .
(٢) قال القرطبي (ج ٢٠ ص ٢٤٦) في تفسير : « ولم يكن له كفواً أحد » أى لم يكن له مثلاً أحد ، وفيه تقديم وتأخير ، وتقديره ولم يكن له أحد كفواً . فقدم خبر كان على اسمها لينساق أواخر الآي على نظم واحد .
(٣) قال بعض العلماء : إنها عدلت ثلث القرآن لأجل هذا الاسم وهو « الصمد » فإنه لا يوجد في غيرها من السور وكذلك « وأحد » وقيل إن القرآن أزل الأثلاث : ثلثاً منه أحكام وثلثاً منه وعد ووعيد وثلثاً منه أسماء وصفات وقد جمعت وقيل هو الله أحد . الأثلاث وهو الأسماء والصفات ؛ ودل على هذا التأويل ما في صحيح مسلم من حديث أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله جل وعز جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فبطل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن » وبهذا المعنى سميت سورة الإخلاص . عن تفسير القرطبي (ج ٢٠ ص ٢٤٧) .
(٤) في ابن هشام : فداه ولكن رواية المؤلف أصح فالنوع هو القياس بالنزاع .

من الله تعالى بجواب ما سأله عنه . (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ^(١)) ، أى ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حتى عظمته حين أشركوا به وشبهوه بخلقه . « وَالْأَرْضُ جَمِيعاً » ، جميعاً: حال ، أى السبع ، « قَبْضَتُهُ » أى مقبوضة له أى فى يده وتَصَرَّفُهُ يوم القيامة ، « وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ » أى منجموعات ^(٢) ، « بِيَمِينِهِ » أى بقلبه . سبحانه وتعالى عما يُشْرِكُونَ معه .

تنبيه : كذا ذكر ابن إسحق سبب نزول هذه الآية ^(٣) . وروى الشيخان ^(٤) وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه فى سبب نزولها غير ذلك .

(١) سورة الزمر آية ٦٧ .

(٢) قال القرطبي (ج ١٥ ص ٢٧٨) فى تفسير قوله تعالى : « وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ » ليس يريد به طيا بعلاج وانتصاب ، وإنما المراد بذلك الغناء والذهب . يقال قد انطوى عنا ما كنا فيه وجاءنا غيره ، وانطوى عنا دهر يمضى المضى والذهب .

(٣) قال الواحى فى أسباب النزول (ص ٢٧٨) : عن أبي الشيخ عن ابن أبي عاصم عن ابن عمر عن أبي معاوية عن الأعمش عن طلحة عن عبد الله قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من أهل الكتاب فقال : يا أبا القاسم ، بئسك أن الله يجعل الخلائق على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع ؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، فأزل الله تعالى : وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدره . الآية ، ومعنى هذا أن الله تعالى يقدر على قبض الأرض وجميع ما فيها من الخلائق قدرة أحدنا ما يحمله بأصبعه فتعطينا بما نتخاطب فيها بينما لنفهم ألا ترى أن الله تعالى قال : وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . أى يقبضها بقدرته .

(٤) فى صحيح البخارى فى كتاب التفسير (ج ٦ ص ٢٢٥) .

الباب السابع

في إرادة شأس بن قيس إيقاع القتنة بين الأوس والخزرج
لما رأى كَلِمَتَهُمْ مُجْمِعَةً

روى ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن زيد بن أسلم موطولاً، والقرطبي وابن جرير وغيرهما عن ابن عباس مُحْتَضَرًا ، وابن المنذر عن عكرمة ، وابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي كذلك واللفظ للأول ، قال : كان شأس بن قيس شيخاً قد عَسَا (١) ، عظيم الكُفْر ، شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، فَمَرَّ على نَقَرٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جَمَعَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فيه ، فغاضه ما رأى من أَلْفَتِهِمْ وجماعتهم وصلاح دَاتِ بَيْنِهِمْ على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية . فلما أن جاء الإسلام اصطَلَحُوا وأَلْفَ الله بين قلوبهم . فقال : « لقد اجتمع ملائِئِي قَبِيلَةَ بَهْلَةَ البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملوكُهُمْ [بها] من قُرْلُومٍ » . فَمَرَّ قَتِي شَابًا من يهود كان معه فقال : « اعمد إليهم فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بُعِثَ وما كان قَبْلَهُ (٢) وَأَنْشِدَهُمْ بَعْضَ ما كانوا تَقَاوَلُوا فيه من الأشعار (٣) . ففعل ، فَأَنْشَدَهُمْ بعض ما قاله أحد الخِيَتَيْنِ في حَرْبِهِمْ (٤) ، فكانتْهُمْ دَخَلَهُمْ من ذلك [شيء] (٥) .

(١) في البداية (ج ٣ ص ٢٩٦) - بالسین: المهمة التي كبر وأسن.. وفي القاموس كذلك : حيا الشيخ يسو صوا
وهو أوسع وصيا أمق وكبر ، وحل ذلك فليس صحيحاً ما كتبه ناسر سيرة ابن هشام في التجارية سنة ١٩٢٧ م ج ٢ ص ١٨٢ : ضا : اشتد وقوى ، يريد أنه تمكن في كفره فصب إغراجه عنه .

(٢) في القاموس (ص ٨٨٥) : وما كان فيه .

(٣) زاه ابن إسحق (ابن هشام ج ٢ ص ١٩٢) : وكاف يوم يمانت يوماً اقتلت في الأوس والخزرج . وكلت الظنم
فيه يومه للأوس على الخزرج . وكاف على القوس يومئذ حشيرة بن سمالة الأشجلى أبو أسيد بن حنيفة ، وعلى الخزرج عمرو بن
العباد الباهلي ففعل جميعاً . وهذا تفصيل لأحد من يوم يمانت في الألفاظ (ج ١٧ ص ١٦٨) وما يملأه من القاموس سنة
١٩٩٠ م وفي ظل القاموس السمرقاني (ج ١ ص ١٥٢) : ٩٥٦ - ٩٥٧ .

(٤) في الأصل : في ذلك . ونظراً لورود كلمة ذلك فيما بعد ، أئبنا عبارة الوحد .

(٥) زيادة من تفسير القرطبي (ج ٤ ص ١٥٥) .

فقال الحقّ الآخرون : وقد قال شاعرنا [في يوم كذا]^(١) : كذا وكذا [فقال الآخرون :
وقد قال شاعرنا في يوم كذا : كذا وكذا]^(٢) . فتكلم القوم عند ذلك ، وتنازعوا وتفاخروا ،
حتى تَوَلَّيَ رجلان من الحَيِّين : أَوْس بن قَيْطَلٍ [أحد بنى حارثة بن الحارث]^(٣) من
الأَوْس ، وَجَبَّار بن صَخْر [أحد بنى سَلَمَةَ]^(٤) من الخزرج ، فتَقَاوَلَا ، ثم قال أحدهما
لصاحبه : « إِنْ شِئْتُمْ رَدَدْنَاهَا الْآنَ جَذَعَةً » . فَغَضِبَ الْفَرِيقَانِ جَمِيعاً ، وقالوا^(٥) : « قد
فعلنا ، مَوْعِدُكُمْ الظَّاهِرَة - وَالظَّاهِرَة الْحَرَّة - السَّلَاحُ - السَّلَاح » . فخرجوا إليها . [فَأَنْفَضَتْ
الأَوْس والخزرج بعضها إلى بعض على دعوام التي كانوا عليها في الجاهلية]^(٦) .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من ١٠٦٦
أصحابه حتى جامعهم فقال : « يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ : اللَّهُ اللَّهُ ، أَيْدَعُوْا الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ
أَظْهَرِكُمْ بَعْدَ أَنْ هَدَاكُمْ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ » . وَاسْتَنْقَذَكُمْ
بِهِ مِنَ الْكُفْرِ ، وَأَلْفَ بِهِ بَيْنَكُمْ ، فَتَرْجِعُونَ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ كُفَّاراً ؟ » فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا
نَزْعَةٌ^(٧) مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، فَأَلْقَوْا السَّلَاحَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَبَكَوْا ، وَعَانَقَ الرِّجَالُ
مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، ثُمَّ انصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَامِعِينَ
مُطِيعِينَ ، قَدْ أَطْفَأَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَيْدَ عَدُوِّهِمْ : عَدُوُّ اللَّهِ شَأْسُ بْنُ قَيْسٍ ، فَإَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :
(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ . قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

(١) زيادة من رواية عكرمة في أسباب النزول ص ٥٨ .

(٢) زيادة من رواية عكرمة .

(٣) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ١٨٤) .

(٤) حله . رواية زيد بن أسلم أنها رواية عكرمة فقد جاء فيها : فَنَادَى هَؤُلَاءُ يَا آلَ أَوْسٍ وَنَادَى هَؤُلَاءُ يَا آلَ خَزْرَجٍ .
فاجتمعوا وأعلنوا السلاح واصطفوا للقتال (الواحد ص ٨٥) .

(٥) زيادة من رواية زيد بن أسلم في الواحد ص (٨٦) .

(٦) في نسخة ابن هشام (ج ٢ ص ١٨٤ طبعه التجارية سنة ١٩٣٧ م) نزعة - بالين للمهملة بوجهيها باللين المعجمة
في النهاية (ج ٤ ص ١٣٧) : نزوح الشيطان بينهم يَنْزِعُ تَرْغِلاً (من جانب مع) أي أفسد . وأقرى ، ويزنه بكلمة غيور
أي رماه بها وطمع فيه ، والنزعة الطعنة والنخسة ومنه نزعة الشيطان إلى يقصده بها لإغراء جعل لا تكتب للمعاصي .

لَمْ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ^(١))
 وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَوْسَ بْنِ قَيْظَى ، وَجَبَّارَ بْنَ صَخْرَ ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا الَّذِينَ
 صَنَعُوا مَا صَنَعُوا مَا أَذْخَلَ عَلَيْهِمْ شَأْسَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَطِيعُوا
 قَرِيبًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرْفُتُوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ . وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ
 تَتْلُوا عَلَىكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ، وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(٢)) .
 تنبيه : في بيان غريب ما سبق : « شَأْسٌ » : بشين معجمة فهزة ساكنة فسين هملة .
 « عَسَا » : بعين فسين مهملتين أى كبر وأسن . « الضَّغْنُ » : بكسر الضاد المعجمة : الحقد .
 « قَيْلَةٌ » : بفتح القاف وسكون التحتية : [أم الأوس والخزرج^(٣)] . « بُعَاثٌ » : بعين
 هملة ومثلثة - وتقدم الكلام عليها مبسوطاً في أبواب بدء إسلام الأنصار . « جَبَّارٌ » : بالجم
 وتشديد الموحدة . « جَذَعَةٌ » : بفتح الجيم والذال المعجمة : أى أحدثنا الحرب^(٤) .
 « الْحَرَّةُ » : بفتح الحاء المهملة والراء المشددة : [وهى الأرض ذات الحجارة السود^(٥)] . والله
 سبحانه وتعالى أعلم .

(١) سورة آل عمران آية ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٠ ، ١٠١ وفي تفسير القرطبي (ج ٤ ص ١٥٥) : « يا أيها الذين آمنوا » يعنى الأوس والخزرج ، « إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب » يعنى شأساً وأصحابه : وتلا ذلك في القرطبي وفي أسباب النزول الواحلى (ص ٨٦) : قال جابر بن عبد الله : ما كان طالع أكره إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأولاً إلينا بيه فكفنا وأصلح الله تعالى ما بيننا ، فما كان شخص أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم - فما رأيت يوماً أقبح ولا أوحش أولاً وأحسن آخراً من ذلك اليوم .

(٣) زيادة من القاموس المحيط .

(٤) جاء في التاج : من انحاز أعدت الأمر جليماً أى جديداً كما بدأ ، وفي الأساس للزعرى (ج ١ ص ١١٣) : وطلعت حرب بين قوم فقال أحدهم : إن شئتم أعتلها جليمة أى أول ما يبتدأ فيها .

(٥) زيادة من النهاية (ج ١ ص ٢١٥) .

الباب الثامن

في سبب نزول قوله تعالى : (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الْيَهُودِ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاهُ ^(١)) وقوله تعالى : (إِذْ قَالُوا
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ^(٢))

روى ابن إسحق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ، وابن
جرير عن السدي ، وابن جرير عن عكرمة أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه دخل بيت
المدراس ^(٣) بعد نزول قوله تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ^(٤)) فوجد يهود
قد اجتمعوا إلى رجلٍ منهم يُقال له / فنخاص [بن عازوراء ^(٥)] وكان من علمائهم ١٠٦٧هـ
وأخبارهم . فقال أبو بكر : وتلك ^(٦) يا فنخاص : « أتق الله عز وجل وأسلم ، فوالله إنك
لتعلم أن محمداً رسول الله [قد جاءكم بالحق من عند الله] ^(٧) تجدونه مكتوباً عندهم في
التوراة ^(٨) . فقال فنخاص لعنه الله : « والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا
لفقير ، وما نتضرعُ إليه كما يتضرع إلينا ، وإننا عنه لأغنياء [وما هو عنا بغنى ^(٩)]
ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا أموالنا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويؤطيناه

(١) سورة آل عمران آية ١٨١ .

(٢) سورة الأنعام آية ٩١ .

(٣) في الأصل بيت المقدس والخطأ فيه واضح . وبيت المدارس هو البيت الذي يدرس فيه اليهود ما يتعلق بديانهم .
وفي الكتب الخاصة بالديانة اليهودية تنطق هذه الكلمة بالثين المنجمة ويقصد بالمدراش التفسير العبري للعهد القديم .

(٤) سورة البقرة آية ٢٤٥ .

(٥) تكله الاسم من تفسير القرطبي (ج ٤ ص ٢٩٤) ومن أسباب النزول الواحدى (ص ٩٨) .

(٦) في سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ١٨٧) : ويحك .

(٧) زيادة من ابن هشام والواحدى .

(٨) زاد ابن هشام : الإنجيل وهذه رواية ابن إسحق وهي تدل على علم الإلمام باليهودية فاليهود لا يمترون بالإنجيل . ولقد

كان كل من المؤلف والواحدى دقيقاً في اختصارها على ذكر التوراة ، إذ كان النقاش غصوراً بين الصديق واليهود .

(٩) زيادة من ابن هشام .

ولو كان عنا غنياً ما أعطانا الربا ». فعَضِبَ أبو بكر فضرب وجهه فنحاص ضربةً شديدة وقال : « والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربتُ عنقك أى عدو الله » .

فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، انظر ما فعل أبى صاحبك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : « ما حَمَكَك على ما صَنَعْتَ ؟ » فقال أبو بكر : يا رسول الله [إن عدو الله ^(١)] قال قولاً عظيماً [إنه] زَعَمَ أن الله عز وجل فقير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غَضِبْتُ اللهَ بما قال فضربتُ وجهه . فَجَحَدَ [ذلك ^(٢)] فنحاص ، وقال : ما قُلْتُ ذلك . فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص [ردّاً عليه ^(٣)] وتصديقاً لأبى بكر رضى الله عنه ؛ (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ^(٤)) ونزل في أبى بكر الصديق ، وما بلغه في ذلك من الغضب : (وَكَتَبْنَا مِنْ الَّذِينَ آوَتْهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تُصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ^(٥)) .

وروى ابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ عن السُّدِّى في قوله تعالى : (إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى) . قال فنحاص اليهودى : ما أنزل الله على محمد من شيء . قال السُّدِّى : والمشهور أنها نزلت في مالك بن النضيف . وروى ابن جرير ، وابن المنذر عن عكرمة في الآية قال : نزلت في مالك بن النضيف . وروى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبَّير ، وابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال : جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن النضيف ، ومعه جماعة فخاصم النبي صلى الله عليه وسلم . وفي رواية : فقالوا : يا أبا القاسم ، ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألوهاً . فأنزل الله عز وجل : (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنْ

(١) زيادة من ابن هشام (٢٥ ص ١٨٧)

(٢) زيادة من ابن هشام .

(٣) سورة آل عمران آية ١٨١ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٨٦ .

(٥) سورة الأنعام آية ٩١ .

السَّمَاءَ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ
ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ / مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا
مُبِينًا^(١) . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أَتَشْكُلُ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى
أَمَا تَجِدُ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ اللَّهَ يَتَّعِصُ الْحَبْرَ السَّمِينِ ؟ » وَكَانَ حَبْرًا سَمِينًا . فَغَضِبَ وَقَالَ :
[وَاللَّهِ^(٢)] مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ . [فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ : وَيَحْكُ !
وَلَا عَلَى مُوسَى ؟] فَقَالَ : وَلِلَّهِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ^(٣) . [فَانْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ] نَقْضًا
لِقَوْلِهِمْ وَرَدًّا عَلَيْهِمْ^(٤) : [(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ
قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا
وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ^(٥)) .

(١) سورة النساء آية ١٥٣ .

(٢) زيادة من تفسير القرطبي (٧ ج ٢٧) .

(٣) سورة الأنعام آية ٩٢ .

الباب التاسع

في سؤالهم عن أشياء لا يعرفها إلا نبيّ وجوابه لهم
وتصديقهم إياه بأنه أصاب وتمردهم عن الإيمان به

روى ابن إسحق والطيالسي والفريابي والإمام أحمد ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ،
والبيهقي ، وأبو نعيم عن غيرهم بسند حسن عن ابن عباس رضى الله عنهما ، والبخارى في
تاريخه ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم من طريق آخر عنه مختصراً ، قال : « حَضَرَتْ
عَصَابَةُ مِنَ الْيَهُودِ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ حَدِّثْنَا عَنْ خِلَالٍ
نَسْأَلُكَ عَنْهَا لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا نَبِيٌّ . قَالَ : « سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ وَلَكِنْ اجْعَلُوا لِي ذِمَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
وَمَا أَخُذَ يَعْقُوبُ عَلَى نَبِيِّهِ لَمَّا لَحِقَتْكُمْ شَيْئاً لَتَبَايَعْتَنِي » . قَالُوا : فَذَلِكَ لَكَ . قَالُوا : أَرْبَعُ
خِلَالٍ نَسْأَلُكَ عَنْهَا : أَخْبِرْنَا أَيَّ طَعَامٍ حَرَّمَ لِإِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزِلَ التَّوْرَةُ ؟
وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ مَاءُ الرَّجُلِ مِنْ مَاءِ الْمَرْأَةِ ، وَكَيْفَ الْأُنْثَى مِنْهُ وَالذَّكَرُ ؟ وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ هَذَا
النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ فِي النَّوْمِ وَمَنْ يَلِيهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ؟ وَأَخْبِرْنَا مَا هَذَا الرَّغْدُ ؟ فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ عَهْدَ اللَّهِ
وَمِيثَاقَهُ : « لَمَّا أَخْبَرْتُمْ لَتَبَايَعْتَنِي » . فَأَعْطَوْهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ . قَالَ : فَاتَّشَدَّدَ
بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى : هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ مَرَضَ مَرَضاً طَالَ سَقَمُهُ فَتَنَدَّرَ
لَمَّا عَافَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَكَانَ أَحَبُّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لُحْمَانِ
الْإِيلِ وَأَحَبُّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا ، وَفِي رِوَايَةٍ : كَانَ يَسْكُنُ الْبَادِيَةَ فَاشْتَكَى عِرْقُ النِّسَاءِ ،
فَلَمْ يَجِدْ شَيْئاً يَدَاوِيهِ إِلَّا لَحْمَ الْإِيلِ وَأَلْبَانُهَا . فَقَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ ، اللَّهُمَّ أَشْهَدُ .
وَقَالَ : « أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَاءَ الرَّجُلِ أَيْبَضُ غَلِيظٌ ، وَأَنَّ مَاءَ
الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ رَقِيقٌ ، فَيَأْتِيهِمَا عِلَاقٌ كَالْوَلَدِ وَالشَّبَّهِ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : إِنْ عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ كَانَ
ذَكَراً بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِنْ عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ كَانَ أُنْثَى بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى » . قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ
أَشْهَدُ . / قَالَ : « فَاتَّشَدَّدَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ النَّبِيَّ

الْأُمِّيَّ تَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ^(١) ؟ قالوا : اللهم نعم اللهم اشهد . قالوا : أَنْتَ الْآنَ حَفَّتَا مَنْزِلِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ؟ فعندها نجاهمك أو نُفَارِقُكَ قال : « وَكَيْيَ جَبْرِيلَ ، وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا وَهُوَ وَكَيْيَ » . قالوا : فعندها نُفَارِقُكَ ، لو كَانَ وَكَيْيَ سِوَاهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا تَبْنَانَاكَ وَصَلَتْنَاكَ . قال : « فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُصَلُّوْا عَلَيَّ ؟ » قالوا : هَذَا عَلَتْهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ^(٢)) الْآيَةَ . وَنَزَلَتْ : (قِيَامُوا يَغْضِبَ عَلَى غَضَبٍ^(٣)) . وَفِي رَوَايَةٍ : فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَانِمِ نَسَأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ . وَذَكَرَ نَحْوُ مَا تَقَدَّمَ . وَزَادَ : قَالُوا : أَخْبِرْنَا عَنْ هَذَا الرَّغْدِ . قَالَ : « مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ ، بِيَدِهِ - أَوْ قَالَ : فِي يَدِهِ - مِخْرَاقٌ^(٤) مِنْ نَارٍ يَنْزِجُ بِهِ السَّحَابَ فَيَسُوقُهُ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ » . قَالُوا : فَمَا هَذَا الصَّوْتُ ؟ قَالَ : « صَوْتُهُ » . قَالُوا : صَلَّيْتَ .

وروى الترمذی ، والنسائی ، وابن ماجه ، والحاكم وصححه ، والبيهقي ، وأبو نعيم عن صفوان بن عسال - بعين فسين مشددة مفتوحتين مهملتين - قال : قال يهودى لصاحبه اذهب بنا إلى هذا النبي فتسأله . فقال له صاحبه : لا تَقُلْ نبي فإنه لو سمعتك تقول نبي كان له أربعة أعين ، فانطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قول الله عز وجل :

(۲) سورة البقرة آية ۹۷ .

(٤) في النهاية (ج ١ ص ٢٩١) : الخراق في الأصل ثوب يلف ويشرب به الصبيان بعضهم بعضاً أراد أنه آلة تخرج بها الملائكة السحاب ، وجمعه مخاريق ومنه حديث علي : الرق مخاريق الملائكة .

« وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ سِنْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ^(١) » فقال : « لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَسْخَرُوا وَلَا تَمْشُوا جِبرىء إلى ذى سلطانك هيئته . وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا وَلَا تَقْلَبُوا مُحْصَنَةً وَلَا تَقْرَبُوا مِنَ الزَّخْفِ عَلَيْكُمْ [يا معشر] اليهود خاصةً أَلَّا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ » . فَقَبِلَا يَدَيْهِ وَرَجَلَيْهِ وَقَالَا : « نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ » . قال : « قَمَا يَمْنَعُكُمَا أَنْ تُسْلِمَا ؟ » فَقَالَا : « إِنَّ دَاوُدَ دَعَا اللَّهَ أَلَّا يَزَالَ فِي ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ » ، وَإِنَّا نَخَافُ أَنْ أَسْلَمْنَا أَنْ تَقْتُلَنَا يَهُودٌ » .

١٠٧٠ روى مسلم عن ثوبان رضى الله عنه قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء خبر من اليهود فقال : أين الناس يوم تبدل الأرض / غير الأرض ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فِي ظِلْمَةِ دُونِ الْجِسْرِ » . قال : فمن أول الناس إجازة ؟ قال : « فقراء المهاجرين » . فقال : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : « زيادة كبد نون » . قال : « فما غلبوهم على أثره ؟ قال : « يُنْخَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا » . قال : فما شربوهم عليه ؟ قال : « مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تَسْمَى سَلْسَبِيلًا » . قال : صدقت .

قال : « وَجِئْتُ أَسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ ، جِئْتُ أَسْأَلُ عَنْ الْوَكْدِ . قال : « مَا الرَّجُلُ أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا مئى الرجل مئى المرأة فَذَكَرُ يَأْذَنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِذَا عَلَا مئى المرأة مئى الرجل فَانْثَى بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » . قال اليهودى : صَلَّيْتَ وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ . ثم انصرف . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهُ سَأَلَنِي عَنْ هَذَا الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ ، وَمَا أَعْلَمُ شَيْئاً مِنْهُ حَتَّى أَنْبَأَنِي لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

وروى ابن أبي شيبة ، وأحمد بن منيع ، وعبد بن حُمَيْد ، والنسائي في الكبرى ، والطبراني بسند صحيح عن زَيْدِ بْنِ أَرْثَمَ رضى الله عنه قال : جاء رجل من اليهود يقال له ثعلبة بن الحارث فقال : يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَتَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ ؟ وَقَالَ

(١) سورة الإسراء آية ١٠١ والحديث بطوله في تفسير القرطبي (ج ١٠ ص ٢٢٥ : ٢٢٦ . وصححه من ٢٢٩ : ٢٤٨) .

(٢) زيادة من تفسير القرطبي (ج ٢٠ ص ٢٧٥) .

اليهودى لأصحابه : « إن أقر بها خصمته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تؤمن بشجر المسك ؟ » قال : نعم . قال : « وتجدها في كتابكم ؟ » قال : نعم . قال : « والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة وجل إلى المطعم والمشرب والجماع » . فقال اليهودى : الذى يأكل ويشرب يكون له الحاجة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حاجتهم عرق يقبض من جلودهم مثل ربيع المسك ، فتضمر بطونهم » .

وروى سعيد بن منصور وأبو يعلى ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والبخاري ، والبيهقي ، وابن جرير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم يهودى فقال : يا محمد أخبرني عن النجوم التى رآها يوسف عليه السلام ساجدة له ما أسماؤها ؟ فلم يجبه بشئ . فنزل عليه جبريل فأخبره [بأسمائها ^(١)] . فبعث إلى اليهودى ^(٢) وقال له : « أتسلم إن أخبرتك [بأسمائها ؟ » قال : نعم ^(٣) » فقال : « هى ^(٤) » : حرثان وطارق والليل والنور . رآها [يوسف عليه السلام ^(٥)] فى أفق السماء ساجدة له . فقال اليهودى : هذه والله أسماؤها . قال / الحكيم بن ظهير أحد رواة : التبيات هو الشمس وهو ١٠٧١ أبوه ، والنور هو القمر وهى أمه . قال الحافظ فى حاشية كتبها على مجمع الزوائد : رأيت فى نسخة مصححة [أنه] من ضعفاء العقيلي .

بيان غريب ما سبق : « حرثان » ^(٦) بمهملة مفتوحة ثم مثناة . « الليل » : بحجمة ثم

(١) زيادة من تفسير ابن كثير (٢ ج ص ٤٦٨) .

(٢) هذا اليهودى يقال له بستانة كما فى تفسير القرطبي (٢ ج ص ٩٦) وتفسير ابن كثير والبداية والنهاية له (١ ج ص ١٩٩) .

(٣) زيادة من تفسير ابن كثير والبداية والنهاية .

(٤) زيادة من البداية والنهاية وتفسير القرطبي وميزان الاعتدال (١ ج ص ٥٧٢) .

(٥) زيادة من تفسير القرطبي .

(٦) أسماء هذه الكواكب مصحفة ومنطوقة فى المراجع التى رجعت إليها وهى تفسير القرطبي وتفسير ابن كثير والبداية والنهاية له وميزان الاعتدال وقد صححنا عدداً منها نقلاً عن القاموس والبعض الآخر نقلاً عن حاشية الشيخ محمد طه المدنى ومحمد الصباغ الذين قاما بتصحيح طبعة بولاق للكشاف سنة ١٢٨١ هـ - ١٨٦٤ م . وألحقنا غيب المؤلف كما أورده فى صلب كلامه وذكرنا التصويبات فى الحواشى . وحرثان فى حاشية الكشاف (٢ ج ص ٢٧٨) . معولها جريان يفتح الجيم وكسر الراء المهملة وتشديد الياء المثناة الصحية متقول من أسم طوق القميم .

تحية ثقيلة . « الكنفات ^(١) » بنون ففاء وآخره مُثَنَّاة . « الفَرْغ ^(٢) » [بفاء وراء ثم غين معجمة ^(٣)] . « عَمُودَان » [بلفظ ثنائية عمود ^(٤)] . « قَابِس ^(٥) » : يقاف ومُوَحَّدَة ثم مهملة . « الضَّرُوج » : بفتح الضاد المعجمة وآخره جيم ^(٦) . « المَصْبُح ^(٧) » : بضم الميم ثم فتح المهملة ثم مُوَحَّدَة مُثَقَّلَة ثم مهملة . [الفَلَيْق] : [بالفاء واللام والمثناة التحية فقاء ^(٨)]

-
- (١) الكنفات صوابه كما في حاشية الكشاف ذو الكتفين بلفظ ثنائية كتف نجم كبير وهي نجوم غير مرصودة هذا أوضح ما نقل من الشباب [الخفاجي] .
- (٢) صوابه ذوالفرغ وفي القاموس المحيط : فرغ الدلو المقدم والمؤخر منزلاً للقمر كل واحد كوكبان بين كل كوكبين في المرأى قدر ربح .
- (٣) يياض بالأصل والتكلة نقلاً عن ضبط القاموس .
- (٤) يياض بالأصل والتكلة من حاشية الكشاف .
- (٥) يقاف وموحدة وسين مهملة منقول من وصف مقتبس النار من حاشية الكشاف .
- (٦) صوابه الضروح بالحاء المهملة في آخره كما في نسخ الكشاف وأبي السموذ هذا الضبط .
- (٧) ما يطلع قبل الفجر .
- (٨) زيادة عن الأصل وهذا الضبط من حاشية الكشاف وجاء فيها أن الفليق نجم منفرد . هذا وقد أورد السيوطي في كتابه « مفهمات القرآن في مهمات القرآن » (ص ٢١ القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ) أسماء هذه الكواكب في تفسيره لأحد عشر كوكباً وأضاف قائلا كما ورد في حديث مرفوع أخرجه الحاكم في مستدركه . وقد وردت أسماءها مضبوطة ويبدو لنا أن الضبط منقول من حاشية الكشاف في طبعة بولاق . هذا ولم نشر على أسماء هذه الكواكب في الفصول التي عقدها محمد بن أحمد ابن يوسف الكاتب الخوارزمي المتوفى سنة ٢٨٧ هـ في كتابه مفاتيح العلوم (طبعة القاهرة سنة ١٣٤٢ هـ) ص ١٢٢ وما بعدها عما يتعلق بالنجوم .

الباب العاشر

في رجوعهم إليه صلى الله عليه وسلم في عقوبة الزاني وما ظهر في ذلك من كتمانهم ما أنزل الله عز وجل في التوراة من حكمه وصِفته
نبيه صلى الله عليه وسلم

روى ابن إسحق وابن جرير ، وابن المنذر ، والبيهقي في السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وعبد الرزاق ، وأحمد ، وعبد بن حميد ، وأبو داود ، وابن جرير ، والبيهقي في الدلائل من وجه آخر عنه ، وأحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي في ناسخه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن البراء بن عازب ، والشيخان عن ابن عمر ، وابن جرير ، والطبراني عن ابن عباس ، وعبد بن حميد في مسنده ، وأبو داود ، وابن ماجه وابن المنذر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما :

أن أحبار يهود اجتمعوا في بيت المذراس حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد زنى رجلٌ بعد إحصان بامرأة من يهود [قد أحضنت^(١)] - قال جابر : من أهل فُلك ، كتب أهلها إلى أناس من يهود المدينة « أن سلوا محمداً عن ذلك ، فإن أمركم بالجلد فخلوه عنه وإن أمركم بالرجم فلا تأخلوه عنه » . انتهى . قال أبو هريرة : فلما اجتمعوا في بيت المذراس قال : ابشوا بهذا الرجل وبهذه المرأة إلى محمد ، وفي لفظ : اذهبوا بنا إلى هذا النبي فإنه بُعث بخصيف^(٢) ، فإن أفتانا بغتياً دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله وقلنا فُتياً نبيٌّ من أنبيائك . وفي رواية : فقالوا : وكُوه الحكمُ فيهما فإن عمل فيهما بعملكم من التجبية - وهي النجد يحبل من ليف مطلي بقار ثم تسود وجوههما ،

(١) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ١٩٢) .

(٢) أي بمت بخصيف المقوية .

ثم يُخْمَلَانِ عَلَى جِمَارَيْنِ^(١) وَتَجْعَلُ وَجُوهَهُمَا مِنْ قَبْلِ أَدْبَارِ الْجَمَلَيْنِ^(٢) - فَتَبْعُوهُ فَلَمَّا هُوَ مَلِكٌ سَيْدُ قَوْمٍ ، وَإِنْ هُوَ حَكَمَ فِيهِمَا بِالرَّجْمِ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ فَاحْذَرُوهُ عَلَى مَا فِي أَيْدِيكُمْ أَنْ يَسْلُبَ كُفُّهُ^(٣)

فَاتَّبَعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ فِي أَصْحَابِهِ ، فَقَالُوا :

« يَا أَبَا الْقَاسِمِ / هَذَا رَجُلٌ قَدْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِامْرَأَةٍ قَدْ أَحْصَنْتَ فَاحْكُمْ فِيهِمَا فَقَدْ وَلَّيْنَاكَ

الْحَكْمَ فِيهِمَا^(٤) » . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَةِ ؟ » قَالُوا :

نَفْضُحَهُمَا وَيُجْلَدَانِ . وَفِي رِوَايَةٍ قَالُوا : دَعْنَا مِنَ التَّوْرَةِ وَقُلْ مَا عِنْدَكَ . فَأَقْنَاهُم بِالرَّجْمِ ،

فَانْكُرُوهُ . فَلَمْ يُكَلِّمْنَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى أَتَى بَيْتَ مِذْرَاسِهِمْ ، فَقَامَ

عَلَى الْبَابِ فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ يَهُودَ : أَخْرِجُوا إِلَيَّ عِلْمَاءَكُمْ » . فَأَخْرَجُوا إِلَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ صُورِيَا

وَأَبَا يَسِيرَ بْنَ أَخْطَبٍ ، وَوَقَّعَ بَنُ يَهُودًا ، فَقَالُوا : لَنْ هُوَلَاءُ عِلْمَاؤُنَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْشُدْكُمْ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى . مَا تَجِدُونَ

فِي التَّوْرَةِ عَلَى مَنْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ ؟ قَالُوا : يُجْرِمُ^(٥) وَيُجَذِّبُ^(٦) . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ :

كَلِمَتُهُمْ إِنَّ فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ . فَاتَّبَعُوهُ بِالتَّوْرَةِ فَنَشَرُوهَا فَوَضَعَ [أَحَدُهُمْ^(٧)] يَدَهُ عَلَى آيَةِ

الرَّجْمِ . فَغَرَّأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ : لَرَفَعَ يَدَهُ . فَرَفَعَهَا فَإِذَا آيَةُ

الرَّجْمِ تَلَوَحَ . قَالَ : صَدَقَ مُحَمَّدٌ . وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَقْسَمَ

فَعَلَيْهِمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَكَتَ شَابٌّ مِنْهُمْ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَكَتَ الْآخَرُ^(٨) بِهِ

[الْمَسْأَلَةُ^(٩)] ، فَقَالَ : إِذْ نَشَلْتُنَا فَلَمَّا نَجَدَ فِي التَّوْرَةِ الرَّجْمَ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) فِي الْأَصْلِ بِصِيغَةِ الْمَفْرُودِ وَأَتَّبَعْنَا صِيغَةَ الْمُثْنَى كَمَا فِي ابْنِ هَشَامٍ (ج ٢ ص ١٩٣) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : يَسْلُبُكُمْ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : مَا تَرَى فِي رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ مِنْهُمَا زَنِيَا؟ وَهَذِهِ عِبَارَةٌ مُقْتَضِيَةٌ لَمْ يَرِدْ لَهَا ذِكْرُ الْإِحْصَانِ . وَرِوَايَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ

الْوَجْجُ . (٤) مِنْ حِمَمِ الرَّجُلِ أَيْ سَخَرِ رُوحِهِ وَرَدَّى النَّفْسِ (ج ١ ص ٢٦١) . فِي حَقَائِقِ الرَّجْمِ أَنَّهُ مَرَّ بِبَيْتِي . حِمَمُ أَيْ مَسُودُ

الرُّوحِ مِنْ الْحَمَةِ الْفُحْشَةِ وَجَمِيعِهَا حِمَمٌ .

(٥) فِي الْأَصْلِ التَّجْبِيهِ . أَيْ يَقْرَأُ الْإِنْسَانُ قِيَامَ الرَّائِعِ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسُودٍ فِي ذِكْرِ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْفَعُ فِي الصُّورِ قَالَ

فَيَقْرَأُ بِمِثْلِ تَحِيَّةِ رَسُولٍ مُرَاحٍ قِيَامًا لِرُبِّ الْعَالَمِينَ وَالتَّحِيَّةُ تَكُونُ فِي سَائِرِ أَحَدِهَا أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَهُوَ قَائِمٌ

وَالْآخَرُ أَنْ يَتَكَبَّرَ عَلَى وَجْهِهِ يَرْكُأُ وَهُوَ السَّجْدُ .

(٦) زِيَادَةُ يَفْضُضُهَا السِّيَاقُ .

(٧) فِي الْبُحَارِ (ج ٤ ص ٥٨) أَيْ بِالْقُوَّةِ يَلْظُقُّ لِنَظَائِمًا إِذَا لَزِمَهُ وَثَائِرُ عَلَيْهِ .

(٨) زِيَادَةُ مِنْ ابْنِ هَشَامٍ .

« فما أَوَّلُ ما رخصتم أمر الله عز وجل ؟ » قال : « زنى رجل ذو قرابة من مَلِكٍ من ملوكنا فَأُتِرَ عنه الرَّجْمُ . ثم زنى رَجُلٌ في أُسْرَةٍ ^(١) من الناس فَأَرَادُوا رَجْمَهُ فَحَالَ قَوْمُهُ دُونَهُ وقالوا : والله لا يُرْجَمُ صاحبنا حتى تجيء بصاحبك فَتَرْجُمَهُ ، فاصطلحوا على هذه العقوبة بينهم . وفي رواية أَنَّ الزَّنى كَثُرَ في أَشْرَافِنَا ، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرْكَنَاهُ ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، فَقَلْنَا : تَعَالَوْا حَتَّى نَجْعَلَ شَيْئاً وَنُقِیمَهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالضَّعِيفِ . فَأَجْمَعْنَا عَلَى التَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ ، أَمَا وَاللَّهِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ لَإِنَّهُمْ لَيَعْرِقُونَ لِنَاكَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَكِنَّهُمْ يَحْسُبُونَكَ .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم إني أَوَّلُ من أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ قَدِیمًا بالشَّهْوَةِ . فجاءوا بِأَرْبَعَةِ [شهود] فشهدوا بِأَنَّهُمْ رَأَوْا ذَكَرَهُ فِي فَرْجِهَا مِثْلَ الْبَيْلِ فِي الْمُكْحَلَةِ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِمَا فَرُجِمَا عِنْدَ بَابِ مَسْجِدِهِ ، وَفِي رِوَايَةٍ بِالْبِلَاطِ . قال ابن عُثْرٍ : فرأيتُ الرَّجُلَ يُجَنَّبُ ^(٢) عَلَى الْمَرْأَةِ لِيَقْبِيَهَا الْحِجَارَةُ ، وَفِي لَفْظٍ : فَكُنْتُ فِيمَنْ رَجَمَهُمَا فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَقْبِيهَا الْحِجَارَةَ بِنَفْسِهِ .

تنبيه : في بيان غريب ما سبق : « بَيْتُ الْمِئْرَاسِ » : بكسر الميم [وهو البيت] الذي يقرأ فيه أهل الكتاب ^(٣) كُتِبَهُمْ . « التَّجْنِيبَةُ » : بفتح / الفوقية وسكون الجيم وكسر ١٠٧٣ ات الموحدة بعدها تحتية ساكنة ثم هاء ، فَسَّرَ الْحَدِيثَ بِالْجَلْدِ وَالتَّحْمِيمِ وَالْمُخَالَفَةِ فِي الرُّكُوبِ قال ثابت بن قاسم : وقد يكون معناه التعبير والإغلاظ من جَبَّهْتُ الرَّجُلَ أَيْ قَابَلْتُهُ بِمَا يَكْرَهُ ، وَضَبَطُهَا بَعْضُهُمْ بِمَثْنَاءٍ فِي آخِرِهِ وَقَبْلُهَا حَرَكَةٌ ، وَأَصْلُهُ الْبُرُوكُ وَهُوَ بَعِيدُهَا . « صُورِيَا » : بصاد مهملة مضمومة وآخِرُهُ يَاءٌ وَالْف . « يَامِير » : بتحتية وسين مهملة . « أَخْطَب » : بوزن أَفْعَلَ التَّنْفِصِيلِ مِنَ الْخُطْبَةِ . « أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ ^(٤) » : أَذْكَرُكُمْ أَوْ سَأَلْتُكُمْ بِهِ مُعْصِياً عَلَيْكُمْ .

(١) في النهاية (ج ١ ص ٣١) زنى رجل في أسرة من الناس . الأسرة عشيرة الرجل وأهل بيته لأنه يتقوى بهم .
(٢) في النهاية (ج ١ ص ١٨٠) : يجنى عليها أي يكب ويميل عليها ليقبها الحجارة من أجل أن يجنى إجناءه . وفي رواية أخرى فلقد رأيتُه يجاني عليها مفاصلة من جانا يجاني ، ويروي بالخاء المعجمة .
(٣) تعريف المؤلف هنا للمئراس غير مانع لأنه يشمل النصارى وهم أهل كتاب مع أن المدارس خاص باليهود وسلم دون النصارى .
(٤) يقال : نشدتك الله ونشدتك بالله ونشدتك بالرحم وبالرحم .

« تلوح » : تبدو . « أَلْظُ » به لازمه . « النَّشْدَةُ^(١) » : بكسر النون من المناشدة . « الأُسْرَةُ » :
القُوَّةُ « البلاط » - بفتح الموحدة : الحجارة المقروشة ، وموضع بالمدينة وهو المراد هنا .
« يُجْنَى عليها^(٢) » : يُكَبُّ [ويميل] عليها .

(١) نشد من ياب نصر نشد الفألة ينشدها نشداً ونشدة ونشداً بكسرهما طلبها وعرفها ، عن القماموس المحيط .
(٢) أثبتنا هنا ضبط ابن الأثير في النهاية على اعتبار أن الفعل رباعى ولكن الثلاثي منه من ياب فتح يؤدى نفس المعنى
فإن اللسان يقال أرادوا ضربه فجنأت عليه أيه بنفسى وإذا أكب الرجل على الرجل يقيه شيئاً قيل أجنأ ، وجنأت المرأة على
الولد أكبت عليه ، عن التلج . ثم أورد الزبيدي حديث الرجم بلفظ يحنأ عليها .

الباب الحادى عشر

فى سؤاله لهم أن يَتَمَنَّوْا المَوْتَ إن كانوا صادقين

فى دَعَاوَى أَدْعُوها

قال الله عز وجل : (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(١)) روى ابن جرير عن أبى العالية أنه قال : « قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ^(٢) » . فأنزل الله تعالى الآية الأولى فلم يفعلوا . وروى البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الآية الأولى لما نزلت قال لم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن كنتم فى مقاتلکم صادقین قولوا اللهم آمین فوالذى نفسى بيده لا يقولها رجل منكم إلا غصَّ بِرِيقِهِ فمات مكانه » ، فَأَبَوْا أَنْ يَفْعَلُوا وَكَرِهُوا مَا قَالَ لَهُمْ ، فنزل : (وَكَانَ يُتَمَنَّى أَبَدًا بِمَا قَلِمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ^(٣)) يخنى عماته أيديهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول هذه الآية : « والله لن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا » . وروى ابن إسحق ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم من طريق آخر عنه ، قال : « لو تَمَنَّى اليهود الموت لَشَرِقَ أَحَدُهُمْ بِرِيقِهِ » .. وروى الإمام أحمد ، والبخارى ، والترمذى ، والنسائى ، وابن مَرْكُوبٍ ، وأبو نُعَيْمٍ ، عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو أن اليهود تَمَنَّوْا المَوْتَ ، لما تَوَّأ وَكَرَّأُوا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ » .

(١) سورة البقرة آية ٩٤ .

(٢) فى هذا اقتباس من الآية ١٨ من سورة المائدة : (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) .

(٣) سورة البقرة آية ٩٥ .

الباب الثاني عشر

في سحرهم لإياه صلى الله عليه وسلم

١٠٧٤

روى الشيخان والإسماعيلي ، وابن مَرْدَوِيه ، والبيهقي عن عائشة رضى الله / عنها ، والإمام أحمد ، وعبد بن حُمَيْد ، والبخارى ، والنسائي عن زيد بن أَرْقَم ، وابن مَرْدَوِيه عن أَنَس بن مالك رضى الله عنه ، وابن سعد ، والبيهقي ، وابن مَرْدَوِيه عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وابن سعد عن عُمَر بن الحكم مُرْسَلًا ، قال عُمَر بن الحكم : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الْحُدَيْبِيَّة [في ذى الحجة ^(١)] ودخل الْمُحَرَّم سنة بَيْعِ جَاءَتْ رؤساء يهود [الذين بَقُوا في المدينة مِمَّنْ يُظْهَر الإسلام وهو منافق ^(٢)] إلى لَبِيد بن الأعصم ، وكان حليفًا في بَنِي زُرَيْق وكان ساحرًا [قد علمت ذلك يهود أنه أعلمهم بالسَّحَر وبالسَّوْم ^(٣)] فقالوا له : يا أبا الأعصم أنت أسحرنا ، وقد سحرنا محمدًا فلم نصنع شيئًا [وأنت ترى آثره فينا ، ونِعْلَاقَه دِينَنَا ، ومن قتل منا وأَجَلٌ ^(٤)] ونحن نجعل لك على ذلك جُعْلًا [على أن تسحره لنا سحرًا يَنْكُوه ^(٥)] ففعلوا له ثلاثة دنائير [على أن يسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٦)] .

وقالت عائشة رضى الله عنها في رواية عبد الله بن عُمَيْر : سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودى من يهود بَنِي زُرَيْق . وفي رواية ابن عُيَيْنَةَ : رجل من بَنِي زُرَيْق حليف يهود وكان منافقًا . وفي حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك عند ابن سعد : إنما سحره بنات أعصم أخوات لَبِيد [وكُنَّ أسحر من لبيد وأخبيث ^(٧)] وكان لبيد هو الذى ذهب به فادخله تحت راعوفة البشر ^(٨) ، فلما ^(٩) عَقَلُوا تلك المُقَد أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيادة من طبقات ابن سعد (ج ٤ ص ١١) الذى نقل عنه المؤلف .

(٢) زاد ابن سعد : فعد إلى مشط وما يمشط من الرأس من الشعر ، فقد فيه عقدًا وتقل فيها قنلا وجمله في جب (وفي رواية في ج ٢) طلع غلة ذكر ثم انتهى به حتى جمعه تحت راعوفة البئر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرًا أنكره حتى ينيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله .

(٣) زيادة من طبقات ابن سعد (ج ٤ ص ١١) الذى نقل عنه المؤلف .
(٤) راعوفة البئر كما في النهاية (ج ٣ ص ٨٧) هي حفرة تترك في أسفل البئر إذا حفرت تكون ثالثة هناك فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المني عليها . وقيل هي حجر يكون على رأس البئر يقوم للمني عليه ، ويروى بالهاء المخلطة راعوفة والمشهور بالفاء .

(٥) بل ذلك في الأصل : حتى ينيل إليه أنه فعل الشيء . ولم يكن فعله ، وهذه العبارة لا تأتلف مع ما سبقها وأثبتنا بدلًا منها تكله رواية عبد الرحمن بن كعب بن مالك كما نقلها المؤلف عن طبقات ابن سعد .

وسلم تلك الساعة بَصْرَه ، ودَسَ بناتُ أَعْصَمَ إحداهن فدخلت على عائشة رضى الله عنها
[فَخَبَّرَتْهَا عائشة أو سمعت عائشة تذكر ما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بَصْرِهِ ^(١)] .
ثم خرجت إلى أخواتها [وإلى لبيد ^(٢)] فَخَبَّرَتْهُم بذلك . فقالت إحداهن : « إِنْ يَكُنْ نَبِيًّا
فَسَيُخَبَّرُ وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَسَوْفَ يُنَلِّهُ هَذَا السُّخْرُ حَتَّى يَلْهَبَ عَقْلَهُ » .

وفي رواية في الصحيح [عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُجْرًا ^(٣)] حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَلْقَى النِّسَاءَ وَلَا يَأْتِيَهُنَّ » . قال مسفيان وهذا شَرٌّ
مَا يَكُونُ إِذَا كَانَ كَذَا .

وفي مُرْسَلٍ يَحْيَى بْنُ يَعْمَرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ : حَتَّى أَنْكَرَ بَصْرَه ، فدخل عليه أصحابه
يعودونه فخرجوا من عنده وهم يرون أنه لما به [مطبوب] . وفي رواية عمرة عن عائشة
عند البيهقي : فَكَانَ يَلُوبُ وَمَا يَلْرَى مَا وَجَّهَهُ فَاشْتَكَى لِذَلِكَ أَيَّامًا . وفي رواية أبي ضمرة
عند الإمام عيسى : مَكَثَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً . وفي رواية وهيب عند الإمام أحمد : سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، حَتَّى إِذَا
كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدَى دَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ دَعَا ثُمَّ قَالَ : « يَا عَائِشَةُ أَشْتَعِرْتُ أَنَّ اللَّهَ
أُنْتَابِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ ؟ » قُلْتُ : وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَتَانِي رَجُلَانِ - وَفِي حَدِيثٍ
ابْنُ عَبَّاسٍ : جَبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ - فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي - قَالَ الدِّمِيَّاطِيُّ هُوَ جَبْرِيلُ -
وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي . ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِلصَّاحِبِ - وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ : فَقَالَ مِيكَائِيلُ : يَا جَبْرِيلُ
إِنْ صَاحَبَكَ شَاكٍ . قَالَ : أَجَلٌ . قَالَ : وَمَا وَجَّعَ الرَّجُلُ ؟ فَقَالَ : / مطبوب . قَالَ : وَمَنْ ١٠٧٥
طَبَّهُ ؟ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ . قَالَ : فَبِأَيِّذَا ؟ قَالَ : « فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ - وَفِي لَفْظٍ :
مُشْطٌ وَمُشَاقَّةٌ وَجُفْتُ طَلْعَ نَخْلَةٍ ذَكَرَ » .

وفي حديث عائشة من طريق ابن عيينة ، « فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي » . قَالَ الْحَافِظُ :
« وَكَانَهَا أَصُوبٌ » . وفي حديث ابن عباس عند البيهقي قال : « وَأَيْنَ هُوَ ؟ » قَالَ : فِي بَثْرٍ

(١) ساقطة من الأصل والزيادة من طبقات ابن سعد (ج ٤ ص ١١ و ١٢) .

(٢) زيادة من ابن سعد .

(٣) زيادة من صحيح البخاري كتاب الكهانة والسحر (ج ٧ ص ٢٥١) .

ذى أروان - وفى لفظ : يثر جِرْوَان - وفى حديث ابن عباس عند ابن مَرْكُوبِه : وهو بشر ميمون فى كُتَيْبَةٍ^(١) تحت صخرة فى الماء . قال : فما دواء ذلك ؟ قال : تُنَزَّحَ الْبِشْرُ ثُمَّ تُقَلَّبُ الصخرة فتؤخذ الكلبة فيها مثال إحدى عشرة عُقْدَةَ فتُحَرَّقُ فإنه يَبْرَأُ بإذن الله تعالى . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّاً وعَمَاراً^(٢) . وفى حديث آخر : ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أناس من أصحابه إلى البئر ، فنظر إليها ، وعليها نخْلٌ ، فدخل رجل فاستخرج جُفَّ طَلْعَةً [ذكر] من تحت الراعوفة ، فإذا فيها مُشْطُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا وَتَرٌ [معقود^(٣)] فيه إحدى عشرة عُقْدَةَ مُعْرَزة بالإبر ، فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين : سورة الفلق وسورة الناس [وهما إحدى عشرة آية على عدد تلك العقدة وأمر أن يتعوذ بهما^(٤)] فجعل كلما قرأ آية انحلت عُقْدَةٌ ، وكلما نَزَعَ إبرة وجد لها ألماً ويجد بعدها راحة . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما أنشط من عقال^(٥) . قالت عائشة : فلما رجع قال : لكَأَنَّ مَاعِهَا نُقَاعَةُ الْحِثَاءِ وَكَأَنَّ رَمُوسَ نَخْلِهَا الَّذِى يَشْرِبُ مَاعِهَا قَدْ التَوَى سَعْفَهُ كَأَنَّهُ رَمُوسُ الشَّيَاطِينِ . قلت : يا رسول الله أفلا استخرجته ؟ قال : « لا » - وفى رواية من حديث عائشة فى الصحيح وغيره : فقلت يا رسول الله أفلا^(٦) - قال سفيان : أَى تَشَرَّتْ^(٧) - فقال : « أما والله » - وفى رواية : « أما أنا فقد عافاني الله وشفاني ، وَخَشِيتُ أَنْ أَتَوَّرَ » - وفى رواية أُثِيرَ - على الناس منه شراً . وأمر بها فدفنت . فقيل يا رسول الله لو قتلته فقال : « ما وراءه من عذاب أشد » . وفى رواية : فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترف فعفا عنه ولم يقتله^(٨) .

(١) فى النهاية (ج ٤ ص ١١) الكلبة هى القطعة الغليظة الصلبة التى لا يعمل فيها الفأس . وأكسى الحافر إذا بلدها .

(٢) فى تفسير القرطبى (ج ٢٠ ص ٢٥٣) أنه أرسل أيضاً الزبير بن العوام .

(٣) زيادة من تفسير القرطبى .

(٤) زيادة من طبقات ابن سعد .

(٥) زاد القرطبى : وجعل جبريل يرقى رسول الله فيقول : باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر حاسد ومن واه يشفيك .

(٦) وفى لفظ : حلا .

(٧) فى النهاية (ج ٤ ص ١٤٤) من التثرة بالضم وهى ضرب من الرقية يعالج به من كان يظن أن به مساً من الجن سميت تثرة لأنه ينشر بها عنه ما خاربه من الماء أى يكشف وي زال فيقال قد نشرت عنه تشيراً .

(٨) فى طبقات ابن سعد (ج ٤ ص ١١) أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل إلى لبيد بن الأعمس فقال له : « ما حملك على ما صنعت فقد دنى الله عن صورك وأخبرني ما صنعت ؟ » فقال : حب التناثر يا أبا القاسم .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : السَّحَرُ يُطْلَقُ ويراد به الآلة التي يُسَحَرُ بها ، ويطلق ويراد به فِعْلُ الساحر ، وتكون الآلة تارةً معنى من المعاني فقط كالرُّقَى والتَفْتِثِ في العُقَدِ ، وتارةً تكون بالمحسوسات . وتارةً تجمع الأمرين الحسى والمعنوى وهو أبلغ .

الثاني : اختُلِفَ في السحر ، فقليل هو تخييل فقط ولا حقيقة له ، وهو اختيار أبي جعفر الأستراباذى من الشافعية ؛ وأبي بكر الدارمى من الحنيفة ، وابن حزم الظاهرى وطائفة . قال النووى : « والصحيح أن للسحر / حقيقة ، وبه قطع الجمهور ، وعليه عامة العلماء ، ١٠٧٦ » ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة « انتهى . ولكن محل النزاع : هل يقع بالسحر انقلاب عين أولاً ؟ فمن قال إنه تخييل فقط ، منع . وقيل إن له حقيقة . واختلفوا هل له تأثير فقط بحيث يُغَيِّرُ المزاج فيكون نوعاً من الأمراض ، وينتهى إلى حالة بحيث يصير الجماد حيواناً مثلاً وعكسه ؟ فالذى عليه الجمهور ، الأول . ودعيت طائفة قليلة إلى الثانى .

.. فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فمُسَلَّمٌ به ، وإن كان بالنظر إلى الواقع فهو محل الخلاف ، فإن كثيراً من يدعى ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه . وذكروا قوماً أنكروا السحر مُطلقاً وكأنهم عنوا القائلين بأنه تخييل وإلا فهذه مكابرة^(١) . قال المازرى : جمهور العلماء على إثبات السحر وأن له حقيقة ، ونفى بعضهم حقيقته وأضاف مايقع منه إلى خيالات باطلة ، وهو مردود لورود النقل بإثبات السحر ، ولأن العقل لا ينكر أن الله تعالى قد يخرق العادة عند نُطقِ الساحر بكلام مُلْفَقٍ أو تركيب أجسام أو مزج بين قُوى على ترتيب مخصوص ، ونظير ذلك مايقع من خُذَّاقِ الأطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضَّأَرُ منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعاً . وقيل لايزيد تأثير السحر على ما ذكر الله تعالى في قوله : « يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ »^(٢) « لَكُونِ الْمَقَامَ مَقَامَ تَهْوِيلٍ ، فلو جاز أن يقع به أكثر من ذلك لذكره . قال المازرى : « والصحيح من جهة العقل أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك ، والآية ليست نصاً فى منع الزيادة ولو قلنا إنها ظاهرة فى ذلك » .

(١) فى الأصل : وذكر قوماً أنكروا السحر مطلقاً وكأنه عنى القائلين بأنه تخييل وإلا فهى مكابرة ، وعبارة المؤلف من آية حال غامضة .

(٢) سورة البقرة آية ١٠٢ .

ثم ذكر الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة ، وقد ذكرته في أبواب المعجزات .

الثالث : قال النووي : « عمل السحر حرام وهو من الكبائر بإجماع ، وقد عده النبي صلى الله عليه وسلم من السبع الموبقات ، ومنه ما يكون كفراً ، ومنه ما لا يكون كفراً بل منصية كبيرة ، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر كالتعبد للشياطين أو الكواكب . وأما تعليمه وتعلمه فحرام ، فإن كان فيه ما يقتضي الكفر استتيب منه [مماطيه] ولا يُقتل . فإن تاب قبلت توبته ، وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عُرِر . وعن الإمام مالك : السَّاحِرُ كافر يُقتل ولا يُستتاب ، بل يَحْتَمُ قَتْلُهُ كَالزَّانِيَةِ . قال القاضي : « وَيَقُولُ مالك قال أحمد ، وجماعة من الصحابة والتابعين » . انتهى . وإلى ذلك جنح البخاري .

الرابع : قال الحافظ : « أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين : إما لتمييز ما فيه من كفر من غيره ، وإما لإزالته عن وقع / فيه . فأما الأول فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد ، فإذا سلم الاعتقاد فمعرفة الشيء معرفة مجردة لا تستلزم منبأ ، كمن يعرف عبادة أهل الأوثان ، لأن كيفية ما يعرفه السَّاحِرُ إنما هي حكاية قول وفعل ، بخلافه مماطيه والعمل به . وأما الثاني فإن كان لا يتم كما زعم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلاً ، وإلا جاز للمعنى المذكور ، ولهذا مزيد بسط يأتي إن شاء الله في أبواب عصيته صلى الله عليه وسلم .

الخامس : لبيد - بفتح اللام وكسر الموحدة بعدها تحتية ساكنة ثم مهملة - ابن الأعصم يوزن أحمر مهملتين - وصِفَ في رواية بأنه من يهود بني زريق^(١) . وفي رواية [أخرى] بأنه رجل من بني زريق حليف يهود^(٢) ، وكان منافقاً . ويُجمع بينهما بأن من أطلق أنه يهودي نظم إلى ما في نفس الأمر ، ومن أطلق عليه منافقاً نظر إلى ظاهر أمره . قال أبو الفرج : وهذا يدل على أنه أسلم نفاقاً وهو واضح .

السادس : في مدة مكثه صلى الله عليه وسلم مسحوراً : وقع في رواية أبي حمزة عند الإسماعيلي في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم مكث أربعين ليلة . وفي رواية وهيب عن

(١) هذه رواية هشام عن أبيه عن عائشة في صحيح البخاري (ج ٧ ص ٢٥١) .

(٢) هذه رواية الزهري عن ابن المسيب وعروة في طبقات ابن سعد (ج ٤ ص ١٢) .

هشام عند الإمام أحمد ستة أشهر . ويمكن الجمع بينهما بأن تكون السنة أشهر من ابتداء
تغير مزاجه والأربعين يوماً من استحكامه . قال السهيلي^(١) : لم أقف على شيء من الأحاديث
المشهورة على قدر المدة التي مكث صلى الله عليه وسلم فيها من السحر ، حتى
ظفرت به في جامع معمر [بن راشد]^(٢) عن الزهري قال : « سحر رسول الله صلى الله عليه
وسلم سنة [يُحْيِلُ إليه أنه يفعل الفعل ولا يفعله]^(٣) » . وقد وجدناه موصولاً بإسناد صحيح
فهو المعتمد .

السابع : قوله : « فدعا الله عز وجل ثم دعا الله عز وجل » : قال الإمام النووي : « فيه
استحباب الدعاء عند حصول الأمور المكروهات وتكريره [وَحُسْنٌ]^(٤) » [الالتجاء إلى الله تعالى
في رفع ذلك]^(٥) . قال الحافظ : « سَلَكَ النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القضية مَسَلَكِيَّ
التفويض وتعاطى الأسباب ، في أول الأمر فَوْضَ وَسَلَّم لأمر ربه ، واحتسب الآخر في صبره
على بلائه . ثم لما تمادى ذلك وخشى من تماديه أن يَضَعُفَ عن عبادته جنح إلى التداوى
ثم إلى الدعاء . وكل من المَقَامَيْنِ غاية في الكمال » .

الثامن : وقع في حديث ابن عباس عند ابن سعد^(٦) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أرسل علياً وعماراً لاستخراج السحر . وفي رواية عائشة في الصحيح^(٧) : أنه صلى الله عليه
وسلم تَوَجَّهَ إلى البشر مع جماعة . وعند ابن سعد^(٨) عن عمر بن الحكم مُرْسَلًا : « قَدَعَا
جُبَيْرُ بْنُ إِيَّاسِ الزُّرِّي قَدْلَهُ عَلِي مَوْضِعِهِ / فِي بَشَرِ ذُرْوَانَ [تَحَبَّ أَرْعُوقَةَ الْبَشَرِ فَخَرَجَ جُبَيْرُ

(١) الروض الأنف (ج ٢ ص ٢٤ ٢٥) ولفظ السهيلي: غير أني لم أجد في الكتب المشهورة كم لبث رسول الله بذلك
السحر حتى شفي منه ثم وقعت على البيان في جامع معمر بن راشد .

(٢) التكملة من السهيلي .

(٣) زيادة من الصحيحين ولفظ مسلم يفعل الشيء .

(٤) زيادة من شرح النووي على مسلم (ج ١٤ ص ١٨٦) التي نقل المؤلف عنه .

(٥) في رفع ذلك ، من عند المؤلف ولم ترد في كلام النووي .

(٦) طبقات ابن سعد (ج ٤ ص ١٢) .

(٧) صحيح البخاري (ج ٧ ص ٢٥١) .

(٨) ابن سعد (ج ٤ ص ١١) .

حتى^(١) استخرجه . قال ابن سعد^(٢) : ويقال : إن الذي استخرج السحر [بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣)] قيس بن مخضن الزركي . ويجمع بآته أعان جبيراً على ذلك وباشره بنفسه فنُسب إليه .

التاسع : في بيان غريب ماسبق : « الحُتَيْبِيَّة » : يأتي الكلام عليها في غزونها . « الحليف » المَعَاهِد . « بنوزُرَيْق » : بتقديم الزاي تصغير أزرُق . « أَشْعَرَتْ ؟ » : أَعْلِمَتْ ؟ « مطبوب » : مَسْحُور . يقال : طُبَّ الرجل - بالضم - إذا سحر وَكُنُوا بالطَّبِّ عن السَّحَرِ تَفَاوُلاً [بالْبُرء^(٤)] كما كُنُوا بالسَّليم عن اللِّدِيغ . وقال القرطبي في الْمُفْهِم : « إِنَّمَا قَالُوا لِلَّسَّحَرِ طَبِّ ؛ لِأَنَّ أَصْلَ الطَّبِّ الْحِذْقُ بِالشَّيْءِ وَالتَّنْقِطُ لَهُ ، فَلَمَّا كَانَ كُلُّ مَنْ عَالَجَ الْمَرَضَ وَالسَّحَرَ إِنَّمَا يَأْتِي عَنْ فِطْنَةٍ وَحِذْقٍ ، أُطْلِقَ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا هَذَا الْاسْمُ . مُشْطَ^(٥) » : معروف وتقدم الكلام عليه في شرح غريب قصة المعراج . « مُشَاطَةٌ » . ما مُشِطَ من الرأس . « مُشَاقَّة^(٦) » : قيل مُشَاقَّةُ الْكَتَّانِ . وقيل المُشَاقَّةُ هِيَ الْمُشَاطَةُ بعينها ، والقاف تُبَدَّلُ مِنَ الطَّاءِ لِقُرْبِ الْمَخْرَجِ وهما بمعنى واحد . « جُفَّ^(٧) » : بالجيم والقاف وهو الغشاء الذي يكون على الطَّلَع . « الطَّلَع » : يطلق على الذكر

(١) زيادة من ابن سعد . (٢) ابن سعد (ج ٤ ص ١٢) . (٣) زيادة من ابن سعد .

(٤) زيادة من النهاية (ج ٣ ص ٣٠) وفي الأضداد للأصمعي والسجستاني وابن السكيت (بيروت سنة ١٩١٢ م ص ٢٣٧) : الطب : السحر والمداد من السحر وغيره . وفي كتاب الأضداد في اللغة لابن الأباري (القاهرة سنة ١٣٢٥ م ص ٢٠١ : ٢٠٢) : الطب من الأضداد يقال الطب لملح السحر وغيره من الآفات والملل ويقال الطب للسحر ، ورجل مطبوب إذا كان مسحوراً . . . قال علقمة بن عبدة :

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنَّسَاءِ فَإِنِّي عَمِيرٌ بِأَدْوَاءِ النَّسَاءِ طَيِّبٌ
فَالطَّيِّبُ جَهَنَّا الْحَاقِقُ وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْعَمَالِجِ طَيِّبٌ لِحَلَّتْهُ قَالُ عَتَرَةٍ :
إِنْ تَلَنَّقُ دَوْفِي الْقَنَاعِ فَإِنِّي طَبٌّ بِأَخْذِ الْفَارَسِ الْمُحْتَلَمِ
وقال الآخر :

وَكُنْتُ كُلِّي سَقَمٍ تَجِي نَفْسُهُ طَيِّبًا فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ تَطْيِيبًا
وَفِي التَّاجِ : وَمِنْ هِجَازِ الطَّبِّ بِمَعْنَى السَّحَرِ . قَالَ ابْنُ الْأَسْلَمِ :
أَلَا مِنْ مَبْلَغِ حَسَنِ هُوَ أَطْبُ كَانَ دَاوُدُكَ أَمْ جَنُونَ

(٥) في القاموس وشرحه : المشط مثلثة الأول واتصهر الجوهرى على الفم وهو أفصح لصفاته وهو آلة يمشط أى يمسح بها الشعر والجميع أمشاط كقفل وأقفال . وفي النهاية (ج ٤ ص ٩٦) المشاطة هى الشعر الذى يسقط من الرأس والحية عند تسريحه بالمشط .

(٦) في النهاية المشاطة هى المشاطة . وهى أيضاً ما يتقطع من الإبريسم والكتان عند تخليصه وتسريحه . والمشق جذب الشيء ليطول .

(٧) الجف وعاء الطلع وهو الغشاء الذى يكون فوقه ويروى أيضاً في جب طلمة . قاله في النهاية وفي الفائق (ج ١ ص ٢٠٠) جفها وعافها إذا جف ، وجبها جوفها ومنه جب البئر وهو جرابها .

والأُنثى ، فلهذا قِيَدَهُ بِالذَّكَرِ ، وفي رواية في الصحيحين بفتح طَلْعَةٍ [ذَكَرٌ^(١)] فهو صفة المحبب إلى ذَكَرٍ . «بئر ذُرْوَان»^(٢) : بالذال المعجمة وزن مَرْوَان . وفي رواية «ذَى أَرْوَان» وهي الأصل . فسُهلَّت الهمزة لكثرة الاستعمال فصارت ذُرْوَان . وفي رواية السهيلي^(٣) : ذى رِوَان بإسقاط همزته . [وهو] غلط . «الرَّاعُوفَةُ» : كذلك لأكثر رواة الصحيح بزيادة ألف غلطا لابن التَّيْنِ حَيْثُ زَعَمَ أَنَّ رَعُوفَةً^(٤) للأصيلي فقط وهو المشهور في اللغة . وفي لغة أَرَعُوفَة . وفي رواية . عند أحمد «رَعُوفَة» ، بثاء مثلثة بدل الفاء وهي لغة أخرى معروفة . وفيها لغة أخرى «زَعُوفَة» بالزاي والموحدة ، وهما بمعنى واحد . والرَّاعُوفَة حَجَرٌ يُوضَع عند رأس البئر لَا يُسْتَطَاعُ قَلْعُهُ ، يقوم عليه المُسْتَقِي ، وقد يكون في أسفل البئر إذا اخْتَفَرَتْ ، يجلس عليها الذي يُنْظَفُ البئر ، وهو حجر يُوجَد صلباً لَا يستطاع قَلْعُهُ . «أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتَهُ فِيهِ : أَجَابَنِي فِيمَا دَعَوْتُهُ ، فأطلق على الدعاء استفتاءً لَأَن الداعي طالب ، والمُجِيب مُسْتَفْتِي ، والمعنى : أَجَابَنِي عما سألته عنه ؛ لَأَن دعاءه كان الله أعلمه على حقيقة ما هو فيه لما اشدت عليه الأمر . «أُنْشِطُ مِنْ عِقَالٍ» : بضم الهمزة . وفي رواية إسقاط الألف ، أى حُلَّ كما قال في النهاية^(٥) ، وكثيراً ما يجيء في الرواية «كأنما نَشِطُ مِنْ عِقَالٍ» وليس بصحيح ، يقال : نَشِطْتُ الْعِدَّةَ إِذَا عَدَدْتَهَا ، وَأَنْشَطْتُهَا وانتشطتها إِذَا حَلَلْتُهَا . انتهى . قال في البارع^(٦) تقول العرب : «كأنما أُنْشِطُ مِنْ عِقَالٍ» ، بضم الهمزة . ويقال في المَثَلِ^(٧) للمريض يُسْرِعُ

(١) يياض بالأصل ينحو كلمة والتكلة من صحيح البخاري (ج ٧ ص ٢٥١) من حديث هشام عن أبيه من عائشة .

(٢) في وفاء الوفا السهوي (ج ٢ ص ٢٥٢) : بئر ذُرْوَان بفتح الذال المعجمة وسكون الراء عند رواة البخاري كافة . وذُرْوَان بئر في بني زريق قال الجرجاني رواية مسلم كافة بئر ذى أَرْوَان . ووقع عند الأصيلي بئر ذى أَوَان بغير واء . قال حياض وتبعه المجد (أى الفيروزابادي) هو وهم فإن ذَا أَرَان موضع آخر حل ساعة من المدينة وهو الذى بُني فيه مسجد الفرار .

(٣) في النسخة المطبوعة بالقاهرة سنة ١٩١٤ م من الروض الأنف السهيلي (ج ٢ ص ٢٤) ورد اسم هذه البئر بالألف ذى أَرْوَان .

(٤) وردت هذه التكلة في صحيح البخاري (ج ٧ ص ٢٥١) بدون ألف : رَعُوفَة . مع أنها في القاموس : رَاعُوفَة البئر أو أَرَعُوفَة حجرة تترك في أسفل البئر إذا اخترت تكون هناك ليجلس عليها حين التنقية أو تكون حل رأس البئر يقوم عليها المستقي . وفي هذا القسبط والمعنى في الصحيحين والفاائق والنهاية وزاد ابن الأثير : رَعُوفَة وَزَعُوفَة .

(٥) النهاية (ج ٤ ص ١٤٥) .

(٦) كتاب الباري ج ٢ في اللغة هو لا يعلو على العقال الموقوف سنة ١٣٥٦ هـ صاحب كتاب الأيمان بناء على حروف المعجم .

(٧) (ج ٧) في جمع الأفعال المبدئي (ج ٢ ص ٢٠٠) العلية الخيرية بالقاهرة سنة ١٣١٠ هـ .

١٠٧٩ ت برؤه ، والمعنى عليه تسريع إفاقته في أمر / شرع فيه عزيمته : « كأنما أنشط من عقال » ، ويقال نشط^(١) ، انتهى . فأنبت ما في الرواية لغة ، وهو أعرف باللغة من صاحب النهاية : « تَنَشَّرَتْ »^(٢) : ظاهر صحيح البخاري أنه من النشرة ، ويحتمل أنه من النشر بمعنى الإخراج فيوافق رواية من رواه بلفظ « أفأنخرجه »؟ ورواية « أفلا » وحذف المفعول للعلم به ويكون المراد بالمخرَج ما حواه الجُف لا الجُف نفسه ، ليتأكد الجَمْع المتقدم ذِكره . والنشرة ضَرْبٌ من العلاج يُعالَج به من يُظَنُّ أن به سِحْراً أو مَساً . قيل للنشرة ذلك لأنه يُكشَف بها عنه ما خالطه من الداء . والله أعلم .

(١) لم نثر في المعجمات علو نشط بمعنى أنشط كما يقول المؤلف غير أن الزبيدي في التاج قال : أنشط أو فقه هكذا في التسخ . وأضاف بأنه قد تقدم آنفاً أن النشط هو الإيقاظ ، والإنشاط هو الحل فإن صح ما ذكره المصنف فيكون هذا من باب الأضداد . وقد بحثنا عن هذه الشادة في كتب الأضداد للأصمعي والسجستاني وابن السكيت وابن الأنباري فلم نثر عليها .

(٢) في النهاية (ج ٥ ص ١٤٤) : ومنه الحديث : قلل طلياً أصابه ثم نشره يقل أعينُ ربِّ الناس أي رقا ، والحديث الآخر : فلا تنشرت . وفي القاموس وشرحه : ومن الهجاز النشرة بالضم رقية يعالج بها المجنون والمريض وقد نشر عنه إذا رقا . وصيبت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خابره من الداء أي يكشف وي زال وفي الحديث أنه سئل عن النشرة فقال هو من عمل الشيطان . وفي النهاية أنه لم يخرج في سفر إلا قال حين لا يهضر من جلوسه : اللهم بك انتشرت ، أي ابتدأت سقرى . وكل شيء أخذته غصاً فقد نشرته وانتشرته ومرجسه إلى النشر ضد الطي .

الباب الثالث عشر

في معرفة بعض طغاة المنافقين الذين انضموا إلى اليهود وبعض أمور دارت بين

رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم

سَرَدَ ابن إسحق وجماعة أمهات المنافقين ، وأنا ذَاكِرٌ هنا بعض من نزل القرآن الكريم بكشف حاله ، وأقدم قبل ذلك معنى التَّفَاقٍ : التَّفَاقُ : اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وهو قِطْلُ المنافق الذي يَسْتُرُ كُفْرَهُ وَيُظْهِرُ إِيْمَانَهُ كما يَتَسَتَّرُ الرجل بالنَّفَقِ الذي هو السَّرْبُ^(١) ، فقيل هو اشتقاقه من هذا . وقيل من قولهم نافق اليربوع إذا دخل في قاصعائه وخرج من نافقائه وبالعكس . وذلك أن اليربوع له جِحْرَةٌ^(٢) أربعة : النافقاه^(٣) والرافضاه^(٤) والراهماه^(٥) والداهاه^(٦) ، فهو يَرْقُقُ أَقْصَى النافقاه ويكتمها ويظهر غيرها .

(١) السرب المسلك في خفية. قاله في النهاية (ج ٢ ص ١٥٥) وفي القاموس التفرع حركة سرب في الأرض لا غلص إلى مكان. وانتفق: دخله .

(٢) الجحر لقب اليربوع والحية والجمع جحرة مثل عنة قاله في المصباح ويجمع أيضاً على جحور وأبحار .
(٣) في المصباح : النافقاه إحدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع يرققه فإذا أتى من قبل القاصعاه ضرب النافقاه برأسه فانطق أي خرج . والجمع التوافق والتفتة مثال المدة . وتلق اليربوع تفاقاً وتفاق أي أخذ في تفاقاه ومنه اشتقاق المنافق في الدين .

(٤) في التاج : القاصعاه جحر اليربوع يحفره ويدخله فإذا فزع ودخل فيه سد له لتلا يدخل عليه حية أو دابة . وقيل هي باب جحده يتخذه بعد الداهاه في مواضع أخر . وقيل تم جحره أول ما يبتلى في حفره وأخذته من التضع وهو ضم الشيء على الشيء . وقيل قاصعاه تراب يسه به باب الجحر والجمع قواصع . قال الجوهري في المصباح شبهوا قاعله بفاعلة وجعلوا ألقى التأنيث بمنزلة الماه .

(٥) في التاج : الرافضاه والراهماه كنيهات وقلة الأهرى نقل الجوهري الأول والثالثة من جحرة اليربوع التي يخرج منها التراب ويحمله وهي أول حفرة يحفرها . زاد الأهرى بين القاصعاه والتفاقه يتبأ فيها أولاده . قال أبو الهيثم : الرافضاه التراب الذي يحمله اليربوع على فم القاصعاه وما وراء ذلك وإنما يضطى جحره حتى لا يبين إلا عل قدر ما يدخل الضوء منه . قال : وأصله من الرط الجلة الذي يقطع سيوراً يصير بعضها فوق بعض تنوق به الخفافس . وفي القاصعاه مع الرافضاه فرجة يصل بها إليه الضوء .

(٦) في القاموس : دم اليربوع جحره غطاءه وسواء والداهاه إحدى جحرة اليربوع وتراب يجمعه ويخرجه من الجحر فيسوي به بابه والجمع داهم .

فلذا قصد من غيرها من الجُحْر ضرب النفاق برأسه فانتفق منها أى خرج . وقيل إنها نافذة بعضها إلى بعض ، فمن أيها قصد خرج من الأخرى . فكذلك المنافق يدخل في الإيمان من جهة ويخرج من جهة أخرى فاشتقاقه من فعل اليربوع . وقيل اشتقاقه من صورة النفاق لان فعل اليربوع ، وذلك أن النفاق ظاهره مدخل وباطنه مخرج ومهْرَب ، فكذا المنافق ظاهره إيمان وباطنه كُفْر ، ومحل النفاق القلب^(١) .

ولما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلم بَشَر كثير مِمَّن أراد الله عز وجل هدايته . وانضاف إلى اليهود أناس من الأوس والخزرج ممن كان عَسَا في الجاهلية ، فكانوا أهل نِفَاق على دين آبائهم من الشُّرك والتكليب بالبعث ، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره ، ١٠٨٠ واجتماع قومهم عليه ، فتنظروا بالإسلام / واتخلوه جُنَّة من القتل ونافقوا في السر ، وكان هوام مع يهود لتكليبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وجحودهم الإسلام .

وقد ذكر الله أخبارهم في سورة براءة وغيرها . فمن المنافقين : الجُلَاس^(٢) - بجمع مضمومة فلام مُخَفَّفَةٌ فَنَالِفَ فَنِينِ مهمل - ابن سُوَيْد بن الصامت . قال ابن إسحق : وكان مِمَّنْ تَخَلَّفَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك . وروى ابن إسحق ، وابن أبي حاتم عن كُثَب بن مالك ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ، وعبد الرزاق ، وابن سعد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ عن عُرْوَةَ قالوا : لما نزل القرآن فيه ذِكْرُ المنافقين قال الجُلَاس : «والله لئن كان هذا الرجل صادقاً [على إخواننا الذين هم ساداتنا و خيارنا]^(٣) [لنحن شرٌّ من الحمير » . فسمعها عُمَيْر بن سعد رضى الله عنه ، وكان في حجر جُلَاس خَلَفَ على أمه بعد أبيه . فقال له عُمَيْر : «والله يا جُلَاس إنك [لَأَحَبُّ]^(٤) الناس لى وأحسنه

(١) في التفسيرات للشيخ الجرجاني (ص ١٦٦) اتفاق إظهار الإيمان بالسان وكنان الكفر بالقلب .
(٢) في الاشتقاق (ص ١٦١) الجلّاس من الجلّس والجلّس ، الفلظ والمطوى الأرض والعرب تسمى نجداً الجلّس لارتفاعها ، وكل غليظ فهو جلّس . وترجم له ابن الأثير في أسد الغابة (ج ١ ص ٢٩١ : ٢٩٢) فقال هو الجلّاس بن سويد ابن الصامت بن خالد بن عطية بن حوط . . الأنصاري الأوسي . له حصة وله ذكر في المغازي . وقصته مع عير بن سعد مشهورة في التفاسير وقد اعترف بذنبه وحصلت توبته .

(٣) زيادة من تفسير القرطبي (ج ٨ ص ٢٠٦) .

(٤) بياض الأصل ينحو كلمة والتكلمة من ابن هشام (ج ٢ ص ١٤١) .

عندى يَدًا وَأَعَزَّهُ عَلَى أَنْ يُصِيبَهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ ، وَلَقَدْ قُلْتُمْ مَقَالَ لَثْنٍ رَفَعْتُمَا عَلَيْكَ -
لَا تُفَضِّحَنَّكَ وَلَثْنٌ صَمَتٌ لِيَهْلِكََنَّ دِينِي وَلِإِحْدَاهُمَا أَيْسَرُ عَلَى مِنَ الْآخَرَى . فَمَشَى إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ مَا قَالَ لَهُ جُلَّاسُ . فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِلَيْهِ فَحَلَفَ جُلَّاسُ بِاللَّهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَقَدْ كَذَبَ عَلَى عُمَيْرٍ وَمَا قُلْتُ
مَا قَالَ عُمَيْرُ . فَقَالَ عُمَيْرُ : «بَلِ وَاللَّهِ قُلْتُهُ فَتُبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَوْ لَا أَنْ يَنْزِلَ قَرَأَنُ
فَيَجْعَلَنِي مَعَكَ مَا قُلْتُهُ . فَجَاءَ الْوَحْيُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَكَتُوا لَا يَتَحَرَّكُ
أَحَدٌ . وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ لَا يَتَحَرَّكُونَ إِذَا نَزَلَ الْوَحْيُ ، فَرُفِعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : (يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ
وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنْتَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا
لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ^(١)) فَقَالَ [جُلَّاسُ] : «قَدْ قُلْتُهُ وَقَدْ عَرَضَ اللَّهُ عَلَى التَّوْبَةِ فَأَنَا أَتُوبُ» . فَقَبِلَ
ذَلِكَ مِنْهُ ، وَكَانَ هُمْ أَنْ يَلْحَقَ بِالْمُشْرِكِينَ . [وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ :
أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُذُنِ عُمَيْرٍ وَقَالَ^(٢)] : «يَا غُلَامُ وَقَدْ أَذْنُكَ (وَصَدَقَكَ) - رَبُّكَ»^(٣) .

تَبَيَّهَاتٌ

الأول : ذُكِرَ فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ شَيْءٌ آخَرٌ : وَهُوَ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
أُبَيٍّ فِي غَزْوَةِ الْمُزَيْنَةِ : «وَاللَّهُ مَا مَثَلْنَا وَمَثَلُ مُحَمَّدٍ إِلَّا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ : سَمَنْ كُلُّبِكَ
يَأْكُلُكَ»^(١) . وَاللَّهُ لَثْنٌ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّا الْأَعْرُضَ مِنْهَا الْأَذَلَّ . فَسَمِعَ بِهَا زَيْدُ بْنُ
أَرْقَمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَأَرْسَلَ خَلْفَ ابْنِ أُبَيٍّ فَحَلَفَ بِاللَّهِ مَا قَالَهُ ، / ١٠٨١
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ . رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ ، وَابْنُ الْمُنْذَرِ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ قَتَادَةَ . وَسَيَأْتِي
بَيَانُ ذَلِكَ فِي غَزْوَةِ الْمُزَيْنَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الثاني : رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ ، أَنَّ الْجُلَّاسَ تَابَ وَحَسَنَتْ
تَوْبَتُهُ ، وَلَمْ يَنْزِعْ عَنْ خَيْرٍ كَانَ يَصْنَعُهُ إِلَى عُمَيْرٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا عُرِفَتْ بِهِ تَوْبَتُهُ .

(١) سورة التوبة آية ٧٤ . (٢) زيادة من أسد الغابة ج ٤ ص ١٤٤ .

(٣) جميع الأمثال الملباني ج ١ ص ٢٢٥ : ٢٢٦ .

وهن المنافقين : نَبْتَلُ (١) سجنون مفتوحة فموحدة ساكنة ففوقية مفتوحة فلام - ابن الحارث ، وكان رجلاً جسيماً ، أذَلَم ، ثائر شعر الرأس أحمر العينين ، أَسْفَعَ الخَدَّين ، وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أَحَبَّ أَنْ ينظر إلى الشيطان فليَنظر إلى نَبْتَل بن الحارث » .

وروى ابن إسحق (٢) عن بعض بنى العَجَلَان أَنه حَدَّث أَن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : « إنه يجلس إليك رجل أذَلَم ثائر شعر الرأس أَسْفَعَ الخَدَّين أحمر العينين كأنهما قُذْرَان من صُفْر ، كَيْدُهُ أَغْلَظ من كَيْدِ الحِمَار ، يَنْقُل حديثك إلى المنافقين فاحذَره » . وكانت تلك صفة نَبْتَل بن الحارث يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجلس إليه فيسمع منه ثم ينقل حديثه إلى المنافقين . وهو الذى قال لم : « إنما محمد أَدْن ، مَنْ حَدَّثه بشئ صدَقه » . فَأَنْزَلَ الله تعالى : « وَمِنْهُمْ اللَّيْنِ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنُ قُلْ أَدْنُ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (٣) .

تنبيه : فى بيان غريب ما سَبَقَ : « الأَذَلَم » : بَدَال مهمة الأسود الطويل . « ثائر شعر الرأس » : منتشر . الشعر « أَسْفَعَ الخَدَّين » : السُّفْعَة - بالضم : سَوَادٌ مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ أَوْ زُرْقَةٍ (٤) « الصُّفْر » بضم الصاد المهمة وبالقائه : النُّحَاس .

ومنه (٥) : مِرْيَع - بيم مكسورة فراء ساكنة فموحدة مفتوحة فعين مهمة - ابن قَيْطِي - بقاء فتحتية فطاء ججمة مُشَالَّة - وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حاله ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عابده إلى أحد : « لا أُجِزُ لك يا محمد

(١) فى القاموس النجلى كجفر : الصلب الشديد .

(٢) ابن هشام (ج ٢ ص ١٤٣) .

(٣) سورة التوبة آية ٦١ .

(٤) فى اللُحَاج : السُّفْعَة من اللون سواد ليس بالكثير وقيل سواد مع لون آخر وقيل سواد مع زرقة وصفرة وقيل سواد أشرب حمرة . قال الليث : ولا تكون السُّفْعَة فى اللون إلا سواداً أشرب حمرة .

(٥) رواية ابن إسحق فى ابن هشام (ج ٢ ص ١٤٥) وأشار ابن الأثير فى أسد الغابة (ج ٤ ص ٣٤٣) إلى قصة مريخ بن قَيْطِي فى ترجمته لولده امرأة بن مريخ وقال بأنه كانت لمرأة وإخوته زيد وعبد الله وعبد الرحمن حمية . وترجم الصفيى المريخ ترجمة موجهة فى نكت المعيان (ص ٨٨) .

إِنْ كُنْتُ نَبِيًّا أَنْ تَمُرَّ فِي حَائِطِي^(١) . وَأَخَذَ فِي يَدِهِ حَفْنَةً مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ : « وَاللَّهِ لَوْ أَعْلِمَ أَنِّي لَا أَصِيبُ بِهَذَا التَّرَابِ غَيْرَكَ لَرَمَيْتُكَ بِهِ » . فَابْتَدَرَهُ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « دَعُوهُ فَهَذَا الْأَعْمَى أَعْمَى الْقَلْبِ أَعْمَى الْبَصَرِ » .

ومنها عبد الله بن أبي بن سلُول ، وسَلُولُ هِيَ أُمُّ أَبِي^(٢) وهو أَبِي بن مالك العَرَفِيُّ أَحَدُ بَنِي الْحُبَلِيِّ^(٣) . وَكَانَ / رَأْسَ الْمُنَافِقِينَ وَإِلَيْهِ يَجْتَمِعُونَ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ : « لَثْنٌ رَجَعْنَا ١٠٨٢ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ » فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ . وَفِي قَوْلِهِ ذَلِكَ نَزَلَتْ سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ^(٤) بِأَسْرَاهَا . وَقَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَعَبَدَ اللَّهُ بَنِي أَبِي سَيِّدَ أَهْلَهَا لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ فِي شَرَفِهِ مِنْ قَوْمِهِ اثْنَانِ ، لَمْ يَجْتَمِعِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ غَيْرِهِ حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامَ . وَكَانَ قَوْمُهُ قَدْ نَظَّمُوا لَهُ الْخَزَرَ لِيَتَوَجَّوْهُ ثُمَّ يَمْلِكُوهُ عَلَيْهِمْ ، فَجَاءَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ] فَلَمَّا انْصَرَفَ قَوْمُهُ عَنْهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ضَيَّعَ ، وَرَأَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اسْتَبْلَغَ مُلْكًا . فَلَمَّا أَنْ رَأَى قَوْمُهُ قَدْ أَبَوْا إِلَّا الْإِسْلَامَ دَخَلَ فِيهِ كَارِهًا مُصِرًّا عَلَى نِفَاقٍ وَضَيَّعَ .

وَرَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَالشَّيْخَانُ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . قَالَ : رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا عَلَيْهِ لِكَافِ فَوْقَهُ قَطِيفَةٌ قَدِ كُنْتُ مَبْخُطَمَةً بِحَبْلِ مِنْ لَيْفٍ . قَالَ : وَأَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ يَعُودُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرَ ، فَمَرَّ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ وَهُوَ فِي

(١) زَادَ فِي أَسَدِ الْغَابَةِ : بِغَيْرِ إِذْنٍ . وَالْحَائِطُ كَأَنَّ فِي الْبُحَايَةِ (ج ١ ص ٢٧١) : هُوَ الْبَيْتَانِ مِنَ النَّخِيلِ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ حَائِطٌ وَهُوَ الْجِدَارُ وَجَمْعُهُ حَوَائِطُ .

(٢) فِي الْأَسْلِ : وَهِيَ أُمُّهُ وَالتَّصْوِيبُ مِنَ السَّجْلِ (ج ٢ ص ٥٠) وَأَضَافَ السَّجْلُ : وَهِيَ غَزَاةٌ .

(٣) بَنُو الْحَبْلِ مِنْ بَطْنِ الْخَزْرَجِ وَفِي الْإِسْطِاقِ (ص ٤٥٨) سَمِيَ بِذَلِكَ لِتَعْظِيمِ بَطْنِهِ . وَفِي السَّجْلِ : إِسْمُ الْحَبْلِ : سَالِمٌ ، وَالنَّسَبُ إِلَيْهِ خَبِيلٌ بِضَمِّتَيْنِ .

(٤) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ فِي صَحِيحِهِ (ج ٦ ص ٢٦٧ : ٢٧٢) عِدَّةَ أَحَادِيثَ عَنْ هَذِهِ السُّورَةِ يُوَضِّحُ أُولَئِهَا السَّبَبَ فِي نَزُولِهَا . فَمِنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ : كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَصَمْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَقُولُ : لَا تَنْفَقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْقَضُوا مِنْ حَوْلِهِ وَلَوْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمَى أَوْ لِعَمْرٍ فَذَكَرَهُ الَّذِي فَصَحَّنِي لِحَدِيثِهِ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى ابْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا مَا قَالُوا فَكَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ وَصَدَّقَهُ فَأَصَابَنِي هَمْ لَمْ يَصْبِرْ ثَلَاثَةَ قَطْعٍ فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ فَقَالَ لِي عَمَى : مَا أَرَدْتُ إِلَّا أَنْ كَلَنِيكَ رَسُولُ اللَّهِ وَمَتَكَ فَأَزَلَّ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ « فَبِثَّ إِلَى الَّذِي قَرَأَ فَقَالَ : إِنْ اللَّهُ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدَ . وَالتَّصَدَّقَ بِطَوْلِهَا فِي أَسْبَابِ النَّزُولِ (ص ٣٢٠ : ٣٢٢) . وَتَفْسِيرُ الْفَرُطِيِّ (ج ١٨ ص ١٢٠) وَمَا بِطَوْلِهَا . وَابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ (ج ٤ ص ٣٦٨) وَمَا بِطَوْلِهَا .

ظِلُّ أظْمِرُ وفي مجلس أخلاط من المسلمين والمشرّكين عَبدَةُ الْأَوْثَانِ ، واليهود في مجلس عبد الله بن رواحة . فلما غَشِيَتْ المجلس عِجَاجَةُ الدَّابَّةِ خَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَنَسٍ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ وقال : لَا تُغَيِّرُوا عَلَيْنَا . فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ [وَحَدَّثَ وَبَشَّرَ وَأَنْذَرَ^(١)] فقال له عبد الله بن أبي : « يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنَّهُ لَا أَحْسَنَ مِنْ حَدِيثِكَ هَذَا إِنْ كَانَ حَقًّا فَلَا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا ، وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْبِصْ عَلَيْهِ » . قال : فقال ابن رواحة : « بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَغَشَيْنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا فَهُوَ وَاللَّهُ مِمَّا تُحِبُّ » . فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمَشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَنْتَشِرُونَ . فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا . فَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، فَقَالَ لَهُ : « أَيُّ سَعْدٍ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ ؟ » يريد عبد الله بن أبي . فقال سعد : « يَا رَسُولَ اللَّهِ اغْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ فَلَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ ، وَلَقَدْ اجْتَمَعَ أَهْلُ الْبَحِيرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوَجَّهَ فَيُعَصَّبُوهُ ، فَلَمَّا رُدَّ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ / شَرِّقْ ، فَذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ^(٢) » .

١٠٨٣

وعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوْ أَنَّتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ؟ فَاَنْطَلِقْ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَكِبَ حِمَارًا ، وَانْطَلِقَ الْمُسْلِمُونَ [عِشُونَ^(٣)] ، وَهِيَ [أَرْضُ^(٤)] سَبِيحَةٍ . فَلَمَّا أَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : إِلَيْكَ عَنِّي فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَذَانِي تَنْتُنُ حِمَارِيكَ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : وَاللَّهِ لَحِمَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ .

(١) - زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ٢٩٩) .

(٢) - أورد ابن الأثير في أسد الغابة (ج ٣ ص ١٩٧) هذا الخبر في ترجمته لابن عبد الله بن أبي بن سلول ، واسمه عبد الله وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم . وقال عبد الله لرَسُولِ اللَّهِ : والله هو الذليل وأنت العزيز يا رسول الله إن أذنت لي في قتله قتلته فوالله لقد علمت الخروج ما كان بها أحد أبر بولده مني ولكني أعشى أن تأمر به رجلاً مسلماً فيقتله فلا تلهي نفسي أنظر إلى قاتل أبي يعشى على الأرض خيلاً حتى أقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار . فقال الذي بل نعمن صحبته وتفرق به ما صحبنا ولا يتحدث الناس أن عمداً يقتل أصحابه ولكن برأياك وأحسن صحبته . فلما مات أبوه سأله ابنه عبد الله النبي صلى الله عليه وسلم ليصل عليه . هذا وقد قتل عبد الله شهيداً يوم البصرة في حرب مسلمة الكذاب .

(٣) - زيادة من أسباب النزول للواحدي (ص ٢٩٣) .

(٤) - زيادة من تفسير القرطبي (ج ١٦ ص ٣١٥) .

فَقَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَشْتَمَهُ ، وَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَحَدُهُ ، فَكَانَ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ بِالْحَرِيدِ - . وَفِي لَفْظٍ بِالْحَلِيدِ - وَالْأَيْدَى وَالنَّعَالِ ، فَلَبِغْنَا أَنَّهُ أَنْزَلَ فِيهِمْ (وَلَا تَلَايِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا^(١)) . (رَوَاهُ الشَّيْخَانُ) .

قال ابن إسحق : وقال عبد الله بن أبي حنيفة : خلاف [قومه^(٢)] ما رأى :
مَتَى مَا يَكُنْ مَوْلَاكَ خَصَمَكَ لَا تَزَلْ تَذِلُّ وَيَضْرَعُكَ^(٣) الَّذِينَ تَصَارِعُ
وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِيُّ بِغَيْرِ جَنَاحِهِ وَإِنْ جُدَّ^(٤) يَوْمًا رِيشُهُ فَهُوَ وَاقِعٌ^(٥)

ومنه أبو عامر الفاسق واسمه : عبد عمرو بن صفي بن النعمان^(٦) الأومى أحد بني ضُبَيْمَةَ بن زيد ، وهو أبو حَنْظَلَةَ غَسِيلِ الْمَلَكَةِ . وكان أبو عامر قد تَرَهَّبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَيْسَ الْمَسُوحُ ، فَكَانَ يُقَالُ لَهُ الرَّاهِبُ^(٧) . وكان شريفاً مُطَاعاً فِي قَوْمِهِ فَشَقِيَ بِشَرْفِهِ وَضُرِّهِ .

ولما قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَنَاهُ أَبُو عامر قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ مَا هَذَا الدِّينَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «جِئْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ» . قَالَ : فَإِنِّي عَلَيْهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) سورة الحجرات آية ٩ .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ سِدِّدٍ وَرَوَاهُ سَلَمٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى كَلَامًا عَنِ الْمُتَصَرِّفِ بْنِ سُلَيْمَانَ .

(٣) زِيَادَةُ مِنْ ابْنِ هِشَامٍ (ج ٢ ص ٢١٩) .

(٤) رَوَايَةُ ابْنِ قَتِيْبَةَ فِي الشَّعْرِ وَالشَّرَاءِ (ص ٢٣ لَيْدَنُ سَنَةِ ١٩٠٤ م) . وَيَطْلُوكُ .

(٥) فِي ابْنِ قَتِيْبَةَ : قَصٌّ .

(٦) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ (ج ٢ ص ٢١٩) . بَأَنَّ الْبَيْتَ الثَّانِي عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ . وَقَبْلَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْحَقِّ أَذْكَرُهُ أَمْرًا وَلَا الْفِصْمِ أَطْلَاهُ أَمْرًا وَهُوَ طَالِعٌ

نَقَلَهُ الْمُسْتَشْرِقُ دِيمُوجِيْنُ عَنِ الْأَمَلِيِّ فِي تَحْقِيقِهِ لِمَقْدَمَةِ كِتَابِ الشَّعْرِ وَالشَّرَاءِ لِابْنِ قَتِيْبَةَ الَّتِي نَشَرَ نَصْنَاهَا الْعَرَبِيُّ مَعَ التَّرْجُمَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ مَعَ مَقْدَمَةٍ وَتَطْلِيقاتٍ فِي بَارِيْسِ سَنَةِ ١٩٤٧ م (ص ٢٢ و ٧١) . وَابْنُ الْبَيْتَانِ الَّذِي أَوْرَدَهَا الْمَوْلَفُ شَمْسُ الدِّينِ النَّشَاطِيُّ نَقَلَ عَنْ ابْنِ هِشَامٍ (ج ٢ ص ٢١٩) . ذَكَرَهَا ابْنُ قَتِيْبَةَ فِي كِتَابِهِ : الشَّعْرُ وَالشَّرَاءُ ، وَقَدَّمَ لَهَا بِقَوْلِهِ : وَقَدْ يُخْتَارُ (الشَّعْرُ) وَيَحْفَظُ لِأَنَّ قَائِلَهُ لَمْ يَقُلْ غَيْرَهُ أَوْ لَأَنَّ شِعْرَهُ قَلِيلٌ عَزِيزٌ كَقَوْلِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سُلُوْلٍ الْمُنَافِقُ :

(٧) هَذَا نِسْبَةٌ كَمَا سَأَلَهُ ابْنُ الْكَلْبِيِّ وَتَمَامُهُ : ابْنُ النَّهْثَانِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ صُبَيْمَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ الْأَنْصَارِيِّ . وَعَنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ : أَبُو عامر عمرو بن صفي بن زيد بن أُمَيَّةَ بْنِ صُبَيْمَةَ . (أَسَدُ الْغَابَةِ ج ٢ ص ٦٧) .

(٨) سَبَبُ تَسْمِيَّتِهِ بِالْفَاسِقِ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ بِضِعْمَةِ عَشْرِ رُجُلًا مُفَارِقًا لِلْإِسْلَامِ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَلَا تَقُولُوا الرَّاهِبَ وَلَكِنْ قُولُوا الْفَاسِقَ . (ابْنُ هِشَامٍ ج ٢ ص ٢١٦ : ٢١٧) .

«لَسْتُ عَلَيْهَا [لَأَنَّكَ أَذْخَلْتَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا^(١)]. قال : بل أَدْخَلْتَ يَا مُحَمَّدُ فِي الْحَنَافِيَّةِ مَا لَيْسَ مِنْهَا . قال : « مَا فَعَلْتَ بَلْ جِئْتُ بِهَا بِيَضَاءَ نَقِيَّةٍ » . فقال أَبُو عَامِرٍ : أَمَاتَ اللَّهُ الْكَاذِبَ [مِنَّا^(٢)] طَرِيداً وَحِيداً . وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ يُعَرِّضُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ أَمَاتَ اللَّهُ الْكَاذِبَ مِنْهَا كَذَلِكَ » . فَكَانَ ذَلِكَ هُوَ عَدُوُّ اللَّهِ فَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ . فَلَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ ، خَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ فَلَمَّا أَسْلَمَ أَهْلَ الطَّائِفِ لَحِقَ بِالشَّامِ فَمَاتَ بِهَا طَرِيداً غَرِيباً وَحِيداً^(٣)

[تم بحمد الله الجزء الثالث من السيرة الشامية]

حسب الجزئية الموضوعية لنشر الكتاب [

(١) زيادة من تفسير القرطبي (ج ٧، ص ٢٢٠) .
(٢) أوجز المؤلف هنا قصة أبي عامر الواهب والله آثر بسط القول فيها في نهاية المطاف .

مراجع التحقيق والتعليق

في التفسير والحديث :

- ١ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري بتحقيق محمد قطة المدوي ، ومحمد الصباغ - بولاق سنة ١٢٨١ هـ في مجلدتين .
- ٢ - شرح شواهد الكشاف لمحب الدين أفندي ، تحقيق نصر الهوري - بولاق سنة ١٢٨١ هـ .
- ٣ - تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن - دار الكتب بالقاهرة (١٩٣٤-١٩٥٠ م) : في عشرين جزءا .
- ٤ - تفسير ابن كثير - مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة في أربعة أجزاء - طبعة غير مؤرخة .
- ٥ - أحكام القرآن للقاضي أبي بكر بن العربي - مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣١ هـ في جزعين .
- ٦ - أسباب النزول للواحدي - مطبعة أمين هندية بالقاهرة سنة ١٣١٥ هـ .
- ٧ - البرهان في علوم القرآن للزركشي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - مطبعة عيسى الحلبي (١٩٥٧-١٩٥٩ م) ٤ أجزاء .
- ٨ - تفسير سورة الإخلاص لتقي الدين بن تيمية - المطبعة الحسينية بالقاهرة سنة ١٣٢٣ هـ .
- ٩ - جواب أهل العلم والإيمان لتقي الدين بن تيمية - المطبعة الخيرية بالقاهرة سنة ١٣٢٥ هـ .
- ١٠ - الإتيان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي في جزعين - مطبعة أملاك بالقاهرة سنة ١٣٤٤ هـ .

١١ - مُفَحِّمَاتُ الْأَقْرَانِ فِي مُبَهَّمَاتِ الْقُرْآنِ لِجَلَالِ الدِّينِ السَّيُوطِيِّ - مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

١٢ - المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٦١ م .

١٣ - النشر في القراءات العشر لابن الجزري تحقيق علي محمد الضُّبَّاع في جزعين - مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة - طبعة غير مؤرخة .

١٤ - صحيح البخاري في تسعة أجزاء - طبعة منير الدمشقي بالقاهرة - طبعة غير مؤرخة .

١٥ - صحيح مسلم بشرح النووي في ١٨ جزءاً - طبعة محمود توفيق ، القاهرة - طبعة سنة ١٣٤٩ هـ .

١٦ - مسند أبي داود - طبعة التجارية بالقاهرة .

١٧ - مسند أبي داود الطيالسي - طبعة حيدرآباد بالهند سنة ١٣٢١ هـ .

١٨ - تيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الدَّبَّاع الشَّيبَانِي - الجمالية بالقاهرة سنة ١٣٣٠ - ١٣٣١ هـ في ثلاثة أجزاء .

١٩ - اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للجلال السيوطي في جزعين - المطبعة الحسينية القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ .

٢٠ - مختصر ابن أبي جَمْرَةَ مع حاشية الشَّوَنِي - طبعة مصطفى الحلبي - القاهرة سنة ١٣١٧ هـ .

٢١ - كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق لعبد الرؤوف المناوي - بولاق سنة ١٢٨٦ هـ .

٢٢ - مختصر سنن أبي داود ومعالم السنن للخطابي - تحقيق أحمد شاکر ومحمد حامد الفقي - القاهرة سنة ١٣٦٧ هـ .

٢٣ - الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث لابن كثير - تحقيق أحمد شاکر - مطبعة حجازي - القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ .

٢٤ - الفائق في غريب الحديث للزمخشري - تحقيق البجاوي وآبي الفضل - عيسى

الحلبي (١٩٤٥-١٩٤٩ م) في ثلاثة أجزاء .

٢٥ - النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين بن الأثير - المطبعة العثمانية بالقاهرة
سنة ١٣١١ هـ في أربعة أجزاء .

السيرة والتاريخ ومعجمات القراجم :

٢٦ - سيرة ابن هشام - طبعة المكتبة التجارية بالقاهرة في أربعة أجزاء - سنة ١٩٣٧ م .

٢٧ - الروض الأثف للسهيلى في جزعين - المطبعة الجمالية - القاهرة سنة ١٩١٤ م .

٢٨ - طبقات ابن سعد - القسم الخاص بالسيرة في أربعة أجزاء - لجنة نشر الثقافة
الإسلامية - القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ .

٢٩ - شرح السيرة ورواية ابن هشام لأبي ذر العُشَـنْـى - تحقيق برونله - مطبعة أمين
هندية في جزعين - القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ .

٣٠ - جوامع السيرة لابن حزم - تحقيق عباس والأسد ومراجعة أحمد شاكـر - المعارف
بالقاهرة - طبعة غير مؤرخة .

٣١ - عيون الأثر في فنون المغازى والشائـل والسير لابن سيد الناس - طبعة القدسي
في جزعين القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ .

٣٢ - مغازى رسول الله للواقدي - طبعة القاهرة سنة ١٩٤٨ م .

٣٣ - الشائـل المحمدية لمحمد بن عيسى الترمذى مع حاشية إبراهيم البيجورى - بولاق
سنة ١٢٩٠ هـ .

٣٤ - كتاب المعراج لعبد الكريم بن هوازن القشـيرى - تحقيق على حسن عبد القادر -
القاهرة سنة ١٩٦٤ م .

٣٥ - الشفا في حقوق المصطفى للقاضى عياض بشرح الخفاجى ومُـلَّا على القارىء في أربعة
مجلدات - الأزهرية سنة ١٣٢٧ هـ .

٣٦ - المواهب اللدنية للسـطـلانى بشرح الزرقانى في ٨ مجلدات - الأزهرية سنة ١٣٢٨ هـ .

٣٨ - زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزية على هامش شرح المواهب .

- ٣٩ - إمتاع الأسماع للمقريزى الجزء الأول تحقيق محمود شاكر - لجنة التأليف - القاهرة سنة ١٩٤١ م .
- ٤٠ - تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس للديار بكى فى جزئين - المطبعة الوهبية - القاهرة سنة ١٢٨٣ هـ .
- ٤١ - إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون لبرهان الدين الحلبي، فى ٣ أجزاء - القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ .
- ٤٢ - تاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير الطبرى - فى ١٣ جزءاً - المطبعة الحسينية - القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .
- ٤٣ - الكامل فى التاريخ لعز الدين بن الأثير - فى ١٢ جزءاً - بولاق سنة ١٢٩٠ هـ .
- ٤٤ - البداية والنهاية لابن كثير - فى ١٤ جزءاً - مطبعة السعادة - القاهرة سنة ١٣٥١ هـ - ١٣٥٨ هـ .
- ٤٥ - نهاية الأرب للنويرى - فى ١٨ جزءاً - دار الكتب - القاهرة سنة ١٩٢٣ - ١٩٥٥ م .
- ٤٦ - نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز لرفاعة رافع الطهطاوى - مطبعة المدارس الملكية - القاهرة سنة ١٢٩١ هـ .
- ٤٧ - مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى لمحمد حميد الله - لجنة التأليف - القاهرة سنة ١٩٤١ م .
- ٤٨ - فتوح البلدان للبلاذرى - مطبعة الموسوعات - القاهرة سنة ١٣١٩ هـ .
- ٤٩ - مروج الذهب للمسعودى فى مجلدين - بولاق سنة ١٢٨٣ هـ .
- ٥٠ - أخبار مكة للأزرقي فى جزئين - تحقيق رشدى الصالح ملحس - مكة سنة ١٣٥٢ هـ .
- ٥١ - وفاء الوفا فى أخبار دار المصطفى للمسعودى - فى مجلدين - القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .
- ٥٢ - قصص الأنبياء المسمى بالعرائس للثعلبى - بولاق سنة ١٢٨٦ هـ .
- ٥٣ - المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزى، من ج ٥ إلى ج ١٠ - حيدر اباد سنة ١٣٥٨ - ١٣٥٩ هـ .

- ٥٤ - مختصر تاريخ الخلفاء لابن الساعى - بولاق سنة ١٣٠٩ هـ .
- ٥٥ - العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية للخزرجى - فى جزعين - القاهرة سنة ١٩١١ م .
- ٥٦ - تاريخ عمر بن وردى - فى جزعين - المطبعة الوهيبية - القاهرة سنة ١٢٨٥ هـ .
- ٥٧ - الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة، المنسوب لابن القوطى - بغداد سنة ١٣٥١ هـ .
- ٥٨ - السلوك للمقرئى ٣ أجزاء فى ٩ أقسام - لجنة التأليف - القاهرة سنة ١٩٣٤ - ١٩٧٢ م .
- ٥٩ - النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى - دار الكتب - فى ١٣ جزءاً - القاهرة سنة ١٩٧٠ - ١٩٧٠ م .
- ٦٠ - حسن المحاضرة لجلال الدين السيوطى - فى جزعين - مطبعة الموسوعات - القاهرة - طبعة غير مؤرخة .
- ٦١ - تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين لجلال الدين السيوطى - طبعة منير الدمشقى - القاهرة سنة ١٣٥١ هـ .
- ٦٢ - الدليل على الروضتين لأبى شامة - تحقيق الكوثرى - القاهرة سنة ١٩٤٧ م .
- ٦٣ - الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ، ج ١ ، ٢ ، مطبعة الموسوعات - القاهرة سنة ١٣١٩ هـ .
- ٦٤ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن إياس فى ٣ أجزاء - بولاق سنة ١٣١١ هـ - ١٣١٢ هـ .
- ٦٥ - نفع الطيب للمقرئ - فى أربعة أجزاء - بولاق سنة ١٢٧٩ هـ .
- ٦٦ - أزهار الرياض فى أخبار عياض للمقرئ - فى ثلاثة أجزاء - لجنة التأليف - القاهرة سنة ١٩٣٤ - ١٩٤٢ م .
- ٦٧ - جهمرة أنساب العرب لابن حزم - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٤٨ م .

- ٦٨ - أسد الغاية في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير - في خمسة أجزاء - المطبعة
الوهابية - القاهرة سنة ١٢٨٠ هـ .
- ٦٩ - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، في ٨ أجزاء - مطبعة السعادة - القاهرة
١٣٢٣ - ١٣٢٥ هـ .
- ٧٠ - الرياض النضرة في مناقب العشرة المحب الطبرى ، في جزعين - القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ .
- ٧١ - ميزان الاعتدال للذهبي ، في ٤ أجزاء تحقيق البجاوى - مطبعة عيسى الحلبي - القاهرة
سنة ١٩٦٣ م .
- ٧٢ - المشته في الرجال : أسماؤهم وأنسابهم للذهبي في جزعين تحقيق البجاوى - مطبعة
عيسى الحلبي - القاهرة سنة ١٩٦٢ م .
- ٧٣ - تذكرة الحفاظ للذهبي في أربعة أجزاء - حيدر اباد سنة ١٣٣١ هـ .
- ٧٤ - ذيل تذكرة الحفاظ للمبشقي - دمشق سنة ١٣٤٧ هـ ، ولحظ الألفاظ لابن فهد .
- ٧٥ - خلاصة تذهيب الكمال للخزرجي - المطبعة الخيرية - القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ .
- ٧٦ - حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ، في عشرة أجزاء - مطبعة السعادة - القاهرة
سنة ١٣٥١ هـ - ١٣٥٨ هـ .
- ٧٧ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، في ١٤ جزءاً - مطبعة السعادة - القاهرة سنة ١٩٣١ م .
- ٧٨ - تاريخ العلماء والرواة بالأندلس لابن الفرضي - في جزعين - القاهرة سنة ١٩٥٤ م .
- ٧٩ - الأنساب للسمعاني - طبعة زنكية في مجموعة جيب التذكارية - لندن سنة ١٩١٢ م .
- ٨٠ - معجم الأديباء لياقوت - طبعة فريد رفاعي - في ٢٠ جزءاً - القاهرة سنة ١٩٣٧ م .
- ٨١ - إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي - مطبعة السعادة - القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .
- ٨٢ - إنباء الرواة للقفطي في ٣ أجزاء - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - دار الكتب
القاهرة سنة ١٩٥٠ - ١٩٥٥ م .
- ٨٣ - وفيات الأعيان لابن خلكان - في مجلدين - المطبعة الميمنية - القاهرة سنة ١٣١١ هـ .
- ٨٤ - قواف الوفيات لابن شاکر الکنتي في جزعين - مكتبة النهضة - القاهرة سنة ١٩٥٣ م .

- ٨٥ - الطالع السعيد في أسماء الرواة والفضلاء بأعلى الضعيف للإدقوى - القاهرة سنة ١٩١٤ م .
 ٨٦ - نكت الهميان في نكت العميان للصفدى - تحقيق أحمد زكى - القاهرة سنة ١٩١١ م .
 ٨٧ - تهذيب الأسماء واللغات للنوى ، طبعة منير الدمشقي - القاهرة - طبعة غير مؤرقة .
 ٨٨ - طبقات الشافعية الكبرى ، في ستة أجزاء للتاج السبكي - المطبعة الحسينية - القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ .

- ٨٩ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون - القاهرة سنة ١٣٥١ هـ .
 ٩٠ - نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التمبكتي - على هامش الديباج .
 ٩١ - سيرة عمر بن عبد العزيز ، لعبد الله بن عبد الحكم - القاهرة سنة ١٩٢٧ م .
 ٩٢ - غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ، في جزعين ، تحقيق برجستراسر - القاهرة سنة ١٩٣٢ م .

- ٩٣ - تاج التراجم في طبقات الحنفية لابن قَطْلُوبَغَا - بغداد سنة ١٩٦٢ م .
 ٩٤ - الفوائد البهية في تراجم طبقات الحنفية لأبي الحسنات اللكنوي - مطبعة السعادة - القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ .

- ٩٥ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني - القاهرة سنة ١٩٦٦ م .
 ٩٦ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ، في ١٢ جزءاً - طبعة القدسي - القاهرة سنة ١٣٥٣ - ١٣٥٥ هـ .

- ٩٧ - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي - دمشق سنة ١٣٤٨ هـ .
 ٩٨ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجمال الدين السيوطي - مطبعة السعادة - القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

- ٩٩ - النور السافر عن أخبار القرن العاشر للميدروسي - بغداد سنة ١٩٣٤ م .
 ١٠٠ - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ، في ٨ أجزاء - طبعة القدسي - القاهرة سنة ١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ .

١٠١ - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن أحمد مخلوف ، في جزعين - المطبعة السلفية - القاهرة سنة ١٣٤٩ - ١٣٥٠ هـ .

١٠٢ - الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ، ج ١ تحقيق لاوست والدهان - دمشق سنة ١٩٥١ م .

١٠٣ - الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان لأحمد الحضي القنائي - بولاق سنة ١٣٢١ هـ .
كتب الأدب :

١٠٤ - ديوان المذليين في قسمين - دار الكتب - القاهرة سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٨ م .

١٠٥ - شرح ثعلب لديوان زهير بن أبي سلمى - دار الكتب - القاهرة سنة ١٩٤٤ م .

١٠٦ - شرح ديوان حسان للبرقوقي - المكتبة التجارية - القاهرة سنة ١٩٢٩ م .

١٠٧ - شرح ديوان جرير للساوي - القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ .

١٠٨ - شرح ديوان الفرزدق للساوي - القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ .

١٠٩ - ديوان الأخطل وذويله - تحقيق الأب صالحاني - بيروت سنة ١٨٩٠ - ١٩٣٦ م .

١١٠ - شرح الأنباري على المفضليات للضبي - تحقيق كليل - بيروت سنة ١٩٢٠ م .

١١١ - كتاب المعارف لابن قتيبة - طبعة القاهرة سنة ١٩٣٤ م .

١١٢ - الميسر والقيداح لابن قتيبة - تحقيق محب الدين الخطيب - المطبعة السلفية - القاهرة سنة ١٣٤٣ هـ .

١١٣ - أدب الكاتب لابن قتيبة - المكتبة التجارية - القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ .

١١٤ - الشعر والشعراء لابن قتيبة - تحقيق دى غوى - لندن سنة ١٩٠٤ م .

١١٥ - مقدمة الشعر والشعراء لابن قتيبة - تحقيق النص العربي مع ترجمته إلى الفرنسية لديومبين ، باريس سنة ١٩٤٧ م .

١١٦ - الكامل في اللغة والأدب للمبرد في جزعين - مطبعة التقدم العلمية - القاهرة سنة ١٣٢٣ - ١٣٢٤ هـ .

١١٧ - شرح المقصورة الريدية - طبع الجوانب - القسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ .

١١٨ - الاشتقاق لابن دريد - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة سنة ١٩٥٨ م .
١١٩ - الأغاني للأصبهاني - دار الكتب - القاهرة سنة ١٩٢٧ - ١٩٧٠ م في ١٧ جزءاً
وطبعة السامى سنة ١٩٠٧ م .

١٢٠ - الأمالي للقالى ، جزعان ، والذليل والتنبيه - دار الكتب - القاهرة سنة ١٩٢٦ م .
١٢١ - العقد الفريد لابن عبد ربه - تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، في ٧ أجزاء - لجنة
التأليف - القاهرة سنة ١٩٤٠ - ١٩٥٣ م .

١٢٢ - مجمع الأمثال للميداني - المطبعة الخيرية - في جزعين - القاهرة سنة ١٣١٠ هـ .
١٢٣ - التصحيح والتحريف للحسن بن عبد الله العسكري - ج ١ - مطبعة الظاهر - القاهرة
سنة ١٣٢٦ هـ .

١٢٤ - ديوان عمر بن القارص - المطبعة الحسينية - القاهرة - طبعة غير مؤرخة .
١٢٥ - صبح الأعشى ، في صناعة الإنشا للقلقشندي - في ١٤ جزءاً - دار الكتب - القاهرة
سنة ١٩١٤ - ١٩١٩ م .

كتب اللغة :

١٢٦ - القاموس المحيط للفيروز ابادي - في ٤ أجزاء - المطبعة الحسينية المصرية - القاهرة
سنة ١٩٣٣ م .

١٢٧ - تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي - في عشرة أجزاء - القاهرة سنة ١٣٠٧ هـ .
١٢٨ - لسان العرب لابن منظور - في عشرين جزءاً - بولاق سنة ١٣٠٣ هـ .

١٢٩ - تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري - في مجلدين - بولاق سنة ١٢٨٢ هـ .
١٣٠ - المصباح المنير للفيوي - في جزعين - المطبعة الأميرية - القاهرة سنة ١٩٠٩ م .

١٣١ - فقه البلغة للثعالبي - بيروت سنة ١٨٨٥ م .

١٣٢ - شرح التبريزي لكتاب الألفاظ لابن السكيت - تحقيق شيخو - بيروت سنة ١٨٩٥ م .

١٣٣ - أساس البلاغة للزمخشري - في جزعين - دار الكتب - القاهرة سنة ١٩٢٣ م .

- ١٣٤ - الأفعال لابن القوطية - تحقيق على فوده - القاهرة سنة ١٩٥٢ م .
- ١٣٥ - الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري - طبعة القديسي - القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ .
- ١٣٦ - فرائد اللغة الجزء الأول في الفروق للأب لامنس - بيروت سنة ١٨٨٩ م .
- ١٣٧ - المذكر والمؤنث للقراء - تحقيق مصطفى الزرقا - حلب سنة ١٣٤٥ هـ .
- ١٣٨ - كفاية المتحفظ لابن الأجداني - حلب سنة ١٣٤٣ هـ .
- ١٣٩ - الكلليات لأبي البقاء الكفوي - بولاق سنة ١٢٨١ هـ .
- ١٤٠ - كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي - ج ١ - استنبول سنة ١٣١٧ هـ .
- ١٤١ - الأضداد للأصمعي والسجستاني وابن السكيت - تحقيق هفتر - بيروت سنة ١٩١٢ م .
- ١٤٢ - الأضداد في اللغة لمحمد بن القاسم الأنباري - المطبعة الحسينية - القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ .
- ١٤٣ - العرب من الكلام الأعجمي للجواليقي - تحقيق أحمد شاكر - دار الكتب - القاهرة سنة ١٣٦١ هـ .
- ١٤٤ - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجي - تحقيق النعساني - القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ .
- ١٤٥ - الألفاظ الفارسية المعربة لإدى شير الكلداني - بيروت سنة ١٩٠٨ م .
- ١٤٦ - درة القوَّاص في أوهام الخواص للحريري مع شرح الخفاجي - مطبعة الجواب القسطنطينية سنة ١٢٩٩ هـ .
- ١٤٧ - كشف الطرة عن الغرة للشهاب الألومي المفسر - دمشق سنة ١٣٠١ هـ .
- ١٤٨ - حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - في جزئين - بولاق سنة ١٢٩١ هـ .
- ١٤٩ - حاشية الدمهوري على متن الكافي في علمي العروض والقوافي - بولاق سنة ١٢٨٥ هـ .

كتب البلدان والخطط :

- ١٥٠ - البلدان لليعقوبي - تحقيق دي غوي - ليذن سنة ١٨٩١ م .

- ١٥١ - الأعلاق النفيسة لابن رُسْتَه - تحقيق دى غوى - ليدن سنة ١٨٩١ م .
- ١٥٢ - مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه - تحقيق دى غوى - ليدن سنة ١٨٨٥ م .
- ١٥٣ - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى البشارى - تحقيق دى غوى - ليدن سنة ١٩٠٦ م .
- ١٥٤ - صفة جزيرة العرب للهمدانى - تحقيق يُلَيْهْد النجلى - القاهرة سنة ١٩٥٣ م .
- ١٥٥ - معجم ما استعجم للبكرى - تحقيق مصطفى السقا - لجنة التأليف - ٤ أجزاء - القاهرة سنة ١٩٤٥ - ١٩٥١ م .
- ١٥٦ - معجم البلدان لياقوت - ٨ أجزاء - مطبعة السعادة - القاهرة سنة ١٩٠٦ م .
- ١٥٧ - خطط المقرئى - طبعة الملبجى - ٤ أجزاء - القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ .
- ١٥٨ - الخطط الجديدة لعلى مبارك - ٢٠ جزءاً - بولاق سنة ١٣٠٦ هـ .
- ١٥٩ - بلدان الخلافة الشرقية بقلم جى لوسترانج - أكسفورد سنة ١٩٠٥ م والترجمة العربية - بغداد سنة ١٩٥٤ م .
- ١٦٠ - القاموس الجغرافى للبلاد المصرية لمحمد رمزى - ٥ أجزاء - دار الكتب القاهرة سنة ١٩٥٤ - ١٩٦٠ م .
- ١٦١ - رحلة ابن جبير - القاهرة سنة ١٩٠٨ م .

فى الفقه والتصوف والفرق :

- ١٦٢ - الوجيز فى فقه الإمام الشافعى للغزالى - جزءان - القاهرة سنة ١٣١٧ هـ .
- ١٦٣ - الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمى - جزءان - بولاق سنة ١٢٨٤ هـ .
- ١٦٤ - إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشى - تحقيق أبى الوفا المراكى - القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ .
- ١٦٥ - كتاب الأموال لأبى عبيد القاسم بن سلام - تحقيق محمد حامد الفقى - القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ .
- ١٦٦ - المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى للغزالى - القاهرة - طبعة غير مؤرخة .

- ١٦٧ - إحياء علوم الدين للغزالي - ٤ أجزاء - مطبعة عيسى الحلبي - القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ .
- ١٦٨ - عوارف المعارف للسهرودي بهامش الإحياء .
- ١٦٩ - الرسالة في علم التصوف للششيرى - مطبعة التقدم العلمية - القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ .
- ١٧٠ - مقالات الإسلاميين للأشعرى - جزآن - استنبول سنة ١٩٢٨ م .
- ١٧١ - فرق الشيعة للنونجى - النجف - سنة ١٩٣٥ م .
- ١٧٢ - الفرق بين الفرق للبغدادى - القاهرة سنة ١٩٤٨ م .
- ١٧٣ - الملل والنحل للشهرستانى - تحقيق بدران - مجلدان - القاهرة سنة ١٩٥١ م .

متنوعات وفهارس :

- ١٧٤ - بلوغ الأرب لمحمود شكرى الألوسى - ٣ أجزاء - القاهرة سنة ١٩٢٤ م .
- ١٧٥ - حياة الحيوان الكبرى للدميرى - جزآن - المطبعة الميمنية - القاهرة سنة ١٣٠٥ هـ .
- ١٧٦ - عجائب المخلوقات للقزوينى بهامش حياة الحيوان للدميرى .
- ١٧٧ - تعطير الأنام فى تعبیر المنام لعبد الفتى النابلسى - جزآن - المطبعة الأزهرية - القاهرة سنة ١٣٠١ هـ .

- ١٧٨ - الفهرست لابن النديم - المكتبة التجارية - القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ .
- ١٧٩ - اكتفاء القنوع بما هو مطبوع بقلم إدوارد فاندليك - مطبعة الهلال - القاهرة سنة ١٨٩٦ م .

دراسات للمستشرقين :

- ١٨٠ - محمد ﷺ فى المدينة بقلم مونتجومرى واط - أكسفورد سنة ١٩٥٦ م .
- ١٨١ - الإسلام والكوميديا الإلهية بقلم آسين بلاثيوس - مدريد سنة ١٩١٩ م وترجمه من الإسبانية إلى الإنجليزية هـ . سنرلاند - لندن سنة ١٩٢٦ م .
- ١٨٢ - فلسطين فى عهد المسلمين بقلم جى لوسترانج - أكسفورد سنة ١٨٩٠ م .
- ١٨٣ - المغازى الأولى ومؤلفوها بقلم هوروفتس - ترجمة حسين نصار - القاهرة سنة ١٩٤٩ م .

- ١٨٤ - رحلات في بلاد العرب بقلم يوركهارت - لندن سنة ١٨٢٩ م .
- ١٨٥ - حجة إلى المدينة ومكة بقلم ريتشارد بيرنون - لندن سنة ١٨٥٥ م .
- ١٨٦ - علم التاريخ عند المسلمين بقلم فرانز روزنتال - ليدن سنة ١٩٥٢ م والترجمة العربية - بغداد سنة ١٩٦٣ م .
- ١٨٧ - عالم الإسلام بحوث لتكريم فليب حُجّي تحرير كريتيك وونلر - لندن سنة ١٩٦٠ م
- ١٨٨ - معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي بقلم زامباور - هانوفر سنة ١٩٢٧ م . والترجمة العربية نشرتها الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية - جزعان - القاهرة سنة ١٩٥١ - ١٩٥٢ م
- ١٨٩ - الموسوعة الإسلامية - الطبعة الأولى - ليدن سنة ١٩١٣ - ١٩٣٨ م والطبعة الثانية ابتداءً من سنة ١٩٥٤ م .

بيان
عن المؤلفات التي وردت فيها قصة
الإسراء والمعراج

لقد اضطررنا إلى حذف كثير من الشروح والتعليقات وتراجيم الأعلام في هذا الجزء جزيئاً على النهج المقرر في تحقيق أجزاء السيرة الشامية ، ولعله أيضاً من قبيل التخفيف من حواشي كثيرة قد تحجب القارئ عن المؤلف ، ولكننا مع ذلك نستثنى فيما يلي ما يتعلق بقصة الإسراء والمعراج :

انظر في بيانها سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٢ : ١٥) وشرحها للسهيلى في الروض الأثف (ج ١ ص ٢٤٢ : ٢٥٧) والطبقات الكبرى لابن سعد (القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ ج ١ ص ١٩٧ إلى ٢٠٠) وعميون الأثر لابن سيد الناس (ج ١ ص ١٤٠ : ١٤٤) والبداية والنهاية لابن كثير (ج ٣ ص ١٠٨ : ١١٧) وإمضاء الأسماع للمقرئزى (ج ١ ص ٢٩) وتاريخ الخميس للذهبي (ج ١ ص ٣٠٩) . وأفاض فيها المفسرون بالمأثور في تفسيرهم للأية الأولى من سورة الإسراء ، وتفسيرهم لسورة النجم مثل ابن جرير الطبري وابن كثير . وأوضحها كتب الحديث وفي مقدمتها صحيح البخاري ومسلم وشروحهما . وتناولها القاضي عياض في كتابه الشفا وشرحه للخفاجي (ج ٢ ص ٢٣٠ : ٣٦٦) وزاد المعاد لابن القيم والمواهب اللدنية للقسطلاني وشرحها للزرقاني (ج ٦ ص ٢ : ١٢٨) والخصائص الكبرى للسيوطي . ومن أفراد الإسراء والمعراج بالتأليف : النجم الغيطي في المعراج الكبير (القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ) وعبد الكريم بن هوازن القشيري صاحب الرسالة القشيرية وذلك في كتاب المعراج (القاهرة سنة ١٩٦٤ م) .

هذا وللإسراء والمعراج تفسير شئني وتفسير صوفي ، كما عني المسلمون بنقد الأحاديث المروية عن قصة المعراج والنص على المقبول منها والمردود ، وفي مقدمة هؤلاء ابن حجر العسقلاني في فتح الباري .

وتمن توافر على دراسة الأسراء والمعراج من المستشرقين : المستشرق الإسباني أسين بلاثيوس
الذى نشر في مدريد سنة ١٩١٩ م كتاباً غنيّاً بعنوانه : « الأخريات الإسلامية في الكومبديا
الإلهية ، لدانتي أليجييري » . نُشرت له ترجمة إنجليزية في لندن سنة ١٩٢٦ م ، وقد أورد
فيه من الصحيح التاريخية ما دلّل به على تأثر الشاعر الإيطالي الكبير دانتي (سنة ١٢٦٥ م -
١٣٢١ م) بقصة المعراج الإسلامية ، وأنها هي التي أوحى إليه بنظم قصته الشعرية . وقد
عارض المتعصبون لأصالة عبقرية دانتي من الإيطاليين نظرية بلاثيوس . غير أن هذه النظرية
قد أصبحت حقيقة مقررة كما أوضحها أخيراً المستشرق الإيطالي فرانشسكو جابرييلي في
مقال له بعنوان : « ضوء جديد على دانتي والإسلام » نشره في مجلة ديوجين وهي المجلة
الدولية للفلسفة والدراسات الإنسانية الربع سنوية (العدد السادس سنة ١٩٥٤ م ص ٦١ :
٧٣ من النسخة الإنجليزية) .

المفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
مقدمة الحق	٣	مقدمة الحق	٣
جماع أبواب معاينة صلى الله عليه وسلم	(١١-٢٤٨)	جماع أبواب معاينة صلى الله عليه وسلم	(١١-٢٤٨)
الباب الأول :		الباب الأول :	
في نسجه	٢٥١	في بعض فوائد قوله تعالى : « سبحان الذي	
الباب الثاني :		أبهر عينيه ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد	
في فضلهم وحجم الوصية بهم والتجاوز عن		الأقصى »	١٣
معيهم طائفي من بعضهم	٢٥٤	الباب الثاني :	
الباب الثالث :		في تفسير سورة النجم	٢٨
في بده إسلامهم	٢٦٢	الباب الثالث :	
الباب الرابع :		في اختلاف العلماء في رؤية النبي صلى الله عليه	
ذكر يوم يبعث	٢٦٥	وسلم لربه تبارك وتعالى ليلة المعراج	٨٢
الباب الخامس :		ذكر أدلة القول الأول	٨٨
في بيعة العقبة الأولى	٢٦٧	ذكر أدلة القول الثاني	٩١
الباب السادس :		الباب الرابع :	
في بيعة العقبة الثانية	٢٧٠	في أبي زمان ومكان وقع الإسراء	٩٤
الباب السابع :		الباب الخامس :	
إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير	٢٧٢	في كيفية الإسراء وهل تكرر أم لا	٩٨
الباب الثامن :		الباب السادس :	
في بيعة العقبة الثالثة	٢٧٧	في دفع شبهة أهل الزيغ في استحالة المعراج	١٠٧
- شرح أبيات كعب بن مالك الأنصاري	٢٩٠	الباب السابع :	
- شرح أبيات ضرار بن الخطاب وحسان		في أسماء الصحابة الذين رويوا القصة عن النبي	
ابن ثابت	٢٩٢	صلى الله عليه وسلم	١١٠
- في معرفة أسماء الذين يأمروا ليلة العقبة الثالثة		الباب الثامن :	
(مرتبة كل حروف المعجم)	٢٩٢	في سياق القصة	١١٢
الباب التاسع :		الباب التاسع :	
في إسلام عمرو بن الجموح	٣٠٨	في تلخيصات كل بعض فوائد تتعلق بقصة	
جماع أبواب الهجرة إلى المدينة الشريفة	(٣١١ - ٤٠٢)	المعراج (بلغت عندها مائة وأحد عشر	
الباب الأول :		كلمة من من ١٤٩ إلى من ٢٧٧)	١٣٩
في إذن النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين في		الباب العاشر :	
الهجرة إلى المدينة	٣١٣	في صلاة جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة	
الباب الثاني :		الإسراء وكيف فرضت الصلاة	٢٤٣
في سبب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه			

الموضوع الصفحة
الله عليه وسلم ٤٣٤

الباب السادس :

في الحق على الإقامة والموت بها والصبر على
الأولياء وتلقيها الخوف والتأنيب والتخلا
الأمور بها والتمس من عدم بها ... ٤٣٩

الباب السابع :

في زعيم من أحدث بها حدثاً أو أرى حدثاً
أو أرادها وأهلها بسوء أو أعانهم ، والكريمة
... .. ٤٤٦

الباب الثامن :

في تفضيلها على البلاد لخلوله صلى الله عليه
وسلم فيها ٤٥١

الباب التاسع :

في محرمها ٤٥٦

الباب العاشر :

في ذكر بعض خصائصها ٤٥٩

جماع أبواب بعض حوادث من البنية

الأولى والثانية من الهجرة ٢

(٤٧٥ - ٥٤٤)

الباب الأول :

في صلاة صلى الله عليه وسلم الجمعة بيني وبينكم؟ ٤٧٠

الباب الثاني :

في بناء مسجد الأعمى ويصلى ما وقع في حلقه ٤٧٥

الباب الثالث :

في بناءه صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام ٥٠٦

الباب الرابع :

في بناءه صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام ٥٠٦

الباب الخامس :

في بناءه صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام ٥١٠

الباب السادس :

في مؤانته صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ٥٢٧

الموضوع الصفحة
الكريمة وكفاية الله تعالى رسول مكر المشركين
حين أرادوا ما أرادوا ٢٢٤

الباب الثالث :

في قدر إقامة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد
البنة وزياد الأرض التي يهاجر إليها ... ٢٢٢

الباب الرابع :

في هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفذه
الكريمة وما وقع في ذلك من الآيات ... ٢٣٥

- قصة أم ميم ٢٤٦

- قصة سراقه رضي الله عنه ٢٥١

- شرح قصة أم ميم ٢٦٨

- شرح شعر حصان ٢٧٤

- شرح قصة سراقه ٢٧٥

الباب الخامس :

في تلقى أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتزوله بقلبه وتأسيس مسجد قباء ... ٢٧٧

الباب السادس :

في قدومه صلى الله عليه وسلم بأهل المدينة
وما آلت إليه وفرح أهل المدينة برسول الله ... ٢٨٥

جماع أبواب بعض فضائل المدينة المنورة

الأولى (٤٧٥ - ٤٧٦)

الباب الأول :

في بنية شائبا ٤٧٥

الباب الثاني :

في أسماء المدينة مؤمنة على ظروف المحرم
(وقت التسهيل المرجحة) ٤٧٤

الباب الثالث :

في التي عن تسهيلها يشرب ٤٧٧

الباب الرابع :

في محبة جبل الله عليه وسلم لها ودعائه لها
ولأهلها ورفع الوفاء عنها بدعائه صلى الله ... ٤٢٨

الباب الخامس :

في حصنها من اللجبال والطاوعين بركته صلى ...

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الباب السادس :		الباب الثامن :	
في قصة تحويل القبلة..... ٥٣٧		في سبب نزول قوله تعالى : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء »	
جساع أبواب بعض أمور دارت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اليهود والمنافقين ونزول صدر من سورة البقرة وغيره من القرآن في ذلك (٤٥٠-٦٠٥)		وقوله تعالى : « إذ قالوا ما أنزل الله حل بشر من شيء » ٥٨٣	
الباب الأول :		الباب التاسع :	
في أخذ الله سبحانه وتعالى العهد عليهم في كتبهم أن يؤمنوا بحمد إذا جاسم واعتراض جماعة منهم بنبوته ثم كفر كثير منهم به فيما عتادوا	٥٤٧	في سؤالهم عن أشباه لا يعرفها إلا ذى وجوبه لهم وتصديقهم بإياه بأنه أسباب وتجردهم عن الإيمان به ٥٨٦	
الباب الثاني :		الباب العاشر :	
في إسلام عبد الله بن سلام بن الحارثي أبي يوسف ٥٥٢		في رجوعهم إليه صلى الله عليه وسلم في عقوبة الزاني وما ظهر في ذلك من كتابهم ما أنزل الله عز وجل في التوراة من سكة وصفة نبيه صلى الله عليه وسلم ٥٩١	
الباب الثالث :		الباب الحادي عشر :	
في موادعة صلى الله عليه وسلم اليهود وكتبه يمينهم كتاباً بذلك وتصبهم المدارة له ولاعتابه حسداً وعتواً وتقسمهم للمهد ٥٥٥		في سؤالهم أن يتنصوا للموت إن كانوا صادقين في دعوى أجوبها ٥٩٥	
الباب الرابع :		الباب الثاني عشر :	
في سؤال اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح ٥٦٠		في محرم لإيصال صلى الله عليه وسلم ٥٩٦	
الباب الخامس :		الباب الثالث عشر :	
في تعجزهم في مدة مكثه هذه الأمة لما سمعوا الحروف المتعلبة في أوائل السور ٥٧٠		في معرفة بعض طائفة المنافقين الذين انضافوا إلى اليهود وبعض أمور دارت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم ٩١٥	
الباب السادس :		نهاية كلام المؤلف ٩١٢	
في مصيب نزول سورة الإخلاص ٥٧٧		- مراجع التحقيق والتعليق ٩١٣	
الباب السابع :		- بيان حق المؤلفات التي وردت فيها قهنة الإسرائيل والمخرج ٩٢٦	
في إرادة شأمن بن قيس إيقاع الفتنة بين الأوس والخزرج لما رأى كلمتهم مجتمعة ٥٨٠		تفهرس موضوعات الجزء الثالث من السيرة الشامية ٩٢٨	

مطبع الاهرام التجارية

رقم الإيداع بدار الكتب
٢٢٩٨ / ١٩٧٣ .

